

صُبحُ الأَسَدِ

الجزء العاشر

دار الكتب السلطانية

كتاب

صحيح الأئمة

نالتف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء العاشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٤ هـ
م ١٩١٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الوجه الخامس

(فَمَا يُكْتَبُ فِي أَلْقَابِ الْمُلُوكِ عَنِ الْخَلَفَاءِ ، وَهُوَ نَمَطَانِ)

النمط الأول

(مَا كَانَ يُكْتَبُ فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ)

وهو أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَى مَا يَلْقَبُ بِهِ الْمَلِكُ أَوْ يُكْتَبُ بِهِ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ ، ثُمَّ يُقَالُ : « مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » وَلَا يُزَادُ عَلَى ذَلِكَ .

كما كتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي فِي عَهْدِ نَخْرَ الدَّوْلَةِ بْنِ بُؤْيَةِ عَنِ الطَّائِعِ لِلَّهِ :
« هَذَا مَا عَهَدَ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ الْكَرِيمِ الطَّائِعُ لِلَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى نَخْرِ الدَّوْلَةِ
أَبِي عَلَى مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

وإِلَى هَذَا أَشَارَ فِي "التعريف" بقوله : عَلَى أَنَّ هَذَا ضَابِطًا كَانَ فِي قَدِيمِ
الزَّمَانِ وَهُوَ أَنَّهُ لَا يُكْتَبُ لِلرَّجُلِ إِلَّا مَا كَانَ يَلْقَبُ بِهِ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ [بِالنَّصِّ]^(٢)
مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا تَقْصِيرٍ .

(١) فِي "التعريف" ص ٨٧ مَلِك .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنَ التَّعْرِيفِ .

النمط الثاني (ما يُكْتَبُ بهُ لُلوْكُ الزمان)

وقد حكى في "التعريف" في ذلك مذهبي :

الأول — أن يُكْتَبَ فيها : السُّلطان، السَّيِّد، الأَجَل، الملك الفلاني، مع بَقِيَّةٍ ما يَناسِبُ من الألقاب المفردة والمركبة : كما كتب القاضي الفاضل في عهد أسد الدين شيركوه الآتي ذكره عن العاضد الفاطمي :

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلَّيْهِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْإِمَامِ الْعَاضِدِ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى السَّيِّدِ، الْأَجَلِّ، الْمَلِكِ، الْمَنْصُورِ؛ سُلْطَانِ الْجُيُوشِ، وَلِيِّ الْأُمَّةِ، نَخْرِ الدَّوْلَةِ، أَسَدِ الدِّينِ، كَافِلِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَبِي الْحَرِثِ شِيرَكُوهِ الْعَاضِدِيَّ» .

وعلى هذه الطريقة بزيادة ألقاب كتب ابن القيسراني في العهد للملك الناصر محمد بن قلاوون : قدس الله روحه ونحو ذلك . قال في "التعريف" : وأنا إلى ذلك أجنح، وعليه أعمل .

الثاني — أن يُكْتَبَ : المَقَامُ الشريف، أو الكَرِيم، أو العَالِي مجرداً عنهما .
(١) ويُقْتَصَرُ على المفردة [دون المركبة] .

كما كتب به صاحب نخر الدين بن لقمان، في عهد الظاهر بيبرس بعد ذكر أوصافه ومناقبه : ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالي المولوي، السلطاني، الملكي، الظاهري، الركني، شرفه الله تعالى وأعلاه .

(١) الزيادة من "التعريف" .

قلت : ورُبَّما أبدل المتقدمون « المقام » في هذه الحالة بـ « المَقَرَّ » وأتى بالألقاب من نحو ما تقدم .

وكما كتب به القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في عهد المنصور قلاوون بعد استيفاء مناقبه وأوصافه ، وذكر أعمال الفكر والروية في اختياره : « ونخرج أمر مولانا أمير المؤمنين شرفه الله أن يكون للمَقَرَّ العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، المنصورى ، أجله الله ونصره ، وأظفره وأقدره ، وأيده وأبداه ، كل ما فوضه الله لمولانا أمير المؤمنين » ونحو ذلك .

وبقى مذهب ثالث - وهو أن يأتى بنظير ألقاب المذهب الأول ، مقتصرًا على الألقاب المفردة دون المركبة . وعلى ذلك جرى الوزير ضياء الدين بن الأثير في العهد الذى كتب به معارضة لعهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الآت ذكره - فقال بعد ذكر مناقبه : « وتلك مناقبك أيها الملك ، الناصر ، الأجل ، السيد ، الكبير ، العالم ، العادل ، صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب » . ولم يتعرض لحكايته في « التعريف » . على أن ابن الأثير إمام هذا الفن ، وحائز قصب السبق فيه ، ومقاتله مما يحتاج بها ويعول عليها .

فإن قيل : لعله في « التعريف » أراد مذاهب كُتِّبَ زمانه ، فالجواب أن حكاية المذهب الثانى عن المتأخرين تؤذن بأن المراد متقدمو الكتاب ومتأخروهم .

الوجه السادس

(فيما يُكْتَبُ في مِثْنِ الْعُهُودِ ، وفيه ثلاثة مذاهب)

المذهب الأول

(وعليه عامةُ الكُتَّابِ من المتقدمين وأكثَرُ المتأخرين)

أن يُفْتَحَ الْعَهْدُ بلفظ « هذا » مثل : « هذا ماعِهدُ به فلانُ لفلان » أو « هذا مأمَرُ به فلانُ فلانا » أو « هذا عهدُ من فلان لفلان » أو « هذا كُتَّابُ آكْتَبَهُ فلان لفلان » وما أشبه ذلك .

وللكُتَّابِ فيه طريقتان :

الطريقة الأولى

(طريقة المتقدمين)

وهي أن لا يأتى بتحميدٍ في أثناء العهد في خطبة ولا غيرها ، ولا يتعرَّض إلى ذكر أوصاف المعهود إليه والثناء عليه أصلاً ، أو يتعرَّض إلى ذلك باختصار ثم يقول : « فقلَّده كذا وكذا » ويذكر ما فوض إليه ، ثم يقول : « وأمره بكذا » حتى يأتى على آخر الوصايا ، ثم يقول في آخره : « هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، وختمته لك وعليك » ويأتى بما يناسب ذلك ، ويختمه بقوله : « والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » أو « والسلام عليك » أو بغير ذلك من الألفاظ المناسبة على اختلاف طُرُقهم في ذلك ، وتباين مقاصدهم . وعلى هذا التهج وما قاربه كانت عهودُ السلف فنَ بعدهم ، تأسيساً بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما كتَبَ به لعمر بن حُرَيم حين وجهه إلى اليمن ، كما تقدَّمت الإشارةُ إليه في الاستشهاد لأصل عهود الملوك عن الخلفاء .

وهذه نسخته بعد البسملة فيما ذكره ابن هشام وغيره :

« هَذَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ) »
 « عَهْدٌ مِنْ [مُحَمَّدٍ ^(١)] النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ [حِينَ بَعَثَهُ »
 « إِلَى الْيَمَنِ] أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا »
 « وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ . وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ ، وَأَنْ يُبَشِّرَ »
 « النَّاسَ بِالْخَيْرِ وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ وَيُقَيِّدَهُمْ فِيهِ ، »
 « وَيَنْهَى النَّاسَ فَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِنْسَانٌ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ ، وَيُخْبِرَ »
 « النَّاسَ بِالَّذِي لَهُمْ وَالَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَيَلِينَ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ وَيَشْتَدَّ عَلَيْهِمْ »
 « فِي الظُّلْمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهَ الظُّلْمَ وَنَهَى عَنْهُ فَقَالَ : (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى »
 « الظَّالِمِينَ) وَيُبَشِّرُ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ وَبِعَمَلِهَا ، وَيُنْذِرُ النَّاسَ النَّارَ وَعَمَلِهَا ، »
 « وَيَسْتَأْذِنُ النَّاسَ حَتَّى يَفْقَهُوا فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمُ النَّاسَ مَعْلَمَ الْحَجِّ »
 « وَسُنَّتَهُ وَفَرِيضَتَهُ وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَالْحَجَّ الْأَكْبَرُ الْحَجَّ الْأَكْبَرُ ، »
 « وَالْحَجَّ الْأَصْغَرُ هُوَ الْعُمْرَةُ ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يُصَلِّيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ »
 « وَاحِدٍ صَغِيرٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَوْبًا يَتْنِي طَرَفَيْهِ عَلَى عَاتِقَيْهِ ، وَيَنْهَى »

« [الناس^(١)] أَنْ يَحْتَبِيَ أَحَدٌ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ يُفْضَى بِفَرْجِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، »
« وَيَنْهَى أَنْ لَا يَعْقِصَ أَحَدٌ شَعْرَ رَأْسِهِ فِي قَفَاهِ ، وَيَنْهَى إِذَا كَانَ بَيْنَ »
« النَّاسِ هَيْجٌ عَنِ الدُّعَاءِ إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ ، وَلِيَكُنْ دَعَاؤُهُمْ إِلَى اللَّهِ »
« [عز وجل^(١)] وَحَدَهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ [فَمَنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى اللَّهِ وَدَعَا إِلَى »
« الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ فَلْيُقْطَعُوا بِالسَّيْفِ حَتَّى تَكُونَ دَعَاؤُهُمْ إِلَى اللَّهِ »
« وَحَدَهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ] وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ : وَجُوهِهِمْ ، »
« وَأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمِرْفَاقِ ، وَأَرْجُلِهِمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَيَمْسَحُونَ بِرُءُوسِهِمْ »
« كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ ، وَأَمَرَ بِالصَّلَاةِ لَوَقْتِهَا ، وَإِتْمَامِ الرُّكُوعِ [وَالسُّجُودِ^(١)] »
« وَالْخُشُوعِ ، وَيَغْلَسُ بِالصُّبْحِ ، وَيَهْجُرُ بِالظُّهْرِ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ ، »
« وَصَلَاةُ الْعَصْرِ وَالشَّمْسُ فِي الْأَرْضِ مُذْبِرَةٌ ، وَالْمَغْرِبِ حِينَ يَقْبَلُ »
« اللَّيْلُ ، لَا تُتَوَخَّرُ حَتَّى تَبْدُو النُّجُومُ فِي السَّمَاءِ ، وَالْعِشَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ . »
« وَأَمَرَ بِالسَّعْيِ إِلَى الْجُمُعَةِ إِذَا نُودِيَ لَهَا ، وَالْغُسْلِ عِنْدَ الرَّوْحِ إِلَيْهَا . »
« وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَغَانِمِ نَحْصَ اللَّهِ ، وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ »

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٧٢ .

(٢) الذي في السيرة « بالهجرة حين تميل » .

« فِي الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَقَارِ عَشْرُ مَسْقِتِ الْعَيْنِ وَسَقَاتِ السَّمَاءِ ، وَعَلَى »
 « مَاسْقَى الْغَرْبِ نِصْفُ الْعُشْرِ . وَفِي كُلِّ عَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ ، »
 « وَفِي كُلِّ عِشْرِينَ أَرْبَعُ شِيَاهٍ . وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ ، »
 « وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ جَذَعٌ^(١) أَوْ جَذَعَةٌ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ »
 « مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحَدَا شَاةٌ ، فَإِنَّهَا فَرِيضَةُ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي أَقْتَرَضَ »
 « عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ . وَأَنَّهُ مَنْ »
 « أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ إِسْلَامًا خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ وَدَانَ بِدِينِ »
 « الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ : لَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ ، »
 « وَمَنْ كَانَ عَلَى نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ ، فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ عَنْهَا وَعَلَى كُلِّ حَالِمٍ : »
 « ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، حُرٌّ أَوْ عَبْدٌ دِينَارٌ وَافٍ ، أَوْ عِوَضُهُ ثِيَابًا ، فَمَنْ أَدَّى »
 « ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ، وَمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ »
 « وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا » .

« صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » .

(١) كذا في السيرة أيضا بالعين والقفاف وفي كتب اللغة العقار [أى كغراب] خيار الكلاب والعقار [أى كسلام] النخل . تأمل .

(٢) في اللسان ج ٩ ص ٣٩٣ "إذا طلع قرن العجل وقبض عليه فهو غضب ثم هو بعد ذلك جذع"

وعلى نحو ذلك كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عهد مالك بن الأشتر النخعي حين ولّاه مِصرَ . وهو من العهود البليغة جمع فيه بين معالم التقوى وسياسة الملك .

وهذه نسخته فيما ذكره ابن حمدون في تذكرته :

هذا ما أمر [به عبد الله ^(١)] علي أمير المؤمنين مالك بن الحريث الأشتر ، في عهدِه إليه ، حين ولّاه مِصرَ : جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، وأستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها . أمره بتقوى الله وإيثار طاعته ، وأتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه ؛ وسُننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع جُحودها وإضاعتها ؛ وأن ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه ، فإنه جلّ اسمه قد تكفل بنصر من نصره ، وإعزاز من أعزّه . وأمره أن يكسر من نفسه عند السموات ، ويرعها عند الجمحات ؛ فإن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم الله .

ثم أعلم يا مالك أنني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دُولُ قبلك : من عدل وجور ، وأن الناس ينظرون من أمورك [في مثل ^(٢)] ما كنت تنظر فيه من أمر الولاية قبلك ، ويقولون فيك كما كنت تقول فيهم . وإنما يستدل على الصالحين بما يُجزي الله لهم على اتّسن عبادته ، فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح . فمالك هোক ، وشيخ بنفسك عما لا يحلّ لك ؛ فإن الشَّحَّ بالنفس الانتصاف منها فيما أحببت وكرهت . وأشعر قلبك بالرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ؛ ولا تكون عليهم سبعا ضاريا ، تغنم أكلهم ؛ فإنهم صنفان : إما آخ لك في الدين ،

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" (ص ١٠٥) .

(٢) الزيادة من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .

وإِمَّا نَظِيرُكَ فِي الْخَلْقِ : يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَالُ ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا : فَأَعْطِيهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ : فَإِنَّكَ قَوْفَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ قَوْفَكَ ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ . وقد أَسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ ، وَأَبْتَلَاكَ بِهِمْ ؛ وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدَى لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ وَلَا تَسُدَّ مَنْ عَلَى عَفْوٍ ، وَلَا تَجْجَحَنَّ بِمَقْبُوبَةٍ ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ عَنْهَا مَنُودُوحَةً ؛ وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي أَمْرٌ أَمْرٌ^(١) فَأُطَاعَ : فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ ، وَمَهْلَكَةٌ فِي الدِّينِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ . وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُنْهَةً أَوْ مَحْجَلَةً ، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ تَعَالَى قَوْفَكَ ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طَاحِكٍ وَيُكْفُّ عَنْكَ مِنْ غَرِيكَ ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزُبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ . وَإِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي عَظَمَتِهِ ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَيُهَيِّنُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ : فَإِنَّكَ إِنَّا لَا تَفْعَلُ تَظْلِمٌ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمِنْ خَاصَّةِ اللَّهِ ، أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَتَرَعَ وَيَتُوبَ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَفْسِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ [فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ يُسْمِعُ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ]^(٢) .

وَلَيْكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ ؛ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُخْجِفُ بَرَضًا الْخَاصَّةَ ، وَإِنْ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا

(١) في "مفتاح الافكار، وشرح نهج البلاغة" «مؤمر» .

(٢) الزيادة من "مفتاح الافكار" وشرح "نهج البلاغة" .

العامة ؛ وليس أحدٌ من الرعية أثقلَ على الوالي مشونةً في الرِّخاء ، وأقلَّ معونةً له في البلاء ؛ وأكره للإِنصاف ، وأسأل بالإِخفاف ؛ وأقلَّ شكرًا عند الإِعطاء ، وأبطأ عُدرا عند المنع ، وأضعفُ صبرا عند مُلِمَّاتِ الدهر ، من أهلِ الخِصاصة ؛ وإنما عمودُ الدِّين ، وجماعُ المسلمين ، والعدَّةُ للأعداءِ العامة من الأُمَّة . فليكنْ صَغُوكَ لهم ، وميلُكَ معهم ؛ وليكنْ أبعدُ رعيَّتِكَ منك ، وأشنؤهم عندك ؛ أطلبهم لمعايبِ الناس : فإنَّ في الناسِ عيوبًا والوالى أحقُّ بسترها ؛ فلا تُكشِفَنَّ عما غابَ عنك منها ، فإنَّما عليك تطهيرُ مَظهرٍ [لك] ^(١) والله يحكم على ما غابَ عنك منها . فاسترِ العورةَ ما استطعتَ يسترِ اللهُ ما يُحبُّ ستره من عيبِكَ .

أطلقِ عن الناسِ عُقْدَةَ كُلِّ حَقْدٍ ، وأقطعْ عنهم سَبَبَ كُلِّ وَترٍ ، وتغابَ عن كُلِّ ما لا يَضِحُ لك ؛ ولا تَعَجَلَنَّ إلى تصديقِ ساع : فإنَّ الساعِيَ غاشٌّ وإن تَنَبَّهَ بالناصحين . ولا تُدْخِلَنَّ في مَشُورَتِكَ بَحِيلًا يَعْدِلُ بك عن الفضلِ ويَعِدُّكَ الفقرَ ، ولا جَبَانًا يَضْعِفُكَ عن الأمورِ ، ولا حَرِيصًا يَزِينُ لك الشرَّ بالجورِ : فإنَّ البُغْلَ والجَبْنَ والحِرْصَ غَرائِزُ شَتَّى يَجْمَعُها سوءُ الظنِّ بالله .

إنَّ شرَّ وُزرائِكَ مَنْ كانَ للأشرارِ قَبْلَكَ وِزيرا وَمَنْ شارَكَهُمْ في الآثامِ ، فلا يَكُونَنَّ لك بِطَانَةً ، فإنَّهم أعوانُ الأئمة ، وإخوانُ الظَّلمة ؛ وأنتَ واحدٌ منهم خيرا الخَلَفَ مَنَ لَهُ مِثْلُ آرائِهِمْ وَنَفَازِهِمْ ، وليسَ عليه مِثْلُ أَصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ : مَنَ لَمْ يُعَاوَنِ ظالِمًا على ظُلمِهِ ، ولا آمَنَّا على إثمِهِ ؛ أولئك أخفُّ عليك مَشُونُهُ ، وأحسنُ لك مَعُونُهُ ؛ وأخفى عليك عَطفا ، وأقلُّ لغيرِكَ إلْفا ؛ فَاتَّخِذْ أولئك خاصَّةً لَخَلَوَاتِكَ [وَحَقْلَاتِكَ] ^(١) . ثم ليكنْ آثرُهُمْ عندَكَ أَقْوَلَهُمْ [لك] بِمَرِّ الحَقِّ ، وأقلَّهُمْ مُساعِدَةً فيما يَكُونُ منك مما

(١) الزيادة من "مفتاح الأفكار، ونهج البلاغة".

كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ، واقِعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ . وَأَلَصَقَ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدَقِ،
ثُمَّ رَضَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُطْرُوكَ وَلَا يُجْحَكُ بِيَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ : فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ
الرَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْغِرَّةِ . وَلَا يَكُونَنَّ الْحَسَنُ وَالْمُسَيِّءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ
تَرْهِيْدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ [فِي الْإِحْسَانِ] وَتَدْرِيبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ [عَلَى الْإِسَاءَةِ] :^(٢)^(٣)

وَلِإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ * أَأَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ !
عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ * مِنْ الْيَوْمِ سُؤْلًا أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ !
وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي عَنْ الْجَهْلِ زَاحِرٌ، * وَلِلْجُلْمِ أُنْبَى لِلرِّجَالِ وَأَعْوَدُ !



وَعَلَى ذَلِكَ كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ الْخَلِيفَةِ « الطَّائِعِ لِلَّهِ » إِلَى نَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ^(٤)
رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُيُوهٍ، فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ وَثَلَاثِينَ .

وَهَذِهِ نَسْخَتُهُ :

هَذَا مَا عَهَدَ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ الْكَرِيمِ [الْإِمَامُ]^(٥) الطَّائِعُ لِلَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ [إِلَى نَخْرِ الدَّوْلَةِ
أَبِي الْحَسَنِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ] حِينَ عَرَفَ غَنَاءَهُ وَبَلَاءَهُ،^(٥)

(١) أَيْ لَا يَفْرَحُوكَ يُقَالُ بِحَبْتِهِ تَبْجِيحًا فَتَبْجَحُ أَيْ فَرَحْتَهُ فَفَرَحَ أَنْظَرَ اللِّسَانَ ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٢) الزِّيَادَةُ عَنْ "مِفْتَاحِ الْأَفْكَارِ"، وَنَهْجِ الْبَلَاغَةِ .

(٣) اقْتَصَرَ فِي الْأَصْلِ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ وَلَهُ بَقِيَّةٌ طَوِيلَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي "نَهْجِ الْبَلَاغَةِ"، وَمِفْتَاحِ الْأَفْكَارِ، فَلْيَرْجِعْ
إِلَيْهِمَا مَنْ شَاءَ .

(٤) أَيْ كَتَبَ الْعَهْدَ عَنْ الْخ .

(٥) الزِّيَادَةُ مِنْ "رَسَائِلِ الصَّابِيِّ" وَالْمَثَلُ السَّائِرُ .

وَأَسْتَصَحَّ دِينَهُ وَيَقِينَهُ ، وَرَعَى قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ ، وَأَسْتَنْجَبَ عُودَهُ وَنَجَارَهُ . وَأَثْنَى
عِزَّ الدَّوْلَةِ أَبُو مَنْصُورُ بْنُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [أَيَّدَهُ اللَّهُ] عَلَيْهِ ،^(١)
وَأَشَارَ بِالْمَزِيدِ فِي الصَّنِيعَةِ إِلَيْهِ ؛ وَأَعْلَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَدَاءَهُ بِهِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ ذَهَبَ فِيهِ
مِنْ الْخِدْمَةِ ، وَغَرَضَ رَمَى إِلَيْهِ مِنَ النَّصِيحَةِ ؛ دُخُولًا فِي زُمْرَةِ الْأَوْلِيَاءِ [الْمَنْصُورَةِ] ،
وَنُحُوجًا عَنْ جَمَاعَةِ الْأَعْدَاءِ الْمَذْحُورَةِ] ، وَتَصَرَّفًا عَلَى مُوجِبَاتِ الْبَيْعَةِ الَّتِي هِيَ بَعِزُّ الدَّوْلَةِ^(٢)
أَبِي مَنْصُورٍ مَنُوطُهُ ، وَعَلَى سَائِرٍ مِنْ يَتْلُوهُ وَيَتَّبِعُهُ مَأْخُذَةً مُشْرُوطَةً ؛ فَقَلَّدَهُ الصَّلَاةَ
وَأَعْمَالَ الْحَرْبِ ، وَالْمَعَاوِينَ ، وَالْأَحْدَاثَ ، وَالْخَرَاجَ ، وَالْأَعْشَارَ ، وَالضِّيَاعَ ،
وَالْجَهْدَةَ ، وَالصَّدَقَاتِ ، وَالْجَوَالِي ، وَسَائِرَ وَجُوهِ الْحَبَايَاتِ [وَالْعَرْضِ] وَالْعَطَاءِ ،^(٣)
وَالْفَقَّةَ فِي الْأَوْلِيَاءِ [وَالْمَظَالِمِ وَأَسْوَاقِ الرِّقَاقِ] وَالْعِيَارَ فِي دُورِ الضَّرْبِ وَالطَّرْزِ وَالْحُسْبَةِ
يَكُونُ هَمْدَانٌ ، وَأَسْتَرَابَادٌ ، وَالْدِّينُورَ ، وَقَرْمِيسِينَ ، وَالْإِيغَارِينَ ، وَ[أَعْمَالَ]
أَذَرَبَيْجَانَ ، وَأَرَانَ ، وَالسَّجَانِينَ ، وَمُوقَانَ . وَاتَّقَا مِنْهُ بِاسْتِيقَاءِ النِّعْمَةِ وَأَسْتِدْامَتِهَا ،
وَالِاسْتِزَادَةِ بِالشُّكْرِ مِنْهَا ، وَالتَّجَنُّبِ لِعَمَاطِهَا وَجُحُودِهَا ، وَالتَّنَكُّبِ لِإِيحَاشِهَا وَتَغْيِيرِهَا ،
وَالْتَعَمُّدِ لِمَا مَكَّنَ لَهُ الْخُطُوةَ وَالزُّلْفَى ، وَحَرَسَ عَلَيْهِ الْأَثَرَةَ وَالْقُرْبَى ؛ بِمَا يُظْهِرُهُ
وَيُضْمِرُهُ مِنَ الْوَفَاءِ الصَّحِيحِ ، وَالْوَلَاءِ الصَّرِيحِ ، وَالغَيْبِ الْأَمِينِ ، وَالصَّبْرِ السَّلِيمِ ،
وَالْمُقَاطَعَةِ لِكُلِّ مَنْ قَاطَعَ الْعُصْبَةَ ، وَفَارَقَ الْجُمْلَةَ ، وَالْمَوَاصِلَةَ لِكُلِّ مَنْ حَمَى الْبَيْضَةَ
وَأَخْلَصَ النِّيَّةَ - وَالْكُونَ تَحْتَ ظِلِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذِمَّتِهِ ، وَمَعَ عِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورٍ
وَفِي حَوْزَتِهِ ؛ وَاللَّهُ جَلَّ أَسْمُهُ يَعْرِفُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُسْنَ الْعُقْبَى فِيمَا أَبْرَمَ وَتَقَضَّى ،
وَسَدَادَ الرَّأْيِ فِيمَا رَفَعَ وَخَفَضَ ؛ وَيَجْعَلُ عِزَّائِهِ مَقْرُونَةً بِالسَّلَامَةِ ، مُحْجُوبَةً عَنْ
مَوَارِدِ النَّدَامَةِ ؛ وَحَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) الزيادة من "رسائل الصابي" المطبوعة "والمثل السائر" .

(٢) الزيادة من "رسائل الصابي" المطبوعة "والمثل السائر" .

أمره بتقوى الله التي هي العِصمة المتينة، والجُنَّة الحَصينة؛ والطَّود الأرفع،
والمَعَاذ الأَمْنَع؛ والجانب الأَعَز، والملجأ الأَحْزَب؛ وأن يَسْتَشْعِرَهَا سِرًّا وَجَهْرًا،
وَيَسْتَعْمِلَهَا قَوْلًا وَفِعْلًا، وَيَتَّخِذَهَا رِذَاءً دَافِعًا لِنَوَائِبِ الْقَدَرِ، وَكَيْفًا حَامِيًا مِنْ حَوَادِثِ
الْغَيْرِ؛ فَإِنَّمَا أَوْجِبُ الْوَسَائِلَ، وَأَقْرُبُ الدَّرَائِعَ، وَأَعُوذُهَا عَلَى الْعَبْدِ بِمَصَالِحِهِ،
وَأُدْعَاهَا إِلَى سُبُلِ مَنَاجِحِهِ؛ وَأَوْلَاهَا بِالْإِسْتِمْرَارِ عَلَى هِدَايَتِهِ، وَالنَّجَاةِ مِنْ غَوَايَتِهِ؛
وَالسَّلَامَةِ فِي دُنْيَاهُ حِينَ تُوَبِّقُ مُوَبِّقَاتِهَا، وَتُرْدِي مُرْدِيَاتِهَا؛ وَفِي آخِرَتِهِ حِينَ تَرْوِعُ
رَائِعَاتِهَا وَتُخَفِّفُ خُفْيَاتِهَا. وَأَنْ يَتَأَدَّبَ بِآدَابِ اللَّهِ فِي التَّوَاضُّعِ وَالْإِخْبَاتِ،
وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ؛ وَصِدْقِ اللَّهْجَةِ إِذَا نَطَقَ، وَغَضِّ الطَّرْفِ إِذَا رَمَقَ؛ وَكَظْمِ الْغِيظِ
إِذَا أُحْفِظَ، وَضَبْطِ اللِّسَانِ إِذَا أُغْضِبَ؛ وَكَفِّ الْيَدِ عَنِ الْمَأْثِمِ، وَصَوْنِ النَّفْسِ
عَنِ الْحَارِمِ. وَأَنْ يَذْكُرَ الْمَوْتَ الَّذِي هُوَ نَازِلٌ بِهِ، وَالْمَوْقِفَ الَّذِي هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ؛
وَيَعْلَمَ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا آكْتَسَبَ، مَجْزِيٌّ بِمَا تَرَكَّ^(١) وَآحْتَقَبَ؛ وَيَتَوَدَّ مِنْ هَذَا الْمَقَرِّ،
لِذَلِكَ الْمَقَرِّ؛ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ لِنَتْفَعَهُ، وَمِنْ مَسَاعِي الْبِرِّ لِنَتَّقِدَهُ؛ وَيَأْتِمِرَ
بِالصَّالِحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَ بِهَا، وَيَزْدَجِرَ عَنِ السَّيِّئَاتِ قَبْلَ أَنْ يَزُجَرَ عَنْهَا؛ وَيَبْتَدِئَ
بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ قَبْلَ إِصْلَاحِ رِعْيَتِهِ: فَلَا يَبْعَثُهُمْ عَلَى مَا يَأْتِي ضِدَّهُ، وَلَا يَنْهَاهُمْ عَمَّا
يَقْتَرِفُ مِثْلَهُ؛ وَيَجْعَلُ رَبَّهُ رَقِيبًا عَلَيْهِ فِي خَلَوَاتِهِ، وَمُرُوءَتَهُ مَانِعَةً لَهُ مِنْ شَهَوَاتِهِ؛
فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ غَلَبَ سُلْطَانَ الشَّهْوَةِ، وَأَوَّلَى مَنْ صَرَخَ أَعْدَاءُ الْحِمِيَّةِ؛ مَنْ مَلَكَ أَرْمَةِ
الْأُمُورِ، وَأَقْتَدَرَ عَلَى سِيَاسَةِ الْجُمْهُورِ؛ وَكَانَ مُطَاعًا فِيمَا يَرَى، مُتَّبَعًا فِيمَا يَشَاءُ؛ بَلَى عَلَى
النَّاسِ وَلَا يَلُونُ عَلَيْهِ، وَيَقْتَصُّ مِنْهُمْ وَلَا يَقْتَصُّونَ مِنْهُ؛ فَإِذَا أَطْلَعَ اللَّهُ مِنْهُ عَلَى
نَقَاءِ جَنِيهِ، وَطَهَارَةِ ذَنْبِهِ؛ وَصِحَّةِ سَرِيرَتِهِ، وَأَسْتِقَامَةِ سِيرَتِهِ، أَعَانَهُ عَلَى حِفْظِ

(١) فِي "الرَّسَائِلِ"، وَالْمَثَلِ السَّائِرِ: «تَرْمَلُ».

(٢) كَذَا فِي الرَّسَائِلِ أَيْضًا. وَفِي الْمَثَلِ السَّائِرِ ص ١٣٢ "مَنْ ضَرَعَ لِفَاءَ الْحِمِيَّةِ".

مَا اسْتَحَفَّظَهُ، وَأَنْهَضَهُ بِثِقَلِ مَا حَمَلَهُ؛ وَجَعَلَ لَهُ مَخْلَصًا مِنَ الشُّبْهَةِ وَمَخْرَجًا مِنَ الْحَيْرَةِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ .
 وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ . وَقَالَ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ إِلَى آيٍ كَثِيرَةٍ حَضَّنَا بِهَا عَلَى أَكْرَمِ الْخُلُقِ، وَأَسْلَمِ الطَّرِيقِ؛ فَالسَّعِيدُ مَنْ نَصَبَهَا إِزَاءَ نَظِيرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ نَبَذَهَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ؛ وَأَشْقَى مِنْهُ مَنْ بَعَثَ عَلَيْهَا وَهُوَ صَادِفٌ عَنْهَا، وَأَهَابَ إِلَيْهَا وَهُوَ بَعِيدٌ مِنْهَا؛ وَلَهُ وَلَا مِثْلَهُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ وَالنَّاسُ بِكُمْ كَافُونَ﴾ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَّخِذَ كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا مَتَّبَعًا، وَطَرِيقًا مُوقِعًا؛ وَيُكْثِرُ مِنْ تِلَاوَتِهِ إِذَا خَلَا بِفِكَرِهِ، وَيَمْلَأُ بِتَأَمُّلِهِ أَرْجَاءَ صَدْرِهِ؛ فَيَذْهَبَ مَعَهُ فِيمَا أَبَاحَ وَحَظَرَ، وَيَقْتَدِيَ بِهِ إِذَا نَهَى وَأَمَرَ؛ وَيَسْتَبِينَ بَيَانَهُ إِذَا اسْتَعْلَقَتْ دُونَهُ الْمُعْضَلَاتُ، وَيَسْتَضِيءُ بِمَصَابِيحِهِ إِذَا غَمَّ عَلَيْهِ فِي الْمُسْكَلَاتِ؛ فَإِنَّهُ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ الْوُثْقَى، وَمَحَجَّةُ الْوَسْطَى، وَدَلِيلُهُ الْمُقْنِعُ، وَبُرْهَانُهُ الْمُرْشِدُ؛ وَالْكَاشِفُ لظُلُمِ الْخُطُوبِ، وَالشَافِي مِنْ مَرَضِ الْقُلُوبِ، وَالْهَادِي لِمَنْ ضَلَّ، وَالْمُتَلَفِّي لِمَنْ زَلَّ؛ فَمَنْ لَحَجَّ بِهِ فَقَدْ فَازَ وَسَلِمَ، وَمَنْ لَهِيَ عَنْهُ فَقَدْ خَابَ وَنَدِمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لِكِتَابٍ عَزِيزًا لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَيَدْخُلَ فِيهَا فِي حَقَائِقِ الْأَوْقَاتِ؛ قَائِمًا عَلَى حُدُودِهَا، مَتَّبِعًا لِرُسُومِهَا؛ جَامِعًا فِيهَا بَيْنَ نَيْتِهِ وَلَقْظِهِ، مُتَوَقِّيًا لِمَطَامِحِ سَهْوِهِ وَلَحْظِهِ؛

(١) فِي الْأَصُولِ وَالْمَثَلِ السَّائِرِ مُتَوَقِّعًا بِزِيَادَةِ النَّاءِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ مِنَ النَّسَاجِ، فَفِي اللِّسَانِ ج ١٠ ص ٢٨٢

يُقَالُ طَرِيقٌ مَوْقِعٌ مَذَلٌّ .

(٢) فِي "الرِّسَالَةِ" الْأَسْفَلِ .

متقطعاً إليها عن كل قاطع لها، مشغولاً بها عن كل شاغلٍ عنها؛ متنبّهاً في رُكوعها ومُجودها؛ مستوفياً عددَ مفروضها ومسُنونها؛ موفّراً عليها ذِهنه، صارفاً إليها همه؛ عالماً بأنه واقفٌ بين يدي خالقه ورازقه، ومُحييه ومُميتِه، ومُثبِّيه ومُعاقِبِه؛ لا تسترُ دُونَه خائنةُ الأعينِ وما تُخفي الصدور. ^(١) فإذا قضّاها على هذه السبيلِ منذُ تكبيرة الإحرام إلى خاتمة التسليم، أتبعها بدءاً يرتفع بارتفاعها، [ويُستمع بإستماعها] ^(٢)، ولا يتعدّى فيه مسائل الأبرار، ورغائب الأخيار: من استصفّاج واستغفار، واستقالة واسترحام، واستدعاء لمصالح الدين والدنيا، وعوائد الآخرة والأولى؛ فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾.

وأمره بالسَّعى في أيام الجمع إلى المساجد الجامعة، وفي الأعياد إلى المصلّيات الضّاحية، بعد التّقدّم في قرشها وكسوتها؛ وجمع القوام والمؤذنين والمكبرين فيها، واستِسعاء الناس إليها، وحضّهم عليها؛ آخذين الأُهبه، متّظّفين في الزّه؛ مؤذّنين لفرائض الطّهارة، بالغيث في ذلك أقصى الاستِطاعة؛ معتقدين خشية الله وخيفته، مدرّعين تقواه ومُراقِبته، مُكثّرين من دُعائه - عز وجلّ - وسؤاله، مصلّين على محمد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله؛ بقلوبٍ على اليقين موقوفة، وهمّ إلى الدين مضروفة؛ وألْسُن بالتسبيح والتّقدّيس فصّيحة، وآمال في المغفرة والرحمة فسيحة؛ فإنّ هذه المصلّيات والمتعبّادات بيوتُ الله التي فضّلها، ومناسكُه التي شَرّفها؛ وفيها يُتلى القرآنُ [ومنها ترتفع الأعمال؛ وبها يلوذُ اللائكون] ^(٢) ويعودُ العائدون؛

(١) كذا في "المثل السائر" أيضاً. وفي "رسائل الصابي" «ومن لا يستسرّ دونه خائنة عينه وخافية

(٢) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة .

وَيَتَعَبَّدُ الْمُتَعَبِّدُونَ ، وَيَتَهَجَّدُ الْمُتَهَجِّدُونَ ، وَحَقِيقٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ : مَنْ وَالٍ وَمَوْلَى عَلَيْهِ أَنْ يَصُونَهَا وَيَعْمُرَهَا ، وَيُواصِلُهَا وَلَا يَهْجُرَهَا . وَأَنْ يُقِيمَ الدَّعْوَةَ عَلَى مَنَابِرِهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ لِنَفْسِهِ عَلَى الرَّسْمِ الْجَارِي فِيهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ . وَقَالَ فِي عِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِأَنْ يُرَاعَى أَحْوَالُ مَنْ يَلِيهِ ، مِنْ طَبَقَاتِ جُنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَالِيهِ ؛ وَيُطْلَقَ لَهُمُ الْأَرْزَاقُ ، فِي وَقْتِ الْوُجُوبِ وَالْأَسْتِحْقَاقِ ؛ وَأَنْ يُحَسِّنَ فِي مُعَامَلَتِهِمْ ، وَيُجِلَّ فِي اسْتِخْدَامِهِمْ ، وَيَتَصَرَّفَ فِي سِيَاسَتِهِمْ : بَيْنَ رِفْقٍ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَخُسُونَةٍ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ؛ مُثْبِتًا لِحَسَنِهِمْ مَا زَادَ بِالْإِبَانَةِ فِي حُسْنِ الْأَثَرِ ، وَسَلِّمَ مَعَهَا مِنْ دَوَاعِي الْأَشْرِ ؛ وَمَتَعَمِّدًا لِمُسِيئِهِمْ مَا كَانَ التَّغَمُّدُ لَهُ نَافِعًا ، وَفِيهِ نَاجِعًا ؛ فَإِنْ تَكَرَّرَتْ زَلَّاتُهُ ، وَتَنَابَعَتْ عَثَرَاتُهُ ؛ تَسَاوَلَهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ بِمَا يَكُونُ لَهُ مُصْلِحًا ، وَلِغَيْرِهِ وَاعِظًا . وَأَنْ يُنَخِّصَ أَكْبَرَهُمْ وَأَمَانِيَهُمْ وَأَهْلَ الرَّأْيِ وَالْخَطَرِ مِنْهُمْ بِالْمُشَاوَرَةِ فِي الْمِلْمِ ، وَالْإِطْلَاعِ عَلَى بَعْضِ الْمُهْمِ ؛ مُسْتَخْلِصًا نَحَائِلَ قُلُوبِهِمْ بِالْبَسْطِ وَالْإِدْنَاءِ ، وَمُسْتَشْحِدًا بِصَائِرِهِمْ بِالْإِكْرَامِ وَالْأَحْتِفَاءِ : فَإِنَّ فِي مُشَاوَرَةِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ اسْتِدْلَالًا عَلَى مَوَاقِعِ الصَّوَابِ ، وَتَحَرُّزًا مِنْ غَلَطِ الْإِسْتِبْدَادِ ، وَأَخْذًا بِمَجَامِعِ الْحَرَامِ ، وَأَمْنًا مِنْ مُفَارَقَةِ الْإِسْتِقَامَةِ ؛ وَقَدْ حَضَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الشُّورَى حَيْثُ قَالَ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

(١) أَيْ سَازَا لَهْفَوَاتِهِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَمَّدَ فَلَانَا سَتَرَهُ .

وأمره بأن يعمد لما يتصل بنواحيه من ثغور المسلمين، ورباطات المرابطين،
ويقسم لها قسماً وافراً من عنايته، ويصرف إليها طرفاً بل شطراً من رعايته؛
ويختار لها أهل الجلد والشدة، وذوى البأس والنجدة: ممن عجمته الخطوب،
وعرّكنه الحروب؛ وأكسب دربة بجدع المتناوين، وتجربة بمكاييد المتقارعين؛
وأن يستظهر بتكثيف عددهم، واختيار عُددهم؛ واختخاب خيلهم، وأستجادة
أسلحتهم؛ غير مُجَرَّباً^(٢) إذا بعته، ولا مستكرهه إذا وجهه؛ بل يُناوب بين رجاله
مناوبةً تريحهم ولا تُثملهم، وترفعهم ولا تُؤدّهم: فإنّ في ذلك من فائدة الإجماع،
والعدل في الاستخدام، وتنافس رجال الثوب فيما عاد عليهم بعزّ الظفر والنصر، وبعد
الصيت والذكر، وإحراز النفع والأجر؛ ما يحقّ على الولاة أن يكونوا به عاملين،
وللناس عليه حاملين. وأن يكرّر على أسماءهم، ويثبت في قلوبهم؛ مواعيد الله
لمن صابروا رباط، وسمح بالنفس وجاهد؛ من حيث لا يُقدّمون على تورط غرّه،
ولا يُحجمون عن آتياز فرصه؛ ولا يَنكُصون عن تورّد معركه، ولا يلقون بأيديهم
إلى التهلكه؛ فقد أخذ الله تعالى ذلك على خلقه، والمرامين عن دينه؛ وأن يزيح
العلة فيما يحتاج إليه من راتب نفقات هذه الثغور وحادثها، وبناء حصونها ومعاقليها؛
وأستطراق طرقها ومسالكها، وإفاضة الأقوات والعلوفات للترتين فيها والمترددين
إليها والحامين لها. وأن يبذل أمانته لمن طلبه، ويعرضه على من لم يطلبه. ويبقى
بالعهد إذا عاهد، وبالعهد إذا عاهد؛ غير مُخَفِّرِ ذمّة، ولا جارج أمانة؛ فقد أمر

(١) في "رسائل الصابي" بأن يضم ما يتصل الخ.

(٢) في اللسان ج ٥ ص ٢١٧ «تجبر الجنند أن يجسهم في أرض العدو ولا يقفلهم من الثغر» وهو

المراد هنا . تأمل .

الله تعالى بالوفاء فقال جلّ من قائل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) .
ونهى عن النكث فقال عزّ من قائل : (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) .

وأمره أن يعرض من في حبوس عمله على جرّائهم [وإنعام النظر في جنائياتهم وجرّائهم] ^(١) فمن كان إقراره واجباً أقرّه ومن كان إطلاقه سائغاً أطلقه . وأن ينظر في الشرطة والأحداث نظر عدل وإنصاف ؛ ويختار [لها من الولاة ^(١)] من يخاف الله تعالى ويتقيه ، ولا يحابي ولا يراقب فيه ؛ ويتقدم إليهم بقمع الجهال ، وردع الضلال ؛ وتنبع الأشرار ؛ وطلب الدّعار ؛ مستدلين على أماكئهم ، متوغلين إلى مكائئهم ؛ متولجين عليهم في مظانهم ، متوثقين ممن يجدونه منهم ، منفذين أحكام الله تعالى فيهم بحسب الذي يتبين من أمرهم ، ويتضح من فعلهم ؛ في كبيرة ارتكبوها ، وعظيمة احتقبوها ؛ ومهجة أفاظوها وأستهلكوها ، وحرمة أباحوها وأتتهكوها : فمن استحقّ حداً من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مخففين منه ، وأحلّوه به غير مقصرين عنه ، بعد أن لا يكون عليهم في الذي يأتون به حجة ، ولا يعتريهم في وجوبه شبهة : فإن الواجب في الحدود أن تُقام بالبينات ، وأن تُدرأ بالشبهات ؛ فأولى ماتوحاه رعاة الرعايا فيها أن لا يقدموا عليها مع نقصان ، ولا يتوقفوا عنها مع قيام دليل وبرهان . ومن وجب عليه القتل احتاط عليه بما يُحتاط به على مثله : من الحبس الحصين ، والتوثق الشديد ؛ وكتب إلى أمير المؤمنين بخبره ، وشرح جنائته ؛ وثبوتها بإقرار يكون منه ، أو شهادة قع عليه ؛ ولتتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه ، فإن أمير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلم أو معاهد إلا ما أحاط به علماً ، وأتقنه فهماً ، وكان ما يُمضيه فيه عن بصيرة لا يحاطلها شك ،

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة .

ولا يَسُوبُهَا رَيْبٌ . ومن أَلَمَّ بِصَغِيرَةٍ من الصغائر ، ويسيرةٍ من الجرائر ، من حيث لم يُعْرِفْ له مِثْلُهَا ، ولم نَتَقَدَّمْ منه أُخْتَهَا ، وَعَظَه وَزَجَرَه ، ونهاه وَحَدَّرَه ، وَاسْتَنَابَه وأقاله ، ما لم يكن عليه خَصَمٌ في ذلك يطالبُ بِقِصَاصٍ منه ، وجزاءٍ له ؛ فإن عادَ تَنَاولَه [من] التقويم والتهديب ، والتعزير والتأديب ؛ بما يرى أن قد كفى فيما آجَرتَم ، ووفى بما قَدَمَ ؛ فقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

وأمره أن يعطَلَ ما في أعماله من الحاناتِ والمواخير ، ويُطَهِّرَها من القَبَاحِ والمناكير ؛ ويمنعَ من تَجَمُّعِ أهل الخنا فيها وتألفِ شملهم بها : فإنه شَمَلٌ يُصْلِحُه التَّشْتِيتُ ، وجمع يحفظُه التفرُّيقُ ؛ وما زالت هذه المَواطِنُ الذِّمِّية والمطَارِحُ الذِّنيَّةُ ، داعيةً لمن يَأْوِي إليها ، ويعكُفُ عليها ؛ إلى ترك الصلوات ، [وإهمالِ المفترَضاتِ] ^(١) ورُكُوبِ المنكَراتِ ، وأقترافِ المَحْظُوراتِ ؛ وهى بُيُوتُ الشيطانِ التى فى عِمَارَتِها لله تعالى مَغْضَبَةٌ ، وفى إخراجِها للخيرِ مَجْلَبَةٌ ؛ والله تعالى يقول لنا معشرَ المؤمنين : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ويقول عزَّ من قائل لغيرنا من المذمومين : ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ .

وأمره أن يُوَلِّىَ الحِمايَةَ فى هذه الأعمال ، أهل الكفاية والغناء من الرجال ؛ وأن يَضُمَّ إليهم كُلُّ مَنْ خَفَّ رِكَابُه ، وأسرعَ عند الصَّرِيخِ جَوَابُه ؛ مرتباً لهم فى المَسَاحِ ، وساداً بهم ثغر المَسالكِ ؛ وأن يُوصِيَهُم بالتيقُّظِ ، ويأخُذَهُم بالتحفُّظِ ، ويُزِيحَ عِلَلَهُم فى عُلوِّةِ خيلهم ؛ والمقرَّرَ من أزوادهم ومِيرِهِم ؛ حتَّى لا تَشْتَقِلَ لهم على البلادِ وَطَاهُ ، ولا تَدْعُوَهُم إلى تَحْيِفِهِمْ وتَلْمِيهِمْ حاجه ؛ وأن يحُوطُوا السابِلَةَ بِأَدَنَةٍ وعائِدَةٍ ،

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة و"المثل السائر" .

وَيَتَذَكَّرُوا الْقَوَائِلَ صَادِرَةً وَوَارِدَةً ، وَيَحْرَسُوا الطُّرُقَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَيَنْقُضُوهَا رَوَاحًا
وَابْكَارًا ، وَيَنْصِبُوا لِأَهْلِ الْعَيْثِ الْأَرْصَادَ ، وَيَتَكَنَّنُوا لَهُمْ بِكُلِّ وَادٍ ، وَيَتَفَرَّقُوا عَلَيْهِمْ
حَيْثُ يَكُونُ التَّفَرُّقُ مَضِيًّا لِفَضَائِهِمْ ، وَمُؤَدِّيًّا إِلَى أَنْفِضَائِهِمْ ، وَيَجْتَمِعُوا حَيْثُ
يَكُونُ الْاجْتِمَاعُ مُطْفِئًا لِمَجْرَتِهِمْ ، وَصَائِعًا لِمَرْوَتِهِمْ ؛ وَأَنْ لَا يُخْلُوا هَذِهِ السُّبُلَ مِنْ حِمَاةٍ
لَهَا وَسِيَارَةٍ فِيهَا : يَتَرَدَّدُونَ فِي جَوَادِيهَا ، وَيَتَعَسَّفُونَ فِي عَوَادِيهَا ؛ حَتَّى تَكُونَ الدَّمَاءُ
مَحْقُونَةً ، وَالْأَمْوَالُ مَصُونَةً ؛ وَالْفِتَنُ مُحْصُومَةً وَالْغَارَاتُ مَأْمُونَةً ؛ وَمَنْ حَصَلَ فِي أَيْدِيهِمْ
مِنْ لِصٍّ خَائِلٍ ، وَصُعْلُوكٍ خَارِبٍ ؛ وَخَيْفٍ لَسْبِيلٍ ، وَمُسْتَهْكَ حَرِيمٍ ؛ أَمْتِثَلُ فِيهِ أَمْرٌ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوَافِقُ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ
أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ 》 .

وَأَمْرُهُ بِوَضْعِ الرِّصْدِ عَلَى مَنْ يَجْتَازُ فِي أَعْمَالِهِ مِنْ أَبَاقِ الْعَيْدِ ، وَالْإِحْتِيَاظِ عَلَيْهِمْ
وَعَلَى مَا يَكُونُ مَعَهُمْ ، وَبِالْبَحْثِ عَنِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي فَارَقُوهَا ، وَالطُّرُقِ الَّتِي أَسْتَطَرَقُوهَا ؛
وَمَوَالِيهِمُ الَّذِينَ أَتَقُوا مِنْهُمْ ، وَنَشَرُوا عَنْهُمْ ؛ وَأَنْ يَرُدُّوهُمْ عَلَيْهِمْ قَهْرًا ، وَيُعِيدُوهُمْ إِلَيْهِمْ
صُغْرًا ؛ وَأَنْ يُنْشِدُوا الضَّالَّةَ بِمَا أُمْكِنَ أَنْ تُنْشَدَ ، وَيَحْفَظُوهَا عَلَى رَبِّهَا بِمَا جَازَ أَنْ
تُحْفَظَ ؛ وَيَتَجَنَّبُوا الْإِمْتَطَاءَ لظُهُورِهَا وَالْإِنْتِفَاعَ بِأَوْبَارِهَا وَأَلْبَانِهَا مِمَّا يُحْزُ وَيُحَلَبُ ؛
وَأَنْ يَعْرِفُوا اللَّقْطَةَ وَيَدْبِعُوا أَثَرَهَا ، وَيُسْعِعُوا خَبَرَهَا ؛ فَإِذَا حَضَرَ صَاحِبُهَا وَعُلِمَ أَنَّهُ
مُسْتَوْجِبُهَا سُلِّمَتْ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يُعْتَرَضَ فِيهَا عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا 》 . وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
”ضَلَالَةُ الْمُؤْمِنِ حَرَقُ النَّارِ“ .

(١) في ”الرسائل ، والمثل السائر“ «ويذرقوا» والبذرة الخفارة .

(٢) في ”الرسائل“ «في جوادها ... في عوادها» .

وأمره أن يُوصِيَ عُمَّالَهُ بالشَّدِّ عَلَى أَيْدِي الْحُكَّامِ ، وَتَنْفِيزِ مَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنَ
الْأَحْكَامِ ؛ وَأَنْ يَحْضُرُوا مَجَالِسَهُمْ حُضُورَ الْمُوقِّرِينَ لَهَا ، الَّذِينَ عَنْهَا ، الْمُقِيمِينَ لِرُسُومِ
الْهِبَةِ وَحُدُودِ الطَّاعَةِ فِيهَا ؛ وَمَنْ نَحَرَ عَنْ ذَلِكَ مِنْ ذِي عَقْلٍ سَخِيفٍ ، وَحِلْمٍ
ضَعِيفٍ ، نَالُوهُ بِمَا يَرُدُّهُ ، وَأَحْلَوْا بِهِ مَا يَزَعُهُ ؛ وَمَتَى تَقَاعَسَ مُتَقَاعِسٌ عَنْ حُضُورِ
مَعَ خَصْمٍ يَسْتَدْعِيهِ ، وَأَمْرٍ يُوَجِّهُ الْحَاكِمُ إِلَيْهِ فِيهِ ؛ أَوْ التَّوَلَّى مُتَوَلِّجٌ يَحْصِلُ عَلَيْهِ ،
وَدَيْنٌ يَسْتَقِرُّ فِي ذِمَّتِهِ ، قَادُوهُ إِلَى ذَلِكَ بِأَزِمَّةِ الصَّغَارِ ، وَخَزَائِمِ الْإِضْطِرَارِ ؛ وَأَنْ
يَحْسُسُوا وَيُطْلِقُوا بِأَقْوَالِهِمْ ، وَيُثَبِّتُوا الْأَيْدِيَ فِي الْأَمْلاَكِ وَالْفُرُوجِ وَيَنْزِعُوهَا بِقَضَائِهِمْ ؛
فَإِنَّهُمْ أَمْنَاءُ اللَّهِ فِي فَصْلِ مَا يَفْصِلُونَ وَبَتَّ مَا يَتَوْنُ ، وَعَنْ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُورِدُونَ [وَيُصْدِرُونَ] (١) وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً
فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ
يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ . وَأَنْ يَتَوَشَّى
بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ عُمَّالُ الْخَرَاجِ فِي اسْتِيفَاءِ حُقُوقِ مَا اسْتَعْمَلُوا عَلَيْهِ ، وَاسْتِنْطَافِ
بَقَائِهِمْ فِيهِ ، وَالرِّيَاضَةِ لِمَنْ تَسُوءُ طَاعَتُهُ مِنْ مُعَامِلِيهِمْ ، وَإِحْضَارِهِمْ طَائِعِينَ
أَوْ كَارِهِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ؛ فَمَنْ آدَابِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ الَّتِي يَحِقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّخِذَهَا [أَدَبًا]
وَيَجْعَلَهَا إِلَى الرِّضَا عَنْهُ سَبَبًا ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأمره أَنْ يَجْلِسَ لِلرَّعِيَّةِ جُلُوسًا عَامًّا ، وَيَنْظُرَ فِي مَطَالِبِهَا نَظْرًا تَامًّا ، وَيَسَاوِيَ
فِي الْحَقِّ بَيْنَ خَاصِّهَا وَعَامِّهَا ، وَيُوَازِي فِي الْمَجَالِسِ بَيْنَ عَزِيزِهَا وَذَلِيلِهَا ، وَيُنْصِفُ
الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ ، وَالْمَغْضُوبَ مِنْ غَاصِبِهِ ؛ بَعْدَ الْفَحْصِ وَالتَّأَمُّلِ وَالبَحْثِ وَالتَّيَّنِ ،

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي المطبوعة ، والمثل السائر" وهي من سقط النسخ .

حَتَّى لَا يَخُفُّكُمْ إِلَّا بَعْدُ ، وَلَا يَنْطِقَ إِلَّا بِفَضْلٍ ؛ وَلَا يُثَبِّتُ يَدًا إِلَّا فِيمَا وَجِبَ [تَثْبِيْتُهَا فِيهِ ، وَلَا يَقْبِضُهَا إِلَّا عَمَّا وَجِبَ^(١)] قَبْضُهَا عَنْهُ ؛ وَأَنْ يُسَهِّلَ الْإِذْنَ لِمَجَاعَتِهِمْ ، وَيَرْفَعَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ؛ وَيُوَلِّمَهُمْ مِنْ حَصَانَةِ الْكَنْفِ ، وَلِيَنِ الْمُنْعَطَفَ ؛ وَالْأَشْتِمَالَ وَالْعِنَايَةَ ، وَالصُّونَ وَالرَّعَايَةَ ؛ مَا تَتَعَادَلُ فِيهِ أَقْسَامُهُمْ ، وَتَتَوَازَنُ مِنْهُ أَقْسَامُهُمْ ؛ وَلَا يَصِلُ الْمَكِينُ مِنْهُمْ إِلَى اسْتِزْمَامَةٍ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ ، وَلَا ذُو السُّلْطَانِ إِلَى هَضِيمَةٍ مَنْ حَلَّ دُونَهُ . وَأَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى أَحْسَنِ الْعَادَاتِ [وَالْخُلَاقِ]^(١) وَيُحْضِرَهُمْ عَلَى أَجْمَلِ الْمَذَاهِبِ وَالطَّرَائِقِ ؛ وَيَجْعَلَ عَنْهُمْ كَلَّةً ، وَيُمَدِّ عَلَيْهِمْ ظِلَّهُ ؛ وَلَا يَسُومَهُمْ خَسْفًا ، وَلَا يُلْحِقَ بِهِمْ حَيْفًا ؛ وَلَا يَكْلِفُهُمْ شَطَطًا ، وَلَا يُجَشِّمُهُمْ مُضْلِعًا ؛ وَلَا يَثْلِمَ لَهُمْ مَعِيشَةَ ، وَلَا يُدَاخِلُهُمْ فِي جَرِيمَةٍ ؛ وَلَا يَأْخُذَ بَرِيئًا مِنْهُمْ بِسَقِيمٍ ، وَلَا حَاضِرًا بِعَدِيمٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ نَهَى أَنْ تَزَرَ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ، وَجَعَلَ كُلَّ نَفْسٍ رَهِينَةً بِمَكْسِبِهَا بَرِيئَةً مِنْ مَكَاسِبٍ غَيْرِهَا . وَيَرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الرِّعْيَةِ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ سُنًّا عَلَيْهَا مِنْ سُنَّةِ ظَالِمَةٍ ، وَسُلْكِهَا مِنْ مَحَجَّةٍ جَائِرَةٍ ، وَيَسْتَقْرِىَ آثَارَ الْوَلَاةِ قَبْلَهُ عَلَيْهَا ، فِيمَا أَرْجَوْهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لَهَا : فَيُقَرَّرُ مِنْ ذَلِكَ مَا طَابَ وَحَسُنَ ، وَيُزِيلُ مَا خَبُثَ وَقَبِحَ : فَإِنَّ مَنْ يَغْرِسِ الْخَيْرَ يَحْظُ بِمَعْسُولٍ ثَمَرِهِ ، وَمَنْ يَزْرَعُ الشَّرَّ يَصِلُ بِمَمْرُورٍ رَيْعِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَإِيْحَرْجُ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَصُونَ أَمْوَالَ الْخَرَاجِ وَأَثْمَانَ الْغَلَّاتِ ، وَوُجُوهَ الْجَبَايَاتِ ، مُوَفَّرًا ، وَيَزِيدَ ذَلِكَ مُثْمَرًا ، بِمَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ الْإِنْصَافِ لِأَهْلِهَا ، وَإِجْرَائِهِمْ عَلَى صَحِيحِ الرُّسُومِ فِيهَا : فَإِنَّهُ مَالُ اللَّهِ الَّذِي بِهِ قُوَّةُ عِبَادِهِ ، وَحِمَايَةُ بِلَادِهِ ، وَدُرُورُ حَلْبِهِ ، وَاتِّصَالُ

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة و"المثل السائر" وهي من سقط النسخ .

(٢) كذا في "المثل السائر" أيضا وفي "الرسائل" «في حرفه» .

مَدَدَهُ ؛ وَبِهِ يُحَاطُ الْحَرِيمُ ، وَيُدْفَعُ الْعَظِيمُ ؛ وَيُجْنَى الدِّمَارُ ، وَتُدَادُ الْأَشْرَارُ . وَأَنْ يَجْعَلَ
 أَفْتَاتِحَهُ إِيَّاهُ بِجَسَبٍ [إِذْرَاكَ] ^(١) أَصْنَافِهِ ، وَعِنْدَ حُضُورِ مَوَاقِيْتِهِ وَأَحْيَانِهِ ؛ غَيْرِ
 مُسْتَسْلِفٍ شَيْئًا قَبْلُهَا ، وَلَا مَوْخَرِّهَا عَنْهَا ؛ وَأَنْ يُخَصَّ أَهْلَ الطَّاعَةِ وَالسَّلَامَةِ بِالْتَرَفَةِ
 لَهُمْ ، وَأَهْلَ الْإِسْتِضْعَابِ وَالْأَمْتِنَاعِ بِالتَّشَدُّدِ عَلَيْهِمْ : لِثَلَاثِ قَعٍ إِرْهَاقٍ لِمُدْعِنٍ ، أَوْ إِهْمَالٍ
 لَطَامِعٍ . وَعَلَى الْمُتَوَلَّى لَذَلِكَ أَنْ يَضَعَ كُلًّا مِنَ الْأَمْرَيْنِ مَوْضِعَهُ ، وَيُوقِعَهُ مَوْقِعَهُ ؛
 مُتَجَنِّبًا إِحْلَالَ الْغِلَظَةِ بِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا ، وَإِعْطَاءَ الْقُسْحَةِ لِمَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا ؛
 وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ
 الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِأَنْ يَتَخَيَّرَ عَمَلَهُ عَلَى الْأَعْشَارِ ، وَالْخَرَاجِ ، وَالضَّيَاعِ ، وَالْجَهْدَةِ ،
 وَالصَّدَقَاتِ ، وَالْحَوَالِي ، مِنْ أَهْلِ الظَّلْفِ وَالتَّزَاهَةِ ، وَالضُّبُطِ وَالصِّيَانَةِ ، وَالْجَزَالَةِ
 وَالشَّهَامَةِ ؛ وَأَنْ يَسْتَظْهِرَ مَعَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بَوْصِيَّةً يُوعِيهَا أَسْمَاعَهُمْ ، وَعُهُودَ يَقْلُدُهَا
 أَعْنَاقَهُمْ ؛ أَنْ لَا يُضَيِّعُوا حَقًّا ، وَلَا يَأْكُلُوا سُخْتًا ؛ وَلَا يَسْتَعْمَلُوا ظُلْمًا ، وَلَا يَقَارِفُوا
 غَشْمًا . وَأَنْ يُقِيمُوا الْعِمَارَاتِ ، وَيَحْتَاطُوا [عَلَى الْغَلَّاتِ] ^(٢) وَيَتَحَرَّزُوا مِنْ تَرْكِ حَقٍّ لَازِمٍ
 أَوْ تَعْطِيلِ رَسْمٍ عَادِلٍ ؛ مُؤَدِّينَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ الْأَمَانَةِ ، مُجْتَنِبِينَ لِلْخِيَانَةِ . وَأَنْ يَأْخُذُوا
 جَهَادَتَهُمْ بِاسْتِيفَاءِ وَزَنِ الْمَالِ عَلَى تَمَامِهِ ، وَاسْتِجَادَةِ نَقْدِهِ عَلَى عِيَارِهِ ؛ وَاسْتِعْمَالِ الصَّحَّةِ
 فِي قَبْضِ مَا يَقْبِضُونَ ، وَإِطْلَاقِ مَا يُطْلِقُونَ . وَأَنْ يُوعِزُوا إِلَى سُعَاةِ الصَّدَقَاتِ بِأَخْذِ
 الْفَرَائِضِ مِنْ سَائِمَةِ مَوَاشِي الْمُسْلِمِينَ دُونَ عَامِلَتِهَا ، وَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ فِيهَا ؛ وَأَنْ لَا يَجْمَعُوا
 فِيهَا مَتَرَفًا وَلَا يَفَرِّقُوا مَجْتَمِعًا ، وَلَا يَدْخُلُوا فِيهَا خَارِجًا عَنْهَا ، وَلَا يُضَيِّفُوا إِلَيْهَا مَا لَيْسَ

(١) من "الرسائل ، والمثل السائر" .

(٢) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة .

منها : من قَلَّ لِبَلٍ أَوْ أَكُولَةٌ^(١) راع ، أَوْ عَقِيلَةٌ مال ؛ فإذا آجَبَتْهُمَا عَلَى حَقِّهَا ، وَاسْتَوْفَوْهَا عَلَى رِسْمِهَا ، أخرجوها في سَبِيلِهَا ، وَقَسَّمُوهَا عَلَى أَهْلِهَا الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، إِلَّا الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمُ الَّذِينَ سَقَطَ سَهْمُهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَارِسِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ . وَإِلَى جُبَاةِ [جَمَاحِمِ] أَهْلِ الذِّمَّةِ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُمْ الْجَزِيَّةَ فِي الْحَرَمِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ [بِحَسَبِ] مَنَازِلِهِمْ فِي الْأَحْوَالِ ، وَذَاتِ أَيْدِيهِمْ فِي الْأَمْوَالِ ؛ وَعَلَى الطَّبَقَاتِ الْمُطَبَّقَةِ فِيهَا ، وَالْحُدُودِ [المحدودة] الْمُعْهُودَةِ لَهَا ؛ وَأَنْ لَا يَأْخُذُوهَا مِنَ النِّسَاءِ ، وَلَا مِنْ لَمْ يَبْلُغَ الْحُلُمَ مِنَ الرِّجَالِ ؛ وَلَا مِنْ ذِي سِنَّ عَالِيَةٍ ، وَلَا ذِي عِلَّةٍ بَادِيَةٍ ؛ وَلَا فَقِيرٍ مُّعْدِمٍ ، وَلَا مَتْرَهَبٍ مُّتَبَتِّلٍ ؛ وَأَنْ يُرَاعِيَ جَمَاعَةُ هَؤُلَاءِ الْعَمَالَ مِرَاعَاةً يُسَرِّهَا وَيُظْهِرُهَا ، وَيُلَاحِظُهُمْ مُلَاحِظَةً يُخَفِّفُهَا وَيُثَبِّتُهَا : لَثَلَا يُزُولُوا عَنِ الْحَقِّ الْوَاجِبِ ، أَوْ يَعْدِلُوا غِنَى السَّنَنِ اللَّاحِظِ ؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَذَبَّ لِعَرَضِ الرِّجَالِ وَإِعْطَائِهِمْ ، وَحِفْظِ جَرَايَاتِهِمْ وَأَوْقَاتِ إِطْعَامِهِمْ ، مَنْ يَعْرِفُهُ بِالثَّقَةِ فِي مَتَصَرَّفِهِ ، وَالْأَمَانَةِ فِيمَا يَجْرِي عَلَى يَدِهِ ، وَالْبُعْدَ عَنِ الْإِسْفَافِ إِلَى الدَّنِيَّةِ ، وَالِاتِّبَاعَ لِلدَّنَاءَةِ ؛ وَأَنْ يَبْعَثَهُ عَلَى ضَبْطِ [حَلِ] الرِّجَالِ وَشِيَائِ الْخَلِيلِ ، وَتَجَنُّدِ الْعَرَضِ بَعْدَ الْإِسْتِحْقَاقِ ، وَإِقْكَاعِ الْإِحْتِيَاطِ فِي الْإِنْفَاقِ ؛ فَمَنْ صَحَّ عَرَضُهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْهُ : مِنْ شَكٍّ يَعْرِضُ لَهُ ، أَوْ رِيَّةٍ يَتَوَهَّمُهَا ، أَطْلَقَ أَمْوَالَهُمْ مَوْفُورَةً ، وَجَعَلَهَا فِي أَيْدِيهِمْ غَيْرَ مَثْلُومَةٍ ؛ وَأَنْ يَرُدَّ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ أَرْزَاقَ مَنْ

(١) أَكُولَةٌ الرَّاعِي مَا يَسْتَعْمِلُ لَلْأَكْلِ .

(٢) الزِّيَادَةُ عَنْ "رِسَالِ الصَّابِي" الْمَطْبُوعَةِ .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ "رِسَالِ الصَّابِي" .

سَقَطَ بِالْوَفَاةِ وَالْإِخْلَالِ ، نَاسِبًا ذَلِكَ إِلَى جِهَتِهِ ، وَمُورِدًا لَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ . وَأَنْ يَطَالِبَ
الرِّجَالَ بِإِحْضَارِ الْخَلِيلِ الْمُخْتَارِ ، وَالْآلَاتِ الْمُسْتَكْمَلَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ مَبَالِغُ
أَرْزَاقِهِمْ ، وَحَسَبِ مَنَازِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ ؛ فَإِنْ أَنْزَلَهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ قَاصِّهِ بِهِ مِنْ
رِزْقِهِ ، وَأَغْرَمَهُ مِثْلَ قِيَمَتِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَقْصَرَفِيهِ خَائِنٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمُخَالَفٌ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ؛ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .

وأمره أن يعتمد في أسواق الرقيق ودور الضرب والحسبة والطُّرُز ، على من
تجتمع فيه آلات هذه الولايات : من ثقة ودرايه ، وعلم وكفايه ، ومعرفة ودرايه ؛
وتجربة وحُكْمِهِ ، وَحَصَافَةِ مُسْكِهِ ؛ فَإِنَّمَا أَحْوَالُ تُضَارِعُ الْحُكْمَ وَتُنَاسِبُهُ ، وَتُدَانِيهِ
وَتَقَارِبُهُ . وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى وِلَاةِ أَسْوَاقِ الرِّقِيقِ بِالتَّحْفِظِ فِيمَنْ يُطْلَقُونَ بَيْنَهُ ،
وَيُمْضُونَ أَمْرَهُ ؛ وَالتَّحَرُّزِ مِنْ وَقُوعِ تَجَوُّزِهِ فِيهِ ، وَإِهْمَالِهِ لَهُ ؛ إِذَا كَانَ ذَلِكَ عَائِدًا
بِتَحْصِينِ الْقُرُوجِ ، وَتَطْهِيرِ الْأَنْشَابِ . وَأَنْ يُبْعِدُوا عَنْهُ أَهْلَ الرِّيِّهِ ، وَيُقَرِّبُوا أَهْلَ
الْعَقَّةِ ؛ وَلَا يُمْضُوا بَيْعًا عَلَى شُبْهِهِ ، وَلَا عَقْدًا عَلَى تَهْمِهِ . وَإِلَى وِلَاةِ الْعِيَارِ ، بِتَخْلِيصِ
عَيْنِ الدَّرْهِمِ وَالدينار : لِيَكُونَ مَضْرُوبِينَ عَلَى الْبَرَاءَةِ مِنَ الْغِشِّ ، وَالتَّرَاهَةِ مِنَ الْمَشِّ ؛
وَبِحَسَبِ الْإِمَامِ ، الْمَقْرُورِ بِمِلْكِيَةِ السَّلَامِ ؛ وَحِرَاسَةِ السَّكِّكَ مِنْ أَنْ تَتَدَاوَلَهَا الْأَيْدِي
الْمُدْغِلَةِ ، وَتَتَنَاقَلَهَا الْجِهَاتُ الظَّنِينَةُ ؛ وَإِثْبَاتِ اسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا يُضْرَبُ مِنْهَا
ذَهَبًا وَفِضَّةً ، وَإِجْرَاءِ ذَلِكَ عَلَى الرَّسْمِ وَالسَّنَةِ . وَإِلَى وِلَاةِ الطُّرُزِ بَأَنْ يُجْرُوا الْإِسْتِعْمَالَ
فِي جَمِيعِ الْمَنَاسِجِ عَلَى أَسْمِ النَّيْقَةِ ، وَأَسْلَمِ الطَّرِيقَةِ ؛ وَأَحْكَمِ الصَّنْعَةِ ، وَأَفْضَلِ الصَّحَّةِ ؛

(١) المش الخلط حتى يذوب . انظر القاموس

(٢) لعله معناه المعادية ففي اللسان ج ١٧ ص ١٤٥ الظنين المعادى لسوء ظنه وسوء الظن به .
وفي الأصل « المثبتة » وفي المثل السائر النبوة والتصحیح من رسائل الصابي .

(٣) النيقة الاسم من تنوق في الأمر إذا تأتق فيه .

وَأَنْ يُثَبِّتُوا أَسْمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى طُرُزِ الْكُسَا ، وَالْفُرَشِ وَالْأَعْلَامِ وَالْبُنُودِ .
وَالِىَ وِلَاةِ الْحِسْبَةِ بِتَصَفُّحِ أَحْوَالِ الْعَوَامِّ فِي حِرْفِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ ، وَجَمْعِ أَسْوَاقِهِمْ
وَمَعَامِلَاتِهِمْ ؛ وَأَنْ يُعَايِرُوا الْمَوَازِينَ وَالْمَكَايِيلَ ، وَيَفْرِزُوهَا عَلَى التَّعْدِيلِ وَالتَّكْيِيلِ ؛
وَمَنْ أَطْلَعُوا مِنْهُ عَلَى حِيلَةٍ أَوْ تَلْيِيسٍ ، أَوْ غِيْلَةٍ أَوْ تَدْلِيسٍ ؛ أَوْ بَحْسٍ فِيمَا يُؤْفِيهِ ،
أَوْ اسْتِفْضَالٍ فِيمَا يَسْتَوْفِيهِ ، نَالُوهُ بِغِلْظِ الْعَقُوبَةِ وَعَظِيمِهَا ، وَخَصُّوهُ بِوَجْعِهَا
وَالْيَمِّهَا ؛ وَاقْفِينَ بِهِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْحَدِّ الَّذِي يَرُونَهُ لَذَنْبِهِ مُجَازِيَا ، وَفِي تَأْذِيهِ كَافِيَا
فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَلُ لِّلطَّافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَحُجَّتُهُ عَلَيْكَ ؛ وَقَدْ وَفَّقَكَ بِهِ عَلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ،
وَأَرْشَدَكَ فِيهِ إِلَى وَاضِحِ الدَّلِيلِ ؛ وَأَوْسَعَكَ تَعْلِيمًا وَتَحْكِيمًا ، وَأَقْنَعَكَ تَعْرِيفًا [وَتَفْهِيمًا]^(١)
وَلَمْ يَأَلِّكَ جُهْدًا فِيمَا عَصَمَكَ وَعَصَمَ عَلَى يَدِكَ ، وَلَمْ يَدْنَحْكَ مُمَكِّنًا فِيمَا أَصْلَحَ بِكَ
وَأَصْلَحَكَ ؛ وَلَا تَرَكَ لَكَ عُدْرًا فِي غَلْطٍ تَغْلُطُهُ ، وَلَا طَرِيقًا إِلَى مُتَوَرِّطٍ تَتَوَرَّطُهُ ؛ بِالْقَا
بِكَ فِي الْأَوَامِرِ وَالزَّوَاجِرِ إِلَى حَيْثُ يَلْزَمُ الْأُئِمَّةُ أَنْ يَنْدُبُوا النَّاسَ إِلَيْهِ ، وَيُحْشَوْهُمْ عَلَيْهِ ؛
مَقِيًّا لَكَ عَلَى مُنْجِيَّاتِ الْمَسَالِكِ ، صَارِقًا بِكَ عَنْ مُرْدِيَّاتِ الْمَهَالِكِ ؛ مُرِيدًا فَيْكَ
مَا يُسَلِّمُكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ ، وَيُعُودُ بِالْحِظِّ عَلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ وَأَوَّلَاكَ ؛ فَإِنْ أَعْدَلْتَ
وَعْدَلْتَ فَقَدْ فُزْتَ وَغَنِمْتَ ، وَإِنْ تَجَانَفْتَ وَأَعْوَجَجْتَ فَقَدْ خَسِرْتَ وَنَدِمْتَ ؛
وَالْأَوَّلَى بِكَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ مَغْرِسِكَ الرَّأْسِيِّ ، وَمَنْبَتِكَ النَّامِيِّ ، وَعُودِكَ الْأَنْجَبِ ،
وَعُنْصُرِكَ الْأَطْيَبِ ، أَنْ تَكُونَ لَظَنَّهُ بِكَ مُحَقِّقًا ، وَلَحْيَلَّتُهُ فَيْكَ مُصَدِّقًا ؛ وَأَنْ تَسْتَرِيدَ
بِالْأَثَرِ الْجَمِيلِ قُرْبًا [مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ]^(١) وَثَوَابًا يَوْمَ الدِّينِ ؛ وَزُلْفَى عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،

(١) الزيادة عن "رسائل الصابغ" المطبوعة .

وثناء حسنا من المسلمين ؛ نَحْنُ مانَبَدَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَعَاذِيرِهِ ، وَأَمْسَكَ بِيَدِكَ عَلَى مَا أُعْطِيَ مِنْ مَوَائِقِهِ ؛ وَأَجْعَلْ عَهْدَهُ [هَذَا] ^(١) مَثَالًا تَحْتَذِيهِ ، وَإِمَامًا تَقْتَفِيهِ ؛ وَأَسْتَعِينَ بِاللَّهِ يُعِينَكَ ، وَأَسْتَهْدِيهِ يَهْدِكَ ، وَأَخْلَصَ إِلَيْهِ فِي طَاعَتِهِ ، يُخْلِصُ لَكَ الْحِظَّ مِنْ مَعُونَتِهِ ؛ وَمَهْمَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ مِنْ خَطْبٍ ، أَوْ أَعْضَلَ عَلَيْكَ مِنْ صَعَبٍ ؛ أَوْ بَهَرَكَ مِنْ بَاهِرٍ ، أَوْ بَهَّظَكَ مِنْ بَاهِظٍ ؛ فَارْكَبْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مُنْهَبًا ، وَكُنْ إِلَى مَا يَرِدُ [مِنْ جَوَابِهِ] عَلَيْكَ مُنْتَهَبًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

[وَكُتِبَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ النَّاصِحِ أَبُو طَاهِرٍ يَوْمَ الْأَحَدِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ وَثَلَاثًا] ^(١) .



وعلى هذا الأسلوب كتب أمين الدين أبو سعيد ، العلاء بن وهب بن موصلايا عن القائم بأمر الله عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، بساطنة الأندلس وبلاد المغرب ، بعد العشرين والأربعمئة ، فيما رأيته في ترسل ابن موصلايا المذكور .

وهذه نسخته بعد البسملة الشريفة :

هذا ماعهد عبد الله ووليّه ، عبد الله القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى فلان حين انتهى إليه مأهو عليه من أدراع جلايب الرّشاد ، في الإصدار والإيراد ؛ وأتباع سنن من أبدى وأعاد ، فيما يجمع خير العاجلة والمعاد ؛ والتخصيص من حميد الأئحاء والمذاهب ، بما يستمد منه أصناف الآلاء والمواهب ؛ والتحلّي من السداد

الكامل ، بما فاز فيه بامتطاء الغارب من الجمال والكمال ؛ وتَضَحَّ ماهو متشَبَّت به من صحَّة الدين واليقين ، والمواظبة من اكتساب رضا الله تعالى على ماهو أقوى الظهير والمعين ؛ في ضمن ما طوى عليه ضلوعه ، وأدام لهجه به وولوعه : من موالاة لأمير المؤمنين يدين الله تعالى بها ، ويرجو النجاة من كل مخوف باستحكام سعيها ؛ ومشايعة لدولته ساوى فيها بين ما أظهر وأسر ، وأمل في آجتاء ثمرها كل ما أبهج وسر ؛ فولاه الصلاة بأعمال المغرب ، والمعاون ، والأحداث ، والخراج ، والضياع ، والأعشار ، والجهذة ^(١) ، والصدقات ، والجواري ، وسائر وجوه الحبايات ، والعرض ، والعطاء ، والنفقة في الأولياء ، والمظالم ، وأسواق الرقيق ، والعيار في دور الضرب ، والطرز ، والحسبة ، ببلاد كذا وكذا : سكوناً إلى استقلاله بأعباء ما استكفاه إياه ، واستقباله النعمة عليه في ذلك بكل ما ينشر ذكره ويطيب رايه ؛ ونفقة بكونه للصنعة أهلاً ، وبأفياء الطاعة الإمامية مستظلاً ؛ وتوفيرة على ما يزيد بحضرة أمير المؤمنين خطوة ترد باع الخطوب عنه قصيرا ، وتمتد مقاصده من التوفيق بما يضحى له في كل حالة نصيرا ؛ علما بما في أصطناعه من مصلحة تستنير أهلها ، وتستنير من شبه النعى شواهدا وأدلتها ؛ والله تعالى يصل مرامي أمير المؤمنين بالإصابة ، ويعينه على ما يقرر كل أمرئ في حقه ويحله نصابه ؛ ويحسن له الخطرة في كل ما يغدوله مُمضيا ، ولطايا الاجتهاد في فعله مُنضيا ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل وإليه يُنيب .

وأمره باعتماد تقوى الله تعالى في الإعلان والإسرار ، واعتقاد الواجب من الإذعان بفضلها والإقرار ؛ وأن يأوى منها إلى أمتع المعاقل وأحصنها ، ويلوى عنان

(١) عبارة عن نقد الذهب والفضة .

الهدى فيها إلى أجل المقاصد وأحسنها ؛ ويجعلها عمدته يوم تُعَدَم الأنصار ،
وتُشَخَّص الأبصار : ليجتنى من ثمرها ما يقيه مصارع النجل ، ويحتل من مطالعها
ما يؤمنه من طوارق الوجل ؛ ويرد بها من رضا الله تعالى أصفى المَشَارِب ، ويجد
فيها من ضوَالِ المُنَى أنفس المَوَاهِب : فإنها أبقي الزاد ، وأدعى في كل أمر إلى ورى
الزناد ؛ وقد خَصَّ الله بها المؤمنين من عباده ، وحضَّ منها على ما هو أفضل عُدَّة المرء
وعتاده ؛ فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ .

وأمره أن يَأْتَمَّ بكتاب الله تعالى مستضيئاً بمصباحه ، مستضيئاً لسُلطان الغي
بالوقوف عند محظوره ومباحه ؛ ويقصد الاستبصار بمواعظه وحكمه ، والاستبصار
لصوب التوفيق في الرجوع إلى مُتَقَنِّهِ ومُحْكَمِهِ ؛ ويجعله أميراً على هواه مطاعاً ، وسيراً
لا يرى أن يكشف عنه قناعاً ؛ ودليلاً إلى النجاة من كل ما يخاف أنامه ، وسبيلاً
إلى الفوز في اليوم الذي يُسْفِر عن فصل الحساب لِنَامِهِ ؛ ويتحقق موقع الحظ
في إدامة درسه ، وصلة يومه في التأمل بأمره ؛ فإنه يُبْدِي طريق الرشد لكل مُبْدِي
في العمل به مُعِيد : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره أن يُحَافِظَ على الصلوات قائماً بشروطها وحُدودها ، وشائماً بروق التوفيق
في أداء فروضها وحقوقها ؛ ومسارعاً إليها في أوقاتها بنية عافية مناهل الكدر والرق ،
عارفة بما في إخلاصها من نصرة الهدى وطاعة الحق ؛ وموفراً عليها من ذهنه ،
ما الحظ كامن في طيه وضمنه ؛ وموفياً لها من الركوع والسجود ، ما الرشد فيه صادق
الدلائل والشهود ؛ متجنباً أن يلتهيه عنها من هواجس الأفكار ، ووساوس القلب

الْعَوْنِ مِنْهَا وَالْأَبْكَارِ؛ مَا يَقِفُ فِيهِ مُوقِفُ الْمُقْصِرِ الْغَالِطِ ، وَيَتَزَلُّ فِيهِ مَتَزَلَّةُ الْجَاهِدِ
لِلنَّعْمِ الْغَامِطِ ؛ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا وَفَرَضَهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْجَبَهَا وَحَثَّ مِنْ إِقَامَتِهَا ،
عَلَى مَا يُفِضِي إِلَى صِلَاحِ الْمَقَاصِدِ وَاسْتِقَامَتِهَا ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ
إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وأمره بالسَّعي في أيام الجُمع إلى المساجد الجامِعة، وفي الأعياد إلى المصَلَّيات
الضاحية؛ بعد أن يتقدَّم في عِمَارَتِها، وإعدادِ الكِسوة لها؛ بما يؤدِّي إلى كَمالِ حِلَّها،
ويُحَظَّى من حُسنِ الذِّكرِ بأعْذابِ المواردِ وأَحْلاها؛ ويُوْعِزُ بالاستِثْكارِ من المُكَبَّرين
فيها والقُوم، وترتيبِ المصابيحِ العائِدةِ على شَمْلِ جَمالِها بالأَنساقِ والأَنِظَامِ : فإنها
بُيُوتُ اللهِ تعالى التي تُتلى بها آياتُه، وتُعلَى فيها أعلامُ الشَّرْعِ ورايأَتُه . وأن يُقيمَ
الدَّعوةَ على مَنابِرها لِأُميرِ المؤمنين ، وَلوَلِيَّ عَهْدِه العُدَّةَ لِلدِّينِ ؛ أبا القاسِمِ عبدِ اللهِ
أَبنِ مُحَمَّدِ بْنِ أُميرِ المؤمنين، أدام اللهُ تعالى به الإِمتاعَ، وأَحسَنَ عن سَاحَتِهِ الدِّفاعَ ؛
ثم لِنَفْسِهِ جاريًا في ذلِكَ على ما أَلِفَ من مثله ، وسالَكًا مِنْهُ أَقوَمَ مَسالِكِ الإِهْتِداءِ
وَسُبُلِهِ ؛ وَقَدْ بَيَّنَّ اللهُ تعالى ما في عِمَارَتِها من دلائِلِ الإِيْمانِ، والفوزِ بما يُعطى
من سُنْخَطِ اللهِ تعالى أَوْثَقَ الأَمَانِ ، في قولِه سُبْحانَه : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ
يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) . وقال في الحَثِّ على السَّعيِ إلى الجوامِعِ التي يُذَكَّرُ فيها أَسمُهْ،
ويَظْهَرُ عليها مَنارُ الإِسْلامِ ورَسمُه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمٍ
الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ) .

وأمره أن يعتمد في إخراج الزكاة ما أمر الله تعالى به ، وهدي منه إلى أرشيد
فعل وأصوبه ، ويقوم بذلك القيام الذي يُحظيه بجمل الذكر ، وجريل الأجر ،

ويشهد له بزكاء المغرس وطيب النجر؛ ويقصد في أداء الواجب منه ما يصل أمسه في التوفيق بيومه، ويطلق الألسنة بحمده ويكفها عن لومه؛ متجنباً من إخلال بما نص عليه في هذا الباب، أو إهمال فيه لما يليق بدوى الديانة وأولى الألباب؛ ومتوخياً في المسارعة إليه ما يتطهر به من الأذناس، ويتوفر به حسن الأحذوثة عنه بين الناس؛ فقد جعل الله تعالى الزكاة من الفروض التي لاسبيل إلى المحيد عنها، ولا دليل في الفوز أوفى منها؛ وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأخذها من أمته، وأبان عن كونها مما يُجنى كل مرغوب فيه من ثمرته؛ ووصل الأمر له في ذلك بما يوجب فضل المسابقة إلى قبوله: لما فيه من الحظ الكامل في استنارة غرره ومجوبه، في قوله سبحانه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وأمره أن يهدب من الدنس خلا له، ويصل بأقواله في الخير أفعاله؛ ويمتنع من تلبية داعي الهوى المضل، ويتبع سنن المتقي بالهدى المستظل؛ ويقبض يده عن كل محرم ثوبق أشراكه وتوبق غوائله، وتؤذن بسوء المتقلب شواهد ودلائله؛ ويجعل له من نهاره رقيباً على نفسه يصونها عن مراتع النجى ومطارحه، وأميناً يصد عن مسارب الإثم ومسارحه؛ فإنها لا تزال أماراً بالسوء إن لم تقد إلى جدد الرشد، وتقم لها سوق من الوعظ يبلغ فيها أقصى الغاية والأمد؛ فالسعيد من أضحى لها عند سورة الغضب وإزعا، وأنحى عليها بلوم يغدو معه عن كل ما يسيخط الله تعالى نازعا، وأن يتزه عن النهى عما هوله مرتكب، والأمر بما هوله محتب: إذ كان ذلك بالهجنة حالياً، وبين المرء وبين مقاصد هديه حائلاً، قال الله تعالى: ﴿ أَمَرُوا النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ ثَلَاثُونَ ﴾ الكتاب أَفَلَا تَعْقِلُونَ .

وأمره أن يُضْفَى عَلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجُنُودِهِ، أَصْنَافَ جَلَائِبِ
الإحسان وُبروده ؛ وَيُخَصِّمُ مِنْ جَزِيلِ حِبَائِهِ بِمَا يَصِلُونَ مِنْهُ إِلَى أْبَعْدِ الْمَدَى ،
وَيَمْلِكُونَ بِهِ نَوَاصِيَ الْأَمَالِ وَيُدْرِكُونَ قَوَاصِيَ الْمُنَى ؛ وَيُمَيِّزُ مَنْ أَدَّى وَاجِبَهُ فِي الطَّاعَةِ
وَقَرَضَهُ وَأَبْدَى صَفَحَتَهُ فِي الْغَنَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ بِمَزِيدٍ مِنَ الْإِشْتِمَالِ يُرْهِفُ بِصِيرَةِ كُلِّ مِنْهُمْ
فِي التَّوَفُّرِ عَلَى مَا وَافَقَهُ ، وَوَصَلَ بَأَنفِهِ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ سَابِقَهُ ، وَيَدْعُو الْمُقَصِّرَ إِلَى
الِاسْتِبْصَارِ فِي اعْتِمَادِ مَا يَلْحَقُ فِيهِ رُتَبَةٌ مِنْ فَازَتْ فِي الْحَطْوَةِ قَدَاحُهُ ، وَفَاتَتْ الْوَصْفَ
عُرْرُهُ فِي الزُّلْفَةِ وَأَوْضَاحُهُ : لِيَمْرُجَ بِهِ فِي الْإِغْتِذَاءِ بِلَبَّانِ النِّعْمَةِ ، كَمَا أَتَهَجَّ جَدَدُهُ
فِي إِحْسَانِ الْخِدْمَةِ . وَأَنْ يَرْجِعَ إِلَى آرَاءِ ذَوِي الْحُنْكَ مِنْهُمْ مُسْتَضِيئًا بِهَا مُسْتَرِشِدًا ،
وَطَالِبًا ضَوَالَّ الرَّأْيِ الثَّاقِبِ وَمُنْشِدًا ؛ وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ فَضْلَ الْمَشُورَةِ الَّتِي جَعَلَهَا لِلْأَلْبَابِ
لِقَاحًا ، وَفِي حَنَادِسِ الشُّكُوكِ مَضْبَاحًا ؛ حَيْثُ أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا ،
وَبَعَثَهُ مِنْهَا عَلَى أَسَدِّ الْأَفْعَالِ وَأَصُوبِهَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا
عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

وأمره أنْ يَعْدِلَ فِي الرِّعَايَا قَبْلَهُ ، وَيُجَلِّمَ مِنَ الْأَمْنِ هِضَابَهُ وَقُلَّةَهُ ؛ وَيَمْنَحَهُمْ مِنَ
الِاسْتِمَالِ ، مَا يَنْجِي بِهِ أُمُورَهُمْ مِنَ الْإِخْتِلَالِ ، وَيَحْوِي بِهِ مِنْ طِيبِ الذِّكْرِ بِحَسَبِ
مَا اكْتَسَبَ مِنْ رِضَى الْأَنْحَاءِ وَالْخِلَالِ ؛ وَيُضْفَى عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْهُمْ وَالْمُعَاهِدِ مِنْ ظِلِّ
رِعَايَتِهِ مَا يُسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الْقَوِي وَالضَّعِيفِ ، وَيُلْحَقُ التَّلِيدَ مِنْهُمْ بِالطَّرِيفِ : لِيَكُونَ
الْكُلُّ وَادِعِينَ فِي كَنْفِ الصَّوْنِ ، رَاجِعِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِمْدَادِهِمُ بِالْتَوْفِيقِ وَحُسْنِ
الطَّاعَةِ وَالْعَوْنِ . وَأَنْ يَنْظُرَ فِي مَظَالِمِهِمْ نَظْرًا يَنْصُرُ الْحَقَّ فِيهِ ، وَيُنْشُرَ عِلْمَ الْعَدْلِ
فِي مَطَاوِيهِ ؛ وَيُنْصَفَ مَعَهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَيُنْصَبَ بِهِ لَهُمْ مِنْ آهَتِيهِمْ أَسْنَى
قِسْمٍ وَحَظٍّ ؛ مُلِينًا لَهُمْ فِي ذَلِكَ جَانِبَهُ ، وَمُيَبِّنًا مَا يَظُلُّ بِهِ كَاسِبُ الْأَجْرِ وَجَالِبُهُ ؛

وَيُزِيلُ عَنْهُمْ مَاسِرَهُ ظَلَمَةُ الْغُلَامَانِ بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ، وَيَدِيلُ مِنْ تِلْكَ الْحَالِ بِاسْتِنَافِ مَا يُوْطِئُهُمْ كَوَاهِلَ الْأَمَالِ؛ جَامِعًا لَهُم بَيْنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَجَاعِلًا أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مُتَلَقٍّ بِالطَّاعَةِ الْوَاضِحَةِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

وأمره بأن يكونَ بالمعروفِ آمراً ، وعن المنكرِ زاجراً ، والله تعالى في إحياءِ الحقِّ وإماتةِ الباطلِ مُتأجراً . وأن يشدَّ من الساعين في ذلك والدَّاعين إليه ، ويعدِّ القيامَ بهذه الحال من أفضل ما يتقرَّب به إلى الله تعالى يوم العَرْض عليه . ويتقدَّم بتعطيل ما في أعماله من المواخير ودَحْضها ، وإزالة آثارها ومحوها ؛ فإنها مواطنُ بالمُحَاذِرَةِ أَهْلَهُ ، ومن مشارِبِ المعاصي ناهِلَهُ ؛ قد أُسِّسَتْ على غير التَّقْوَى مَبَانِيهَا ؛ وأُخْلِيتْ من كل ما يَرْضَى اللهُ تعالى مَغَانِيهَا ؛ وقد أَبَانَ اللهُ تعالى عن فضل الطائفة التي ظَلَّتْ بالمعروفِ آمِرَةً وعن المنكرِ نَاهِيَةً ، وَضَنْتْ بما تُرَى فيه عن مقاصد الخير ذَاهِلَةً لَاهِيَةً ، فقال : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

وأمره أن يُرتَّبَ لِحِمَايَةِ الطُّرُقَاتِ مَنْ يَجْمَعُ إِلَى الصَّرَامَةِ وَالشَّهَامَةِ ، سُلُوكَ مَحَاجِّ
الرِّشَادِ وَالِإِسْتِقَامَةِ ؛ وَيَجْعَلُ التَّعَفُّفَ عَنْ ذَمِيمِ الْمَرَاعِ شَاهِدًا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ إِيَّاهُ ، وَعَانِدًا
عَلَيْهِ بِمَا تُحَمَّدُ مَغَبَّتَهُ وَعُقْبَاهُ ؛ وَيَأْمُرُ بِحِفْظِ السَّابِلَةِ ، وَاخْتِصَاصِهِمْ بِالْحِرَاسَةِ السَّابِغَةِ
الشَّامِلَةِ ؛ وَحِمَايَةِ الْقَوَافِلِ وَارِدَةً وَصَادِرَةً ، وَأَعْتَادِهَا بِمَا تَتَدَوَّبُهُ إِلَى السَّلَامَةِ
مُفْضِيَةً صَائِرَهُ : تُحْرَسَ الدَّمَاءُ مِمَّا يُبِيحُهَا وَيُرِيْقُهَا ، وَالْأَمْوَالُ مِمَّا يُقْصَدُ فِيهِ سَبِيلُ
الْإِضَاعَةِ وَطَرِيقُهَا . وَأَنْ يَخَوْفَهُمْ تَتَأَجَّجُ التَّقْصِيرِ ، وَيَعْرِفَهُمْ مَنَاجِجُ التَّبْصِيرِ ؛ وَأَنْ عَلَيْهِمُ

رُقباءَ يلاحظون أمورهم ويوضحونها : ليكون ذلك داعياً إلى التحوط والتحرُّز ،
واعتِمالِ الميل إلى جانب الصَّحَّةِ والتحيز ؛ ويوجب لهم من بعد ما يكفي أمثالهم مثله ،
ويكف أيديهم عن الامتداد إلى ما تُدْمُ سبله ؛ فإنَّ أخلَّ أحدهم بما حدَّ له ،
أو مزج بالسوء عمله ، جرَّاه بحسب ذلك وموجبه . قال الله تعالى : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا يُجْزِهِ ﴾ .

وأمره أن يتقدم إلى توابه في الأعمال بوضع الرِّصد على من يمتاز بها من العبيد
الأَباق ، والاستظهار عليهم بحسب العدل والاستحقاق ؛ وأستعلام أمانتهم التي
فصلوا عنها ، ومواطنهم التي بعدوا منها ؛ فإذا وصحت أحوالهم وبانت ، وأنحسمت
الشُّكوك في بايهم وزالت ، أعادوهم إلى مواليتهم أبوا أم شاءوا ، وأصفوا نيَّاتهم
في الرجوع إليهم أم شابوا . وأن يقصِّدوا إنشاد الصَّوَال ، ويحتدوا من إظهار أمرها
بما يغدو جمال الذِّكر به في الظلال ؛ ويتجنبوا أن يمتطوا ظهورها بحال ، أو يمدوا
أيديهم إلى منافعها في إسرار وإعلان ؛ حتَّى إذا حضر أربابها سُلمت إليهم بالنعوت
والأوصاف ، وأجرى الأمر في ذلك على ما يضحى به علم العدل على المنار حالي
الاعطاف ؛ فقد أمر الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها ، وهدى من ذلك إلى أوضح
محتاج الصَّحَّةِ وسبلها ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا
وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ .

وأمره أن يختار للنظر في المعاون والأجلاب من يرجع إلى دين يحميه من مَهاوى
الزَّلَلِ وصَلَفٍ عن مدِّ اليد إلى أسباب المطامع ، وكَلَفٍ بما يعود على ما كُفِّ إِيَّاهُ
بصلاحي مُشرق المطالع ؛ ومعرفة بما وكل إليه كافية وإفيه ، ولما يوجب الاستراة له^(٢)

(١) لعله بالطاء المشالة بمعنى الكف . تأمل .

(٢) لعله الاستزاء أى الزراية عليه والتهاون به .

ماحية نافية؛ ويوعز إليهم بالتشمير في طلب الدُّعَار، من جميع الأماكن والأقطار، وحسب مواد العار في بابهم والمضار. وأن يمتضوا فيهم حكم الله بحسب مقاصدهم في الضلال، وتجري أمورهم على قانون الشرع المنير في حنادس الظلام، ممتنعين أن يراقبوا من لم يراقب الله تعالى في عمله، ويحانبوا الصواب بقبول الشفاعة فيمن شهدت آثاره بذيَم سبيله؛ وإذا وقع الظفر بجانب قد كشف في النقي قناعه، وأظهرت مساعيه إباءه من إجابة داعي الرشد وأمتناعه؛ أقيم حد الله تعالى فيه من غير تعدد الواجب، ولا تعر من ملابس السالكين للجدد اللاجب، ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾.

وأمره أن يوعز إلى أصحاب المعاون بأن يشدوا من القضاة والحكام، ويحذوا في إجراء أمورهم على أوفى شروط الضبط والإقدام؛ ويأمرهم بحضور مجالسهم لتنفيذ أحكامهم وإمضاءها، والمسارعة إلى حث مطايا التشمير في ذلك وإنضائها؛ والتصرف على أمثلتهم في إحضار الخصوم إذا ما أمتنعوا، وسوقهم إلى الواجب إذا زاغوا عنه وأنحرفوا. وأن يتقدم بإمداد عمال الخراج بما يؤدي إلى قوة أيديهم في استيفاء مال النى وأجتنابه، وأعتاد ما ينصر الحقوق في مطاويه وأثنائه؛ إذ كان في ذلك من الصلاح الجامع، وكف المضار وحسب المطامع، ما المعونة عليه واجبه، وللتوفيق مقارنته مصاحبة، قال الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.

وأمره بعرض من تضمه الجبوس من أهل الجرائم والجرائر، وتأمل أحوالهم في الموارد والمصادر؛ والرجوع إلى متولى الشرطة في ذكر صورة كل منهم والسبب في حبسه، والتعيين من ذلك على ما يعرف به صحة الأمر من لبسه؛ فمن النى منهم

لِلذُّنُوبِ آفَاءٌ، وَعَنْ سَنَنِ الصَّوَابِ مُنْحَرِفًا، تُرِكَ بِجَالِهِ، وَكُفِّ بِإِطَالَةِ أَعْتِقَالِهِ،
 عَنْ مَجَالِهِ فِي مَيَادِينِ ضَلَالِهِ؛ وَإِنْ وُجِدَ مِنْهُمْ مَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْحَدُّ، أَقِيمَ فِيهِ بِحَسَبِ
 مَا يَقْتَضِيهِ الْحَقُّ؛ وَمَنْ أَعْتَرَضَتْ فِي بَابِهِ شُبْهَةٌ تُجَوِّزُ إِسْقَاطَ الْحَدِّ عَنْهُ وَدَرَاهُ، اعْتَمَدَ
 إِحْلَاقُهُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ اتِّصَالِ إِلَيْهِ صَوْبِ الْإِحْسَانِ وَدَرِّهِ؛ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ جُرْمٌ وَتَظْهَرُ
 صِحَّةُ شَاهِدِهِ وَدَلِيلِهِ، قَدَّمَ الْأَمْرَ فِي إِطْلَاقِهِ وَتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ؛ وَإِنْ غَدَا لِأَحَدِهِمْ سَعْيٌ
 فِي الْفَسَادِ وَاجْتِاعٍ وَبَانُ، وَغَوَى بِهِ فِي مُحَارَبَةِ الْحَقِّ وَخَانَ، قُوِيلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
 فِي كِتَابِهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
 فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ
 ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وَأَمْرُهُ بِاخْتِيَارِ الْمَرْتَبِ لِلْعَرَضِ وَالْعَطَاءِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْأَوْلِيَاءِ؛ مِنْ ذَوِي الْمَعْرِفَةِ
 وَالْبَصِيرَةِ، وَالْمَشْهُورِينَ فِي الْعِفَّةِ بِتَسَاوِي الْعِلَاقَةِ وَالسَّرِيرَةِ؛ وَمَنْ تَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ
 جَيِّدُهُ، وَاعْتَصَدَ بِطَرِيفِهِ فِي الرَّشَادِ تَلِيدُهُ؛ وَكَانَ بِمَا يُسْنَدُ إِلَيْهِ قِيَمًا، وَفِي مَقَرِّ
 الْكِفَايَةِ نَاوِيًا مُحِيْمًا. وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِضَبْطِ حَلِي الرِّجَالِ وَشِبَاتِ الْخِيُولِ، وَأَنْ يَقْصِدَ
 فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ تَجْدِيدِ الْعَرَضِ مَا يَشْهَدُ بِالْإِحْتِيَاطِ السَّابِغِ الْأَهْدَابِ وَالذُّيُولِ؛ فَإِذَا
 وَضَعَ وَجْهَهُ الْإِطْلَاقَ، وَسَلِمَ مَالُ الْإِسْتِحْقَاقِ؛ كَانَتْ التَّفَرُّقَةُ عَلَى قَدَرِ الْمَنَازِلِ فِي التَّقْدِيمِ
 وَالتَّأْخِيرِ، وَبِحَسَبِ الْحَرَائِدِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الصَّغِيرِ مِنْ ذَلِكَ وَالْكَبِيرِ؛ وَمَتَى طَرَقَ
 أَحَدُهُمْ مَا هُوَ مُحْتَوَمٌ عَلَى خَلْقِهِ، أَعَادَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنْ رِزْقِهِ بِقَدَرِ قِسْطِهِ وَحَقِّهِ.
 وَأَنْ يُلْزِمَهُمْ إِحْضَارَ جِيَادِ الْخِيُولِ وَخِيَارِ الشَّكَّكَ، وَيَأْخُذَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِأَوْضَحِ مَا نَهَجَ
 الْمَرْءُ الطَّرِيقَ فِيهِ وَسَلَّكَ؛ فَإِنْ أَخْلَى أَحَدُهُمْ بِمَا يُلْزِمُهُ الْبُرُوزُ فِيهِ يَوْمَ الْعَرَضِ،
 أَوْ قَصَرَ فِي الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِ الْفَرَضُ؛ حَاسِبَهُ بِذَلِكَ مِنَ الثَّابِتِ بِاسْمِهِ، وَالْمُطْلَقِ

برسمه؛ تنبيهه على تلافي الفارط، وتبصيراً لغيره في البعد عن مقام المخطئ الغالب؛ إذ كان في قوتهم وكمال عدتهم إرهاب للأعداء والأضداد، وإرهاف للبصائر فيما يؤدي إلى المصالح الوافية الأعداد والامداد؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

وأمره باختيار عمال الخراج، والضّيايع، والأعشار، والجهبذة، والصدقات، والجوالي؛ وأن يكونوا محتضنين من الأمانة والكفاية بما يقع الاشتراك في علمه، ومتقّمين من ملابس العفة والدراية ما تمجد العواقب في ضمته، ومتميزين بما يغنيهم عن الأفكار بنتائج الاتعاظ والاعتبار؛ ويغريهم بالاستمرار على السنن المنجى لهم من مواقف التنصل والاعتذار. وأن يأمر عمال الخراج ببجاية الأموال، على أجهل الوجوه والأحوال؛ سالكين في ذلك جدداً وسطاً، ينجي من مقام من ضعف في الاستخراج أوسطاً. و[أن يتقدم] إلى الناظرين في الضيايع بتوفية العارة حقها والزراعة حدها، والتوفير من حفظ الغلات الحاصلة على ما يقتضى فيه أرشد المذاهب وأسدها؛ متحزين من أمر يئسبون فيه إلى العجز والخيانة، فكل من الحالين مجز في وضوح أدلة الفساد ومخز. وإلى الجهابذة بقصد الصحة في القبض والتقبض، وحفظ النقد من التدليس والتليس؛ أداءً للأمانة في ذلك، وأهتداءً فيه إلى أقوم المسالك. وإلى سعاة الصدقات بأخذ الفرائض من مواشي المسلمين السائمة دون العامله، والجرى في ذلك على السنة الكاسية للخدمة الوافية الكاملة؛ متجنبين من أخذ فحل الإبل وأكولة الراعي، وعقائل الأموال المحظورة على سائر الأسباب والدواعي؛ فإذا استوفيت على المحدود من حقها، أخرجت في المنصوص عليه من وجوهها وسبلها. وإلى جبابة جماح أهل الذمة بأخذ الحزبية منهم في كل سنة، على قدر ذات أيديهم في الضيق والسعة، وبحسب العادة المألوفة المتبعة؛ ممتنعين من

مُطَالِبَةُ النَّسْوَانِ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلْمَ مِنَ الرِّجَالِ وَمَنْ عَلَتْ سِنُهُ عَنِ الْإِكْتِسَابِ وَتَبَتَّلَ مِنَ الرُّهْبَانِ، وَمَنْ غَدَا فَقْرُهُ وَاضَحَ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ؛ وَفَاءً بِالْعَهْدِ الْمُسْتَوْلِ، وَتَلَقَّيَا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْقَبُولِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ .

وأمره أن يردَّ أمرَ المظالم وأسواق الرقيق ودور الضرب والطُّرُز والحِسْبَة إلى مَنْ عَصَدَ بِالظَّالْفِ الْوَرَعِ، وَاتَّزَمَ لَهُ شَمْلُ الْهَدْيِ وَاجْتَمَعَ: فَكَانَ ذَا مَعْرِفَةٍ بِمَا يَحْرُمُ وَيَحِلُّ، وَبَصِيرَةً يَتَفَيَّأُ بِهَا مِنْ عَوَارِضِ الشُّبْهِ وَيَسْتَظِلُّ؛ وَأَنْ يَكُونَ النَّظَرُ فِي ذَلِكَ مُضَاهِيًّا لِحُكْمِ مَلَائِمًا، وَلَنْ يَقُومَ بِهِ إِلَّا مَنْ لَا يَرَى عَادِلًا لَهُ فِي فَعْلِهِ لَائِمًا. وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ يَلِي الْمَظَالِمَ بِتَسْهِيلِ الْإِذْنِ لِلْخُصُومِ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ، وَتَمْكِينِ كُلِّ مِنْهُمْ مِنْ أَسْتِيفَاءِ الْحُجَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَى فَضْلِ مَا يَنْبَغُ بِحَسَبِ مَا يَقُودُ لِقَى إِلَيْهِ؛ وَأَنْ يَقْصِدَ فِيمَا وَقَعَ الْخُلْفُ مَعَهُمْ فِيهِ، الْكَشْفَ الَّذِي يَقُومُ بِهِ وَيَسْتَوْفِيهِ؛ فَإِنْ وَضَحَ لَهُ الْحَقُّ أَنْفَذَهُ وَقَطَعَ بِهِ، وَإِلَّا رَدَّهُمْ إِلَى مَجَالِسِ الْقَضَاءِ لِإِمْضَاءِ ذَلِكَ عَلَى مَقْتَضَى الشَّرْعِ وَمُوجِبِهِ. وَإِلَى الْمَرْتَبَيْنِ فِي أَسْوَاقِ الرِّقِيقِ بِالتَّحْقِظِ فِيمَا يُتَبَاعُ وَيُبَاعُ، وَأَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ الْاِقْتِفَاءَ لِلْسَّنَنِ الْجَمِيلِ وَالْإِتْبَاعَ: لِيَوْمَنِ اخْتِلَاطِ الْحُرِّ بِالْعَبْدِ، وَتُحْرَسَ الْأَنْسَابُ مِنَ الْقَدَحِ وَالْفُرُوجِ مِنَ الْغَضَبِ؛ فِي ضَمْنِ حِفْظِ الْأَمْوَالِ، وَالْمَنْعِ مِنْ مَزْجِ الْحَرَامِ بِالْحَلَالِ. وَإِلَى وُلاةِ الْعِيَارِ بِتَصْفِيَةِ عَيْنِ الدَّرْهِمِ وَالْدِينَارِ مِنَ الْغِشِّ وَالْإِذْغَالِ؛ وَصَوْنِ السَّكَّكَ مَنْ تَدَاوَلَ الْأَيْدِي الْغَرِيبَةِ لَهَا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ مَتَحَدِّرِينَ مِنَ الْإِعْزَارِ بِمَا رُبَّمَا وَضَحَ الْفَسَادُ فِيهِ عِنْدَ الْأَعْتِبَارِ، وَمَا نَعِينَ الثُّجَّارِ الْمَخْصُوصِينَ بِالْإِيرَادِ، مِنْ كُلِّ قَوْلٍ مُخَالِفٍ لِلْإِيشَارِ فِي الصَّحَّةِ وَالْمُرَادِ، وَمُعْتَمِدِينَ إِجْرَاءَ الْأَمْرِ فِيمَا يُطْبَعُ عَلَى الْقَانُونِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ لِمُسْتَقَرِّ الْقَاعِدَةِ فِي ذَلِكَ وَمُتَّسِقِ النِّظَامِ؛ وَأَنْ يَثْبِتَ ذِكْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلِيِّ عَهْدِهِ فِي الْمُسْلِمِينَ؛

(١) فِي اللَّسَانِ "فَاءُ الْفَاءِ فَيَا تَحْوِلُ وَتَفَيَّأُ فِيهِ تَقْطُلُ".

على ما يُضرب من الصّنفين معا ، والمُسارعة في ذلك إلى أفضل ما بادَرَ إليه المرء وسعى . وإلى المُستخّدمين في الطُّرُز بملاحظة أحوال المَنابيع والإشراف عليها ، وأخذ الصُّنَّاع بالتجويد على العادة التي يَجِبُ الإِتِّهَاءُ إليها ؛ وإثبات اسم أمير المؤمنين على ما يُنسَج من الكُسا والفُروش والأعلام والبُود ، جُريا في ذلك على السُّنن المُرَضَّى والمنهاج المحمود . وإلى من يُراعى الحِسبة الشريفة بالكشف عن أحوال العوام في الأسواق ، والإِتِّهَاء في ذلك إلى ما يَنْتَهِى به شَمْلُ الصَّلاح إلى الإِنتظام والاتِّساق ؛ وأن يتقدّم [اليهم] بما يَجِبُ من تعبير ما يختصّ بهم من المكاييل والموازين ، وحملها على قانُون الصَّحَّة الواضحة الدلائل والبراهين ؛ وأن يقصد تبصيرهم مواضع الحِظِّ في الإِسْتقامه ، ويحذّرهم مواقع الإِنتقام الذي لا تُقيد فيه أسبابُ الاسْتِصْفاح والإِسْتقاله ؛ فإن عَرَفَ من أحد منهم إقداما على إدغال فيما يَزِن أو يَكِيل ، قُوِيل من التّأديب بما هو الطريق إلى آرْتداعه والسَّييل ، قال الله تعالى : ﴿ وَبَلِّغْ لِلنَّاسِ نِصْرَتَهُم بِمَا هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى آرْتِدَاعِهِ وَالسَّيِيلِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴾ (وَيْلٌ لِلطَّافِثِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْثَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) .

وأمره أن يَعْرِفَ قَدْرَ النعمة التي ضَفَّت عليه بُرودها ، وحلَّت جِده عَقودها ؛ وزَفَّت منه إلى أَوْفَى أَكْفائِها ، وحُقَّت بِجَزِيل القِسَم من جميع أَكْنافِها وأرجائها ؛ وأن يُقَابِلَها بِإِخلاص في الطاعة يساوي فيه بين ما يُسَدِّى ويُسر ، وسَعَى في الخدمة يُوفى على كلِّ مُجَازٍ ومِرٍّ ؛ وَيَبْدَأُ أَمَامَ ما تَوَخَّاهُ بِأخذ البيعة لِأَمير المؤمنين وولىَّ عَهْدَه على نَفْسِه وولَدِه ، وكافَّةِ الأجناد والرعايا في بلدِه ؛ عن نِيَّة صَفَتْ من الكَدَر والقَدَى ، ووفَّت للتوفيق بما صَمِنَتْ من خِذلان البغى ونُصرة الهدى ؛ وَيُتْبِعَ ذلك بِالْحَقُّوق في كلِّ خِدمة تُرَضَّى ، والوُفُوف عند الأوامر الإِماميَّة في كلِّ ما يُؤدَّى إلى الوفاق ويُقضى ؛ وأن يَحْمِلَ إلى حضرة أمير المؤمنين من الفِئء والغنائم ما أَوْجَبَه

الله تعالى وفرضه ، من غير تأخير لما يجب تقديمه من ذلك ولا تقصير منه فيما يقتضى التلافي والإستدراك : ليأمر أمير المؤمنين بصرفه في سبيله المشار إليها ، ووجوه المنصوص عليها ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ .

ثم إن أمير المؤمنين آثر أن يضاعف له من الإحسان ، ما يقتضيه مقامه لديه من وجيه الرتبة والمكان ، وشرفه بما يرُقُّل من حلاه في حُلِّ الجلال ، وتكفُّل له علاه ببلوغ منتهى الآمال ؛ وبوَاه بما أولاه محلاً تقصُر عن الوصول إليه الأقدام ، وتُعجز عن حلِّ عُراه الأيام ؛ ولقَّبه بكذا ، وأذِنَ له في تَكْنِيته عن حضرتة ، وتأهيله من ذلك لما يتجاوز قدرُ أُمْنِيَّتِهِ ؛ إنافةً به على مَنْ هو في مُسَاجَلَتِهِ من الأقران طالع ، وإضافةً للنعمة في ذلك إلى ما أَقْتَرَنَ بها فيما هو لشمْل الفخر عنده جامع ؛ وأنشد لواءً يلوى به إلى الطاعة أي الأعناق ، ويحوى به من العزِّ ما أنواره وافية الإشراف .

فَنَلَقَّ يَافِلَانُ هَذِهِ الصَّنِيعَةَ الْغَرَّاءَ ، وَالْمِنْحَةَ الَّتِي أَكْسَبَتْ زِنَادَكَ الْإِيرَاءَ ؛ بِالْإِسْتِشَارِ التَّامِ ، وَالْإِعْتَرافِ فِيهَا بِسَائِغِ الطُّولِ وَالْإِنْعَامِ ؛ وَأَشْعَ ذَكَرَ ذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ، وَأَنْتَهُ فِي الْإِبَانَةِ عَنْهُ إِلَى أَبْعَدِ أَمْدٍ ؛ وَاعْتَمَدَ مَكَاتِبَةَ حَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَتَمَسِّمًا ، وَمَنْ عَدَاهُ مُتَلَقِّبًا مُتَكَنِّيًا ؛ وَتَوَقَّرَ عَلَى شُكْرِ تَسْتِدْرُجِهِ صَوْبَ الْمَزِيدِ ، وَتَسْتَحِقُّ بِهِ الْخَاقَ الطَّرِيفَ مِنَ الْإِحْسَانِ بِالْبَلِيدِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، والْحِجَّةُ لَكَ وَعَلَيْكَ ؛ قَدْ أَوْضَحَ لَكَ [فيه] الصَّوَابَ ، وَأَدَّلَ بِهِ الْجَوَاحِ الصَّعَابَ ؛ وَحَبَاكَ مِنْهُ بِمَوْهَبَةِ كَفِيلَةٍ بِخَيْرِ الْبَدْءِ وَالْمَعَادِ ، وَفِيَّ فِيهَا

المُنَى بِسَابِقِ الضَّمَانِ وَالْمِيعَادِ ؛ وَضَمَّنَهُ مِنْ مَوَاعِظِهِ مَا هَدَى بِهِ إِلَى كُلِّ مَا لِحْنِي ثَمَرُهُ ،
وَعَدَا مَحْطِيًّا بِمَا تَرُوقُ أَوْضَاحُهُ فِي الْمَجْدِ وَغُرَرُهُ ؛ وَلَمْ يَأْكُلْ فِيهِ تَهْمَلًا يُكْسِبُكَ الْفَخْرُ
النَّامِي ، وَيَجْعَلُ ذِكْرَكَ زِينَةَ الْحَفَلِ وَالنَّادِي ؛ وَتَقْدِيمًا يُنْبِي عَمَّا خُصِصَتْ بِهِ مِنْ
الْمِنْحِ الْمُشْرِقَةِ اللَّالِي ، وَإِكْرَامًا يَنْبِي صَيْتُهُ عَلَى تَقْضَى الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي ؛ وَتَبْصِيرًا يَنْبِي
مِنْ فَلَاتِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيَرْتَقِي الْمُسْتَضَى بِأَنْوَارِهِ إِلَى دُرَى الْأَمْنِ مِنْ دَوَاعِي
الْعِتَارِ وَالزَّلَلِ ؛ فَأَصْبَحَ إِلَى مَا حَوَاهُ ، إِصْغَاءً الْفَائِزَ بِأَوْفَى الْحِظِّ ، وَتَدَبَّرَ خَوَاهُ ، النَّاطِقَ
بِقَضْلِ الْحَثِّ عَلَى الْهَدْيِ وَالْحَضِّ ؛ وَكَنْ لَأَوَامِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ مُحْتَذِيًا ، وَمِنْ
تَجَاوُزِ مُحْدُوْدِهِ فِي مَطَاوِيهِ مُحْتَمِيًا ؛ وَبِمَوَاعِظِهِ الصَّادِقَةِ مَعْتَبِرًا ، وَفِي الْعَمَلِ بِمَا قَارَنَ
الْحَقَّ مُسْتَبْصِرًا ، تَفَرُّزًا بِالْغَنَمِ الْأَكْبَرِ ، وَبِالسَّلَامَةِ فِي الْمَوْرِدِ وَالْمَصْدَرِ ؛ وَإِيَّاكَ وَأَعْتِمَادَ
مَا تُدْمُ فِيهِ مَكَاسِبُكَ ، فَإِنَّ لَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى مَوْقِفًا يَنَاقِشُكَ فِيهِ وَيَحَاسِبُكَ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَلَّدَكَ جَسِيمًا ، وَخَوَّلَكَ جَزِيلًا عَظِيمًا ؛ فَلَا تَنْسَ نَصِيحَكَ
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى غَدًا ، وَلَا تَجْعَلْ لِسُلْطَانِ الْهَوَى الْمُضِلِّ عَلَيْكَ يَدًا ؛ وَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكَ
الصَّوَابُ فِي بَعْضِ مَا أَنْتَ بِصَدَدِهِ ، أَوْ اعْتَرَضَ فِيهِ مِنَ الشُّبْهِ مَا يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
طَرِيقِ الرِّشَادِ وَجَدَدِهِ ؛ فَطَالِعْ حَضْرَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ، وَاسْتَنْجِدِ اللَّهَ فِي ذَلِكَ
بِأَسَدِّ رَأْيٍ وَأَصْوَبِهِ ؛ يُبَدِّلُكَ مِنَ الشَّكِّ يَقِينًا ، وَيُؤَدِّ لَكَ مَا يَغْدُو لِكُلِّ خَيْرِ صَمِينَا ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطريقة الثانية

(طريقةُ محقِّقِ المتأخِّرين ممَّن جرى على هذا المذهب : كالشيخ شهاب الدين

محمود الحلبي ، والمقرّر الشهابي بن فضل الله ، ومَن والاهم)

وهي أن يأتي في أثناء العهد بخطبة أو تحميدٍ على عادة المكاتبات ، وأن يذكر بعد صدر العهد حميداً أو صاف المعهود إليه ، ويُطَنَّب فيها ويُنثَى عليه بما يليق بمقامه . قال في " التعريف " : « على نحو ما تقدّم في عهود الخلفاء عن الخلفاء . قال في " التنقيف " : وصورته أن يُكتب :

« هذا ما عهد به عبدُ الله وولِيه أميرُ المؤمنين المتوكِّل على الله (مثلاً) أبو فلان فلان بن فلان ، إلى السيّد الأجلِّ الملكِ العالمِ العادلِ المؤيِّدِ المظفَّر المنصورِ المجاهدِ » ويذكر اللقب هنا ، مثل الناصر أو الكامل أو غيره « فلان الدنيا والدين ، فلان ، ابن السلطان السعيد الشهيد الملك الفلاني خلد الله تعالى ملكه .

أما بعد ، فإنَّ أمير المؤمنين يحمِّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، ويصلِّي على ابن عمِّه سيدنا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم » ويكمل الخطبة بما أمكنه . ثم يقال : « عهد إليه وقلَّده جميعَ ما هو مُقلَّده من مصالح الأئمة وصالح الخلق ، بعد أن استخار الله تعالى في ذلك ، ومكثَ مدَّةً يتدبَّر هذا الأمرَ ويرَوِّى فكره فيه وخاطرَه ، ويستشيرُ أهلَ الرأي والنظر ، فلم يَرَأَوْفَقْ منه لأُمور الأئمة ومُصالح الدنيا والدين » . ومن هذا وشبهه . ثم يقال : « وإن المعهود له قَبِلَ ذلك منه » ويأتي فيه بما يليق من محاسن العبارة وأجناس الكلام .

قلت : وقد يُؤتَى بعد «أما بعد» بخطبة ، مثل أن يقال : «أما بعدُ فالحمد لله» ونحو ذلك ، ويكمل الخطبة بما يليق بالمقام . ثم قد يقتصر على تحميدة واحدة ،

وقد يكره إلى ثلاث ، وإن شاء بلغ به سبعا . فقد قال في "التعريف" في الكلام على عهود الملوك للوك : إنه كُتب أكثر التحميد ، كان أدلّ على عظم النعمة . وقد يقال في آخره : « والاعتماد على الخط الفلاني (بقلب الخلافة) أعلاه حجة بمقتضاه أو «والخط الفلاني أعلاه حجة فيه » ونحو ذلك .

وعلى هذه الطريقة كتب الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي عهد الملك العادل « كتبنا » عن الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، ابن الإمام الذي استحضره الملك الظاهر بيبرس من بغداد وبايعه ، وهذه نسخته :

هذا عهد شريف في كتاب مرقوم يشهده المقربون ، ويفوضه آل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأئمة الأقربون . من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين ، وسليل الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، إلى السلطان الملك العادل زين الدنيا والدين « كتبنا المنصوري » أعز الله سلطانه .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي جعل له منك سلطانا نصيرا ، وأقام له بملكك على ما ولّاه من أمور خلقه عضدا وظهيرا ؛ وأتاك بما نهضت به من طاعته نِعْمًا ومُلْكًا كبيرا ، وخوّلك بإقامة ما وراء سريه من مصالح الإسلام بكلّ أرض منبرًا وسريًا ، وجاء بك لإعانتته على ما استخلفه الله فيه من أمور عباده على قدر وكان ربك قديرًا ، وجمع بك الأئمة بعد أن كاد يزيغ قلوب فريق منهم ،

(١) لم يذكر نسبه في الأصل . وفي ابن أبياس هو أحمد بن علي بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد ابن الخليفة المستظهر ابن الخليفة المتقي ابن محمد الذخيرة العباسي . وكذلك هو في خطط المقرئ إلا أنه قال أحمد بن أبي علي الحسن بن الخ . وأقام في الخلافة نيفا وأربعين سنة وتوفي سنة إحدى وسبعمائة وهو أول خلفاء بني العباس بمصر . وبمراجعة تاريخ كتبنا ولا حين يعلم أنهما كانا في زمنه وبالضرورة يكون هو العاهل فيها .

وَعَضْدُكَ لِإِقَامَةِ إِمَامَتِهِ بِأَوْلِيَاءِ دَوْلَتِكَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؛ وَخَصَّكَ بِأَنْصَارِ دِينِهِ الَّذِينَ نَهَضُوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَهُمْ نَازَهُونَ ، وَأَظْهَرَكَ عَلَى الَّذِينَ أَبْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ؛ وَأَصْطَفَاكَ لِإِقَامَةِ الدِّينِ وَقَدْ اخْتَلَفَتِ الْأَهْوَاءُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ ، وَلَمْ يَكْ شَعَثَ الْأُمَّةَ بَعْدَ الْإِضْطِرَابِ فَكَانَ مَوْقِفُكَ ثُمَّ مَوْقِفُ الصَّدِّيقِ يَوْمَ الرَّدِّ .

وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةً حَاسِمَةً بِأَمْرِهِ ، مُسْتَنْزِلَةً لَكَ بِالْإِخْلَاصِ مَلَائِكَةً تَأْيِيدُهُ وَأَعْوَانَ نَصْرُهُ ؛ مُسْتَرْهِفَةً بِهَا سَيْفَ عَزْمِكَ عَلَى مَنْ جَاهَرَ بِشِرْكِهِ وَحَارَبَهُ بِكُفْرِهِ ، مُعْتَصِمَةً بِتَوْفِيقِهِ فِي تَفْوِيزِهِ إِلَيْكَ أَمْرَ سِرِّهِ الَّذِي أَسْتَوْدَعَهُ فِي الْأُمَّةِ وَجْهَهُ ؛ وَيَصِلُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي أَسْتَخْرِجُهُ اللَّهُ مِنْ عُصْرِهِ وَذَوِيهِ ، وَشَرَّفَ بِهِ قَدْرَ جَدِّهِ بِقَوْلِهِ فِيهِ : « عَمَّ الرَّجُلُ صَنُؤُا بِيهِ » وَأَسْرَأَ إِلَيْهِ بِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ قُتِحَ بِهِ وَيُحْتَمُّ بَيْنِيهِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ ، الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ، وَجَاهَدُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ الَّذِينَ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ سِرِّ النَّبَوَةِ ، وَأَسْتَوْدَعَهُ مِنْ أَحْكَامِ الْإِمَامَةِ الْمُورُوثَةِ عَنْ شَرَفِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ وَآخْتَصَّهُ مِنَ الطَّاعَةِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى الْأُمَمِ ، وَفَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ فِي الْأَخْصَصِ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَعْمِّ ؛ وَعَصَمَ آرَاءَهُ بِبَرَكَةِ آبَائِهِ مِنْ الْخَلَلِ ، وَجَعَلَ سَهْمَ أَجْتِهَادِهِ هُوَ الْمُصِيبَ أَبَدًا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ؛ وَكَانَ السَّلَاطَانَ فَلَانَهُ الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ بِهِ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ وَقَدْ كَادَتْ ، وَثَبَّتْ بِهِ الْأَرْضَ وَقَدْ اضْطَرَبَتْ بِالْأَهْوَاءِ وَمَادَتْ ؛ وَرَفَعَ بِهِ مَنَارَ الدِّينِ بَعْدَ أَنْ شَمَخَ الْكُفْرُ بِأَنْفِهِ ، وَأَلْفَ بِهِ شَمْلَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ طَمَحَ الْعُدُوُّ إِلَى آفْتِرَاقِهِ وَطَمَعَ فِي خُلْفِهِ ، وَحَفِظَ بِهِ فِي الْجِهَادِ حُكْمَ

الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ وحى به المالك الإسلامية فما شام الكفر منها برق نغرا إلا رعى من وباله بوابل ، ولا أطلق عنان طرفه إلى الأطراف إلا وقع من سطوات جنوده في كفة حابل ؛ ولا أطمأنوا في بلادهم إلا أتتهم سراياه من حيث لم يرتقبوا ، ولا ظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله إلا وآتهم بجنوده من حيث لم يحتسبوا ؛ وألف جيوش الإسلام فأصبحت على الأعداء يمينه يداً واحده ، وقام بأمور الأمة فأمنت عيون الرعايا باستيقاظ سيوفه في مهاد الأمن راقده ؛ وأقام منار الشريعة المطهرة فهي حاكمة له وعليه ، نافذة أمرها على أمره فيما وضع الله مقاليد في يديه ؛ ونصره الله في مواطن كثيرة ، وأعانه على من أضمر له الشقاق والصلاة وإنها لكيرة ؛ وأظهره بمن بغى عليه في يومه بعد حلمه عنه في أمسه ، وأيده على الذين خانوا عهده ويد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ؛ وتعين للملك الإسلام فلم يك يصلح إلا له ، واختاره الله لذلك فبلغ به الدين أماله ؛ وضعع بملكه عمود الشرك وأماله ، وأعاد بسلطانه على الممالك بهجتاً وعلى الملك رونقه وجلاله ؛ وأخدمه النصر فما أضمر له أحد سوءاً إلا وزلزل أقدامه وعجل وباله ، وردّه إليه وقد جعل من الرغب قيوده ومن الذعر أغلاله ، وأوطأ جواده هام أعدائه وإن أنف أن تكون نعاله .

عهد إليه حينئذ مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين في كل ماوراء خلافته المقدسه ، وجميع ما اقتضته أحكام إمامته التي هي على التقوى مؤسسه : من إقامة شعار الملك الذي جمع الله الإسلام عليه ، وظهور أبهة السلطنة التي ألقى الله وأمر المؤمنين مقاليدها إليه ؛ ومن الحكم الخاص والعام ، في سائر ممالك الإسلام ، وفي كل ما تقتضيه أحكام شريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ وفي خزان الأموال وإنفاقها ، وملك الرقاب وإعتاقها ، وأعتقال الجنّة وإطلاقها ؛ وفي كل

ماهو في يَدِ الْمِلَّةِ الإسلامية أَوْ يَفْتَحُهُ اللهُ بِيَدِهِ عَلَيْهَا ، وفي جميع ما هو من ضَوَالِّ
 الممالك الإسلامية التي سَرَّجَعُها اللهُ بِجَهَادِهِ إِلَيْهَا ؛ وفي تقليد الملوك والوزراء ، وتَقْدِمة
 الجيوش وتأمير الأمراء ؛ وفي الأمصار يُقَرَّبُ بها مَنْ شاء من الجنود ، ويبيحُ إليها
 ومنها ما شاء من البُعوث والحشود ؛ ويحكمُ في أمرها بما أمر الله من الذَّبِّ عن
 حريمها ، ويتحكم بالعدل الذي رَسَمَ اللهُ به لظاعنِها ومقيمِها ؛ وفي تقديم حديثها
 وأستحداثِ قديمِها ، وتشييد ثغورها ، وإمضاء ما عرَّفَه اللهُ به وجهلَه سواه من
 أمورها ؛ وإقرار من شاء من حُكَّامها ، وإمضاء ما شاء من إتقان القواعد بالعدل
 وإحكامِها ؛ وفي إقطاع خواصِّها ، واقتلاع ما اقتضته المصلحة من عمائرِها وعمارة
 ما شاء من قلاعِها ؛ وفي إقامة الجهاد بنفسه الشريفة وكُتَّابِه ، ولقاء الأعداء كيف شاء
 من [تسيير] سراياه وبعث مواليكهِ ؛ وفي مضايقة العدو وحصاره ، ومصابرته وإنظاره ،
 وغزوه كيف أراه اللهُ في أطراف بلاده وفي عُقر داره ؛ وفي المنّ والفداء والإرفاق ،
 وضرب المُدن التي تسأَلُ العدا وهي خاضعة الأعناق ؛ وأخذ مجاورى العدو
 المخدول بما أراه اللهُ من النكاية إذا أمكن من نواصِيهم ، وحُكم عفوهِ في طائعهم
 وبأسِهِ في عاصِيهم ، وإنزال الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصِيهم .
 وفي الجيوش التي أَلِفَ الأعداءُ فَتَكَاتِ الوُفْها ، وعرفوا أن أرواحهم ودائعُ سيوفها ؛
 وصَبَحَتهم سرايا رُعبها المبنوثة إلیهم ، وتركهم خوفُها كأنهم حُشْبُ مُسَنَدَةٍ يَحْسِبُونَ
 كُلَّ صَنِيعَةٍ عَلَيْهِمْ ؛ وهم الذين ضاقتْ بمواكبهم إلى العدا سعةُ الفَجَّاج ، وقاسمتْ
 رماحهم الأعداءُ شَرَقِسمَةً فَنَى أَيْدِيهم كَعُوبُها وفي صُدُور أولئك الزَّجاج ، وأذهبتْ
 عن الثغور الإسلامية رجسَ الكُفْرِ وطَهَّرت من ذلك ما جاور العَذْبَ الفُرات
 والملح الأجاج ؛ وعُرفوا في الحروب بتسرع الإقدام ، وثبات الأقدام ، وأدناهم اللهُ

لَأَيَّامِهِ الشَّرِيفَةِ أَنْ تَرُدَّهَا بِهِمْ دَارَ السَّلَامِ إِلَى مُلْكِ الْإِسْلَامِ : فَيُدِّرَ عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ مِنْ
إِنْعَامِهِ الَّذِي يُوَكِّدُ طَاعَتَهُمْ ، وَيَجِدُّدُ اسْتِطَاعَتَهُمْ ؛ وَيَضَاعِفُ أَعْدَادَهُمْ ، وَيَجْعَلُ
بَصَفَاءَ النَّيِّاتِ مَلَائِكَةَ اللَّهِ أُمْدَادَهُمْ ؛ وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى الثَّبَاتِ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
زَحْفًا ، وَيَجْعَلُهُمْ فِي التَّعَاوُذِ عَلَى اللَّقَاءِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِهِ صَفًّا . وَفِي أَمْرِ الشَّرْعِ وَتَوَلِيَةِ قُضَاتِهِ وَحُكْمِهِ ، وَإِمْضَاءِ مَا قَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى الْأُمَّةِ مِنَ الْوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ وَ^(١)
فِي أَرْضِهِ ، وَحُبْلِهِ الْمَتِينِ الَّذِي لَا تَقْضُ لِإِبْرَامِهِ وَلَا لِإِبْرَامَ لِنَفْسِهِ ، وَسَنَنْ نَبِيَّهِ الَّذِي
لَا حَظَّ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْإِسْلَامِ لِغَيْرِ مَتَمَسِّكَ بِسُنَّتِهِ وَفَرْضِهِ ؛ وَهُوَ - أَعَزَّ اللَّهُ سُلْطَانَهُ -
سَيُفِّ اللَّهُ الْمَشْهُورُ عَلَى الَّذِينَ غَدَوْا وَهُمْ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ مَارْقُونَ ، وَيُدْهِ الْمَبْسُوطَةُ
فِي إِمْضَاءِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .
وَفِي مَصَالِحِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَثَالِثِهِمَا الَّذِي تُشَدُّ أَيْضًا إِلَيْهِ الرِّحَالُ . وَإِقَامَةِ سَبِيلِ
الْحَجَّاجِ الَّذِينَ يَفْعُدُونَ عَلَى اللَّهِ بِمَا مَنَحَهُمْ مِنْ بَرٍّ وَعِنَايَتِهِ فِي الْإِقَامَةِ وَالْإِرْتِحَالِ .^(٢)
وَفِي عِمَارَةِ الْبُيُوتِ الَّتِي أَدْنَى اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُلُوِّ
وَالْأَصَالِ رِجَالًا ؛ وَفِي إِقَامَةِ الْخُطْبِ عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَأَقْتِرَانِ أَسْمِهِ الشَّرِيفِ مَعَ أَسْمِهِ بَيْنَ
كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ ، وَالْإِقْتِصَارِ عَلَى هَذِهِ التَّنْيَةِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ فَإِنَّ الْقَائِلَ بِالتَّنْيَةِ
كَافِرٌ ؛ وَفِي سَائِرِ مَا تَشْمَلُهُ الْمَمَالِكُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَمَنْ تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَبُعْدًا
وَقُرْبًا ؛ وَبَرًّا وَبَحْرًا ، وَشَامًا وَمِصْرًا ؛ وَحِجَازًا وَيَمَنًا ، وَمَنْ يَسْتَقِرُّ بِذَلِكَ إِقَامَةً وَطَعْنًا .
وَفَوْضَ إِلَيْهِ ذَلِكَ جَمِيعَهُ وَكُلَّ مَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ خِلَافَتِهِ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ ، مَا ذَكَرَ وَمَا لَمْ يَذَكَرْ

(١) التَّهَبُّ مِنْ مَعَانِيهِ الْغَارَةِ أَيْ تَرْدُ غَارَاتِهِمْ دَارَ الْخِ وَفِي الْأَصْلِ يَرُدُّهَا بِهِمْ . تَأْمَلْ .

(٢) بِيَاضٍ بِالْأَصْلِ وَلَعَلَّهَا « وَالْمَشَى » مَعَ الْخِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ أَوْضَحَهُمْ . تَأْمَلْ .

في ذلك ، ولا فَسَّحَ لأحد غيره في أقطار الأرض أن يُدعى بِمَلِكٍ ولا مَالِكٍ ، بل بَسَطَ حُكْمَهُ وتَحَكَّمَهُ في شَرْقِ الأرضِ وغَرْبِهَا وما بينَ ذلك ؛ وقد فرض طاعته على سائر الأمم ، وحَكَمَ بوجوبها على الخاص والعام ومن ينقض حُكْمَ الحاكم إذا حَكَمَ ؛ وهو يعلم أن الله تعالى قد أودع مولانا السلطان سِرًّا يُسْتَضَاءُ بأنواره ، ويهتدى في مصالح المُلْكِ والممالكِ بَمَنَارِهِ ، فجعل له أن يفعل في ذلك كل ما هدى الله قلبه إليه ، وبعثه بالتأييد الإلهي عليه ؛ وآكتفى عن الوصايا بأن الله تعالى تكفل له بالتأييد ، وخصه من كل خير بالمزيد ؛ وجعل خُلُقَهُ التقوى وكل خير فرع عليها ، ونور بصيرته بالهدى فما يدل على حسنة من أمور الدنيا والآخرة إلا وهو السابق إليها ؛ والله تعالى يجعل أيامه مؤرخة بالفتوح ، ويؤيده بالملائكة والروح ، على من يدعى الأب والابن والروح ؛ ويجعل أسباب النصر معقودة بسببه ، والمُلْكُ كلمة باقية في عقبه .

ويشهد بهذا العهد الشريف مع من شهد من الملائكة المقربين ، كل من حضر تلاوته من سائر الناس أجمعين : لتكون حجة الله على خلقه أسبق ، وعهد أمير المؤمنين بثبوتِه أوثق ؛ وطاعة سلطان الأرض قد زادها الله على خلقه بذلك توكيدا ، وشهد [الله] وملائكته على الخلق بذلك وكفى بالله شهيدا . والاعتماد على الخط الحاكمي أعلاه حجة به ، إن شاء الله تعالى .



وعلى نحو ذلك كتب الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي عهد الملك المنصور « حسام الدين لاجين » عن الخليفة الحاكم بأمر الله بن أبي الربيع سليمان المتقدم ذكره . وهذه نسخته :

(١) الذي في التواريخ أن الحاكم بأمر الله الذي بايع له الظاهر بيبرس طالت مدته الى أيام حسام الدين لاجين وأما الحاكم بأمر الله بن أبي الربيع فهو ابن ابنه تأمل .

هذا عهد شريف تشهد به الأملاك لأشرف الملوك، وتسلك فيه من قواعد العهود المقدسة أحسن السلوك؛ من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، للسلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين؛ أبي الفتح لاجين المنصوري، أعز الله سلطانه .

أما بعد ، فالحمد لله مؤتي الملك من يشاء من عباده ، ومُعطي النصر من يُجاهد فيه حق جهاده ؛ ومُرهِف حُسام انتقامه على من جاهر بعباده ، ومفوض أمر هذا الخلق إلى من أودعه سر رأفته في محبته ومراد نِقْمته في مُرادِه ؛ وجامع كلمة الإيمان بمن آجباه لإقامة دينه وأرضاه لرفع عَماده ، ومُقتر الحق في يد من منع سيفه المجتد في سبيل الله أن يقر في أعْماده ؛ وناصر من لم تزل كلمة الفتوح مستكنة في صدور سيوفه جارية على ألسنة صِغاده ، وجاعل مُلك الإسلام من حقوق من إذا عدَّ أهل الأرض على اجتماعهم كان هو المتعين على أنفرادِه ؛ الذي شرف أسرة مُلك الإسلام باستيلاء حُسام دينه عليها ، وزلزل ممالك أعدائه بما بعث من سرايا رعيه إليها ؛ وثبت به أركان الأرض التي ستحتوي مُلكه في طرفيها ، وضعَّع بسلطانه قواعد مُلوك الكُفر فودَّعت ما كان مُودعا لأيامه من ممالك الإسلام في يديها ؛ وأقامه وليه بأمره فلم يختلف عليه آثان من خلقه ، وقلده أمر بريته لما أفدّره عليه من الثُهور بحَقِّهم وحقه ؛ وأظهره على من نصب له الغوائل والله غالب على أمره ، ونصره في مواطن كثيرة لما قدّره في القِدم من رفعة شأنه واعتلاء قدره ؛ وجعل عدوه وإن أعرض عن طلبه بجيوش الرعب محصورا ، وكفاه بنصره على الأعداء التوغل في سفك الدماء فلم يسرف في القتل إنّه كان منصورا ؛ ونقل إليه الملك بسيفه والدماء مَصُونه ، وحكمه فيما كان بيد غيره من الأرض والبلاد آمنة والفتن مأمونه ؛ فكان أمر من ذهب سحابة صيف ، أو جلسة ضيف ؛ لم تحل له روعة في القلوب ،

ولم يُدْعِرْها - وقد ألبسه الله ما نزع عن سواه - سالب ولا مسلوب، إجراء لهذه الأمة على عوائد فضله العيم، واختصاصا بما آتاه من ملكه ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾ .

يحمده أمير المؤمنين على ما منح في أيامه الدين من اعتضاده بحسامه، والاعتماد في ملك المسلمين على من يجعل جباه ملوك الشرك تحت أقدامه، والاعتداد بمساعي من حصونه في الجهاد ظهور جياده وقصوره أطراف حسامه .

ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حاكم بما أراه، حامد له في ملك الإسلام على تيسر ما وطده ورفع ما عراه، معتمص به في كل ما أثبت به الحق من قواعد الدين في جهاد أعداء الدين عن سيرة في ذلك وسراه؛ وأن محمدا عبده ورسوله الذي جعله من عصيته الشريفة وعصيته، وشرفه بوراثته خلافة في أمته [ورفع] قدر رتبته، وقصره على إقامة من يرهب العدا بنشر دعوته في الآفاق مع مواقع رغبته؛ ويسأله أن يصلي عليه صلاة تفتح له في الدنيا إلى العظمة طريقا، وتجعله في الأخرى معه ومع الذين أنعم الله عليهم من آباءه الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا؛ وسلم تسليما كثيرا .

وإن أمير المؤمنين لما اختصه الله به من البر المودع في قلبه، والنور الذي أصبح فيه على بينة من ربه؛ والتأييد المتقل إليه عمن شرف بقربه، والنص الذي أسره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جده العباس من بقاء هذا الأمر في ورثته دون أقاربه وصحبه؛ لم يزل يرغب إلى الله سبحانه ويستخير في إقامة من ينهض في ملك الإسلام حق النهوض، ويفوض إليه الأمانة^(٢) إلى من يرى أداء الأمانة فيهم من

(١) أى جعل الله الخليفة من عصبة النبي الخ فتنه .

(٢) لعله من يرى . تأمل

أَكَّدَ الْفُرُوضَ ؛ وَمَنْ إِذَا قَالَ الْغَفِيرُ يَا خَيْلَ اللَّهِ أَرَكِي سَابِقَتْ خَيْلُهُ خَيْالَهُ ، وَجَازَتْ عِزَّتُهُ نِصَالَهُ ؛ وَأَخَذَ عَدُوَّ الدِّينِ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَغَالَبَ سَيْفُهُ الْأَجَلَ عَلَى اتِّزَاعِ رُوحِهِ مِنْ بَدَنِهِ ؛ وَقَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَجَاهَدَ لِإِقَامَةِ مَنَارِ الْإِسْلَامِ لَا لِلتَّعَرُّضِ إِلَى عَرَضِ الدُّنْيَا ؛ وَقَدِّمَتْ لَهُ مَلُوكُ الدُّنْيَا حُصُونَهَا ، وَبَذَلَتْ لَهُ مَعَ الطَّاعَةِ مَصُونَهَا ؛ وَأَقِيمَ لَهُ بِكُلِّ قُطْرٍ مَسْبَرٌ وَسَرِيرٌ ، وَجَمَعَ مَلُوكَ الْعِدَا فِي رِقِّ طَاعَتِهِ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ؛ وَمَنْ يُقِيمِ الْعَدَلَ عَلَى مَا شَرَعَ ، وَالشَّرْعَ عَلَى مَا أُخِذَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُمِّعَ ؛ وَيُمِيتِ الْبِدْعَ بِإِحْيَاءِ السُّنَنِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ خَلْقَهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَنَا وَلَا يَعْدِلُ بِهِمْ عَنْ ذَلِكَ السُّنَنِ .

وَمَا كَانَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حُسَامُ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ أَبُو الْفَتْحِ « لَاحِنِ الْمَنْصُورِي » - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ - هُوَ الَّذِي جَعَلَ [اللَّهُ] صَالِحَ الْأُمَّةِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَاخْتَارَهُ لِإِقَامَةِ دِينِهِ فَسَاقَ مُلْكُ الْإِسْلَامِ عَنُودَهُ إِلَيْهِ ؛ وَأَنْهَضَهُ بِذَلِكَ وَقَدْ أَمَدَّهُ بِجُنُودِ نَصْرِهِ ، وَأَنْزَلَ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَجَمَعَ قُلُوبَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى حُبِّهِ ؛ وَفَرَّقَ أَعْدَاءَ الدِّينِ خَوْفُ حَرْبِهِ ، وَجَعَلَ النَّصْرَ حَيْثُ تَوَجَّهَ مِنْ أَشْيَاخِهِ وَحَرْبِهِ ؛ وَعَصَّدَهُ لِنَصْرَةِ الْإِسْلَامِ بِمَلَائِكَةِ سَمَائِهِ ، وَأَقَامَ بِهِ عُمُودَ الدِّينِ الَّذِي بِالسَّيْفِ قَامَ وَلَا غُرُوَ فَإِنَّ الْحُسَامَ مِنْ أَسْمَائِهِ ؛ وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ طَوَائِفُ جُيُوشِ الْإِسْلَامِ مُدْعِينَ ، وَأَدَّى فِي كِرَامَتِهِمْ حُقُوقَ طَاعَةِ اللَّهِ الَّذِي أَيْدَهُ بَنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ، وَتَلَقَّاهُمْ بِشِيرِ كِرَامَتِهِ وَنِعْمِهِ وَقَالَ : ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ؛ فَطَارَتْ مُخَلَّقَاتُ الْبَشَائِرِ بِمُلْكِهِ فِي الْإِفَاقِ ، وَأَغْصَصَ الْعِدَا سُلْطَانَهُ فَمَا تَوَهَّمُوا فِي أَمْرِ الْإِسْلَامِ الْإِخْتِلَافَ حَتَّى تَحَقَّقُوا بِحَمْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَيَّامِهِ الْوِفَاقَ ؛ وَاخْتَالَتِ الْمَنَابِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِذِكْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذِكْرِهِ ، وَأَعْلَنَتِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَقْرَبَهُ الْحَقُّ فِي مَرَكَزِهِ وَرَدَّ بِهِ شَارِدَ

المُلك إلى وَكْرِهِ ؛ وَتَحَقَّقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ الْمَكُونُ فِي طَوِيَّتِهِ وَالْمُسْتَكْنُ فِي صَدْرِهِ ؛
وَالْقَائِمُ فِي عِمَارَةِ بَيْتِهِ النَّبَوِيِّ وَسَلَامَتِهِ مَقَامَ سَلْمَانِهِ وَعِمَارِهِ ، فَعَهْدَ إِلَيْهِ حَيْثُذُ فِي كُلِّ
مَا تَقْتَضِيهِ أَحْكَامُ إِمَامَتِهِ فِي أَمَةِ نَبِيِّهِ ، وَجَعَلَهُ فِي التَّصَرُّفِ الْمَطْلُوقِ عَنْهُ قَائِمًا مَقَامَ
وَصِيِّهِ فِي الْمَلَّةِ وَوَلِيِّهِ ؛ وَقَلَّدَهُ أَمْرَ مُلْكِ الْإِسْلَامِ تَقْلِيدًا عَامًّا ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ حُكْمَ
السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ تَفْوِيضًا تَامًّا ؛ وَأَلْبَسَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا خَلَعَهُ عَنْ سِوَاهُ ، وَنَشَرَ عَلَيْهِ
لِوَاءَ الْمُلْكِ الَّذِي زَوَى ظِلَّهُ عَنْ غَيْرِهِ وَطَوَاهُ ؛ وَحَكَّمَهُ فِي كُلِّ مَا تَقْتَضِيهِ خِلَافَتُهُ
الْمُقَدَّسَةِ ، وَتُمْنِيَةِ إِمَامَتِهِ الَّتِي هِيَ عَلَى التَّقْوَى مُؤَسَّسَةٌ : مِنْ إِقَامَةِ مَنَارِ الْإِسْلَامِ ،
وَالْحُكْمِ الْعَامِّ فِي أَمَةِ مَجْدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَفِي تَقْلِيدِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ ،
وَتَقْدِيمَةِ الْجِيُوشِ وَتَأْمِيرِ الْأُمَرَاءِ ؛ وَفِي تَجْهِيزِ الْعَسَاكِرِ وَالسَّرَايَا ، وَإِرْسَالِ الطَّلَائِعِ
وَالرَّيَايَا ، وَتَجْرِيدِ الْجُنُودِ الَّذِينَ مَا نَدَبَهُمْ إِلَى الْأَعْدَاءِ إِلَّا آيُوبُ الْبَلَاءِ وَالسَّبَابِيَا ؛
وَفِي غَزْوِ الْعَدُوِّ كَيْفَ أَرَاهُ اللَّهُ إِنْ شَاءَ بِنَفْسِهِ أَوْ جُنْدِهِ ، وَفِي آسْرِ سَالِ النَّصْرِ بِالثَّبَاتِ
وَالصَّبْرِ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الصَّابِرِينَ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ؛ وَفِي مُحَاصِرَةِ الْعَدُوِّ وَمُصَابَرَتِهِ ،
وِإِنْظَارِهِ وَمُنَاطَرَتِهِ ، وَإِنْزَالِهِمْ عَلَى مَا شَرَعَ اللَّهُ فِيهِمْ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَالتَّوَسُّعِ فِي ذَلِكَ
مَا حَكَّمَهُ بِهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي زَمَنِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَفِي ضَرْبِ
الْهُدُنِ وَإِمْضَائِهَا ، وَالْوَفَاءِ بِالْعُقُودِ الْمَشْرُوعَةِ إِلَى آتِنَاءِ مُدَّهَا وَأَقْتِضَائِهَا ، وَفِي إِرْضَاءِ
السُّيُوفِ مِنْ نَكْتٍ وَلَمْ يَتِمَّ عَهْدُهُ إِلَى مُدَّتِهِ فَإِنَّ إِسْخَاطَ الْكُفْرِ فِي إِرْضَائِهَا ؛ وَفِي الْأُمْصَارِ
يُقَرَّبُهَا مَنْ شَاءَ مِنَ الْجُنُودِ ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهَا مَنْ شَاءَ مِنَ الْبُعُوثِ وَالْحَشُودِ ؛ وَفِي سِدَادِ
الثُّغُورِ بِالرِّجَالِ الَّذِينَ تَقْتَرِبُهُمْ عَنْ شَدَبِ النَّصْرِ ، وَتَأْمَنُ بِهِمْ أَعْدَادُهَا مِنْ غَوَائِلِ
الْحَضَرِ ، وَتَوْفِيرِ سِهَامِهَا مِنْ سِهَامِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ؛ وَإِمْدَادِ بَحْرِهَا
بِالسَّوَانِي الْمَحْرُوبَةِ الْمَجْدُودَةِ ، وَالسُّفُنِ الَّتِي كَانَتْهَا الْقُصُورُ الْمَهْمُودَةُ عَلَى الصُّرُوحِ الْمُرْدَّةِ ؛
فَلَا تَزَالُ تَدْبُ إِلَىهِمْ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْجُلِ عَقَارِيهَا ، وَتَخْطِفُ غِرَابَهُمُ الطَّائِرَةُ بِأَجْنِحَةِ

الْقُلُوعِ مَخَالِبُهَا ، وَفِي تَقْدِيمَةِ وَتَنْفِيزِ السَّرَايَا الَّتِي لَا تَزَالُ أُسْتَنْهَى إِلَى نُحُورِ الْأَعْدَاءِ مُقَوِّمَهُ ، وَإِنْفَاقِ مَا يَرَاهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَلِيلِ الْمُسَوِّمَةِ ؛ وَفِي إِعْلَاءِ مَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَالْإِتْقَادِ إِلَيْهِ ، وَالْمَسَارَعَةِ إِلَى نَفُوذِ حُكْمِهِ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ ، وَتَقْوِيَةِ يَدِ حُكَّامِهِ عَلَى كُلِّ أَمِيرٍ وَمَأْمُورٍ أَقَرَّ الشَّرْعُ فِي يَدِهِ شَيْئًا أَوْ أَتَرَعَهُ مِنْ يَدَيْهِ ، وَتَفْوِضِ الْحُكْمِ إِلَى كُلِّ مَنْ يَتَعَيَّنُ لَذَلِكَ مِنْ أُمَّةِ الْأُمَمِ ، وَإِقَامَةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ عَلَى قَوَاعِدِهِ الْأَرْبَعَةِ فَإِنْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ حُجَّةً وَآخْتِلَفَهُمْ رَحْمَةً ؛ وَفِي مَصَالِحِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَثَالِثِهِمَا الَّذِي تُشَدُّ الرِّحَالُ أَيْضًا إِلَيْهِ ؛ وَفِي إِقَامَةِ سُبُلِ الْحَجَّاجِ الَّذِينَ دَعَاهُمُ اللَّهُ فَلَبَّوهُ وَاسْتَدْعَاهُمْ فَقَدِمُوا عَلَيْهِ ؛ وَفَوْضَ إِلَيْهِ كُلِّ مَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ خِلَافَتِهِ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ : مَا ذَكَرَ وَمَا لَمْ يُذَكَرْ ، تَفْوِضًا لِإِزْمَا ، وَتَقْلِيدًا جَازِمًا ، وَعَقْدًا مُحْكَمًا ، وَعَهْدًا فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مُحْكَمًا ، وَآكْتَفَى عَنِ الْوَصَايَا بِمَا جُبِلَ عَلَيْهِ خُلُقُهُ الشَّرِيفُ مِنَ التَّقْوَى ، وَهَدَى نَفْسَهُ النَفِيسَةَ إِلَيْهِ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالسَّنَدِ الْأَقْوَمِ وَالسَّبَبِ الْأَقْوَى ؛ فَمَا يُنَبِّهُ عَلَى حُسْنَةِ إِلَّا وَهُوَ أَسْبَقُ إِلَيْهَا ، وَلَا يُدَلُّ عَلَى خَلَّةٍ إِلَّا وَفِكْرُهُ الشَّرِيفُ أَسْرَعُ مِنْ فِكْرِ الدَّالِّ عَلَيْهَا ؛ وَقَدْ وَثِقَ بِبِرَاءَةِ الذِّمَّةِ مِنْ حَقِّ قَوْمٍ أَصْحَحُوا لِفَضْلِ مِثْلِهِ رَاجِينَ ، وَتَحَقَّقَ حُلُولُ النِّعْمَةِ عَلَى أُمَّةٍ أَمْسَوْا إِلَى « لَا حِينَ » لَا حِينَ ؛ وَقَدْ اسْتَخَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ كَثِيرًا ، وَجَلَّ إِلَى اللَّهِ فِي تَوْفِيقِهِ وَتَوْقِيفِهِ عَلَى الصَّوَابِ مِمَّا يَجِدُهُ فِي الْحُكْمِ بِذَلِكَ هَادِيًا وَنُصِيرًا ؛ وَسَارَعَ إِلَى التَّسْلِيمِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا فَوَّضَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ إِنَّهُ كَانَ بَعِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا . وَأَشْهَدَ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْعَهْدُ الْكَرِيمُ ، وَحَكَمَ عَلَى الْأُمَّةِ بِمَقْتَضَاهُ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . وَانْخَطَّ الشَّرِيفُ الْإِمَامِيُّ الْحَاكِمِيُّ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وعلى قريبٍ منه كتب القاضي شمس الدين إبراهيم بن القيسراني عهدَ
الملك الناصر «محمد بن قلاوون» عن الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان .
وهذه نسخته :

هذا عهدٌ يعمرُ بك للإسلام المعاهد ، وينصرُ منك الاعتزام فتغنى عن الموالى
والمعاضد ؛ ويُلقي إليك مقاليد الأمور : لتجتهدَ في مراضى الله وتجاهد ، ويعتُك على
العمل بالكتاب والسنة : ليكونا شاهدين لك عند الله في أعظم المشاهد ؛ نخذُ كتاب
أمير المؤمنين بقوة تبركا بأخذ يحيى عليه السلام للكتاب ، وحاسب نفسك محاسبة
تجدُ نفعها يوم يقوم الحساب ، وأعمل صالحا فالذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى
لهم وحسن ما ب .

من عبد الله وولَّيه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين :
إلى السلطان الأجل ، العالم ، العادل ، المجاهد ، الم رابط ، المظفر ، الملك ، الناصر ؛
ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ؛
فاتح الأمصار ، مبيد الأرمن والفرنج والتتار ؛ وارث الملك ، سلطان العرب والعجم
والترك ؛ خادم الحرمين ، صاحب القبلتين ؛ أبي الفتح محمد قسيم أمير المؤمنين
أعز الله سلطانه ، ولد السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، قدس
الله روحه .

أما بعد ، فالحمد لله الذى أقام ناصر الإسلام وأهله بخير ناصر ، وأحل في السلطنة
المعظمة من استحقها بذاته الشريفة وشرف العناصر ؛ ووضع الإضر بمن كثرت منه

وَمِنْ سَلَفِهِ الْكَرِيمِ عَلَى الرَّعَايَا الْأَوَاصِرِ، وَعَقَدَ لَوَاءَ الْمُلْكِ لِمَنْ هُوَ وَاحِدٌ فِي الْجُودِ أَلْفٌ فِي الْوَعْدِ، فَقِي حَالِيهِ تُعَقَّدُ عَلَيْهِ الْخَنَاصِرُ؛ وَجَمَعَ كَلِمَةَ الْأُمَّةِ بِمُتَفَرِّدٍ فِي الْمَعَالَى مُتَوَحِّدٍ فِي الْمَفَاحِرِ، مُتَّصِفٍ بِمَنَاقِبِ أَرْبِيٍّ بِهَا عَلَى أَرْبَابِهَا مِنَ الْمُلُوكِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ، وَأَقْرَبَ النُّوَاطِرِ وَالْخَوَاطِرِ بِنِ اشْرَاقِ عَلَيْهِمَا نُورُهُ الْبَاهِرِ، وَظَهَرَتْ آثَارُ وَجُودِهِ وَجُودِهِ عَلَى الْبَوَاطِنِ وَالظُّوَاهِرِ؛ وَأَعَادَ شَيْبَةَ الْأَيَّامِ فِي اقْتِبَالِ سَرِّ السَّرَائِرِ، وَسَارَتْ بِشَائِرِ مَقْدَمِهِ فِي الْآفَاقِ سَيْرَ الْمَثَلِ وَمَاطِنِكَ بِالْمَثَلِ السَّائِرِ، وَفَعَلَتْ مَهَابَتَهُ فِي التَّمْهِيدِ وَالتَّشْيِيدِ فَعَلَّ الْقَنَا الْمَتَشَايِرَ، وَشَفَّتِ الصُّدُورَ بِوُجُودِ الْإِتِّفَاقِ وَعَدَمِ الشَّقَاقِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرَ؛ وَأَوْرَثَ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ صَفْوَةَ ذُرِّيَّةٍ وَرَثُوا السِّيَادَةَ كَارِبًا عَنْ كَارِبِ، وَسَرَى سِرُّهُ إِذَا وَلَدَ الْمَوْلُودُ مِنْهُمْ تَهَلَّلَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَاهْتَرَّتْ إِلَيْهِ الْمَنَابِرُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَجْتَبَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَشْرَفِ بَيْتٍ وَقَبِيلَةٍ، وَمَنْحَ الْأُمَّةِ بَرَسَاتِهِ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْوَسِيلَةِ، وَأَوْجَبَ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لَهُ أَعْلَى دَرَجَةٍ لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَهِيَ الْوَسِيلَةُ؛ وَجَعَلَ شَمْلَهُمْ بِمَبَايِعَتِهِ وَمَتَابَعَتِهِ فِي الْهَدَايَةِ نَظْمًا، وَحَضَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وَبَلَّغَهُمْ بِهِ مِنَ السَّعَادَةِ غَايَةَ مَطْلُوبِهِمْ، وَأَيَّدَهُ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ؛ وَزَانَ شَرِيعَتَهُ الْمَطْهُرَةَ بِمَحَاسِنِ أَهْلِ مَنْظَرٍ وَتَحَبَّرَ مِنَ الْعُقُودِ، وَفَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْفُوا بِالْعُهُودِ وَالْعُقُودِ؛ وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى حَمْلِ الْأَمَانَةِ الَّتِي أَشْفَقَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ مِنْ حَمْلِهَا، وَأَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

والحمد لله الذى آختر أمير المؤمنين من سُلالة عم نبيه العباس ، وأصطفى بيته المبارك من خير أمة أخرجت للناس ؛ وقوى به جأش المسلمين وجيوش الموحدين على الملحين ، وآتاه بسيادة جده وسعادة جده ما لم يؤت أحداً من العالمين ؛ وحفظ به للمؤمنين ذمماً ، وجعله للثقلين إماماً ؛ وخصه بمزيد الشرفين : نسيه ومنصبه ، وجعل مزية الرتبين كلمة باقية في عقبه ؛ وصان به حوزة الدين صيانة العرين بالأسود ، وصير الأيدي البيض مشكورة لحاملي راياته السود .

يحمده أمير المؤمنين حمد من آختره من السماء فاستخلفه في الأرض ، وجعل إمرته على المؤمنين فرضاً لثقام به السنة والقرض ؛ ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى أسرى بعبد له ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ؛ ويشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى كشف بمبعثه عن القلوب حجب النى ، وأشرقت أنوار نبوته فأضاء لها يوم دخوله المدينة كل شئ ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أقامه في الإمامة مقامه وأشار إلى الاقتداء به من بعده ، ومنهم من أعز الله به الإسلام في كل قطر مع قرب به وبعبده ؛ ومنهم من كانت اليد الشريفة النبوية في بيعة الرضوان خيراً له من يده ، ومنهم من أمر الله تعالى بالمباهلة بالأبناء والنفس فباهل خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم به وبزوجه وولده ؛ وعلى بقية العشرة ، الذين غدت بهم دعوة الحق مشتهرة منتشرة ؛ وعلى عمه أسد الله وأسد رسوله عليه السلام ، وجد الأئمة المهديين أمراء المؤمنين وحلفاء الإسلام ، وسلم تسليماً كثيراً .

وإن الله تعالى جعل سجيّة الأيام الشريفة الإمامية الحاكمة أدام الله إشراقها ، وقسم بها بين الأولياء والأعداء آجالها وأرزاقها ؛ رد الحقوق إلى نصابها ، وإعادتها

إلى مستحقيها ولو تَمَدَّتْ الأيامُ على اغتصابها ، وإفراقها عند مَنْ هو دُونَ الوري
أولى بها : ليحَقِّقْ أَنَّ نسبَه الشريفَ أظهر على أوامِرِه دلائلُ الإنجاز ، وحلَّى كلماتها
بالإيجاز وهبائها بالإنجاز ؛ وإنَّ الله جعل الاسمَ الشريفَ الحاكي في الحكم بأمره
على خير مسمًى ، وقوى منه في تأييد كلمة الحقِّ جَنَانًا وعَزَمًا ، ولم يُخْرِجْ من
أحكامه عن اتِّباع أمر الله قضيَّةً ولا حُكْمًا ؛ وكنتَ أيها السيد ، العالم ، العادل ،
السلطان ، الملك ، الناصر ؛ ناصر الدنيا والدين ، أبو الفتح محمدُ ابنُ السلطان الشهيد
الملك المنصور ، سيف الدين قلاوون - قدس الله روحه - أولى الأولياء بالملك
الشريف : لما سَلَفَكَ من الحقوق ، وما أَسْلَفُوهُ من فضِّلٍ لا يحسن له التناسي
ولا العُقُوق ؛ ولِمَا أوجب لك على العساكر الإسلامية سابقُ الإيمان ، وصادقُ
الإيمان : ولأنك جمعتَ في المجدِّ بين طاريف وتاليد ، وقُفَّتْ بَرَكَةُ نَفْسٍ وأُخِجَ ووالد ؛
وجالَلَه ، ماورثتها عن كلاله ؛ وخِلَالَ ، ما لها بالسيادة إخلال ؛ ومفانِحِر ، تكاثر البحر
الزائِح ؛ وماثِر ، أعجزَ وصفُها الناظم والنائر ؛ وكان ركابُك العالی قد سارَ إلى الكرك
المحروس ، وقعدتْ عنك الأجسامُ وسافرتْ معك النفوس ؛ ووثقتْ الخواطرُ بأنَّك
إلى السلطنة تعود ، وأنَّ الله تعالى يجدد لك صعودًا إلى مراتب السُّعُود ؛ وأقمتَ بها
وَدِكرَكَ في الآفاق سائرًا ، والآمالُ مبشرةً بأنك إلى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِكَ صائر . فلمَّا احتَاجَ
الملكُ الشريف في هذه المدة إلى ملكٍ يسر سريره ، وسلطانٍ تغدو باستقراره عيونُ
الأنام والأيام قريره : لمَّا للمسلمين في ذلك من تيسير أوطار وتعمير أوطان ،
ولأنهم لا يَتَفَقَّدُونَ في المصالح الإسلامية إلا بسلطان ؛ لم يَدْرُ في الأذهان ، ولا خَطَرَ
لقاصٍ ولا دان ؛ إلا أنك أحقُّ الناس بالسلطنة الشريفة ، وأولاهم برُتبتها المُشِيفه ؛
ولا ذَكَرَ أَحَدٌ إلا حقوقَ بَنِيكَ وَفَضْلَهَا ، ولا قال عنكم إلا بقول الله : ﴿ وَكَانُوا أَحَقُّ
بِهَا وَأَهْلُهَا ﴾ : لأنَّ البلادَ فتوحاتٌ سيوفكم ، ورعاياها فيما هم فيه من الأمن والخير

بِمَنْزِلَةِ ضُيُوفِكُمْ ؛ وَلَئِنْ الْعَسَاكِرَ الْإِسْلَامِيَّةَ أَسْتَرْقَهُمْ وَلَاؤُكَ ، وَوَالُوكَ لَانْهَم أَرْقَاؤُكَ ؛
فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : أُنَى لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ؟ بَلْ أَفْتَرَكُلُّ مِنْهُمْ لَكَ بِالْيَدِ وَقَرَّ بَوْلَايَتِكَ عَيْنَا ؛
وَأَخْلَصُوا فِي مَوَالِيكَ الْعَقَائِدَ ، وَاسْتَبَشَرُوا مِنْكَ بِمُبَارَكِ الْوَجْهِ مَاجِدٍ جَائِدٍ ؛ وَلَمْ يَغِبْ
غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدَهُ الصَّاعِدَ ؛ وَرَفَعَتِ الْمَمَالِكُ يَدَ الضَّرَاعَةِ سَائِلَةً وَرَاغِبَةً ،
وَخَطَبَتِكَ لِعَقَائِلِهَا وَمَعَاقِلِهَا وَالْخُطْبَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ لَكَ خَاطِبَةٌ وَبَدْعَائِكَ مُحَاطِبَةٌ ؛
وَقَصَدْتَ لَذَلِكَ أَبْوَابَكَ الَّتِي لَا تَزَالُ تُقْصَدُ ، وَدُعِيتَ لِلْعُودِ الْمُبَارَكِ وَعُودُ مُحَمَّدٍ لِلْأُمَّةِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ أَحْمَدُ ؛ وَقَعَلْتَ الْجِيُوشَ الْمَنْصُورَةَ مِنْ طَاعَتِكَ كُلِّ مَاسَرٍّ ، وَأَرْبَتَ فِي صِدْقِ
النِّيَّاتِ وَبِرِّهَا عَلَى كُلِّ مَنْ بَرَّ :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا * فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ !

فَمَا ضَرَّ بِحَمْدِ اللَّهِ بَعْدَ الدَّارِ وَالْأَمَالِ بِسَاكِنِهَا مُطِيفُهُ ، بَلْ كَانَ لَكَ الذِّكْرُ فِي قَلْبِ
الْخَلِيفَةِ نِعَمَ الْخَلِيفَةِ ؛ وَكَنتَ لَدَيْهِ - وَإِنْ غَبْتَ - حَاضِرًا بِجَمِيلِ الذِّكْرِ ، وَنَأَيْتَ دَارَا
فَقَرَّبَكَ إِلَيْهِ حُسْنَ التَّصْوِيرِ فِي الْفِكْرِ . وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ شَاهَدَكَ يَافِعًا ، وَشَهِدَ
خَاطِرُهُ أَنْ سَتَصِيرُ لِلْمُسْلِمِينَ نَافِعًا ؛ وَتَأَمَّلْ مِنْكَ أَمَائِرَ أَضْحَى لَهَا لَتَرْقِيكَ آمِلًا ، وَهَلَا لَا
دَلَّتْهُ كِرَامَتُهُ - وَلَا تُتَكَرَّ الْكِرَامَةُ - عَلَى أَنْ سَيَكُونُ بِدْرًا كَامِلًا ؛ وَبَلَغَهُ عَنْكَ مِنَ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ ، مَا عَجَزَ وَصْفُهُ بِلَاغَتِي الْقَلَمِ وَاللِّسَانِ ؛ فَذَاكَ نِدَاءَهُ عَلَى بَعْدِ الْمَزَارِ ،
وَلَمْ يَجِدْ لَكَ نَظِيرًا فَأَطَالَ وَأَطَابَ لِمُقَدِّمِكَ السَّعِيدِ الْإِنْتَظَارَ ؛ إِلَى أَنْفِ أَقْدَمْتَ
إِقْدَامَ اللَّيْثِ ، وَقَدِمْتَ إِلَى الْبِلَادِ الْمُتَعَطِّشَةِ إِلَى نَظَرِكَ الشَّرِيفِ قُدُومَ الْغَيْثِ ؛
فَلَاحَ بِكَ عَلَى الْوُجُودِ دَلِيلُ الْفَلَاحِ ، وَحَمِدَ الرِّعَايَا سُرَّكَ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْإِسْتِصْبَاحِ ؛
وَشَاهَدُوا مِنْكَ أَسَدًا فَاقَ بَوَاشِيَتِهِ وَتَبَاتِهِ الْأَوَّلَ ، وَشَخْصًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِإِدَالَةِ دَوْلٍ
وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمُشْلِهِ الدَّوْلَ ؛ وَقَامَتْ بِاخْتِبَارِكَ عَلَى اخْتِيَارِكَ الدَّلَائِلُ ، وَعَمَرَكَ

سريرُ الملوك وعرفَ فيك من أبيك شمائل ؛ ورأى أمير المؤمنين من نجاتك فوق
 ما أخبرت به مسألة الرُكبان ، ومن مهابتك مادل على خفض الشاني ورفع الشان ؛
 ومن محامدك كل ما صغر الخبر عنها الخبر ، وأعلنت السنة الأقدار بأنه لم يبق
 عن تقليدك الممالك الإسلامية بحمد الله تعالى عذر ؛ فاختارك على علم على العالمين ،
 واجتباك للذب عن الإسلام والمسلمين ؛ واستخار الله تعالى في ذلك فخار ، وأفاض
 عليك من بيعته المباركة مع تفرك المشتبه حلل الفخار ، وعهد إليك في كل ما آشتلت
 عليه دعوة إمامته المعظمة ، وأحكام خلافته التي لم تزل بها عقود الممالك في الطاعة
 منظمه ، وفوض إليك سلطنة الممالك الإسلامية برا وبحرا ، شاماً ومضراً ، قرباً
 وبُعداً ، غوراً ونجداً ؛ وما سيفتحه الله عليك من البلاد ، وتستقده من أيدي
 ذوى الإلحاد ؛ وتقليد الملوك والوزراء ، وقضاة الحكم العزيز وتأمير الأمراء ؛ وتجهيز
 العساكر والبُعوث للجهاد في سبيل الله ومحاربة من ترى محاربة من الأعداء ،
 ومهادنة من ترى مهادنته منهم ؛ وجعل إليك في ذلك كله العقد والحل ، والإبرام
 والنقض والولاية والعزل ؛ وقلدك ذلك كله تقليدا يقوم في تسليم الممالك إليك مقام
 الإقليد ، ويقضى لقرييها وبعيدها بمشيئة الله تعالى بمزيد التمهيد والتشديد : لتعلم أن
 الله قد جعل الأيام الشريفة الحاكمة - أدامها الله تعالى - فلما أبدى سالفاً من
 البيت الشريف المنصوري أقماراً ، وأطلع منهم أنفاً بذكراً ملاً الخافقين أنواراً ؛ فكلما
 ظهرت لسلفه ما أثربدت ما أثر خلفه أظهر ، ومن شاهدهم وشاهد شمس سعاده
 المنزهة عن الأقول قال هذا أكبر ؛ وكلما ذكر لأحدهم فضل علم أنه في أيامه
 مترّد ، وأنه إن مضى منهم سيّد في سبيله ، فقد قام بأطراف الأئمة منهم سيّد ؛
 وصير الدولة الشريفة الخليفة غائباً إن غاب منهم أسود ، خلفهم شبل بشرت
 محاييله أنه عليها يسود .

فَلْيَتَقَلَّدِ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرَ مَا قَلَّدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلْيَكُنْ لِدَعْوَتِهِ الْهَادِيَّةُ مِنَ الْمُبَلِّغِينَ وَعَلَيْهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَلْيَتَرَقَّ إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي آسَتْحَقَّهَا بِحَسَبِهِ ، وَأَسْتَرْقَهَا بِنَسَبِهِ ؛ وَلْيَبَاشِرْهَا مُسْتَبَشِرًا ، وَيُظْهِرْ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا مَا يَغْدُو بِهِ مُسْتَظْهِرًا ؛ فَقَدْ أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِيَامَ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ الْحَنِيفِ فَأَقَامَكَ أَنْتَ مَقَامَهُ ، وَصَرَفَ بَكَ بَيْنَ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالْعِصْيَانِ إِكْرَامَهُ وَأَنْتَقَامَهُ ؛ رَعِيًّا لِعَهْدِ سَلَفِكَ الْكَرِيمِ ، وَلَمَّا آسَتْوَجَبَتْهُ نَفْسُكَ النَفِيسَةُ مِنْ وَفُورِ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ ؛ وَعِنَايَةً بِالْعَسَاكِرِ الْمُؤَيَّدَةِ الَّذِينَ وَجَّهُوا وَجُوهَ مَا لَمْ إِلَيْكَ ، وَأَبَتْ كَلِمَتُهُمْ الَّتِي صَانَهَا اللَّهُ عَنِ التَّفَرُّقِ أَنْ تَجْتَمَعَ فِي الطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ إِلَّا عَلَيْكَ وَلَدَيْكَ ؛ وَمِنَّةً عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ مَابَرِحُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى يَطْلُبُونَهُ ، وَمَلِكٍ نَشَّوْا بِأَبْوَابِهِ الْعَالِيَةِ فَلِهَذَا يُجِبُّهُمْ وَيُجِيبُونَهُ .

فَاخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَ لَكَ فِي إِعَادَةِ الْمُلْكِ أَسْوَدَ بَسْلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَدَّهُ إِلَيْكَ رَدًّا لَا أَنْفِصَالَ لِعُرْوَتِهِ وَلَا أَنْفِصَامَ ؛ فَأَضْحَيْتَ لِأُمُورِ عِبَادِهِ سَدَادًا ، وَلِثَغُورِ بِلَادِهِ سِدَادًا ؛ وَلِلْخَلِيفَةِ عَضُدًا فِي الْخَلِيقَةِ ، وَفِي الدَّهْرِ سَامِي الْحَقِيقَةِ حَامِي الْحَقِيقَةِ ؛ وَلِلْمُلْكِ وَارثًا ، وَرَقَّاقًا رُقِيًّا أَصْبَحَتْ بِهِ فِي السُّلْطَانَةِ وَاحِدًا وَلِلْخَلِيفَةِ الْمَعْظَمَةِ ثَانِيًا وَلِلْقَمَرِينَ ثَالِثًا .

وَبُشْرَاكَ ! أَنَّ اللَّهَ أَبْرَمَ سَبَبَ تَأْيِيدِكَ إِبْرَامًا لَا تَصِلُ الْأَيْدِي إِلَى نَقْضِهِ ، وَأَنَّكَ سَأَلْتَ عَنْ أَمْرِ طَالَمَا أَتَعَبَ غَيْرُكَ سُؤَالُهُ فِي بَعْضِهِ ؛ وَأَنَّ اللَّهَ يُحْسِنُ لَكَ الْعَوْنَ وَبِكَ الصَّوْنُ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سُمْرَةَ ! لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلْتَ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أَعْنَتْ عَلَيْهَا “ .

وبشراك ! أن أمير المؤمنين خَصَّكَ بمزيد الاعتناء ، وأقامك مُقَامَه في حُسْن
 العناء ، وحقَّق أنَّ السعادة في أيامه موصولةٌ منكم بالآباء والأبناء ؛ وبلغك بهذا
 التقليد الشريف الأمانى ، وتَوَجَّهَ بيمين قريبة عهد باستلام الركن اليماني ؛
 وأصطفاك بقلب أظهر له الكُشُوف إشراف تلك السُّتُور ، وغداً مغموراً بالهداية
 ببركة البيت المعمور ، ونظير زادته مشاهدة الحرم الشريف النبوي نوراً على نور ؛
 فقابل ذلك بالقيام في مِهْمَات الإسلام ، وتدقيق النظر في مصالح الخاص والعام ؛
 واجتهد في صيانة الممالك اجتهداً يحرس منها الأوساط والأطراف ، وتنظم به
 أحوالها أجل انتظام وتأليف أجل أثلاف .

والوصايا كثيرةٌ وأولاهما تقوى الله : فليجعلها حلية لأوقاته ، ويحافظ عليها
 محافظة من يتقيه حق ثباته ؛ ويتخذها نجى فكره وأيس قلبه ، ويعظم حرّمات الله :
 ﴿ وَمَنْ يَعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ .

والشرع الشريف فهو لعقد الإسلام نظام ، وللدين القيم قوام ؛ فتجهد
 في آقتفاء سننه ، والعمل بمفروضه وسننه ؛ وتكريم أهله وقضاياه ، والتوسل بذلك
 إلى الله في ابتغاء مرضاته .

وأمرأء دولتك فهم أنصار سلفك الصالح ، وذوو النصائح فيما آثروه من المصالح ؛
 وخُلَصَاء طاعتهم في السر والنجوى ، وأعوانهم على البر والتقوى ؛ وهم الذين أحلّهم
 والدك من العناية المحلّ الأسنى ، والذين سبقَتْ لهم بحسن الطاعة من الله الحُسنى ؛
 ولو لم يكن لهم إلا حُسْنُ الوفاء ، لكفاهم عندك في مزيد الاعتماد والاستيكفاء ؛ فإنهم
 جادلوا في إقامة دولتك وجالدوا ، وأَوْقَوْا بالعهد فهم الموفون بعهدهم إذا عاهدوا ؛
 وهم للوصايا بخدمة وأعون ، وفيما آثمتهم عليه لأماناتهم وعهدهم راعون ؛ قد أصفوا

لك النِّيَّاتِ بظَهْرِ الْغَيْبِ ، وَأَخْصُوا الطَّوِيَّاتِ إِخْلَاصًا لَاشِكٍّ مَعَهُ وَلَا رَيْبٍ ؛
وَنَابُوا عَنْكَ أَحْسَنَ مَنَابٍ ، وَكَفُّوا كَفَّ الْعُدُوفِ طَالَ لَهُ لَافِتِرَاسٌ وَلَا آخِتِلَاسٌ
ظَفُرٌ وَلَا نَابٍ ؛ وَاتَّخَذُوا لَهُمْ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَكَ يَدًا ، وَأَتَلُّوا لَهُمْ بِهِ مَجْدًا يَبْقَى
حَدِيثُهُ الْحَسَنُ الصَّحِيحُ عَنْهُمْ مُسْنَدًا .

فَاسْتَوْصَ بِهِمْ وَبَسَائِرِ عَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ خَيْرًا ، وَأَجْمَلَ لَهُمْ سِرِيرَةً وَفِيهِمْ سِيرًا ؛
وَأَحْمَدَهُمْ عُقْبَى هَذِهِ الْحِلْمَةِ ، وَأَوْرَدَهُمْ مَنَهْلَ إِحْسَانٍ يُضَاعِفُ لَهُمُ التَّعْمَةَ وَالنَّعْمَةَ :
لَتَوْكِدُ طَاعَتِكَ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ ، وَيَتَّقُوا بِحُسْنِ الْمَكَافَاةِ : وَ (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
إِلَّا الْإِحْسَانُ) . وَلَتَزْدَادَ أَوْامِرُكَ وَنَوَاهِيكَ أَمْتِنًا ، وَلَا يَجِدُوا عَنْ حُبَّةِ أَيَّامِكَ
الشَّرِيفَةِ أَنْتِقَالًا ، وَلِيُقَالَ فِي حُسْنِ خِدْمَتِهِمْ وَإِحْسَانِكَ : هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا .

وَأَمَّا الْغَزْوُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَا أَوْجِبَهُ فِيهِمَا قَوْلُهُ : (أَنْفِرُوا خِفَافًا
وَثِقَالًا) ، فَأَقُلُّ مَا يُجْزَى فَرَضُ الْكِفَايَةِ مِنْهُ مَرَّةً فِي كُلِّ عَامٍ ، وَأَمَّا فَرَضُ الْعَيْنِ
فَوُجُوبُهُ عَلَى ذَوِي الْإِسْتِطَاعَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَامً ، وَقَدْ عَرَفْتَ سَنَنَ السُّلْطَانِينَ
الشَّهِيدِينَ : وَالِدِكَ وَإِخِيكَ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُمَا - فِي الْإِعْتِنَاءِ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ ، وَغَزْوِهِمْ
فِي عُمْرِ الدَّارِ ؛ وَمَوْقِفَ أَحَدِهِمَا فِي مَوْطِنٍ زَلَّتْ فِيهِ الْأَقْدَامُ عَنِ الْإِقْدَامِ ، وَاجْتَمَعَ
فِيهِ الْكُفْرُ عَلَى الْإِسْلَامِ ؛ وَشَابَ مِنْ هَوْلِهِ الْوَلِيدُ ، وَمُصَابَرَتُهُ نُبْجَاهَ سَيْفٍ مِنْ سُيُوفِ
اللَّهِ تَعَالَى الْإِمَامِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ؛ وَاسْتِنْقَاذًا لِأَحْرَ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ الَّتِي أَنْقَذَهَا اللَّهُ
مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ عَلَى يَدِ الصَّلَاحِينَ ، وَفَتَحَ لَهَا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ بِرُكَّةِ الْإِفْتِحَاحِينَ ؛
وَأَنَّ وَالِدَكَ وَأَخَاكَ سَدَّا عَلَى الْمُشْرِكِينَ الْفِجَاجَ ، وَطَهَّرَا مِنْ أَرْجَاسِهِمُ الْعَذَبَ الْقُرَاتَ
وَالْمَلَحَ الْأَجَاجَ ؛ فَالْكَتَائِبُ الْمَنْصُورِيَّةُ ، أَبَادَتْ التَّنَارَ بِالسُّيُوفِ الْمَشْرِفَةِ ؛ وَالْمَهَالِكُ

الإسلامية، زَهَتْ نِظَامًا بِالْفُتُوحَاتِ الْأَشْرَفِيَّةِ؛ فَاجْتَهَدَ فِي إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الدِّينِ أَتَمَّ
أَجْتِهَادًا، وَعَزَّزَهُمَا بِثَلَاثٍ فِي الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ .

وَأَمَّا الرَّعَايَا بِعَيْدِهِمْ وَقَرِيبِهِمْ ، وَمَسْتَوِطُنْهُمْ وَغَيْرِهِمْ ، فَيُؤَفِّقُهُم مِنَ الرَّعَايَةِ
حَظَّهُمْ ، وَيُجْزِلُ صِيَابَتَهُمْ وَحِفْظَهُمْ ؛ وَكَمَا يَرَى الْحَقُّ لَهُ فَلْيَرِ الْحَقُّ عَلَيْهِ ، وَيُحْسِنِ إِلَى
رَعَايَاهُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ .

وَأَمَّا الْعَدْلُ فَإِنَّهُ لِلْبِلَادِ عِمَارُهُ ، وَلِلْسَّعَادَةِ أَمَارُهُ ، وَلَا آخِرَةَ مَنَاجَاةٍ مِنَ النَّفْسِ
الْأَمَّارَةِ ؛ فَلْيَكُنْ لَهُ شِعَارًا وَدِتَارًا ، وَلْيُؤَكِّدْ مَرَّاسِمَهُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ
عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالْحَافِظَةُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا يُذَكِّرُ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَيُشْكِرُ .

وَالْحُدُودُ الشَّرْعِيَّةُ فَلْيَحْلِلْ بِإِقَامَتِهَا لِسَانَهُ وَطِرْسَهُ ، وَلَا يَتَعَدَّهَا بِنَقْصٍ
وَلَا زِيَادَةٍ ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ . وَاللَّهُ يَخْلُدُ لَهُ رُتَبَةَ الْمُلْكِ
الَّتِي أَعْلَى بِهَا مَقَامُهُ ، وَيُدَيِّمُهُ نَاصِرًا لِلدِّينِ الْحَنِيفِ فَانْصَارُهُ لَا يَزُولُن ظَاهِرِينَ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَيَجْعَلُ سَبَبَ هَذَا الْعَهْدِ الشَّرِيفِ مَدَى الْأَيَّامِ مَتِينًا ، وَيَجْعُدُ لَهُ
فِي كُلِّ وَقْتٍ نَصْرًا قَرِيبًا وَفَتْحًا مُبِينًا . وَالْخَطُّ الْحَاكِمِيُّ أَعْلَاهُ ، حِجَّةُ بَمَقْتَضَاهُ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .



وعلى نحو من ذلك كتب القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر عن المستكفي بالله،
أبي الربيع سليمان، عهد الملك المظفر ركن الدين "بيبرس المنصورى" الجاشنكير.
وهذه نسخته :

هذا عهد شريف انتظمت به عقود مصالح الملك والممالك ، وابتسمت ثغور الثغور ببيعته التي شهدت بصحتها الكرام الملائك ، وتمسكت النفوس بحكم عقده النضيد ومبرم عقده النظيم ، ووثقت بميثاقه فتركت الألسن مستفتحة بقول الله الكريم : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

الحمد لله الذي جعل الملة الإسلامية تأوى من سلطانها إلى ركن شديد ، ونحوى من متابعة مظفرها كل ما كانت ترومه من تأييد التأييد ، وتروى أحاديث النصر عن ملك لا يمل من نصرة الدين الحنيفي وإن مل الحديد من الحديد ، وموتى ملكه من يشاء من عباد ، وملقى مقاليد اللوى الملى بقمع أهل عناده ، ومانحه من لم يزل بعزائه ومكارمه مرهوبا مرغوبا ، وموليه وموليه من غدا محبوا من الأنام بواجب الطاعة محبوبا ، ومفوض أمره ونهيه إلى من طالما صرف خطيه عن حى الدين أخطارا وخطوبا .

والحمد لله مجرى الأقدار ، ومظهر سر الملك فيمن أضفى عند الإمامة العباسية بحسن الاختيار من المصطفين الأخيار ، جامع أشتات الفخار ، ورافع لواء الاستظهار ، ودافع لأواء الأضرار ، بجمل الالتجاء إلى ركن أمسى بقوة الله تعالى على المنار ، وافي المبار ، بادى الآثار الجميلة والإيثار .

والحمد لله على أن قلد أمور السلطنة الشريفة لكافلها وكافيا ، وأسند عقدها وحلها لمن يدرك بكرم فطنته وسليم فطرته عواقب الأمور من مبادئها ، وأيد الكتاب الإيمانية بمن لم تزل عوالبه تبليغها من ذرى الأمانى معاليها .

يمجد أمير المؤمنين على إعلاء كلمة الإيمان بأعيان أعوانها ، وإعزاز نصرها بأركان تشييدها وتشييد أركانها ، ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة

لا تَبْرَحُ الْأَلْسِنَةُ تَرْوِيهَا وَالْقُلُوبُ تَنْوِيهَا، وَالْمَوَاهِبُ تُجْزِلُ لِقَائِهَا تَنْوِيلاً وَتَنْوِيهاً؛
ويشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله أكل كل نبي وأفضل مبعوث، وأشرف مؤثر لأجل
موروث؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تنمي بركاتها وتنم^(١)، وتخص حسنتها
وتعم؛ ورضي الله عن عمه العباس جد أمير المؤمنين، وعن آبائه الأئمة المهديين؛
الذين ورثوا الخلافة كابراً عن كابر، وسمت ووسمت بأسمائهم ونعتهم ذرى المنابر.

أما بعد، فإن الله عز وجل لما عَدَّقَ بمولانا أمير المؤمنين مصالحي الجمهور، وعقد
له البيعة في أعناق أهل الإيمان فزادهم نوراً على نور، وأورثه عن أسلافه الطاهرين
إمامة خير أمة، وكشف بمصابرته من بأس العدا ظلام كل عمه؛ وأنزل عليه
السكينة في مواطن النصر والفتح المدين، وثبتته عند ترزُل الأقدام وثبت به قلوب
المؤمنين؛ وأفاض عليه من مهابة الخلافة ومواديها ما هو من أهله، وأتم نعمته عليه
كما أتمها على أبويه من قبله - بايع الله تعالى على أن يختار للتَّمْلِكِ على البرايا،
والتحكيم في الممالك والرعايا؛ مَنْ أَسَّسَ بُيَانَهُ عَلَى التَّقْوَى، وتمسك من خشية الله
تعالى بالسبب الأقوى؛ ووقف عند أوامر الشرع الشريف في قضائه وحكمه،
ونَهَضَ لأداء فرض الجهاد بمعالى عزمه وحزمه؛ وكان المقام الأشرف العالی،
المولوی، السلطانی، المملکی، المظفري، الركني؛ سلطان الإسلام والمسلمين،
سيد الملوك والسلاطين؛ ناصر الملة المحمدية، محيي الدولة العباسية؛ أبو الفتح
«بيبرس» قسيم أمير المؤمنين: أعز الله تعالى ببقائه حمى الخلافة وقد فعل، وبلغ
في بقاء دولته الأمل - هو الملك الذي انعقد الإجماع على تفضيله، وشهدت مناقبه
الطاهرة باستحقاقه لتحويل الملك إليه وتحويله؛ وحكم التوفيق والاتفاق بترقيته

(١) ثم الحديث ظهر . وتم الشيء سطعت راحته .

إلى كُرى السلطنة وصُعوده ، وقضت الأقدارُ بأن يُلقي إليه أميرُ المؤمنين أزيمةً
عُهوده ؛ والذي كم خَفَقَتْ قلوبُ الأعداءِ عند رؤية آياتِ نصره ، ونطقت ألسنةُ
الأقذار بأن سيكونُ ملكَ عصره وعزيزَ مِصره ؛ وأهتزَّت أعطافُ المنابرِ شوقاً بلافتخار
باسمه ، وأعتزَّت الممالكُ بمن زاده الله بسطةً في علمه وجِسْمه ؛ وهو الذي مابِرح
مُدَّ نَسْأً يجاهد في الله حقَّ جهاده ، ويساعدُ في كل معركةٍ بِمُرهفاتِ سيوفه ومُتلفاتِ
صِعادِه ؛ ويُنسِى في الهَيْجاءِ صَفْحَتَه للصفاحِ فيقيه الله ويُقيِه : ليجعله ظِلَّةً على
عباده وبلاده ، فيُرِدِّي الأعداءَ في مواقِفِ تَأْييده فكم عَفَرَ من خدِّ الملوكِ الكُفَرِ
تحت سَنابك جِيادِه ؛ وَيَسْفِي بِصُدُورِ سيوفِه صُدُورَ قَوْمِ مُؤْمِنين ، وَيَسْقِي ظِلَاءَ
أَسْتَه فيروِيها من مَوْرِدِ وريدِ المشركين ؛ وَيُطْلِعُ في سماءِ الملكِ من غُرَرِ آرائِه
نِزَارٍ لا تَأْكُلُ ولا تَغُورُ ، وَيُظْهِرُ من مَواهِبه ومَهَابَتِه ما تُحْسِنُ به الممالكُ وتُحْصِنُ
الثغُورَ ؛ فما من حِصْنٍ أَسْتَعْلَقَه الكُفْرُ إلا وَسِيفُهُ مِفْتَاحُه ، ولا ليلٍ خَطُبَ دَجَا
إلا وَغُرَّتْهُ الميمُونَةُ صَبَاحُه ؛ ولا عَزَّ أَمَلٌ لأهل الإسلامِ إلا وكان في رأيه المُسَدِّدِ
نَجَاحُه ، ولا حَصَلَ خَلٌّ في طَرَفٍ من الممالكِ إلا وكان بِمَشِيئَةِ الله تعالى وبَسَدَادِ
تدبيرِه صَلاحُه ؛ ولا أَتَّفَقَ مَشْهُدٌ عدوٍ إلا والملائكةُ الكِرامُ بِمُظَافَرَتِه فيه أَعْدَلُ
شُهودِه ، ولا تَجَدَّدَ فتوحٌ للإسلامِ إلا جَادَ فيه بِنَفْسِه وأجاد ؛ (والجُودُ بالنَفْسِ
أقصى غايةِ الجُودِ) .

كَمْ أَسْلَفَ في غَزَوِ أعداءِ الدِّينِ من يَوْمِ أَعْرَ حُجَّجِلْ ، وأنفقَ مالَهُ آتِغَاءَ مَرْضَاةِ
اللهِ سِبحانَه فحازَ الفَخْرَ المَعْجَلُ والأَجْرَ المَوْجَلُ ؛ وأُحْيَا من مَعَالِمِ العُلُومِ ودَوَارِسِ
المدارِسِ كُلِّ دائِرٍ ، وَحَثَّه إِيْمَانُهُ على عِمارةِ بُيُوتِ الله تعالى الجامعةِ لِكُلِّ تالٍ

وذاكر : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . وهو الذى مازالت الأولياءُ تَتَحَيَّلُ تَحَايِلَ السُّلْطَنَةِ فى إعطافه مَعْنَى وَصُورِهِ ، والأعداءُ يرومون إطفاء ما أفاضه الله عليه من أشعة أنواره : ﴿ وَيَأْتِىَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ . طَلَمَا تَطَاوَلَتْ إليه أعناقُ الممالكِ فأعرَضَ عنها جانباً ، وتطَقَّلَتْ على قُرْبِهِ فكان لها - رعايةً لِدِمَّةِ الْوَفَاءِ - مُجَانِباً ؛ حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكَلِمَةِ سُلْطَانِهِ أَنْ تُرْفَعَ ، وَحَكَمَ لَهُ بِالصُّعُودِ فى دَرَجِ الْمُلْكِ إِلَى الْحَلِّ الْأَعْلَى وَالْمَكَانِ الْأَرْفَعِ ، وَأَدَّى لَهُ مِنَ الْمَوَاقِبِ مَا هُوَ عَلَى أَشْمِهِ فى ذَخَائِرِ الْغُيُوبِ مُسْتَوْدَعٌ .

فعند ذلك استخار الله تعالى سيدنا ومولانا الإمام المستكفى بالله أمير المؤمنين أبو الربيع سليمان ، أبْنُ الإمام الحاكم (وذكّر نسبه على العادة) جعل الله الخلافة كلمة باقيةً فى عَقِبِهِ ، وأَمَعَ الْإِسْلَامَ والمسلمين بشرقى حَسَبِهِ وَنَسَبِهِ ؛ وَعَهْدَ إِلَى الْمَقَامِ الْعَالِى السُّلْطَانِ بِكُلِّ مَاوَرَاءَ سُرِيرِ خِلَافَتِهِ ، وَقَلَّدهَ جَمِيعَ مَا هُوَ مَقْلَدُهُ مِنْ أَحْكَامِ إِمَامَتِهِ ؛ وَبَسَطَ يَدَهُ فى السُّلْطَنَةِ الْمُعْظَمَةِ ، وَجَعَلَ أَوَامِرَهُ هِىَ النَّاظِدَةُ وَأَحْكَامُهُ هِىَ الْمُحْكَمَةُ ؛ وَذَلِكَ بِالْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَالْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ ، وَالْفِرَاتِيَّةِ ، وَالْجَبَلِيَّةِ ، وَالسَّاحِلِيَّةِ ، وَالْقِلَاعِ وَالشُّغُورِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَالْبِلَادِ الْحِجَازِيَّةِ ، وَالْيَمَانِيَّةِ ، وَكُلِّ مَا هُوَ إِلَى خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْسُوبٌ ، وَفِي أَقْطَارِ إِمَامَتِهِ مَحْسُوبٌ ؛ وَأَلْقَى إِلَى أَوَامِرِهِ أَرْزَمَةَ الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ ، وَالْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ ، وَالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ ؛ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ فى يَدِهِ مِنْ حُكْمِ الْأَرْضِ ، وَمِنْ إِقَامَةِ سُنَّةٍ وَقَرْضٍ ؛ وَفِي كُلِّ هِبَةٍ وَتَمْلِكٍ ، وَتَصَرُّفٍ فى وِلَايَةِ أُمُورِ الْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِ شَرِيكَ ؛ وَفِي تَوَلِيَةِ الْقَضَاةِ وَالْحُكَّامِ ، وَفَصْلِ الْقَضَايَا وَالْأَحْكَامِ ؛ وَفِي سَائِرِ التَّحَكُّمِ فى الْوُجُودِ ، وَعَقْدِ الْأَلْوِيَةِ وَالْبُنُودِ ؛ وَتَجْنِيدِ الْكُتَّابِ وَالْجُنُودِ ،

وتجهيز الجيوش الإسلامية من التأييد إلى كل مقام محمود ؛ وفي قهر الأعداء الذين
 نرجو بقوة الله تعالى أن يملكته من نواصيرهم ، ويحكم قواضيه في استنزاهم من
 صياصيرهم ، وأستئصال شأفة عاصيرهم ؛ حتى يحو إن شاء الله تعالى بمصاييح سيوفه
 سواد خطوب الشرك المذلّمه ، وتغدو سراياه في أفئلاع قلاع الكفر مستهمه ؛
 وترهبهم خيل بعوته وخيالها في اليقظة والنّام ، ويدخل في أيامه أهل الإسلام
 «مدينة السلام» بسلام - تفويضا تاما عاما ، منضدا منظما محكما محكما ؛ أقامه مولانا
 أمير المؤمنين في ذلك مقام نفسه الشريفه ، وأستشهد الكرام الكتّاب في ثبوت هذه
 البيعة المنيفة .

فليتقدّ المقام الشريف العالی السلطاني - أعز الله نصره - عقد هذا العهد الذي
 لا تطمح لمثله الآمال ، وليستمسك منه بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ولا انفصال ؛
 فقد عول أمير المؤمنين على يمين آرائك التي ما برحت الأئمة بها في المعضلات تستشفي ،
 وأستكفي بكفائيتك وكفالتك في حياطة الملك فأضحي وهو بذلك المستكفي ؛
 وهو يقص عليك من أنباء الوصايا أحسن القصص ، وينصّ لديك ما أنت آخذ منه
 بالعزائم إذا أخذ غيرك فيه بالرخص ؛ فإن نبهت على التقوى فطامنا تمسكت منها
 بأوثق عروءه ، وإن هديت إلى سبيل الرشاد فما زلت ترقى منه أشرف ذروءه ؛
 وإن أسترهفنا عزمك الماضي الغرار ، وأستدعينا حزمك الذي أضاء به دهرك
 وأستنار ، في إقامة منار الشرع الشريف ، والوقوف عند نهيه وأمره في كل حكم
 وتصريف ، فما زلت - خلد الله سلطانك - قائما بسنته وفرضه ، دائبا في رضا
 الله تعالى بإصلاح عقائد عباده في أرضه ؛ وما برح سيفك المظفر للأحكام الشرعية
 خادما ، ولمواد الباطل حاسما ، ولأنوف ذوي البدع راغما ؛ فكل ما نوصيك به

من خير قد جُبات عليه طباعك ، ولم يزل مشتدًّا فيه ساعدك ممتدًّا إليه باعك ؛ غير
 أنا نُورد لُعة اقتضاها أمرُ الله تعالى في الاقتداء بالتذكرة في كتابه المبين ، وأوجبها
 نصُّ قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ويندرجُ تحت أصولها
 فروعٌ يستغني بدقيق ذهنه الشريف عن نصّها ، وبفكره الثاقب عن قصّها ؛ فأعظمها
 للذة نفعاً ، وأكثرها للباطل دفعا ، الشرعُ الشريف : فليكن - أعز الله نصره -
 عاملاً على تشييد قواعد إحكامه ، وتنفيذ أوامره أحكامه ؛ فالسعيد من قرن أمره
 بأمره ، ورضى فيه بمُخلو الحق ومُره . والعدلُ فليُشرُّ لواءه حتى يأوِيَ إليه الخائف ،
 وينكفّ برّده حيف كلِّ حائف ؛ ويتساوى في ظلّه الغني والفقير ، والمأمور والأمر ؛
 ويمسى الظلم في أيامك وقد نحمدت ناره ، وعفت آثاره .

وأهمُّ ما احتفلت به العزائم ، واشتملت عليه همم الملوك العظام ، وأشرعت له
 الأسنة وأرهفت من أجله الصوارم ؛ أمرُ الجهاد الذي جعله الله تعالى حصناً
 للإسلام وجنّه ، واشترى فيه أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ؛ فجدد له الجنود واجمع
 له الكتائب ، وأفض في مواقفه على الأعداء من بأسك بالقواضي القواضب ؛
 وأغزهم في عُقر الدار ، وأرهف سيفك البتار : لتأخذ منهم للمسلمين بالثار . والثغور
 والحصون ، فهي سرّ الملك المصون ، وهي معاقِل النفوس إذا دارت رحي الحرب
 الزبون ؛ فليقلد أمرها لكفاتها ، ويخصّ حمايتها بمُجتماتها ، ويضاعف لمن بها أسباب
 قوتها ومادة أقاتها . وأمرأء الإسلام وجنود الإيمان فهم أولياء نصرك ، وحفظة
 شامك ومِصرُك ؛ وحزبك الغالب ، وفريقك الذين تفرق منهم قلوبُ العدا في المشارق
 والمغارب ؛ فليكن المقامُ العالی السلطاني - أعزه الله تعالى - لأحوالهم متفقداً ،
 وبسْط وجهه لهم مُتودداً ؛ حتى نتأكد لمقامه العالی طاعتهم ، ونُتجدد لسلطانته العزيز

ضَرَاعَتُهُمْ . وأما غير ذلك من المصالح ، فما بَرَحَ تديرُهُ الجميل لها يَنْفَذُ ورأيُهُ الأصيل بها يُشِيرُ ، فلا يَحْتَاجُ مع علمه بَغَوَامِضِهَا إلى إِيضَاحِهَا ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ . والله تعالى يَنْخُصُّ دولته من العدل والإحسان بأَوْفَرِ نصيب ، ويمُنِّحُ سلطانه ما يَرْجُوهُ من النصر المَعْجَلِ والفتح القَرِيبِ ؛ إن شاء الله تعالى .

المذهب الثاني

(أن يَفْتَحَ العهد بلفظ « من فلان » باسم الخليفة وَكُنْيَتِهِ وَلَقَبِ الخِلافة ، « إلى فلان » باسم السلطان وَكُنْيَتِهِ وَلَقَبِ السلطنة كما في المكاتبات ، ثم يَأْتِي بعد ذلك بلفظ « أما بعد »)

ثم تارة يَأْتِي بعد البعدية بتحميد ، مثل أن يقول : « أما بعدُ فالحمد لله » ويتخلص إلى ذكر أمر الولاية وما يَخْرِطُ في سِلْكِهَا ؛ وتارة يَأْتِي بعد البعدية بخطاب المولى والدعاء له ، ويتخلص إلى مقاصد العهد : من الوصايا وغيرها ، على اختلاف مقاصد الكُتَّاب ، وعلى ذلك كانت العهود في دولة الفاطميين بمصر .

قلت : وقد يُسَحَّسنَ هذا المذهبُ فيما إذا كان المعهود إليه غائباً عن حضرة الخليفة : لأن العهدَ يصير حينئذ كالرسالة الصريحة إليه ، بخلاف ما إذا كان بحضرته فإنه لا يَكُونُ في معنى الرسالة الصريحة .

وعلى هذا المذهب كتب أبو إسحاق الصابى عن الطائع لله عهدَ شرف الدولة شيرزىك بن عضد الدولة بن بويه ، وهذه نسخته :

من عبد الله « عبد الكريم الإمام الطائع لله » أمير المؤمنين ، إلى شيرزىك بن عضد الدولة وتاج الملة أبى شُجَاعٍ مولى أمير المؤمنين :

سلامٌ عليك ، فإنَّ أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، ويسأله أن يصلى على محمدٍ وعبدِهِ ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد - أطلَّ اللهُ بقاءَكَ ، وأدامَ عزَّكَ وتأييدَكَ ، وسعادَتَكَ ونعمَتَكَ ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموهبة فيك وعندَكَ - فإنَّ أمير المؤمنين يرى أن يحفظ على كلِّ وليٍّ أحمدَ مَذاهِبِهِ ، وأرضى ضرائِبِهِ ، وأنصرفَ عن الدنيا متمسكاً بطاعته ، متديناً بمشايعته ، حقوقه المتوحَّده ، وحُرُماتِهِ المتمهَّده ، فيمن يخلِّفه بعده من ولدٍ أمل أن يرث عنه محلَّه ، ويقومَ فيه مقامه ، وفاءً لأهل الولاية ، ونصراً على أحكام الرِّعاية ، وسياقةً للصنيعة من سالفٍ إلى خالف ، وإمضاءً من تالدٍ إلى طارف . هذا على الأمرِ الجامع ، والعمومِ الشامل ؛ فإذا اتَّفَقَ أنْ مُتِمَّتْ وِراثةُ القُربِ إليه ، والمنازِلِ لَدَيْهِ ، إلى التَّجَبُّاءِ الأفاضِلِ ، والحُصَفَاءِ الأماثِلِ ، الذين يَسْتَجِبُونَ اسْتِثْنَاءَ الإِصْطِنَاعِ لَهُمْ ، واسْتِقْبَالَ التَّفْوِيضِ إِلَيْهِمْ بِالمَنَاقِبِ الموجودةِ فيهم ؛ لو أنفردتْ عما حازوه عن آبائِهِم وأولِيائِهِم ، أَجْرَى أمير المؤمنين ما يُفِيضُهُ عليهم من الأيادي ، ويُقَيِّمُهُم إليه من هَضَابِ المَعَالِي ، مُجْرَى الأمرِ الواجب الذي كَثُرَتِ الدَّوَاعِي إليه ، وَاتَّفَقَ الرَّأْيُ والهوى عليه ؛ وتطابقَ الإِثَارُ والإِخْتِبَارُ فيه ، وَاقْتَرَنَ الصَّوَابُ والسَّدَادُ به ؛ وَأَشْتَرَكِ الْمَسْلَمُونَ فِي اسْتِمَارِ فائِدَتِهِ وعائِدَتِهِ ، وَالِانْتِفَاعِ بِتَأْدِيَتِهِ وعاقِبَتِهِ ؛ والله يَخِيرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فيما يُمِضُّهُ مِنَ الْعِزَائِمِ ، وَيَبَيِّنُهُ مِنَ الدَّعَائِمِ ؛ وَيَعْتَمِدُهُ مِنَ الْمَصَالِحِ ، وَيَتَوَخَّاهُ مِنَ الْمَنَاجِحِ ؛ إِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ ، وَبِهِ جَدِيرٌ ؛ وَهُوَ حَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وقد عَلِمْتَ - أدامَ اللهُ عزَّكَ وأمتعَ أمير المؤمنين بك - أَنَّ شَجَرَةَ بَيْتِكَ [هي] التي تَمَكَّنَتْ فِي الخِدْمَةِ أَصُولُهَا ، وَالْفَضِيلَةُ مَنْوُطَةُهَا ، وَأَسْبَابُ النِّجَامِ والدوامِ مَجْتَمِعَةٌ فِيهَا ؛

فلذلك سبغت النعمة عليكم، وأمتد ظلها إليكم؛ ونقلت فيها أقداحكم، وتوفرت منها حُظوظكم؛ فتداولتموها بينكم كإبراً عن كابر بمساعيكم الصالحة، ومناهيكم الواضحة؛ وتعاضدكم على ما لم تشعث الدولة الجامعة، وطرف عنها الأعين الحاسدة؛ وكان شيخك عضد الدولة، وتاج الملة؛ أبو شجاع رضوان الله عليه، صاحب الرتبة الزعمى عند أمير المؤمنين وهماهما، والمتطى غاربها وسنامها؛ فعاش ماعاش مشكورا محمودا؛ ثم أنقلب إلى لقاء ربه سعيدا رشيدا؛ وأوجب أمير المؤمنين لك وله منك الحلول بمكانه، وحيازة خطره وشانه؛ إذ كنت أظفر ولده، وأول المستحقين لوراثته؛ وكانت فيك مع ذلك الأدوات المقتضيات لأن يفوض الأمور إليك، ويعتمد فيها عليك : من كفاية وغناء، وأستقلال ووفاء؛ وسياسة وتدبير، وشهامة وتشمير؛ وتصرف على طاعة أمير المؤمنين، وإشبال^(١) على إخوتك أجمعين؛ وحسن أثر فيما أنفذ أمرك فيه، وإفاضة أمن فيمن أمضيت ولايتك عليه؛ وإحاطة بدلائل الحوالة، وتحايل الأصالة؛ بمثلها ثل الغايات الأفاصى، وتفتقر الذوائب والنواصي؛ فتوَلَّك أمير المؤمنين تلك المائثرة، وخوَلَك تلك المفخرة، وجعل أخاك صمصام الدولة، وشمس الملة؛ أبا كاليجار - أمتع الله [بك] أمير المؤمنين - بك تأييده، والمتقدم بعدك على ولد أبيك؛ وأجراكما في التطبيق بينكما والتقرير لمنازلكما على مثل ماجرى الأمر عليه بين ركن الدولة أبي على ومعز الدولة أبي الحسين سالفًا، ثم بين عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ومؤيد الدولة أبي منصور آفا؛ تولاهم الله بالرحمة، ونفعهم بما قبضهم عليه من وثائق العصمة؛ وخصك أمير المؤمنين بعد ذلك بما يخص به ذو القدر الشاخي والقدم السابقة، والمحلة السامية؛ فذكرك بالتكنيه، ورفعك عن التسميه؛ ولقبك لقبين : أحدهما «شرف الدولة» لتشريفه بك أولياءه

(١) الإشبال التعطف على الرجل ومعونته . انظر اللسان ج ١٣ ص ٣٧٥ .

الذين أوطأهم عَقَبَكَ ، وأعلَقَهم حَبْلَكَ ، والآخِرُ «زَيْنُ الْمِلَّةِ» لَزِينَةُ أَيَّامِهِ بِمَعَالِكَ ،
وتَضَاعَفَ جَمَالُهَا بِمَسَاعِيكَ ؛ وَعَقَدَ لَكَ بِيَدِهِ لَوَائِينَ يَلُوِيَانِ إِلَيْكَ الْأَعْنَاقَ بِالطَّوْعِ
مِنْ سَرَاتِهِ وَأَبْهَجَاهُ ، وَالكَرَّهَ مِنْ رَاغَاهُ وَأَزْجَاهُ ؛ وَأَمَرَ بِأَنْ تُقَامَ لَكَ الدَّعْوَةُ عَلَى مَنَابِرِ
مَدِينَةِ السَّلَامِ وَمَا يَجْرِي مَعَهَا مِنَ الْأَعْمَالِ بَيْنَ الدَّعْوَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ
الدَّعْوَةِ لَصَمِّصَامِ الدَّوْلَةِ وَشَمْسِ الْمِلَّةِ ؛ أَمَتَعَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَمَا ، وَأَحْسَنَ الدَّفَاعَ
لَهُ عِنْدَكَ : الْخَافِقَ لَكَ وَلَهُ بِبَدْلِكَ بِأَبْيَكَمَا فَمَا كَانَ شُرْفُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي لَمْ يُلْغُهَا
غَيْرُهُ ، وَلَا أَهْلُهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَأَنْ يُثَبَّتَ ذِكْرُكَ بِاللَّعَبِ وَالْكُنْيَةِ فَمَا يُنْقَشُ مِنْ
سِكَكِ الْعَيْنِ وَالْوَرِقِ فِي دُورِ الضَّرْبِ بِإِدْيَا ، وَذِكْرُ صَمِّصَامِ الدَّوْلَةِ - كَلَّا كَمَا اللَّهُ -
تَالِيَا . وَحَبَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ ذَلِكَ بِخَلْعِ تَامَّةٍ تُفَاضُ عَلَيْكَ ، وَفَرَسَيْنِ مِنْ جِيَادِ خَيْلِهِ
يُقَادَانِ إِلَيْكَ ؛ بِمَرْكَبِي ذَهَبٍ مِنْ خَاصِّ مَرَآكِبِهِ ، وَسَيْفٍ مَاضٍ مِنْ خِيَارِ أَسْيَافِهِ ؛
يُعِزُّ اللَّهُ مَنَكِيكَ بِبَجَادِيهِ ، وَيُذِلُّ مَنَاكِيبَ أَعْدَائِكَ بِغَرَارِيهِ ، وَطَوِّقْ وَسَوَارِينَ .
وَأَنْ تُجَرِّى فِي الْمَكَاتِبَةِ عَنْهُ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي أَجْرَى أَبُوكَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَهَذَا الْكِتَابُ
نَاطِقٌ بِهَا وَدَالٌّ عَلَيْهَا . وَنَدَبَ لِإِيصَالِ الْجَمِيعِ إِلَيْكَ عَلَى بَنِي الْحُسَيْنِ الْهَاشِمِيِّ الزَّيْنِيِّ ،
وَأَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ حَاجِبَهُ وَوَحْيَ خَادِمَهُ ؛ فَتَلَقَّ شَرَفَ الدَّوْلَةِ وَزَيْنَ الْمِلَّةِ
وَأَبَا الْفَوَارِسِ [ذَلِكَ] - أَدَامَ اللَّهُ عَزْرَكَ - بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ ،
وَمِرَاقَبَتِهِ فِي قَوْلِكَ وَعَمَلِكَ ، وَابْتِغَاءِ رِضَاهُ فِي مَخْتَلِجِ خَطَرَاتِكَ وَفِكَرِكَ ، وَاتِّبَاعِ
طَاعَتِهِ فِي مَخَارِجِ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ؛ وَقَابِلِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ بِالشُّكْرِ
الَّذِي مَوْقِعُهُ مِنَ النِّعْمَةِ مَوْقِعُ الْقِرَى مِنَ الضَّيْفِ ، فَإِنْ وَجَدَهُ لَمْ يَذُمَّ ، وَإِنْ قَفَدَهُ
لَمْ يُقِمَّ ؛ وَأَمَدَّدْ عَلَى مَنْ وُلِّيتَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ظِلَّكَ ، وَوَطَّنْ لَهُمْ كَنَفَكَ
وَأَعْمُرْهُمْ بِطَوْلِكَ ؛ وَسُسْنِهِمْ سِيَاسَةً يَكُونُ بِهَا صَلَاحُهُمْ مَضْمُونًا ، وَحَرِيمُهُمْ مَصُونًا ؛
وَبِلَادِهِمْ مَعْمُورَةً ، وَمَنَافِعُهُمْ مُؤْفُورَةً ؛ وَحَلَبُهُمْ دَارًا ، وَعَيْشُهُمْ رَغَدًا ؛ وَتَغُورُهُمْ

مُسَدُّودَه ، وَأَعَادِيهِمْ مَدُّودَه ، وَمَسَالِكُهُمْ مَحِيَّةٌ ، وَمَسَاكِنُهُمْ مَرْعِيَّةٌ ، وَمُرُّهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَأَنْهَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَبْعَثَهُمْ عَلَى الْحَسَنَاتِ ، وَآكَفَّهُمْ عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَسَاوَى فِي الْحَقِّ بَيْنَ شَرِيفِهِمْ وَمَشْرُوفِهِمْ ، وَقَوِيَّتِهِمْ وَضَعِيفِهِمْ ، وَقَرِيبِهِمْ وَغَرِيبِهِمْ ، وَمِلِّيَّتِهِمْ وَذَمِّيَّتِهِمْ ، وَقَوْمَ سَفَهَاءِهِمْ وَجُهَّالِهِمْ ، وَأَنْفِ دُعَارِهِمْ وَخُرَابِهِمْ ، وَأَكْرَمَ صَلَحَاءِهِمْ وَعُلَمَاءِهِمْ ، وَشَاوَرِ فُضَلَاءِهِمْ وَعُقَلَاءِهِمْ ، وَجَالَسَ أَذْيَاءَهُمْ وَأَعْلِيَاءَهُمْ ، وَأَنْلَهُمْ مَرَاتِبَهُمْ ، وَزَلَّزَهُمْ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَارَاهِمُ تَمَسُّكَكَ بِالْدِّينِ لِيَقْتَدُوا بِكَ فِيهِ ، وَرَغَّبَكَ فِي الْخَيْرِ لِيَتَقَرَّبُوا إِلَيْكَ بِهِ ، وَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَاهُ ، وَأَبْسَطَ الْعَدْلَ وَقُلَّ بِهِ ، وَأَدْرَأَ الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ ، وَأَفْهَمَهَا وَأَمِضَهَا بِالْبَيِّنَاتِ : لَتَكُونَ الرَّغْبَةُ إِلَيْكَ فِي رَغَبٍ ، وَالرَّهْبَةُ مِنْكَ فِي رَهَبٍ ، وَبِالْجُمْلَةِ فَاجْهِلِ النَّاسَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ - وَآدَابِهِ ، وَسُنَّةِ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ جَعَلَ كِتَابَهُ هَذَا عَهْدًا إِلَيْكَ ، وَحِجَّةً لَكَ وَعَلَيْكَ ، وَأَنَّ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاحِيَ فِي الْعَهْدِ تَكُونُ كَثِيرَةً : وَإِنَّمَا قَصَّرَ فِيهِ عَنْ اسْتِيفَائِهَا ، لِارْتِفَاعِ طَبَقَتِكَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى اسْتِقْصَائِهَا ، وَلِلخُرُوجِ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَقِّ فِي تَضَمِينِهِ هَذِهِ الْجُمْلَةَ مِنْهَا ، فَإِذَا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْكَ مَعَ كَرَامَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا لَكَ ، فَالْبَسْ خِلْعَهُ ، وَتَقَلَّدْ سَيْفَهُ ، وَتَحَلَّ بِحِلَاةٍ ، وَأَبْرُزْ لِمَنْ يَلِيكَ عَلَى حُمْلَانِهِ ^(١) ، وَأُظْهِرْ لَهُمْ ضُرُوبَ إِحْسَانِهِ وَأَمْتِنَانِهِ ، وَأَنْصِبْ أَمَامَكَ اللَّوَاءَيْنِ ، وَتَكَنَّ وَتَلَقَّبْ بِاللِّقَبَيْنِ ، وَكَاتِبٌ مِنْ تُكَاتِبِ مَنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ مُتَلَقِّبَا بِهِمَا مُتَكَنِّيَا ، إِلَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْأَدَبَ أَنْ لَا تَكْتُبَهُ مُتَلَقِّبًا بِلِ مَتَسَمِّيَا ، وَلَيْسَ ذَلِكَ نَاقِصًا لَكَ فِيمَا أُعْطِيْتَهُ ، وَلَا مُرْتَجِمًا شَيْئًا مِمَّا حُيِّتَ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالرَّسْمُ الْمَأْلُوفُ ، وَصِلْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَخِيكَ

(١) فِي الْقَامُوسِ مَا نَصَهُ « وَالْحُمْلَانُ بِالضَّمِّ مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّمَابِ فِي الْمَهَةِ خَاصَّةً » .

صَمِّصَامِ الدَّوْلَةِ وَشَمْسِ الْمِلَّةِ - أَدَامَ اللهُ الْإِمْتَاعَ بِكَما - بِالْمُودَةِ ، كَمَا وَصَلَهُ اللهُ بِالْأُخُوَّةِ ؛
وَكُونَا جَمِيعًا يَدًا فِي طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاسْتَقِيًّا عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ فِي رِعَايَةِ الْمُسْلِمِينَ ؛
وَأَتَّفَقَا عَلَى مَسَالِمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَعَاضَدَا فِي مَحَارَبَةِ الْمُحَارِبِينَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَرَابُ
لِلصُّدْعِ ، وَأَحْتَمُ لِلْبَشْرِ ، وَأَنْظِمُ لِلشَّمْلِ ، وَأَلِيقُ بِالْأَهْلِ . وَأَقِمِ الدَّعْوَةَ لِنَفْسِكَ عَلَى
مَنَابِرِ الْمَمَالِكِ بَعْدَ إِقَامَتِهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَكَاتِبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَخْبَارِكَ ، وَطَالِعُهُ
بِأَنْبَارِكَ ؛ وَاسْتَدْعِ أَمْرَهُ فِيمَا اسْتَعْجَمَ مِنَ التَّدِيرِ عَلَيْكَ ، وَرَأْيَهُ فِيمَا اسْتَبْهَمَ مِنَ الْأُمُورِ
دُونِكَ ؛ وَاسْتَرْشِدْهُ إِلَى الْحِظِّ يُرْشِدُكَ ، وَاسْتَهْدِهِ فِي الْخُطُوبِ يَهْدِكَ ؛ وَاسْتَمْتِدْهُ
مِنَ الْمَعُونَةِ يُمِدِّدُكَ ، وَاشْكُرْ آلَاءَهُ يَزِدُّكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ وَأَدَامَ عِزَّكَ وَتَأْيِيدَكَ ، وَسَعَادَتَكَ وَنِعْمَتَكَ ؛ وَأَمَتَّعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
بِكَ وَبِالرَّغْبَةِ فِيكَ وَعِنْدَكَ ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .



وَعَلَى هَذَا النَّمِطِ كَتَبَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ عَهْدَ أَسَدِ الدِّينِ شِيرَكُوهُ بِالْوِزَارَةِ
عَنِ الْعَاضِدِ الْفَاطِمِيِّ ، وَالْوِزَارَةُ يَوْمَئِذٍ قَائِمَةٌ مَقَامَ السُّلْطَانَةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ،
وَهَذِهِ نَسْخَتُهُ :

مِنَ عَبْدِ اللهِ وَوَلِيِّهِ ، عَبْدِ اللهِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْإِمَامِ الْعَاضِدِ لِدِينِ اللهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِلَى السَّيِّدِ ، الْأَجَلِّ ، الْمَلِكِ ، الْمَنْصُورِ ، سُلْطَانِ الْجِيُوشِ ، وَلِيِّ الْأُمَمِ ، نَخْرِ الدَّوْلَةِ ،
أَسَدِ الدِّينِ ، كَافِلِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَبِي الْحُرْثِ شِيرَكُوهُ
الْعَاضِدِيِّ ، عَضَّدَ اللهُ بِهِ الدِّينَ ، وَأَمَتَّعَ بِطَوْلِ بَقَائِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَأَدَامَ قُدْرَتَهُ ،
وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ .

سلام عليك : فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فالحمد لله القاهر فوق عباده ، الظاهر على من جاهر بعباده ، القادر الذى يعجز الخلق عن دفع ما ودع ضمائر الغيوب من مراده ، القوى على تقريب ما عزبت الهمم باستبعاده ، الملى بحسن الجزاء لمن جاهد فى الله حق جهاده ، مؤتى الميث من يشاء بما أسلفه من ذخائر رشاده ، ونازعه من يشاء بما أقرّفه من كجائر فساده ، منجد أمير المؤمنين بمن أمضى فى نصرته العزائم ، وأستقبله الأعداء بوجوه الندم وظهور الهزائم ، وفعلت له المهابة ما لا تصنع الهمم ، وخلعت آثاره على الدنيا ما تحلعه الأنوار على الظلم ، وعدست نظراؤه بما وجد من محاسنه التى فاق بها ملوك العرب والعجم ، وانتقم الله به ممن ظلم نفسه وإن ظنّ الناس أنه ظلم ، وذاد عن موارد أمير المؤمنين من هو [منه] أولى بها ويأبى الله سبحانه إلا إمضاء ما حتم ، ورام إخفاء فضائله وهل يشهر طيب المسك إلا إذا آكتم ؟ مؤيد أمير المؤمنين بإمام أقر الله به عينهم ، وقضى على يده من نصرته الدين دينهم : (لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) .

والحمد لله الذى خصّ جدنا محمداً بشرف الأصطفاء والإجتباء ، وأنهضه من الرسالة بأثقل الأعباء ، وذخر له من شرف المقام المحمود أشرف الأنصباء ، وأقام به القسطاس ، وطهر به من الأدناس ، وأيده بالصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ،

(١) كذا فى الأصول ولعله ما أعترفت : تأمل .

والبس شريعته من مكارم الأفعال والأقوال أحسن لباس ؛ وجعل النور سارياً منه في عقبه لا ينقصه كثرة الاقتباس : ﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾ .

والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لأن يقوم في أمته مقامه ، وهدى بمرآشد نوره إلى طرق دار المقامه ، وأوضح به منار الحق وأعلامه ؛ وجعله شهيد عصره ، ومجته أمره ؛ وباب رزقه ، وسبيل حقه ؛ وشفيع أوليائه ، والمستجار من الخطوب بولائه ، والمضمونة لذويه العقبى ، والمسئول له الأجر في القربى ؛ والمفترض الطاعة على كل مكلف ، والغاية التي لا يقصر عنها بولائه إلا من تأخر في مضمار النجاة وتخلف المشفوع الذكر بالصلاة والتسليم ، والهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ؛ لا يقبل عمل إلا بخفارة ولائه ، ولا يضل من استضاءه بأنجم هدايته الأماميه ، ولا دين إلا به ولا دنيا إلا معه : ليتضح النهج القاصد ، ولتقوم الحجة على الجاحد ؛ وليكون لشيعته إلى الجنة نعم الشافع والرائد ، وليأتى الله به بئان الأعداء من القواعد ، وليبين لهم الذي اختلفوا فيه وليعلموا أنما هو الله واحد .

يمجده أمير المؤمنين على ما حباه من التأيد الذي ظهر فبهراً ، وانتشرف نعمته البشر ؛ والإظهار الذي أشرك فيه جنود السماء والأرض ، والإظفار الذي عقد الله منه عقدا لا تدخل عليه أحكام النقض ، والانتصار الذي أبان الله به معنى قوله : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ .

ويسأله أن يصلي على سيدنا محمد الأمين ، المبعوث رسولا في الأميين ؛ الهادي إلى دار الخلود ، المستقل^(١) بيانه استقلال عوثر الجدود ، والمعدود أفضل نعمة على أهل الوجود ؛ والصابية بشريعته مشارع النعمه ، والواضحة به الحنيفية البيضاء

(١) المستقل . من استقل الشيء إذا ارتفع يريد أن بيانه مرتفع ارتفاع عوثر الجدود .

لئَلَّا يَكُونَ أَمْرُ الْخَلْقِ عَلَيْهِمْ عُمْهٌ ؛ وَعَلَى أَبِينَا أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ نَاصِرِ شَرِيعَتِهِ وَقَسِيمِهِ فِي النَّسَبِ وَالسَّبَبِ ، وَيَدِ الْحَقِّ الَّتِي حُكِّمَ لَهَا فِي كُلِّ طَلَبٍ بِالْغَلَبِ ؛ وَعَلَى الْأُئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا وَسَائِطِ الْحِكْمِ ، وَمَصَابِيحِ الظُّلَمِ وَمِفَاتِيحِ النَّعْمِ ؛ وَالْمُخَفِّقِينَ دَعْوَى مَنْ بَاهَاهُمْ وَفَانَحَرَ ، وَالْبَازِلِينَ جُهْدَهُمْ فِي جِهَادٍ مِنْ أَخَذَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ؛ وَسَلَّمْ وَرَدَّدْ ، وَوَالِي وَجَدَّدْ .

وإن أمير المؤمنين لما قَوَّضَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مِنْ إِيلَةِ الْخَلِيقَةِ ، وَمَنْحَهُ مِنْ كَرَمِ السَّجِيَةِ وَكَرَمِ الْخَلِيقَةِ ؛ وَبَسَطَهُ مِنْ يَدِهِ عَلَى أَهْلِ الْخِلَافِ ، وَأَنْجَزَهُ مِنْ مَوْعُودِهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ إِخْلَالٌ وَلَا إِخْلَافٌ ؛ وَأَوْصَحَهُ مِنْ بَرَاهِينِ إِمَامَتِهِ لِلْبَصَائِرِ ، وَحَفِظَ بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ طَلِيعَةِ الْمَبَادِي وَسَاقَةِ الْمَصَائِرِ ؛ وَأَوْرَثَهُ مِنَ الْمَقَامِ الَّذِي لَا يَذْبَغِي إِلَّا لَهُ فِي عَصْرِهِ ، وَاسْتَعْدَمَ فِيهِ السُّيُوفُ وَالصُّرُوفُ مِنْ تَأْدِيَةِ فَرَائِضِ نَصْرِهِ ؛ وَأَظْهَرَ لَهُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ ، الَّتِي لَا يَخْلُومُنَهَا زَمَنٌ ، وَظَاهَرَ لَهُ مِنَ الْكَرَامَاتِ ، الَّتِي زَادَتْ عَلَى أُمْنِيَّةِ كُلِّ مُتَمَنَّ ، وَأُتِمَّنَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَسْرَارِ النُّبُوَّةِ الَّتِي رَأَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا أَشْرَفَ مُودَعٍ وَعَلَيْهَا أَكْرَمُ مُؤْتَمَنٍ ؛ وَأَجْرَى عَلَيْهِ دَوْلَتَهُ مِنْ تَذَلُّلِ الصَّعَابِ وَتَسْهِيلِ الطَّلَابِ ، وَتَفْهِيمِ أَحْزَابِ الشَّرْكَ إِذَا اجْتَمَعُوا كَمَا اجْتَمَعَ عَلَى جَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلُ الْأَحْزَابِ - يُوَاصِلُ شُكْرَ هَذِهِ النَّعْمِ التَّوَامِ ، وَيَعْرِفُ بِعَوَارِفِهَا الْفَرَادَى وَالتَّوَامِ ؛ وَيَقْدُمُ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ عَمَلٍ رَغْبَةً إِلَيْهِ فِي إِبْضَاحِ الْمَرَّاشِدِ ، وَنِيَّةً لَا تَضِلُّ عَنْهَا الْهَدَايَةُ وَلَا سِيَّمَا وَهُوَ النَّاشِدُ ؛ وَيَسْتَحِيرُهُ عَالِمًا أَنَّهُ يَقْدَمُ إِلَيْهِ أَسْبَابُ الْخَيْرِ ، وَيُنَاجِيهِ فَيُطْلِعُهُ الْإِلْهَامُ عَلَى مَا يَحِلُّ السَّيْرِ وَيَحِلُّ الْغَيْرِ ؛ وَيَأْخُذُ بِيَدِ اللَّهِ حَقَّهُ إِذَا اغْتَضَبَتْ حَقُّوقُهُ ، وَيَسْتَنْجِدُ بِاللَّهِ إِذَا اسْتَبِيحَ خِلَافُهُ وَأَسْتُجِيزَ عَقُوقُهُ ؛ وَيَفْزَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِذَا قَرَعَ الضَّائِرُ ، وَيَتَّقُ بَوْعَ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا اسْتَهْلَكَتِ الشُّبُهَةُ الْبَصَائِرَ ؛ فَمَا اعْتَرَضَ لَيْلُ كُرْبِيَّةٍ إِلَّا أَنْصَدَعَ

له عن جَفْرِ وَضَّاح ، ولا آتَقْتَضَ عَقْدُ غَادِرٍ إِلَّا عَاجِلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَمْرِ فَضَّاح ؛
ولا آتَقَطَعَتْ سُبُلُ نُصْرَةٍ إِلَّا وَصَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِمَنْ يُرْسِلُهُ ، ولا آتَصْدَعَتْ عَصَا أُلْفَةٍ
إِلَّا تَدَارَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَنْ يَجْرُدُهُ تَجْرِيدَ الصَّفَاح ؛ وإذا عَدَدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ النِّعَمَ
الْحَسِيمَةَ ، وَالْمِنَحَ الْكَرِيمَةَ ؛ وَاللِّطَائِفَ الْعَظِيمَةَ ، وَالْعَوَارِفَ الْعَمِيمَةَ ؛ وَالْآيَاتِ
الْمَعْلُومَةَ ، وَالْكِفَايَاتِ الْمُحْتَمَوَةَ وَالْعَادَاتِ الْمُنْظُومَةَ ؛ كُنْتُ أَتِيهَا السَّيِّدَ الْأَجَلَ -
أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَكَ ، وَأَعْلَى كَلِمَتِكَ - أَعْظَمَ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى أَتْرَا ، وَأَعْلَاهَا خَطَرًا ،
وَأَقْضَاهَا لِلْأُمَّةِ وَطَرًا ؛ وَأَحَقَّهَا بِأَنْ تَسْمَى نِعْمَةً ، وَأَجْدَرَهَا بِأَنْ تُعَدَّ رَحْمَةً ؛ وَأَسْمَاهَا
أَنْ تَكْشِفَ غُمَّه ، وَأَنْضَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَزَمَهُ ؛ وَأَمْضَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ
حَدًّا ، وَأَبْدَاهَا فِي الْجِهَادِ جَدًّا ؛ وَأَعْدَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ يَدًّا ، وَأَحْسَنَهَا فِعْلًا لِلْيَوْمِ
وَأَرْجَاهَا غَدًا ؛ وَأَفْرَجَهَا لِلْأَزْمَةِ وَقَدْ كَادَتْ الْأُمَّةُ تَصِيرُ سُدًى ، وَأَحَقَّ الْأَوْلِيَاءِ
بِأَنْ يَدْعَى لِلْأَوْلِيَاءِ سَيِّدًا ، وَأَبْقَاهُمْ فَعْلَةً لَا يَنْصَرِمُ فِعْلُهَا الَّذِي بَدَأَ أَبَدًا .

فَلْيَهَيِّئْكَ^(١) أَنْتَ حِزْبُ اللَّهِ الْغَالِبِ ، وَشِهَابُ الدِّينِ الثَّاقِبِ ، وَسَيْفُ اللَّهِ الْقَاضِبِ ؛
وِظْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُدُودِ ، وَمَوْرِدُ نِعْمَتِهِ الْمُرُودِ ، وَالْمَقْدَمُ فِي نَفْسِهِ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا
لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ؛ نَصْرَتُهُ حِينَ تَنْصَرُّ أَهْلُ الضَّلَالِ ، وَهَاجَرَتْ إِلَيْهِ هَاجِرًا بَرْدُ الزَّلَالِ ؛
وَبَرْدُ الظَّلَالِ ؛ وَخُضَّتْ بِحَارَ الْأَهْوَالِ ، وَفِي يَدِكَ أَمْوَاجُ الْبَصَالِ ؛ وَهِيَ فِي جِيدِكَ الْيَوْمِ
عِقْدُ جَوَاهِرِ مَنْتَهَى نَظْمِ لَالٍ ، بَلْ قَدْ بَلَغَتْ السَّمَاءَ وَزُيِّنَتْ مِنْكَ بَنُجُومُ نَهَارٍ لَا تُبْجُومُ
لَيْالٍ ؛ وَكُشِفَتْ الْغَمَاءُ وَهِيَ مُطْبِقَةٌ ، وَرَفَعَتْ نَوَاطِرَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَهِيَ مُطْرِقَةٌ ؛
وَعَقَصَتْ أَعْنَةَ الطُّغْيَانِ وَهِيَ مُطْلَقَةٌ ، وَأَعَدَّتْ بِمُحَنِّكَ عَلَى الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ بِهَجَّةٍ
شَبَابِهَا الْمُؤَنِقَةِ ؛ وَأَنْقَذَتْ الْإِسْلَامَ وَهُوَ عَلَى شَفَى جُرْفٍ هَارٍ ، وَنَفَذَتْ حِينَ لَا تَنْقُذُ

(١) فِي الْأَصْلِ فَلْيَهَيِّئْكَ . وَفِي السَّنَنِ ج ١ ص ١٨٠ « وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِيَهَيِّئْكَ الْفَارِسُ بِحِزْمِ الْهَمْزَةِ

وَلِيَهَيِّئْكَ الْفَارِسُ بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ وَلَا يَجُوزُ لِيَهَيِّئْكَ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ » . فَتَنَهُ .

السَّهام عن الأوتار؛ وسمعت دَعْوَتَهُ على بُعْد الدار، وأبصرت حقَّ الله ببصيرتك وكم من أناس لا يرونه بأبصار؛ وأجلبت طاغية الكُفر وسواك آجذبهُ ، وصدقت الله سبحانه حين دأهته منْ لا بصيرة له وكذبهُ ؛ وأقدمت على الصَّليب وجرأته متوقِّده ، وقاتلت أولياء الشيطان وعمراته متمرِّده ؛ وما يومك في نُصرة الدولة بواحد ، ولا أمسك بمجحودٍ وإن رَغِمَ أنفُ الجاحد ؛ بل أوجبت الحقَّ بهجرة بعد هجره ، وأجبت دَعْوَةَ الدين قائماً بها في غمرة بعد غمره ؛ وأقترعت صهوة هذا المحلِّ الذي رَقَّكَ إليه أمير المؤمنين باستحقاقك ، وأمات الله العاجزين بما في صُدُورهم من حَسرات لحاقك ؛ وكنت البعيدَ القريب نُصْحُهُ ، المحجوبَ النافذَ بحجَّته المذعورة أعداءُ أمير المؤمنين [به] إن فُوقَ سَهْمُهُ أو أُشْرِعَ رُحْمُهُ ؛ وما ضَرَّكَ أنْ يَخِطَّكَ أعداءُ أمير المؤمنين وأمير المؤمنين قد آرتضاك ، ولا أنْ مَنَعَكَ المُعَانِدُ حَقَّكَ وقد قضى لك وأقتضاك ؛ وما كان في مُحاجرتك عن حَظِّكَ من خدمة أمير المؤمنين الذي أنت به منه أولى ، ومُدافعتك عن حَقِّكَ في قُرب مقامه الذي لا يستطيع طَوْلاً ؛ إلا مغالبةُ الله فيكَ والله غَالِبٌ على أمره ، ومباعدتك وقد قربك الله من سِرِّ أمير المؤمنين وإن بُعدت من جَهره ؛ آستشرقتك الصُّدُور ، وتطلَّعت إليك عُيُونُ الجُهور ، وآستوجبَت عقيلة النعم بما قدمت من المهور ؛ ونصرت الإيمان بأهله ، وأظهرت الدين بمظاهرك على الدين كله ؛ وناهضت الكفرة بالباع الأشدَّ والرأى الأسد ، ونادتهم سيوفك : - ولا قَرَارَ على زَارٍ مِنَ الأسد - وأدال الله بك من قَدَمٍ على ما قَدَم ، ونَدِمَ فما أغنى عنه النَّدَم ؛ حين لَجَّ في جهالته ، وتمادى في ضلالته ؛ وآستمرَّ على آستيطالته ، وتوالت منه عَثَرَاتُ ما آتبعها باستقلالته ؛ فكم آجتاحت للدولة رجالاً ، وضيق من أرزاقهم مجالاً ؛ وسلب من خزائنها ذخائر وأسلحة وأموالاً ، ونقلها من أيدي أوليائها إلى أعداء الله تبارك وتعالى ؛ وآتسعت هَفَواته عن التعديد ،

وما العهد منها بعيد ؛ وقد نسخ الله تعالى بك حوادثها فوجب أن تُنسخ أحاديثها ،
 وأتى الأئمة منك بمن هو وليها والأئمة بن هو مغيثها ؛ ودعاك إمام عصرك بقلبه
 ولسانه وخطه على بُعد الدار ، وتحقق أنك تتصرف معه حيث تصرف وتدور معه
 حيث دار ، وأختارك على ثقة من أن الله تعالى يُجده فيك عواقب الاختيار ؛ ورأى
 لك إقدامك ورقاب الشرك صاغره ، وقُدومك وأفواه المخاوف فاعِره ، وكرّتك
 في طاعته وأبى الله تعالى أن تكون خاسره ؛ وسطا بك حين تمالي بك المشركون ،
 وتمثل لرسولهم بقوله سبحانه : ﴿ أَحْسَسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ وأنفَت عزته هجته
 الهذنه ، وقال لأوليائه : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ وأزدرى بخنازيرهم انتظاراً
 لوصولك بأسود الإسلام ، وصبر على علم أنك تُلَبِّي نداءه بالسنة الأعلام قبل السنة
 الأعلام ؛ فكنت حيث رجاً وأفضل ، ووجدت بحيث رعى وأعجل ؛ وقدمت
 فكتب الله لك العلو ، وكتب بك العدو ؛ وجمع على التوفيق لك طرفي الرّواح
 والغدو ؛ ولم يلبس الكافر لسهامك جنة إلا الفرار ، وكان ﴿ كشجرة خبيثة آجنتت
 من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ فله درك حين فانتلت بحبرك ، قبل عسكرك ،
 ونصرت بأئيرك ، قبل عشيرك ؛ وأكرم بك من قادم خطواته مبروره ، وسطواته
 للأعداء مبيره ، وكل يوم من أيامه يُعدّ سيره ؛ وإنك لمبعوث إلى بلاد أمير المؤمنين
 بعث السحاب المسخر ، ومقدم في النية وإن كنت في الزمان المؤخر ؛ وطالع بفته
 الإسلام خير بعيد أن يُفِيء الله عليها بلاد الكفار ، ورجال جهاد عددهم عندنا من
 المصطفين الأخيار ؛ وأبناء جلال يشترّون الجنة بعزائم كالنار ، وغرر نصير سُكُون
 العدو بعدها غرور ونومه غرار .

ولما جرى من جرى ذكره على عادته في إيماشك والإيماش منك بكواذب
 الظنون ، ورآم رجعتك عن الحضرة وقد قرّت بك الدار وقرّت بك العيون ؛ وكان

كما قال الله تعالى في كتابه المكنون : ﴿ لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (١) هناك عَصَبَتْ نفوس الإسلام ففتكت به أيديها ، وكشفت له عن غطاء العواقب التي كانت منه مباديها ؛ وأخذه من أخذه أليمٌ شديد ، وعدل فيه من قال ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ : ﴿ إن في ذلك لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

ولما نشرت لواء الإسلام وطواه ، وعصدت الحق وأضعف قواه ؛ وجنبت عقيب ما نويت وجنى عقيب ما نواه ، وأبنت إلا إمضاء العزم في الشك وما أمضاه ؛ ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله ﴾ ودفعت الخطب الأشق ، وطلعت أنوار النصر مشرقة بك وهل تطلع الأنوار إلا من الشرق ؟ وقال لسان الحق : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ ﴾ ، قضى الله تعالى إلى أمير المؤمنين عُدَّةً قدمها ثم قضاها ، وولاه كما ولي جده صلى الله عليه وسلم قبلةً يرضاها ؛ وأنصر له بك انتصاره لأهل البيت بسلمانه وعماره ، وأنطق أمير المؤمنين باصطفائك اليوم وبالأمر كنت عقد إضماره ؛ وفلذلك أمير المؤمنين أمر وزارته ، وتدير مملكته وحيطة ما وراء سرير خلافته ، وصيانة ما آسملت عليه دعوة إمامته ، وكفالة قضاة المسلمين ، وهداية دعاة المؤمنين ؛ وتدير ماعدقه الله بأمر المؤمنين من أمور أوليائه أجمعين ، وجنوده وعساكره المؤيدين ، المقيمين منهم والقاديين ؛ وكافة راياء الحضرة بعديها ودانيها ، وسائر أعمال الدول باديها وخافيا ؛ وما يفتح الله تعالى على يديك من البلاد ، وما تستعيده من حقوقه التي اغتصبها الأضداد ؛ وألقى إليك المقاليد بهذا التقليد ؛ وقرب عليك كل غرض بعيد ؛ وناط بك العقد والحل ، والولاية والعزل ، والمنع

(١) في اللسان "عصبت الابل وعصبت بالكسر اذا اجتمعت" . ولعل هذا مراده ان لم يكن أهمل

نقطه وأصله غضبت . تأمل .

الوطاة ما استطعت عنهم ؛ وبدلهم من بعد خوفهم أننا ، وكف من يعترضهم في عرض هذا الأدنى .

والجهاد فهو سلطان الله تعالى على أهل العناد ؛ وسطوة الله تعالى التي يُمضيها في شرّ العباد على يد خير العباد ؛ ولك من الغناء فيه مضرا وشاماً ، وثبات الجأش كراً وإقداماً ؛ والمصاف التي ضربت فكننت ضارب كُنُها ، والمواقف التي أشدنت فكننت فارح هبواتها ؛ والتدريب الذي أطلق جدك ، والتجريب الذي أوري زندق ، [ما] يغني عن تجديد الوصايا البسيطة ، وتأكيد القضايا المحيطة ؛ وما زلت تأخذ من الكفار باليمن ، وتعظم فتوحك في بلاد الشمال فكيف تكون في بلاد اليمن ؛ فاطلب أعداء الله براً وبحرا ، وأجلب عليهم سهلاً ووعراً ؛ وقسم بينهم الفتكات قتلاً وأسراً ، وغارة وحصراً ؛ قال الله تعالى في كتابه المكنون : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وتوفيق الله تعالى يفتح لك أبواب التدبير ، وخبرتك تُدلك على مرشد الأمر : ﴿ وَلَا يَنْبُئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ فانت تبتدع من المحاسن ما لا تُحيط به الوصايا ، وتخترع من الميامن ما يتعرف بركاته الأولياء والرعايا ؛ والله سبحانه وتعالى يحقق لأمر المؤمنين فيك أفضل الخائل ، ويفتح على يدك مستغلق البلاد والمعاقل ؛ ويصيب بيسهامك من الأعداء التهور والمقاتل ، ويأخذ للإسلام بك ماله عند الشرك من الثارات والطوائل ؛ ولا يضيع لك عملك في خدمة أمير المؤمنين إنه لا يضيع عمل دامل ، ويحري الأرزاق والآجال بين سبيك الفاضل وحكمك الفاضل ؛ فأعلم هذا من أمر أمير المؤمنين ورسمه ، وأعمل بموجبه وحكمه ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



وعلى نحو منه كتب القاضى الفاضل أيضا عهد الملك الناصر ، صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة عن العاضد أيضا ، وهذه نسخته :

من عبد الله ووليه عبد الله أبى محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين ، إلى السيد الأجل (على نحو ما تقدم فى تقليد عمه أسد الدين شيركوه) .

أما بعد ، فالحمد لله مصرف الأقدار ومشرّف الأقدار ، ومُحْصِي الأعمال والأعمار ؛ ومبْتَلِي الأخيار والأبرار ، وعالم سرّ الليل وجهر النهار ؛ وجاعل دولة أمير المؤمنين فلكا تتعاقب فيه أحوال الأنهار : بين آنقضاء سرّار واستقبال إبدار ؛ وروضا إذا هوت فيه الدّوحات أينعت الفروع سايقة النّوار بأسقة الثّمار ؛ ومُنْجِد دعوته بالفروع الشّاهدة بفضل أصولها ، والجواهر المستخرجة من أمضى نُصولها ، والقائم بُنصرة دولته فلا تزال حتى يرث الله الأرض ومن عليها قائمة على أصولها .

والحمد لله الذى اختار لأمر المؤمنين ودلّه على مكان الاختيار ، وأغناه باقتضاب الإلهام عن روية الاختبار ؛ وعصّد به الدين الذى ارتضاه وعصّده بمن ارتضاه ، وأنجز له من وعد السعد ما قضاه قبل أن اقتضاه ، ورفع محله عن الخلق فكلّهم من مُضاف إليه غير مُضاه ؛ وجعل مملكته عريّنا لأعتازها بالأسد وشبّله ، ونعمته ميرانا أولى بها ذوى الأرحام من بنى الولاء وأهله ، وأظهر فى هذه القضية ما أظهره فى كلّ القضايا من فضل أمير المؤمنين وعدله ؛ فأوليّاه كالآيات التى تتسّق درارىّ أفقها المنير ، وتتسّق درر عقدها النّظيم النّضير : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أنّ الله على كلّ شىء قدير ﴾ .

والحمد لله الذى أتمَّ بأمر المؤمنين نعمة الإرشاد ، وجعله أَوَّلَى مَنْ لَخَلَقَ سَادَ وَلَحَقَّ شَادَ ، وآثَرَهُ بِالْمَقَامِ الذى لا يُبْنَى إِلَّا لَهُ فى عَصْرِهِ ، وأظهر له من معجزات نصره مالا يستقلُّ العددُ بحضره ، وجمع لمن والاه بين رفع قدره ووضع إضره ، وجعل الإمامة محفوفةً فى عقبه والمعقبات تحفظه بأمره ، وأودعه الحكم التى رآه لها أحوط من أودعه ، وأطلع من أنوار وجهه الفجر الذى جهل من ظنَّ غير نوره مطلعَه ، وآتاه ما لم يؤت أحدًا ، وأمات به غيًّا وأحيا رَشَدًا ، وأقامه للدين عاضدا فأصبح به معتضدا ، وحفظ به مقامَ جدّه وإن رَغِمَ المستكبرون ، وأنعم به على أُمته أمانًا لولاه ما كانوا يَنْظُرُونَ ولا يُبْصِرُونَ ، ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين على ما آتاه من توفيقٍ يُدَلِّلُ له الصَّعْبَ الجاحِمَ ، ويُذِنُ منه البعيدَ النَّازِحَ ، ويُخَلِّفُ على الدين من صلاحه الخلف الصالح ، ويُلْزِمُ آراءه جَدَّ السُّعُودِ الواضح ، ويُريه آياتِ الإرشاد فإنه نازح (٩) قَدَحِ القادح ، ويسأله أن يصلّى على جدّه محمد الذى أنجى أهلَ الإيمانِ ببعثه ، وطهر بهديهِ من رِجْسِ الكُفْرِ وخبثه ، وأجار باتّباعه من عنتِ الشيطان وعبثه ، وأوضح جادة التوحيد لكل مشرك الاعتقاد مثله ، وعلى أبنينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى جادلت يده بلسان ذى الفقار ، وقسم ولاؤه وعداوته بين الأتقياء والأشقياء الجنة والنار ، وعلى الأئمة من دُزيتهما الذين أذلَّ الله بعزّتهم أهلَ الإلحاد ، وأصفى بما سفكوه من دِمَائِهِمْ مواردَ الرِشَادِ ، وجرت أيديهم وألستهم بأقواتِ القلوب وأرزاقِ العباد ، وسلم ومجد ، ووالى وجَدَّ .

وإن الله سبحانه ما أخلى قط دولة أمير المؤمنين التي هي مهبط الهدى ومحط
الندى، ومورد الحياة للولى والردى للعدا، من لطف يتلافى الحادثة ويتسببها
ويرأبها، ونعمة تبلغ بها النفوس أربها، وموهبة تسد موضع الكلم، وتسد
موضع السلم، وتجلي غمائم الغمم، وتجلي مغائم النعم، وتستوفي شرائط المناسج،
وتستدنى فوارط المصالح، ولم يكن ينسى الحادثة في السيد الأجل الملك المنصور
رضى الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثقله ومثواه، التي كادت لها أوانى الملك^(١)
تزعزع، ومباني التدبير تتضعع، إلا ما نظر فيه أمير المؤمنين بنور الله
من اصطفاك أيها السيد الأجل الملك الناصر: - أدام الله قدرتك - لأن تقوم
بخدمته بعده، وتسد في تقدمه جيوشه مسده، وتقو في ولاته أثره، ولا تفقد منه
إلا أثره، فوازت الفادحة فيه النعمة فيك، حتى تستوفي حظها من أمير المؤمنين بأجر
لا يضيع الله فيه عمله، فاستوجب مقعد صدق بما اعتقده من تأدية الأمانة له
وحمله، واستحق أن ينضر الله وجهه بما خلقه الله من جسمه في مواقف الجهاد
وبدله، ومضى في ذمام رضا أمير المؤمنين: وهو الذمام الذى لا يقطع الله منه
مأمره أن يصله، وأتبع من دعائه بخف أول ما تلقاه بالروح والريحان، وذخرت
له من شفاعته ما عليه معول أهل الإيمان في الأمان، فرعى الله له قطعه البيداء
إلى أمير المؤمنين وتجشمه الأسفار، ووطأه المواطن التى تغيظ الكفار، وطلووعه
على أبواب أمير المؤمنين طلوع أنوار النهار، وهجرته التى جمعت له أجرين: أجر
المهاجرين وأجر الأنصار، وشكره ذلك المسعى الذى بلغ من الشرك النار، وبلغ

(١) الأوانى جمع أخية وهى عود يعرض فى الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه

الإسلام الإيثار . وما لقيَ رَبَّهُ حَتَّى تَعْرِضَ لِلشَّهَادَةِ بَيْنَ مُخْتَلَفِ الصَّفَاحِ ، ومُسْتَجَرِّ
الرَّمَاحِ ، ومُفْتَرِّقِ الأَجْسَامِ مِنَ الأَرْوَاحِ ؛ وكانت مشاهدته لأمر المؤمنين أَجْرًا فوقَ
الشَّهَادَةِ ، وَمِنَّةٌ لله تعالى عليه له بها ما لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَهُ ؛ وَحَتَّى رَأَى
أَيُّهَا السَّيِّدُ الأَجَلُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ - أَدَامَ اللهُ قَدْرَتَكَ - قد أَقَرَّتْ نَازِرَهُ ، وأَرْغَمَتْ
مُنَازِرَهُ ؛ وَشَدَّدَتْ سُلْطَانَهُ ، وَسَدَّدَتْ مَكَانَهُ ؛ وَرَمَى بِكَ فَأَصَابَ ، وَسَقَى بِكَ
فَصَابَ ، وَجَمَعَتْ مَا فِيهِ مِنْ أَهْمَةِ الْمَشِيبِ إِلَى مَا فِيكَ مِنْ مَضَاءِ الشَّبَابِ ؛ وَلَقِيتَ
مَا أَفَادَتْهُ التَّجَارِبُ جُمْلَهُ ، وَأَعَانَتْكَ الْحَاسِنُ اتَى هِيَ فِيكَ جُلَّةً ؛ وَقَلَّبَ عَلَيْكَ إِسْنَادَ
الْفَتَكَاتِ فَتَقَلَّبْتَ ، وَأَوْضَحَ لَكَ مِنْهَاجَ الْبَرَكَاتِ فَتَقَبَّلْتَ ؛ وَسَدَّدَكَ نَهْمَا ، وَجَرَّدَكَ
شَهْمَا ؛ وَأَتَتْصَاكَ فَارْتَضَاكَ غَرَبًا ، وَأَثَرَكَ عَلَى آثَرِ وَلَدِهِ إِمَامَةً فِي التَّيْدِيرِ وَحَرَبًا ؛
وَكُنْتَ فِي السَّلْمِ لِسَانَهُ الْآخِذَ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ ، وَفِي الْحَرْبِ سِنَانَهُ النَّافِذَ فِي مَضَاقِ
الْخُطُوبِ ، وَسَاقَتَهُ إِذَا طَلَبَ ، وَطَلِيعَتَهُ إِذَا طَلَبَ ، وَقَلْبَ جَيْشِهِ إِذَا ثَبَتَ
وَجَنَاحَهُ إِذَا وَثَبَ ؛ وَلَا عُدْرَ لِشَبْلِ نَشَأَ فِي حَجَرِ أَسَدَ ، وَلَا لَهْلَالٍ أَسْتَبْلَى النُّورَ مِنْ
شَمْسٍ وَأَسَمَّتْ :

هذا ولو لم يكن لك هذا الإسناد في هذا الحديث ، وهذا المُسْنَدُ الجامع من قديم
الفخر وحديث ؛ لأَغْنَتْكَ غَرِيزَةُ عَزِيزَةٍ وَبَحِيَّةٌ وَسِيمَةٌ وَسِيمَةٌ ، وَخَلَائِقُ ، فِيهَا
مَا يُحِبُّ الْخَلَائِقُ ، وَنَحَازِرُ ، لَمْ يَحْزُ مِثْلُهَا حَازِرٌ ؛ وَنَحَاسِنُ ، مَاؤُهَا غَيْرُ أَسَنِ ، وَمَاثِرُ ، جَدُّ
غَيْرِ عَائِرٍ ؛ وَمَفَاخِرُ ، غَفَلَ عَنْهَا الأَوَّلُ : لَيْسَتْ أَرْبَعُهَا الْآخِرُ ؛ وَبِرَاعَةُ لِسَانٍ ، يَنْسَجِمُ
قِطَارُهَا ، وَشِبَاعَةُ جَنَانٍ ، تَضْطَرِمُ نَارُهَا ؛ وَخِلَالُ جِلَالٍ عَلَيْكَ شَوَاهِدُ أَنْوَارِهَا
تَتَوَضَّعُ ، وَمَسَاعِي مُسَاعِدٍ لَدَيْكَ كَأَيْمُ نُورِهَا تَتَفَتَّحُ ؛ فَكَيْفَ وَقَدْ جَمَعْتَ لَكَ فِي الْمَجْدِ
بَيْنَ نَفْسٍ وَأَبٍ وَعَمٍّ ، وَوَجِبَ أَنْ سَأَلَكَ مِنْ أَصْطِفَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَاذَا حَصَلَ ثُمَّ
عَلَى الْخَلْقِ عَمٍّ ، فَيَوْمُكَ وَاسْطَةُ فِي الْمَجْدِ بَيْنَ غَدِكَ وَأَمْسِكَ ، وَكُلُّ نَادٍ مِنْ أُنْدِيَةِ الْفَخَّارِ

لك أن تقول فيه وعلى غيرك أن يمسيك ، فبشارك أن أنعم أمير المؤمنين موصولةً
منكم بوالدٍ وولد ، وأن شمس ملكه بكم كالشمس أقوى ما كانت في بيت الأسد .

ولما رأى الله تقلب وجه أمير المؤمنين في سماءه ولآه من اختيارك قبله ، وقامت
محجته عند الله باستكفائك وزيراً له ووزراً لله ، فناجته مرشد الإلهام ، وأضاءت
له مقاصد لا تمقلها كل الأفهام ؛ وعزم له على أن قللك تدير مملكته الذي أعرفت
في إزته وأغرقت في كسبه ، ومهد لك أبعاد غاية في الفخر بما يسر لك من قربه ؛
ولقد سبق أمير المؤمنين إلى اختيارك قبل قول لسانه بضمير قلبه ، وذكر فيك قول
ربه : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ . وقللك لأنك سيف من سيوف الله
تعالى يحق به التقسُّد وله التقليد ، وأصطفاك على علم بأنك واحد متَّظم في معنى
العديد ؛ وأحيا في سلطان جُيوشه سنة جدّه الإمام المستنصر بالله في أمير جُيوشه
الأول ، وأقامك بعده كما أقام بعده ولده وإنه ليرجو أن تكون أفضل من الأفضل ؛
ونخرج أمره إليك بأن يؤعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السَّجل لك بتقليدك
وزارته التي أحلك ربوتها ، وأحل لك صهوتها ؛ وحلاك نعمتها ، و
لك (١)

نعمتها ؛ فتقلد وزارة أمير المؤمنين من رتبها التي تناهت في الإفاة ، إلى أن لارتبة
فوقها إلا ما جعله الله تعالى للخلافه ؛ وتبوأ منها صدرا لا تتطلع إليه عيون الصدور ،
وأعتقل منها في درجة على مثلها تدور البُذور : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ
عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ : وقيل ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .
وباشر مستبشرا ، وأستوطن مندبرا ؛ وأبسط يدك فقد فوض إليك أمير المؤمنين
بسطا وقبضا ، وأرفع ناظرَكَ فقد أباح لك رفعا وخفضا ؛ وأثبت على درجات

السعادة فقد جعل لحُكْمِكَ تَثْبِيْتًا وَدَحْضًا ، وَأَعْقَدُ حُبِّي الْعَزَمَاتِ لِلصَّالِحِ فَقَدْ أَطْلَقَ
بِأَمْرِكَ عَقْدًا وَنَقَضًا ؛ وَأَنْفَذُ فِيمَا أَهْلَكَ لَهُ فَقَدْ أَدَّى بِكَ نَافِلَةً مِنَ السِّيَاسَةِ وَفَرْضًا ؛
وَصَرَّفُ أُمُورَ الْمَمْلَكَةِ فَإِلَيْكَ الصَّرْفُ وَالتَّصْرِيفُ ، وَتَقِفُ أَوْدَ الْأَيَّامِ فَعَلَيْكَ أَمَانَةُ
التَّهْدِيبِ وَالتَّثْقِيفِ ؛ وَأَسْتَحِبُّ ذُبُولَ الْفَخَّارِ حَيْثُ لَا تَصِلُ التِّيَّجَانُ ، وَأَمْلَأُ لَحْظًا مِنْ
نُورِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ تَتَقَيُّ الْأَبْصَارُ لِحَيِّينَ الْأَجْفَانِ ؛ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ فَارْتَبِطْهُ
بِالتَّقْوَى الَّتِي هِيَ عُرْوَةُ النَّجَاةِ وَذَخِيرَةُ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ ، وَصَفْوَةُ مَا تَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ
مِنَ الْكَلِمَاتِ ؛ وَخَيْرُ مَا قَدَّمَتْهُ النُّفُوسُ لِنَدَاهَا فِي أَمْسِهَا ، وَجَادَلَتْ [بِهِ] يَوْمَ تَجَادُلُ كُلُّ
نَفْسٍ عَنْ نَفْسِهَا ؛ قَالَ اللَّهُ سَبِّحَانَهُ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ
آتَتْهُ لَا تُظْلَمُونَ فَيَلَا ﴾ . وَأَسْتَمِ بِالْعَدْلِ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، وَأُحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ
اللَّهُ إِلَيْكَ ؛ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ كَمَا كُنْتَ تَنْزَهْتَ عَنْ فِعْلِهِ .
وَأَوْلِيَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْصَارُهُ الْمَيَّامِينَ ، وَمَنْ يُحْفُ بِمَقَامِ مُلْكِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ
الْمَطُوفِينَ ، وَالْأَعْيَانِ الْمَعْصِيِينَ ، وَالْأَمَانِلِ وَالْأَجْنَادِ أَجْمَعِينَ ؛ فَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ حَقًّا ،
وَمَالِكُهُ رِقًّا ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ سَبْقًا ، وَأَنْصَارُهُ غَرَبًا كَمَا أَنَّ عَسَاكَ
أَنْصَارُهُ شَرْقًا ؛ فَهُمْ وَهُمْ يَدٌ فِي الطَّاعَةِ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ ؛ وَتَحْكُمُ
فِيهِمْ وَأَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَاهُمْ .

هَذَا وَقَدْ كَانَ السَّيِّدُ الْأَجْلُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - اسْتَمْطَرَهُمْ [مِنْ]
إِنْعَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَسَاحَةِ بَعْلَتِهِمْ ، وَوَأَسَى^(١) فِي هَذِهِ الْمُنْقَبَةِ الَّتِي اسْتَحَقَّ بِهَا حُسْنَ
الذِّكْرِ بَيْنَ طَوَائِفِهِمْ وَفِرْقَتِهِمْ ، فَصَنَّهُمْ مِنْ جَائِحَاتِ الْإِعْتِرَاضِ ، وَأَبْذَلَ لَهُمْ صَالِحَاتِ
الْإِعْزَاضِ ؛ وَارْفَعَ دُونَهُمُ الْحِجَابَ ، وَيَسَّرَ لَهُمُ الْأَسْبَابَ ، وَأَسْتَوْفَ مِنْهُمْ عِنْدَ

(١) لَعَلَهُ وَسَاوَى كَمَا لَا يَخْفَى .

الحُضور إليك غاياتِ الخطاب ؛ وصرفهم في بلاد أمير المؤمنين ولاةً وحماة ،
كما تُصرفهم في أوقاتِ الحرب لُماةً وكُناه ؛ وعرفهم بركةِ سلطانك ، وأقتد قلوبهم
بزمام إحسانك .

وأما القضاة والُدعاةُ فهم بين كفالتك وهديك ، والتصريفِ على أمرِك
ونهيك ؛ فاستعمل منهم مَنْ أحسنَ عملا ، فأما بالعنايات فلا .

والجهاد فانت راضعُ دَره ، وناشئةُ حَجَره ؛ وظهورُ الخيلِ مواطنك ، وظلال
الجليلِ مساكِك ؛ وفي ظلماتِ مَساكِلِه ، تُجلى محاسنك ، وفي أعقابِ نَوازله ، تُتلى
ميامنك ؛ فشمر له غن ساقٍ من القنا ، وحُض فيه بحرًا من الطبا ؛ وأخلُ فيه عُقدة
كلماتِ الله سبحانه وثِقاتِ الحُب ؛ وأسلِ الوهادَ بدماءِ العدا وأرفعْ برؤوسهم الرُبا ؛
حتى يأتِيَ اللهُ بالفتح الذي يرجو أمير المؤمنين أن يكونَ مذخورا لأَيامك ، ومشهودًا
به يومَ مقامك بين يديه من لسانِ إمامك .

والأموال فهي زُبدة حَلَب اللُطف لا العُنف ، وجمَّةٌ يمتريها الرِّفق لا العسْف ،
وما برحتْ أجَدَ ذخائرِ الدُّول للصفوف ، وأحدَ أسلِحَتها التي تَمْضى وقد تَبَسُّو
السُّيوف ؛ فقدمْ للبلادِ الاستِعمار ، تُقدِّم لك الاستِثمار ، وقطرةً من عدلٍ تنحربها
من مالٍ بحار .

والرعايا فهم ودائعُ الله لأَمرِ المؤمنين وودائعُهم لَدَيْكَ ، فاقبِضْ عنهم الأيدي
وَأَبْسُطْ بالعدلِ فيهم يديك ؛ وكُنْ بهم رءُوفًا ، وعليهم عَطُوفًا ؛ وأجعلِ الضعيفَ منهم
في الحقِّ قوياً واقوياً في الباطلِ ضَعيفاً ؛ ووَكِّلْ برعايتهم ناظرَ أَجتهادك ، وأجعلِ
أَلْسنتهم بالدُّعاء من سلاحك وقلوبهم بالمحبة من أَجنادك ؛ ولو جاز أن يَسْتَعْنِي عن

الوصية قائم بأمر، أو جالس في صدر، لاستغنى عنها بفطنتك الزكية، وفطرتك الذكية؛ ولكنها من أمير المؤمنين ذكرى لك وأنت من المؤمنين، وعراة بركة فتلق رايها باليمين؛ والله تعالى يؤيدك أيها السيد الأجل - أدام الله قدرتك - بالنصر العزيز، ويقضى لدولة أمير المؤمنين على يدك بالفتح الوحي؛ ولأهلها في نظرك بالأمر الحريز، ويمتد دست الملك بحلي مجديك الإبريز؛ ويقر عيون الأعيان بما يظهر لك في ميدان السعادة من السبق والتبريز؛ ويملك من نخلة أنعم أمير المؤمنين بما ملكك إياه ملك التحويز؛ ويلحق بك في المجد أولك، ويمجد فيك العواقب ولك؛ فأعلم ذلك من أمر أمير المؤمنين ورسمه، وأعمل بموجبه وحكمه؛ إن شاء الله تعالى.

المذهب الثالث

(أن يفتح العهد بخطبة)

وهو ما حكاه في "التعريف" عن صاحب نحر الدين إبراهيم بن لقمان، فيما كتب به للظاهر بيبرس، وذكر أن ابن لقمان ليس بحجة. ثم قال: على أن الفاضل محي الدين بن عبد الظاهر قد تبعه فيما كتب به للنصور قلاوون.

قلت: ليس ابن لقمان هو المبتكر لهذا المذهب، بل كان موجودا معمولا به. استعمله كتاب الإنشاء بديوان الخلافة ببغداد قبل ذلك بزمن طويل، وهو منبع الكتابة الذي عنه يصدر الترتيب، وقاعدتها التي يبنى عليها المصطلح. وعليه كتب عهد العادل أبي بكر بن أيوب أنحى السلطان صلاح الدين يوسف «من بغداد»^(١). وإليه مال ابن الأثير في "المثل السائر". وذكر أن الافتتاح بـ «هذا ماعهد» قد

(١) لعله للام الكامل ابن الملك العادل الخ كما يفيد ما يأتي في صلب العهد. تأمل.

أَسْتَدِلُّ بِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ ، وَأَبْنُ لِقَانٍ تَابِعٌ لِمَتَّبِعٍ . عَلَى أَنْ إِنْشَاءَهُ يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمِهِ فِي الْكُتَابَةِ ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِحُجَّةٍ فَابْنُ الْأَثِيرِ حُجَّةٌ فِي هَذَا الشَّانِ ، يُرْجَعُ إِلَيْهِ وَيَعْمَلُ بِقَوْلِهِ ، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ : ” كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَابٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ فَهُوَ أَجْدَمٌ “ . وَلِذَلِكَ مَالُ أَهْلِ الْعَصْرِ إِلَى اخْتِيَارِهِ وَالْعَمَلِ عَلَيْهِ ؛ إِلَّا أَنَّ فِيهِ مَخَالَفَةً لِمَا وَقَعَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَمْرُؤُا بَنِ حَزْمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ عُهُودِ الصَّحَابَةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وَبِكُلِّ حَالٍ فَأَهْلُ هَذَا الْمَذْهَبِ لَا يَخْرُجُونَ فِيهِ عَنْ ضَرِيَيْنِ : ضَرْبِ يَعْبرُونَ عَنْ الْأَوَامِرِ الْوَارِدَةِ فِي الْعَهْدِ عَنِ الْخَلِيفَةِ بِقَوْلِهِ : « أَمْرُهُ بِكَذَا وَأَمْرُهُ بِكَذَا » وَهِيَ طَرِيقَةُ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ ، وَعَلَيْهَا كُتِبَ عَهْدُ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ الْمَشَارِإِلَيْهِ . وَضَرْبِ يَعْبرُونَ بِقَوْلِهِمْ « أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا » وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى ، وَهِيَ طَرِيقَةُ أَهْلِ زَمَانِنَا .

وَهَذِهِ نَسْخَةُ الْعَهْدِ الْمَكْتُوبِ بِهِ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ بِبَغْدَادَ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، لِلْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ أَنْحَى السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ « يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ » وَهِيَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْمَأَنَّنَتِ الْقُلُوبُ بِذِكْرِهِ ، وَوَجَبَ عَلَى الْخَلَائِقِ جَزِيلُ حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ ؛ وَوَسَّعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَتُهُ ، وَظَهَرَتْ فِي كُلِّ أَمْرٍ حِكْمَتُهُ ؛ وَدَلَّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ بِعَجَائِبِ مَا أَحْكَمَهُ صُنْعًا وَتَدْوِيرًا ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ؛ مِمْدُ الشَّاكِرِينَ بِنِعْمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى عَدَدًا ، وَعَالِمِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ؛ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ فِي الْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ ، وَلَا يَتَوَدُّهُ حِفْظُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ

(١) تَقَدَّمَ قَبْلَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ . تَأَمَّلْ .

(٢) فِي الْأَصُولِ عَمِ السُّلْطَانِ وَهُوَ سَبْقُ قَلَمِ .

بُحْكِهِ الضَّمِير ، وَجَلَّ أَنْ يَبْلُغَ وَصْفَهُ الْبَيَانُ وَالتَّفْسِيرُ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ؛ وَابْتَعَثَهُ هَادِيًا لِلخَلْقِ ، وَأَوْصَحَ بِهِ مَنَاسِكَ الرُّشْدِ وَسُبُلَ الْحَقِّ ؛ وَأَصْطَفَاهُ مِنْ أَشْرَفِ الْأَنْسَابِ وَأَعَزِّ الْقَبَائِلِ ، وَأَجْتَبَاهُ لِإِضْاحِ الْبَرَاهِينِ وَالْأَدْلَالِ ؛ وَجَعَلَهُ لَدَيْهِ أَعْظَمَ الشُّفَعَاءِ وَأَقْرَبَ الْوَسَائِلِ ، فَقَدَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ؛ وَحَمَلَ النَّاسَ بِشَرِيعَتِهِ الْهَادِيَةِ عَلَى الْمَحَبَّةِ الْبِيضَاءِ وَالسَّنَنِ الْعَادِلِ ، حَتَّى اسْتَقَامَ أَعْوَجَاجُ كُلِّ زَائِعٍ وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ كُلُّ حَائِدٍ عَنْهُ وَمَائِلٌ ؛ وَسَجَدَ لِلَّهِ كُلُّ شَيْءٍ تَتَقِيًّا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكَرَامِ الْأَفْاضِلِ ، صَلَاةً مُسْتَمِرَّةً بِالْغُدُواتِ وَالْأَصَائِلِ ؛ خُصُوصًا عَلَى عَمِّهِ وَصِوْ أَيْبِهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّذِي أَشْتَهَرَتْ مَنَاقِبُهُ فِي الْمَجَامِعِ وَالْمَحَافِلِ ؛ وَدَرَّتْ بِرَكَّةِ الْإِسْتِسْقَاءِ بِهِ أَخْلَافُ الشُّعْبِ الْهَوَاطِلِ ، وَفَازَ مِنْ تَنْصِيصِ الرَّسُولِ عَلَى عَقِبِهِ فِي الْخِلَافَةِ بِمَا لَمْ يُفْزَ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَوَائِلِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَازَ مَوَارِيثَ النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ ، وَوَفَّرَ جَزِيلَ الْأَقْسَامِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْكَرَامَةِ ؛ لِعَبْدِهِ وَخَلِيفَتِهِ ، وَوَارِثِ نَبِيِّهِ وَمُحِبِّي شَرِيعَتِهِ ؛ الَّذِي أَحَلَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَعَارِجِ الشَّرَفِ وَالْجَلَالِ فِي أَرْفَعِ ذُرُوهِ ، وَأَعْلَقَهُ مِنْ حُسْنِ التَّوْفِيقِ الْإِلَهِيِّ بِأَمْتِنِ عِصْمَةٍ وَأَوْثَقِ عُرْوَةٍ ؛ وَاسْتَخْرَجَهُ مِنْ أُنْزِفِ نِجَارٍ وَعُتْصَرٍ ، وَأَخْتَصَّهُ بِأَرْكَانِ مَنَحَةٍ وَأَعْظَمِ مَفْخَرٍ ؛ وَنَصَبَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَالِمًا ، وَأَخْتَارَهُ لِلْمُسْلِمِينَ إِمَامًا وَحَكَمًا ؛ وَنَاطَ بِهِ أَمْرَ دِينِهِ الْخَلِيفِ ، وَجَعَلَهُ قَائِمًا بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ بَيْنَ الْقَوَى وَالضَّعِيفِ ؛ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ ، وَخَلِيفَةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ أَيْ جَعَفَرَ الْمَنْصُورِ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛

أَبْنُ الْإِمَامِ السَّعِيدِ التَّقِيِّ ، أَبِي نَصْرِ مُحَمَّدِ الظَّاهِرِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، أَبْنُ الْإِمَامِ السَّعِيدِ الْوَفِيِّ
أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ ، أَبْنُ الْإِمَامِ السَّعِيدِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُسْتَضَى بِأَمْرِ اللَّهِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ ، الْأُئِمَّةِ
الْمُهَدِّدِينَ ؛ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ، وَلَقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ
وَهُمْ عَنْهُ رَاضُونَ .

وبعد ، فَبِحَسَبِ مَا أَفَاضَهُ اللَّهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ - مِنْ
خِلَافَتِهِ فِي الْأَرْضِ ، وَفُوضَهُ إِلَى نَظَرِهِ الْمُقَدَّسِ فِي الْأُمُورِ مِنَ الْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ ،
وَمَا اسْتَخْلَصَهُ لَهُ مِنْ حِيَاطَةِ بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ ، وَوَكَّلَهُ إِلَى شَرِيفِ نَظَرِهِ وَمُقَدَّسِ
أَجْتِهَادِهِ ؛ لَا يَزَالُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - يَكَلِّفُ الْعِبَادَ بَعْنَ الرَّيَايَةِ ، وَيُسَلِّكُ بِهِمْ
فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ مَذَاهِبَ الرَّشْدِ وَسُبُلَ الْهِدَايَةِ ؛ وَيُنْشُرُ عَلَيْهِمْ جَنَاحِي
عَدْلِهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَيُنْعِمُ لَهُمُ النَّظَرَ فِي آرْتِيَادِ الْأَمْنَاءِ وَالصَّلَحَاءِ مِنْ خُلَصَاءِ أَكْفَائِهِ
وَأَعْوَانِهِ ؛ مُتَخَيِّرًا لِلِاسْتِعْرَاءِ مَنْ اسْتَحْمَدَ إِلَيْهِ بِمَشْكُورِ الْمَسَاعِي ، وَتَعَرَّفَ إِلَيْهِ
فِي سِيَاسَةِ الرَّعَايَا بِجَمِيلِ الْأَسْبَابِ وَالذَّوَائِعِ ؛ وَسَلَكَ فِي مَفْتَرَضِ الطَّاعَةِ الْوَاجِبَةِ عَلَى
الْخَلَائِقِ قَصْدَ السَّبِيلِ ، وَعُلِمَ مِنْهُ حُسْنُ الْأَضْطِلَاعِ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ بِالْعِبِّ
النَّقِيلِ ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤَيِّدُ آرَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - بِالتَّيْيِدِ
وَالْتَّسَدِيدِ ، وَيُمَدِّدُهُ أَبَدًا مِنْ أَقْسَامِ التَّوْفِيقِ الْإِلَهِيِّ بِالْمَوْفُورِ وَالْمَزِيدِ ؛ وَيَقْرُنُ عِزَّ أَعْمَةٍ
الشَّرِيفَةِ بِالْإِيْمَنِ وَالنَّجَاحِ ، وَيُسَنِّئُ لَهُ فِيمَا يَأْتِي وَيَذَرُ أَسْبَابَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ؛
وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يَنْيَبُ .

ولما وفق الله تعالى نصير الدين محمد بن سيف الدين أبي بكر بن أيوب من الطاعة المشهورة ، والخدم المشكورة ، والحظوة في جهاد أعداء الدين بالمساعي الصالحة ، والفوز من المراضى الشريفة الإمامية - أجلها الله تعالى - بالمغانم الجزيلة والصفقة الراجحة ؛ لما وصل فيه سالف شريف الاختصاص بأنفه ، وشفع تالده في تحصيل ما ثور الاستخلاص بطاريه ؛ وأستوجب بسلوكة في الطاعة المفروضة مزيد الإكرام والتفضيل ، وضرع في الإنعام عليه بمنشور شريف إمامي يسلك في أتباعه هُداة والعمل بمراشده سواء الصراط وقصد السبيل - أقتضت الآراء الشريفة المقدسة - زادها الله تعالى جلالاً متألّق الأنوار ، وقُدسا يتساوى في تعظيمه من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار - الإيعاز بإجابته إلى ما وجه أمله إلى الإنافة فيه به إليه ، والجذب بضبعيه إلى ذروة الاجتباء الذي تظهر أشعة أنواره الباهرة عليه ؛ فقلده - على خيرة الله تعالى - الزعامة والفلات ، وأعمال الحرب والمعاون والأحداث والخراج والضيايع والصدقات ، والجوالي وسائر وجوه الجبايات ؛ والعرض والعطاء ، والنفقة في الأولياء ؛ والمظالم والحسبة في بلاده ، وما يفتحه ويستولى عليه من بلاد الفرنج الملاحين ، وبلاد من تبرز إليه الأوامر الشريفة بقصده من الشاذين عن الإجماع المنعقد من المسلمين ؛ و [من] يتعدى حدود الله تعالى بخالفته من يصل (؟) من الأعمال الصالحات بولائه المفروض على الخلائق مقبولة ، وطاعته ضاعف الله جلاله بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم موصولة ؛ حيث قال عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ . وأعمد - صلوات الله عليه وسلامه - في ذلك على حسن نظره ومدد رعايته ، وألقى مقاليد التفويض إلى وفور آجتهاده وكال سياسته ؛ وخصّه من هذا الإنعام الجزيل بما

يَبْقَى لَهُ عَلَى تَعاقُبِ الدهرِ وَأَسْتِمْراره، وَيَحُلِّدُ لَهُ عَلَى مَمَرِ الزمانِ حَسَنَ ذِكْرِهِ وَجَزِيلَ نَحْاره؛ وَحِباةً بِتَقْلِيدِ يُوطِدُ لَهُ قِوَاعِدَ الممالك، وَيَفْتَحُ بِإِقْلِيدِهِ رِجَاجَ الأبوابِ وَالْمَسالكِ؛ وَيَفِيدُ قَاعِدَتَهُ فِي بِلادِهِ زِيادَةَ تَقْرِيرٍ وَتَمْهِيدٍ، وَيَطِيرُ بِهِ صِيئَتُهُ فِي كُلِّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ؛ وَوَسَمَهُ بِالْمَلِكِ الْأَجَلِّ، السَّيِّدِ، الْكاملِ، الْمُجاهِدِ، الْمُرابطِ؛ نَصِيرِ الدِّينِ، رُكنِ الْإِسْلامِ، أَثِيرِ الْأَنامِ، تاجِ الْمُلُوكِ وَالسُّلاطينِ، قَامِعِ الْكُفْرِ وَالْمُشْرِكِينَ، قاهرِ الْخِوارجِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ، غازی بَكِ مُحَمَّدٍ، بْنِ أَبِي بَكْرٍ، بْنِ أَيُّوبَ، مَعِينِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ رِعايَةً لِسُوابِقِ خِدْمَةٍ وَخِدَمِ أَسْلافِهِ وَأَبائِهِ، عَنِ وُفُورِ أَجْتِبائِهِ، وَكَمالِ أَزْدِلانِهِ؛ وَإِنافَةٍ مِنْ ذِرْوَةِ الْقُرْبِ إِلَى مَحَلِّ كَرِيمٍ، وَأَخْتِصاصًا لَهُ بِالْإِحْسانِ الَّذِي لَا يُلْقَاهُ إِلَّا مَنْ هُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. وَتَوْقًا بِصَحَّةِ دِيانَتِهِ الَّتِي يَسْلُكُ فِيهَا سَوَاءَ سَبِيلِهِ، وَأَسْتِنامَةً إِلَى أَمَانَتِهِ فِي الْخِدْمَةِ الَّتِي يَنْصَحُ فِيهَا لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ؛ وَرُكُونًا إِلَى [كُونِ] الْإِنْعَامِ عَلَيْهِ مَوْضُوعًا بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَحْسَنِ مَوْضِعٍ، واقِعًا بِهِ لَدَيْهِ فِي خَيْرِ مَسْتَقَرٍّ وَمَسْتَوْدَعٍ.

وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ (لَا زَالَتِ الْخَيْرَةُ مُوصُولَةً بِأَرائِهِ، وَالتَّائِيدُ الْإِلَهِيُّ مَقْرُونًا بِإِنْفادِهِ وَإِمضائِهِ) يَسْتَمِدُّ مِنَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ حُسْنَ الْإِعَانَةِ فِي أَصْطِفائِهِ الَّذِي آقْتَضَاهُ نَظَرُهُ الشَّرِيفُ وَأَعْتَمَدَهُ، وَأَدَّى إِلَيْهِ أَرْتِيادُهُ الْمُقَدَّسُ الْإِمَامِيُّ وَاجْتِهَادُهُ؛ وَحَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ الْجُنَّةُ الْواقِيَةُ، وَالنَّعْمَةُ الْباقِيَةُ؛ وَالْمَلْجَأُ الْمُنِيعُ، وَالْعِمَادُ الرَّفِيعُ؛ وَالذَّخِيرَةُ النَّافِعَةُ فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى، وَالْجُلْدَةُ الْمُقْتَبَسَةُ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ وَأَنْ يَدَّرِعَ بِشِعَارِها، فِي جَمِيعِ الْأَقْوالِ وَالْأَفْعالِ، وَيَهْتَدِيَ بِأَنْوارِها، فِي مَشْكلاتِ الْأُمُورِ وَالْأَحْوالِ؛ وَأَنْ يَعْمَلَ بِها سَرًّا

وجَهْرًا، وَيُشْرَحَ للقيام بِمُحْدَوْدِهَا الواجبة صَدْرًا؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ .

وأمره بتلاوة دَآبِ الله متدبرًا غَوَامِضَ عَجَائِبِهِ ، سَالِكًا سَبِيلَ الرِّشَادِ وَالْهِدَايَةِ فِي الْعَمَلِ بِهِ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَهُ مِثَالًا يَتَّبِعُهُ وَيَقْتَفِيهِ ، وَدَلِيلًا يَهْتَدِي بِرَأْسِهِ الْوَاضِحَةِ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ؛ فَإِنَّهُ الثَّقَلُ الْأَعْظَمُ ، وَسَبَبُ الله الْمُحْكَمُ ، وَالنُّورُ الَّذِي يَهْدِي بِهِ إِلَى التِّي هِيَ أَقْوَمُ ؛ ضَرَبَ الله تعالى فِيهِ لِعِبَادِهِ جَوَامِعَ الْأَمْثَالِ ، وَبَيَّنَ لَهُمْ بِهُدَاهِ الرُّشْدَ وَالضَّلَالَ ، وَفَرَّقَ بَدَلَاتِلَهُ الْوَاضِحَةِ بَيْنَ الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

وأمره بالمحافظة على مَقْرُوضِ الصَّلَوَاتِ ، وَالْدُخُولِ فِيهَا عَلَى أَكْمَلِ هَيْئَةٍ مِنْ قَوَائِنِ الْخُشُوعِ وَالْإِخْبَاتِ ؛ وَأَنْ يَكُونَ نَظَرُهُ فِي مَوْضِعِ سَجُودِهِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَنْ يُمَثِّلَ لِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ مَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيِ الله تعالى يَوْمَ الْعَرْضِ ؛ قَالَ الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ . وَأَنْ لَا يَشْتَغَلَ بِشَاغِلٍ عَنْ أَدَاءِ فُرُوضِهَا الْوَاجِبَةِ ، وَلَا يَلْهُوَ بِسَبَبٍ عَنْ إِقَامَةِ سُنَنِهَا الرَّائِبَةِ ؛ فَإِنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ الَّذِي نَمَتْ أَعَالِيهِ ، وَمِهَادُ الشَّرْعِ الَّذِي تَمَّتْ قَوَاعِدُهُ وَمَبَانِيهِ ؛ قَالَ الله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَهْتَمُّ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

وأمره أَنْ يَسْعَى إِلَى صَلَوَاتِ الْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ ، وَيُقُومَ فِي ذَلِكَ بِمَا فَرَضَهُ اللهُ تعالى عَلَيْهِ وَعَلَى الْعِبَادِ ؛ وَأَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ مُتَوَاضِعًا ، وَيَبْزُرَ إِلَى الْمَصَلِّاتِ الضَّاحِيَةِ فِي الْأَعْيَادِ خَاشِعًا ؛ وَأَنْ يُحَافِظَ فِي تَشْيِيدِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْوَاجِبِ

والمندوب ، ويعظم باعتماد ذلك شعائر الله التي هي من تقوى القلوب ؛ وأن يشمل بوافر اهتمامه وأعتنائه ، وكلال نظره وإرعائه ؛ بيوت الله التي هي محال البركات ، ومواطن العبادات ؛ والمساجد التي تأكد في تعظيمها وإجلالها حُكْمُها ، والبيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ؛ وأن يرتب لها من الخدم من يتبتل لإزالة أذناسها ، ويتصدى لإذكاء مصابيحها في الظلام وإيناسها ؛ ويقوم لها بما تحتاج إليه من أسباب الصلاح والعِارات ، ويحضر إليها ما يليق من الفُرش والكِسوات .

وأمره بالتَّبَاع سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي أَوْصَحَ جَدَّهَا ، وثَقَّفَ - عليه السلام - أَوْدَهَا ؛ وأن يعتمد فيها على الأسانيد التي نقلها الثقات ، والأحاديث التي صحَّت بالطرق السليمة والروايات ؛ وأن يقتدى بما جاءت به من مكارم الأخلاق التي تدب صلى الله عليه وسلم إلى التمسك بسببها ، ورغب أمته في الأخذ بها والعمل بأدبها ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

وأمره بمجالسة أهل العلم والدين ، وأولى الإخلاص في طاعة الله تعالى واليَقين ؛ واستشارتهم في عَوَاضِ الشُّكِّ والالتباس ، والعمل بآرائهم في التمثيل والقياس ؛ فإن الاستشارة لهم عين الهداية ، وأمن من الضلالة والغواية ؛ وبها تُلَقَّحُ عُقْمُ الأفهام والألباب ، ويُقْتَدَحُ زناد الرُّشْد والصواب ؛ قال الله تعالى في الإرشاد إلى فضلها ، والأمر في التمسك بجليلها : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ .

وأمره بمراعاة أحوال الجُند والعسكر في نُغُورِهِ ، وأن يشملهم بحُسن نظره وجميل تدبيره ؛ مستصاحبا نياتهم بإدامة التلطف والتعهد ، مستوضحاً أحوالهم بمواصلة التفحص والتفقد ؛ وأن يسوسهم سياسة تبعثهم على سلوك المنهج السليم ، ويهديهم

في انتظامها وأساقها إلى الصراط المستقيم ؛ ويَجْلِبُهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِشَرَائِطِ الْخِدْمِ ،
وَالْتِمَسْكِ مِنْهَا بِأَقْوَى الْأَسْبَابِ وَأَمْتَنِ الْعِصْمِ ؛ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَصْلَحَةِ التَّوَاصُلِ
وَالْإِتِّلَافِ ، وَيُضَدِّعُهُمْ عَنْ مُوجِبَاتِ التَّخَاذُلِ وَالْإِخْتِلَافِ ؛ وَأَنْ يَعْتَمِدَ فِيهِمْ شَرَائِطُ
الْحَزْمِ فِي الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ ، وَمَا تَقْتَضِيهِ مَصْلَحَةُ أَحْوَالِهِمْ مِنْ أَسْبَابِ الْخَفْضِ وَالرَّفْعِ ؛
وَأَنْ يُثَيِّبَ الْحَسْنَ عَلَى إِحْسَانِهِ ، وَيُسِيلَ عَلَى الْمُسِيءِ مَا وَسَّعَهُ الْعَفْوُ وَأَحْتَمَلَهُ الْأَمْرُ
ذَلِيلَ صَفْحِهِ وَأَمْتِنَانِهِ ؛ وَأَنْ يَأْخُذَ بِرَأْيِ ذَوِي التَّجَارِبِ مِنْهُمْ وَالْحُنْكَ ، وَيَحْتَنِي
بِمَشَاوَرَتِهِمْ فِي الْأَمْرِ ثَمَرَ الشَّرْكَ ؛ إِذْ فِي ذَلِكَ أَمْنٌ مِنْ خَطَا الْإِنْفِرَادِ ، وَتَرْخُجٌ عَنْ
مَقَامِ الزَّنْبِغِ وَالْإِسْتِبْدَادِ .

وَأَمْرُهُ بِالْتَّبَتُّلِ لِمَا يَلِيهِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَيَتَّصِلُ بِنَوَاحِيهِ مِنْ ثُغُورِ أَوْلَى الشَّرْكِ
وَالْعِيَادِ ؛ وَأَنْ يُصْرِفَ بِجَمَائِعِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهَا ، وَيُحْصِصَهَا بِوُفُورِ الْإِهْتِمَامِ بِهَا وَالتَّطَلُّعِ
عَلَيْهَا ؛ وَأَنْ يُشْمَلَ مَا يَبْلُغُهُ مِنَ الْحُصُونِ وَالْمَعَاوِلِ بِالْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ ، وَيَنْتَهِيَ
فِي أَسْبَابِ مَصَالِحِهَا إِلَى غَايَةِ الْوُسْعِ وَنَهَايَةِ الْإِمْكَانِ ؛ وَأَنْ يُشَخِّنَهَا بِالْمِيرَةِ الْكَثِيرَةِ
وَالذَّخَائِرِ ، وَيُمِدَّهَا مِنَ الْأَسْلِحَةِ وَالْأَلَاتِ بِالْعَدَدِ الْمُسْتَصْلِحِ الْوَافِرِ ، وَأَنْ يَتَخَيَّرَ
لِحِرَاسَتِهَا [مِنْ يَخْتَارُهُ] مِنَ الْأَمْنَاءِ الثَّقَاةِ ، وَلِسَدِّهَا مِنْ يَنْتَخِبُهَا مِنَ الشُّجْعَانِ الْكَمَاهِ ؛
وَأَنْ يُؤَكِّدَ عَلَيْهِمْ فِي آسْتِعْمَالِ أَسْبَابِ الْحِفْظَةِ وَالْإِسْتِظْهَارِ ، وَيُوقِظَهُمْ لِلْإِحْتِرَاسِ مِنْ
غَوَائِلِ الْعَقْلَةِ وَالْإِغْتِرَارِ ؛ وَأَنْ يَكُونَ الْمَشَارُ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبَوَا فِي مِمَارَسَةِ الْحُرُوبِ عَلَى
مُكَافَأَةِ الشَّدَائِدِ ، وَتَدَرَّبُوا فِي نَصَبِ الْحَبَائِلِ لِلشَّرِكِينَ وَالْأَخْذِ عَلَيْهِمْ بِالْمَرَاصِدِ ؛
وَأَنْ يَعْتَمِدَ هَذَا الْقَبِيلُ بِمَوَاصِلَةِ الْمَدَدِ ، وَكَثْرَةِ الْعَدَدِ ، وَالتَّوَسُّعِ فِي النِّفَقَةِ وَالْعَطَاءِ ،
وَالْعَمَلِ مَعَهُمْ بِمَا يَقْتَضِيهِ حَالُهُمْ وَتَفَاوُثُهُمْ فِي التَّقْصِيرِ وَالْغَنَاءِ ؛ إِذْ فِي ذَلِكَ حِسْمٌ لِمَادَّةِ
الْأَطْعَامِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَرَدٌّ لِكَيْدِ الْمَعَانِدِينَ مِنْ عَبِيدَةِ الْأَصْنَامِ ؛ فَعُلُومٌ أَنَّ هَذَا
الْغُرْضُ أَوْلَى مَا وَجَّهَتْ إِلَيْهِ الْعِنَايَاتُ وَصُرِفَتْ ، وَأَحَقُّ مَا قُصِرَتْ عَلَيْهِ الْهِمَمُ

وَوُفِّقَتْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُ مِنْ أَهَمِّ الْفُرُوضِ الَّتِي كَرَّمَ فِيهَا الْقِيَامَ بِحَقِّهِ ، وَأَكْبَرَ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي كَتَبَ الْعَمَلَ بِهَا عَلَى خَلْقِهِ ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَادِيًا فِي ذَلِكَ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ ، وَمَحَرِّضًا لِعِبَادِهِ عَلَى قِيَامِهِمْ بِفُرُوضِ الْجِهَادِ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” مَنْ نَزَلَ مَنَزِلًا يُخِيفُ فِيهِ الْمُشْرِكِينَ وَيُخِيفُونَهُ ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ سَاجِدٍ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَجْرٍ قَائِمٍ لَا يَقْعُدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَجْرِ صَائِمٍ لَا يُفْطِرُ “ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ” غَدَاةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ “ . هَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ مَنْ سَمِعَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فَوَقَفَ لَدَيْهَا ، فَكَيْفَ بَمَنْ كَانَ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ” أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ : مِمَّا سَمِعْتُ بَعْنَانَ فَرَسَهُ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ إِلَيْهَا “ .

وَأَمْرُهُ بِاِقْتِفَاءِ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي رَعَايَاهُ ، وَالْإِهْتِدَاءِ إِلَى رَعَايَةِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالْإِحْسَانِ بِمَرَّاشِدِهِ الْوَاضِحَةِ وَوَصَايَاهُ ؛ وَأَنْ يَسْلُكَ فِي السِّيَاسَةِ [بِهِمْ] سُبُلَ الصَّلَاحِ ، وَيُسْمَلِّهِمْ بِلَيْنِ الْكَنْفِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ ؛ وَيُمَدِّ ظِلَّ رِعَايَتِهِ عَلَى مُسْلِمِهِمْ وَمُعَاهِدِهِمْ ، وَيُزَحِّحَ الْأَقْدَاءَ وَالشَّوَابِبَ عَنْ مَنَاهِلِهِمْ فِي الْعَدْلِ وَمَوَارِدِهِمْ ؛ وَيَنْظُرَ فِي مَصَالِحِهِمْ نَظْرًا يُسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِي ، وَيُقِيمُ بِأَوْدِهِمْ قِيَامًا يَهْتَدِي بِهِ وَيَهْدِيهِمْ فِيهِ إِلَى الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وأمره باعتبار أسباب الإستظهار والأمانة، وأستقصاء الطاعة المستطاعة والقُدرة المحيكة، في المساعدة على قضاء تَفَثِ حُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَزُؤَارِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَأَنْ يُمِدَّهُم بِالْإِعَانَةِ فِي ذَلِكَ عَلَى تَحْقِيقِ الرَّجَاءِ وَبُلُوغِ الْمَرَامِ ، وَيَحْرُسَهُمْ مِنَ التَّخَطُّفِ وَالْأَذَى فِي حَالَتِي الظَّنِّ وَالْمَقَامِ ؛ فَإِنَّ الْحِجَّ أَحَدُ أَرْكَانِ الدِّينِ الْمَشِيدَةِ ، وَفُرُوضِهِ الْوَاجِبَةِ الْمَوْكَّدَةِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ ﴾ .

وأمره بتقوية أيدي العاملين بحُكْمِ الشَّرْعِ فِي الرِّعَايَا ، وَتَنْفِيزِ مَا يُصْدِرُ عَنْهُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْقَضَايَا ، وَالْعَمَلِ بِأَقْوَالِهِمْ فِيمَا يَثْبُتُ لَدَوِي الْأَسْتَحْقَاقِ ، وَالشَّدِّ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِيمَا يَرَوْنَهُ مِنَ الْمَنْعِ وَالْإِطْلَاقِ ؛ وَأَنَّهُ مَتَى تَأَخَّرَ أَحَدُ الْخَصْمَيْنِ عَنْ إِجَابَةِ دَاعِي الْحُكْمِ ، أَوْ تَقَاعَسَ فِي ذَلِكَ لَمَّا يُلْزَمُ مِنَ الْأَدَاءِ وَالْعُدْمِ ، جَذَبَهُ بَعْنَانُ الْقَسْرِ إِلَى مَجْلِسِ الشَّرْعِ ، وَأَضْطَرَّهُ بِقُوَّةِ الْإِنْصَافِ إِلَى الْأَدَاءِ بَعْدَ الْمَنْعِ . وَأَنْ يَتَوَخَّى عُمَالُ الْوُقُوفِ الَّتِي تَقَرَّبَ الْمُتَقَرَّبُونَ بِهَا ، وَأَسْتَمْسَكُوا فِي ثَوَابِ اللَّهِ بِمَتْنِ حَبْلِهَا . وَأَنْ يُمِدَّهُمْ بِجَمِيلِ الْمَعَاوَنَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ ، وَحُسْنِ الْمُوَازَنَةِ وَالْمُعَاوَضَةِ ، فِي الْأَسْبَابِ الَّتِي تُؤْذِنُ بِالْعَارَةِ وَالْأَسْتِثْمَاءِ ، وَتَعُوذُ عَلَيْهَا بِالمصلحة والاستخلاص والاستيفاء ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ .

وأمره أَنْ يَتَغَيَّرَ مِنْ أَوْلَى الْكَفَاءَةِ وَالزَّاهَةِ مَنْ يَسْتَخْلِصُهُ لِلْخِدْمِ وَالْأَعْمَالِ ، وَالْقِيَامِ بِالْوَجِبِ : مِنْ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَالْحِرَاسَةِ وَالتَّمْيِيزِ لِبَيْتِ الْمَالِ . وَأَنْ يَكُونُوا مِنْ دَوِي الْأَضْطِلَاجِ بِشَرَائِطِ الْخِدْمِ الْمَعِينَةِ وَأُمُورِهَا ، وَالْمُهْتَدِينَ إِلَى مَسَالِكِ صَلَاحِهَا وَتَدْوِيرِهَا . وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِأَخْذِ الْحُقُوقِ مِنْ وُجُوهِهَا الْمُتَيَقَّنَةِ ، وَجِبَابَتِهَا فِي أَوْقَاتِهَا الْمَعِينَةِ ؛ إِذْ ذَلِكَ مِنْ لَوَازِمِ مَصَالِحِ الْحُنْدِ وَوُفُورِ الْإِسْتِفْهَارِ ، وَمُوجِبَاتِ قُوَّةِ الشُّوْكَةِ .

بكثير الأعداء والأنصار، وأسباب الحِفْظَةِ^(١) التي تُحمي بها البلاد والأمصاير؛ ويأمرهم بالجرى في الطُّسُوقِ^(٢) والشُّرُوطِ على التَّمَطِّ المعتاد؛ والقيام في مصالح الأعمال على أقدام الحِدِّ والاجتهاد . وإلى العاملين على الصَّدَقَاتِ بأخذ الزَّكَّاتِ على مشرُوع السنن المهيَّج ، وقصد الصراط المتَّبَعِ ؛ من غير عدول في ذلك عن المنهاج الشرعي ، أو تساهل في تبديل حكمها المفروض وقانونها المرعي ؛ فإذا أُخِذَتْ من أربابها ، الذين يُطهِّرون ويُزكِّون بها ، كان العمل في صرفها إلى مستحقها بحكم الشريعة النبوية وموجبها . وإلى جُباةِ الحزبية من أهل الذِّمَّةِ بالمطالبة بأدائها في أول السنة ، وأستيفائها منهم على حسب أحوالهم بحكم العادة في الثروة والمسكنة ؛ إجراءً في ذلك على حكم الاستمرار والإنتظام ، ومحافظة على عظيم شعائر الإسلام .

وأمره أن يتطلع على أحوال كل من يستعمله في أمر من الأمور، ويصرفه في مصلحة من مصالح الجمهور ، تطلعاً يقتضي الوقوف على حقائق أماناتهم ، وموجب تهذيبهم في حركاتهم وسكناتهم ؛ ذهاباً مع النصيح لله تعالى في بريته ، وعملاً فيه بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " .

وأمره أن يستصليح من ذوى الأضطلاع والغناء ، من يرتب العرض والعطاء ، والنفقة في الأولياء ؛ وأن يكونوا من المشهورين بالحزم والبصيرة ، والموسومين في المناجحة بإخلاص الطوية وإصفاة السريه ؛ حالين من الأمانة والصون بما يزين ، ناكين عن مظان الشبه والطمع الذي يصبم ويشين ؛ وأن يأمرهم باتباع عادات أمثالهم في ضبط أسماء الرجال ، وتحلية الأشخاص والأشكال ؛ وأعتبار شيات

(١) في القاموس « الحفظة بالكسر والحفيظة الحمية والغضب » .

(٢) الطسوق جمع طسق وهو شبه الخراج له مقدار معلوم وليس بعربي خالص . أنظر اللسان .

الخيول وإثبات أعدادها ، وتحريض الجند على تخييرها وأقتناء جيادها ؛ وبذل الجُهد في قيامهم من الكراع واليزك والسلاح بما يلزمهم ، والعمل بقوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ . فاذا نظقت جرائد الجند المذكورين بما أثبت لديهم ، وحقق الاعتبار والعيان قيامهم بما وجب عليهم ؛ أُطلقت لهم المعاش والأرزاق بحسب إقراراتهم ، وأوصلت إليهم بمقتضى واجباتهم واستحقاقاتهم : فإن هذا الحال أصل حراسة البلاد والعباد ، وقيام الأمر بما أوجبه الله تعالى من الاستعداد بفرض الجهاد ؛ قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

وأمره بتفويض أمر الحسبة إلى مَنْ يكون بأمرها مضطلعا ، وللسنة النبوية في إقامة حدودها متبعا ؛ فيعتمد في الكشف عن أحوال العامة في تصرفاتها الواجب ، ويسلك في التطلع إلى معاملاتهم السبيل الواضح والسنن اللائح ؛^(١) في الأسواق لأعبار المكايل والموازين . ويُقيمه [مقامه] في مؤاخذه المطففين وتأديبهم بما تقتضيه شريعة الدين ؛ ويحذرهم في تعدى حدود الإنصاف شدة نكاله ، ويقابل المستحق المؤاخذه بما يرتدع به الجمع الكثير من أمثاله ؛ قال الله تعالى : ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ . وقال سبحانه : ﴿وَيْلٌ لِلطَّافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَوَّاهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

(١) يلبض في الأصل ولعله «ويطوف في الأسواق» الخ .

فليتولَّ الملكُ السَّيِّدُ، الكاملُ، المجاهدُ، المرباطُ؛ نصيرُ الدين، ركنُ الإسلام،
أثيرُ الأنام، جلالُ الدولة، نجرُ الملَّة، عزُّ الأُمَّة، سندُ الخِلافه، تاجُ الملوك
والسلطين، قانعُ الكُفَرَة والمُشركين؛ قاهرُ الخَوارج والمُتمردين، أميرُ المجاهدين،
غازى بك معين أمير المؤمنين - مآقله عبدُ الله وخليفته فى أرضه، القائمُ له بحقه
الواجب وفرضه؛ أبو جعفرِ المنصورِ المستنصر بالله أمير المؤمنين، تقليدُ مطمئنٍ
بالإيمان، وينصحُ لله ولرسوله وخليفته - صلواتُ الله عليه - فى السِّرِّ والإعلان؛
وَيُشْرَحُ بما فُوضَ إليه من هذه الأمورِ صَدْرًا، ويُقَمُّ بالواجب عليه من شُكرِ هذا
الإِنعامِ الجزيلِ سِرًّا وجهًّا؛ ويُعْمَلُ بهذه الوصايا الشريفةِ الإمامية، ويُقَفُّ آثارُ
مَراشدها المقدَّسةِ النبوية؛ ويُظْهِرُ من أثرِ الحَدِّ فى هذا الأمرِ والاجتهاد، وتحقيقِ
النظرِ الجميلِ لله والإرشاد، ما يكونُ دليلًا على تأييدِ الرأى الأشرفِ المقدَّس - أجله
الله تعالى - فى أَصْطِناعه وأَسْتِكْفائه، وإصابةِ مَوَاقِعِ النُّجَحِ والرَّشْدِ فى التفويضِ
إلى حُسْنِ قِيامِهِ وكِمالِ اِعْتِنائِهِ؛ فَلْيَقْدَرِ النِّعْمَةُ فى هذه الحالِ حَقَّ قَدَرِها، وَلْيَمْتَرِ
بِأداءِ الواجبِ بما غَلَبَ عليه من جَزِيلِ الشُّكْرِ غَيْرَ دَرَدَها؛ وَلْيُطالِعْ مع الأوقاتِ
بما يُشْكَلُ عليه من الأمورِ الغَوَامِضِ، وَلْيُنْهِ إلى العلومِ الشريفةِ المقدَّسة - أجلها الله
تعالى - ما يَلْتَبِسُ عليه من الشُّكُوكِ والغَوَامِضِ (؟)؛ لِيَرِدَ عليه من الأمثلةِ ما يُوَضِّحُ له
وجهَ الصوابِ فى الأمورِ، وَيَسْتَمِدَّ مِنَ المَراشِدِ الشريفةِ التى هى شفاءُ لما
فى الصدورِ بما يَكُونُ وروده عليه وتتابُعُهُ إليه نُورًا على نُورٍ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة العهد الذى كتب به الصاحبُ نَجْرُ الدين : إبراهيم بن لُقْمانَ ،
لِلظاهرِ بَيْرَسَ، التى أنكرَ عليه القاضى شهابُ الدين بنُ فضلِ الله فى "التعريف"
أبتدأها بِحُطْبَةٍ، وهى :

الحمد لله الذى أضفى [على الإسلام] ^(١١) ملايس الشرف ، وأظهر دُرره وكانت خافية بما استَحَكَمَ عليها من الصِّدْف ؛ وشيّد ما وهى من علائه حتى أنسى ذكرَ ما سلف ، وقِيضَ لنصره ملوكًا اتفقَ على طاعتهم من اختلف .

أحمد على نِعَمه التى رَتَبَتِ الأَعْيُنَ منها فى الرّوض الأثف ، وألطفه التى وقّفت الشكرَ عليها فليس له عنها مُنْصَرَف ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توجب من الخواف أَمْنًا ، وتسهّل من الأمور ما كان حزنًا ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى جَبَرَ من الدّين وهُنا ، وصفيه الذى أظهر من المكارم فُتُونًا لافتًا ؛ صلى الله عليه وعلى آله الذين أضحّت مناقبهم باقيةً لا تَفْنَى ، وأصحابه الذين أحسنوا فى الدّين فاستحقّوا الزيادة من الحُسنى .

وبعد ، فإن أولى الأولياء بتقديم ذِكْرِهِ ، واحقّهم أن يُصْبِحَ القلم ساجدًا وراكعًا فى تسميطير مناقبه وِزْرِهِ ؛ مَنْ سعى فأُضْحى بسعيه الجليل متقدّمًا ، ودعا إلى طاعته فأجاب مَنْ كان مُنْجِدًا ومُثَمِّمًا ؛ وما بدت يدٌ من المكرّمات إلّا كان لها زَندًا ومِعْصَمًا ، ولا استباح بسيفه حمى وعى إلا أضرمه نارًا وأجراه دَمًا .

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مُختصةً بالمقام العالى ، المولوى ، السلطانى ، المَلِكِيّ ، الظاهرى ، الركنى ، شرفه الله تعالى وأعلاه ، ذَكَرَهُ الديوانُ العَزِيزُ ، النبوى ، الإمامى ، المستنصرى - أعز الله تعالى سلطانه - تَتَوِيها بشريف قدره ، واعتَرافًا بصنعه الذى تَفَدُّ العبارة المُسَمَّية ولا تقوم بشكره ؛ وكيف لا ؟ وقد أقام الدولة العباسية بعد أن أقدّسها زمانهُ الزَّمان ، وأذهبت ما كان لها من محاسن وإحسان ؛ وأُسْتُعْتَبَ دهرها المِسيء فأُعْتَبَ ، وأرضى عنها زمانها وقد كان صالًا

عليها صَوْلَةٌ مُغْضَبٌ ، فأعاده لها سَلَامًا بعد أن كان عليها حَرْبًا ، وَصَرَفَ أَهْتَامَهُ فَرَجَعَ كُلَّ مُتَضَائِقٍ مِنْ أُمُورِهَا وَإِسْعًا رَحْبًا ، وَمَنَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ حُتًى وَعَطْفًا ، وَأَظْهَرَ لَهُ مِنَ الْوَلَاءِ رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ مَا لَا يُخْفَى ، وَأَبْدَى مِنَ الْإِهْتِمَامِ بِالْبَيْعَةِ أَمْرًا لَوْ رَامَهُ غَيْرُهُ لَا مَتَنَعَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ تَمَسَّكَ بِجَبَلِهِ مَتَمَسَّكَ لَا تَقَطَّعَ بِهِ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ؛ لَكِنَّ اللَّهَ أَذْخَرَ هَذِهِ الْحَسَنَةَ لِيُثَقِّلَ بِهَا فِي الْمِيزَانِ ثَوَابَهُ ، وَيُخَفِّفَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابَهُ وَالسَّعِيدُ مِنْ خُفِّفَ حِسَابُهُ ؛ فَهَذِهِ مَتَقَبَّةٌ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَخْلِدَهَا فِي صَحِيفَةٍ صُنْعُهُ ، وَتَكْرِمَةٌ قُضَّتْ لِهَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بِجَمْعِهِ بَعْدَ أَنْ حَصَلَ الْإِيَّاسُ مِنْ جَمْعِهِ ؛ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَشْكُرُكَ هَذِهِ الصَّنَائِعُ ، وَيَعْرِفُ أَنَّهُ لَوْلَا أَهْتَامُكَ لَا تَسَّعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ ، وَقَدْ قَلَّدَكَ الدِّيارَ الْمِصْرِيَّةَ وَالْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ ، وَالدِّيارَ الْبَكْرِيَّةَ وَالْحِجَازِيَّةَ وَالْيَمَنِيَّةَ وَالْقُرَاتِيَّةَ ؛ وَمَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْفُتُوحَاتِ غَوْرًا وَنَجْدًا ، وَفَوْضَ أَمْرِ جُنْدِهَا وَرَعَايَاهَا إِلَيْكَ حِينَ أَصْبَحَتْ فِي الْمَكَارِمِ قَرْدًا ؛ وَلَمْ يَجْعَلْ مِنْهَا بَلَدًا مِنَ الْبِلَادِ وَلَا حِصْنًا مِنَ الْحِصُونِ مُسْتَنْثَى ، وَلَا جِهَةً مِنْ الْجِهَاتِ تُعَدُّ فِي الْأَعْلَى وَلَا الْأَدْنَى .

فَلَا حِظَّ أُمُورِ الْأُمَّةِ فَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهَا حَامِلًا ، وَخَلَّصَ نَفْسَكَ مِنَ التَّبِعَاتِ الْيَوْمَ فَقَى غَيْدُ تَكُونُ مَسْئُولًا لَا سَائِلًا ؛ وَدَعَّ الْإِغْتِرَارَ بِالدُّنْيَا فَمَا نَالَ أَحَدٌ مِنْهَا طَائِلًا ، وَمَا رَأَاهَا أَحَدٌ بَعِينَ الْحَقِّ إِلَّا رَأَاهَا خَيَالًا زَائِلًا ؛ فَالسَّعِيدُ مَنْ قَطَعَ أَمَالَهُ الْمَوْصُولَهُ ، وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ زَادَ التَّقْوَى فَتَقَدَّمَ غَيْرُ التَّقْوَى مُرَدُّودَةٌ لَا مَقْبُولَهُ ؛ وَأَبْسَطَ يَدَكَ بِالْإِحْسَانِ وَالْعَدْلِ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقِرَاءَانِ ؛ وَكَفَّرَ بِهِ عَنِ الْمَرَّةِ دُنُوبًا وَأَتَانًا ، وَجَعَلَ يَوْمًا وَاحِدًا فِيهِ كِعِبَادَةِ الْعَايِدِ سِتِّينَ عَامًا ، وَمَا سَلَكَ أَحَدٌ سَبِيلَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، إِلَّا وَاجْتُنِبَتْ ثَمَارُهُ مِنْ أَفْنَانٍ ؛ وَتَرَاجَعَ الْأَمْرُ فِيهِ بَعْدَ تَدَاوُعِ أَرْكَانِهِ وَهُوَ مُشْبِيذُ الْأَرْكَانِ ، وَتَحَصَّنَ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ ؛ وَكَانَتْ

أَيَّامُهُ فِي الْأَيَّامِ أَهْيَىٰ مِنَ الْأَعْيَادِ ، وَأَحْسَنَ فِي الْعْيُونِ مِنَ الْغُرَرِ فِي أَوَّجِهِ الْحَيَادِ ،
وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعُقُودِ إِذَا حُلِّيَ بِهَا عَطَلُ الْأَجْيَادِ .

وهذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج إلى ثوابٍ وحُكَّامٍ ، وأصحابٍ رأى من أصحاب
السيوف والأقلام ؛ فإذا آستعنت بأحد منهم في أمورك فنقب عليه تنقيبا ، وأجعل
عليه في تصرفاته رقبيا ؛ وسلَّ عن أحواله ففي القيامة تكون عنه مسئولا وبما أجرم
مطلوبا ، ولا تؤلَّ منهم إلَّا من تكون مساعيه حسناتٍ لك لا ذُنُوبًا ؛ وأمرهم
بالآثاة في الأمور والرفق ، ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلَّةُ الحق ؛ وأن يقابلوا الضعفاء
في حوائجهم بالنَّغَرِ الباسِمِ والوجه الطَّلَق ، وأن لا يُعاملوا أحداً على الإحسان والإساءة
إلَّا بما يستحقُّ ؛ وأن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعية إخوانا ، وأن يُوسَّعُوهم
براً وإحساناً ؛ وأن لا يستحلُّوا حُرْمَاتِهِمْ إِذَا اسْتَحَلَّ الزَّمانُ لَهُمْ حُرْمَانَا ، فالسلمُ أخو
المسلم ولو كان عليه أميراً وسلطاناً ؛ والسعيدُ من تسجَّ ولآيته في الخير على منواله ،
وأستسنَّ بسُنَّته في تصرفاته وأحواله ، وتمجَّلَ عنه ما تعجز قدرته عن حمل أثقاله .

ومما يؤمرون به أن يُخفى ما أُحدث من سيِّئ السَّنَنِ ، وجُدَّ من المظالم التي هي
من أعظم المحن ، وأن يُستترى بإبطالها المحامد رخيصةً بأغلى ثمن ؛ ومهما جُي منها
من الأموال فإنما هي باقية في الذَّئم حاصله ، وأجباد الخزائن إن أفضت بها حاليةً
فإنما هي على الحقيقة منها عاطلة ؛ وهل أشقى ممن آحتقب إثمًا ، وآكتسب
بالسَّاعى الذميمة ذمًّا ؛ وجعل السَّواد الأعظم [له] يوم القيامة خصماً ، وتمجَّلَ ظلم
الناس فيما صدر عنه من أعماله ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .

وحقيق بالمقام الشريف المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الظاهرى ، الركنى
أن تكون ظلمات الأنام مردودةً بعذله ، وطاعته تُخفَّف ثِقلاً لا طاقة لهم بحمله ؛

فقد أضحى على الإحسان قادرا ، وصنعت له الأيام ما لم تصنعه لمن تقدم من الملوك وإن جاء آخرها ؛ فاحمد الله على أن وصل إلى جنابك إمام هدى يوجب لك منزلة التقديم ، ويثبت الخلائق على ما خصك الله به من الفضل العظيم ؛ وهذه أمور يجب أن تلاحظ وترعى ، ويوالى عليها حمد الله فإن الحمد يجب عليها عقلا وشرعا ، وقد تبين لك أنك صرت فى الأمور أصلا وصار غيرك فرعاً .

ومما يجب أيضا تقديم ذكره أمر الجهاد الذى أضحى على الأمة فرضا ، وهو العمل الذى يرجع به مسود الصوائف مبيضا ؛ وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم ، وأعد لهم عنده المقام الكريم ، وخصهم بالجنة التى لا تغوف فيها ولا تأثيم ؛ وقد تقدمت لك فى الجهاد يد بيضاء أسرع فى سواد الحساد ، وعرفت منك عزمة وهى أمضى مما تحبته ضمائر الأعماد ، وأشتهرت لك مواقف فى القتال وهى أشهر وأشهى إلى القلوب من الأعياد ؛ وبك صان الله حى الإسلام أن يتبدل ، وبِعزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول ؛ وسيفك أثر فى قلوب الكافرين قروحا لا تسدمل ، وبك يرجى أن يرجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه فى الأيام الأول ؛ فأيقظ لنصرة الإسلام جفنا ما كان غافيا ولا هاجعا ، وكُنْ فى مجاهدة أعداء الله إماما متبوعا لا تابع ، وأيد كلمة التوحيد فما تجد فى تأييدها إلا مطيعا سامعا ؛ ولا تحل الثغور من اهتمام بأمرها تبسم له الثغور ، واحتفال بيدل مادجا من ظلماتها بالنور ؛ فهذه حصون بها يحصل الانتفاع ، وعلى العدو داعية افتراق لا اجتماع ، وأولاها بالاهتمام ما كان البحر له مجاورا ، والعدو إليه ملتفنا ناظرا ؛ لاسيما ثغور الديار المصرية فإن العدو وصل إليها راجحا وراح خاسرا ، وأستأصلهم الله فيها حتى ما أقال منهم عاثرا ؛ وكذلك الأسطول الذى ترى خيله كالإلهة ، وركائبه سابقة بغير سائق . مستقلة ؛ وهو أخو الجيش السليمانى فإن ذاك غدت الريح له حامله ،

وهذا تكفلت بحمله الرياح السابله ؛ وإذا لحظها الطرف جارية في البحر كانت كالأعلام ، وإذا شبهها قال : هذه ليالٍ تُقْلَعُ بالأيام ؛ وقد سئى الله لك من السعادة كلَّ مطلب ، وآتاك من أصالة الرأي الذى يُريك المُعَيَّب ؛ وبسط بعد القبض منك الأمل ، ونشط بالسعادة ما كان من كسل ؛ وهداك إلى مناهج الحق ومازلت مهتدياً إليها ، وأزملك المراسد فلا تحتاج إلى تنبيه عليها ؛ والله تعالى يمدك بأسباب نصره ، ويوزعك شكر نعمه فإن النعمة تستم بشكره ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة عهد كتب بها القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ، للسلطان الملك المنصور قلاوون ، عن الخليفة الإمام أبى العباس أحمد الحاكم بأمر الله المتقدم ذكره على هذه الطريقة ، وهى :

الحمد لله الذى جعل آية السيف ناسخة لكثير من الآيات ، وفاسخة لعقود أولي الشك والشبهات ؛ الذى رفع بعض الخلق على بعض درجات ، وأهل لأمر البلاد والعباد من جاءت خوارق تملكه بالذى إن لم يكن من المعجزات فمن الكرامات .

ثم الحمد لله الذى جعل الخلافة العباسية بعد القُطُوب حسنة الإتياس ، وبعد الشُحُوب جميلة الإتياس ، وبعد التشريد كل دار إسلام لها أعظم من دار السلام .

والحمد لله على أن أشهدا مصارع أعدائها ، وأحمد لها عواقب إعادة نصرها وإبدائها ، ورد تشيبتها بعد أن ظن كل أحد أن شعارها الأسود ما بقي منه إلا ماصاته العيون في جفونها والقلوب في سويدائها . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له شهادة يتلذذ بذكرها اللسان، وتتمطر بفتحاتها الأفواه والأردان،
وتتلقاها ملائكة القبول فترفعها إلى أعلى مكان. ونصلى على سيدنا محمد الذى أكرمنا
الله به وشرف لنا الأنساب، وأعزنا به حتى نزل فينا محكم الكتاب؛ صلى الله عليه
وعلى آله الذين أنجب الدين منهم عن أنجب، ورضى الله عن صحابته الذين هم
خير صحاب؛ صلاة ورضوانا يوفى قائلها أجره يوم الحساب من الكثرة بغير
حساب (؟) يوم الحساب.

وبعد حمد الله على أن أحمد عواقب الأمور، وأظهر للإسلام سلطاناً أشتدت
به للأمة الظهور وشفيت الصدور؛ وأقام الخلافة العباسية في هذا الزمن بالمنصور
كما أقامها فيما مضى بالمنصور، واختار لإعلان دعوتها من يُحيي معالمها بعد العفاء
ورسومها بعد الدثور؛ وجمع لها الآن ما كان جمح عليها فيما قبل من خلاف كل
ناجم، ومنحها ما كانت تبشرها به مُحف الملاحم^(١)؛ وأنفذ كلمتها في ممالك الدولة
العلوية بخير سيف مشحون ماضى العزائم، ومازج بين طاعتها في القلوب وذكرها
في الألسنة وكيف لا والمنصور هو الحاكم؟؛ وأخرج لحياطة الأمة المحمدية ملكاً
تقسم البركات عن يمينه، وتقسم السعادة بنور جبينه؛ وتقهّر الأعداء بفتكاته،
وتهمر عقائل المعائل بأصغر راياته؛ ذو السعد الذى مازال نوره يشف حتى ظهر،
ومعجزه يرف إلى أن بهر؛ وجوهره ينتقل من جيد إلى جيد حتى علا الجبين،
وسره يكمن في قلب بعد قلب حتى علم - والحمد لله - نبأ تمكينه في الأرض بعد
حين؛ فاختره الله على علم، وأصطفاه من بين عباده بما جبّله الله عليه من كرم
وشجاعة وحلم؛ وأتى به الأمة المحمدية في وقت الاحتياج عوناً وفي إبان الاستمطار

غَنَّا ، وفي حين عَيْثُ الْأَشْبَالِ فِي غَيْرِ الْإِقْتِرَاسِ لَيْشَا ؛ فَوَجَبَ عَلَى مَنْ لَهُ فِي أَعْنَاقِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مُبَايَعَةُ رِضْوَانٍ ، وَعِنْدَ أَيْمَانِهِمْ مَصَاحِفَةُ أَيْمَانٍ ؛ وَمَنْ وَجِبَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ بِاسْتِحْقَاقِهِ لِمِيرَاثٍ مَنْصُوبِ النَّبَوَّةِ ، وَمَنْ تَصَحَّ بِهِ كُلُّ وِلَايَةٍ شَرْعِيَّةٍ يُؤْخَذُ كِتَابُهَا مِنْهُ بِقُوَّةٍ ؛ وَمَنْ هُوَ خَلِيفَةُ الزَّمَانِ وَالْعَصْرِ ، وَمِنْ بَدْعَوَاتِهِ تَنْزِيلُ بِالنَّصْرِ عَلَيْكُمْ مَعَاشِرَ الْإِسْلَامِ مَلَائِكَةُ النَّصْرِ ، وَمَنْ نَسَبُهُ بِنَسَبِ نَبِيِّكُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُتَشَجِّحٌ ، وَحَسَبُهُ بِحَسَبِهِ مُمْتَرِجٌ ، أَنْ يَفُوضَ مَا فُوضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْخَلْقِ ، إِلَى مَنْ يَقُومُ عَنْهُ بِفَرْضِ الْجِهَادِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ ؛ وَأَنْ يُؤَلِّيه وِلَايَةً شَرْعِيَّةً تَصَحُّ بِهَا الْأَحْكَامُ وَتَنْضَبِطُ أُمُورُ الْإِسْلَامِ ، وَتَأْتِي هَذِهِ الْعُصْبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ أُمَّةٍ بِإِمَامِهِمْ مِنْ طَاعَةِ خَلِيفَتِهِمْ هَذَا بَخِيرِ إِمَامٍ ؛ وَنُحْرَجُ أَمْرُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - شَرَفَهُ اللَّهُ - أَنْ يَكُونَ لِلْقَرَّرِ الْعَالِي ، الْمُؤَلَّوِيِّ ، السَّلْطَانِيِّ ، الْمَلَكِيِّ ، الْمَنْصُورِيِّ ، أَجَلَهُ اللَّهُ وَنَصْرَهُ ، وَأُظْفَرُهُ وَأُقَدَّرُهُ ، وَأَبْدَهُ وَأَيَّدَهُ ، كُلُّ مَا فُوضَهُ اللَّهُ لِمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُكْمٍ فِي الْوُجُودِ ، وَفِي التَّهَائِمِ وَالتَّجُودِ ؛ وَفِي الْمَدَائِنِ وَالْخَزَائِنِ ، وَفِي الظُّوَاهِرِ وَالْبَوَاطِنِ ؛ وَفِيمَا فَتَحَهُ اللَّهُ وَفِيمَا سَيَفْتَحُهُ ، وَفِيمَا كَانَ فَسَدَ بِالْكَفْرِ وَالرَّجَاءِ مِنْ اللَّهِ أَنَّهُ سَيُصْلِحُهُ ؛ وَفِي كُلِّ جُودٍ وَمَنْ ، وَفِي كُلِّ عَطَاءٍ وَمَنْ ؛ وَفِي كُلِّ هِبَةٍ وَتَمْلِكٍ ، وَفِي كُلِّ تَفَرُّدٍ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ شَرِيكَ ؛ وَفِي كُلِّ تَعَاهُدٍ وَتَبَذٍ ، وَفِي كُلِّ عَطَاءٍ وَأَخْذٍ ؛ وَفِي كُلِّ عَزَلٍ وَتَوَلِّيٍّ ، وَفِي كُلِّ تَسْلِيمٍ وَتَخْلِيٍّ ؛ وَفِي كُلِّ إِرْفَاقٍ وَإِنْفَاقٍ ، وَفِي كُلِّ إِنْعَامٍ وَإِطْلَاقٍ ؛ وَفِي كُلِّ تَجْدِيدٍ وَتَعْوِيضٍ ، وَفِي كُلِّ حَمْدٍ وَتَقْرِيبٍ ؛ وَوِلَايَةً عَامَّةً تَامَّةً مُحْكَمَةً مُحْكَمَةً ، مَنْضُدَةً مَنْظَّمَةً ، لَا يَتَعَقَّبُهَا نَسْخٌ مِنْ خَلْفِهَا وَلَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا ، وَلَا يَغْتَرِيهَا فَسْخٌ يَطْرَأُ عَلَيْهَا ؛ يَزِيدُهَا مَرَّ الْأَيَّامِ جَدَّةً يُعَاقِبُهَا حُسْنُ شَبَابٍ ، وَلَا يَنْتَهِي عَلَى الْأَعْوَامِ وَالْأَحْقَابِ ، نَعْمَ يَنْتَهِي إِلَى مَا نَصَبَهُ اللَّهُ لِلْإِرْشَادِ مِنْ سُنَّةٍ وَكِتَابٍ ؛

وذلك من شَرِّعَ اللهُ أقامه للهداية علماً ، وجعله إلى احتياز الثَّواب سُلماً .
 فالواجب أن يعمل بِمُجْزِيَّاتِ أمره وَكُلِّيَّاته ، وأن لا يَخْرُجَ أَحَدٌ عن مَقَدِّماته ،
 والعدل فهو الغَرَسُ المُثْمِرُ ، والسَّحَابُ المُطَرِّ ، والروضُ المزهَرُ ؛ وبه تَنْتَزِلُ
 البركات ، وتُخْلَفُ الهِبَاتُ ، وتُرَبَّى الصَّدَقَاتُ ؛ وبه عِمَارَةُ الأرض ، وبه تُؤَدَّى السَّنَةُ
 والفرص ؛ فمن زَرَعَ العدلَ أَجْتَنِيَ الخير ، ومن أَحْسَنَ كُفِيَ الضَّررَ والضَّيْرَ ؛ والظُّلمُ
 فَعاقِبَتُهُ وَخِيمُهُ ، وما يطولُ عُمُرُ المُلِكِ إلا بالمَعْدَلَةِ الرحيمه ؛ والرعية فهُمُ الوديعه
 عند أُولَى الأمر ، فلا يَخْصُصُ بِمُحْسِنِ النظر منهم زَيْدٌ ولا عَمْرُو ؛ والأموالُ ، فهى
 ذخائرُ العاقِبَةِ والمَالُ ؛ والواجبُ أن تُؤْخَذَ بِحَقِّهَا ، وتُنْفَقَ فى مَسْتَحَقِّهَا ، والجِهادُ
 بَرًّا وبحَرًّا من كَنَانَةِ الله تُفَوِّقُ سِهامَهُ ، وتَوَرِّخُ أَيامَهُ ؛ وَيُنْتَضِي حُسَامُهُ ، وَتَجْرَى
 مُنْشَأَتُهُ فى البحرِ كالأعلامِ وتُنْشَرُ أعلامُهُ ؛ وفى عُقْرِ دارِ الحربِ يُحِطُّ رِكَابُهُ ، وَيُحِطُّ
 كِتَابُهُ ؛ وتُرْسَلُ أرساؤه ، وتَجُوسُ خِلالَها فُرساؤه ؛ فليَلْزَمَ مِنْهُ دَيْدَنَا ، ويستَصْحِبْ
 مِنْهُ فِعْلاً حَسَنًا ؛ وَجِيُوشُ الإسلامِ وَكُتَاتُهُ ، وَأَمْرَاؤُهُ وَحُمَاتُهُ ؛ فهُمْ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ
 قِدَمَ هِجْرِهِ ، وَعِظَمَ نُصْرِهِ ؛ وَشِدَّةَ بَاسِ ، وَقُوَّةَ مِرَاسِ ؛ وما مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ شَهِدَ
 الفُتُوحَاتِ والحُرُوبِ ، وَأَحْسَنَ فى المُحَامَاةِ عَنِ الدِّينِ الدُّعُوبِ ؛ وَهُمْ بَقَايَا الدُّوَلِ ،
 وَنَحَايَا المُلُوكِ الأوَّلِ ؛ لاسِيَّما أُولَى السَّعْيِ النَاجِ ، وَمَنْ لَمْ نَسِبُهُ صَالِحِيَّةً إِذَا نَفَرُوا بِهَا
 قِيلَ لَهُمْ : نَعَمْ السَّلَفُ الصَّالِحُ ؛ فَأَوْسِعْهُمْ بَرًّا ، وَكُنْ بِهِمْ بَرًّا ، وَهُمْ بِمَا يَجِبُ مِنْ
 خِدْمَتِكَ أَعْلَمُ وَأَنْتَ بِمَا يَجِبُ مِنْ حُرْمَتِهِمْ أَدْرَى ؛ وَالثَّغُورَ والحِصُونَ فهُمْ ذَخَائِرُ
 الشَّدَّةِ ، وَخِزَانَتُ العَدِيدِ والعُدَّةِ ؛ ومَقَاعِدُ اللِّقْطَالِ ، وَكَائِنُ الرِّجَاءِ والرِّجَالِ ؛ فَأَحْسِنْ لَهَا
 التَّحْصِينَ ، وَفَوِّضْ أَمْرَهَا إِلَى كُلِّ قَوِيٍّ أَمِينٍ ؛ وَإِلَى كُلِّ [ذِي] دِينٍ مَتِينٍ ، وَعَقْلٍ
 رَصِينٍ ؛ وَثَوَابُ المَمَالِكِ وَثَوَابُ الأَمْصَارِ ، فَأَحْسِنْ لَهُمُ الإِخْتِيَارَ ؛ وَأَجِلْ لَهُمُ
 الإِخْتِيَارَ ، وَتَفَقَّدْ لَهُمُ الأَخْبَارَ .

وَأَمَّا مَاسِوَى ذَلِكَ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي حُدُودِ هَذِهِ الْوَصَايَا النَّافِعَةِ ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا
بِالتَّذَكُّرِ ، لَكَانَتْ سَبَّايَا الْمَقْتَرِ الْأَشْرَفِ السُّلْطَانِي ، الْمَلَكِي ، الْمَنْصُورِي ، مَكْتَفِيَةً
بِأَنْوَارِ الْمَعِيَتَةِ السَّاطِعَةِ ؛ وَزِمَامُ كُلِّ صَلَاحٍ يَجِبُ أَنْ يَشْغَلَ بِهِ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ ،
هُوَ تَقْوَى اللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ .

فَلْيَكُنْ ذَلِكَ نُصَبَ الْعَيْنِ ، وَشَغَلَ الْقَلْبَ وَالشَّفَتَيْنِ ؛ وَأَعْدَاءُ الدِّينِ مِنْ أَرْمَنِ
وَفَرَنْجٍ وَتَتَارٍ ، فَأَذِقْهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ فِي كُلِّ إِيرَادٍ لِلْغَزْوِ وَإِصْدَارٍ ؛ وَتُرْلَانٍ تَأْخُذُ
لِلْخَلْفَاءِ الْعَبَاسِيِّينَ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ النَّارَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ نَصِيرُكَ عَلَى ظُلْمِهِمْ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ .

وَأَمَّا غَيْرُهُمْ مِنْ مُجَاوِرِيهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَحْسِنْ بِاسْتِنْقَاذِكَ مِنْهُمْ الْعِلَاجَ ، وَطُبِّهِمْ
بِاسْتِصْلَاحِكَ فَبِالطَّبِّ الْمَلَكِيِّ وَالْمَنْصُورِيِّ يَنْصَلِحُ الْمِزَاجُ ؛ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .



وَعَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مَشَى الْمَقْتَرُ الْأَشْرَفُ النَّاصِرِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ الْبَارِزِيِّ الْحَمَوِيُّ صَاحِبُ
دَوَاوِينِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيِّ وَسَائِرِ الْمُلُوكِ الْإِسْلَامِيَّةِ : جَمَلَ اللَّهُ تَعَالَى
الْوُجُودَ بِوُجُودِهِ ، وَأَنَافَ بِقُدْرِهِ عَلَى كَيْوَانٍ^(١) فِي آرْتِقَائِهِ وَصُعُودِهِ ، وَجَعَلَهُ لِسُلْطَانِهِ
الْمُؤَيَّدِ رِدْءًا مَابِدًا سَعْدُ الْمُلْكِ صَاعِدًا إِلَّا كَانَ لَهُ سَعْدُ سَعُودِهِ .

فَكُتِبَ عَلَى ذَلِكَ عَهْدُ السُّلْطَانِ الْمُلْكِ الْمُؤَيَّدِ أَبِي النَّصْرِ « شَيْخ » خَلَدَ اللَّهُ
سُلْطَانَهُ ، عَنْ الْإِمَامِ الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَلِيفَةِ الْعَصْرِ -

(١) أَسْمَ لِكَوْكَبٍ زَحَلٍ وَهُوَ مَنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلْبِيَّةِ وَالْعَجْمَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَسْمَ عَيْنُهُ يَاءُ
وَلَامُهُ وَآو . انظر اللسان في مادة خ ون ج ١٦ .

أيد الله تعالى به الدين - في شعبان المكرم سنة خمس عشرة وثمانمائة، بعد خلع الناصر قرق؛ فأتى فيه بما أنجل الرّوض المنمنم والنجم الزاهر، وأوجب على العارف بنقد الأمرين أن يقول: كم ترك الأول للآخر؛ عدد فيه وقائعه المشهورة، وذكر مناقبه التي صارت على صفحات الأيام مرقومة وعلى مرّ الليالي مذكورة، وفي بطون التواريخ على توالى الجديدين وتعاقب الدهور مسطورة؛ (فكتب على ذلك عهد السلطان الملك المؤيد أبي النصر شيخ خلد الله سلطانه)^(١)، ونصّه:

الحمد لله الذي جعل الدين بنصره مؤيداً، وأنتضاه لمصالح الملك والدين فأصبح ومن مرهفات عزمه بادية بأئدة العدا، وفتح على فقر الزمان بشيخ ملك زويت له عوارف العدل ومعارف الفضل فاستغنى - ولله الحمد - بسعيد السعدا، وأصلح فساد الأحوال بأحكام رأيه وإحكام حكمه فأصبحت مأمونة الرءاء آمنة من الردى؛ وأمتن على أولياء الدولة الشريفة بمن لم يزل سهم تديره الشريف فيهم مسدداً، ومياه الظفر جارية من قناة غوره الذي بذلك تعودا، وبجر إحسانه الكامل وإن قدم العهد المديد مجدداً.

والحمد لله الذي جعل وجوه هذه الأيام بالأمن مسفرة، وليالى جودها بالعدل مقمرة؛ وعدبات أوليائها بالأفراح مزهرة، وحدائق أخصائها بالنجاح مثمرة؛ ومنازل أعدائها مقفرة موحشة، ونوازلهم مدعرة مذهشة؛ وأجسادهم بأمراض قلوبهم مشوشة، وأجسادهم بلوايح زفراتهم معطشة.

والحمد لله الذي جعل هذه الأيام الفاضلة الجلال جليلة الفضل، شاملة النظام ناطمة الشمل، هامية بالمكرّمات هائمة بالعدل؛ دانية القُطوف، معروفة بالمعروف، مغيبة الملهوف، مرهبة للألوف، متصرفة في الآفاق صارفة الصروف؛ حمداً يبرج

(١) تقدمت هذه الجملة بنصها قبل ستة أسطر فلعلها تكررت من قلم الناصح أو سهو من المؤلف فتنبه.

النُّفُوسَ ، وَيُزِيلُ الْبُوسَ ، وَيُدِيمُ السُّرُورَ ، وَيُذِيبُ الْمُحْذُورَ ، وَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) .

نَحْمَدُهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي تَفِيَّتِ الْأُمَمُ بِظِلَالِهَا ، وَبَلَّغَتْ بِهَا النُّفُوسَ غَايَةَ آمَالِهَا ، وَرَوَيْتْ بَعْدَ ظَلَمِ الْخُوفِ مِنْ حِيَاضِ أَمْنٍ زُلَالِهَا ، وَأَسْتَسَرَّتْ بَعْدَ الْحَزَنِ بِأَفْرَاحِ قَبُولِهَا وَإِقْبَالِهَا ، وَارْتَفَعَتْ بَعْدَ انْخِفَاضِهَا رُءُوسُ أَبْطَالِهَا وَأَقْيَالِهَا .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَدِيمُ النِّعْمَاءَ ، وَتُجْزِلُ الْعَطَاءَ ، وَتَكْشِفُ الْغَمَّاءَ ، وَتَقْهَرُ الْأَعْدَاءَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي قَرَّبَ طَاعَةَ أُولَى الْأُمَرِ بِطَاعَتِهِ ، وَأَيَّدَ مِنْ أَهْتَدَى مِنْهُمْ بِهِدَايَتِهِ ، وَأَعَانَهُ لِمَا أَسْتَعَانَ بِعَيْنَيْتِهِ ، وَأَظْلَمَهُ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَنْحَازُوا إِلَى حَوْزَتِهِ وَأَحْتَمَوْا بِجَمَابَتِهِ ، وَأَثْمَرَلَهُمْ غَرْسُ دِينِهِ فَرَعَوْهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ ، وَشَرَفُوا وَكْرَمُوا .

وَبَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَغَضَبِهِ سَابِقَةً ، وَرَأْفَتُهُ بِعِبَادِهِ مِتْلَاحِقَةً ، وَكَانَتْ الْمَمَالِكُ الشَّرِيفَةُ قَدْ آخَلَّتْ أُمُورُهَا ، وَصَارَ إِلَى الدُّثُورِ مَعْمُورُهَا ، وَأَشْرَفَ عَلَى الْبَوَارِ أَمِيرُهَا وَمَأْمُورُهَا ، فَالْشَّرَائِعُ مَتَغَيِّرَةٌ شَرَائِعُهَا ، وَالْعَوَائِدُ مَفْقُودَةٌ مَا تَرَاهَا ، وَالْمِظَالِمُ قَوِيٌّ سُلْطَانُهَا ، كَثِيرٌ أَعْوَانُهَا ، ضَعِيفٌ مُضَادِدُهَا ، قَلِيلٌ مُعَانِدُهَا ، فَلَا نَائِبُ سِيَاسَةٍ إِلَّا مَشْغُولٌ بِالنَّوَائِبِ ، وَلَا حَاكِمٌ شَرَعٌ إِلَّا وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ ، وَلَا تَاجِرٌ إِلَّا وَقَدْ خَسِرَتْ تِجَارَتُهُ فَمَا رِيحَتْ ، وَلَا ذُو قِرَاضٍ إِلَّا وَرُءُوسُ أُمُوالِهِ قَدْ أَنْقَرَضَتْ ، وَلَا صَاحِبُ ثَرَاثٍ إِلَّا وَقَدْ حُجِّتِ آيَةُ مِيرَاثِهِ وَنُسِخَتْ ، وَلَا رُكْنٌ مَمْلُوكَةٍ إِلَّا وَقَدْ أَنْهَدَمَ أُسَاسُهُ ، وَلَا عَصْدُ دَوْلَةٍ إِلَّا وَقَدْ بَطَلَ إِحْسَاسُهُ . أَقَامَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِإِزَالَةِ هَذِهِ النَّوَازِلِ الْفَادِحَةِ ، وَإِخْلَاقِ نَارِ هَذِهِ الْقَبَائِحِ الْفَادِحَةِ ،

مَنْ تَوَفَّرَ الدَّوَاعِي عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ السُّلْطَنَةَ الشَّرِيفَةَ ، وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى انْتِحْصَارِ ذَلِكَ فِي أَوْصَافِهِ الْمُنِيفَةِ ؛ وَدَلَّتْ أَمَّاؤُ السُّعُودِ عَلَى مَحَلَّةِ الْجَلِيلِ ، وَجَنَابِهِ الَّذِي إِذَا لَازَبَهُ مِنْ خَافِ الدَّهْرِ رَجَعَ وَطَرَفُ الدَّهْرِ عَنْهُ كَلِيلٌ ؛ طَالَمَا أَضْفَى مُوَارِدَ الْعَدْلِ ، وَأَضْفَى أَدْيَالَ الْفَضْلِ ؛ وَأَمَّنَ الْخَائِفَ ، وَرَوَّعَ الْخَائِفَ ؛ وَأَمْضَى فِي الْجِهَادِ عَزَمَهُ ، وَأَنْفَذَ فِي السَّرَايَا إِلَيْهِ حُكْمَهُ ، وَسَدَّدَ إِلَى مَعَاوِنِهِ فِي غَرَضِ الْكُفَّارِ سَهْمَهُ ؛ وَفَتَحَ الطَّرِيقَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بَعْدَ الْإِنْسَادِ ، وَأَنْعَمَ عَلَى الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِّ بِالرَّاحِلَةِ وَالزَّادِ ؛ وَعَمَّرَ الْمَسَاجِدَ ، وَجَعَلَهَا أَهْلَةً بِالرَّاكِعِ وَالسَّاجِدِ ؛ وَجَلَّا عُرُوسَ الْأُمُومَى فِي حُلِّ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ ، وَأَعَادَ عُودَ مَنَبْرِهِ الذَّائِلِ وَهُوَ نَضِيرٌ . هَذَا مَعَ شَجَاعَةٍ شَاهَدَهَا وَشَهِدَ بِهَا أَبْطَالُ الْإِسْلَامِ ، وَسَطُوعَةٌ تَحْشَاهَا الْأُسُودُ فِي الْآجَامِ ، وَوَقَارٍ يُخَضِّعُ بِالْهَيْبَةِ رُعُوسَ الْأَعْلَامِ ؛ وَبَشِيرٍ يَطْلُعُ بَجْوَهِهِ مِنْ طَالِعِ جَبْهَتِهِ ، وَنُورٍ سَاطِعٍ مِنْ جِهَةِ جَبْهَتِهِ ؛ وَحَيَاءٍ مَتَطَلَّعٍ مِنْ طَلْعَتِهِ ، وَحِبَاءٍ مَتَدَفِّقٍ مِنْ أَمَلَتِهِ ؛ وَكُنْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ الْمُؤَيَّدُ - لَا زَالَ شَمْلُ الدِّينِ بِكَ مُجْمُوعًا ، وَعِلْمُ الْإِسْلَامِ مَرْفُوعًا ، وَقَلْبُ أَهْلِ الشَّرْكِ وَالنِّفَاقِ مَرْوَعًا - أَنْتَ الْمُتَّصِفُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ ، وَالْكَاشِفُ لِنُكْثِ الشَّدَائِدِ الشَّدِيدَةِ ؛ فَلَمْ يَرَعْكَ خَطَرُ الْخَطَّارَةِ ، وَلَا انْخِلَالُ أَهْلِ صَرْخَدَ حَيْثُ أَشْهَرْتَ عِزَّائِمَ صَوَارِمِكَ الْبِتَّارَةِ ؛ وَلَا خَطَرُكَ مِنَ الْقَيْسَارِيَّةِ إِلَى الرِّيدَانِيَّةِ فِي أَسْرَعِ مَنْ غَفَوَ ، وَالشَّيْخُ لَا تُتَكَّرُ لَهُ الْخَطُوءُ ؛ وَلَا مَشَاهِدَةُ الْحِمَامِ فِي الْحِمَامِ ، وَلَا زَاغَ بَصْرِكَ بِالْبُحُونِ حِينَ أَظْلَمَ الْقَتَامُ ؛ حَتَّى زَالَ الْمَانِعُ ، وَهَجَعَ الْهَاجِعُ ؛ وَأُمِنْتَ الْخُطُوبَ ، وَفُرِّجْتَ الْكُرُوبَ ؛ وَحَلَّ دَسْتُ السُّلْطَنَةِ مِمَّنْ نَكَّتِ الْإِيمَانَ ، وَأَصَرَ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَأَقْرَرْتَ أَسْمَ الْخِلَافَةِ عَلَى الْإِنْفِرَادِ ، لَيْسْتَ خَيْرَ اللَّهِ فِي الْأَصْلَحِ لِلْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .

هَذَا وَرَأَى أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ وَأُمَرَائِهِ ، وَقُضَاتِهِ وَعُلَمَائِهِ ، وَمَشَايِخِهِ وَصُلَحَاءِهِ ، وَخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ، وَرَأَى مُوَلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ

الدِّينَ ، وَجَمَعَ بَيْنَ بَرَكَتِهِ شَمْلَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ؛ مُجْمَعٌ عَلَى تَفْوِضِ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ
وَلَايَةِ عَهْدِهِمْ وَكَفَالَةِ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ وَالْإِمَامَةِ الْعُظْمَى إِلَيْكَ - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَكَ ،
وَجَعَلَ الدَّهْرَ خَدِيكَ وَالْمَلَائِكَةَ أَعْوَانَكَ ؛ فَقَدَّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِسْتِخَارَةِ أَمَامَ
هَذَا التَّقْلِيدِ مَا يُعْتَبَرُ فِي السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ وَيُقَدَّمُ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ فِيمَا خَارَهُ اللَّهُ لَهُ
وَلِلْأُمَّةِ مِنْ وَلَايَتِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُبْجَلُ وَالسُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ ؛ وَأَنْكَ أَبْرَأَ لِلدَّيْمِ ، وَأَبْرَأَ
بِالْأَمَّةِ ؛ وَشَاهَدَ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى سَاطِطِكَ مِنَ التَّائِفِ وَالْإِتِّفَاقِ ، مَا نَفَى الْخِلَافَ
وَالشَّقَاقَ ؛ وَمَا سَرَّ الْجُمْهُورَ الطَّائِعِينَ مِنْ غَيْرِ دِفَاعٍ ، وَالْحَمَّ الْغَفِيرَ لِبَدِيعِ آرَائِكَ وَرَفِيعِ
رَايَاتِكَ مُذْنَعِينَ لِحَسَنِ الْإِتِّبَاعِ ؛ وَأَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ لِأَمْرِكَ وَنَبِيكَ قَدْ خَضَعْتُ
مِنْهُمْ الرِّقَابَ ، وَسَارَعُوا إِلَى إِبَاجَةِ دَعْوَتِكَ حِينَ أَنْضَحْتُ لَهُمْ أَدْلَّةَ الصَّوَابِ .
وَالزَّمَانُ بِإِقْضَاءِ الْأَمْرِ إِلَيْكَ قَدْ طَابَ وَاعْتَدَلَ ، وَالْأَرْضُ فِي مِشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا
بِمَهَاتِكَ قَدْ أَمِنَتْ مِنَ الْوَجَلِ ، وَالنَّفُوسُ الْآيِيَّةَ قَدْ أذَعَنْتْ لِمُبَايَعَتِكَ مِنْ غَيْرِ مَهَلٍ ؛
وَالْفِتْنَةُ وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ بِالغَيْظِ مُيَّيرَهَا ، وَالْأُلُفَةُ وَقَدْ بَرَقَتْ مِنْ سِرَائِرِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ
أَسَارِيرُهَا ؛ وَالْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ كَمَا أَحَاطَتْ بِالْبُدُورِ الْمَالِهِ ، وَقَدْ أُنْزِلَ
اللَّهُ عَلَيْكَ نَامُوسَ الْمَهَابَةِ وَالْحِلَالَةِ ؛ وَفُوضَ إِلَيْكَ مَا وَلَّاهُ اللَّهُ مِنْ أُمُورِ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَسَنَدَ إِلَيْكَ مَا فِي يَدِهِ مِنْ مَصَالِحِ عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ : لَتُقِيمَ عَلَى أُسَاسِ
أَحْكَامِكَ دَعَائِمُ الدِّينِ الْقَوِيمِ ، وَتُسَيَّرَ الْخِلَافُ عَلَى مِنْهَاجِ طَرِيقِكَ الْمُسْتَقِيمِ ؛
وَتَحْسُنَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِرِعَايَتِكَ عَاقِبَةُ الرِّعْيَةِ ، كَمَا أَصْبَحَتْ قُلُوبُهُمْ بِكَ رَاضِيَةً
مَرْضِيَةً .

وَعَهْدَ إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَا وَرَاءَ سَرِيرِ خِلَافَتِهِ ، وَفِي كُلِّ مَا يَرْتَبِطُ بِأَحْكَامِ
إِمَامَتِهِ ؛ وَقَدْ لَكَ ذَلِكَ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَبُعْدًا وَقُرْبًا ، وَبَرًّا وَبَحْرًا ، وَسَهْلًا وَوَعْرًا ؛
وَفِي كُلِّ مَالِهِ مِنَ الْمُلْكِ وَالْمَالِكِ ، وَمَا يَفْتَحُهُ [اللَّهُ] عَلَى يَدِكَ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ تَفْوِضًا

شاملاً، وتقليداً كاملاً؛ وعهداً تاماً، وإسناداً عاتقاً؛ ولايةً مكلّةً البنيان، مؤسّسةً على تقوى من الله ورضوان؛ وسلطنةً آخذةً بالذمم، مشتملةً على جميع الأمم؛ يدخل في هذا العهد العامّ والتفويض التامّ، والرأى الذى شهد له إجماع الأئمة بالإحكام؛ [يدخل في ذلك] ^(١) مفضول الناس وفاضلهم، وعالمهم وجاهلهم؛ وخاصهم وعامهم، وناقصهم وتامهم؛ وشريفهم ومشروفهم، وقويهم وضعيفهم؛ وأميرهم ومأمورهم، وقاهرهم ومقهورهم؛ والجمع والجماعات، وبيوت العباد والطاعات؛ والقضاة وأحكامها، والخطباء ومنابرهم وأعلامهم؛ والجيوش والعساكر والكثائب، ورب سيف وكتاب إنشاء وقلم حاسب؛ وطوائف الرعايا على اختلاف أطوارهم، وتفاوت أرزاقهم وأقدارهم؛ والعربان والعشائر، وبيوت الأموال والذخائر؛ ودانى الأمم وقاصيها، وطائعها وعاصيها؛ والخراج وجبايته، والمصروف وجهاته؛ والصدقات ومستحقوها، والرزق ومرترقوها؛ والإقطاعات والأجناد، وما يستعدّ [به] لمواطن الجهاد؛ والمنع والعطاء، والقبض والإمضاء؛ والخمس والزكوات، والهدن والمعاهدات، والبيع والقنات؛ وما يظهر من أمور الملك وما يخفى، وما تستدعيه براعتك فى السر والخفا؛ وشعار السلطنة وأهبتها، ونواميس الملك وحرمتها.

فاجبت - رعاك الله - دعوة أمير المؤمنين ودعوتهم لقبول ذلك مسئلاً، معتمداً على أن الله سينزل إليك من يسدّدك من الملائك فعلاً وقولاً؛ فاجلس - أيدك الله - على تحت ملكٍ قد هياه الله لمواقفك المطهرة، وسرير سلطنة علقت سرر سعدك الأبعد فقاعست الهم عنه مقصره .

فالحمد لله ثم الحمد لله عن الدهر وأبنائه، ولا مثل هذه النعمة بهذا الخبر وأبنائه؛ ﴿ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ﴾ وهذا ما كان من قضية الدين على رغم

(١) ما بين القوسين فى الأصل وهو من زيادة النسخ كما لا يخفى .

الْوَسْوَاسَ الْخَنَّاسَ ؛ وهذا ما كانت الآمالُ تنتظرُ ورُودَه ، وجواری القِدمِ ترتقبُ
سُعودَه :

واللهِ ما زادوكَ مُلكًا إِمَّا * زادوا أَكُفَّ الطالِبِينَ نَوَالًا !

وأما الوصايا ، فانتَ بحمدِ الله طالما ملأتَ بها الأسماعَ ، وكشفتَ عاطفتكَ لمن
أردتَ ترتيبه عنها القِناعَ ؛ ولكن عَهد من تعبداتك السماعَ لشذوها ، والطربَ
لحدوها ؛ فعليك بتقوى الله ، فيها تُورِقُ أغصانُ الأربِ الذَّوابِلِ ، ويُغرَّدُ طائرُ عِزِّك
الميمُونُ بالأنحار والأصائلِ ؛ فاجعلها ربيعَ صَدْرِكَ ، وأَينعُ بها حدائقَ فِكْرِكَ ؛
ورُوحَ بعرفها الأريجَ أرجاءَ مُلكك ، وأجرِ الشَّرْعِ الشَّريفِ على ما عودته من نصرك ،
والعلماءَ على ما ألقوه من بَرِّكَ وخَيْرِكَ ؛ فهم ورثته الأنبياء عليهم السلام ، والدالُّونَ على
الشريعةِ بأسِنَّةِ أَقلامهم ما يَكُلُّ عنه حدُّ الحُسامِ ؛ وطَهَّرَ مَنْصِبَ الشَّرْعِ الشَّريفِ
من الرِّذائلِ ، وضمنَ أَيَّامَ مُلكك الشَّريفِ عن الجُهَّالِ والآكِلينِ أموالَ الناسِ
بالباطلِ ؛ والعدلِ - ونستغفر الله - فإنك مُثَمَّرٌ لغراسه ، رافعٌ ما أَنهدم من أساسه ؛
قد جعَلته مجلسَ محاکماتك ، وأَينسَ خَلواتك ؛ والفضلِ - وبِرِّكَ أَجْمَلَ الأَقلامِ
فلو مرَّ بك راجيكَ على الصِّفِّ لأرتاح للعروف ، أو شاهدَ هِباتِكَ حاتمٌ لرجع طَرَفُهُ
عنها وهو مطرُوف ؛ ولا سَرَفَ في الخيرِ ، ولا ضَرَرَ ولا ضَيْرَ ؛ وأُمِرُ بالمعروفِ وأَنَّهُ
عن المنكرِ فانتَ المسؤولُ بين يَدَيِ الله عن ذلك ، وأَنَّهُ نفسَكَ عن الهوى يَحِثُّ
لا يَراك اللهُ هنالك ؛ وحدودَ الله فلا تتعدَّها ، والرايا خُطُها بعينِ رعايتك وأَراعها ؛
وجنِّدِ الجنودَ برًّا وبحرا ، وأَنلِ أعداءَكَ قَهْرًا وقَسْرًا ؛ وراجعِ النَّظَرَ في أمرِ نُوابِ
السلطنة الشريفة مرَاجعةَ الناقدِ البصيرِ ، وتيقِّظْ لصيانةِ قِلاعِ الممالكِ ومعاقلها
وحُصُونها ، وتخيِّرْ لها مَنْ ليس بمشكوك المُناصحة ولا مظنونها ؛ وحُطَّها مع عِمارتها

بالعدة والعدد، والأقوات لكي تطمئن النفوس بمددها منها إذا طالت المدد؛ وتفقد أحوال من فيها من المستخدمه، وأرع حقوق من له بها خدمة متقدمه؛ وأجعل الثغور باسمه بحفظتها، ولا حظ الأمور بحسن تدبيرك المألوف في سياستها. وأستوص خيراً بأمرائك الخالصين من الشكوك، السالكين في طاعتك أحسن السلوك؛ وضاعف لهم الحرمه، وأرع لهم الذمه؛ لاسيما أولى الفكر الثاقب، والرأي الصائب؛ فشاوهم في مهمات الأمور، وأشرح بإحسانك منهم الصدور؛ وأرع حقوق المهاجرين والأنصار، الذين سلكت معك مطاياهم البطاح والقفار، وهجروا محبوبهم من الوطن والدار؛ وجادلوا وجادلوا، وآووا في سبيلك وقاتلوا؛ وأنبأ كلاً منهم ما يرجوه، وأشرح صدورهم بإدراك ما أمّلوه؛ وجيوش الإسلام فاغرس محبتك في قلوبهم بإحسانك، وكما سبقهم حساً فتحبب إليهم بجزيل أمتنانك؛ وجيوش البحر فكُن لها محيطاً، وبجليات مشيهاً محيطاً؛ فإنها توجه للأصقاع، سليمانية الإسراع؛ تقذف بالرعب في قلوب أعداء الدين، وتقلع بقلوعها آثار الملحدين؛ فواصل تجهيز السرايا لركوب ثبجه، والغوص إلى أعداء الله في عميق ثبجه. وأجمل النظر في بيت الله الحرام، وحرم رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام؛ لتسلك عين الأمن الأباطح، وتقر عيون حمره بالمائع والمائع؛ وتتعرف بعرفانك عرفات، وترى مخاوف الخيف من أيدي مهاتيك بالجمرات؛ وصل جيرانهما بصلاتك؛ لتسهر أعينهم بالدعاء لك وأنت في غفواتك. والقدس الشريف الذي هو أحد المساجد التي تشد إليها الرحال فردّ تقديسه، وأجعل ربوع عباداته بالصلوات مانوسة. وإقامة موسم الحج كل سنة فانت بعد حركة تيمور فاتح سبيله، وكاسي ثبجه حلل توقيره ونبهيله.

هذه الوصايا تَذَكُّرةً للخطاير الشريفة وحاشاك من النسيان ، وهذا عهد أمير المؤمنين ومبايعة أولي الحل والعقد قد تفاضيا إلى حَقِّكَ على الزمان ، وعندك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ماضل من تمسك بهما ولا مان ، فاتَّبِعْ أحكامَ الله يُوسِّعِ اللهُ لك في مُلْكِكَ ، وأجعل هَدْيِكَ بهما إمامَ نبيك وأمرِكَ ؛ وأدِّ مَاقَلَدَكَ اللهُ من حقوق الإمامة والأمانة إلى خلقه أداءً موفورا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ .

قلت : ولما كان هذا العهد قد آدَرَ عَجَلَابِ العجائب فَأَعْجَبَ ، وأرتدى برداء الغرائب فَأَغْرَبَ ؛ وسقى غَرْسُهُ ماءَ البلاغة فَأَنْجَبَ ، وشَفَّ الأسماعَ إِذْ أَسْمَعَ فأرقص على السماع وأطرب ؛ وأمتطى صهوةَ جِيَادِ الْبَيَانِ فتنقَّلَ فيها من كُمَيْتٍ إلى أَشْقَرٍ ومن أَحْوَى إلى أَشْهَبٍ - أَحْبَبْتُ أَنْ آتِيَ لَه بِطُرَّةٍ هِيَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ ذَيْلٌ ، وَنُفْبَةٌ مِنْ بَحْرِ وَقْطَرَةٍ مِنْ سَيْلٍ ؛ لِأَجْرَمَ جَعَلْتُهَا فِي الْوَضْعِ فِي الْكِتَابِ لَهُ لِاحِقَهُ ، وَإِنْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ تَكُونَ الطُّرَّةُ لِلْعَهْدِ سَابِقَهُ ؛ وَهُوَ :

هذا عهدٌ شريفٌ ترقُّهُ أَقْلَامُ أَشْعَةِ الشَّمْسِ بَدَهَبِ الْأَصِيلِ عَلَى صَفَحَاتِ الْأَيَّامِ ، وَتُعِجِّمُهُ كُفُّ الثَّرِيَّا بِنُقْطِ النُّجُومِ الزَّوَاهِرِ وَإِنْ كَانَ لَاعَهْدَ لِلْعُهُودِ بِالْإِنْجَامِ ، وَتَعْتَرِفُ مَلُوكُ الْأَرْضِ أَنَّ صَاحِبَهُ شَيْخُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ فَتَقْدِمُهُ فِي الرَّأْيِ وَتُجِلُّهُ فِي الرَّبِّةِ وَتَعَامِلُهُ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ؛ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ ، وَخَلِيفَتِهِ فِي أَرْضِهِ وَصَفِيِّهِ ، وَسُلَيْلِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ وَأَبْنِ عَمِّ نَبِيِّهِ ؛ الْإِمَامِ الْفَلَانِي (إِلَى السَّلْطَانِ الْإِعْظَمِ الْمَلِكِ الْفَلَانِي إِلَى آخِرِ الْأَلْقَابِ) .



وهذه نسخة عهد على هذا المذهب ، كُتِبَ به عن أمير المؤمنين المستعين بالله
أبي الفضل العباس خليفة العصر، للملك العادل شمس الدنيا والدين «مظفر شاه»
بالسلطنة بالملكة الهندية، في شوال سنة ثلاث عشرة وثمانمائة بدمشق المحروسة؛ من
إنشاء الشيخ الإمام علامة العصر، جامع أشتات الأدب ومالك زمامه، تقي الدين
محمد بن حجة، الشاعر الحموي، ومفتي دار العدل بجماة المحروسة، مما كُتِبَ بخط
المولى تاج الدين عبد الرحمن بن التاج ، أحد كتّاب الإنشاء الشريف بالأبواب
الشريفة ، في قطع البغدادى الكامل بخفيف الطومار، وكانت الطرة المكتتبة
في الوصل الأول خمسة أسطر بالقلم المذكور، وسطرين بخفيف المحقق ، والطرة
البيضاء خمسة أوصال ، والياض بين كل سطرين ثلث ذراع، وبيت العلامة
الشريفة ضعف ذلك ، والهامش رُبع الورق على العادة . وصورة الطرة :

عهد شريف عهد به عبد الله ووليه سيدنا ومولانا الإمام الأعظم العباس أبو الفضل
المستعين بالله أمير المؤمنين، وآبن عم سيد المرسلين، أعز الله به الدين، وأمتع ببقائه
الإسلام والمسلمين؛ إلى المقام الأشرف، العالى، السلطاني، العادلى، الشمسى ،
أبى المجاهد «مظفر شاه» أعز الله تعالى أنصاره . وقلّده السلطنة المعظمة بحضرة
«دهلى» وأعمالها ومضافاتها على عادة من تقدّمه فى ذلك؛ ولاية عامة شاملة كاملة
جامعه، وازعة قاطعة ساطعه؛ شريفة منيفة : فى سائر الممالك الهندية وأقاليمها ،
وتغورها وبلادها، وعساكرها وأكابرها وأصاغرها ، ورعاياها ورعاتها، وحكامها
وقضاتها، وما آحتوت عليه شرقا وغربا، بعدا وقربا على ما شرح فيه .

الصدر بعد البسملة الشريفة :

الحمد لله الذى وثَّقَ عهدَ النَّجَاحِ لِلْمُسْتَعِينِ بِهِ ، وَثَبَّتْ أَوْتَادَهُ : لِيَفُوزَ مَنْ تَمَسَّكَ
من غيرِ فاصلةٍ بِسَبَبِهِ ؛ وَزَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحِ وَحِفْظَا ، وَأَفْرَغَ عَلَى أَعْطَافِ
الأَرْضِ حُلَّ الخِلافةِ الشَّرِيفَةِ ، وَعَلِمَ أَنَّ خَلْفَهَا الشَّرِيفَ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقَالَ
عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : « إِنِّى جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً » . وَأَخْتَارَهَا مِنْ بَيْتِ بَرَاعَةِ
أَسْتِهْلَالِهِ فِي أَوَّلِ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ، وَسَبَقَتْ إِرَادَتُهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ - أَنْ تَكُونَ هَذِهِ
النَّهْلَةُ مِنْ سِقَايَةِ الْعَبَّاسِ .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ جَعَلَ هَذِهِ السَّقَايَةَ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ، وَمَنْ عِلِمَ شَرَفَهَا
تَمَيَّزَ وَتَمَسَّكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَسْتَخْلَفَ آلَهُ فِي الأَرْضِ وَفَضَّلَهُمْ ، فَإِنْ تَحَدَّثَ أَحَدٌ فِي شَرَفِ
بَيْتِ فَالْتَّه سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الْبَيْتَ وَالْحَدِيثَ لَهُمْ ؛ فَأَكْرَمَ بِهِ بَيْتًا مِنْ أَقْرَبُ بَعْدِيَّتِهِ
كَانَ لَهُ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنَ النَّارِ عِثْقًا ، وَتَمَتَّعَ بِبَنِيمِ بَرَكَتِهِ الَّتِى لَا يَتَجَنَّبُهَا إِلَّا الْأَشْقَى ؛ وَهُوَ الْبَيْتُ
الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ مِنْهُ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ،
وَصَفَّى أَهْلَهُ مِنَ الْأَدْنَسِ وَأَنْزَلَ فِي حَقِّهِمْ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » . وَصَيَّرَ عَلَيْهِمُ الْخُلَيفَةَ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ شَامَةً ،
وَحَصَّصَ بِالتَّقْدِيمِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لِهَذِهِ الْإِمَامَةِ ؛ وَإِذَا كَانَ النِّسَبُ مَقْدَمًا فِي الْمَدْحِ
وَهُوَ فِي النِّظْمِ وَاسِطَةٌ الْعُقُودِ ، فَهَذَا هُوَ النَّسَبُ الَّذِى كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى
نُورًا وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عُمُودٌ ؛ وَهَذَا هُوَ الرُّكْنُ الَّذِى مِنْ أَسْتَمِهِ وَأَسْتَنَدَ إِلَيْهِ قِيلَ
لَهُ : فُزْتُ بِعُلُوِّ سَنَدِكَ ، فَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعَمِّهِ
الْعَبَّاسِ : « يَا عَمُّ أَلَا أُبَشِّرُكَ ؟ » قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ - قَالَ : إِنَّ اللَّهَ فَتَحَ الْأُمْرَ بِي

وَيَحْتَمِيهِ بَوْلَدِكَ“ . وهذا الحديث يُرشد إلى التمسك بِطِيبِ الْعُهُودِ الْعَبَاسِيَّةِ لِتُفِيضَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهَا نَيْلَ الْوَفَاءِ، وَتُعِينَ مِنْ أَسْتَعَانِ بِالْمُسْتَعِينِ وَعِلْمُ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِحَدِّثِهِ : ” أَنْتَ أَبُو الْخُلَفَاءِ “ . وَنَاهِيكَ أَنْهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأُمِّ فَضْلٍ وَهِيَ شَاكَّةٌ فِي الْحَمْلِ : ” أَذْهَبِي بِأَبِي الْخُلَفَاءِ “ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ الْمُتَنَزِّهُ بِهِ هَذَا الشَّمْلُ فَأَحْبَبَ بِهَا شَجَرَةً زَكَرَ غَرْسُهَا وَنَمَا، وَتَسَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَكَيْفَ لَا ؟ وَأَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ؛ فَسَلَامٌ عَلَى هَذَا الْخَلْفِ الَّذِي مِنْهُ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَالْمُتَوَكِّلُ عَلَيْهِ وَالْوَاتِقُ بِهِ وَالْمُعْتَصِمُ وَالرَّشِيدُ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ عِلْمُهُ أَنَّ آلَ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ كَسْفِينَةِ نُوحٍ وَتَعَلَّقَ بِهِمْ فَتَجَا، وَنَشَكَرَهُ شُكْرَ مَنْ مَالَ إِلَى الدُّخُولِ تَحْتَ الْعِلْمِ الْعَبَّاسِيِّ وَتَتَّصَلَ مِنَ الْخَوَارِجِ فَوَجَدَ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَزَجُوا أَنْ تَكُونَ مَقْبُولَةً عِنْدَ الْحَاكِمِ وَقْتَ الْأَدَاءِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي حَرَضَنَا عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْعُهُودِ وَأَرْشَدَنَا إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ وَقَّوْا بِالْعُهُودِ، وَكَانُوا فِي نِظَامِ هَذَا الدِّينِ وَجَعَهُ فَرَائِدَ الْعُقُودِ؛ صَلَاةً يَسْقِي عَهَادَ الرَّحْمَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَهْدَهَا، وَيَنْتَظِمُ فِي سِلْكِ الْقَبُولِ عِقْدَهَا؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَلْهَمَنَا الرَّشْدَ وَجَعَلَ مِنَّا الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ، وَهَدَانَا بَنِيَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَصَّنَا مِنْ بَيْتِهِ الشَّرِيفِ بِالْأُتَمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ؛ وَأَصْطَفَانِي مِنْ هَذَا الْخَلْفِ خِلَافَ الْأَرْضِ، وَسَنِّ مَوَاضِيَ الْعُقُولِ الَّتِي قَطَعْتَ أَنْ طَاعَتَنَا قَرَضَ؛ فَإِنَّ لِعَهْدِنَا الْعَبَّاسِيِّ شَرَفًا لَا يُرْفَلُ فِي حُلَّةٍ إِلَّا مِنْ أَتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ عَهْدًا وَأَتَاهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ أَعْوَدُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . وَلَا يَتَمَسَّكُ بِهَذَا الْعَهْدِ إِلَّا مَنْ صَحَّحَ إِلَى الْقِيَامِ

بواجب الطاعة وترك أهل الجهل في سكرتهم يعمهون، وانتظم في سلك من أنزل الله في حقهم : ﴿ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .

فن نهض إلى المشي في منهاجه مشى بعين البصيرة في الطريق القويم، وتلا له لسان الحال : ﴿ أَفَنَنْ يَمْشِي مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . وهو قبضة من آثار البيعة النبوية ، وشعار يتشرف به من مشى تحت ألويته العباسية ؛ وما أرسل هذا العهد النبوي إلى أحد من ملوك الأرض إلا عمه الشرف من جميع جهاته ، و ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ وشادت أعواد منبره طربا ، وأزهرت رونقا وأثمرت أدبا ؛ وأستطالت بيد الخلافة لإقامة الحد ، وكيف لا ويد الخلافة لا تطاؤها يد ؛ وكان المقام الأشرف (إلى آخر الألقاب المذكورة في التعريف وأسمه المكتتب في الطرة) هو الذي رغب في التمسك بهذا العهد الشريف ليزيل عن ملكه الإلباس ، وأسند إليه ليروي بسنده العالى عن ابن عباس ؛ فإنه الملك الذى ظفره الله بأعداء هذا الدين وسماه مظفرا ، ولقبه بالشمسى واختار له أن يقارن من الطلعة المستعينية قمرأ ؛ أبع زهر العدل من حضرة ”دهلى“ فعطر الآفاق ، وضاع نشره بالهند فعاد الشم إلى المزكوم بالعراق ؛ وصارت دمن ”صومنات“^(١) عامرة بقيام الدين ، وأيده الله فيها بعد القتال بالفتح المبين ؛ ولم يترك للعدو في بيت بيت ليله ، وأبطل مادهره أهل دهلى بحسن اليقظة وقوة الصولة ؛ وأباد الكفرة من أهل ديو ولم يقبل لهم ديه ، وفأوا إلى غير أمر الله فأبادهم بسيفه الهندى فلم تقم لهم فيه ؛ وفطر أجداد من ناواه بها فلازموا عن رؤيتها الصوم ، ونادى منادى عدله

(١) تقدم في (ج ٥) من هذا المطبوع أنها ”صومنات“ بالصاد المهملة ويقال أيضا بالسين المهملة بدل الصاد .

بالبلاد الهندية : لا ظُلمَ اليومَ ، ودانت له تلك الممالك برًّا وبحرا ، وسهلا ووعرا ؛
ما نظَّم الأعداءُ على البحرِ المديدِ بيتنا إلا أبان زحافه وأدار عليه دوائره ، فكم نظَّم
شمل الرعايا بالعدل ونثر رُعوس الطُغاة بالسيف فلا عَدِمَ الإسلامُ ناظمه ونائره ؛
سُئِلَتِ الرُّبُكُنُ في البرِّ عن مناقبه الجميلة وعمَّ يتساءلون وقد صار لها عَظِيمُ النِّبَا ،
وصرَّحَ راكبُ البحرِ بعد التسمية باسمه ﴿ وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ مَجْجَابًا ﴾ فَظَلَّهُ فِي الْبَرِّ
ظليل ، وعدَّله في البحرِ بَسِيطَ وطَوِيل .

(١)

هذا ولم يبقَ في تلك الممالكِ الهنديةِ بقعةٌ إلا ولم يصغر اللهُ بسَنَابِكِ الخيلِ فيها
مَشَاهِدًا ، ولا نفسٌ خارجةٌ عن الطاعةِ إلا وماتت في رُقعةِ الأرضِ بمظفَرِ شاه ؛ فلذلك
رُسِمَ بالأمرِ الشريفِ العالى ، المولوى ، السيِّدى ، الإمامى ، الأعظمى ، النبوى ،
المستعنى ، سيدنا ومولانا أمير المؤمنين المستعين بالله أبى الفضل العباس (ونسبه
إلى الحاكم بأمر الله ، والدعاء) بعد أن آستخار الله تعالى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين
كثيرا ، وأتخذَه هادِيًا ونصيرا ، وصلى على أبْنِ عمه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم -
أن يفوض إلى المقام الأشرف المشار إليه ولايةَ العهد وكفالةَ السلطنة المعظَّمة ،
بحضرةِ دَهْلِيٍّ وأعمالها كما في الطرة كما هو المعهود : ليهطلَ جُودُ الرحمة على تلك البقاع
المباركة إن شاء الله ويُجود : لما رآه من صلاح الأئمة ومصالح الخلق ، آستخلافًا
تَحَلَّى بذكره الأقواء ، وتستند إليه الرِّوَاه ، وتترنَّم به الحُدَّاه ، وتستبشِّرُ به كافة الأُئِمَّ ،
ويقطع به ويحفظه ربُّ كل سيفٍ وقلم ، ويعتمدُ عليه كلُّ ذى عِلْمٍ وعِلْمٍ ، فلا زعيمَ
جيش بها إلا وهذا التفويضُ يسَّعه ويشمله ، ولا إقليمَ من أقاليمها إلا ومن به
يُقْبَلُه ويُقْبَلُ ، ويمثَّلُ به ويمثِّلُه ، ولا منبرَ يجوامعها إلا وخطيبُه يتلو برهانَ هذا
التفويضِ ويرتِّله .

وأما الوصايا فعنده - إن شاء الله - تَهَبُ نَسَاءْتُ قَبُولُهَا ، وتُعَرَّبُ عن نصب مفعولها ؛ وهو بحمد الله تعالى لوصايا هذا العهد المبارك نعم القابل ، ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم : ” سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ مِنْهُمْ الْإِمَامُ الْعَادِلُ “ والوصية بالرعايا واجبة والعدل فيهم قد حُرِّضَ النبي صلى الله عليه وسلم عليه ، وقال : ” يَوْمَ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا أَحْوَجَ مَا تَكُونُ الْأَرْضُ إِلَيْهِ “ . وقال ابن عمنا علي رضي الله عنه « الْمُلْكُ وَالَّذِينَ أَخْوَانٍ لَاغْنَى لِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ ، وَنَشْرُهُمَا فِي الرِّعْيَةِ ضَائِعٌ ، فَالَّذِينَ أُسِّسَ الْمُلْكُ حَارِسٌ ، فَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أُسٌّ فَهُدُومٌ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ فَضَائِعٌ » - فليأمر بالمعروف ويَنهَ عن المنكر غالبا أنه ليس يُسْأَلُ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عِزُّ وَجَلُّ عَنْ ذَلِكَ سَوَانًا وَسَوَاءً ، وَيَنهَ نَفْسَهُ عَنِ الْهَوَىٰ فَلَاحِظٌ لِعُودِ قَدِّهِ أَنْ يَمِيلَ مَعَ هَوَاهُ - وَلِيَتْرِكَ الثُّغُورَ بَعْدَهُ بِاسْمِهِ ، وَقَوَاعِدَ الْمُلْكِ بِفَضْلِهِ قَائِمَةً - وَلِيَجَاهِدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَيَلْطَفَ بِالرَّعَايَا وَيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ - وَلِيُشْرَحَ لَهُمُ بِالْإِحْسَانِ صَدْرًا ، وَيُجَرِّهَمُ إِذَا وَقَفَ عَلَى أَحْوَالِهِمْ أَحْسَنَ جُجْرَى ؛ وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى التَّأَكُّيدِ : لِأَنَّهُ لَمْ يَحُلْ لَهُ مِنَ الْقِيَامِ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ فِكْرٌ ، وَلَكِنَّهُ تَجْدِيدُ ذِكْرِ عَلَى ذِكْرٍ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْتَنِعُ بِطَوْلِ بَقَائِهِ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ ، وَلَا بَرَحَ سَيُوفُهُ الْهِنْدِيَّةُ تَكَلِّمُ أَعْدَاءَ هَذَا الدِّينِ بِالسَّنَةِ حَدَادٍ ؛ وَثَبَّتَ مُلْكَهُ بِالْعَدْلِ وَشَيَّدَ أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ ، وَخَتَمَ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَهُ ؛ وَالْأَعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ الْإِمَامِيِّ الْمُسْتَعِينِي أَغْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : ولم يُعْهَدَ أَنَّهُ كُتِبَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ الْقَائِمِينَ بِالْأَمْرِ الْمَصْرِيَّةِ عَهْدٌ لِمُلْكٍ مِنْ غَيْرِ مُلُوكِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ سِوَى هَذَا الْعَهْدِ .

المذهب الرابع

(١) [أن يفتح العهد بقوله أما بعد] « فالحمد لله » أو « أما بعد
فإن أمير المؤمنين » أو « أما بعد فإن كذا » ونحو ذلك

ويأتى بما يناسب من براعة الاستهلال وحال المتولى والمولى وما يجري مجرى ذلك مما يستحسن للكتاب ذكره مما يناسب الحال ، ويأتى من الوصايا بما يناسب المقام : إما بلفظ الغيبة أو بلفظ الخطاب كما فى غيره من المذاهب السابقة ، وهى طريقة أقرحها الوزير ضياء الدين بن الأثير فى " المثل السائر " أنشأ عليها عهدا فى معارضة المكتوب للسلطان صلاح الدين « يوسف بن أيوب » من ديوان الخلافة ببغداد الآتى ذكره فى المذهب الخامس ، وهذه نسخته :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذى يكون لكل خطبة قيادا ، ولكل أمر مهادا ، ويستريده من نعمه التى جعلت التقوى له زادا ، وحمته عبء الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه اجتهدا ، وصغرت لديه أمر الدنيا فما تسورت له محرابا ولا عرست عليه جيادا ، وحققت فيه قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ . ثم يصلى على من أنزلت الملائكة لنصره إمدادا ، وأسرى به إلى السماء حتى ارتقى سبعا شدادا ، وتجلّى له ربه فلم يزغ منه بصرا ولا أكذب فؤادا ، ثم من بعده على أسرته الطاهرة التى زكت أوراقا وأعوادا ، وورثت النور المبين تلامدا ، ووصفت بأنها أحد الثقلين هداية وإرشادا ، وخصوصا عمه العباس المدعوله بأن يحفظ نفسه وأولادا ، وأن تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف دركا ولا تحشى نقادا .

وَإِذَا اسْتَوَى الْقَلَمُ مِدَادَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَمْدِلهُ ، وَأَسْنَدَ الْقَوْلَ فِيهَا عَنْ قِصَاحَتِهِ
 الْمُرْسَلَةِ ؛ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ فِي إِنْشَاءِ هَذَا التَّقْلِيدِ الَّذِي جَعَلَهُ حَلِيقًا لِقِرْطَاسِهِ ، وَأَسْتَدَامَ
 سُجُودَهُ عَلَى صَفْحَتِهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ يَرْفَعُ مِنْ رَأْسِهِ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِإِفَاضَتِهِ فِي وَصْفِ
 الْمَنَاقِبِ الَّتِي كَثُرَتْ فَحُسِّنَ لَهَا مَقَامُ الْإِكْثَارِ ، وَأَشْتَبَهَ التَّطْوِيلُ فِيهَا بِالْإِخْتِصَارِ ؛
 وَهِيَ الَّتِي لَا يَفْتَقِرُ وَاصِفُهَا إِلَى الْقَوْلِ الْمُعَادِ ، وَلَا يَسْتَوْعِرُ سُلُوكُ أَطْوَادِهَا وَمِنْ
 الْعَجَبِ وَجُودُ السَّهْلِ فِي سُلُوكِ الْأَطْوَادِ ؛ وَتِلْكَ مَنَاقِبُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ الْأَجَلُّ ،
 السَّيِّدُ ، الْكَبِيرُ ، الْعَالِمُ ، الْعَادِلُ ، الْمَجَاهِدُ ، الْمُرَاطِبُ ؛ صَلَاحُ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ يَوْسُفُ
 بَنِ أَبِي يُونُسَ ؛ وَالِدِيوَانُ الْعَزِيزُ يَتْلُوهَا عَلَيْكَ تَحَدُّثًا بِشُكْرِكَ ، وَيَبَاهِي بِكَ أَوْلِيَائَهُ تَتَوِيهَا
 بِذِكْرِكَ ؛ وَيَقُولُ : أَنْتَ الَّذِي تُسْتَكْفَى فَتَكُونُ لِلدَّوْلَةِ سَهْمَهَا الصَّابِ ، وَشَهَايَا
 الشَّاقِبِ ؛ وَكَثَرَتِهَا الَّتِي تَذْهَبُ الْكَنُوزُ وَلَيْسَ بِذَاهِبِ ، وَمَا ضَرَّهَا وَقَدْ حَضَرَتْ
 فِي نُصْرَتِهَا إِذَا كَانَ غَيْرُكَ هُوَ الْغَائِبِ ؛ فَأَشْكُرُ إِذَا مَسَاعِيكَ الَّتِي أَهْلَتَكَ لِمَا أَهْلَتَكَ ،
 وَفَضَّلْتَكَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ بِمَا فَضَّلْتَكَ ؛ وَلَتَنْ شُورِكَتْ فِي الْوَلَاءِ بِعَقِيدَةِ الْإِضْمَارِ ،
 فَلَمْ تُشَارِكْ فِي عَزَمِكَ الَّذِي آتَتْصَرَ لِلدَّوْلَةِ فَكَانَ لَهُ بَسْطَةُ الْإِتِّصَارِ ؛ وَفَرَّقَ بَيْنَ مَنْ
 أَمَدَ بَقْلَهُ وَمَنْ أَمَدَ بِيَدِهِ فِي دَرَجَاتِ الْإِمْدَادِ ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ الْقَاعِدِينَ كَالَّذِينَ قَالُوا
 ”لَوْ أَمَرْتَنَا لَضَرَبْنَا أَعْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْعِمَادِ“ . وَقَدْ كَفَاكَ مِنَ الْمَسَاعِي أَنْكَ كَفَيْتَ
 الْخِلَافَةَ أَمْرَ مَنَازِعِيهَا ، فَطَمَسْتَ عَلَى الدَّعْوَةِ الْكَاذِبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَدْعِيهَا ؛ وَلَقَدْ مَضَى
 عَلَيْهَا زَمَنٌ وَمَحْرَابٌ حَقَّهَا مُحْفُوفٌ مِنَ الْبَاطِلِ مُخْرَأَيْنِ ، وَرَأَتْ مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السُّوَارِينَ الَّذِينَ أَوَّلَهَا كَذَّابِينَ ؛ فَبِمَضَرٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ تَاهَ بِمَجْرَى
 أَنْهَارِهَا مِنْ تَحْتِهِ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ طَاغُوتِهِ وَجِبْتِهِ ، وَلَعِبَ بِالْبَدِينِ حَتَّى لَمْ يَذَرِ
 يَوْمَ جُمُعَتِهِ مِنْ [يَوْمِ أَحَدِهِ وَلَا] ^(١) يَوْمَ سَبْتِهِ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى ذَلِكَ قَوْمٌ رَمَى اللَّهُ بَصَائِرَهُمْ

بالعمى والصمم، واتخذوه صنماً [بينهم] ^(١) ولم تكن الضلالة هناك إلا بعجل أو صنم؛ فقامت أنت في وجهه باطله حتى قعد، وجعلت في جيده حبلاً من مسد، وقلت لبيده: تبت فأصبح ^(١) [وهو] لا يسعني ^(١) [بقدم] ولا يبطش بيدي؛ وكذلك فعلت بالآخر الذي نجت باليمن ناجيته، وسامت فيه سائمته؛ فوضع بيته موضع الكعبة الأيمانية، وقال: هذا ذو الخلصة الثانية؛ فأى مقاميك يعترف الإسلام بسبقه، أم أيهما يقوم بأداء حقّه؛ وهاهنا فيصبح القلم للسيف من الحساد، ولتقتصر مكانته عن مكانته وقد كان له من الأنداد؛ ولم يحظ بهذه المزية إلا أنه أصبح لك صاحباً، ونفرك حتى طال نفرا كما عرّ جانباً، وقضى بولايتك فكان بها قاضياً لما كان حده قاضياً .

وقد قلّدك أمير المؤمنين البلاد المصرية والأيمانية غوراً ونجداً، وما آسملت عليه رعية وجندا؛ وما انتهت إليه أطرافها براً وبحراً، وما يستنقذ من مجاورها مسالمة وقهراً؛ وأضاف إليها بلاد الشام وما تحوى عليه من المدين والمدنه، والمراكز المحصنة؛ مستثنياً منها ما [هو] بيد نور الدين إسماعيل بن نور الدين محمود رحمه الله : وهو حلب وأعمالها، فقد مضى أبوه على آثار في الإسلام ترفع ذكره في الذاكرين، وتحلفه في عقبه في الغابرين؛ وولده هذا قد هدّته الفطرة في القول والعمل، وليست هذه الربوة إلا من ذلك الجبل .

فليكن له منك جار يدنو منه وداً كما دنا أرضاً، ويصبح وهو ^(١) [له] كالبنان يشدّ بعضه بعضاً؛ والذي قدمناه من الثناء عليك ربّما تجاوز بك درجة الإقتصاد، وألفتك عن فضيلة الأزياد؛ فإياك أن تنظر إلى سعيك نظر الإعجاب، وتقول: هذه بلاد أنا أفتتحها بعد أن أضرب عنها كثير من الأضراب؛ ولكن أعلم أن

الأرض لله ولرسوله ثم لخليفته من بعده ، ولا مئة للعبد بإسلامه بل المنة لله بهداية عبده ؛ وكم سلف قبلك ممن لورام مارمته لدنا شاسعه ، وأجاب مانعه ؛ لكن ذخره الله لك لتخطي في الآخرة بمفازه ، وفي الدنيا برقم طرازه ؛ فألق بيدك عند هذا القول إلقاء التسليم ، وقل : ((لَاعِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)) .

وقد قرن تقليدك هذا بخلة تكون لك في الاسم شعارا ، وفي الرسم فخارا ، وتناسب محل قلبك وبصرك وخير ملايس الأولياء ماناسب قلوبا وأبصارا ؛ ومن جملتها طوق يوضع في عنقك موضع العهد والميثاق ، ويشير إليك بأن الإنعام قد أطاف بك إطفاء الأطواق بالأعناق ؛ ثم إنك قد خوطبت بالملك وذلك خطاب يقضى لصدرك بالإشراح ، ولأملك بالإنفاس ، وتؤمر معه بمد يدك إلى العلياء لا بضمها إلى الجناح ؛ وهذه الثلاثة المشار إليها هي التي تكمل بها أقسام السياده ، وهي التي لا مزيد عليها في الإحسان فيقال : إنها الحسنى وزياده ؛ فإذا صارت إليك فانصب لها يوما يكون في الأيام كريم الأنساب ، وأجعله لها عيدا وقل : هذا عيد التقليد والخلة والخطاب ؛ هذا ولك عند أمير المؤمنين مكانة تجعلك لديه حاضرا وأنت ناء عن الحضور ، وتضمن أن تكون مشتركة بينك وبين غيرك والضنة من شيم الغيور ؛ وهذه المكانة قد عرفتكم أنفسها وما كنت تعرفها ، وما نقول إلا أنها لك صاحبة وأنت يوسفها ؛ فأحرصها عليك حراسة تقضى بتقديمها ، وأعمل لها فإن الأعمال بخوانيمها ؛ وأعلم أنك قد تقلدت أسرا يفتن به تقي الحلو ، ولا ينفك صاحبه عن عهدة الملوم ، وكثيرا ما ترى حسنة يوم القيامة وهي مقتسمة بأيدي الخصوم ؛ ولا ينجو من ذلك إلا من أخذ أهبة الحذار ، وأشفق من شهادة الأسماع والأبصار ؛ وعلم أن الولاية ميزان إحدى كفتيه في الجنة والأخرى في النار . قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” يا أبا ذر إني أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم “ .

فانظر إلى هذا القول النبوي نَظَر من لم يُخَدَع بحديث الحِرْص والآمال، ومثَّل الدنيا وقد سِيقَتْ [إليك] بخذافيرها أليس مَصِيرُهَا إلى زوال؟ . والسعيدُ مَنْ إذا جاءته قضي' بها أَرْبَ الأرواح لا أَرْبَ الحُسُومِ، وأتخذَ منها وهى السُّمُّ دواءً وقد تُتَّخَذُ الأدويةُ من السُّمُومِ؛ وما الإِغْتِبَاطُ بما يَخْتَلِفُ على تَلَاشِيهِ الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ؟ وهو ﴿كَمَا أُنْزِلَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ﴾ والله تعالى يَعِصُمُ أمير المؤمنين وولادة أمره من تَبِعَاتِهَا التى لا بَسْتَهُمْ ولا بَسُوها، وأحصاها الله عليهم ونُسُوها؛ ولك أنتَ من هذا الدعاء حَظٌّ على قدر حَمَلِكَ من العناية التى جَذَبَتْ بِضَبْعِكَ [وحَمَلِكَ من الْوَلَايَةِ التى بَسَطَتْ من دِرْعِكَ^(١) .

نُفِذَ هذا الأَمْرَ الذى تَقَلَّدْتَهُ أَخَذَ من لم يَتَعَقَّبْهُ بالنسيان، وكُنْ فى رعايته مِمَّنْ إذا نَامَتْ عيناه كان قلبه يَقْطُان .

ومِلاكُ ذَلِكَ كُلِّهِ فى إِسْبَاغِ الْعَدَلِ الذى جعله الله ثالثَ الْحَدِيثِ وَالْكِتَابِ، وأغْنَى بشوابه وحده عن أعمالِ الثواب، وقَدَّرَ يَوْمَانَهُ بعبادةِ سَتَيْنِ عامَا فى الْحِسَابِ؛ ولم يَأْمُرْ به أَمْرٌ إلا زِيدَ قُوَّةً فى أمره، وتَحَصَّنَ به من عُدُوِّهِ ومن دَهْرِهِ؛ ثم يَجَاءُ به يَوْمُ الْقِيَامَةِ وفى يديه كِتَابُ أَمَانٍ، ويَجْلِسُ على مَنبَرٍ من نُورٍ عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ؛ ومع هذا فَإِنَّ مَرَكَبَهُ صَعْبٌ لا يَسْتَوِى على ظَهْرِهِ إلا مَنْ أَمْسَكَ عِنَانَهُ نَفْسُهُ قَبْلَ إِمْسَاكِ عِنَانِهِ، وَغَلَبَتْ لَمَّةُ مَلَكِهِ على لَمَّةِ شَيْطَانِهِ، ومن أَوْكَدَ فُرُوضِهِ أَنْ يَمْحَى السَّنَنَ السَّيِّئَةَ التى طَالَتْ مُدَدَ أَيَّامِهَا، وَيَتَّسِرَ الرِّعَايَا من رَفْعِ ظُلَامَاتِهَا فلم يَجْعَلُوا أَمَدًا لَانْخِسَارِ ظُلَامِهَا؛ وتلك هى الْمُكْحُوسُ التى أَنْشَأَتْهَا الْهِمَمُ الْحَقِيرَةُ، ولا غِنَى' لِلْأَيْدِى الْغَنِيَّةِ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ [نَفْسٍ] فَقِيرَةٍ؛ وَكُلَّمَا زِيدَتْ الْأَمْوَالُ الْحَاصِلَةُ مِنْهَا قَدْرًا زَادَهَا اللهُ مُحَقًّا،

وقد استمرت عليها العوائد حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الواجبة فسموها حقاً ؛
ولولا أن صاحبها أعظم الناس جرماً لما أغلظ في عقابه ، ومثلت توبه المرأة
الغامدية بمتابه ؛ وهل أشقى من يكون السواد الأعظم له خصماً ، ويصبح وهو
مطالب منهم بما يعلم وبما لم يحيط به علماً . وأنت مأمور بأن تأتي هذه الظلمات
فتنحي على إبطائها ، وتلحق أسماءها في المحو بأفعالها ؛ حتى لا يبق لها في العيان صور
منظورة ، ولا في الألسنة أحاديث مذكورة ؛ فإذا فعلت ذلك كنت قد أزلت عن
الماضي سنة سوء ستتها يدها ، وعن الآتي متابعة ظلم وجدّه طريقاً مسلوكةً بجرى
على مداه .

فبادر إلى ما أمرت به بمبادرة من لم يرضق به ذراعاً ، ونظر إلى الحياة الدنيا بعينه
فراها في الآخرة متاعاً ؛ وأحمد الله على أن قيض لك إمام هدى يقف بك على هداك ،
ويأخذُ بججزتك عن خطوات الشيطان الذي هو أعدى عداك ؛ وهذه البلاد
المنوطة بنظرك تشتمل على أطراف متباعده ، وتفتقر في سياستها إلى أيدٍ مساعده ؛
وبهذا تكثر فيها قضاة الأحكام ، وأولو تديرات السيوف والأقلام ؛ وكل من هؤلاء
ينبغي أن يقتن على نار الاختبار ، ويسلّط عليه شاهداً عدل من أمانة الدرهم
والدينار ؛ فإضل الناس شيء كحب المال الذي فورقت من أجله الأديان ،
وهجرت بسببه الأولاد والإخوان ، وكثيراً ما يرى الرجل الصائم القائم وهو عابد له
عبادة الأوثان ؛ فإذا استعنت بأحد منهم على شيء من أمرك فأضرب عليه
بالأرصاء ، ولا ترض بما عرفته من مبدأ حاله فإن الأحوال تتنقل تنقل الأجساد ،
وإياك أن تُخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطّاب رضى الله عنه بالربيع
أبن زياد ؛ وكذلك قائم هؤلاء على اختلاف طبقاتهم أن يأمرؤا بالمعروف مؤاظبين ،
وينهوا عن المنكر محاسبين ، ويعلموا أن ذلك من دأب حزب الله الذين جعلهم

الغالبين؛ وليدعو أولاً بأنفسهم فيعدلوا بها عن هواها، ويأمروها بما يأمرون به من سواها؛ ولا يكونوا من هدى إلى طريق البر وهو عنه حائد، وانتصب لطلب المرضى وهو محتاج إلى طيب وعائد؛ فما تنزل بركات السماء إلا على من خاف مقام ربه، وألزم التقوى أعمال يده ولسانه وقلبه؛ فإذا صلحت الولاية صلحت الرعية بصلاحهم، وهم لهم بمنزلة المصاييح ولا يستضيء كل قوم إلا بمصباحهم.

ومما يؤمرون به أن يكونوا لمن تحت أيديهم إخوانا في الأرض طحاب، وأعوأنا في توزع الحمل الذي يتقل على الرقاب؛ فالمسلم أخو المسلم وإن كان عليه أميرا، وأولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كبيرا؛ وليست الولاية لمن يستجد بها كثرة الليف، ويتولاها بالوطء العنيف؛ وليكنها لمن يمال على جوانبه، ويؤكل من أطايبه؛ وإن إذا غضب لم ير للغضب عنده أثر، وإذا ألحف في سؤاله لم يلحق الإلحاف بخلق الضجر؛ وإذا حضر الخُصوم بين يديه عدل بينهم في قسمة القول والنظر؛ فذلك الذي يكون لصاحبه في أصحاب الأيمن، والذي يدعى بالحفيظ العليم والقوى الأمين؛ ومن سعادة المرء أن يكون ولأته متأدبين بأدابه، وجارين على نهج صوابه، وإذا تطايرت الكتب يوم القيامة كانت حسناته مثبتة في كتابه.

وبعد هذه الوصية فإن هاهنا حسنة هي للحسنات كالأمم الولود، ولطالما أغنت عن صاحبها إغناء الجنود، وتيقظت لنصره والعيون رُقود؛ وهي التي تُسبغ لها الآلاء، ولا يتخطاها البلاء؛ ولأمر المؤمنين بها عناية تبغها الرحمة الموضوعة في قلبه، والرغبة في المغفرة لما تقدم وتأخر من ذنبه؛ وتلك هي الصدقة التي فضل الله بعض عباده بمنية إفضالها، وجعلها سببا إلى التعويض عنها بعشر أمثالها. وهو يأمرُك

أَنْ تَتَفَقَّدَ أحوَالَ الفقراء الذين قُدِّرَتْ عليهم مَادَّةُ الأرزاقِ ، وألبسهم التعَفُّفُ ثوبَ الغِنَى ، وهم في ضَيْقٍ من الإِمْلَاقِ ؛ فأولئك أولياءُ الله الذين مَسَّتْهُمُ الضَّرَاءُ فَصَبَرُوا ، وَكَثُرَتْ الدُّنْيَا في يَدِ غَيْرِهِمْ فَمَا نَظَرُوا إِلَيْهَا إِذْ نَظَرُوا ؛ وَيَنْبَغِي أَنْ يَهَيَّيْ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ مَرَقَقًا ، وَيَضْرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفَقْرِ مَوْيِقًا .

وما أظننا لك القول في هذه الوصية إلا إعلامًا بأنها من المُهِمِّ الذي يُسْتَقْبَلُ ولا يُسْتَدْبَرُ ، وَيَسْتَكْثَرُ مِنْهُ ولا يَسْتَكْثَرُ ؛ وهذا يُعَدُّ من جِهَادِ النفسِ في بَذْلِ المالِ ، وَيَتْلُوهُ جِهَادُ العَدُوِّ الكافرِ في مَوَاقِفِ القِتَالِ ؛ وأمير المؤمنين يَعْرِفُكَ مِنْ ثَوَابِهِ مَا تَجْعَلُ السَّيْفَ في مِلَازِمَتِهِ أَخًا ، وَتَسْخُو لَهُ بِنَفْسِكَ إِنْ كَانَ أَحَدٌ بِنَفْسِهِ سَخَا ؛ وَمِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ الْعَمَلُ المحبُّ بِفَضْلِ الكَرَامَةِ ، الذي يَنْتَمِي أَجْرُهُ بَعْدَ صاحِبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَبِهِ تُمْتَحَنُ طَاعَةُ الخَالِقِ عَلَى المَخْلُوقِ ، وَكُلُّ الأَعْمَالِ عَاطِلَةٌ لِاخْلُوقِ لَهَا وَهُوَ مَخْتَصٌّ دُونَهَا بِزِينَةِ الخَلْقِ ؛ وَلَوْ لَا فَضْلُهُ لَمَا كَانَ مُحْسَبًا بِشَطْرِ الإِيمَانِ ، وَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْجَنَّةَ لَهُ ثَمًّا وَلَيْسَتْ لغيرِهِ مِنَ الأَثْمَانِ ؛ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ العَدُوَّ هُوَ جَارُكَ الأَدْنَى ، والذي يَلْفُكُ وَتَبْلُغُهُ عَيْنَا وَأُذُنَا ؛ وَلَا يَكُونُ للإِسْلَامِ نَعَمُ الجَارِ حَتَّى تَكُونَ لَهُ بُئْسُ الجَارِ ، وَلَا عُذْرَ لَكَ في تَرْكِ جِهَادِهِ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ إِذَا قَامَتْ لغيرِكَ الأَعْدَارُ ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَرْضَى مِنْكَ بَأَن تَلْقَاهُ مُكَافِحًا ، أَوْ تَطْرُقَ أَرْضَهُ مَمَاسِيًا أَوْ مُصَاحِبًا ؛ بَلْ يُرِيدُ أَنْ تَقْصِدَ البلادَ الَّتِي في يَدِهِ قَصْدَ المُسْتَنْقَذِ لَا قَصْدَ المُغِيرِ ، وَأَنْ تَحْكُمَ فِيهَا بِحُكْمِ اللهِ الَّذِي قَضَاهُ عَلَى لِسَانِ سَعِيدٍ فِي بَيْتِ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ ؛ وَعَلَى الْخُصُوصِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسُ فَإِنَّهُ تِلَادُ الإِسْلَامِ الْقَدِيمِ ، وَأَخُو الْبَيْتِ الْحَرَامِ في شَرَفِ التَّعْظِيمِ ، والذي تَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ مِنْ قَبْلِ بَاسِجُودِ وَالتَّسْلِيمِ ؛ وَقَدْ أَصْبَحَ وَهُوَ يَشْكُو طَوْلَ المَدَّةِ في أَسْرَرَقَتِهِ ، وَأَصْبَحَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَهِيَ تَشْكُو طَوْلَ الْوَحْشَةِ في غُرْبَتِهَا عَنْهُ

وغربته ، فانهض إليه نهضةً توغل في قرحه ، وتبدل صعب قياده بسمحه ، وإن كان له عامٌ حديبيةً فاتبعه بعامٍ فتحه ، وهذه الاستزادة إنما تكون بعد سداد ما في اليد من تغرٍ كان مهملاً فحمت موارده ، أو مستهدماً فرفعت قواعده ، ومن أهمها ما كان حاضراً البحر فإنه عورة مكشوفة ، وخطة مخوفة ، والعدو قريب منه على بعده ، وكثيراً ما يأتيه بقاء حتى يسبق برقه برعه ، فينبغي أن ترتب بهذه الثغور رابطة تكثر شجعانها ، وتقل أقرانها ، ويكون قتالها لأن تكون كلمة الله هي العليا لا لأن يرى مكانها ، وحينئذ يصبح كل منها وله من الرجال أسوار ، ويعلم أهله أن بناء السيف أمنع من بناء الأحجار ، ومع هذا لا بد من أطول يكثُر عدده ، ويقوى مدده ، فإنه العدة التي تستعين بها في كشف الغم ، والاستكثار من سبأيا العبيد والإماء ، وجيشه أخو الجيش السلبياني : فذاك يسير على متن الريح وهذا على متن الماء ، ومن صفات خيله أنها جمعت بين العوم والمطار ، وتساوت أقدار خلقها على اختلاف مدة الأعمار ، وإذا أشرعت قيل جبال متلفعة بقطع من العيوم ، وإذا نظرت إلى أشكالها قيل : إنها أهلة غير أنها تهتدي في مسيرها بالنجوم ، ومثل هذه الخيل ينبغي أن يغالى في جيادها ، ويستكثر من قيادها ، وليؤمر عليها أمير يلقى البحر بمثله من سعة صدره ، ويسلك طرقه سلوك من لم تقتله بجهلها ولكن قتلها بحبره ، وكذلك فليكن من أفنت الأيام تجاربه ، وزحمتها منابكه ، ومن يذل الصعب إذا هو ساسه وإن سيس لان جانبه ، وهذا هو الرجل الذي يرأس على القوم فلا يجد هزّة بالرياسة ، وإن كان في الساقة ففي الساقة أو في الحراسة ففي الحراسة ، ولقد أفلحت عصابة اعتصبت من ورائه ، [وأيقنت بالنصر من رايته كما أيقنت بالنصر من رائه ^(١)] .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أُخِلَّ مِنَ الْجِهَادِ بَرْكُنٌ يَقْدَحُ فِي عَمَلِهِ ، وَهُوَ تَامُهُ الَّذِي يَأْتِي فِي آخِرِهِ
 كَمَا أَنَّ صِدْقَ النِّيَّةِ يَأْتِي فِي أَوَّلِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ قَسْمُ الْغَنَائِمِ فَإِنَّ الْأَيْدِيَ قَدْ تَدَاوَلَتْهُ
 بِالْإِحْجَافِ ، وَخَلَطَتْ جِهَادَهَا فِيهِ بَعُلوها فلم ترجع بالكفّاف ؛ والله قد جعل الظلمَ
 فِي تَعَدَّى حُدُودِهِ الْمَحْدُودَةِ ، وَجَعَلَ الْأَسْتِثْنَاءَ بِالْمَغْنَمِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْمَوْعُودَةِ ؛
 [وَنَحْنُ نَعُوذُ بِهِ ^(١) أَنْ يَكُونَ زَمَانُنَا هَذَا شَرَّ زَمَانٍ وَنَاسُهُ شَرَّ نَاسٍ ، وَلَمْ يَسْتَخْلِفْنَا عَلَى
 حِفْظِ أَرْكَانِ دِينِهِ ثُمَّ نُهْمَلِ إِهْمَالًا مُضَيِّعًا وَلَا [إِهْمَالًا] ^(١) نَاسٍ ؛ وَالَّذِي نَأْمُرُكَ بِهِ أَنْ
 تُجْرِيَ [هَذَا] الْأَمْرَ عَلَى الْمَنْصُوصِ مِنْ حَكْمِهِ ، وَتُبْرِّئَ ذِمَّتَكَ مِمَّا يَكُونُ غَيْرُكَ الْفَائِزَ
 بِفَوَائِدِهِ وَأَنْتَ الْمُطَالِبَ بِإِثْمِهِ ؛ وَفِي أَرْزَاقِ الْمُجَاهِدِينَ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ مَا يُغْنِيهِمْ
 عَنْ هَذِهِ الْأَكْلَةِ الَّتِي تَكُونُ غَدًا أَنْكَالًا وَجَحِيحًا ، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا .

فَنَصَفَحْ مَاسْطَرْنَاهُ لَكَ فِي هَذِهِ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي هِيَ عِزَائِمُ مُبْرَمَاتٍ ، بَلْ آيَاتٍ
 مُحْكَمَاتٍ ؛ وَتَحَبَّبْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْتِفَاءِ كِتَابِهَا ، وَأَبْنِ لَكَ مِنْهَا مَجْدًا
 يَبْقَى فِي عَقَبِكَ إِذَا أُصِيبَتِ السُّيُوفُ فِي أَعْقَابِهَا ؛ وَهَذَا التَّقْلِيدُ يَنْطِقُ عَلَيْكَ بِأَنَّهُ لَمْ يَأَلْ
 فِي الْوَصَايَا الَّتِي أَوْصَاهَا ، وَأَنَّهُ لَمْ يُغَادِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ؛ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ خَتَمَ
 بِدَعَاوِي دَعَايَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ خَتَامِهِ ، وَسَأَلَ فِيهَا خَيْرَةَ اللَّهِ الَّتِي تَنْزِلُ مِنْ كُلِّ
 أَمْرٍ بِمَنْزِلَةِ نِظَامِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ عَلَى مَنْ قَلَدْتَهُ شَهَادَةً تَكُونُ عَلَيْهِ
 رَقِيبَةً ، وَلَهُ حَسِيبَةٌ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَمُرْهُ إِلَّا بِأَوَامِرِ الْحَقِّ الَّتِي فِيهَا مَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ ، وَهِيَ
 لِمَنْ أَتَّبَعَهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ وَبُشْرَى ؛ فَإِذَا أَخَذَهَا فَالَجْ بِحُجَّتِهِ يَوْمَ يُسْأَلُ عَنْ الْحُجَجِ ،
 وَلَمْ يُخْتَلَجْ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ عَنِ الْحَوْضِ فِي جَمَلَةٍ مِنْ يُخْتَلَجُ ، وَقِيلَ لَهُ : لَا حَرَجَ عَلَيْكَ
 وَلَا إِثْمٌ إِذْ نَجَوْتَ مِنْ وَرَطَاتِ الْإِثْمِ وَالْحَرَجِ ، وَالسَّلَامُ .

(١) الزيادة من كتاب "المثل السائر" ص ١٤٧ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

المذهب الخامس

(أن يفتتح العهد بـ «إِنَّ أَوَّلَى مَا كَانَ كَذَا» ونحوه)

وهى طريقة غريبة، كُتِبَ عليها عهدُ السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» بالديار المصرية من ديوان الإنشاء ببغداد . وهو الذى عارضه الوزيرُ ضياءُ الدين بن الأثير فى العهد المتقدم ذكره فى المذهب [الرابع] ^(١) . وهذه نسخته :

إِنَّ أَوَّلَى مَا جَادَتْ رِبَاعَهُ تُحِبُّ الْإِصْطِنَاعَ ، وَخُصَّ مِنَ الْإِصْطِفَاءِ وَالْإِجْتِنَاءِ بِالصِّفَايَا وَالْمِرْبَاعِ ؛ مَنْ تَرَسَّمَ أَتَهَاجَ الْجَدِّ الْقَوِيمِ ، وَالطَّرِيقِ الْوَاضِعِ الْمُسْتَقِيمِ ؛ وَأَعْتَلَّقَ مِنَ الْوَلَاءِ بِأَوْثَقِ عَصَمِهِ وَحِبَالِهِ ، وَالْفِئَاءِ الَّذِى يَهْتَدِى بِأَنْوَارِهِ فِي مَتَصَرِّفَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ ؛ وَالتَّحَلَّى بِجَمِيلِ الذِّكْرِ فِي سِيرَتِهِ ، وَخُلُوصِ الْإِعْتِنَاءِ بِأُمُورِ رِعْيَتِهِ ؛ وَكَانَ رَاغِبًا فِي أَقْنَاءِ حَمِيدِ الْخِلَالِ ، مُجْتَهِدًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الْعَدْلِ الْمُتَدِّ الظَّلَالِ ؛ عَامِلًا فِيمَا يَنَاطُ بِهِ بِمَا يَتَضَوَّقُ تَسْرُّخَبَرَهُ ، وَيُجْتَنَى بِحُسْنِ صُنْعِهِ يَانِعُ ثَمَرُهُ ؛ بِإِذْلَالِ وَسْعِهِ فِي الصَّلَاحِ ، مُؤَذِّنَةً مَسَاعِيهِ بِقُوزِ الْقِدَاحِ .

وَلَمَّا كَانَ الْمَلِكُ الْأَجَلُ ، السَّيِّدُ بِصَلَاحِ الدِّينِ ، نَاصِرُ الْإِسْلَامِ ، عِمَادُ الدَّوْلَةِ ، جَمَالُ الْمُلْكِ ، نَخْرُ الْمَلَّةِ ، صَفَى الْخِلَافَةِ ؛ تَاجُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، قَامِعُ الْكَفَرَةِ وَالْمَشْرِكِينَ ، قَاهِرُ الْخَوَارِجِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ ، عِزُّ الْمَجَاهِدِينَ ؛ أَلْبَ غَازِى بَكْ أَبْنِ يَوْسُفَ أَبْنِ أَيُّوبَ - أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ - عَلَى هَذِهِ السَّجَايَا مُقْبِلًا ، وَبِصِفَاتِهَا الْكَامِلَةَ مُشْتَمِلًا ؛ مُؤَثِّرًا تَضَاعُفَ الْمَآثِرَاتِ ، مُتَابِرًا عَلَى مَا تَرَكُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ؛ مُتَحَلِّيًا بِالْحَمَامَةِ الرَّائِقَةِ ، مُسْتَبِدًّا بِالنَّاقِبِ الَّتِى هِيَ لِجَمِيلِ أَعْمَالِهِ مُوَافَقَةٌ مُطَابِقَةٌ ؛ مُحَصِّلًا مِنْ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى مَا يُؤَثِّرُهُ وَيُرُومُهُ ؛ [و] مِنْ طَاعَةِ الدَّارِ الْعَزِيزَةِ - لَازَلَتْ مُشِيدَةَ الْبِنَاءِ ، سَابِقَةً

(١) بياض بالأصل والنصح مما تقدم .

النِّعْماءُ ؛ دائِمةُ الإِسْتِثْبارِ ، عِزِّيةُ الأَنْصارِ - [و] من أَسْتَمَرَّ الرِّفْقَ ما يَسْتَدِيمُهُ ، -
 أَقْنَصَتِ الأَرَاءَ الشَّرِيفَةَ - لا زال التَّوْفِيقُ قَرِينَهَا ، والتَّائِيدُ مُظَا فِرَهَا وَمُعِينَهَا - إِمضاءُ
 تَصَرُّفِهِ وإِنْفَازَ حُكْمِهِ في بِلادِ مِصْرَ وأَعْمَالِهَا ، والصَّعِيدِ الأَعْلَى ، والإِسْكَندَرِيَّةِ ،
 وما يَفْتَحُهُ من بِلادِ الغَرْبِ والسَّاحِلِ ، وبِلادِ اليَمَنِ وما أَفْتَحَهُ مِنْهَا وَيَسْتَخْلُصُهُ بَعْدُ
 مِنْ وِلايَتِهَا ؛ والتَّعْوِيلُ في هَذِهِ الوِلايَاتِ عَلَيْهِ ، وَاسْتِنْفَازُ ما أَسْتَوْلَى عَلَيْهِ الكُفَّارُ
 مِنْ البِلادِ ، وإِعْزَازُ كُلِّ مَنْ أَذَلُّهُ وَأَضْطَهَّدُوهُ مِنَ العِبادِ : لِعُودِ النُّورِ بَيْنَ نَقِيبَتِهِ
 ضاحِكَةَ المَبَاسِمِ ، وبِإِصَابَةِ رَأْيِهِ قائِمةُ المَوَاسِمِ .

أَمْرَهُ بادئًا بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الحُسْنَةُ الوَاقِيَةُ ، وَالذَّخِيرَةُ البَاقِيَةُ ، وَالْعِصْمَةُ
 الكَافِيَةُ ، وَالزَّادُ إِذَا أَنْفَضَ وَفَدُ الآخِرَةُ وَأَرْمَلُوا ، وَالْعَتَادُ النَافِعُ إِذَا وَجَدُوا شَاهِدًا
 لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ما عَمِلُوا : فَإِنَّهَا العِلْمُ المَنْصُوبُ لِلرَّشَدِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ كِتَابَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ العِلْمَ الَّذِي بِهِ يَقْتَدِي ، وَأَنْوَارِهِ إِلَى حُدُودِ
 الصَّوَابِ يَهْتَدِي ؛ وَيَسْتَمِيعُ لَزَوَاجِرِهِ وَمَوَاعِظِهِ ، وَيَعْتَبِرُ بِتَخَوُّفِهِ وَمَلَا حِظَّهُ ؛ وَيُضْغِي
 إِلَيْهِ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَوَارِحِهِ وَلُبِّهِ ؛ وَيَعْمَلُ بِأَمْرِهِ الْمُحْكَمِ ، وَيَقِفُ عِنْدَ نَوَاهِيهِ
 الْمُبَرَّمَةِ ؛ وَيَتَدَبَّرُ مَا حَوَتْهُ آيَاتُهُ مِنَ الوَعْدِ وَالوَعِيدِ ، وَالزَّجْرِ وَالتَّهْدِيدِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ
 وَجَلَّ : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ
 مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى صَلَاتِهِ مَحَافِظًا ، وَلِنَفْسِهِ عَنِ الإِخْلَالِ وَالتَّقْصِيرِ فِي أَدَاءِ
 فَرَضِهَا وَإِعْطَا ؛ فَيَغْتَنِمُ الأَسْتِعْدَادَ أَمَامَ أَوْقَاتِهَا لِلأَدَاءِ ، وَيَحْتَرِزُ مِنْ فَوَاتِهَا وَالْحَاجَةَ إِلَى
 الْقَضَاءِ ؛ مُوفِّيًا حَقَّهَا مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، عَلَى الوَصْفِ الواجِبِ المَحْدُودِ ؛ مُحْلِصًا
 سِرَّهُ عِنْدَ الدُّخُولِ فِيهَا ، وَنَاهِيًا نَفْسَهُ عَمَّا يُصَدِّهَا بِالأَفْكَارِ وَيُلْهِمُهَا ؛ مُجْتَهِدًا فِي تَقَى

الفكر والوسواس عن قلبه، متصباً في إخلاص العباد لربه: ليُغْدَوْ يوصف الأبرار منعوتاً، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وأمره بقصد المساجد الجامعة في أيام الجمع، أمثالاً لأمر الله المتبع، بغزمية في الخير صافه، ونية للعبادة موافقه، وفي الأعياد إلى المصليات المصحرة المجملة بالمتأبر الحالية، التي هي عن الأذناس مطهرة نائية، فإنها من مواضع العبادة ومواطنها، ومطآن تلاوة القرآن المأمور بحفظ آدابها وسنتها، فقد وصف الله تعالى من وفقه لتحصيل مؤنه بالعمارة، بما أوضح فيه الإشاره، وشرفه بوضع سمة الإيمان عليه بالإكرام الفاجر، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ : فيقيم الدعوة الهادية على المنابر على عادة من تقدمه، ومُنْتَهيا فيها إلى أحسن ماعهده وعلمه .

وأمره بلزوم نزاهة الحرمات، واجتناب المحرمات، والتحلّي من العفاف والورع بأجل القلائد الراقية، والتقمص بملابس التقوى التي هي بأمثاله لائقه، وسلوك مناهج الصلاح الذي يُجَلُّ به فعله، ويصفو له علّه ونهله، وأن يمنع نفسه من الغضب، ويردّها عما تأمر به من سوء المكتسب، ويأخذها بآداب الله سبحانه في نهيا عن الهوى، وحملها على التقوى، وردّعها عن التورط في المهورى والشبه، وكل أمر يلتبس فيه الحق ويشتهيه، ويلزمها الأخذ بالعفو والصفح، والتأمل لمكان الأعمال فيه واللح، قال الله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

وأمره بإحسان السيرة في الرعايا بتلك البلاد، واختصاصهم بالصون الرايح الغاد، ونشر جناح الرعاية على البعيد منهم والقريب، وإحلال كل منهم محله على القاعدة

والترتيب ؛ وإشاعة المعدلة فيهم ، وإسهام دانيهم من وإفر ملاحظته وقاصيهم ؛ وأن ينحى سرحهم من كل داعر ، ويذود عنهم كل مؤارب بالفساد ومظاهر ؛ حتى تصفوا لهم من الأمن الشرائع ، وتصفوا عليهم من بركة ولايته المدارع ، وتستنير بضوء العدل منهم المطالع ؛ ويحترم أكابرهم ، ويحنو على أصاغرهم ؛ ويشملهم بكفنه ودرعه ، وينتهي في مصالحهم إلى غاية وسعه ؛ ولا يألوهم في النصيح جهدا ، ولا يخلف لهم في الخير وعدا ؛ ويشاورهم في أمره فإن المشورة داعية إلى الفلاح ، ومفتاح باب الصلاح ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وأمره بإظهار العدل في الرعية التي تضمها جميع الأكاف والأطراف ، والتحلل من النصفة بأكل الأوصاف ؛ وحمل كافتهم على أقوم جدد ، وعصيان الهوى في تهويم كل أود ؛ والمساواة بين الفاضل والمفضول في الحق إذا ظهر صدق دليله ، والاشتغال عليهم بالأمن الذي يعذب لهم برد مقيله ؛ وكشف ظلامه من أنبسط إلى تحييفه الأيدي والأطماع ، وأعجزته النصرة لنفسه والدفاع ؛ ونصفح أحوالهم بعين لا تروى إلى هوى يميل بها عن الواجب ، وسمع لا يصغي إلى مقالة مائ ولا كاذب ؛ ولا يفعل عن مصلحة تعود إليهم ، ويرجع نفعها عليهم ؛ ولا عن كشف ظلمات بعضهم من بعض ، وردهم إلى الحق في كل رفع من أحوالهم وخفض ؛ فلا يرى إلا بالحق عاملا ، وللاُمور على سنن الشريعة حاملا ؛ مجتنباً إغفال مصالحهم وإهمالها ، وحارساً نظامها على نتائج الأيام وأتصالها ؛ ليكون ذلك إلى وفور الأجر داعياً ، وبحسن الأخذ بواقي قاضيا ؛ مقتدياً بما نطق به القرآن : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ .

وأمره أن يأمر بالمعروف ويُقيم مناره، وينهى عن المنكر ويحو آثاره ؛ فلا يترك
ممكنًا من إظهار الحق وإعلانه، وقمع الباطل وإنحاد نيرانه ؛ ويعتمد مساعدة كل
مرشد إلى الطريق الأقصد، وناه عن التظاهر بالمحذور في كل مشهد ؛ وكل من^(١)
تضحى معونته مشاركة في إحراز المثوبة ومسايمه ، ومساومة في آقبتاء الأجر
ومقاسمه ؛ وأن يوعز بإزالة مظان الریب والفساد في الدانی من الأعمال والقاصی،
فإنها مواطن الشيطان وأما كن المعاصي ؛ وأن يشد على أيدي الأمرين بالمعروف
والناهيين عن المنكر، ويعينهم على ذلك بما يطيب ذكره في كل مشهد ومحضر ؛
ويجتهد في إزالة كل محذور ومنكر، مقدم في الباطل ومؤخر؛ قال الله تعالى :
﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

وأمره أن يقدم الاحتياط في حفظ الثغور ومجاوريها من الكفار، ويستعمل
غاية التيقظ في ذلك والاستظهار : ليأمن عليها غوائل المكائد ، ويفوز من التوفيق
لذلك بأنواع المحامد ؛ ويتجود لجهاد أعداء الدين، والانتقام من الكفرة المارقين ؛
أخذًا بقول رب العالمين : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . وأن يعمل فيما يحصل من الغنائم
عند قل جمعهم، وافتتاح بلادهم وربوعهم ، بقول الله وما أمر به في قسمتها،
وإيفاء كل صاحب حصته منها؛ سالكا سبل من غدا لآثار الصلاح مُقتفيا ،
وللقرض في ذلك مؤديا ؛ ويهدي ذوي الرشد مهتديا . قال الله تعالى في محكم
التنزيل : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ .

وأمره أن يُجيبَ إلى الأمان من طلبه منه ، ويكونُ وفاؤه مقترنا بما تضمّنه ،
غير مُضمّرٍ خلاف ما يُعطى به صَفَقَة أمانه ، ويحتنب الغدر وما فيه من العار ،
وإنخراط الملك الجبار ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا
الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وأمره بأن يأمر أصحاب المعاون بمساعدة القضاة والحكام ، ومعاونتهم بما
يَقْضِي [بَلَمَّ] شَمْلُ الصلاح في تنفيذ القضايا والأنظمة ؛ وأخذ الخُصوم بإجابة الداعي
إذا استُحضر [وا] إلى أبوابهم للإِنصاف ، والمُسارعة إلى الحقِّ الواجب عليهم من
غير خلاف ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ .

وأمره بالتعويل في المظالم وأسواق الرقيق ودور الضرب والحسبة على مَنْ يَأْوِي
إلى عَفَافٍ ودين ، وعِلْمُ بأحكام الشريعة وصِحَّةِ يَقِين ؛ لا يخفى عليه ما حرّمه الله تعالى
وأحلّه ، ولا يلتبسُ على علمه ما أَوْضَحَ إلى الحقِّ الواضح سُبُلَه ؛ وإلى مَنْ يتولّى المظالم
بإيصال الخُصوم إليه ، وإِنصافهم كما أوجبهُ الله تعالى عليه ؛ وأستماع ظَلَاماتهم ،
وإحسان النظر في مشاجراتهم ؛ فإن أسفرَ للحق ضياءً تبعه ، أو أشتبه الأمرُ رده إلى
الحُكّام ورفعهُ . و[إلى] الناظر في أسواق الرقيق بالاحتراز والاستظهار ، وتغرية
الأحوال من الشبهة في امتزاج العبيد بالأحرار : لتضحى الأَنسابُ مَصُونَةً مرعية ،
والأموالُ عن التَّم محروسةً بحميه . وإلى من ينظر في الحسبة بتصفّح أحوال العامة
في متاجرهم وأموالهم ، وتتبع آثارِ صحتهم في المعاملة واعتلالهم ؛ وأعتبار الموازين
والمكاييل ، وإلزام أربابها الصّحة والتعديل ؛ قال الله سبحانه وتعالى :
﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ .

وَأَنْ يُعْمَلَ الْجَفْنَ فِي تَطْهِيرِ الْبِلَادِ، مِنْ كُلِّ مَذْخُولِ الْإِعْتِقَادِ، بِمَعْرُوفٍ بِالشَّبْهِ فِي دِينِهِ وَالْإِلْحَادِ، وَمَنْ يَسْعَى مِنْهُمْ فِي الْفَسَادِ، وَيَأْمُرُ الْمُرْتَبِينَ فِي الْمَرَكَزِ وَالْأَطْرَافِ بِاقْتِنَاصِهِمْ، وَكَفِّ فُسَادِهِمْ وَإِجْلَاسِهِمْ عَنْ عِرَاصِهِمْ، وَأَنْ يُجْرَى عَلَيْهِمْ فِي السِّيَاسَةِ مَا يَحِبُّ عَلَى أَمْثَالِهِمْ مِنَ الزَّانَادِقَةِ وَالَّذِينَ تَوْبَتُهُمْ لَا تُقْبَلُ، وَأَمْرُهُمْ عَلَى حُكْمِ الْمُخَاطَبِينَ لَا يَجِلُّ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَتَلَقَّى النِّعْمَةَ الَّتِي أُفْرِغَتْ عَلَيْهِ، وَأَنْسَاقَتْ إِلَيْهِ، بِشُكْرِ يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُهُ، وَيُتَرْجَمُ عَنْهُ بَيَانُهُ : لَيْسَتْ دِيمَ بِذَلِكَ الْإِكْرَامِ، وَيَقْتَرِنُ الْإِحْسَانُ عِنْدَهُ بِالْإِلْتِمَامِ، وَأَنْ يُوقِفَهَا حَقَّهَا مِنْ دَوَامِ الْحَمْدِ، وَالْقَصْدِ إِلَى شُكْرِهَا وَالْعَمْدِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ بَيَّنَّ لَهُ مِنَ الصَّلَاحِ مَا اتَّضَحَتْ أَعْلَامُهُ، وَأُثْبِتَتْ فِي الْمَرَامِيِّ سِهَامُهُ، وَأُرْشِدَ إِلَى مَا أودَعَ هَذَا الْمُنْشُورُ مِنْ جَدِّ الْفَوْزِ بِمَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَشُكْرِ عِبَادِهِ، عَامِلًا فِي ذَلِكَ بِمَقْتَضَى جِدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ : لِيُحْزِرَ السَّبْقَ فِي دُنْيَاهِ وَعُقْبَاهِ، وَيَتَوَقَّرَ عِنْدَهُ مَا مُنِحَ بِهِ مِمَّا أَرْهَفَ عَزَمَهُ وَحَبَاهُ، وَغَدَا بِمَكَانِهِ رَافِلًا فِي مَلَابِسِ الْفَخْرِ وَالْبَهَاءِ، نَائِلًا مَنَى مَا طَالَ بِهِ مَنَاكِبُ الْقُرْنَاءِ، وَأَخْتَصَّ بِمَا أَعْلَى دَرَجَتَهُ فَتَقَاعَسَتْ عَنْهُ آمَالُ حَاسِدِيهِ، وَتَفَرَّدَ بِالمَكَانَةِ عَنْ مَقَامِ مِنْ يُبَارِيهِ وَيُنَاوِيهِ، وَأَوَّلَى مِنَ الْإِنْعَامِ مَا أَمَّنَ بِهِ سِرْبَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُ، وَأَصْفَى مِنْ مَنَاهِلِ الْإِحْسَانِ وَرَدَهُ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ مِنَ الْمَوَاطِظِ مَا يَحِبُّ أَنْ يُودِعَهُ وَاعِيَةَ الْأَسْمَاعِ، وَيَأْخُذَ بِالْعَمَلِ بِهِ كُلِّ رَاحٍ، فَيَنْهَجُ - أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ - مَحَاجَّ الْوَلَاءِ، الَّذِي عَهْدُهُ مِنْ أَمْثَالِهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ،

(١) فِي الْأَصْلِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ وَهُوَ غَيْرُ مَوَاقٍ لِبَاقِ الْكَلَامِ كَمَا لَا يَجْنِي .

متزَّهًا عن تقصيرٍ منه في عامَّة الأوقات ، ومراعياً أفعاله في جميع التصرفات ؛ ويعلم أنه مسؤل عن كل ما تَلَقَّظ به لسانه ناطقا ، ونظر طَرَفُه إليه رامقا ؛ قبل أن يُجانب هَوَاهُ ، ويتيقَّ رَهِينًا بما آكْتَسَبَتْ يداه ؛ ولا يغترَّ من الدنيا وزُخْرُفِها بغير أن ليس الوفاء من طباعه ، ومُعِيرٍ ما أقصر مدَّة آرْتِجَاعه ؛ وسبيلُ كافَّة القضاة والأعيان ومقدِّمي العساكر والأجناد ، ورؤساء البلاد ، متابعته وموافقته ، وطلب مصالحهم من جنابه ، والتصرف على استصوابه ؛ وقد أُكِّدَتْ وصائمه في الرفق بهم والاشتغال عليهم ، والإحسان إليهم ، وإجمال السيرة فيهم ؛ وكلُّما أشكل عليه أمرٌ من المتجددات يطالع به الديوان العزيز - مجده الله تعالى - لينهج له السبيل إلى فتح رتاجه ، وسُلُوكِ منهاجه ؛ والله وليُّ التوفيق والهداية ، وجمع الكلمة في كلِّ إعادةٍ وبدايه ، والمعونة على العِصْمة من الزَّلَل ، والتأييد في القول والعمل ؛ إن شاء الله تعالى ، وهو حسْبنا ونِعْم الوكيل .

الوجه السابع

(فيما يكتب في مستند عهد السلطان عن الخليفة ، وما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، وما يكتب في نسخة العهد من الشهادة أو ما يقوم مقامها)

أما ما يكتب في المستند ، فقد جرت العادة أن يكتب فيه نحو ما تقدم في البيعات وعهود ولاة العهد بالخلافة : وهو : « بالإذن العالي ، المولوي ، الإمامي ، النبوي ، الفلاني » (بقلب الخلافة) أعلاه الله تعالى .

وأما ما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، فإنه يكتب علامته وتحته : « فوضت إليه ذلك ، وكتب فلان بن فلان » . ورأيت في بعض الدساتير نقلا عن الحاكم بأمر الله

أبى العباس [ابن الخليفة] المستكنى بالله أبى الربيع سليمان [أنه] كان يكتب :
« وكتب أحمد ابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » .

وأما ما يكتب في نسخة العهد من الشهادة، فقد جرت العادة أن يكتب قاضيان
فأكثر من قبضة القضاة الأربعة في حاشية العهد أو في ذيله ماصورته : « أشهدنى
مولانا أمير المؤمنين العاهد المشار إليه فيه - أدام الله تعالى أيامه - بما نسب إليه
فيه من العهد إلى فلان بن فلان » أو ما في معنى ذلك .

قلت : والواجب أن يضموا في رسم شهادته الشهادة على السلطان بقبول العهد؛
بأن يقال قبل على مانص وشرح فيه : « وعلى مولانا السلطان المشار إليه فيه بقبول
مافوض إليه فيه » أو نحو ذلك : لأنه كما يعتبر العهد من العاهد يعتبر القبول من
المعهود إليه كما تقدم في موضعه .

الوجه الثامن

(في قطع الورق الذى يكتب فيه عهد الملوك عن الخلفاء، والقلم الذى
يكتب به، وكيفية كتابتها، وصورة وضعها فى الورق)

أما قطع الورق فلا نزاع فى أنه يكتب فى قطع البغدادى الكامل ، على ما هو
مستقر العادة إلى الآن . وقد تقدم فى الكلام على مقادير قطع الورق فى المقالة الأولى^(١)
من الكتاب أن عرضه ثلاثة أشبار وخمسة أصابع ، وطول الوصل كذلك .

(١) كذا فى الأصل مضببا عليه ولم يتقدم فى الأولى وإنما تقدم فى المقالة الثالثة الكلام على
المقادير وأن عرض البغدادى الكامل ذراع واحد بذراع القماش المصرى . انظر ج ٦ ص ١٩٠
من هذا المطبوع .

وأما القلم الذى يكتب به ، فمختصر قلم الطومار لمناسبته له على ما تقدم فيما يناسب كل قطع من الورق من الأقلام .

وأما كيفية كتابة العهد وصورة وضعه فى الورق ، فعلى ما تقدم فى البيعات وعهود أولياء العهد بالخلافة : وهو أن يبدأ بكتابة الطرة فى أعلى الدرج من أول عرض الورق إلى آخره سطوراً متلاصقة من غير هامش ، وفى أعلاه قدر أصبع بيضاء ، ثم يترك ستة أوصالٍ بيضاء من غير كتابة غير الوصل الذى فيه الطرة ؛ ثم تكتب البسملة فى أول الوصل الثامن بحيث تكون أعلى ألفاتها تكاد تلتحق بالوصل الذى فوقه ، بهامش عن يمين الدرج قدر أربعة أصابع مطبوعة أو خمسة ؛ ثم يكتب سطراً من أول العهد تحت البسملة ملاصقاً لها بحيث تكاد أعلى ألفاته تلتحق بالبسملة ، ثم يخلى بيت العلامة قدر شبر ، ثم يكتب السطر الثانى من العهد على سمت السطر الذى تحت البسملة ، ويترسل فى كتابة بقية العهد .

ثم الذى رأيته فى دستور معتمد ينسب للقر العلاءى بن فضل الله أنه يكون بين كل سطرين قدر ربع ذراع . وأخبرنى بعض فضلاء الكتاب أنه رأى فى بعض الدساتير أن سطورَه تكون مُردوجة على نظير البسملة والسطر الأول ، وبين كل سطرين بعد بيت العلامة تقدير خمسة أصابع مطبوعة .

قلت : ولعل ذلك تفنن من الكاتب وتطريز للكتابة ، لأعلى سبيل اللزوم .

فإن قيل : لم كان مقدار البياض بين سطور العهد مع كبر قطع الورق دُونَ بياض ما بين سطور التقاليد ونحوها مما يكتب عن السلطان على ما سأتى ذكره ؟ فالجواب أن العهد كالمكاتبة من العاهد للعهد إليه ، كما أن التقليد كالمكاتبة من المقلد للمقلد ، والأعلى فى حق المكتوب إليه أن تكون السطور متضائقة على ما تقدم

في الكلام على المكتّبات؛ فناسب أن تكون سطور العهد أكثر تقارباً من سطور التقليد وما في معناه، تعظيماً لشأن السلطان في الحالتين .

فإن قيل : يُنقض ذلك بعظم قلم العهد ، ضرورة أنه كلما غلظ القلم كان أنزل في رتبة المكتوب إليه على ما تقدم أيضاً ، فالجواب : أن غلظ القلم في العهد تابع للورق في كبر قطعه ، وقاعدة ديوان الإنشاء أنه كلما كبر قطع الورق في المكتّبات ، كان تعظيماً للمكتوب إليه ، بدليل أن كل من عظم مقداره من الملوك كان قطع الورق في مكاتبه أكبر ، ولو كتبت العهد بقلم دقيق مع ضيق السطور وسعة الورق لجاء في غاية القصر . ثم قد جرت العادة أن تكون كتابة العهد من أوله إلى آخره من غير نقط ولا شكل ، وعليه عمل الكُتّاب إلى آخر وقت .

قلت : هذا بناء على المذهب الراجح في أن المكتبة إلى الرئيس تكون من غير إعجام ولا ضبط : لما في الإعجام والضبط من استجهال المكتوب إليه ونسبته للعبادة وقلة الفهم ، بخلاف من ذهب إلى أن الكتابة إلى الرئيس تُقيّد بالإعجام والضبط كي لا يعتريه الشك ، ولا يكلف إعمال الفكر ، على ما تقدم ذكره في أوائل المكتبات ، فإنه يرى نقط العهد وشكله .

وإذا انتهى إلى آخر العهد كتب المشيئة ، ثم التاريخ ، ثم المستند ، ثم الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الحسبلة ، على ما تقدم في الكلام على الفواتح والخواص في أوائل المقالة الأولى من الكتاب .

وهذه صورة وضعه في الورق ، ممثلاً له بالطرّة التي أنشأها القاضي علاء الدين ابن عبد الظاهر ، والعهد الذي أنشأه القاضي شمس الدين إبراهيم بن القيسراني للملك الناصر "محمد بن قلاوون" وهو العهد الأخير من المذهب الأول .

الطزّة

هذا عهدٌ شريفٌ تجددتْ مَسَرَّاتُ الإسلامِ بتجديده، وتأكّدتْ أسبابُ الإيمانِ
بتأكيده، ووُجدَ النصرُ العزيزُ والفتحُ المبينُ بوجُوده، ووَقَدَ اليَمْنُ والإقبالُ على الخَلِيقَةِ
بوفُوده، ووردَ الأَناؤُ مُورِدَ الأمانِ بورُوده . من عبدَ اللهَ وولَّيَ الإمامَ المستَكفِي باللهِ
أبى الربيعِ سليمانَ أميرَ المؤمنين، أبَنَ الحاكِمِ بأمرِ اللهِ أبى العباسِ أحمدَ، عَهِدَ بهِ
إلى السلطانِ الملكِ الناصرِ أبى الفتحِ محمدٍ خَلَدَ اللهَ سُلطانَه، أبَنَ السلطانِ الملكِ
المنصورِ سيفِ الدينِ قلاوونِ الصالحِ قَدَسَ اللهَ روحَه على ما شَرَحَ فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الهامش هذا عهدٌ شريفٌ يَعُمُّ بِكَ للإسلامِ المَعَاهِدُ، وَيُنْصُرُ مِنْكَ الإِعْتِرَامَ

بيت العلامة

فَتَغْنِي ' عَنْ الْمَوَالِي وَالْمُعَاوِدِ، وَيُلْقِي إِلَيْكَ مَقَالِيدَ الْأُمُورِ لِتَحْمِي فِي مَرْضَاةِ

تقدير ربع ذراع

اللهِ وَتُجَاهِدِ، وَيَعْنُكَ عَلَى الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ : لِيَكُونَا شَاهِدِينَ لَكَ

تقدير ربع ذراع

عِنْدَ اللَّهِ فِي أَعْظَمِ الْمَشَاهِدِ - إِلَى أَنْ يَأْتِيَ إِلَى قَوْلِهِ فِي آخِرِهِ : وَاللَّهُ تَعَالَى

الماس يخلد له رتبة الملك التي أعلى بها مقامه ، ويُدِّيمُه ناصراً للدين الحنيف

فأنصاره لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة ؛ ويجعل سببَ هذا العهد

مدى الأيام متيناً ، ويجدد له في كل وقت نصراً قريباً وفتحاً مُبيناً ؛

والخط الحاكمُ أعلاه ، حجةً بمقتضاه

إن شاء الله تعالى

كتب في من شهر كذا

سنة كذا

بالإذن العالي المولوى الإمامى النبوى الحامى

أعلاه الله تعالى

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

النوع الثالث

(من العهود عهودُ الملوك لولاية العهد بالملك)

وهو أن يعهد الملك بالملك بعده لمن يختاره من أولاده أو إخوته أو غيرهم من الأقارب أو الأجانب .

ويتعلق النظرُ به من سبعة أوجه :

الوجه الأول

(في بيان صحّة ذلك)

لما صحّت إمارةُ الاستيلاء إجماعاً للفتن ، وتنفيذاً للأحكام الشرعية على ما تقدّم من كلام الماورديّ في النوع الثاني من العهود ، اقتضت المصلحة تصحيح العهد بالملك لما فيه من المعنى المتقدم . وقد جرّت عهودُ من الملوك لأبنائهم بالديار المصرية وغيرها بحضرة الجُم الغفير من العلماء وأهل الحلّ والعقد فأمضوا حكم ذلك ولم ينكروه ، وذلك منهم دليلُ الجواز .

فإن قيل : قد تقدّم في النوع الثاني من العهود من كلام الماورديّ أن وزيرَ التفويض لا يجوز له أن يعهد بالوزارة لغيره ، ووزارةُ التفويض في معنى السلطنة الآن أو قريبةٌ منها على ما تقدّم هناك ، فالجواب : أنه قد تقدّم أن السلطنة الآن مُركّبة من وزارة التفويض وإمارة الاستيلاء ، بل السلطان الآن كالمستبد بالأمر ، والشوكة مصحّحة لأصل الولاية فلأن تكون مصحّحة لفرعها أولى .

الوجه الثاني

(فيما يكتب في الطرّة)

ينبغي أن يكون ما يكتب فيها على نحو ما يكتب في طرر عهود الملوك عن الخلفاء ،
إلا أنه يُزاد فيها : « عهد إليه بالملك بعده » كما يقال في عهود الخلفاء عن الخلفاء :
« عهد إليه بالأمر بعده » .

وهذه نسخة طرّة :

« هذا عهد شريف جليل قدره ، رفيع ذكره ، على نخره ، متبلج صبحه صوى
بحره . من السلطان الأعظم الملك الفلاني فلان الدنيا والدين فلان ، خلد الله تعالى
سلطانه ، ونصر جيوشه وأعوانه - بالسلطنة الشريفة لولده المقام العالي السلطاني
الملك الفلاني ، بلغه الله تعالى فيه غاية الآمال ، وحقق فيه للرعية ما يرجونه من مزيد
الإفضال ، على ما شرح فيه » .

الوجه الثالث

(في الألقاب التي تكتب في أثناء العهد)

وقد ذكر في " التعريف " أنه يكتب له : المقام الشريف أو الكريم ، أو العالي
محتردا عن الشريف والكريم ، ويُقتصر فيها على الألقاب المفردة دون المركبة .

قلت : وعلى هذه الطريقة كتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ألقاب
الملك الصالح على بن المنصور قلاوون في عهده بالسلطنة عن والده المذكور ،
فقال : « ولما كان المقام العالي الولدي السلطاني الملكي الصالح العادي » .

وعلى نحو من ذلك كتب المشار إليه ألقاب الملك السعيد بركة بن الظاهر بيبرس في عهده بالسلطنة عن والده المذكور ، فقال : « وخرج أمرنا بأن يكتب هذا التقليد لولدنا الملك السعيد ناصر الدين بركة خاقان محمد » إلا أنه قد خالف ذلك فيما كتب به في ألقاب الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون في عهده بالسلطنة عن والده فجمع بين الألقاب المفردة والمركبة ، فقال : « هذا عهدنا للسيد الأجل الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين ، نفي الملوك والسلاطين ، خليل أمير المؤمنين » ولم يتعرض في التعريف لحكاية هذا المذهب ، مع كون كلام ابن عبد الظاهر حجة يرجع إليه في هذا الفن .

الوجه الرابع

(ما يكتب في المستند)

ويتعين أن يكتب فيه « حسب المرسوم الشريف » لصُدوره عن السلطان كما يكتب في التقاليد .

الوجه الخامس

(ما يكتب في متن العهد)

وللكتاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى — أن يفتح العهد بعد البسملة بلفظ « هذا » ونحوه على ما تقدم في عهود الملوك عن الخلفاء .

وعلى هذه الطريقة كتب أبو بكر بن القصيرة المغربي الكاتب عن أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » سلطان المغرب بولاية عهده لابنه أبي الحسن على ما بيده من الغرب والأندلس ، في ذى الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة ، وهو :

كُتِبَ تَوَلِيَّةٌ عَظِيمٌ جَسِيمٌ ، وَتَوْصِيَّةٌ حَمِيمٌ كَرِيمٌ ، مُهَّدَتْ عَلَى الرِّضَا قَوَاعِدُهُ ،
وَأُكِّدَتْ بِيَدِ التَّقْوَى مَعَاقِدُهُ ، وَأُبْعِدَتْ عَنِ الْغَوَايَةِ وَالْهَوَى مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُهُ ،
أَنْفَذَهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرُ الدِّينِ ، أَبُو يَعْقُوبَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ ، أَدَامَ اللَّهُ أَمْرَهُ ،
وَأَعَزَّ نَصْرَهُ ، وَأَطَالَ فِيهِمَا يُرْضِيهِ وَيَرْضَى بِهِ عَنْهُ عُمَرَهُ ، غَيْرَ مُحَابٍ ، وَلَا تَارِكٍ
فِي النَّصِيحَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ مَوْضِعَ آرْتِيَابٍ لِمُرْتَابٍ - لِلْأَمِيرِ الْأَجَلُ أَبُو الْحَسَنِ
عَلَى ابْنِهِ الْمُتَقَبِّلِ شَيْمِهِ وَهَمَمِهِ ، الْمُتَأَنِّلِ حِلْمِهِ وَتَحَلُّمِهِ ، النَّاشِئُ فِي حَجَرِ تَقْوِيمِهِ وَتَأْدِيبِهِ ،
الْمُتَصَرِّفُ بَيْنَ يَدَيِ مُتَحَدِيهِ وَتَهْدِيهِ ، أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ وَتَوْفِيقَهُ ، وَأَنْهَجَ إِلَى كُلِّ صَالِحٍ
مِنَ الْأَعْمَالِ طَرِيقَهُ ، وَقَدْ تَهَمَّ بِمَنْ تَحْتَ عَصَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذَا فِيمَنْ يُخَلِّفُهُ
فِيهِمْ هُدًى لِلتَّقِيْنَ ، وَلَمْ يَرَأَنْ يَتْرُكْهُمْ سُدًى غَيْرَ مَدِينِينَ ، فَأَعْتَمَّ فِي النَّصَابِ الرِّفِيعِ
وَأَخْتَارَ ، وَاسْتَنْصَحَ أُولَى الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ وَاسْتَشَارَ ، وَاسْتَضَاءَ بِشِهَابِ
اسْتِخَارَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتَنَارَ ، فَلَمْ يُوقِعْ اللَّهَ بَعْدَ طُولِ تَأَمُّلٍ ، وَتَرَاحِي مُدَّةٍ وَتَهْمَلٍ ،
اِخْتِيَارَهُ وَلَا اخْتِيَارَ مَنْ فَاوَضَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ أُولَى التَّقْوَى وَالْحِكْمَةِ وَالتَّجَرُّبَةِ
وَاسْتَشَارَهُ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَلَا صَارَ بِهِ وَبِهِمُ الْإِجْتِهَادُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا التَّقْيُّ وَرَادَ التَّرَائِي
وَالْتَشَاوُرُ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَوَلَّاهُ عَلَى اسْتِحْكَامٍ بَصِيرَةٍ وَبَعْدَ طُولِ مَشُورَةٍ عَهْدَهُ ،
وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ بَعْدَهُ ، وَجَعَلَهُ خَلِيفَتَهُ فِي رِعَايَا مَسْنَدِهِ
وَأَوْطَأَ عَقِبَهُ جَمَاهِيرَ الرِّجَالِ ، وَنَاطَهُ بِمُهِمَّاتِ الْأُمُورِ وَالْأَحْوَالِ ، وَعَهَّدَ إِلَيْهِ أَنْ
يَتَّقِيَ اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ ، وَلَا يَعْدِلَ عَنْ سَبْتِ الْعَدْلِ وَحُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ فِي أَحَدٍ
عَصَى أَوْ أَطَاعَ ، وَلَا يَنَامَ بِهِ عَنْ حِمَايَةِ مَنْ أَسْهَرَهُ الْحَيْفُ وَالْخَوْفُ وَالْإِضْطِجَاعُ ،
وَلَا يَنْتَهَى دُونَ مَعْلَنِ شَكْوَى ، وَلَا يَتَصَمَّمُ عَنْ مُسْتَصْرِخٍ لِدِفَاعِ بَلَوَى ، وَأَنْ يَنْتَظِمَ
أَقْصَى بِلَادِهِ وَأَدْنَاهَا فِي سِلْكِ تَدْيِيرِهِ ، وَلَا يَكُونَ بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ مِنْ رِعْيَتِهِ بَوْنٌ

في إحصائه وتقديره ؛ ثم دَعَا - أدام الله تأييده - لمبايعته مَنْ دَنَا ونَأَى من المسلمين ، فلبَّوا مسرِّعين وأَتَوْا مُهْطِعِينَ ، وأَعْطَوْا صَفْقَةَ أَيْمَانِهِمْ متبرِّعين متطوِّعين ؛ وبأبْغَوْهُ عَلَى السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، وَالتَّزَامِ سَنَنِ الْجَمَاعَةِ ؛ وَبَذَلُ النِّصِيحَةِ ، وَإِصْفَاءِ النَّيَّاتِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَمُوَادَّةِ مَنْ صَاحَبَهُ ، وَمُحَارَبَةِ مَنْ حَارَبَهُ ؛ وَمُكَايَدَةِ مَنْ كَايَدَهُ ، وَمَعَانَدَةِ مَنْ عَانَدَهُ ؛ لَا يَدْنَحُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى حَالِ الْمَكْرِهِ وَالْمُنْشَطِ مَقْدِرِهِ ، وَلَا يَحْتَجُّونَ فِي وَقْتِ السُّخْطِ وَالرِّضَا بِمَعْدِرِهِ ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِخَاطِبَةِ أَهْلِ الْبِلَادِ لِتُبَايَعِهِ كُلِّ طَائِفَةٍ فِي بِلَدِهَا ، وَتُعْطِيَهُ كَمَا أَعْطَاهُ مَنْ حَضَرَ صَفْقَةَ يَدِهَا ؛ حَتَّى يَسْتَوِيَ فِي الْتَزَامِ بَيْعَتِهِ ، الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ ، وَيَجْتَمِعَ عَلَى الْإِعْتَصَامِ بِحُجْلِ دَعْوَتِهِ ، الْغَائِبُ وَالشَّهِيدُ ؛ وَتَطْمَئِنَّ مِنْ أَعْلَامِ النَّاسِ وَخَيْرِهِمْ قُلُوبٌ كَانَتْ مِنْ تَرَانِحِي مَا أَنْتَجَزَ قَلْقَهُ ، وَلَمْ تَزَلْ بِبَقِيَةِ النَّاشِرِ أَرْقَهُ ؛ وَيَشْمَلُ النَّاسَ السُّرُورُ وَالْأَسْتِيشَارُ ، وَنُتْمَكُنْ لَهُمُ الدَّعَاةُ وَيَتَمَهَّدُ الْقَرَارُ ؛ وَتَشَأْ فِي الصَّلَاحِ لَهُمْ آمَالُ ، وَيَسْتَقْبِلَهُمْ جَدُّ صَاعِدٌ وَإِقْبَالُ ، وَاللَّهُ يُبَارِكْ لَهُمْ فِيهَا بَيْعَةَ رِضْوَانٍ ، وَصَفْقَةَ رُجْحَانٍ ، وَدَعْوَةَ إِيْمَانٍ ؛ إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ .

شهد على أمير المسلمين ناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين - أدام الله أمره ، وأعز نصره - بكلِّ ما ذكر عنه من التَّزَامِ الْبَيْعَةِ الْمَنْصُوصَةِ فَوْقَ هَذَا ، وَأَعْطَى صَفْقَةَ يَمِينِهِ مَتَبَرِّعًا بِهَا ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ . وَذَلِكَ بِحَضْرَةِ قُرْطُبَةَ حَمَاهَا اللَّهُ تَعَالَى .

الطريقة الثانية - أَنْ يُفْتَتَحَ الْعَهْدُ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ بِمُخْطَبَةٍ مُفْتَتِحَةٍ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ ، وَهِيَ طَرِيقَةُ الْمِصْرِيِّينَ ، وَعَلَيْهَا أَقْتَصَرَ الْمُقَرَّرُ الشَّهَادِيُّ بِنُ فَضْلِ اللَّهِ فِي " التَّعْرِيفِ " وَعَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ كَتَبَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ عَنِ الظَّاهِرِ بَيْرُوسَ عَهْدَ وَلَدِهِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ بَرَكَةً ، وَهَذِهِ نَسْخَتُهُ :

(١) فِي الْأَصُولِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ سَمُوْعِمَا تَقْدُمُ قَنْبَهُ .

الحمد لله منمى الغروس، ومبجج النفوس، ومزین سماء المملكة بأحسن الأهلة
وأضواء البدور وأشرق الشمس؛ الذى شدَّ أزر الإسلام، بملوك يتعاقبون مصالح
الأنام، ويتناوبون تديرهم كتائب العينين واليدين فى مهمات الأجساد ومهمات
الأجسام .

نحمده على نعمه التى أبقت جفن الشكر المتغافى، وأوردت نهل الفضل الصافى،
وخولت الآلاء حتى تمسكت الآمال منها بالوعد الوفى وأخذت بالوزن الوافى؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد كثير الله عدده وعدده،
وأحمد أمسه ويومه ويحمده - إن شاء الله تعالى - غده؛ ونصلى على سيدنا محمد
الذى أطلع الله به نجم الهدى، وألبس المشركين به أردية الردى؛ وأوضح به
منهج الدين وكانت طرائق قديدا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة
لا تنقضى أبدا .

وبعد، فإننا [بما] ألهمنا الله من مصالح الأمم، وخولنا من الخرص على مهمات
العباد الذى قطع به شافة الكفر وختم، وأتى به والشرك قد علم كل أحد اشتعال
ناره فكان علما بنار مضرمة لا نارا على علم؛ وقدره من رفع الكفر من جميع
الجوانب، وقفوهم من كل جهة حتى رماهم بالحنف الواصل والعذاب الواصب؛
فأصبح الشرك من الإبادة فى شرك، والإسلام لا يحشنى من قتل ولا يخاف من
درك؛ وتغور الإسلام عالية المبتنى، جانية ثمار الإدخار من هنا ومن هنا؛ تراحم
بروجها فى السماء البروج، وتشاهد الأعداء منها سماء قد بنيت وزينت وما لها من
فروج؛ وعساكر الملة الحمديّة فى كل طرف من أطراف الممالك تجول، وفى كل
وايدٍ تهم حتى تشعر بالنصر ولكنها تفعل ما تقول؛ قد دوت البلاد فقتلت الأعداء

تَارَةً بِالْإِلَامِ وَتَارَةً بِالْإِذْهَامِ ، وَسَلَّتْ سُيُوفُهَا فِرَاعَتَهُمْ يَقْظَةً بِالْقِرَاعِ وَنَوْمًا بِالْأَحْلَامِ ؛
 تَرَى أَنَا قَدْ لَدَّ لَنَا هَذَا الْأَمْرُ أَلْتِدَاذَ الْمُسْتَطِيبِ ، وَحَسُنَ لَدَيْنَا مَوْعِدُهُ فَعَكَفْنَا عَلَيْهِ
 عُكُوفَ الْمُسْتَجِيدِ وَلَبَّيْنَاهُ تَلِيَّةَ الْمُسْتَجِيبِ ؛ وَجَعَلْنَا فِيهِ جَمِيعَ الْآلَاتِ وَالْحَوَاسِ ،
 وَتَقَسَّمتْ مِبَاشِرَتُهُ وَمُؤَامَرَتُهُ سَائِرَ الزَّمَنِ حَتَّى غَدَا أَكْثَرَ تَرَدُّدًا إِلَى النَّفْسِ مِنْ
 الْأَنْفَاسِ ؛ وَاسْتَنْفَدْنَا السَّاعَاتِ فِي أَمْتِطَاءِ الْمُضْمَرِّ الشَّمُوسِ ، وَأَدْرَاعِ مُحْكَمِ الدَّلَاصِ
 الَّتِي كَانَتْهَا وَمِضُّ بَرَقِ أَوْشُعَاءِ شَمُوسِ ؛ وَتَجْرِيدِ الْمُرْهَفَاتِ الَّتِي جَفَتْ لِحَاطِظِهَا
 الْأَجْفَانِ ، وَجَرَتْ فَكَالْمِيَاهِ وَأُضْرِمَتْ فَكَالْتَّيْرَانِ ؛ وَتَفْوِيقِ السَّهَامِ الَّتِي غَدَتْ قِسِيَّهَا
 مَرَابِعًا نَبَالُهَا بَانَ (؟) ، وَاعْتِقَالِ السَّمْهَرِيَّةِ الَّتِي تَقَرَّعَ الْأَعْدَاءُ سِنَهَا نَدَمَا كَلَّمَا قَرَعَتْ
 هِيَ السَّنَانَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ غَارَةٍ شَعَوَاءِ نُسِيءٍ لِلْكَفَّارِ الصَّبَاحِ ، وَتَصْدِمُ
 كَالْجِبَالِ وَتَسِيرُ كَالرِّيَّاحِ ؛ وَمُنَازِلَاتٍ كَمْ أَسْتَلَبْتُ مِنْ مَوْجُودٍ ، وَكَمْ أَسْتَنْجَزْتُ مِنْ
 نَصِيرٍ مَوْعُودٍ ، وَكَمْ مَدِينَةٍ أَصَحَّتْ لَهَا مَدِينَةٌ وَلَكِنْ أَخْرَجَهَا اللَّهُ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ .

وَكَانَتْ شَجَرَتُنَا الْمُبَارَكَةُ قَدْ أَمْتَدَّ مِنْهَا فَرْعٌ تَفَرَّسْنَا فِيهِ الزِّيَادَةَ وَالنُّمُوَّ ، وَتَوَسَّمْنَا مِنْهُ
 حُسْنَ الْجَنَى الْمَرْجُوقِ ؛ وَرَأَيْنَا أَنَّهُ الْهَلَالُ الَّذِي قَدْ أَخَذَ فِي تَرْقِي مَنَازِلِ السُّعُودِ إِلَى
 الْإِبْدَارِ ، وَأَنَّهُ سِرْنَا الَّذِي صَادَفَ مَكَانَ الْإِخْتِبَارِ لَهُ مَكَانَ الْإِخْتِيَارِ ؛ فَأَرَدْنَا أَنْ نَنْصِبَهُ
 فِي مَنْصِبٍ أَحَلَّنَا اللَّهُ فِسِيحَ غُرْفِهِ ، وَنُسَرِّفَهُ بِمَا خَوَّلَنَا اللَّهُ مِنْ شَرَفِهِ ؛ وَأَنْ تَكُونَ
 يَدُنَا وَيَدُهُ تَلْتَقِطَانِ مِنْ ثَمَرِهِ ، وَجِيدُنَا وَجِيدُهُ يَتَحَلَّيَانِ بِجَوْهَرِهِ ؛ وَأَنَا نَكُونُ لِلْسَّاطِنَةِ
 الشَّرِيفَةِ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ، وَلِلْمَلِكَةِ الْمُعْظَمَةِ فِي التَّنَاقُوبِ بِالْإِضَاءَةِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ؛
 وَأَنْ تَصُولَ الْأُمَّةُ مِنَّا وَمِنْهُ بِحَدِّينِ ، وَيَطِطُّوا مِنْ أَمْرِنَا وَأَمْرِهِ بِيَدَيْنِ ، وَأَنْ نُزَيِّبَهُ
 عَلَى حُسْنِ سِيَاسَةٍ تَحْمَدُ الْأُمَّةُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - عَاقِبَتَهَا عِنْدَ الْكِبَرِ ، وَتَكُونُ

الأخلاق الملوكة منتشة منه ومنتشة به من الصغر؛ ونجعل سعى الأمة حمداً، ونهب لهم منه سلطاناً نصيراً ومُلْكاً سعيداً؛ ونقوى به عضد الدين ونريش جناح الملكة، ونُفِّح مَطْلَبَ الأمة بآيائِهِ وكيف لا يُنْفِج مَطْلَبَ فيه بَرَكَه ؟ .

ونخرج أَمْرُنَا لا بَرَح مُسْعِداً ومُسْعِفاً ، ولا عَدِمَتِ الأُمّةُ مِنْهُ خَلْفاً مُنِيلاً ونَوْاً^(١) مُحْلِفاً ؛ بَأَن يُكْتَبَ هَذَا التَّقْلِيدَ لَوْلَدِنَا السَّعِيدِ نَاصِرِ الدِّينِ « بَرَكَهَ خَاقَانِ مُحَمَّد » جَعَلَ اللهُ مَطْلَعَ سَعْدِهِ بِالْإِشْرَاقِ مُحْفُوفَا ، وَأَرَى الأُمّةَ مِنْ مِيَامِنِهِ مَايُدْفَعُ لِلدَّهْرِ صَرْفاً وَيُحْسِنُ بِالتَّدْبِيرِ تَصْرِيفَا - بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ الشَّرِيفِ عَلَى قُرْبِ الْبِلَادِ وَبُعْدِهَا ، وَغُورِهَا وَتَجْدِهَا ؛ وَقِلَاعِهَا وَثُقُورِهَا ، وَبُرُورِهَا وَبُحُورِهَا ؛ وَوِلَايَاتِهَا وَأَقْطَارِهَا ، وَمُدُنِهَا وَأَمْصَارِهَا ؛ وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا ، وَمُعْطَلَهَا وَمُغْتَلَّهَا ؛ وَمَا تَحْوِي أَقْطَارُهُ الْأَحْلَامَ ، وَمَا يُنْسَبُ لِلدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مِنْ يَمِينٍ وَحِجَازٍ وَمِضْرٍ وَغَرْبٍ وَسَوَاحِلَ وَشَآمٍ بَعْدَ شَآمٍ ؛ وَمَا يَتَدَاخَلُ ذَلِكَ مِنْ قِفَارٍ وَمِنْ بَيْدٍ فِي سَائِرِ هَذِهِ الْجِهَاتِ ، وَمَا يَتَخَلَّلُهَا مِنْ نَيْلٍ وَمِلْحٍ وَعَذَبٍ فُرَاتٍ ؛ وَمَنْ يَسْكُنُهَا مِنْ حَقِيرٍ وَجَلِيلٍ ، وَمَنْ يَحُلُّهَا مِنْ صَاحِبِ رُغَاءٍ وَثُقَاءٍ وَصَلِيلٍ وَصَهِيلٍ ؛ وَجَعَلْنَا يَدَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ الْمَبْسُوطَةَ ، وَطَاعَتَهُ الْمَشْرُوطَةَ ، وَنَوَامِيسَهُ الْمَضْبُوطَةَ ؛ وَلَا تَدِيرُ مُلْكٍ كَلِّاً إِلَّا بَنَا أَوْ بَوْلَدْنَا يُعْمَلُ ، وَلَا سَيْفٌ وَلَا رِزْقٌ إِلَّا بِأَمْرِنَا هَذَا يُسَلُّ وَهَذَا يُسَالُّ ؛ وَلَا دَسَتْ سُلْطَنَةً إِلَّا بِأَحْدَانَا يَتَوَصَّحُ مِنْهُ الْإِشْرَاقُ ، وَلَا غُصْنٌ قَلَمٌ فِي رَوْضِ أَمْرٍ وَنَهْيٍ إِلَّا وَلَدِينَا وَلَدِيهِ تَمْتَدُّ لَهُ الْأَوْرَاقُ ؛ وَلَا مَنَبْرَ خُطْبٍ إِلَّا بِاسْمِنَا يَمِيسُ ، وَلَا وَجَهَ دِرْهَمٍ وَلَا دِينَارٍ إِلَّا بِنَا يُشْرِقُ وَيَكَادُ تَبَرُّجاً لَا بَهْرَجاً يَتَطَّلَعُ مِنْ خِلَالِ الْكِيسِ .

فَلْيَتَقَلَّدْ الْوَلَدُ مَا قَلَّدَنَاهُ مِنْ أُمُورِ الْعِبَادِ ، وَلْيَشْرِكُنَا فِيمَا نُبْأِ شِرْهِ مِنْ مَصَالِحِ الثُّغُورِ وَالْقِلَاعِ وَالْبِلَادِ ؛ وَسَتُعَاهِدُ هَذَا الْوَلَدُ مِنَ الْوَصَايَا بِمَا سَيَدْنُسُا مَعَهُ تَوْعَمَا ، وَيَتَرَجَّجُ

(١) يقال أنبلت الرجل ونبلته اذا ناولته النبل ليرى والمراد أنه نافع معين تأمل .

بَلِّغْهُ وَدَمِهِ حَتَّى يَكَادَ يَكُونُ ذَلِكَ إِلْهَامًا لَا تَعْلَمُ ؛ وَفِي الْوَلَدِ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ نَفَازِ
الذَّهْنِ وَصِحَّةِ التَّصَوُّرِ مَا تَتَشَكَّلُ فِيهِ الْوَصَايَا أَحْسَنَ التَّشْكِيلِ ، وَتُظْهَرُ صُورَةُ الْإِبَانَةِ
فِي صَفَائِهِ الصَّغِيرِ ؛ فَلِذَلِكَ آسْتَعِينَا عَنْ شَرْحِهَا هَاهُنَا مَسْرُودَةً ، وَفِيهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ -
مِنْ حُسْنِ الْخَلِيقَةِ مَا يَحَقِّقُ أَنَّهَا بَشَرٌ الْإِلْهَامِ مُوجُودَةٌ ؛ وَاللَّهُ لَا يُعْذِرُنَا مِنْهُ إِشْفَاقًا
وَرِيًّا ، وَيَجْعَلُهُ أَبَدًا لِلْأُمَّةِ سَنَدًا وَدُخْرًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وَعَلَى ذَلِكَ كَتَبَ الْقَاضِي عَمِّي الدِّينُ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ أَيْضًا عَنِ الْمَنْصُورِ « قَلَاوُونَ »
عَهْدَ وَلَدِهِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ صَلَاحِ الدِّينِ « خَلِيل » وَهَذِهِ نَسَخَتُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ لَهُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَمَرَ ، وَالرِّضَا وَالشُّكْرُ فِيمَا هَدَمَ مِنْ
الْأَعْمَارِ وَمَا عَمَّرَ ، وَالتَّقْوِيضُ فِي التَّعْوِيضِ إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ بِقِي الْقَمَرِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ جَعَلَ سُلْطَانَنَا ثَابِتَ الْأَرْكَانِ ، كُلِّ رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِهِ ذَاتُ أَفْنَانٍ ؛
لَا تُزْعِزُهُ رِيحٌ عَقِيمٌ ، وَلَا يُخْرِجُهُ رُزْءٌ عَظِيمٌ عَنِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ ؛ وَلَا يُعْتَبِطُ مِنْ جَمَلَتِهِ
كَرِيمٌ إِلَّا وَيُعْتَبِطُ مِنْ أَسْرَتِهِ بِكَرِيمٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً
تَزِيدُ قَائِلَهَا تَقْوِيضًا وَتُجْزِلُ لَهُ تَعْوِيضًا ، وَتُحْسِنُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فِي كُلِّ
خَطْبٍ جَلِيلٍ تَحْرِيزًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ فِي التَّسْلِيمِ :
(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) . وَالنَّبِيُّ الَّذِي أَوْصَحَ بِهِ الْمَنَاجِحَ
وَبَيَّنَ بِهِ السُّبُلَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا تَجَاوَبَتِ الْحَاوِرُ وَالْمَنَابِرُ فِي الْبُكْرِ
وَالْأَصْلِ ؛ وَمَا ثَبَرَتْ عُقُودُ وَنُظِمَتْ ، وَنُسِخَتْ آيَاتُ وَأُحْكِمَتْ ؛ وَنُقِضَتْ أُمُورٌ
وَأُبْرِمَتْ ، وَمَا عَزَمَتْ آرَاءُ فُتُوْكَتْ وَتَوَكَّلَتْ فَعَزَمَتْ ؛ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ

الذين منهم من كان للخليفة نعم الخليفة ، ومنهم من لم يدرك أحد في تسويد النفس الحَصيفة ولا في تبيض الصَّحيفة مدّه ولا نصيفه ؛ ومنهم من يسرّه الله لتجهيز جيش العسرة فعرف الله ورسوله معروفه ، ومنهم من عمل صالحاً أرضى ربه وأصلح في ذريته الشريفة .

وبعد ، فإن من ألطاف الله تعالى بعباده ، واكتناف عواطفه ببلاده ؛ أن جعلنا كُلماً وهى للُلك ركنٌ شديدٌ شيدنا رُكناً عَوْضه ، وكلما أَعْرَضَتْ للقادير جملةً بدلنا آيةً مكان آيةٍ وتناسينا - تجلداً - تلك الجملة المعترضة ؛ فلم يُجوج اليوم لأمسه ، وإن كان حميدا ، ولا الغارس لغرسه ، وإن كان ثمره يائغا وظله مديدا ؛ فأطاعنا في أفق السلطنة كوكبا سعيذا كان لحسن الاستخلاف معدّا ، ومن لقييل المسلمين خير ثوبا وخير مرّدا ؛ ومن يبشّر الله به من الأولياء المتقين ويُنذِر من الأعداء قوماً لدا ، ولم يبق [إلا] به أنسنا بعد ذهاب الذين تحسبهم (كالسيف فردا) ؛ والذي مأمضى حده ضريبةً إلا (قدّ البيض والأبدان قدا) ؛ ولا جهز رايةً كتيبةً إلا أغنى غناءَ الذاهبين وعدّ الأعداء عدا ؛ ولا بعثه جزع فقال : (كم من أخ لي صالح) إلا لقيه ورع فقال : (وخلقت يوم خلقت جلدا) ؛ وهو الذى بقواعد السلطنة أدرى وبقوانينها الأعرف ، وعلى الرعايا الأعطف وبالرعايا الأرف ؛ وهو الذى ما قبل لبناء ملك هذا عليه قد وهى إلا وقيل هذا بناء مثله منه أنسى ملك أشرف . والذي ما برح النصر يتسم من مهاب تأمليه الفلاح ، ويتسم نغره فتوسم الثغور من مبسمه النجاح ؛ ويقسم نوره على البسيطة فلا مضر من الأمصار إلا وهو يشرب إلى ملاحظة جبين عهده الوضاح ، ويتفتق اشتقاق الثعوت فيقول التسلى للتعلّى : سواء الصالح والصلاح ؛ والذي ما برح لشعار السلطنة إلى توقله وتنقله أتم حنين ، وكأما كوشفت الإمامة العباسية بشرف مسماه فيما تقدّم من زمن سلف ومن حين ؛ فسمت ووسمت باسمه

أَكْبَارِ الْمُلُوكِ وَأَخْيَرِ السَّلَاطِينِ ، نُحُوطِبَ كُلَّ مِنْهُمْ مَجَازًا لَا كَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ «بِخَلِيلٍ»
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَالَّذِي [كَمْ] جَلَّابِهِىَّ جَبِينَهُ مِنْ بِيْهِمْ ، وَكَمْ غَدَا الْمُلْكُ بُحْسُنَ رُؤَايِهِ
 وَيُمْنَ آرَائِهِ يَسِيمٍ ، وَكَمْ أَبْرَأَ مُورِدُهُ الْعَذْبُ هَيْمَ عِطَاشٍ وَلَا يُتَنَكَّرُ الْخَلِيلُ إِذَا قِيلَ عَنْهُ
 أَبْرَاهِيمُ ؛ وَمَنْ تَشَخَّصَ الْأَبْصَارُ لِكَلَّهِ يَوْمَ رُكُوبِهِ حَسِيرِهِ ، وَتَلَقَّى الْبَنَانُ سِلَاحَهَا ذَهَلًا
 وَهِيَ لَا تَدْرِي لِكثَرَةِ الْإِيْمَاءِ إِلَى جَلَالِهِ إِذَا يَبْدُو مَسِيرِهِ ؛ وَالَّذِي أَلْهُمَ اللَّهُ الْأُمَّةَ لِحُودِهِ
 وَوُجُودِهِ صَبْرًا جَمِيلًا ، وَأَتَاهُمْ مِنْ نَفَاسَةِ كَرَمِهِ وَحِرَاسَةِ سَيْفِهِ وَقَلَمِهِ تَأْمِينًا وَتَأْمِيلًا ؛
 وَعَظُمَ فِي الْقُلُوبِ وَالْعُيُونِ بِمَا مِنْ بَرٍّ سَيَكُونُ فَسَمَّتْهُ الْأَبُوتَةُ الشَّرِيفَةُ وَلَدَا وَسَمَّاهُ اللَّهُ
 « خَلِيلًا » .

وَلَمَّا تَحْتَمَّ مِنْ تَفْوِيضِ أَمْرِ الْمُلْكِ إِلَيْهِ مَا كَانَ لَوْفَتِهِ الْمَعْلُومُ قَدْ تَأَنَّرَ ، وَتَحَيَّنَ
 حِينَهُ فَكَمَّلَ زِيَادَةَ كَرِيَادَةِ الْهَلَالِ حَتَّى بَادَرَ تَمَامَهُ فَأَبْدَرَ ؛ أَقْتَضَى حُسْنَ الْمُنَاسِبَةِ
 لِنَصَائِحِ الْجُمْهُورِ ، وَالْمِرَاقِبَةِ لِمَصَالِحِ الْأُمُورِ ؛ وَالْمُصَاقِبَةِ لِمَنَاجِحِ الْبِلَادِ وَالثُّغُورِ ، وَالْمُقَارَبَةِ
 مِنْ قَوَاتِحِ كُلِّ أَمْرٍ مَيَسُورٍ ؛ أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ وَلَايَةَ الْعَهْدِ الشَّرِيفِ بِالْسلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ
 الْعَظْمَى ، الْمَكْرَمَةِ الْمُفَضَّمَةِ الْمُنَظَّمَةِ ؛ وَأَنْ يَسْطُرَ يَدَهُ الْمُنِيفَةَ لِمَصَافَحَتِهَا بِالْعُهُودِ ،
 وَتَحْكُمَهَا فِي الْعَسَاكِرِ وَالْجُنُودِ ، وَفِي الْبُحُورِ وَالثُّغُورِ وَفِي التَّهَامِ وَالتَّجُودِ ؛ وَأَنْ يُعَدِّقَ
 بِسَطْحِهَا وَقَلَمِهَا كُلَّ قَطْعٍ وَوَصْلٍ ، وَكُلَّ فَرْعٍ وَأَصْلٍ ، وَكُلَّ نَصْرٍ وَنَصْلٍ ؛ وَكُلَّ مَا يَنْجِي
 سَرَحًا ، وَيَهْمِي مَنَحًا ، وَفِي الْمُنْشِيرَاتِ فِي الْإِعْدَاءِ عَلَى الْأَعْدَاءِ نَقْعًا وَفِي الْمَغِيرَاتِ
 صُنْبَحًا ؛ وَفِي الْمَنْعِ وَالْإِطْلَاقِ ، وَفِي الْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ ؛ وَفِي الْخَمِيسِ إِذَا سَاقَ ،
 وَفِي السِّيَوفِ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي وَقِيلَ مَنْ رَاقَ ، وَفِي الرِّمَاحِ إِذَا أَلْتَفَتِ السَّاقُ
 بِالسَّاقِ ؛ وَفِي الْمُعَاهَدَاتِ وَالْمُحَدَّنِ ، وَفِي الْفِدَاءِ بِمَا عَرَضَ مِنْ عَرَضٍ وَبِالْبُدْنِ
 بِالْبَدْنِ ؛ وَفِيمَا ظَهَرَ مِنْ أُمُورِ الْمُلْكِ وَمَا بَطَنَ ، وَفِي جَمِيعِ مَا تَسْتَدْعِيهِ بَوَاعِثُهُ ، فِي السَّرِّ
 وَالْعَلَنِ ، وَتَسْتَرِيهِ نَوَافِثُهُ ، مَنْ كَبَتْ وَكُتِبَ مُتَفَرِّقَيْنِ أَوْ فِي قَرْنٍ ؛ عَهْدًا مَبَارَكًا عَوْدَهُ

وتماثمه ، وفواتحه وخواتمه ؛ ومناسمه ومياسمه ، وشروطه ولوازمه ؛ وعلى عاتق الملك الأعز نجاده وفي يد جبار السموات قائمه ؛ لا راد لحكمه ولا ناقض لبرمه ، ولا داحض لما أثبتته الأقاليم من مكنون علمه .

[و] يزيده مرّ الليلي جدّة * وتقادّم الأيام حسن شباب

وتلزم السنون والأحقاب ، آستيداعه للذرائع والأعقاب ؛ فلا سلطان ذو قدر وقدره ، ولا ذو أمر وإمره ؛ ولا نائب في مملكة قربت أو بعدت ، ولا مقدم جيوش أتهمت أو أنجذت ، ولا راجع ولا رعية ، ولا ذو حكم في الأمور الشرعية ؛ ولا قلم إنشاء ولا قلم حساب ، ولا ذوو أنساب ولا ذوو أسباب ؛ إلا وكلّ داخل في قبول هذا العقد الميمون ، وتمسك بحكم كتابه المكنون ، والتسليم لنصّه الذي شهد به من الملائكة الكرام الكاتبون ؛ وأمست بيعته بالرضوان محفوفة ، والأعداء يدعونها تضرعاً وخيفة ، وليشكروا الصنيع الذي بعد أن كانت الخلفاء تُسلطن الملوك قد صار سلطانهم يقيم من ولاة العهد خليفةً بعد خليفه .

وأما الوصايا فأنت يا ولدنا الملك الأشرف - أعزك الله - بها الدرب ، ولسماع شدوها وحدوها الطرب ، الذي للغو لا يضطرب ؛ فعليك بتقوى الله عز وجل فإنها ملاك سدادك ، وهلاك أضدادك ؛ وبها يراش جناح نجاحك ، ويحسن اقتداء اقتداحك ؛ فاجعلها دفين جوانج تأمليك ووعيك ، ونصب عيني أمرك ونهيك ؛ والشرع الشريف فهو قانون الحق المتبع ، ومأمون الأمر المستمع ؛ وعليه مدار إعاء كل إيعاز ، وبه يتمسك من أشار وأمتاز ، وهو جنة والباطل نار : ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ . فلا تخرج في كل حال عن لوازمه وشروطه ، ولا تتكبر عن معلقه ومنوطه . والعدل فهو مئثر غروس الأموال ، ومعمّر بيوت

الرجاء والرجال، وبه تزكو الأعمار والأعمال؛ فاجعله جامع أطراف مراسمك، وأفضل أيام مواسمك؛ وسم به فعلك، وسم به فرضك ونفلك، ولا تُفرد به فلانا دون فلان، ولا مكانا دون مكان، وأقرنه بالفضل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. وأحسن التخويل، وأجمل التتويل؛ وكثر لمن حولك التتوين والتتويل، وضاعف الخير في كل مضاف لقامك، ومستضيف بإنعامك؛ حتى لا تعدم في كل مكان وكل زمان ضيافة الخليل؛ والثغور فهي للمالك مباسمها، وللسالك مناسمها؛ فاجعل نواجذها تفتقر عن حسن ثنایا الصون، ومراسفها شينة الشفاه بحسن العون؛ ومنها، بما ينجي السرح منها، وأعنها، بما يدفع المكاره عنها؛ فإنها للنصر مقاعد، وبها حفظ البلاد من كل مار من الأعداء مارد؛ وأمرأ الجيوش فهم السور الواقي بين يدى كل سور، وما منهم إلا كل بطل بالنصر مشهور، كما سيفه مشهور؛ وهم ذخائر الملوك، وجواهر السلوك، وأخير الأكابر الذين خلصوا من الشكوك؛ وما منهم إلا من له خدمات سلفت، وحقوق عرفت، وموات على استلزام الرعاية للعهد وقفت؛ فكُنْ لجنودهم منجبا، ولمرأبهم محصبا، ولمصلحهم مرتبا، ولآرائهم مستصوبا، ولإعتضادهم مستصحبا، وفي حمدهم مطمنا، وفي شكرهم مثنيا؛ والأولياء المنصورين الذين هم كالأولاد، ولهم سوابق أمت من سوابق الإيجاد؛ وهم من علمت استكانة من قربنا، ومكانة من قلبنا؛ وهم المساهمون فيما ناب، وما برحوا للدولة الظفر والناب؛ فأسهم لكل منهم من احترامك نصيبا، وأدم لهم آرتياحك، وألن جماحك، وقوهم بسلاحك، تجد منهم ضروبا؛ وترى كلاً منهم في أعدائك ضروبا.

وكما أنا نوصيك بجيوش الإسلام، كذا نوصيك بال جيش الذى له الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام، فهو جيش الأمواه والأمواج، المضاف إلى الأفواج من جيش

الْفَجَاجُ ؛ وَهُوَ الْجَيْشُ السَّلِيمَانِيُّ فِي إِسْرَاعِ السَّيْرِ ، وَمَا سُمِّيَتْ شَوَانِيهِ غِرْبَانَا
إِلَّا لِجَمْعِهَا بِهَا لَنَا مَا أَجْتَمَعَ لِسُلَيْمَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَسْخِيرِ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ ؛
وَهِيَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى شَجِّ الْبَحْرِ الْأَسْوَارِ ، فَإِنْ قُدِّتْ قُدِّتِ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ
الْأَعْدَاءِ وَإِنْ أَقْلِعَتْ قَلَعَتْ مِنْهُمْ الْآثَارَ ؛ فَلَا تُنْجِلُهُ مِنْ تَجْهِيْزِ جَيْشِهِ ، وَسَكَنُ طَيْشِ
الْبَحْرِ بِطَيْشِهِ ؛ فَيُصْبِحُ لَكَ جَيْشَانِ كُلُّ مِثْلِهِمَا ذَوْكَرٌ وَفَرٌّ ، : هَذَا فِي بَرٍّ وَبَحْرٍ وَهَذَا يَجْرِي
بَرٌّ ؛ وَبُيُوتُ الْعِبَادَاتِ فَهِيَ الَّتِي إِلَى مَصْلَى سَمِيكَ « خَلِيل » اللَّهُ تَنْتَهَى مَحَارِبُهَا ،
وَبِهَا لَنَا وَلَكَ وَلِلْمُسْلِمِينَ سُرَى الدَّعَوَاتِ وَتَأْوِيُّهَا ؛ فَوْفَهَا نَصِيْبُهَا الْمَفْرُوضَ غَيْرَ مَقْصُوصَ ،
وَمُرَّ بَرْفِهَا وَذَكَرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى [فِيهَا] لِلْأَمْرِ الْمَنْصُوصِ ؛ وَأَخَوَاتُهَا مِنْ بُيُوتِ
الْأَمْوَالِ الْوَاجِبَاتِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا كُلُّهَا بَيْتُ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ : هَذِهِ
لِلصَّلَاةِ وَهَذِهِ لِلصَّلَاتِ ؛ وَهَذِهِ كَهَذِهِ فِي رَفْعِ الْمَنَارِ وَجَمْعِ الْمَبَارِ ، وَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ
مِمَّا أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ فَهَذِهِ تُرْفَعُ وَيُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ حَتَّى عَلَى الدَّرْهِمِ
وَالدِّيْنَارِ ؛ فَاصْرِفْ إِلَيْهَا أَجْتِهَادَكَ فِيمَا يُعُودُ بِالنَّشْمِيرِ ، كَمَا يُعُودُ عَلَى تِلْكَ بِالتَّنْوِيرِ ؛ وَعَلَى
هَذِهِ بِاشْتِحَانِهَا بِأَنْوَاعِ الصُّرُوفِ ، كَإِشْتِحَانِ تِلْكَ بِاسْتِوَاءِ الصُّفُوفِ ، فَإِنَّهَا إِذَا أَصْبَحَتْ
مَصُونَةً ، أَجْمَلَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ الْمَعُونَةِ ؛ وَكَفَلَتْ بِالْمَعُونَةِ وَبِالزِّيَادَةِ عَلَى الْمَعُونَةِ ، فَتُكَمَّلُ
هَذِهِ لِكُلِّ وَلِيٍّ دُنْيَاهُ كَمَا كَمَلَتْ تِلْكَ [لِكُلِّ] وَلِيٍّ دِينُهُ ؛ وَحُدُودُ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّاهَا أَحَدٌ ،
وَلَا يَرَأْفُ فِيهَا وَلَدٌ بَوَالِدٍ وَلَا وَالِدٌ بَوْلَدٍ ؛ فَأَقِمَّهَا وَقُمْ فِي أَمْرِهَا حَتَّى تَنْضَبِطَ أَمَّ الضَّبِطِ ،
وَلَا تَجْعَلْ يَدَ الْفَتَنِ مَغْلُولَةً إِلَى عُقْفِهَا وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ؛ فَلِكُلِّ مِنَ الْجَنَائِثِ
وَالْقِصَاصِ شَرْطُ شَرْطِهِ اللَّهُ وَحْدٌ حَدُّهُ فَلَا يَتَجَاوَزُ أَحَدٌ ذَلِكَ الْحَدَّ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ

(١) لعل الصواب بشحنها من شحن الثلاثي يقال شحنة يشحنه ملاءه ، وأما الرباعي فعناه الاعتماد يقال

سيوف مشحنة أى مغمدة وأشحن الرجل اشحنانا تهيأ للبكاء وهو غير مناسب هنا تأمل .

(١)

ذلك الشرط ؛ والجهد فهو الدِّين المألوف من حيث نشأ نشأ ونشأتك
وفي ظهور الخيل ، فإل على الأعداء كُلَّ الميَل ؛ وصَبَّحهم من فتَكَتكَ بالويل بعد
الويل ، وأرْمِهِم بِكُلِّ شِمْرِي^(٢) قد شَمَّر من يده عن الساعد ومن رُفحه عن الساق ومن
جَوَادِهِ الدَّيْل ؛ وأَذْهَبَ لَهُمْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ مَذْهَب ، وَأَنْزَلَ بِجُومِ الْخِرْصَانِ كُلَّ غَيٍّ
وَعَيْب ؛ وَتَكَثَّرَ فِي غَزْوِهِمْ مِنَ اللَّيْلِ بِكُلِّ أَذْهَمٍّ وَمِنَ الشَّقَقِ بِكُلِّ أَحْمَرٍ وَأَشَقَرٍ
وَمِنَ الْأَصِيلِ بِكُلِّ أَصْفَرٍ وَمِنَ الصَّبِيحِ بِكُلِّ أَشْهَبٍ ، وَأَسْتَنْبَ أَعْمَارَهُمْ وَأَجْعَلَهَا
آخِرَ مَا يُسَلَبُ وَأَوَّلَ مَا يُنْهَبُ ؛ وَنَزَجُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَبَأَ لَكَ مِنَ الْفُتُوحَاتِ
مَا يَسْتَنْجِزُهَا لَكَ صَادِقٌ وَعِدَةٍ ، وَأَنْ يَنْصُرَكَ جُيُوشُ الْإِسْلَامِ ، فِي كُلِّ إِنْجَادٍ
وِلْمَاهُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ؛ وَبَيَّتَ اللَّهُ الْمَجْجُوحُ مِنْ كُلِّ بَغٍّ ، الْمَقْصُودُ مِنْ
كُلِّ نَهْجٍ ؛ فَسِيرَ سَبِيلَهُ ، وَوَسَّعَ [لَهُ] الْخَيْرَ وَأَحْسَنَ تَسْيِيلَهُ ؛ وَأَوْصَلَ مِنْ بَرِّكَ لِكُلِّ
مِنَ الْحَرَمَيْنِ مَأْهُولَهُ ، لَتُصْبِحَ رُبُوعُهُ بِذَلِكَ مَأْهُولَةً ؛ وَآخِرُهُ مَنْ يُرِيدُ فِيهِ بِالْحَادِ بُظْلُمٍ ،
وَطَهْرُهُ مِنْ مَكْسٍ وَعُزْمٍ : لِيَعُودَ تَقَعُّكَ عَلَى الْبَادِي وَالْعَاكِفِ ، وَيُصْبِحَ وَادِيهِ
وَنَادِيهِ مُسْتَغْنَيْنِ بِبِذَلِكَ عَنِ السَّحَابِ الْوَائِكِ ؛ وَالرَّعَايَا فَهَمٌ لِلْعَدْلِ زُرُوعُ ،
وَالْإِسْتِمَارُ فُرُوعُ ، وَلَا سِتْلَازِمَ الْعَارَةَ شُرُوعُ ؛ فَتَمَّتْ جَادَهُمْ غَيْثٌ أَعْجَبَ الزَّرَّاعَ نَبَاتَهُمْ ،
وَتَمَّتْ بِالْصَّلَاحِ أَقْوَانَهُمْ ، وَصَلَحَتْ بِالنَّمَاءِ أَوْقَاتُهُمْ ؛ وَكَثُرَتْ لِلْجُنُودِ مُسْتَغْلَاتُهُمْ ،
وَتَوَفَّرَتْ زَكَوَاتُهُمْ وَتَنَوَّرَتْ مِشْكَاتُهُمْ ؛ وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ .

هذا عهدنا للسيد الأجل ، الملك ، الأشرف ، صلاح الدنيا والدين ، نغري المملوك
والسلاطين ، خليل أمير المؤمنين ، أعز الله تعالى ببقائه الدين ؛ فليكن بعروته
متمسكا ، وبفتحته متمسكا ؛ وليتقلد سيف هذا التقليد ، ويفتح مغلق كل فتح منه

(١) بياض في الأصل بقدر كلمة صغيرة .

(٢) الشمري بفتح الشين وكسرها مع شد الميم فيما الماضي في الأمور المحرَّب انظر اللسان ج ٦ ص ٩٦ .

بخير إقليد؛ وها نحن قد كثرنا لديه جواهره فدونه ما يشاء تحليته من تتويج مفريق
وتحتمل أنامل وتسوير زند وتطويق جيد، ففي كل ذلك تجميل وتمجيد؛ والله تعالى
يجعل استخلافه هذا للثقلين إماما، وللدن قواما، وللجاهدين اعتصاما، وللمتدين
أنفصاما؛ ويظفي بمياه سؤوفه نار كل خطب حتى يصبح كما أصبحت نار سميته
صلّى الله عليه وسلم بردا وسلاما؛ إن شاء الله تعالى .



وعلى ذلك كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر، عن المنصور « قلاوون »
المتقدم ذكره، عهد ولده الملك الصالح « علاء الدين على » وهذه نسخته :

الحمد لله الذي شرف سرير الملك منه بعلية، وحاطه منه بوصية، وعضد منصوره
بولاية عهد صالحه وأسمى حاتم جوده بمكارم حازها بسبق عديّه ، وأبهج خير الآباء
من خير الأبناء بمن سمو أبيه منه بشريف الخلق وأبيه، وغذى روضه بمتابعة وسميه
وبمسارعة وليه .

نحمده على نعمه التي جمعت إلى الزهر الثمر، وداركت بالبحر وباركت في النهر؛
وأجملت المبتدأ وأحسن الخبر، وجمعت في لذات الأوقات وطيبها بين رونق
الآصال ورقة البكر. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نلّيس الألسنة
منها في كل ساعة [ثوبا] جديدا ، وتنقيها منها ظلّا مديدا ، ونستقرب من الآمال
ما يراه سوانا بعيدا . ونصلي على سيدنا محمد الذي طهر الله به هذه الأمة من الأدناس ،
وجعلها بهدايته زاكية الغراس ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فهم
حسن استخلافه بالأمر له بالصلاة بالناس ، ومنهم من بنى الله به قواعد الدين
وجعلها موطدة الإساس ، ومنهم من جهّز جيش العسرة وواسى بماله حين الضراء

والباس ، ومنهم من قال عنه صلى الله عليه وسلم : ”لَأَعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ
اللهُ ورسوله وَيُحِبُّ اللهَ ورسوله“ فحَسُنَ الْإِلْتِمَاسُ بِذَلِكَ وَالْإِقْبَاسُ ، وزاد في شرفه
بأن طَهَّرَ أَهْلَ بَيْتِهِ وأذهب عنهم الْأَرْجَاسَ ، صلاةً لَا تَزَالُ تَرْدُّ تَرْدَدَ الْأَنْفَاسِ ،
ولا تَبْرَحُ فِي الْآثَاءِ حَسَنَةُ الْإِيْنِاسِ .

وبعد ، فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ شَرَّفَتْ مَرَاتِبُ السُّلْطَنَةِ بِجُلُودِهِ ، وَفُوتَ مَلَأِسُ التَّحْكِيمِ
بِقَوْلِهِ ؛ وَمَنْ تَزَيَّحَ مُطَالِيعُ الْمُلْكِ بِإِشْرَاقِهِ ، وَتَبَادَرُ الْمَمَالِكُ مُدْعِنَةً لَأَسْتِحْقَاقِهِ ؛ وَمَنْ
يَزِدُّهُيْ مُلْكٌ مَنْصُورُهُ - نصره الله - بَوْلَدِهِ وَوَلَى عَهْدِهِ مَكْنَةً بَانِيَهُ ، وَمَنْ يَتَشَرَّفُ
إِيْوَانُ عَظَمَةٍ : إِنْ غَابَ وَالِدُهُ فِي مَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ صَدْرُهُ وَإِنْ حَضَرَ فَهُوَ
ثَانِيَهُ ؛ وَمَنْ يَتَجَمَّلُ غَابُ الْإِيَالَةِ مِنْهُ بِخَيْرِ شَيْءٍ كَفَلَ لَيْثًا ، وَيَتَكَفَّلُ غَوْتُ الْأُمَّةِ بِخَيْرِ
وَإِلٍ خَلَفَ غَيْثًا ؛ وَمَنْ أَلْهَمَ الْأَخْلَاقَ الْمُلُوكِيَّةَ وَأَوْتَى حُكْمَهَا صَيِّبًا ، وَمَنْ خَصَّصَتْهُ
الْأَدْعِيَةُ الشَّرِيفَةُ بِصَالِحِهَا وَلَمْ يَكُنْ بُدْعَانِهَا شَقِيًّا ، وَمَنْ رُبِعَتْ بِهِ هَضْبَةُ الْمُلْكِ حَتَّى
أَسْمَى مَكَانُهَا عَلَيْهِ ؛ وَمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِأَنْ يُحِبَّ الْأَمَلَ وَيُنْجَحَ ، وَأَوْلَى بِأَنْ يُتَى لَهُ :
(أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ) . وَمَنْ هُوَ بِكُلِّ خَيْرٍ مَلِي ، وَمَنْ إِذَا فُوضَتْ إِلَيْهِ أُمُورُ
الْمُسْلِمِينَ كَانَ أَشْرَفَ مِنْ لَأُمُورِهِمْ بَلِي ؛ وَمَنْ يَتَحَقَّقُ مِنَ وَالِدِهِ الْمَاضِي الْغِرَارَ ، وَمَنْ
أَسْمَاهُ الْعَالِي الْمَنَارَ ، أَنْ لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا قَتْلَ إِلَّا عَلِيًّا .

وَلَمَّا كَانَ الْمَقَامُ الْعَالِي ، الْوَلَدِيُّ ، السُّلْطَانِيُّ ، الْمَلِكِيُّ ، الصَّالِحِيُّ ، الْعَلَائِيُّ -
عَضَّدَ اللهُ بِهِ الدِّينَ ، وَجَمَعَ إِذْعَانَ كُلِّ مُؤْمِنٍ عَلَى إِيجَابِ طَاعَتِهِ لِمَبَاشَرَةِ أُمُورِ
الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى يُصْبِحَ وَهُوَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ - هُوَ الْمَرْجُوُّ لِتَنْدِيرِ هَذِهِ الْأُمُورِ ، وَالْمَأْمُولُ
لِصَّلَاحِ الْبِلَادِ وَالتُّغُورِ ؛ وَالْمَدْنَحَرُ فِي النَّصْرِ لِشِفَاءِ مَا فِي الصُّدُورِ ، وَالَّذِي تَشْهَدُ الْفِرَاسَةُ
لَأَبِيهِ وَلَهُ بِالتَّحْكَمِ : أَوَلَيْسَ الْحَاكِمُ أَبُو عَلِيٍّ هُوَ الْمَنْصُورُ ؟ . فَلِذَلِكَ أَقْتَضَتْ رَحْمَهُ ،

والشفقة على الأمة ؛ أن يُنصب لهم ولي عهد يتمسكون من الفضل بعروة كرمه ،
ويسعون بعد الطواف بكعبة أبيه لحرمه ؛ ويقتطفون أزاهر العدل وثمار الجود
من كلمه وقلمه ، وتستسعد الأمة منه بالملك الصالح الذى تقسم الأنوار لجبينه وتقسم
المبار من كراماته وكرمه .

فلذلك خرج الأمر العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، المنصورى ، السيفى -
أخذه الله القدر ، ولا زالت الممالك تتباهى منه ومن ولي عهده بالشمس والقمر -
أن يفوض إليه ولاية العهد وكفالة السلطنة المعظمة ، ولاية تامة عامة شاملة
كامله ؛ شريفة منيفه ، عطوفة رءوفه ؛ فى سائر أقاليم الممالك وعساكرها وجندها ،
وعربها وتربكانها وأكرادها وتوابها وولاتها ، وأكبرها وأصاغرها ورعاياها ورعاتها ،
وحكامها وقضاتها ، وسارحها وسابحها ؛ بالديار المصرية وتغورها وأقاليمها
وبلادها ؛ وما آتوت عليه . والمملكة الحجازية ، وما آتوت عليه . ومملكة الثوبة ،
وما آتوت عليه ، والفتوحات الصفدية والفتوحات الإسلامية الساحلية وما آتوت
عليه . والممالك الشامية وحصونها ، وقلاعها ومدنها ، وأقاليمها وبلادها ، والمملكة
الحصية ، والمملكة الحصنية الأكرادية والحبيلية وفتوحاتها ، والمملكة الحلبية وتغورها
وبلادها ، وما آتوت عليه ، والمملكة الفراتية ، وما آتوت عليه ؛ وسائر القلاع
الإسلامية برا وبحرا ، وسهلا ووعرا ؛ شاما ومصر ، يما وحجازا ، شرقا وغربا ،
بعدا وقربا . وأن تلقى إليه مقاليد الأمور فى هذه الممالك الشريفة ، وأن تستخلفه
سلطنة والده - خلد الله دولته - لتشهد الأمة منه فى وقت واحد سلطانا وخليفة ؛
ولاية واستخلافا تسندهما الرواه ، وتترجم بهما الحداة ، وتعيهما الأسماع وتنطق بهما
الأفواه ؛ تفويضا يعلن لكافة الأمم ، ولكل رب سيف وقلم ، ولكل ذى علم وعلم ؛
بما قاله صلى الله عليه وسلم لسميه رضى الله عنه حين أولاه من الفخار ما أولاه :

”مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَّ مَوْلَاهُ“ . فَلَا مَلِكُ إِلَّا هَذَا الْخَطَابُ يَصِلُهُ وَيُوصَلُهُ ،
وَلَا زَعِيمٌ جَيْشٍ إِلَّا وَهَذَا التَّقْوِيضُ يَسْعُهُ وَيَشْمَلُهُ ؛ وَلَا إِقْلِيمٌ إِلَّا وَكُلُّ مَنْ بِهِ
يُقْبَلُهُ وَيَقْبَلُهُ ، وَيَتَمَثَّلُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُمَثِّلُهُ ، وَلَا مَنَبْرٌ إِلَّا وَخَطِيئُهُ يَتَلَوُّ فُرْقَانَ هَذَا
التَّقْدِيمِ وَيَرْتَلُهُ .

وَأَمَّا الْوَصَايَا فَقَدْ لَقْنَا وَلَدَنَا وَوَلَّى عَهْدَنَا مَا أَنْطَبِعَ فِي صِفَاءِ ذَهْنِهِ ، وَسَرَتْ تَغْذِيَّتُهُ
فِي نَمَاءِ غَضَنِهِ ؛ وَلَا بُدَّ مِنْ لَوَامِعَ لِلتَّبَرُّكِ بِهَا فِي هَذَا التَّقْلِيدِ الشَّرِيفِ تُبِيرُ ، وَجَوَامِعَ
بَعْدَ لَحْرِهَا ^(١) ؟) حَيْثُ يَصِيرُ ، وَوَدَائِعَ يُنَبِّئُكَ عَنْهَا وَلَدُنَا - أَعَزَّنَا اللَّهُ بِبَقَائِهِ -
وَلَا يَنْبَغُكَ مِثْلُ خَيْرٍ : فَاتَّقِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، وَأَنْصِرِ الشَّرْعَ
فَإِنَّكَ إِذَا نَصَرْتَهُ يَنْصُرَكَ اللَّهُ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ وَعِدَاكَ ؛ وَأَقِضْ بِالْعَدْلِ مَخَاطِبًا وَمَكَاتِبًا
حَتَّى يَسْتَبِقَ إِلَى الْإِعْزَازِ بِهِ لِسَانَكَ وَيُمْنَاكَ ، وَأُمِرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ عَالِمًا أَنَّهُ
لَيْسَ يُخَاطَبُ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَنْ ذَلِكَ سِوَانَا وَسِوَاكَ ، وَأَنَّهُ نَفْسَكَ عَنِ الْهَوَى
حَتَّى لَا يَرَاكَ اللَّهُ حَيْثُ نَهَاكَ ؛ وَحُطِّ الرِّعْيَةِ ، وَمُرِيَ الثُّوَابَ بِمَجْلَهْمٍ عَلَى الْقَضَايَا
الشَّرْعِيَّةِ ؛ وَأَقِمِ الْحُدُودَ ، وَجَنِّدِ الْجُنُودَ ، وَأَبْعَثْ بَرًّا وَبَحْرًا مِنَ الْغَزْوِ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ
مُجُودٍ ؛ وَأَحْفَظِ الثُّغُورَ ، وَلَا حِظَّ الْأُمُورَ ، وَازْدَدْ بِالْإِسْتِرْشَادِ بَارِئًا نُورًا عَلَى نُورٍ ؛
وَأَمْرَاءَ الْإِسْلَامِ الْأَكْبَارَ وَزُعَمَاءَهُ ، فَهَمَّ بِالْجِهَادِ وَالذَّبِّ عَنِ الْعِبَادِ أَصْفِيَاءُ اللَّهِ
وَأَحِبَّاءُهُ ؛ فَضَاعَفْ لَهُمُ الْحُرْمَةَ وَالْإِحْسَانَ . وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَصْطَفَانَا عَلَى الْعَالَمِينَ
وَالْأَقْوَمُ إِخْوَانٌ ؛ لَا سِيَّامًا أَوْلُو السَّعْيِ النَّاجِحِ ، وَالزَّأْيِ الرَّاجِحِ ، وَمَنْ إِذَا نَفَخُوا
بِنِسْبَةِ صَالِحِيَّةٍ قِيلَ لَهُمْ : نَعَمْ السَّلَفُ الصَّالِحُ ؛ فَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَحَاوِرْهُمْ فِي مَهَمَّاتِ
الْأُمُورِ فِي كُلِّ سِرٍّ وَجَهْرٍ ؛ وَكَذَلِكَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ تَحَايَا

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّهُ تَعَرَّ بِجِيوشِهَا حَيْثُ تَسِيرُ . تَأَمَّلْ .

الدُّول، وذخائر الملوك الأول؛ أجرهم في هذا المجزئ، وأشرح لهم بالإحسان صدرا؛ وجيوش الإسلام هم البنان والبنيان، فوال إلهم الأمتين؛ وأجعل محبتك في قلوبهم بإحسانك إليهم حسنة المرئى، وطاعتك في عقائدهم قد شغفها حباً: ليُضيحوا بحسن نظرك إلههم طوعاً، وليُحصل كل جيش منهم من التقرب إليك بالمناسبة نوعاً؛ والبلاد وأهلها فهم عندك الوديعه، فأجعل أوامرك [لهم] بصيرة وسميعه.

وأما غير ذلك من الوصايا، فسُخِّوْكَ منها بما يَنشأ معك تَوْءَمًا، ونلقنك من آياتها مُحْكَمًا مُحْكَمًا؛ والله تعالى يُتِمِّي هَلَاكَ حَتَّى يُوصِّلَهُ إِلَى دَرَجَةِ الْإِبْدَارِ، وَيَغْدِي غُصْنَكَ حَتَّى نَرَاهُ قَدْ أُنِيعَ بِأَحْسَنِ الْأَزْهَارِ وَأُنِيعَ الثَّمَارِ؛ وَيرزُقُكَ سَعَادَةَ سُلْطَانِنَا الَّذِي نُعِيتَ بِنَعْتِهِ تَبَرُّكًا، وَيُلْهِمُكَ الْأَعْتِضَادَ بِشِيعَتِهِ، وَالْأَسْتِنَانِ بِسُنَّتِهِ، حَتَّى تُصْبِحَ كَتَمَسُّكًا بِذَلِكَ مَتَمَّسِكًا، وَيَجْعَلَ الرِّعْيَةَ بِكَ فِي أَمْنٍ وَأَمَانٍ حَتَّى لَا تُتَحَشَّى سُوءًا وَلَا تُخَافُ دَرَكًا؛ وَالْاعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَعْلَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الوجه السادس

(فيما يُكْتَبُ فِي مُسْتَنَدِ عَهْدٍ وَلَى الْعَهْدِ بِالسُّلْطَنَةِ، وَمَا يَكْتُبُهُ السُّلْطَانُ فِي بَيْتِ الْعَلَامَةِ، وَمَا يَكْتُبُ فِي ذَيْلِ الْعَهْدِ)

أما ما يَكْتُبُ فِي مُسْتَنَدِ الْعَهْدِ وَمَا يَكْتُبُهُ السُّلْطَانُ فِي بَيْتِ الْعَلَامَةِ، فَكَفِيرُهُ مِنْ سَائِرِ الْوَلَايَاتِ مِنَ التَّقَالِيدِ وَغَيْرِهَا: وَهُوَ أَنَّهُ يَكْتُبُ فِي الْمُسْتَنَدِ «حَسَبَ الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ» كَمَا يَكْتُبُ فِي الْمَكَاتِبَاتِ الَّتِي هِيَ بِتَلْقَى كَاتِبُ السَّرْعَى مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي بَابِهِ. وَيَكْتُبُ السُّلْطَانُ فِي بَيْتِ الْعَلَامَةِ اسْمَهُ وَأَسْمَ آبِيهِ.

وأما ما يكتب في ذيل العهد وشهادة الشهود على السلطان بالعهد ، فيثل أن يكتب : « شهدت على مولانا السلطان الملك الفلاني العاهد المشار إليه فيه خلد الله ملكه ، أوجد الله سلطانه » وما أشبه ذلك من الدعاء « بما تُسب إليه فيه من العهد بالسلطنة الشريفة إلى ولده المقام الشريف العالي السلطاني ، الملكي ، الفلاني ، وعلى المعهود إليه - أعز الله أنصاره - بقبول العهد المذكور ، وكتب فلان بن فلان » .

الوجه السابع

(في قطع ورق هذا العهد وقلمه الذي يكتب به ، وكيفيّة كتابته ،

وصورة وضعه في الورق)

أما قطع ورقه فمقتضى إطلاق المقرّ الشهابي بن فضل الله في « التعريف » أن للعهود قطع البغدادى الكامل أنه يكتب في البغدادى أيضا .

قلت : وهو المناسب لعظمة السلطنة ، وشماخة قدرها ^(١) . إذ الملك إلى ولي العهد آتئ ، وللدخول تحت أمره صائر ، خصوصا إذا كان المعهود إليه ولدا أو أخا .
وحيثئ فيكتب مختصر قلم الطومار لمناسبتة له ، على ما تقدم في غير موضع .

وأما كيفية كتابته وصورة وضعها في الورق ، فهو أن يخلّى من أعلى الدّرج قدر إصبع بياضا . ثم يكتب في وسطه بقلم دقيق ماصورته « الأنس الشريف » كما يكتب في التقاليد وغيرها على ماسياتى . ثم يتدئ بكتابة الطّرة بالقلم الذى يكتب به العهد من أول عرض الورق من غير هامش سطورا متلاصقة إلى آخر الطّرة . ثم يترك ستة أوصال بياضا من غير كتابة غير الوصل الذى فيه الطّرة . ثم يكتب البسملة في أول الوصل الثامن بحيث تلحق أعلى ألفاته بالوصل الذى فوقه ، بهامش عن

(١) لعل الصواب وشيوخ قدرها فإنما لم تقف على هذا المصدر فما بين يدينا من كتب اللغة فليحرر .

يمين الورق قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوعة . ثم يكتب تحت البسملة سطرا من أول العهد ملاصقا لها . ثم يخلى بيت العلامة قدر شبر كما في عهد الملوك عن الخلفاء . ثم يكتب السطر الثاني تحت بيت العلامة على سمت السطر الذى تحت البسملة ، ويسترسل فى كتابة بقية العهد إلى آخره ؛ ويجعل بين كل سطرين قدر رُبع ذراع بذراع القماش . فإذا آتتهى إلى آخر العهد كتب « إن شاء الله تعالى » ثم المستند ، ثم الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبة ، على ماتقدم فى الفواتح والخواتم . ثم يكتب شهود العهد بعد ذلك .

وهذه صورة وضعه فى الورق ، ممثلا له بالطرة التى أنشأتها لذلك ، وبالعهد الذى أنشأه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر عن المنصور « قلاوون » بالعهد بالسلطنة لولده الملك الصالح « علاء الدين على » وهى :

هذا عهد شريف جليل قدره ، رفيع ذكره ، على نجره ، متبلج صبحه ضوى
بجره ؛ من السلطان الأعظم الملك الظاهر ، ركن الدنيا والدين « بيبرس » خلد الله
تعالى سلطانه ، ونصر جيوشه وأعوانه ، بالسلطنة الشريفة لولده المقام العالى
السلطانى ، الملكى ، السعيدى ، بلغه الله تعالى فيه غاية الآمال ، وحقق فيه للرعية
ما يرجونه من مزيد الإفضال .
على ما شرح فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرف سرير الملك منه بعليه ، وحاطه

منه بوصيه ، وعضد منصوره بولاية عهد صالحه ، وأسمى حاتم جوده

بمكارم حازها بسبق عديّه ، وأبهج خيراآباء من خير الأبناء بمن سمو أبيه هاشم

منه بشريف الخلق وأبيه ، وغذى روضه بمتابعة وشيمه ، وبمسارعة وليّه .

نحمده على نعمه التي جمعت إلى الزهر الثمر إلى أن يأتي إلى قوله : ولا يخاف

دركا والاعتماد على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه

إن شاء الله تعالى

كتب في

سنة

حسب المرسوم الشريف

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

النوع الرابع

(من العهود عهود الملوك بالسلطنة للملوك المنفردين بصغار البلدان)
ويتعلق النظر به من أربعة أوجه :

الوجه الأول

(فى بيان أصل ذلك وأول حدوثه فى هذه المملكة إلى حين زواله عنها)

قد تقدم فى المكاتبات ، فى الكلام على مكتبة صاحب حماة أن ذلك مما كان فى الدولة الأيوبية ، ثم فى الدولة التركىة فى الأيام المنصورية « قلاوون » والأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » ثم بطل ذلك . وذلك أن السلطان صلاح الدين « يوسف بن أيوب » حين استولى على البلاد الشامية مع الديار المصرية بعد موت السلطان نور الدين « محمود بن زنكى » صاحب الشام ، فزق أقاربه فى ولاية الممالك الشامية : كدمشق وحلب وحماة وحمص وغيرها واستمرت .

وكان السلطان صلاح الدين قد وثى حماة لابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب ، فبقيت بيده حتى توفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة . فوليا بعده ابنه المنصور ناصر الدين محمد وبقي بها حتى توفى سنة سبع عشرة وستمائة . فوليا ابنه الناصر قليج أرسلان بقي بها إلى أن أترعها منه أخوه المظفر فى سنة ست وعشرين وستمائة ، وأقام بها إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة . فوليا ابنه المنصور محمد ، فبقي بها إلى أن غلب هولاكو ملك التتار على الشام وقتل من به من بقايا الملوك الأيوبية ، فهرب المنصور إلى مصر وأقام بها إلى أن سار المظفر قطز صاحب مصر إلى الشام ، وأترعه من يد التتار ، وصار الشام مضافاً إلى مملكة الديار المصرية ،

فَرَدَ المنصورَ إلى حِمَاةَ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى تُوُفِيَ سَنَةَ ثَلَاثَ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةَ . فَوُلِّيَ
 المنصورُ قَلاوُونَ أَبْنَاهُ المظفَّرَ شَادِي مَكَانَهُ ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا عَهْدًا عَنْهُ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى
 تُوُفِيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةَ ، فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَةِ « مُحَمَّدُ بْنُ قَلاوُونَ » فِي سُلْطَنَتِهِ
 الثَّانِيَةِ بَعْدَ « لَاحِينَ » . فَوُلِّيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ قَرَأْسَنْقَرُ أَحَدَ أَمْرَائِهِ نَائِبًا ، فَلَمَّا أَسْتَوْلَى
 غَازَانُ مَلِكُ التَّتَارِ عَلَى الشَّامِ ، كَانَ الْعَادِلُ كُتُبًا بَعْدَ خُلْعِهِ مِنْ سُلْطَنَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَةِ
 نَائِبًا بِصَرْخَدَ ، فَظَهَرَ فِي قِتَالِ التَّتَارِ قُوَّةٌ وَجَلَادَةٌ ، فَوَلَّاهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ حِمَاةَ ، وَحَضَرَ
 هَزِيمَةَ التَّتَارِ مَعَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِائَةَ وَرَجَعَ إِلَى حِمَاةَ فَمَاتَ بِهَا .
 فَوُلِّيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مَكَانَهُ سَيْفَ الدِّينِ قَبْجَقُ نَائِبًا ، ثُمَّ نَقَلَهُ إِلَى حَلَبَ ، وَوُلِّيَ
 أَسْتَدْمَرْكَجِي نِيَابَةَ حِمَاةَ مَكَانَهُ . وَلَمَّا رَجَعَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مِنَ الْكُرْكِ نَقَلَ
 أَسْتَدْمَرْكَجِي مِنْ حِمَاةَ إِلَى حَلَبَ ، وَوُلِّيَ الْمُؤَيَّدَ عَمَادَ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ الْأَفْضَلِ
 عَلَى بْنِ الْمَظْفَرِ عَمَرَ ، مَكَانَهُ بِحِمَاةَ سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةَ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقْدِمِهِ مِنْ
 الْمُلُوكِ الْأَيُّوبِيَّةِ ، فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِيَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةَ . فَوُلِّيَ الْمَلِكُ
 النَّاصِرُ أَبْنَاهُ الْأَفْضَلَ مُحَمَّدًا مَكَانَهُ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى مَاتَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ
 إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ ، وَاسْتَقَرَّ فِي السُّلْطَنَةِ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ المنصورُ أَبُو بَكْرٍ ، وَقَامَ
 بِتَدْيِيرِ دَوْلَتِهِ الْأَمِيرُ قُوصُونُ . فَكَانَ أَوَّلُ مَا أَحْدَثَ عَزَلَ الْأَفْضَلَ بْنَ الْمُؤَيَّدِ عَنْ
 حِمَاةَ ، وَوُلِّيَ مَكَانَهُ بِهَا الْأَمِيرَ قُطُزَ نَائِبًا . وَسَارَ الْأَفْضَلُ إِلَى دِمَشْقَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى
 تُوُفِيَ بِهَا سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ وَلِيَهَا مِنْ بَنِي أَيُّوبَ .

وَقَدْ ذَكَرَ الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ فِي ” مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ “ أَنَّ سُلْطَانَهَا كَانَ
 يَسْتَقِلُّ بِاعْطَاءِ الْإِمْرَةِ وَالْإِقْطَاعَاتِ ، وَتَوَلَّى الْقَضَاةَ وَالْوُزَرَ وَكُتَّابَ السَّرِّ وَكُلَّ
 الْوُظَائِفِ ، وَتَكْتُبُ الْمُنَاشِيرَ وَالتَّوَاقِيعَ مِنْ جِهَتِهِ . وَلَكِنَّهُ لَا يُعْضِي أَمْرًا كَبِيرًا فِي مِثْلِ

إعطاء إمرة أو إعطاء وظيفة كبيرة حتى يُشاور صاحب مصر، وهو لا يُجيبه إلا أن
الرأى ما يراه . ومن هذا ومثله . قال : وإن كان سلطاناً حاكماً وملياً متصرفاً
فصاحب مصر هو المتصرف في تولية وعزل، من أراد ولّاه ومن أراد عزله .

قلت : وكان للملكة بذلك زيادة أبهة وجمال : لكون صاحبها تحت يد [هـ] من هو
متصرف بأسم السلطنة، يتصرف فيه بالولاية والعزل . على أن هذا القسم لم يتعرض
له المقرّ التقوى بن ناظر الجيش في "التثقيف" نخلق الملكة الآن عن مثله ؛ وإنما
أشار إليه المقرّ الشهابي بن فضل الله رحمه الله في "التعريف" حيث قال :
وأما ما يكتب للوك عن الملوك، مثل ولاية العهود والمنفردين بصغار البلدان فإنه
لا تُستفتح عهودهم إلا بالخطب . وذلك أن حماة كانت في زمنه بأيدي بني أيوب
على ما تقدم ذكره، ولذلك قال في "مسالك الأبصار" : ومما في حدود هذه المملكة
من له أسم سلطان حاكم وملك متصرف صاحب حماة .

الوجه الثاني

(في بيان ما يكتب في العهد؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب في الطرة، وهو تلخيص ما يشتمل عليه العهد)

وهذه نسخة عهد كتب بها المقرّ الشهابي بن فضل الله عن الملك الناصر
«محمد بن قلاوون» لللك الأفضل «محمد ابن المؤيد عماد الدين إسماعيل» بسلطنة
حماة أيضاً، في رابع صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة . وهو آخر من ملكها من بني
أيوب، وهي :

الحمد لله الذي أقربنا المُلْك في أهلة أهلِه ، وتدارك مُصَابِ مَلِكٍ لولا ولده
الأفضل لم يكن له شَيْءٌ في فضله ، ووهبَ بنا بيتَ السلطنة من أبقى البقايَا ما يَلْحَقُ
به كُلُّ فرعٍ بأصلِه ، ويظهرُ به رَوْنُقُ السيفِ في نصلِه .

نحمدُه على ما أفاض بمَواهِبنا من النعم الغزار ، وأدخلَ في طاعتنا الشريفة من
ملوك الأقطار ، وزاد عطايانا فأضحتْ وهى ممالك وأقاليم وأمصار ، ونشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أفلح من مات من ملوك الإسلام عليها ،
وحترض بها في الجهاد على الشهادة حتى وصل إليها ، ومد يده لمبايعتنا على إعلائها
فسابقت الثريا بسط يديها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي شرف من تسمى
باسمِه أومت بالقرى إلى نسبه ، وصرف في الأرض من تمسك من رعاية الأمة
بسببه ، وأكرم به كريم كل قوم وجعل كلمة الفخار كلمة باقية في عقبه ، صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه مانح الحمام لحزنه ثم غنى من طربه ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإننا - والله الحمد - ممن نحفظ بإحساننا كل وديعه ، ونتقبل لمن أقبل
من الملوك على سؤال صدقاتنا الشريفة كل ذريعه ؛ وتتكفل لمن مات وهو على
ولائنا بما لوراه في ولده لسره ما جرى ، وعلم أن هذا الذي كان يتمي أن يعيش
حتى يُبصر هذا اليوم ويرى ؛ وكان السلطان الملك المؤيد عماد الدين - قدس الله
روحه - هوبقية بيته الشريف ، وأحر من حل من ملوكهم في ذروة عزه المنيف ؛
ولم يزل في طاعتنا الشريفة على ما كان من الحسنى عليه ، ومن المحاسن التي لقي الله
بها ونور إيمانه يسع بين يديه ؛ فوهبنا له من المملكة الحموية المحروسة ما كان قد
طال عليه سالف الأمد ، ورسمنا له بها عطية باقية للوالد والولد ؛ فلما قارب انقضاء
أجله ، وأشرف على ما قدمه إلى الله وإلينا من صالح عمله ؛ لم يشغل مابه عن مطالعة

أَبُوَانَا الشَّرِيفَةِ وَالتَّذْكَارِ بَوَلَدِهِ ، وَتَقَاضَى صِدَقَاتِنَا الْعَمِيمَةِ بِمَا كَانَ يَنْتَظِرُهُ قَمَرُهُ الْمَذِيرُ
لِفَرَقِهِ ؛ وَوَرَدَ مِنْ جِهَةِ وَلَدِهِ الْمَقَامِ الشَّرِيفِ ، الْعَالِي ، الْوَلَدِيِّ ، السُّلْطَانِيِّ ،
الْمَلِكِيِّ ، الْأَفْضَلِيِّ ، النَّاصِرِيِّ - أَعَزَّ اللَّهُ أَنْصَارَهُ - مَا أَرْجَحَ الْقُلُوبَ بِمُصَابِهِ فِي أَبِيهِ ،
وَأَجْرَى الْعُيُونِ عَلَى مَنْ لَا تَنْقُصُ لَهُ عَلَى شَيْبِهِ ؛ فَوَجَدْنَا مِنَ الْحُزْنِ عَلَيْهِ مَا أَبْكَى كُلَّ سَيْفٍ
دَمًا ، وَأَنَّ كُلَّ رُحٍّ يَقْرَعُ سِنَّهُ نَدَمًا ؛ وَتَأَسَّفْنَا عَلَى مَلِكٍ كَادَ يَكُونُ مِنَ الْمَلَائِكِ ، وَأَخٍ
كَرِيمٍ أَوْ أَعَزَّ مِنْ ذَلِكَ ، وَسُلْطَانٍ عَظِيمٍ طَالَمَا ظَهَرَ شَنْبُ بَوَارِقِهِ فِي تُغُورِ الْمَمَالِكِ ؛
وَقُنْنَا مِنَ الْحُزْنِ فِي مِشَارَكَةِ أَهْلِهِ بِالْمُنْدُوبِ ، ثُمَّ قُلْنَا : لَكُمْ فِي وَلَدِهِ الْعِوَضُ وَلَا يُنْكَرُ
لَكُمْ الصَّبْرُ يَا آلَ أَيُّوبَ .

فَاقْتَضَتْ مَرَامُنَا الْمَطَاعَةَ أَنْ نُزِقَّهِ إِلَى مَقَامِنَا الْعَالِي ، وَنَعْقِدَ لَهُ مِنْ أُلُويَةِ الْمُلْكِ
مَاتَهَتْ بِهِ أَطْرَافُ الْعَوَالِي ؛ وَنُزِكِهِ مِنْ شِعَارِ السُّلْطَانَةِ بِمَا تَجَمَّلَ بِهِ مَوَاقِبُهُ ، وَتَمَدَّدَ بِهِ
عَصَابَتُهُ ، وَتَمَيَّسَ مِنَ الْعُجْبِ وَتَمَدَّدَ رِقَابُهَا بِالرَّقَبَةِ السُّلْطَانِيَّةِ جَنَائِبُهُ ؛ تَزْيِيهَا لُحُوطِ رُكْمِ
الْكَرِيمَةِ عَلَيْنَا عَنْ قَوْلِ لَيْتَ ، وَتَتَوَيْهَا بِقَدْرِ بَيْتِكُمْ الَّذِي رَفَعَ لَكُمْ إِسْمَاعِيلُ بِهِ قَوَاعِدَ
الْبَيْتِ : لِمَا نَعْلَمُهُ مِنَ الْمَقَامِ الْعَالِي الْمَلِكِيِّ الْأَفْضَلِيِّ النَّاصِرِيِّ - أَمْتَعَ اللَّهُ بَيْقَاتِهِ -
مِنَ الْمَنَاقِبِ الَّتِي أَسْتَحَقَّ بِهَا أَنْ يَكُونَ لَهُ عَلَيْكُمْ الْمُلْكُ ، وَالْعَزَائِمُ الَّتِي قُلَّدَ بِهَا مِنَ الْمَمَالِكِ
مَاتَجَوْلُ بِهِ الْحَيَادُ وَتَجَرَّى بِهِ الْفُلُكُ ؛ مَعَ مَالِهِ مِنَ الْكَرَمِ الَّذِي هُوَ أَوفَى مِنَ الْعِهَادِ
بِعَهْدِهِ ، وَالْفَضْلِ الَّذِي اتَّصَلَ بِهِ مِيرَاثُ الْأَفْضَلِيَّةِ عَنْ جَدِّهِ ؛ وَالْجُودِ الَّذِي جَرَى
الْبَحْرُ مَعَهُ فَاحْمَرَّتْ مِنَ الْخَجَلِ صَفْحَةُ خَدِّهِ ، وَالْوَصْفِ الَّذِي لَمْ يَرْضَ بِالْجُورَاءِ
وَاسْطَةً لِعَقْدِهِ ؛ وَالْعَدْلِ الَّذِي أَشْبَهَ فِيهِ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ ، وَالْعِلْمَ الَّذِي مَآخِلًا بِهِ بَابُهُ مِنْ
طَلَبِ : إِمَّا لَهْدَى وَإِمَّا لَكُمْ ، وَلَمْ يُخْرِجْ مِنْ كَفَالَةِ وَالِدِهِ إِلَّا إِلَى كِفَالَتِنَا الَّتِي أَظْلَمَتْهُ
بُسُحْبَاهَا ، وَحَلَّتْ سَمَاءَ مَمْلَكَتِهِ بِشُهْبَاهَا ؛ وَخَاطَبْنَاهُ كَمَا نُنْكَأُ نَخَاطِبَ وَالِدِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
بِالْمَقَامِ الشَّرِيفِ ، وَأَجْرَيْنَاهُ فِي أَلْقَابِهِ مُجْرَى الْوَلَدِ زِيَادَةً لَهُ فِي التَّشْرِيفِ ، وَصَرَّفْنَا

أمره في كل ما كان للملوك أهله فيه تصريف؛ وسنرشده إلى أوضح طريقه، ويقوم مقام أبيه أو ليس «الناصر» هو أبو الفضل حقيقه؛ ورسمنا بطلبه إلى [ما] بين أيدينا الشريفة لنجدد له من نظرننا الشريف ما يتضاعف به سعوده، ويزداد صعوده، ويتمائل في هذا البيت الشاهنشاهی أبناءه وآبائه وجدوده : لتعمل معه صدقاتنا الشريفة ما هو به جدير، وترفعه إلى أعز مكان من صهوة المنبر والسرير، وتكاثره كل سلطان وما هو إلا بحفل يسير؛ لتشيد به أركان هذا البيت الكريم، وتحيا عظامه وهي في اللود عظم ريم، وتعرف الناس أن عنايتنا الشريفة بهم تزيد على ما عهدوه لجددهم القديم من سميننا الملك الناصر القديم .

نخرجت المراسيم الشريفة، العالية، المولوية، السلطانية، الملكية، الناصرية : لا زالت الملوك تتقلد منها في أعناقها، ولا برحت الممالك من بعض مواهبها وإطلاقها؛ أن يقلد هذا السلطان الملك الأفضل - أدام الله نصره - من المملكة الخموية وبلادها، وأمرائها وأجنادها، وعربها وتُرُكُها وأكرادها؛ وقضاياها وقضاتها، ورعاياها ورعاتها؛ وأهل حواضرها وبواديها، وعمرانها وبراريها - جميع ما كان والده - رحمه الله - يتقلده، وبسيفه وقلبه يحريه ويحرده : من كل قليل وكثير، وجليل وحقير، وفي كل مأمور به وأمير؛ يتصرف في ذلك جميعه، ويقطع إقطاعاتها بمنشيره ويؤتي وظائفها بتواقيعه؛ وينظر فيها وفي أهلها بما يعلم أن له ولهم فيه صلاحا، ويقيم من هيئة سلطانه ما يغنيه أن يعمل أسنة ويجرد صفاحا .

وليحكم فيها وفيمن هو فيها بعد له، ويجمع قلوب أهلها على ولائه كما كانوا عليه لأبيه من قبله؛ وليكن هو وجنوده وعساكره أقرب في النهوض إلى مصالح الإسلام من رجع نفسه، وأمضى في العزائم مما يشتهه (?) بها من سيفه وقبسه .

وأما بقية ما يملئ من الوصايا، أو يدل عليه من كرم السجاياء فهو - بحمد الله تعالى - غريزة في طباعه، ممتزج به من زمان رضاعه؛ وإنما نذكره ببعض ما به يتبرك، ونحضره على اتباع أبيه فإنها الغاية التي لا تدرك؛ والشرع الشريف أهم ما يشغل به جميع أوقاته، وتقوى الله فما ينتصر الملك إلا بتقائه، والفكرة في مصالح البلاد والرايا فإنها مادة تفقائه، واستكثار الجنود فإنهم حصنه المنيع في ملاقاته، ومبادرة كل مهم في أول ميقاته، وولايات الأعمال لا يعتمد فيها إلا على تقائه، وإقامة الحدود حتى لا ينصت في تركها إلى رقي رقاته؛ ورعاية من له على سلفه خدمة سابقة، واستجلاب الأدعية الصالحة لنا وله فإنها للسهم مسابقة؛ ويخلص في الأمور عزمه فإنه مدرب، ويسيطر العدل والإحسان فإنه بهما إلينا يتقرب؛ وليأخذ بقلوب الرايا فإنها لتقلب، وليكرم وفادة الوفود ليقيف بهم - لنجاح مقاصدهم - على باب صحيح مجرب؛ وليجتهذ في الجهاد، ويتيقظ والسيف مكتحل الحفن بالرقاد؛ ويهتم فإن المهم العالية تقوم بها عوالي الصعاد، ويقوم البريد فإن في تقويمه بقاء الملك وعمارة البلاد؛ وليقيف عند مراسمنا الشريفة لتهدية إلى سبيل الرشاد، ويحسن سلوكه ليطرب بذكره كل أحد ويترنم كل حاد؛ وغير هذا من كل ما عهدنا والد - سقى الله عهده - له سالكاً، ولأزمة أموره الجميلة مالكا؛ مما لا يحتاج - مما نعرفه من سيرته المثلى - إلى شرحه، ولا يدل نهاره الساطع على صباحة صبحه؛ وليبشر بما جعل له من فضلنا العميم، ويتمسك بوعدنا الشريف أن هذه المملكة له ولأبنائه وأبناء أبنائه ما وجد كفء من نسبهم الصميم؛ والله تعالى يمدك - أيها الملك الأفضل - بأفضل مزيده، ويحفظ بك ما أبقاء لك أبوك «المؤيد» من تأييده؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه، إن شاء الله تعالى.

الوجه الثالث

(فيما يُكْتَب في المُسْتَدَّ عن السلطان في هذا العهد، وما يكتبه
السلطانُ في بيت العَلَامَةِ)

والْحُكْمُ في ذلك على ما مرَّ في عهود أولياء العهد بالسلطنة : وهو أن يكتب
في مُسْتَدَّ العهد « حَسَبَ المرسوم الشريف » كما في غيره من الولايات ، ويكتب
السلطان في بيت العلامة أَسْمَهُ من غير زيادة .

قلت : ولا يُكْتَب فيه شهادةٌ على السلطان كما يُكْتَب في عُهُودِ أولياء العهد
بالسلطنة : لأن العهد بالسلطنة العظمى شبيهٌ بالبيعة ، والشهادة فيها مطلوبةٌ للخروج
من الخلاف ، على ما تقدّم في موضعه . والعهد بولاية سلطنة بعض الأقاليم شبيهٌ
بالتقليد ، والشهادة في التقاليد غير مطلوبة ، وذلك أن السلطنة لا تنتهي إلى وليٍّ
العهد إلا بعد موتِ العاهد ، ورُبَّمَا يَحْدُ بعضُ الناس العهد إليه ، وولاية بعض
البلدان إنما تكون والسلطانُ المولى منتصبٌ فلا يؤثرُ الجُحُودُ فيها .

الوجه الرابع

(في قَطْع ورق هذا العهد وقلمه الذي يُكْتَب به ، وكيفيّة
الكتابة ، وصورة وضعها في الورق)

أما قطع الورق فمقتضى عموم قول المقرّ الشهابيّ بن فضل الله في "التعريف" :
إن للعهود قطع البغداديّ الكامل أنه يُكْتَب في قطع البغداديّ أيضا .

قلت : والذي يقتضيه القياس أن تكون كتابته في الورق البغدادي لمعنى السلطنة ، ولكن في قطع دون القطع الكامل : لئصال رتبة هذه السلطنة عن السلطنة العظمى ؛ ألا ترى مكتبة صاحب مملكة إيران كانت في زمن القان «أبي سعيد» تكتب في قطع البغدادي الكامل كما ذكره في "التعريف" وغيره ؛ ومكتبة صاحب مملكة بيت بركة المعروفة بمملكة أذربك من مملكة توران تكتب له في قطع البغدادي بنقص أربعة أصابع مطبوعة كما ذكره في "التتيف" لأخطاط رتبته عن رتبة القان أبي سعيد ، على ما تقدم ذكره في المكتبات .

وأما قلعه الذي يكتب به ، فينبغي إن تكتب في قطع البغدادي الكامل أن يكون مختصر قلم الطومار كما في غيره من العهود التي تكتب في القطع الكامل . وإن كتب في دون الكامل ، فينبغي أن يكون القلم دون ذلك بقليل .

وأما صورة وضعه في الورق ، فعلى ما مر في عهود أولياء العهد بالسلطنة من غير فرق : وهو أن يكتب في رأس الدرج بقلم دقيق الاسم الشريف ، ثم يتدنى بكتابة الطرة في عرض الورق من غير هامش سطورا متلاصقة إلى آخر الطرة ، ثم يخل سته أوصال بياضا ، ثم يكتب البسملة في أول الوصل الثامن بهامش قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوعة ، ثم يكتب سطرا من أول العهد ملاصقا للبسملة ، ثم يخل بيت العلامة قدر شبر على ما تقدم ، ويكتب السطر الثاني على سمت السطر الذي تحت البسملة ، ثم يسترسل في كتابة بقية العهد إلى آخره ، ويكون بين كل سطرين قدر رُبع ذراع على قاعدة العهود . فإذا انتهى إلى آخر العهد كتب «إن شاء الله تعالى» ثم التاريخ ، ثم المستند ، ثم الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الحسبة . وتكون كتابته من غير نقط ولا شكل كسائر العهود .

قلت : ولو وُسِّع ما بين سَطوره ونُقِطت حروفه وشُكِلَتْ : لما فيه من معنى التقاليد ، لكان به أليق .

وهذه صورةٌ وضعه في الورق ، ممثلاً لها بالطرّة التي أنشأها في معنى ذلك ، والعهد الذي أنشأه المقرّ الشهابيّ بن فضل الله للملك الأفضل «محمد» بن الملك المؤيد «عماد الدين إسماعيل» آخر ملوك بني أيّوب بها ، وهي :^(١)

هذا عهدٌ شريفٌ عُدَّتْ موارِدُهُ ، وحَسُنَتْ بحسَنِ النية فيه مقاصدُهُ ، وعاد على البريّة باليمن عائدُهُ . من السلطان الأعظم ناصر الدنيا والدين الملك الناصر أبي الفتح محمد ابن السلطان الشهيد «قلاوون» خلد الله تعالى ملكه ، وجعل الأرض بأسرها ملكه - للقام الشريف العالى السلطانيّ ، الملكيّ ، الأفضليّ ، محمد ابن المقام العالى المؤيديّ إسماعيل أعزّ الله تعالى أنصاره ، وأحمد آثاره ، بالسلطنة الشريفة بحمّة المحروسة وأعمالها ، على أكمل العوائد وأتمّها ، وأجمل القواعد وأعمّها ، على ما شرح فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أقرّبنا الملوك في أهلة أهله ، وتدارك مصاب ملك لولا هامش

ولّدَه الأفضل لم يكن له شيء في فضله ، ووهب بنا بيت السلطنة

(١) أى بحمّة ولم يتقدّم لها ذكر فتنبه .

هامش من أبقى البقايَا ما يَلْحَقُ به كُلُّ فرع بأصله ، ويظهر به رُوْنُ السيف

في نصله . إلى أن يأتى إلى قوله في آخره : والله تعالى يُمِدُّك أيها الملكُ

الأفضل بأفضل مزيده ، ويحفظُ بك ما أبقاه لك أبوك المؤيد من

تأييده ؛ والاعتمادُ على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه

إن شاء الله تعالى

كتب في

سنة

حسب المرسوم الشريف

الحمدُ لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

الباب الرابع

من المقالة الخامسة

(في الولايات الصادرة عن الخلفاء لأرباب المناصب من أصحاب

^(١)
السيوف والأقلام، وفيه [ثلاثة] فصول)

الفصل الأول

(فيما كان يُكتب من ذلك عن الخلفاء، وفيه خمسة أطراف)

الطرف الأول

(فيما كان يُكتب عن الخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم)

وكان الرسم في ذلك أن يفتتح العهد بلفظ : « هذا ما عهد » أو « هذا عهد من فلان لفلان » ويؤتى على المقصد إلى آخره . ويقال فيه : « أمره بكذا وأمره بكذا » .

والأصل في ذلك ما كتب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، لأمرائه الذين وجههم لقتال أهل الردّة، وعليه بنى من بعده . وهذه نسخته :

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لفلان حين بعثه [فيمن بعثه] لقتال من رجّع عن الإسلام . عهد إليه أن يتقي الله ما أستطاع في أمره : كله سرّه وجهره . وأمره بالجد في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان، بعد أن يُعذر إليهم : فيدعوهم بدعاية الإسلام :

(١) بياض في الأصل والتصحيح من ج ١ ص ٢٥ من هذا المطبوع .

فَإِنْ أَجَابُوهُ أَمْسَكَ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُجِيبُوهُ شَنَّ غَارَتَهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَقْرُوا لَهُ؛ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِالَّذِي عَلَيْهِمَ وَالَّذِي لَهُمْ، فَيَأْخُذُ مَا عَلَيْهِمْ وَيُعْطِيهِمَ الَّذِي لَهُمْ؛ لَا يُنْظِرُهُمْ وَلَا يَرُدُّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ قِتَالِ عَدُوِّهِمْ؛ فَمَنْ أَجَابَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَقْرَبَ لَهُ، قَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ، وَإِنَّمَا يُقَاتِلُ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ عَلَى الْإِفْرَارِ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ فَإِذَا أَجَابَ الدَّعْوَةَ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، وَكَانَ اللَّهُ حَسْبِيهِ بَعْدُ فِيمَا اسْتَسَرَّ بِهِ. وَمَنْ لَمْ يُجِبْ إِلَى دَاعِيَةِ اللَّهِ قَتَلَ وَقُوتِلَ حَيْثُ كَانَ وَحَيْثُ بَلَغَ مَرَاغِمَهُ، لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا أَعْطَاهُ إِلَّا الْإِسْلَامَ؛ فَمَنْ أَجَابَهُ وَأَقْرَبَهُ قَبِلَ مِنْهُ وَعَلَّمَهُ؛ وَمَنْ أَبَى قَاتَلَهُ؛ فَإِنْ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ، قَتَلَ فِيهِمْ كُلَّ قِتْلَةٍ بِالسَّلَاحِ وَالنَّيْرَانِ، ثُمَّ قَسَمَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَّا الْخُمْسَ فَإِنَّهُ مُبَلَّغُهُ. وَأَنْ يَمْنَعَ أَصْحَابَهُ الْعَجَلَةَ وَالْفَسَادَ، وَأَنْ لَا يُدْخِلَ فِيهِمْ حَشَوًا حَتَّى يَعْرِفَهُمْ وَيَعْلَمَ مَاهُمْ؛ لئَلَّا يَكُونُوا عِيُونًا، وَلئَلَّا يُؤْتِيَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِبَلِهِمْ؛ وَأَنْ يَقْصِدَ بِالْمُسْلِمِينَ وَيَرْفُقَ بِهِمْ فِي السَّيْرِ وَالْمَنْزِلِ؛ وَيَتَفَقَّدهُمْ وَلَا يُعْجِلَ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَيَسْتَوْصِيَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي حُسْنِ الصُّحْبَةِ وَلِيْنِ الْقَوْلِ.



وهذه نسخة عهد كتب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه، حين ولَّاه القضاء :

أما بعد، فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ؛ فَانْهَمُ إِذَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ، وَأَنْقُذْ إِذَا تَبَيَّنَ لَكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لَا تَقَازِلُهُ. آسَ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلُكَ وَجَلِيسُكَ حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ، وَلَا يَبْتَاسَ ضَعِيفٌ مِنْ عَوْنِكَ ^(١). الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ أَدْعَى، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ، وَالصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صَلَاحًا أَحَلَّ حَرَامًا

(١) في العقد الفريد (ج ١، ص ٣٣) "ولا يخاف ضعيف من جورك".

أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا . لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ بِالْأَمْسِ فَرَاغَتْ فِيهِ عَقْلَكَ وَهَدَيْتَ فِيهِ
لِرَشْدِكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ : فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّيَادِي
فِي الْبَاطِلِ .

الْفَهْمُ الْفَهْمَ فِيمَا تَلَجَّجَ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنةٍ ، ثُمَّ اعْرِفْ
الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ ، وَقَسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ بِنَظَائِرِهَا ، وَأَعْمِدْ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ ^(١)
وَأَشْبِهَا بِالْحَقِّ ، وَأَجْعَلْ لِمَنْ آدَعَى حَقًّا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمَدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ : فَإِنْ أَحْضَرَ
بَيِّنَةً ، أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِلَّا اسْتَحَلَلْتَ الْقَضِيَّةَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ أَتَى لَلشَّكِّ ، وَأَجْلَى لِلْعَمَى .
الْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا مَجْلُودًا فِي حَدٍّ ، أَوْ مَجْرَبًا عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُورٍ ،
أَوْ ظَنِينًا فِي وِلَاءٍ أَوْ نَسَبٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ وَدَرَأَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْإِيمَانِ .
وَمَا يَأْكُ وَالْقَلَقَ وَالضَّجَرَ ، وَالتَّأَذَّى بِالْخُصُومِ ، وَالتَّنَكُّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ : فَإِنَّ الْحَقَّ
فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ يُعَظِّمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ ، وَيُحْسِنُ عَلَيْهِ الذُّخْرَ وَالْجَزَاءَ . فَمَنْ صَحَّتْ نَيْتُهُ
وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ تَخَلَّقَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ
لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ شَانَهُ اللَّهُ ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابِ اللَّهِ فِي عَاجِلِ رِزْقِهِ وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ ،
وَالسَّلَامِ .

قُلْتُ : هَذَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ رَبِّهِ فِي « الْعِقْدِ » . وَيَقَعُ فِي بَعْضِ الْمَصْنُفَاتِ
أَبْتَدَأُوهُ : مِنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ - سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَا بَعْدُ .

وَوَقَعَ فِي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ أَنْ أَوَّلَهُ : أَعْلَمُ أَنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، مَعَ تَغْيِيرِ بَعْضِ
الْأَلْفَاظِ وَتَقْدِيمِ بَعْضٍ وَتَأْخِيرِ بَعْضٍ .

الطرف الثانى

(فما كان يكتب عن خلفاء بنى أمية)

كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب، عن مروان بن محمد لبعض من ولده^(١).

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين - عند ما أعتزم عليه من توجيهك إلى عدو الله الحلف الجاني الأعرابي ، المتسكع في حيرة الجهالة ، وظلم الفتنة ، ومهاوى الهلكة . ورعاه الذين عاثوا في أرض الله فساداً ، وآتوه حُرمة الإسلام استخفافاً ، وبدلوا نعمة الله كفراً ، واستحلوا [دماء أهل]^(٢) سلمه جهلاً - أحب أن يعهد إليك في لطائف أمورك ، وعوام شئونك ، ودخائل أحوالك ، ومضطرف تقلك عهداً يُحملك فيه أدبه ، ويشرع لك به عظمته ، وإن كنت بحمد الله من دين الله وخلافته بحيث أصطنعك الله لولاية العهد مختصاً لك بذلك دون لحنتك وبني أهلك . ولولا ما أمر الله تعالى به ، دالاً عليه ، وتقدمت فيه الحكماء أميرين به : من تقديم العظة ، والتذكير لأهل المعرفة وإن كانوا أولى سابقة في الفضل وخصيصاء في العلم ، لاعتمد أمير المؤمنين على أصطناع الله إياك ، وتفضيله لك بما رآك أهله في محلك من أمير المؤمنين ، وسبقك إلى رغائب أخلاقه ، وانتزاعك محمود شيمه ، واستيلائك على مشايه تديره . ولو كان المودبون أخذوا العلم من عند أنفسهم ، أولقنوه إلهاماً من تلقائهم ولم نصبهم تعالماً شيئاً من غيرهم ، لنحلناهم علم الغيب ، ووضعناهم بمنزلة قصر بها عنهم خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدانيته في فردانيته وسابق لأهويته ، احتجاجاً منهم لتعقب في حكمه ، وتثبت في سلطانه وتنفيذ إرادته ،

(١) المولى هو عبد الله بن مروان أرسله لقتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" (ص ٢٣٠) وغيره وهي لازمة .

على سابق مشيئته . ولكن العالم الموفق للخير ، المخصوص بالفضل ، المحبوب بمزية العلم وصفوته ، أدركه معاناً عليه بلطف بجنه ، وإذلال كنفه ، وصحة فهمه ، وهجر سأمته .

وقد تقدم أمير المؤمنين إليك ، آخذاً بالجمعة عليك ، مؤدياً حق الله الواجب عليه في إرشادك وقضاء حَقِّك ، وما ينظر به الوالد المعنى الشفيق لولده . وأمير المؤمنين يرجو أن ينزهك الله عن كل قبيح يهش له طمع ، وأن يعصمك من كل مكروه حاقٍ بأحد ، وأن يحصنك من كل آفة استولت على أمرئ في دين أو خلق ، وأن يبلغه فيك أحسن ما لم يزل يعودده ويؤريه من آثار نعمة الله عليك ، ساميةً بك إلى ذروة الشرف ، متبججةً بك بسطة الكرم ، لائحةً بك في أزهر معالي الأدب ، مؤثرةً لك أنفس ذخائر العز ، والله يستخلف عليك أمير المؤمنين ويسأل جياطتك ، وأن يعصمك من زيف الهوى ، ويحضرك داعي التوفيق ، معاناً على الإرشاد فيه ، فإنه لا يعين على الخير ولا يوفق له إلا هو .

إعلم أن للحكمة مسالك تفضي مضائق أوائلها بمن أمها سالكا ، وركب أخطارها قاصداً ، إلى سعة عاقبتها ، وأمن سرحها ، وشرف عزها ، وأنها لا تعار بسخف الخفة ، ولا تنشأ بتفريط الغفلة ، ولا يتعدى فيها بأمرئ حده ؛ وربما أظهرت بسطة التي مستور العيب . وقد تلقنتك أخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها ، من غير تعب البحث في طلبها ، ولا متناول لمناولة ذروتها ؛ بل تأملت منها أكرم نبعاتها ، واستخلصت [منها] أعتق جواهرها ؛ ثم ستمت إلى لباب مباحها ، وأحرزت منفس ذخائرها ، فأقتعد ما أحرزت ، ونافس فيما أصبت .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَحْتَوَاكَ عَلَى ذَلِكَ وَسَبَقَكَ إِلَيْهِ بِإِخْلَاصِ تَقْوَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ
مُؤْتِرًا لَهَا، وَإِضْمَارِ طَاعَتِهِ مُنْطَوِيًّا عَلَيْهَا، وَإِعْظَامِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ شَاكِرًا لَهُ،
مُرْتَبِطًا فِيهِ لِلزَّيْدِ بِحُسْنِ الْحَيَاةِ لَهُ وَالذَّبِّ عَنْهُ مِنْ أَنْ تَدْخُلَكَ مِنْهُ سَامَةٌ مَلَالٍ،
أَوْ غَفْلَةٌ ضَيَاعٍ، أَوْ سِنَّةٌ تَهَاوُنٍ، أَوْ جَهَالَةٌ مَعْرِفَةٍ: فَإِنَّ ذَلِكَ أَحَقُّ مَا يُدْئِي بِهِ وَيُنْظَرُ
فِيهِ، مَعْتَمِدًا عَلَيْهِ بِالْقُوَّةِ وَالْآلَةِ وَالْعُدَّةِ وَالْإِفْرَادِ بِهِ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالْحَامَةِ .
فَتَمَسَّكَ بِهِ لِاجْتِنَاءِ إِلَيْهِ، وَأَعْتَمَدَ عَلَيْهِ مُؤْتِرًا لَهُ ، وَالتَّجَيَّأُ إِلَى كَنَفِهِ مَتَحِيرًا إِلَيْهِ : فَإِنَّهُ
أَبْلَغُ مَا طَلِبَ بِهِ رِضَا اللَّهِ ، وَأَنْجَحُهُ مَسْأَلَةٌ ، وَأَجْزَلُهُ ثَوَابًا ، وَأَعُوذُهُ نَفْعًا ، وَأَعَمُّهُ
صِلَاحًا؛ أَرَشَدَكَ اللَّهُ لِحَظِّكَ ، وَفَهَّمَكَ سَدَادَهُ ، وَأَخَذَ بِقَلْبِكَ إِلَى مُجُودِهِ . ثُمَّ أَجْعَلْ
لِلَّهِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ يُنْعِمُ عَلَيْكَ بِلُغْوِهِ ، وَيُظْهِرُ مِنْكَ السَّلَامَةَ فِي إِشْرَاقِهِ [مِنْ نَفْسِكَ]^(١)
نَصِيبًا تَجَمُّلُهُ لَهُ شُكْرًا عَلَى إِبْلَاغِهِ إِيَّاكَ يَوْمَكَ ذَلِكَ بِصِحَّةِ جَوَارِحَ وَعَافِيَةِ بَدَنٍ، وَسُبُوحِ
نِعَمٍ، وَظُهُورِ كَرَامَةٍ . وَأَنْ تَقْرَأَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - جُزْءًا تُرَدِّدُ رَأْيَكَ
فِي آيِهِ، وَتُرْتِّلُ لِفُظِّكَ بِقِرَاءَتِهِ ، وَتُخَضِّرُهُ عَقْلَكَ نَاطِرًا فِي مُحْكَمِهِ ، وَتُنْفِثُهُ مَفْكَرًا
فِي مُتَشَابِهِهِ : فَإِنَّ فِي الْقِرَاءَنِ شِفَاءَ الصُّدُورِ مِنْ أَمْرَاضِهَا، وَجِلَاءَ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ
وَصَعَاعِصِهِ، وَضِيَاءَ مَعَالِمِ النُّورِ، تَبَيَّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .^(٢)
ثُمَّ تَعَهَّدْ نَفْسَكَ بِجَاهِدَةِ هَوَاكَ : فَإِنَّهُ مِغْلَاقُ الْحَسَنَاتِ ، وَمِفْتَاحُ السَّيِّئَاتِ ،
وَحَصْمُ الْعَقْلِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَهْوَاكَ لَكَ عَدُوٌّ يُحَاوِلُ هَلَكَتِكَ ، وَبِعَتْرَضِ غَفْلَتِكَ : لِأَنَّهَا خُدَعُ
إِبْلِيسَ، وَخَوَاتِلُ مَكْرِهِ، وَمَصَائِدُ مَكِيدَتِهِ؛ فَاحْذَرُهَا مُجَانِبًا لَهَا، وَتَوَقَّهَا مُحْتَرِسًا مِنْهَا؛

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره :

(٢) في مفتاح الأفكار (ص ٢٣٢) وغيره «وترين» وهي أنسب .

(٣) الصعاصع جمع صمصع وهو طائر أشهب يصيد الجنادب شبه وسوسة الشيطان به وفي بعض المؤلفات

وسواسفه .

(١) وَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَرِّهَا، وَجَاهِدْهَا إِذَا تَنَاصَرَتْ عَلَيْكَ بِعَزْمٍ صَادِقٍ لَاوْنِيَّةٍ فِيهِ، وَحَزْمٍ نَافِذٍ لَا مَثْنَوِيَّةَ لِرَأْيِكَ بَعْدَ إِصْدَارِهِ، وَصِدْقٍ غَالِبٍ لَا مَطْمَعَ فِي تَكْذِيبِهِ، وَمَضَاءَةٍ صَارِمَةٍ لَا أُنَاةَ مَعَهَا، وَنِيَّةٍ صَحِيحَةٍ لَا حَاجَةَ شَكٍّ فِيهَا: فَإِنَّ ذَلِكَ ظَهْرِي صِدْقٍ لَكَ عَلَى رَدِّعِهَا عَنْكَ، وَقَمْعِهَا دُونَ مَا تَنْتَطَلُعُ إِلَيْهِ مِنْكَ؛ فَهِيَ وَاقِيَةٌ لَكَ سُخْطَةَ رَبِّكَ، دَاعِيَةٌ إِلَيْكَ رِضَا الْعَامَةِ عَنْكَ، سَاتِرَةٌ عَلَيْكَ عَيْبَ مَنْ دُونَكَ؛ فَازْدَنْ بِهَا مَتَحَلِّيًّا، وَأَصِبْ بِأَخْلَاقِكَ مَوَاضِعَهَا الْحَمِيدَةَ مِنْهَا، وَتَوَقَّ عَلَيْهَا الْآفَةَ الَّتِي تَقْتَطِعُكَ عَنْ بُلُوغِهَا، وَتُقْصِّرُكَ دُونَ شَأُوهَا: فَإِنَّ الْمُثُونَةَ إِنَّمَا أَشْتَدَّتْ مُسْتَضْعِبَةً، وَفَدَحَتْ بَاهُظَةً أَهْلَ الطَّلَبِ لِأَخْلَاقِ أَهْلِ الْكَرَمِ الْمُتَحَلِّينَ سُمُو الْقَدْرِ، بِجَهَالَةِ مَوَاضِعِ ذَمِّمِ الْأَخْلَاقِ وَمُحْمُودِهَا، حَتَّى قَرِطَ أَهْلُ التَّقْصِيرِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِمْ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْآفَاتُ مِنْ جِهَاتٍ أَمِنُوهَا، فَانْسَبُوا إِلَى التَّفْرِيطِ، وَرَضُوا بِذُلِّ الْمَنْزِلِ، فَأَقَامُوا بِهِ جَاهِلِينَ بِمَوْضِعِ الْفَضْلِ، عَمِيهِينَ عَنْ دَرَجِ الشَّرَفِ، سَاقِطِينَ دُونَ مَنْزِلَةِ أَهْلِ الْحِجَابِ. لِحَاوِلِ بُلُوغِ غَايَاتِهَا مُحَرِّزًا لَهَا بِسَبْقِ الطَّلَبِ إِلَى إِبْصَارَةِ الْمَوْضِعِ، مُحَصِّنًا أَعْمَالَكَ مِنَ الْعُجْبِ: فَإِنَّهُ رَأْسُ الْمَهْوَى، وَأَوَّلُ الْغَوَايَةِ، وَمَقَادُّ الْهَلَكَةِ؛ حَارِسًا أَخْلَاقَكَ مِنَ الْآفَاتِ الْمُتَّصِلَةِ بِمَسَاوِي الْأَلْقَابِ وَذَمِّمِ تَنَابُزِهَا، مِنْ حَيْثُ أَتَتْ الْغَفْلَةُ، وَانْتَشَرَ الضِّيَاعُ، وَدَخَلَ الْوَهْنُ. فَتَوَقَّ غُلُوبَ الْآفَاتِ عَلَى عَقْلِكَ، فَإِنَّ شَوَاهِدَ الْحَقِّ سَتُظْهِرُ بِأَمَارَاتِهَا تَصْدِيقَ آرَائِكَ عِنْدَ ذَوِي الْحِجَابِ، وَحَالَ الرَّأْيِ وَخِصَّ النَّظَرَ. فَاجْتَلِبْ لِنَفْسِكَ مَحْمُودَ الذِّكْرِ وَبَاقِيَ لِسَانِ الصَّدْقِ بِالْحَذَرِ لِمَا تَقْدَمُ إِلَيْكَ فِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،

(١) من قولهم اقبل ذلك بلا ونية أى بلا توان .

(٢) هو من قولهم تأتى بالأمر ترقق وتنظر . أى لارقق معها .

(٣) فى بعض المؤلفات بمساوى العادات وذمى إثارها .

(٤) أى غلبة الآفات ولم تقف على هذا المصدر فى بأيدينا من كتب اللغة .

متحرّزا من دُخُول الآفَاتِ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ أَمْنُكَ وَقِلَّةُ نَفْتِكَ بِمُحْكَمِهَا : مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَمْلِكَ أُمُورَكَ بِالْقَصْدِ ، وَتُدَارِيَ جُنْدَكَ بِالْإِحْسَانِ ، وَتَصُونَ سِرَّكَ بِالْكَيْمَانِ ، وَتُدَاوِيَ حِقْدَكَ بِالْإِنْصَافِ ، وَتُدَلِّلَ نَفْسَكَ بِالْعَدْلِ ، وَتُحَصِّنَ عُيُوبَكَ بِتَقْوِيمِ أَوَدِكَ ، وَتَمْنَعَ عَقْلَكَ مِنْ دُخُولِ الْآفَاتِ عَلَيْهِ بِالْعُجْبِ الْمُرْدِي . وَأَنَاتَكَ فَوْقَهَا الْمَلَالُ وَفُوتَ الْعَمَلِ ، وَمَضَايَاكَ فَدَرَّعَهَا رَوِيَّةَ النَّظَرِ وَآكُفْنَهَا بَأَنَاءَ الْحِلْمِ . وَخَلَوْتَكَ فَأَحْرَسَهَا مِنَ الْغَفْلَةِ وَاعْتَمَادِ الرَّاحَةِ ، وَصَمَّتِكَ فَانِفَ عَنْهُ عَنِ اللَّفْظِ ، وَخَفَ سُوءَ الْقَالَةِ ؛ وَاسْتَمَاعَكَ فَأَرَعِهِ حُسْنَ التَّفَهُّمِ ، وَقَوَّهَ بِإِشْهَادِ الْفِكْرِ ؛ وَعَطَاكَ فَأَمَهَّدَ لَهُ بَيُوتَاتِ الشَّرَفِ وَذَوِي الْحَسَبِ ، وَتَحَرَّزَ فِيهِ مِنَ السَّرَفِ وَاسْتِطَالَةِ الْبَدَخِ وَامْتِنَانِ الصَّبِيْعَةِ ؛ وَحَيَاكَ فَأَمْنَعَهُ مِنَ الْخَجَلِ ، وَبِلَادَةِ الْحَصْرِ ؛ وَحَلَمَكَ فَرَزَعَهُ عَنِ التَّهَاوُنِ وَأَحْضَرَهُ قُوَّةَ الشَّكِيمَةِ ؛ وَعُقُوبَتَكَ فَقَصَّرَ بِهَا عَنِ الْإِفْرَاطِ ، وَتَعَمَّدَ بِهَا أَهْلَ الْإِسْتِحْقَاقِ ؛ وَعَفُوكَ فَلَا تُدْخِلْهُ تَعْطِيلَ الْحَقُوقِ ، وَخُذْ بِهِ وَاجِبَ الْمُفْتَرَضِ ، وَأَقِمْ بِهِ أَوَدَ الدِّينِ ؛ وَاسْتِنْسَاسَكَ فَأَمْنَعَ مِنْهُ الْبَدَاءَ وَسُوءَ الْمُنَاقَاةِ ^(١) . وَتَمَهَّدَكَ أُمُورَكَ فَخَدَّهُ أَوْقَاتًا ، وَقَدَّرَهُ سَاعَاتٍ ، لَا تَسْتَفْرِغُ قُوَّتَكَ ، وَلَا تَسْتَدْعِي سَأَمَتَكَ ؛ وَعَزَمَاتِكَ فَانِفَ عَنْهَا عَجَلَةَ الرَّأْيِ ، وَلِحَاجَةَ الْإِقْدَامِ ؛ وَقَرَحَاتِكَ فَاشْكُهَا عَنِ الْبَطَرِ ، وَقَيِّدْهَا عَنِ الزُّهْوِ ؛ وَرَوَعَاتِكَ فَخُطْهَا مِنْ دَهْشِ الرَّأْيِ ، وَاسْتِسْلَامِ الْخُضُوعِ ؛ وَحَدَرَاتِكَ فَامْنَعْنَهَا مِنَ الْجُبْنِ ، وَاعْمِدْ بِهَا الْحَزْمَ ؛ وَرَجَاكَ فَقَيِّدْهُ بِخَوْفِ الْفَائِتِ ، وَامْنَعْنَهُ مِنْ أَمْنِ الطَّلَبِ .

هذه جوامعٌ خلالِ دَخَالِ النَقِصِ مِنْهَا وَاصِلٌ إِلَى الْعَقْلِ بِلَطَائِفِ أُنْبِهِ وَتَصَارِيفِ حَوِيلِهِ ، فَأَحْكُمَهَا عَارِفًا بِهَا ، وَتَقَدَّمْ فِي الْحِفْظِ لَهَا ، مَعْتَرِمًا عَلَى الْأَخْذِ بِمَرَاشِدِهَا وَالْإِتِّهَاءِ مِنْهَا إِلَى حَيْثُ بَلَغَتْ بِكَ عِظَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَبُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) يقال ناقت فلان فلانا بالكلام آذاه انظر القاموس مادة ن ق ث .

ثُمَّ لَتَكُنْ بِطَانَتِكَ وَجُلَسَاؤِكَ فِي خَلَوَاتِكَ ، وَدُخْلَاؤِكَ فِي سِرِّكَ ، أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْوَرَعِ
 مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِ بَيْتِكَ ، وَعَامَّةِ قُودِكَ مِنْ قَدْ حَنَكْتَهُ السَّنُّ بِتَصَارِيفِ الْأُمُورِ ،
 وَخَبَطْتَهُ فِصَالُهَا بَيْنَ فَرَاسِنِ الْبُزْلِ مِنْهَا ، وَقَلْبَتَهُ الْأُمُورِ فِي فُنُونِهَا ، وَرَكَّبَ أَطْوَارَهَا :
 عَارِفًا بِحَاسَنِ الْأُمُورِ وَمَوَاضِعِ الرَّأْيِ وَعَيْنِ الْمَشُورَةِ ؛ مَأْمُونًا النَّصِيحَةِ ، مُنْطَوًى
 الضَّمِيرُ عَلَى الطَّاعَةِ . ثُمَّ أَحْضَرَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ وَقَارًا يَسْتَدْعِي لَكَ مِنْهُمْ الْهَيْبَةَ ،
 وَاسْتِنَاسًا يَعْطِفُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ الْمَوَدَّةَ ، وَإِنْصَاتًا يَقُولُ إِفَاضَتَهُمْ لَكَ عِنْدَكَ بِمَا تَكُونُ أَنْ
 يُنْشَرِعَكَ مِنْ سَخَافَةِ الرَّأْيِ وَضَيَاعِ الْحَزْمِ . وَلَا يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ هَوَاكَ فَيَصْرِفَكَ عَنْ
 الرَّأْيِ ، وَيَقْطِعَكَ دُونَ الْفِكْرِ . وَتَعْلَمُ أَنَّكَ - وَإِنْ خَلَوْتَ بِسِرِّ قَلْبَيْتِ دُونَهُ سَتُورَكَ ،
 وَأُغْلِقْتَ عَلَيْهِ أَبْوَابَكَ - فَذَلِكَ لِاحْتِمَالَةِ مَكْشُوفٍ لِلْعَامَةِ ، ظَاهِرٌ عِنْدَكَ وَإِنْ آسْتَرْتَ [^(١)]
 بَرُّبًا وَلَعَلَّ وَمَا أَرَى إِذَاعَةَ ذَلِكَ وَأَعْلَمُ ، بِمَا يَرُونَ مِنْ حَالَاتٍ مِنْ يَنْقَطِعُ بِهِ
 فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ . فَتَقَدَّمُ فِي أَحْكَامِ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَسَدُّدُ خَلَلِهِ عِنْدَكَ : فَإِنَّهُ
 لَيْسَ أَحَدٌ أَسْرَعُ إِلَيْهِ سُوءُ الْقَالَةِ وَلَغَطُ الْعَامَةِ بَخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ مِنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِكَ
 وَمَكَانِكَ الَّذِي أَصْبَحْتَ بِهِ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَالْأَمَلِ الْمَرْجُوِّ الْمُنْتَظَرِ فَيْكَ . وَلِيَاكَ أَنْ
 يُغْمَزَ فَيْكَ أَحَدٌ مِنْ حَامَتِكَ وَبِطَانَةِ خَدَمَتِكَ بِضَعْفَةٍ يَجِدُهَا مَسَاغًا إِلَى النُّطْقِ عِنْدَكَ
 بِمَا لَا يَعْتَرِلُكَ عَيْبُهُ ، وَلَا تَخْلُوْ مِنْ لَائِمَتِهِ ، وَلَا تَأْمَنْ سُوءَ الْأَحْدُوثَةِ فِيهِ ، وَلَا يَرْخُصْ
 سُوءُ الْقَالَةِ بِهِ إِنْ نَجَّمَ ظَاهِرًا أَوْ عَلَنَ بَادِيًا ، وَلَنْ يَجْتَزِيُوا عَلَى تِلْكَ عِنْدَكَ إِلَّا أَنْ يَرَوْا
 مِنْكَ إِصْغَاءً إِلَيْهَا ، وَقَبُولًا لَهَا ، وَتَرْخِيصًا لَهُمْ فِي الْإِفَاضَةِ بِهَا . ثُمَّ إِيَّاكَ وَأَنْ يُفَاضَ
 عِنْدَكَ بِشَيْءٍ مِنَ الْفُكَاكِهَاتِ وَالْحِكَايَا ، وَالْمِزَاحِ وَالْمُضَاحِكِ الَّتِي يَسْتَخِفُّ بِهَا أَهْلُ
 الْبَطَالَةِ ، وَيَتَسَرَّعُ نَحْوَهَا ذَوُو الْجَهَالَةِ ؛ وَيَجِدُ فِيهَا أَهْلُ الْحَسَدِ مَقَالًا لَعِيبٍ يُذَيِّعُونَهُ ،

(١) كذا في الأصل ومفتاح الأفكار مع توقف والمراد أنه يحذر من نشره بهذه الألفاظ .

وَطَعْنَا فِي حَقِّ يَحْجِدُونَهُ ؛ مع مافى ذلك من نَقْصِ الرَّأْيِ ، وَدَرَنِ الْعَرِضِ ، وَهَازِمِ الشَّرَفِ ، وَتَأْثِيلِ الْغَفْلَةِ ، وَقُوَّةِ طِبَاعِ السُّوءِ الْكَامِنَةِ فِي بَنَى آدَمَ كَكُتُونِ النَّارِ فِي الْحَجَرِ الصَّلْدِ ، إِذَا قُدِحَ لَاحَ شَرُّهُ ، وَتَلْهَبَ وَمِضْهُ ، وَوَقَدَ تَضَرُّهُ . وَلَيْسَتْ فِي أَحَدٍ أَقْوَى سَطْوَةً ، وَأَظْهَرَ تَوْقُذًا ، وَأَعْلَى كُتُونًا ، وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ بِالْعَيْبِ وَتَطَّرَقِ الشَّيْنِ مِنْهَا لِمَنْ كَانَ فِي مِثْلِ سِنِّكَ : مِنْ أَغْفَالِ الرِّجَالِ وَذَوَى الْعُنْفُونِ فِي الْحَدَاثَةِ ، الَّذِينَ لَمْ يَقْعِ عَلَيْهِمْ سِمَاتُ الْأُمُورِ ، نَاطِقًا عَلَيْهِمْ لِأَلْحُجَّهَا ، ظَاهِرًا فِيهِمْ وَشَمُّهَا ، وَلَمْ تَمَحْضِهِمْ شَهَامَتَهَا ، مَظْهَرَةً لِلْعَامَّةِ فَضْلَهُمْ ، مُذِيعَةً حَسَنَ الذِّكْرِ عَنْهُمْ ؛ وَلَمْ يَبْلُغْ بِهِمُ الصَّيْتُ فِي الْخُنْكَهَ مَسْتَمَعًا يَدْفَعُونَ بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ نَوَاطِقَ أَلْسُنِ أَهْلِ الْبَغْيِ ، وَمَوَادَّ أَبْصَارِ أَهْلِ الْحَسَدِ .

ثُمَّ تَعَهَّدَ مِنْ نَفْسِكَ لَطِيفَ عَيْبٍ لَا زِمَ لكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ السُّلْطَانِ وَالْقُدْرَةِ : مِنْ أَبْطَالِ الذَّرْعِ وَنَحْوَةِ الشَّرَفِ وَالتَّيِّهِ وَعَيْبِ الصَّلَفِ ؛ فَإِنَّمَا تُسْرِعُ بِهِمْ إِلَى فَسَادٍ وَتَهْجِينِ عَقُولِهِمْ فِي مَوَاطِنَ جَمَّةٍ ، وَأَنْحَاءِ مُضْطَرِّفَةٍ ، مِنْهَا قَلَّةٌ أَقْتَدَارُهُمْ عَلَى ضَبْطِ أَنْفُسِهِمْ فِي مَوَاقِبِهِمْ وَمَسَايِرِهِمْ الْعَامَّةِ : فَمِنْ مَقْلِقِلٍ شَخَّصَهُ بِكَثْرَةِ الْإِلْتِفَاتِ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، تَزْدَهِيهِ الْخَلْفَةَ ، وَيُطِيطُهُ إِجْلَابُ الرِّجَالِ حَوْلَهُ . وَمِنْ مُقْبِلٍ فِي مَوْكِبِهِ عَلَى مُدَاعِبَةِ مُسَايِرِهِ بِالْمُقَاكَهَةِ لَهُ وَالتَّضَاحُكِ إِلَيْهِ ، وَالْإِيْجَافِ فِي السَّيْرِ مَرَحًا ، وَتَحْرِيكِ الْجَوَارِحِ مَتَسَرِّعًا ، يَحَالُ أَنَّ ذَلِكَ أَسْرَعُ لَهُ وَأَحَثُّ لِمَطِيَّتِهِ ، فَلْتَحَسِّنْ فِي ذَلِكَ هَيْئَتَكَ ، وَلْتَجَمِّلْ فِيهِ دَعَتَكَ ؛ وَلْيَقِلَّ عَلَى مُسَايِرِكَ إِقْبَالُكَ إِلَّا وَأَنْتَ مُطَرِّقُ النَّظَرِ ، غَيْرُ مُلْتَفِتٍ إِلَى مُحَدَّثٍ ، وَلَا مُقْبِلٍ عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ فِي مَوْكِكِ لِمُحَادَثَتِهِ ، وَلَا مُوْجِفٍ فِي السَّيْرِ مَقْلِقِلٍ لِلْجَوَارِحِ بِالتَّحْرِيكِ وَالْإِسْتِنْهَاضِ ؛ فَإِنَّ حُسْنَ مَسَايِرَةِ الْوَالِي وَاتِّدَاعَهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ دَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ غُيُوبِ أَمْرِهِ وَمُسْتَتَرِّ أَحْوَالِهِ .

(١) فِي مِفْتَاحِ الْأَفْكَارِ «مِنْ أَبْطَالِ الْبَدْعِ» وَفِي غَيْرِهِ «مِنْ أَقْطَارِ الذَّرْعِ» وَفِي كِلَيْهِمَا عَلَامَةُ التَّوْقُفِ تَأْمَلْ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَقْوَامًا يَتَسَرَّعُونَ إِلَيْكَ بِالسَّعَايَةِ ، وَيَأْتُونَكَ عَلَى وَجْهِ النَّصِيحَةِ ،
وَيَسْتَمِيلُونَكَ بِإِظْهَارِ الشَّقَّةِ ، وَيَسْتَدْعُونَكَ بِالْإِغْرَاءِ وَالشُّبْهَةِ ، وَيُوطِئُونَكَ عُشْوَةَ
الْحَيَرَةِ : لِيَجْعَلُوكَ لَهُمْ ذَرِيعَةً إِلَى أَسْتِكَالِ الْعَامَّةِ بِمَوْضِعِهِمْ مِنْكَ فِي الْقَبُولِ ^(١) [مِنْهُمْ]
وَالْتَصْدِيقِ لَهُمْ عَلَى مَنْ قَرَفُوهُ بِثَمَّةٍ ، أَوْ أَسْرَعُوا بِكَ فِي أَمْرِهِ إِلَى الظَّنَّةِ ؛ فَلَا يَصِلَنَّ
إِلَى مُشَافَهَتِكَ سَاعٍ بِشُبْهَةٍ ، وَلَا مَعْرُوفٍ بِثَمَّةٍ ، وَلَا مَنْسُوبٍ إِلَى دِذْعَةٍ [فَيَعْرِضُكَ] ^(٢)
لِإِتْيَاحِ دِينِكَ ، وَيَحْمِلَكَ عَلَى رِعْيَتِكَ بِمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ عِنْدَكَ ، وَيُلْحِمَكَ أَعْرَاضَ
قَوْمٍ لَا عِلْمَ لَكَ بِدَخْلِهِمْ ، إِلَّا بِمَا أَقْدَمَ [بِهِ] عَلَيْهِمْ سَاعِيًا وَأَظْهَرَ لَكَ مِنْهُمْ مُتَصِحًّا .
وَلْيَكُنْ صَاحِبُ شُرْطَتِكَ الْمُتَوَلَّى لِإِنْهَاءِ ذَلِكَ هُوَ الْمَنْصُوبُ لِأَوَّلِكَ ، وَالْمُسْتَمَعَ ^(٣)
لَأَقَاوِيلِهِمْ ، وَالْفَاحِصَ عَنْ نَصَائِحِهِمْ ؛ ثُمَّ لِيُنْهَ ذَلِكَ إِلَيْكَ عَلَى مَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ مِنْهُ
لِتَأْمُرَهُ بِأَمْرِكَ فِيهِ ، وَتَقِفَهُ عَلَى رَأْيِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ لِلْعَامَّةِ : فَإِنْ كَانَ صَوَابًا
نَالَتْكَ خَيْرُهُ ، وَإِنْ كَانَ خَطَأً أَقْدَمَ بِهِ عَلَيْكَ جَاهِلٌ أَوْ فَرَطَةٌ سَعَى بِهَا كَاذِبٌ
فَنَالَتْ السَّاعِي مِنْهُمَا أَوْ الْمَظْلُومَ عِقُوبَةً ، أَوْ بَدَرَ مِنْكَ وَإِلَيْكَ إِلَيْهِ عُقُوبَةٌ وَنَكَالٌ ،
لَمْ يَعْصِبْ ذَلِكَ الْخَطَأُ بِكَ وَلَمْ تُنْسَبْ إِلَى تَفْرِيطٍ ، وَخَلَوْتَ مِنْ مَوْضِعِ الدَّمِّ فِيهِ :
مُحْضِرًا إِلَيْهِ ذِهْنَكَ وَصَوَابَ رَأْيِكَ . وَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ الْأَمْرَ وَتَعَمَّدُ عَلَيْهِ
فِيهِ أَنْ لَا يُقَدِّمَ عَلَى شَيْءٍ نَاطِرًا فِيهِ ، وَلَا يُجَاوِلَ أَخَذَ طَارِقًا لَهُ ، وَلَا يُعَاقِبَ

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره وهي لازمة . وفي القاموس في مادة (وت غ) وأوتغ دينة
بالاتم أفسده .

(٣) دخل الرجل بالفتح والكسر نيته ومذهبه .

(٤) الذي في "مفتاح الأفكار" وغيره «ولیکن صاحب شرطتك ومن أحییت أن يتولى ذلك من قوادك
إليه آتتهاء ذلك وهو المنصوب الخ» .

أحداً مُنْكَلا به، ولا يُحَلَّى سَبِيلَ أَحَدٍ صَالِحاً عَنْهُ : لِإِفْخَارِ بَرَاءَتِهِ ، وَصِحَّةِ طَرِيقَتِهِ ؛
 حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْكَ أَمْرَهُ ، وَيُنْهِيَ إِلَيْكَ قَضِيَّتَهُ عَلَى جِهَةِ الصَّدَقِ ، وَمَنْحَى الْحَقِّ ،
 وَيَقِينُ الْخَبَرَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ عَلَيْهِ سَبِيلاً لِمَحْبَسٍ أَوْ مَجَازاً لِعُقُوبَةٍ ، أَمْرَتَهُ بِتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْ
 غَيْرِ إِدْخَالِهِ عَلَيْكَ ، وَلَا مُشَافَهَةٍ لَكَ مِنْهُ ؛ فَكَانَ الْمَتَوَلَّى لِذَلِكَ وَلَمْ يَخْرُجْ عَلَى يَدَيْكَ مَكْرُوهٌ
 رَأَى وَلَا غِلْظَةً عُقُوبَةٍ . وَإِنْ وَجَدْتَ إِلَى الْعَفْوِ [عَنْهُ] سَبِيلاً ، أَوْ كَانَ مِمَّا قُرِفَ بِهِ خَلِيّاً ؛
 كُنْتَ أَنْتَ الْمَتَوَلَّى لِلْإِنْعَامِ عَلَيْهِ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ ، وَالصَّفْحِ عَنْهُ بِإِطْلَاقِ أَسْرِهِ ؛ فَتَوَلَّيْتَ
 أَجْرَ ذَلِكَ وَاسْتَحَقَّقْتَ ذَنْبَهُ ، وَأَنْطَقْتَ لِسَانَهُ بِشُكْرِكَ ، وَطَوَّقْتَ قَوْمَهُ حَمْدَكَ ،
 وَأَوْجِبْتَ عَلَيْهِمْ حَقَّكَ ؛ فَفَرَّقْتَ بَيْنَ خَصْلَتَيْنِ ، وَأَحْرَزْتَ حُظُوتَيْنِ : ثَوَابَ اللَّهِ
 فِي الْآخِرَةِ ، وَمُجُودَ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا .

ثُمَّ وَإِيَّاكَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِكَ وَجُلَسَائِكَ وَخَاصَّتِكَ وَبِطَانَتِكَ بِمَسْأَلَةٍ
 يَكْشِفُهَا لَكَ ، أَوْ حَاجَةً يَبْدُهَا بِطَلِبِهَا ، حَتَّى يَرْفَعَهَا قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى كَاتِبِكَ الَّذِي
 أَهْدَفْتَهُ لِذَلِكَ وَنَصَبْتَهُ لَهُ ، فَيَعْرِضُهَا عَلَيْكَ مُنْهِيّاً لَهَا عَلَى جِهَةِ الصَّدَقِ عَنْهَا ، وَتَكُونُ
 عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنْ قَدَرِهَا : فَإِنْ أَرَدْتَ إِسْعَافَهُ بِهَا وَنَجَاحَ مَسْأَلِهَا مِنْهَا ، أَذِنْتَ لَهُ
 فِي طَلِبِهَا ، بِاسْطِاقِ كِتْفِكَ ، مُقْبِلاً عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ ؛ مَعَ ظُهُورِ سُورِكَ بِمَا سَأَلَكَ ، وَفَسَحَةٍ
 رَأَى وَبَسْطَةِ دَرْعٍ ، وَطِيبِ نَفْسٍ . وَإِنْ كَرِهْتَ قَضَاءَ حَاجَتِهِ ، وَأَحْبَبْتَ رَدَّهُ عَنْ
 طَلِبَتِهِ ؛ وَثَقُلَ عَلَيْكَ إِجَابَتُهُ إِلَيْهَا ، وَإِسْعَافُهُ بِهَا ، أَمَرْتَ كَاتِبَكَ فَصَفَحَهُ عَنْهَا ،
 وَمَنْعَهُ مِنْ مُوَاجَهَتِكَ بِهَا ؛ نَخَفْتَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ الْمُثُونَةَ ، وَحَسُنَ لَكَ الذِّكْرُ ،
 وَلَمْ يُنْشَرْ عَنْكَ تَجَهُّمُ الرَّدِّ ، وَبَيْنَكَ سُوءُ الْقَالَةِ فِي الْمَنْعِ ، وَحُمِلَ عَلَى كَاتِبِكَ فِي ذَلِكَ
 لِأَمَّةٍ أَنْتَ مِنْهَا بَرِيءٌ السَّاحَةِ .

(١) أى لوضوح براءته ففى حديث على فأصحح لعدوك أى كن من أمره على أمر واضح انظر اللسان

وكذلك فليكن رأيك وأمرُك فيمن طرأ عليك من الوفود وأتاك من الرُّسل ،
 فلا يصلنَّ إليك أحدٌ منهم إلَّا بعد وصول علمه إليك ، وعلم ماقدِّم له عليك ؛ وجهته
 ما هو ممكِّمك به ، وقدر ما هو سائلُك إياه إذا هو وصل إليك ، فأصدرت رأيك
 في حوائجه ، وأجلت فكرُك في أمره ، وأخترت معترِما على إرادتك في جوابه ،
 وأنفذت مضدور رويِّتك في مرجوع مسألته قبل دخوله عليك ، وعلمه بوصول
 حاله إليك ؛ فرفعت عنك مئونة البديهة ، وأرخت عن نفسك خناق الروية ،
 وأقدمت على ردِّ جوابه بعد النظر وإجالة الفكر فيه . فإن دخل إليك أحدٌ منهم
 فكلِّمك بخلاف ما أنهى إلى كاتيك وطوى عنه حاجته قبلك ، دفعته عنك دفعا
 جميلا ، ومنعته جوابك منعا وديعا ؛ ثم أمرت حاجبك بإظهار الحقوة له ، والغلظة
 عليه ، ومنعه من الوصول إليك ؛ فإن ضبطك لذلك مما يحكم لك تلك الأسباب ،
 صارقا عنك مئوتها ، ومسهلا عليك مستصعبها .

احذر تضييع رأيك وإهمالك أدبك في مسالك الرضا والغضب وأعتوارهما
 إياك ، فلا يزدهينك إفراطُ عجب تستخفك روائعه ، ويستهويك منظره ،
 ولا يبدرت منك ذلك خطأ ونزق خفة لمكروه إن حلَّ بك ، أو حادث إن طرأ
 عليك . وليكن لك من نفسك ظهري ملجأ تحترز به من آفات اللدئ ، وتستعصد^(١)
 في موهم النازل ، وتتعب به أمورك في التدبير . فإن احتجت إلى مادة من عقلك ،
 وروية من فكرك ، أو أنيساط من منطقك ؛ كان أنحيازك إلى ظهرك مُزدادا مما
 أحببت الإمتياح منه والإمتيار ؛ وإن استدبرت من أمورك بوادر جهل أو مضى^(٢)
 زلل أو معاندة حق أو خلل تدبير ، كان ما احتجنت إليه من رأيك عذرا لك عند

(١) في رسائل البلغاء وتستعده في مهم نازل .

(٢) كذا في المفتاح ورسائل البلغاء أيضا ولعله وإن أبدرت الخ . تأمل .

نَفْسِكَ ، وظَهْرِيًّا قَوِيًّا عَلَى رَدِّ مَا كَرِهْتَ ، وتَخْفِيفًا لِمُؤْنَةِ الْبَاغِينَ عَلَيْكَ فِي الْقَالَةِ
وَأَنْتِشَارِ الذِّكْرِ ؛ وَحِصْنًا مِنْ غُلُوبِ الْآفَاتِ عَلَيْكَ ، وَأَسْتِعْلَاهَا عَلَى أَخْلَاقِكَ .

وَأَمْنَعَ أَهْلَ بَطَانَتِكَ وَخَاصَّةَ خَدَمِكَ مِنْ أَسْتِلْحَامِ أَعْرَاضِ النَّاسِ عِنْدَكَ بِالْغِيَةِ ،
وَالْتَقَرُّبِ إِلَيْكَ بِالسَّعَايَةِ ، وَالْإِغْرَاءِ مِنْ بَعْضِ بَعْضٍ ؛ أَوِ التَّيْمَةِ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ مِنْ
أَحْوَالِهِمُ الْمُسْتَتِرَةِ عَنْكَ ، أَوِ التَّحْمِيلِ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِوَجْهِ النَّصِيحَةِ وَمَذْهَبِ
الشَّفَقَةِ : فَإِنَّ ذَلِكَ أْبْلَغُ بِكَ سُبُورًا إِلَى مَنَالَةِ الشَّرَفِ ، وَأَعُونُ لَكَ عَلَى مَحْمُودِ الذِّكْرِ ،
وَأُطْلِقُ لِعِنَانِ الْفَضْلِ فِي جَرَالَةِ الرَّأْيِ وَشَرَفِ الْهِمَّةِ وَقُوَّةِ التَّنْدِيرِ .

وَأَمْلِكُ نَفْسَكَ عَنِ الْإِنْبِسَاطِ فِي الضَّحْكِ وَالْإِنْفِهَاقِ ، وَعَنِ الْقُطُوبِ بِإِظْهَارِ
النَّغْصِ وَتَحَلُّهِ : فَإِنَّ ذَلِكَ ضَعْفٌ عَنِ مِلْكِ سَوْرَةِ الْجَهْلِ ، وَخُرُوجٌ مِنْ آتِنَانِ آسِمِ
الْفَضْلِ . وَلِيَكُنْ ضَحِكُكَ تَبَسُّمًا أَوْ كَشْرًا فِي أَحَاطِينَ ذَلِكَ وَأَوْقَاتِهِ ، وَعِنْدَ كُلِّ رَائِعِ
مُسْتَحِفٍّ مُطْرِبٍ ؛ وَقُطُوبُكَ إِطْرَاقًا فِي مَوَاضِعِ ذَلِكَ وَأَحْوَالِهِ ، بِلَا عَجَلَةٍ إِلَى
السَّطْوَةِ ، وَلَا إِسْرَاجٍ إِلَى الطَّيْرِ ، دُونَ أَنْ يَكُنْفَهَا رَوِيَّةُ الْحِلْمِ ، وَتَمْلِكَ عَلَيْهَا بِادِرَةِ
الْجَهْلِ .

إِذَا كُنْتَ فِي مَجْلِسِ مَلِّكَ ، وَحَيْثُ حُضُورُ الْعَامَّةِ مَجْلَسَكَ ، فَإِيَّاكَ وَالرَّمْيَ بِنَظَرِكَ
إِلَى خَاصٍّ مِنْ قُوَادِكَ ، أَوْ ذِي أَثَرَةٍ عِنْدَكَ مِنْ حَشَمِكَ . وَلِيَكُنْ نَظَرُكَ مَقْسُومًا
فِي الْجَمِيعِ ، وَإِرَاعَتُكَ سَمْعَكَ ذَا الْحَدِيثِ بِدَعَةٍ هَادِيَةٍ ، وَوَقَارٍ حَسَنٍ ، وَحُضُورِ
فَهْمٍ مُجْتَمِعٍ ، وَقِلَّةِ تَضَجُّرٍ بِالْحَدَّثِ . ثُمَّ لَا يَبْرَحُ وَجْهُكَ إِلَى بَعْضِ حَرَسِكَ وَقُوَادِكَ
مُتَوَجِّهًا بِنَظَرٍ رَكِينٍ ، وَتَفَقُّدٍ مُحْضٍ . وَإِنْ وَجَّهَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَظْرَهُ مُحَدِّقًا ،
أَوْ رَمَاكَ بِبَصَرِهِ مُلِحًّا ، فَاخْفُضْ عَنْهُ إِطْرَاقًا جَمِيلًا بِأَنْدَاعِ وَسُكُونِ . وَإِيَّاكَ

والتسرع في الإطراق ، والحفة في تصريف النظر، والإلحاح على من قصد إليك في مخاطبته إياك راقباً بنظره .

وَأَعْلَمُ أَنَّ تَصَفُّحَكَ وَجْهَ جَلَسَائِكَ وَتَفَقُّدَكَ مَجَالِسَ قُودَاكَ ، مِنْ قُوَّةِ التَّسْدِيرِ ، وَشَهَامَةِ الْقَلْبِ ، وَذَكَاءِ الْفِطْنَةِ ، وَاتِّبَاهِ السَّنَةِ . فَتَفَقَّدَ ذَلِكَ عَارِقًا بَيْنَ حَضْرِكَ وَغَابَ عَنْكَ ، عَالِمًا بِمَوَاضِعِهِمْ مِنْ مَجْلِسِكَ ، ثُمَّ أَعْدَبَهُمْ عَنْ ذَلِكَ سَائِلًا لَهُمْ عَنْ أَشْغَالِهِمُ الَّتِي مَنَعَتْهُمْ مِنْ حَضُورِ مَجْلِسِكَ ، وَعَاقَبْتَهُمْ بِالتَّخَلُّفِ عَنْكَ .

إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ حَشَمِكَ وَأَعْوَانِكَ يَتَّقُ مِنْهُ بَغِيبٌ ضَمِيرٌ ، وَتَعْرِفُ مِنْهُ لَيْنَ طَاعَةٍ ، وَتُسْرِيفُ مِنْهُ عَلَى صِحَّةِ رَأْيٍ ، وَتَأَمُّنُهُ عَلَى مَشُورَتِكَ ، فَإِيَّاكَ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ يَرِدُ عَلَيْكَ ، وَالتَّوَجُّهَ نَحْوَهُ بِنَظَرِكَ عِنْدَ طَوَارِقِ ذَلِكَ ، وَأَنْ تُرِيَهُ أَوْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَجْلِسِكَ أَنَّ بَكَ حَاجَةً إِلَيْهِ مُوحِشَةً ، أَوْ أَنَّ لَيْسَ بِكَ عَنْهُ غَيٌّ فِي التَّسْدِيرِ ، أَوْ أَنَّكَ لَا تَقْضِي دُونَهُ رَأْيًا ، إِشْرَاكًَا مِنْكَ لَهُ فِي رَوِيَّتِكَ ، وَإِدْخَالًَا مِنْكَ لَهُ فِي مَشُورَتِكَ ، وَأَضْطِرَارًا مِنْكَ إِلَى رَأْيِهِ فِي الْأَمْرِ يَعْرُوكُ : فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَخَائِلِ الْعُيُوبِ الَّتِي يَنْتَشِرُ بِهَا سُوءُ الْقَالَةِ عَنْ نَظَرَاتِكَ فَانْفِهَا عَنْ نَفْسِكَ خَائِفًا لِاعْتِلَاقِهَا ذِكْرَكَ ، وَاجْتِنِبْهَا عَنْ رَوِيَّتِكَ قَاطِعًا لِأَطْعَامِ أَوْلِيَائِكَ عَنْ مَثَلِهَا عِنْدَكَ ، أَوْ غُلُوبِهِمْ عَلَيْهَا مِنْكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْمُشُورَةِ مَوْضِعَ الْخُلُوءِ وَانْفِرَادِ النَّظَرِ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ غَايَةٌ تُحِيطُ بِمُحْدُودِهِ ، وَتَجْمَعُ مَعَالِمَهُ . فَابْتَنِيهَا مُحَرِّزًا لَهَا ، وَرُمُهَا طَالِبًا لِنَيْلِهَا ، وَإِيَّاكَ وَالْقُصُورَ عَنْ غَايَتِهَا أَوْ الْعِجْزَ عَنْ دَرَكِهَا ، أَوْ التَّفْرِيطَ فِي طَلَبِهَا . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

إِيَّاكَ وَالْإِغْرَامَ عَنْ حَدِيثٍ مَا أَعْجَبَكَ ، أَوْ أَمْرٍ مَا أَزْدَهَاكَ بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ ، أَوْ الْقَطْعَ لِحَدِيثٍ مَنْ أَرَادَكَ بِحَدِيثِهِ حَتَّى تَقْضِيَهُ عَلَيْهِ بِالْخَوْضِ فِي غَيْرِهِ أَوْ الْمَسْأَلَةِ

عَمَّا لَيْسَ مِنْهُ : فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ الْعَامَّةِ مَنْسُوبٌ إِلَى سُوءِ الْفَهْمِ وَقِصَرِ الْأَدَبِ عَنْ تَأْوِيلِ
نَحَاسِنِ الْأُمُورِ وَالْمَعْرِفَةِ بِمَسَاوِيهَا ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ لِمَحَدِّثِكَ وَأَرْعِهِ سَمْعَكَ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ
قَدْ فِهَمْتَ حَدِيثَهُ ، وَأَحْطَطَ مَعْرِفَةً بِقَوْلِهِ : فَإِنْ أَرَدْتَ إِبَاجَتَهُ فَعِنَ مَعْرِفَةٍ بِحَاجَتِهِ
وَبَعْدَ عِلْمِ بَطْلَانِهِ ؛ وَإِلَّا كُنْتَ عِنْدَ أَنْقِضَاءِ كَلَامِهِ كَالْمَتَعَجِّبِ ^(١) مِنْ حَدِيثِهِ بِالتَّبَسُّمِ
وَالِإِغْضَاءِ ، فَأَجْزِئُ عَنْكَ الْجَوَابَ ، وَقَطْعُ عَنْكَ أَلْسُنَ الْعُتْبِ .

إِيَّاكَ وَأَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ تَبَرُّمٌ بِطُولِ مَجْلِسِكَ ، أَوْ تَضَجُّرٌ مِنْ حَضْرِكَ ؛ وَعَلَيْكَ
بِالتَّثَبُّتِ عِنْدَ سَوْرَةِ الْغَضَبِ ، وَحِمْيَةِ الْأَنْفِ ، وَمَلَالِ الصَّبْرِ فِي الْأَمْرِ تَسْتَعِجِلُ بِهِ
وَالْعَمَلِ تَأْمُرُ بِإِنْفَازِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ سُخْفٌ شَائِنٌ ، وَخِيفَةٌ مُرْدِيَةٌ ، وَجَهَالَةٌ بَادِيَةٌ .
وَعَلَيْكَ بِبُذُوتِ الْمَنْطِقِ ، وَوَقَارِ الْمَجْلِسِ ، وَسُكُونِ الرِّيحِ ، وَالرَّفْضِ لِحَشْوِ الْكَلَامِ ،
وَالْتَّرْكِ لِفَضُولِهِ . ^(٢) وَالِإِغْرَامَ بِالزِّيَادَاتِ فِي مَنْطِقِكَ وَالتَّرْدِيدِ لِلْفُظُكِ : مِنْ نَحْوِ أَسْمِعْ ،
وَأَفْهَمْ عَنِّي ، وَيَاهَنَاهُ ، وَالْأَتَرَى ؛ أَوْ مَا يُنْهَجُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْفَضُولِ الْمُقْصَرَةِ بِأَهْلِ
الْعَقْلِ ، الشَّائِنَةِ لَذَوِي الْحِجَا فِي الْمَنْطِقِ ، الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِمْ بِالْعِيِّ ، الْمُرِيَةِ لَهُمْ بِالذِّكْرِ .
وَخِصَالٌ مِنْ مَعَايِبِ الْمُلُوكِ وَالسُّوْقَةِ عَنْهَا غِيَّةُ النَّظَرِ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا مِنْ أَهْلِ
الْأَدَبِ ، وَقَلَّمَ حَامِلٌ لَهَا ، مَضْطَلَعٌ بِهَا ، صَابِرٌ عَلَى ثِقَلِهَا ، آخِذٌ لِنَفْسِهِ بِجَوَامِعِهَا .
فَانْفِهَا عَنْ نَفْسِكَ بِالتَّحْفُظِ مِنْهَا ، وَأَمْلِكْ عَلَيْهَا أَعْتِيَادَكَ إِيَّاهَا مَعْنِيَا بِهَا : مِنْهَا كَثْرَةُ
التَّخَمُّ ، وَالتَّبَصُّقِ ، وَالتَّنَخُّعِ ، وَالتَّؤَبُّاءِ ، وَالتَّمَطُّيِ ، وَاجْتِشَاءِ ، وَتَحْرِيكِ الْقَدَمِ ،
وَتَقْقِصِ الْأَصَابِعِ ، وَالْعَبَثِ بِالْوَجْهِ وَالتَّلْحِيَةِ أَوْ الشَّارِبِ أَوْ الْمَخْصَرَةِ أَوْ دُؤَابَةِ السَّيْفِ ،
أَوْ الْإِيْمَاضِ بِالنَّظَرِ ، أَوْ الْإِشَارَةِ بِالْطَّرْفِ إِلَى بَعْضِ خَدَمِكَ بِأَمْرٍ إِنْ أَرَدْتَهُ ، أَوْ السَّرَارِ
فِي مَجْلِسِكَ ، أَوْ الْإِسْتِعْجَالِ فِي طَعْمِكَ أَوْ شُرْبِكَ . وَلِيَكُنْ طَعْمُكَ مَتَدِّعًا ، وَشُرْبُكَ

(١) فِي الْمَفْتَاحِ وَغَيْرِهِ كَالْمَتَلَلِ وَهِيَ وَاضِحَةٌ .

(٢) مُرَادُهُ وَالتَّرْكَ لِلْإِغْرَامِ أَيْ الْوُلُوعِ بِالزِّيَادَاتِ الْخِ فَهُوَ مِنَ الْمُنْهَى عَنْهُ بِدَلِيلِ بَقِيَّةِ الْكَلَامِ فَتَبَهُ .

أنفاسا ، وَجَرُّكَ مَصًّا . وَإِيَّاكَ وَالتَّسَرُّعَ إِلَى الْإِيمَانِ فِيمَا صَغُرَ أَوْ كَبُرَ مِنَ الْأُمُورِ ،
وَالشَّتِيمَةَ بِقَوْلِ يَا أَبْنِ الْهَنَاءَةِ ، أَوْ الْغَمِيزَةَ لِأَحَدٍ مِنْ خَاصَّتِكَ بِتَسْوِيغِهِمْ مَقَارَفَةَ
الْفُسُوقِ بِحَيْثُ مُحَضَّرُكَ أَوْ دَارُكَ وَفَنَائُكَ : فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِمَّا يَقْبَحُ ذِكْرَهُ ، وَيُسُوءُ
مَوْقِعَ الْقَوْلِ فِيهِ ، وَتَحْمُلُ عَلَيْكَ مَعَايِيَهُ ، وَيُنَالُكَ شَيْنُهُ ، وَيَنْتَشِرُ عَلَيْكَ سُوءُ النَّبِيَاءِ بِهِ .
فَاعْرِفْ ذَلِكَ مَتَوَقِّيًا لَهُ ، وَاحْذَرِهِ مَجَانِبًا لِسُوءِ عَاقِبَتِهِ .

أَسْتَكْثِرُ مِنْ فَوَائِدِ الْخَيْرِ : فَإِنَّهَا تَنْشُرُ الْمَحَمْدَةَ ، وَتُقِيلُ الْعَثْرَةَ ، وَأَصْبِرُ عَلَى كَظْمِ
الْغَيْظِ : فَإِنَّهُ يُورِثُ الرَّاحَةَ ، وَيُؤَمِّنُ السَّاحَةَ ، وَتَعَهَّدُ الْعَامَّةَ بِمَعْرِفَةِ دَخْلِهِمْ ، وَتُبْطِنُ
أَحْوَالَهُمْ ، وَاسْتِنَارَةُ دَفَائِنِهِمْ ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهَا عَلَى رَأْيِ عَيْنٍ ، وَيَقِينِ خُبْرَةٍ ، فَتُنْعِشَ
عَدِيمَهُمْ ، وَتَجْبُرَ كَسِيرَهُمْ ، وَتُقِيمَ أَوْدَهُمْ ، وَتُعَلِّمَ جَاهِلَهُمْ ، وَتَسْتَصْلِحَ فَاسِدَهُمْ : فَإِنَّ
ذَلِكَ مِنْ فِعْلِكَ بِهِمْ يُورِثُكَ الْعِزَّةَ ، وَيَقْدِمُكَ فِي الْفَضْلِ ، وَيُبْقِيْ لَكَ لِسَانَ الصِّدْقِ
فِي الْعَاقِبَةِ ، وَيُجَرِّزُ لَكَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ ، وَيُرِدُّ عَلَيْكَ عَوَاطِفَهُمُ الْمُسْتَفْرِغَةَ مِنْكَ ، وَقُلُوبَهُمْ
الْمُنْتَحِجَّةَ عَنْكَ .

قَسِّ بَيْنَ مَنَازِلِ أَهْلِ الْفَضْلِ فِي الدِّينِ وَالْجَمِّ وَالرَّأْيِ ، وَالْعَقْلِ وَالتَّنْذِيرِ ،
وَالصَّيِّتِ فِي الْعَامَّةِ ، وَبَيْنَ مَنَازِلِ أَهْلِ النِّقْصِ فِي طَبَقَاتِ الْفَضْلِ وَأَحْوَالِهِ ،
وَالْخُجُولِ عِنْدَ مَبَاهِاتِ النَّسَبِ ، وَأَنْظُرْ بِصُحْبَةِ آيِهِمْ تَنَالُ مِنْ مَوَدَّتِهِ الْجَمِيلِ ، وَتَسْتَجْمِعُ
لَكَ أَقَاوِيلَ الْعَامَةِ عَلَى التَّفْضِيلِ ، وَتَبْلُغُ دَرَجَةَ الشَّرَفِ فِي أَحْوَالِكَ الْمُنْصَرِّفَةِ بِكَ .
فَاعْتَمِدْ عَلَيْهِمْ مُدْخِلًا لَهُمْ فِي أَمْرِكَ ، وَآثِرْهُمْ بِمَجَالَسَتِكَ لَهُمْ مُسْتَمِعًا مِنْهُمْ ، وَإِيَّاكَ
وَتَضْيِيعَهُمْ مَفْطَرًا ، وَإِهْمَالَهُمْ مُضَيِّعًا .

هَذِهِ جَوَامِعُ خُصَالٍ قَدْ لَخَّصَهَا لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُفَسِّرًا ، وَجَمَعَ لَكَ شَوَاهِدًا
مَوْثِقًا ، وَأَهْدَاهَا إِلَيْكَ مُرَشِّدًا ، فَفَقِّ عِنْدَ أَوَامِرِهَا ، وَتَنَاهَ عَنْ زَوَاجِرِهَا ، وَتَثَبَّتْ

في مجامعها؛ وحُذِّبَتْ عُرَاهَا تَسْلَمَ من معَاطِبِ الرَّدَى ، وتَلَّ أَنْفَسَ الحُطُوطِ
وَرِغِبَ الشَّرَفِ ؛ وأَعْلَى دَرَجَ الذِّكْرِ ، وتَأَثَّلَ سَطْرَ العِزِّ (١) ، واللَّهِ يَسْأَلُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
حُسْنَ الإِرشَادِ ، وتَتَابَعُ المَزِيدَ وبلوغَ الأَمَلِ ، وأنَّ يَجْعَلَ عَاقِبَةُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غِبْطَةِ
يُسُوءُكَ إِيَّاهَا ، وعَافِيَةٍ يُحِلُّكَ أَكْثَافَهَا ، ونِعْمَةٌ يُلْهِمُكَ شُكْرَهَا : فَإِنَّهُ المَوْفَّقُ للخَيْرِ ،
والمُعِينُ عَلَى الإِرشَادِ ؛ مِنْهُ تَمَامُ الصَّالِحَاتِ ، وَهُوَ مُوَفِّقُ الحَسَنَاتِ ، عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ
الخَيْرِ ، وَبِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

فَإِذَا أَفْضَيْتَ نَحْوَ عُدُوكَ ، وَاعْتَرَمْتَ عَلَى لِقَائِهِمْ ، وَأَخَذْتَ أَهْبَةَ قِتَالِهِمْ ، فَاجْعَلْ
دِعَامَتَكَ الَّتِي تَلْجَأُ إِلَيْهَا ، وَثِقَتَكَ الَّتِي تَأْمَلُ النِّجَاةَ بِهَا ، وَرُكْنَكَ الَّذِي تَرْتَجِي مَنَالَةَ
الظَّفَرِ بِهِ ، وَتُكْتَفِ بِهِ لِمَعَاقِلِ الحَذَرِ تَقْوَى اللّهِ مُسْتَشْعِرًا لَهَا بِمِرَاقِبَتِهِ ، وَالْإِعْتَصَامَ
بِطَاعَتِهِ مُتَبَعًا لِأَمْرِهِ ، مُجْتَنِبًا لِسُخْطِهِ ، مُحْتَذِيًا سُنَّتَهُ ، وَالتَّوَقُّقَ لِمَعَاصِيهِ فِي تَعْطِيلِ
حُدُودِهِ ، أَوْ تَعَدِّي شَرَائِعِهِ ؛ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ فِيَا صَمَدَتَ لَهُ ، وَاثِقًا بِنَصْرِهِ فِيَا تَوَجُّهَتْ
نَحْوَهُ ، مُتَبَرِّئًا مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ فِيَا نَالَكَ مِنْ ظَفَرٍ ، وَتَلَقَّكَ مِنْ عِزٍّ ؛ رَاغِبًا فِيَا أَهَابَ^(١)
بِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ الجِهَادِ وَرَمَى بِكَ إِلَيْهِ ، مَحْمُودَ الصَّبْرِ فِيهِ عِنْدَ اللّهِ مِنْ
قِتَالِ عَدُوِّ المُسْلِمِينَ ، أَكْلَبَهُمْ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَهُ عِدَاوَةً لَهُمْ ، وَأَفْدَحَهُ ثِقْلًا لِعَامَّتِهِمْ ، وَأَخَذَهُ
بِرَبْقِهِمْ ، وَأَعْلَاهُ عَلَيْهِمْ بَغْيًا ، وَأَظْهَرَهُ عَلَيْهِمْ فِسْقًا وَجُحُورًا ، وَأَشَدَّهُ عَلَى فَيْئِهِمُ الَّذِي
أَصَارَهُ اللّهُ لَهُمْ وَفَتَحَهُ عَلَيْهِمْ مَثُونَةً وَكَلًّا . واللّهُ المُسْتَعَانُ عَلَيْهِمْ ، وَالمُسْتَنْصَرُّ عَلَى
جَمَاعَتِهِمْ ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِيَّاهُ يَسْتَضِيحُ عَلَيْهِمْ ، وَإِلَيْهِ يَفُوضُ أَمْرُهُ
وَكُفَى بِاللّهِ وَلِيًّا وَنَاصِرًا وَمُعِينًا ، وَهُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ .

(١) هو من قولهم أهاب بالابل إذا دعاها فتنبه .

ثم خذ من معك من تَبَاعِكَ وجُنْدِكَ بِكَفِّ مَعَرَّتِهِمْ ، وردّ مشْتَعِلِ جَهْلِهِمْ ،
واحكام ضياع عملهم ، وضمّ منتشر قواصِيهِمْ ، ولمّ شعث أطرافهم ، وتقييدهم عمن
مرّوا به من أهل ذِمَّتِكَ وملتك بحسن السيرة ، وعفاف الطُعمَةِ ، ودعة الوقار ، وهدى
الدّعة ، وجمام المستجم ، محكما ذلك منهم ، متفقدا لهم تفقدك إِيَّاه من نفسك .
ثم أضمِدْ لعدوك المتسمّى بالإسلام ، الخارج من جماعة أهله ، المتحلّ ولاية الدين
مستحلاّ لدماء أوليائه ، طاعنا عليهم ، راغبا عن سُنتهم ، مفارقا لشرائعهم ؛ يَبْغِيهِمْ
الغوائل ، وينصبُ لهم المكايِدَ ؛ أضرمُ حَقدا عليهم ، وأرصدُ عداوةً لهم ، وأطلبُ
لغزاتِ فُرصهم من التُّرك ، وأممُ الشرك ، وطواغى الملل ؛ يدعُو إلى المعصية والفرقة ،
والمُرُوق من دين الله إلى الفتنه ، مخترعا بهواه للأديان المتحلّة والسّدع المتفرقة
خسارا وتخسيرا ، وضلّالا وتضليلا ، بغير هُدًى من الله ولا بيان . ساء ما كسبت
له يَدَاهُ [وما الله بظلام للعبيد ^(١)] وساء ما سَوَّلَتْ له نَفْسُهُ الأَمَارَةُ بالسُّوء ، والله من
ورائه بالمِرْصاد : ﴿ وَسِعَ الْعِلْمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

حَصَّنْ جُنْدَكَ ، وَأَشْكُمُ نَفْسَكَ بطاعة الله في مجاهدة أعدائه ، وأرجُ نصره ، ونَجِّزْ
مَوْعُودَهُ ، متقدما في طلب ثوابه على جهادهم ، معترّما في آبتغاء الوسيلة إليه على
لقائهم : فَإِنَّ طَاعَتَكَ إِيَّاه فيهم ، ومراقبتك له ورجاءك نصره مُسَهِّلٌ لك وَعُورَةٌ ،
وعاصِمٌك من كل سُبَّة ، ومُنْجِيك من كل هُوَةٍ ، وناعِشٌك من كل صَرَعَةٍ ، ومُقِيلٌك
من كل كَبُوءَةٍ ، وداريئٌك عن كل شُبْهَةٍ ، ومُذهِبٌك عنك لَطْخَةَ كُلِّ شَكٍّ ، ومُقَوِّيك
بِكُلِّ أَيْدٍ ومِكِيدَةٍ ، ومُعِزُّك في كل مَعَرَكَةٍ قتال ، ومؤيِّدٌك في كل مَجْمَعٍ لقاء ، وكَالِكٌك

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" ص ٢٤٣ .

عند كل فتنة مُغْشِيه ^(١) ، وحائطك من كل شبهة مُرْدِيه ، والله وليك وأمير المؤمنين فيك ، والمستخلف على جُندك ومن معك .

اعلم أَنَّ الظفر ظَفَرَان : أحدهما وهو أعم منفعةً ، وأبلغ في حُسن الذكر قالةً ، وأحوطه سَلامة ، وأتمه عافيةً ، وأحسنه في الأمور وأعلاه في الفضل شرفاً ، وأصحّه في الرويَّة حرماً ، وأسلمه عند العامة مَصْدرًا - مانيل بسلامة الجنود ، وحُسن الجيلة ، ولطف المَكيدة [ويُنمِ النقيية ^(٢)] واستِزال طاعة ذَوِي الصُّدوف بغير إخطار الجيوش في وقدة جَمرة الحرب ، ومُبارزة الفُرسان في معترك الموت ، وإن ساعدتك طُلُوق الظفر ، ونالك مزيد السعادة في الشرف ، ففي مُخاطرة التَلَف مكروه المصائب ، وعِصَاضُ السيف وألم الجراح ، وقِصَاص الحروب وسِجَالُهَا بِمُغَاوَرَة أَبْطَالِهَا . على أنك لا تَدْرِي لَأَيَّ يكون الظفر في البديهة ، ومن المغلوب بالدولة ، ولعلك أن تكون المطلوب بالتمحيص . فحاول إصابة أبلغهما في سلامة جُندك ورعيّتك ، وأشهرهما صيتاً في بُدُو تديريك ورأيك ، وأجمعهما لَأَلْفَة وليك وعدوك ، وأعونهما على صلاح رعيّتك وأهل ملّتك ، وأقواهما شَكِمة في حَزْمك ، وأبعدهما من وَصْم عَزْمك ، وأعلّقهما بزِمَام النجاة في آخِرَتك ، وأجزّلها ثواباً عند ربّك .

وَأَبْدَأُ بالإعذار إلى عدوك ، والدُّعاء لهم إلى مراجعة الطاعة ، وأمر الجماعة ، وعِزِّ الأَلْفَة ؛ أَخْذاً بالجمّة عليهم ، متقدّماً بالإِنْذار لهم ، باسْطاً أمانك لمن لجأ إليك منهم ، داعياً [لهم إليه ^(٢)] بِالْأَيْن لفظك والطف حيلك ، متعظّاً برأفك عليهم ، مترقّقاً بهم

(١) أى مدلهمة سوداء من قولهم أغشى الليل إذا أظلم . تأمل .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" ص ٢٤٤ وغيره .

فِي دُعَاكَ ، مُشْفِقًا عَلَيْهِمْ مِنْ غَلَبَةِ الْغَوَايَةِ لَهُمْ ، وَإِحَاطَةً الْهَلَكَةِ بِهِمْ ، مُنْقِذًا رُسُلَكَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْإِنْذَارِ ، تَعُدُّهُمْ إِعْطَاءَ كُلِّ رَغْبَةٍ يَهْشُ إِلَيْهَا طَمَعُهُمْ فِي مَوَافَقَةِ الْحَقِّ ، وَبَسْطَ كُلِّ أَمَانٍ سَأَلُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ وَمَنْ مَعَهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ ؛ مُوَثَّقًا نَفْسَكَ فِيمَا تَبْسُطُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، وَالصَّبْرِ عَلَى مَا أُعْطِيَتْهُمْ مِنْ وَثَاقٍ عَقْدِكَ ؛ قَابِلًا تَوْبَةَ نَازِعِهِمْ عَنِ الضَّلَالَةِ ، وَمُرَاجِعَةً مُسِيئِهِمْ إِلَى الطَّاعَةِ ؛ مُرْصِدًا لِلتُّخَازِ إِلَى فِتْنَةِ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتِهِمْ إِبْجَابَةً إِلَى مَا دَعَوْتَهُ إِلَيْهِ وَبَصَرَتَهُ إِيَّاهُ مِنْ حَقِّكَ وَطَاعَتِكَ ، بِفَضْلِ الْمِثْلَةِ ؛ وَإِكْرَامِ الْمَثْوَى ، وَتَشْرِيفِ الْحَاضِرِ . وَلِيُظْهَرَ مِنْ أَتْرَكَ عَلَيْهِ ، وَإِحْسَانِكَ [إِلَيْهِ] مَا يَرِغَبُ فِي مِثْلِهِ الصَّادِقُ عَنْكَ ، الْمُصْرُّ عَلَى خِلَافِكَ وَمَعْصِيَتِكَ ؛ وَيَدْعُو إِلَى آَعْتِلَاقِ حَبْلِ النِّجَاطِ وَمَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ فِي الْآَعْتِصَامِ عَاجِلًا ، وَأُنْجِي لَهُ مِنَ الْعِقَابِ آَجَلًا ، وَأُحِيطُ بِهِ عَلَى دِينِهِ وَمُهِجَّتِهِ بَدَأَ وَعَاقِبَتِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَدْعِي بِهِ مِنْ اللَّهِ نَصْرَهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَعْتِصِدُ بِهِ فِي تَقْدِيمِهِ الْحُجَّةَ إِلَيْهِمْ ، مُعْذِرًا أَوْ مُنْذِرًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ أَذْكُ عِيُونَكَ عَلَى عَدُوِّكَ مُتَطَّلِعًا لَعَلَّ أَحْوَالَهُمْ الَّتِي يَتَقَبَّلُونَ فِيهَا ، وَمَنَازِلَهُمْ الَّتِي هُمْ بِهَا ، وَمَطَامِعِهِمْ الَّتِي قَدِمَتْهُوا أَعْنَاقَهُمْ نَحْوَهَا ، وَأَيُّ الْأُمُورِ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الصُّلْحِ ، وَأَقْوَدُهَا لِرِضَاهُمْ إِلَى الْعَافِيَةِ ، وَأَسْهَلُهَا لِاسْتِزَالِ طَاعَتِهِمْ ، وَمِنْ أَيِّ الْوُجُوهِ مَأْتَاهُمْ : أَمِنْ قَبْلِ الشَّدَةِ وَالْمُنَافَرَةِ وَالْمَكِيدَةِ وَالْمُبَاعَدَةِ وَالْإِرْهَابِ وَالْإِيْعَادِ ، أَوِ التَّرْغِيبِ وَالْإِطَاعِ ، مُتَبَيِّنًا فِي أَمْرِكَ ، مُتَخَيِّرًا فِي رُؤْيَيْكَ ، مُسْتَمَكًّا مِنْ رَأْيِكَ ، مُسْتَشِيرًا لَدَوَى النَّصِيحَةِ الَّذِينَ قَدْ حَنَّكَتْهُمْ السَّنُّ ، وَخَبَطَتْهُمْ التَّجْرِبَةُ ، وَنَجَّدَتْهُمْ الْحُرُوبُ ؛ مُتَشَرِّفًا ^(١) فِي حَرْبِكَ ، آَخِذًا بِالْحَزْمِ فِي سُوءِ الظَّنِّ ، مُعِدًّا لِلْحَدَرِ ، مُحْتَرِسًا مِنَ الْغِرَّةِ ؛ كَأَنَّكَ فِي مَسِيرِكَ كُلَّهُ وَزُورِكَ أَجْمَعَ مُوَافِقٌ لِعَدُوِّكَ رَأَى عَيْنٍ تَنْتَظِرُ حِمْلَاتِهِمْ ، وَتَخُوفُ

(١) هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ تَشَرَّفَ لِلْمَرْتَابَةِ .

كَرَّاتِهِمْ ، مُعَدًّا أَقْوَى مَكَائِدِكَ ، وَأَرْهَبَ عَتَادِكَ ، وَأُنْكَأَ جِدِّكَ ، وَأَجَدَّ تَشْمِيرِكَ ؛ مَعْظَمًا
أَمْرَ عَدُوِّكَ لِأَعْظَمَ مِمَّا بَلَغَكَ ، حَدَرًا يَكَادُ يُقْرِطُ ^(١) : لُتَعَدِّلَهُ مِنَ الْإِحْتِرَاسِ عَظِيمًا ، وَمِنْ
الْمَكِيدَةِ قَوِيًّا ؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْثَاكَ ذَلِكَ عَنْ إِحْكَامِ أُمُورِكَ ، وَتَدْبِيرِ رَأْيِكَ ، وَإِصْدَارِ
رَوِيَّتِكَ ، وَالتَّأْهِبِ لِمَا يَحْزُبُكَ ؛ مَصْغَرًا لَهُ بَعْدَ اسْتِشْعَارِ الْحَذَرِ ، وَأَضْطِرَّارِ الْحَزْمِ ،
وِإِعْمَالِ الرُّوِيَّةِ ، وَإِعْدَادِ الْأُهْبَةِ : فَإِنْ أَلْفَيْتَ عَدُوَّكَ كِلِيلَ الْحَدِّ ، وَقَمَّ الْحَزْمُ ،
نَضِيبُ الْوَفْرِ ^(٢) ، لَمْ يَضُرَّكَ مَا أَعْتَدَدْتَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ ، وَأَخَذْتَ لَهُ مِنْ حَزْمٍ ؛ وَلَمْ يَزِدْكَ
ذَلِكَ إِلَّا جُرْأَةً عَلَيْهِ ، وَتَسْرَعًا إِلَى لِقَائِهِ . وَإِنْ أَلْفَيْتَهُ مَتَوَقِّدَ الْحَرْبِ ، مُسْتَكْنِفَ
الْجَمْعِ ، قَوِيَّ التَّبَعِ ، مُسْتَعْلَى سَوْرَةِ الْجَهْلِ ؛ مَعَهُ مِنْ أَعْوَانِ الْفِتْنَةِ وَتَبَعَ الْإِلْيَسِ مِنْ
يُوقِدُ لَهَبَ الْفِتْنَةِ مَسْعَرًا ، وَيَتَقَدَّمُ إِلَى لِقَاءِ أَبْطَالِهَا مَتَسْرِعًا ، كُنْتَ لِأَخْذِكَ بِالْحَزْمِ ،
وَأَسْتِعْدَادِكَ بِالْقُوَّةِ ؛ غَيْرَ مُهْمِينَ الْجَنْدِ ، وَلَا مُقَرِّطٍ فِي الرَّأْيِ ، وَلَا مُتْلَهِّفٍ عَلَى إِضَاعَةِ
تَدْبِيرٍ ، وَلَا مُحْتَاجٍ إِلَى الْإِعْدَادِ وَعَجَلَةِ التَّأْهِبِ مَبَادِرَةً تَدْهَشُكَ ، وَخَوْفًا يُقْلِقُكَ .
وَمَتَى تَغْتَرَّبَ تَرْبِيقَ الْمُرَقِّقِينَ ، وَتَأْخُذَ بِالْهُوْنِيِّ فِي أَمْرِ عَدُوِّكَ لِتَصْغِيرِ الْمَصْغَرِينَ ، يَنْتَشِرُ
عَلَيْكَ رَأْيُكَ ، وَيَكُونُ فِيهِ أَنْتِقَاضُ أَمْرِكَ وَوَهْنُ تَدْبِيرِكَ ، وَإِهْمَالُ الْحَزْمِ فِي جُنْدِكَ ،
وَتَضْيِيعٌ لَهُ وَهُوَ مُمَكِّنُ الْإِصْحَارِ ، رَحْبُ الْمَطْلَبِ ، قَوِيَّ الْعِصْمَةِ ، فَسِيحُ الْمَضْطَرَبِ ؛
مَعَ مَا يَدْخُلُ رَعِيَّتِكَ مِنَ الْإِغْتِرَارِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ إِحْكَامِ أَحْرَاسِهِمْ ، وَضَبْطِ مَرَاكِزِهِمْ ؛
لِمَا يَرُونَ فِيهِ مِنْ أَسْتِنَامَتِكَ إِلَى الْغُرَّةِ ، وَرُكُونِكَ إِلَى الْأَمْنِ ، وَتَهَاوُنِكَ بِالتَّدْبِيرِ ؛ فَيَعُودُ
ذَلِكَ عَلَيْكَ فِي اتِّشَارِ الْأَطْرَافِ ، وَضْيَاجِ الْأَحْكَامِ ، وَدُخُولِ الْوَهْنِ بِمَا لَا يُسْتَقَالُ
مَحْذُورُهُ ، وَلَا يُدْفَعُ مَخُوفُهُ .

(١) بِالْقَاءِ وَالْثَاءِ الْمُثَلَّثَةِ أَيْ يَكْسِرُكَ وَيُزْجِرُكَ عَنْ الْحَزْمِ .

(٢) أَيْ قَلِيلُ الْوَفْرِ وَالْمَالِ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ نَضِيبُ الْوَفْرِ قَلِيلُهُ .

أَحْفَظُ مِنْ عَيْونِكَ وَجَوَاسِيسِكَ مَا يَأْتُونُكَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ عَدُوِّكَ . وَإِيَّاكَ وَمَعَاقِبَةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى خَبَرٍ إِنَّ أَتَاكَ بِهِ أَتَّهَمْتَهُ فِيهِ أَوْ سُوِّتَ بِهِ ظَنًّا وَأَتَاكَ غَيْرُهُ بِخِلَافِهِ ، أَوْ أَنْ تَكْذِبَهُ فِيهِ فُتِّرَدَهُ عَلَيْهِ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَمَّضَكَ النِّصِيحَةَ وَصَدَقَكَ الْخَبَرَ ، وَكَذَبَكَ الْأَوَّلُ ، أَوْ خَرَجَ جَاسُوسُكَ الْأَوَّلُ مُتَقَدِّمًا قَبْلَ وَصُولِ هَذَا مِنْ عِنْدِ عَدُوِّكَ ، وَقَدْ أBRُمُوا لَكَ أَمْرًا ، وَحَاوَلُوا لَكَ مَكِيدَةً ، وَأَرَادُوا مِنْكَ غِرَّةً ، فَازْدَلَفُوا إِلَيْكَ فِي الْأَهْبَةِ ثُمَّ أَنْتَقَضَ بِهِمْ رَأْيُهُمْ ، وَاخْتَلَفَ عَنْهُ جَمَاعَتُهُمْ ؛ فَأَرَادُوا رَأْيًا ، وَأَحْدَثُوا مَكِيدَةً ، وَأَظْهَرُوا قُوَّةً ، وَضَرَبُوا مَوْعِدًا ، وَأَمَّوْا مَسْلَكًا لِمَدَدِ أَتَاهُمْ ، أَوْ قُوَّةً حَدَثَتْ لَهُمْ ، أَوْ بَصِيرَةً فِي ضَلَالَةٍ شَغَلَتْهُمْ ؛ فَالْأَحْوَالُ بِهِمْ مُتَنَقِّلَةٌ فِي السَّاعَاتِ ، وَطَوَارِقُ الْحَادِثَاتِ . وَلَكِنْ أَلْبَسَهُمْ جَمِيعًا عَلَى الْإِتِّصَاحِ ، وَأَرْضَخَ لَهُمُ بِالْمَطَامِعِ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْتَعِيدَهُمْ بِمَنْطَلِقِهَا . وَعِنْدَهُمْ جَزَالَةُ الْمَثَاوِبِ ، فِي غَيْرِ مَا أَسْتِنَامَةٍ مِنْكَ إِلَى تَرْقِيقِهِمْ أَمْرَ عَدُوِّكَ ، وَالْأَغْتِرَارِ إِلَى مَا يَأْتُونُكَ بِهِ دُونَ أَنْ تُعْمَلَ رَوِيَّتُكَ فِي الْأَخْذِ بِالْحَزْمِ ، وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الْعُدَّةِ . وَاجْعَلْهُمْ أَوْثَقَ مِنْ تَقْدِيرِ عَلَيْهِ ، وَأَمِّنْ مِنْ تَسْكُنِ إِلَى نَاجِيَّتِهِ : لِيَكُونَ مَا يُبْرِمُ عَدُوَّكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عِنْدَكَ إِنْ أَسْتَطَعْتَ ذَلِكَ ، فَتَنْقُضَ عَلَيْهِمْ بِرَأْيِكَ وَتُدْبِرَكَ مَا أBRُمُوا ، وَتَأْتِيَهُمْ مِنْ حَيْثُ أَمِنُوا ، وَتَأْخُذَ لَهُمْ أَهْبَةُ مَا عَلَيْهِ أَقْدَمُوا ، وَتَسْتَعِدَّ لَهُمْ بِمَنْطَلِقِهَا مَا حَذَرُوا .

وَأَعْلَمْ أَنَّ جَوَاسِيسَكَ وَعُيُونَكَ رُبَّمَا صَدَقُوكَ ، وَرُبَّمَا غَشَّوْكَ ، وَرُبَّمَا كَانُوا لَكَ وَعَالِيكَ فَنَصَحُوا لَكَ وَغَشَّوْا عَدُوَّكَ وَغَشَّوْكَ وَنَصَحُوا عَدُوَّكَ ، وَكَثِيرًا مَا يَصْدُقُونَكَ وَيَصْدُقُونَهُ . فَلَا تَبْدُرَنَّ مِنْكَ فَرْطَةُ عَقُوبَةٍ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَلَا تَعْجَلْ بِسُوءِ الظَّنِّ إِلَى مَنْ أَتَّهَمْتَهُ عَلَى ذَلِكَ ؛ وَأَسْتَنْزِلْ نَصَائِحَهُمْ بِالْمِالِاحَةِ وَالْمَنَالَةِ ، وَأَبْسُطْ مِنْ أَمَالِهِمْ فِيكَ مَنْ غَيْرِ أَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنَّكَ أَخَذْتَ مِنْ قَوْلِهِ أَخْذَ الْعَامِلِ بِهِ وَالْمَتَّبِعِ لَهُ ، أَوْ عَمِلْتَ عَلَى رَأْيِهِ عَمَلَ الصَّادِرِ عَنْهُ ، أَوْ رَدَّدْتَهُ عَلَيْهِ رَدَّ الْمَكْذُوبِ بِهِ ، الْمَتَّهِمِ لَهُ ،

المستخف بما أتاك منه ، فتفسد بذلك نصيحته ، وتستدعي غشه ، وتجتر عداوته .
 وأحذر أن يعرفوا في عسكرك أو يُشار إليهم بالأصابع ، وليكن منزلهم على كاتب رسائك .
 وأمين سرك ، ويكون هو الوجه لهم ، والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم .

وَأَعْلَمْ أَنَّ لَعْدُوكَ فِي عَسْكَرِكَ عُيُونًا رَاصِدَةً ، وَجَوَاسِيسَ مُتَجَسِّسَةً ، وَأَنَّهُ إِنْ يَرَى رَأْيُهُ عَنْ مَكِيدَتِكَ بِمَثَلِ مَا تُكَايِدُهُ بِهِ ، وَسِيحْتَالُ لَكَ كَأَحْيَاكَ لَهُ ، وَيُعَدُّ لَكَ كَأَعْدَاكَ فِيمَا تُزَاوِلُهُ مِنْهُ ، وَيُحَاوِلُكَ كِمَحَاوِلَتِكَ إِيَّاهُ فِيمَا تُقَارِعُهُ عَنْهُ ؛ فَاحْذَرُ أَنْ يُشَبِّهَ رَجُلٌ مِنْ جَوَاسِيسِكَ فِي عَسْكَرِكَ فَيُبَلِّغُ ذَلِكَ عَدُوَّكَ وَيَعْرِفَ مَوْضِعَهُ ، فَيُعِدَّ لَهُ الْمَرَّاصِدَ ، وَيَحْتَالُ لَهُ بِالْمَكَايِدِ . فَإِنْ ظَفِرَ بِهِ فَأُظْهِرَ عَقُوبَتَهُ ، كَسَرْتَ ذَلِكَ ثِقَاتِ عُيُونِكَ ، وَخَدَلْتَهُمْ عَنْ تَطَلُّبِ الْأَخْبَارِ مِنْ مَعَادِنِهَا ، وَأَسْتَقْصَايَ مِنْ عُيُونِهَا ، وَأَسْتِعْذَابِ اجْتِنَائِهَا مِنْ بِنَايِعِهَا ، حَتَّى يَصِيرُوا إِلَى اخْذِهَا مِمَّا عَرَضَ مِنْ غَيْرِ الثَّقَةِ وَلَا الْمَعَانِيَةِ ، لَقَطًا لَهَا بِالْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ ، وَالْأَحَادِيثِ الْمُرْجَفَةِ . وَاحْذَرُ أَنْ يَعْرِفَ بَعْضُ عُيُونِكَ بَعْضًا : فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ تَوَاطُؤَهُمْ عَلَيْكَ ، وَمُمَالَاتِهِمْ عَدُوَّكَ ، وَاجْتِمَاعَهُمْ عَلَى غِشِّكَ ، وَتَطَابُقِهِمْ عَلَى كَذِبِكَ ، وَإِصْفَاقِهِمْ عَلَى خِيَانَتِكَ ^(١) ، وَأَنْ يُورِطَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عِنْدَ عَدُوِّكَ . فَاحْكِمْ أَمْرَهُمْ فَإِنَّهُمْ رَأْسُ مَكِيدَتِكَ ، وَقِوَامُ تَدْيِيرِكَ ؛ وَعَلَيْهِمْ مَدَارُ حَرْبِكَ ، وَهُوَ أَوَّلُ ظَفَرِكَ . فَاعْمَلْ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ وَحَيْثُ رَجَاؤُكَ بِهِ ، تَلَّ أَمْلَكَ مِنْ عَدُوِّكَ ، وَقُوَّتَكَ عَلَى قِتَالِهِ ، وَأَحْيَاكَ لِإِصَابَةِ غُرَّتِهِ وَاتِّهَازِ قُرْصِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَإِذَا أَحْكَمْتَ ذَلِكَ وَتَقَدَّمْتَ فِي إِتْقَانِهِ ، وَأُسْتَظْهَرْتَ بِاللَّهِ وَعَوْنِهِ ، فَوَلَّ شُرْطَتَكَ وَأَمَرَ عَسْكَرِكَ أَوْتَقَّ قُودَاكَ عِنْدَكَ ، وَأُظْهِرَهُمْ نَصِيحَةً لَكَ ، وَأَنْقَذَهُمْ بِصِيرَةٍ

(١) في "مفتاح الأفكار" وغيره « كائنة » .

(٢) كذا في الأصول . وفي "رسائل البلغاء" « وأن رأيه في مكيدتك مثل ما تكايد به » . تأمل .

(٣) أى اجتماعهم من قولهم أصفقوا على الأمر اجتمعوا عليه .

في طاعتك ، وأقواهم شكيمةً في أمرك ، وأمضاهم صريمةً ^(١) ، وأصدقهم عفاً ، وأجزأهم غناءً ، وأكفاهم أمانةً ، وأصحهم ضميراً ، وأرضاهم في العامة ديناً ، وأحمدهم عند الجماعة خُلُقاً ، وأعطفهم على كآبتهم رأفةً ، وأحسنهم لهم نظراً ، وأشدّهم في دين الله وحقّه صلابةً . ثم فوّض إليه مقوّياً له ، وأبسّط من أمّله مُظهِراً عنه الرضا ، حامداً منه الابتلاء . وليكنّ علماً بمرآة الجنود ، بصيراً بتقدّم المنازل ، مجرباً ، ذا رأى وتجربةٍ وحزمٍ في المكيّدة ؛ له نباهةٌ في الذّكر ، وصيتٌ في الولاية ؛ معروف البيت ، مشهور الحسب . وتقدّم إليه في ضبط معسكره ، وإذكاء أحراسه في آناء ليله ونهاره ؛ ثم حذّره أن يكون منه إذنٌ لجنوده في الاتّشار والأضطراب ، والتقدّم لطلائعك ، فتصاب لهم غزوةٌ يمتري بها عدوك عليك ، ويسرع إقداماً إليك ، ويكسر من إباد جنّدتك ويوهن من قوتهم : فإنّ الصوت في إصابة عدوك الرجل الواحد من جنّدتك أو عبيدهم مطمئنّ لهم فيك ، مقوّم لهم على شحذ أتباعهم عليك وتصغيرهم أمرك ، وتوهمهم تدبيرك . فحذّره ذلك وتقدّم إليه فيه . ولا يكوننّ منه إفراطٌ في التضييق عليهم ، والخصر لهم ، فيعمهم أزلّه ، ويشملهم ضنكّه ؛ وتسوء عليهم حاله ، وتشتدّ به المؤونة عليهم ، وتخبّث له طُنُونهم . وليكنّ موضعُ إنزاله إياهم ضاماً لجماعتهم ، مستديراً بهم جامعاً لهم ، ولا يكون منبسّطاً منتشراً متبدّداً ، فيشُقّ ذلك على أصحاب الأحراس ، وتكون فيه التّهزة للعدوّ ، والبُعد من المادّة إن طرّق طارق في فجّات الليل وبغّاتاته . وأوعزْ إليه في أحراسه ، وتقدّم إليه فيهم كأشدّ التقدّم وأبلغ الإيعاز . ومُرّه فليولّ عليهم رجلاً ركيناً مجرباً جريء الإقدام ، ذا كَيْ الصّرامة ،

(١) الصريمة العزيمة .

(٢) في مفتاح الأفكار وغيره « أفئدة » وفي بعض الأصول من إبادة بالباء الموحدة وهاء التأنيث وفي اللسان في مادة أي دلياذ « العسكر الميمنة والميسرة وكل ماتحزبه فهو إباد » . تأمل .

جَلَدَ الْجَوَارِحَ ، بصيراً بمَوَاضِعِ أَحْرَاسِهِ ، غَيْرَ مُصَانِعٍ وَلَا مَشْفَعٍ لِلنَّاسِ فِي التَّنَجُّحِ إِلَى الرَّفَاهِيَةِ وَالسَّعَةِ ، وَتَقَدُّمِ الْعُسْكَرِ وَالتَّأْخُّرِ عَنْهُ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُ الْوَالِيَّ وَيُوهِنُهُ لَاسْتِنَامَتُهُ إِلَى مَنْ وَلَاَهُ ذَلِكَ وَأَمَنَهُ بِهِ عَلَى جَيْشِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَوَاضِعَ الْأَحْرَاسِ مِنْ مُعَسَّكَكَ ، وَمَكَانَهَا مِنْ جُنْدِكَ ، بِحَيْثُ الْغَنَاءُ عَنْهُمْ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ ، وَالْحِفْظُ لَهُمْ ، وَالْكَلاَةُ لِمَنْ بَغَتَهُمْ طَارِقًا ، أَوْ أَرَادَهُمْ خَاتِلًا ، وَمَرَاصِدُهَا الْمُنْسَلُّ مِنْهَا وَالْآبِقُ مِنْ أَرْقَائِهِمْ وَأَعْبُدِهِمْ ، وَحِفْظُهَا مِنَ الْعِيُونَ وَالْجَوَاسِيسِ مِنْ عَدُوِّهِمْ . وَاحْذَرِ أَنْ تَضْرِبَ عَلَى يَدَيْهِ أَوْ تَشْكُكَ عَنِ الصَّرَامَةِ بِمَوَاسِرَتِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ وَطَارِئٍ إِلَّا فِي الْمُهَيِّمِ النَّازِلِ وَالْحَادِثِ الْعَامِ : فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِ ، دَعَوْتَهُ إِلَى نُصْحِكَ ، وَاسْتَوْلَيْتَ عَلَى مَحْصُولِ ضَمِيرِهِ فِي طَاعَتِكَ ، وَأَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي تَرْتِيكِ ، وَأَعْمَلَ رَأْيَهُ فِي بُلُوغِ مَوَافَقَتِكَ وَإِعَانَتِكَ ، وَكَانَ نَفَقَتُكَ وَرِدَاكَ وَقُوتُكَ وَدِعَامَتُكَ ، وَتَفَرَّغْتَ أَنْتَ لِمُكَايَدَةِ عَدُوِّكَ ، مُرِيحًا لِنَفْسِكَ مِنْ هَمِّ ذَلِكَ وَالْعَنَاءِ بِهِ ، مُلْقِيًا عَنْكَ مَثُونَةً بَاهِظَةً وَكُلْفَةً فَادِحَةً .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنْ اللَّهِ بِمَكَانٍ لَيْسَ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَلَا بِمَثَلٍ مَحَلَّهُ أَحَدٌ مِنَ الْوَلَاةِ : لَمَّا يَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ مِنْ مَغَالِيزِ الْأَحْكَامِ وَبَحَارِي الْحُدُودِ . فليَكُنْ مِنْ تَوَلِيهِ الْقَضَاءَ فِي عُسْكَرِكَ [مِنْ ذَوِي] الْخَيْرِ فِي الْقَنَاعَةِ وَالْعَفَافِ وَالزَّاهَةِ وَالْفَهْمِ وَالْوَقَارِ وَالْعِصْمَةِ وَالْوَرَعَ ، وَالْبَصَرَ بِوُجُوهِ الْقَضَايَا وَمَوَاقِعِهَا ، قَدْ حَنَّكَهُ السَّنُّ وَأَيَّدَتْهُ التَّجَرِبَةُ وَأَحْكَمَتْهُ الْأُمُورُ ، مِمَّنْ لَا يَتَصَنَّعُ لِلْوَلَايَةِ وَيَسْتَعِدُّ لِلنَّهْزَةِ ، وَيَجْتَزِي عَلَى الْحُبَابَةِ فِي الْحُكْمِ ، وَالْمُدَاهَنَةِ فِي الْقَضَاءِ ، عَدْلُ الْأَمَانَةِ ، عَفِيفُ الطَّعْمَةِ ، حَسَنُ الْإِنْصَافِ ، فَهَمُّ الْقَلْبِ ، وَرِعُ الضَّمِيرِ ، مَتَحَشَّعُ السَّمْتِ ، بَادِي الْوَقَارِ ، مُحْتَسِبٌ لِلْخَيْرِ . ثُمَّ أَجْرُ

عليه ما يَكْفِيهِ وَيَسَعُهُ وَيُصْلِحُهُ ، وَفَرَّغَهُ لِمَا حَمَلَتْهُ ، وَأَعِنَهُ عَلَى مَا وَلَّيْتَهُ : فَإِنَّكَ قَدْ عَرَضْتَهُ لَهْلَكَةِ الدُّنْيَا وَبَوَارِ الْآخِرَةِ ، أَوْ شَرَفِ الدُّنْيَا وَحُظْوَةِ الْآجِلَةِ ، إِنْ حَسُنَتْ نَيْتُهُ ، وَصَدَقَتْ رَوِيَّتُهُ ، وَصَحَّتْ سِرِّيَّتُهُ وَسَلَّطَ حَكَمَ اللَّهِ عَلَى رَعِيَّتِهِ ، مُطْلَقًا عَنَانَهُ ، مُنْفَذًا قَضَاءَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ، عَامِلًا بِسُنَّتِهِ فِي شَرَائِعِهِ ، آخِذًا بِمُجْدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ .

(١)
وَأَعْلَمَ أَنَّهُ مِنْ جُنْدِكَ بِحَيْثُ وَلَايَتِكَ ، الْجَارِيَةِ أَحْكَامُهُ عَلَيْهِمْ ، النَّاظِرَةُ أَفْضِيَّتَهُ فِيهِمْ ، فَاعْرِفْ مَنْ تَوَلَّيْتَهُ ذَلِكَ وَتُسْنِدُهُ إِلَيْهِ . ثُمَّ تَقَدَّمْ فِي طَلَامُكَ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَكِيدَتِكَ ، وَرَأْسُ حَرْبِكَ ، وَدِعَامَةُ أَمْرِكَ ، فَاتَّخِذْ لَهَا مِنْ كُلِّ قَادَةٍ وَصَحَابَةٍ رَجُلًا ذَوِي نَجْدَةٍ وَبَأْسٍ ، وَصَرَامَةٍ وَخُبْرَةٍ ، حُمَاةً كُفَاةً ، قَدْ صَلَّوْا بِالْحَرْبِ وَذَاقُوا سِجَالَهَا ، وَشَرِبُوا مِرَارَ كُثُوسِهَا ، وَتَجَرَّعُوا غُصَصَ دِرَّتِهَا ، وَزَبَنَتْهُمْ بِتَكَرُّرِ عَوَاطِفِهَا ، وَحَمَلَتْهُمْ عَلَى أَصْعَبِ مَرَاكِبِهَا ، وَذَلَّلَتْهُمْ بِثِقَافِ أَوْدِهَا . ثُمَّ أَنْتَقِهِمْ عَلَى عَيْنِكَ ، وَأَعْرِضْ كُرَاعَهُمْ بِنَفْسِكَ ، وَتَوَخَّ فِي آتِفَاتِكَ ظُهُورَ الْجَلَدِ ، وَشَهَامَةَ الْخُلُقِ ، وَكِبَالَ الْآلَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْبَلَ مِنْ دَوَابِهِمْ إِلَّا الْإِنَاثَ مِنَ الْخَيْلِ الْمَهْلُوبَةِ ، فَإِنَّهُمْ أَسْرَعُ طَلَبًا ، وَأَنْجَى مَهْرَبًا ، وَالْأَيْنُ مَعْطَفًا ، وَأَبْعَدُ فِي الثُّقُوقِ غَايَةً ، وَأَصْبَرُ فِي مَعْرَكَةِ الْأَبْطَالِ إِقْدَامًا . وَخُذْهُمْ مِنَ السَّلَاحِ بِأَبْدَانِ الدُّرُوعِ ، مَازِيَّةِ الْحَدِيدِ ، شَاكَّةِ النَّسْجِ ، مُتَقَارِبَةِ الْخَلْقِ ، مُتَلَاحِمَةِ الْمَسَامِيرِ وَأَسْوَاقِ الْحَدِيدِ ، مُمَوَّهَةِ الرِّكَبِ ، مُحْكَمَةِ الطَّيْنِ ، خَفِيفَةِ الصَّوْغِ ، وَسَوَاعِدِ طَبْعِهَا هِنْدِيٍّ ، وَصَوْنِهَا فَارِسِيٍّ ، رَقَاقِ الْمَعَاطِفِ بِأَكُفِّ وَاقِيَةٍ وَعَمَلٍ مُحْكَمٍ . وَيَلْمُقُ الْبَيْضَ مُذْهَبَةً وَمُجَرَّدَةً ، فَارِسِيَّةَ الصَّوْغِ ، خَالِصَةً الْجَوْهَرِ ، سَابِغَةَ الْمَلْبَسِ ، وَاقِيَةَ الْجَنْنِ ، مُسْتَدِيرَةَ الطَّيْنِ ، مُبْهَمَةَ السَّرْدِ ، وَاقِيَةَ الْوِزْنِ كَثْرَتِكَ النَّعَامِ فِي الصَّنْعَةِ وَاسْتِدَارَةِ التَّقْيِيبِ ، وَاسْتَوَاءِ الصَّوْغِ ، مُعْلَمَةً بِأَصْنَافِ

(١) في "مفتاح الأفكار" وغيره بحيث ولايتك وفي الموضع الجارية الخ تأمل .

الحرير وألوان الصَّنع؛ فإنَّها أهيبُ لعدوِّهم، وأفتُّ لأعضاء مَنْ لقيهم، والمُعْلِمُ مُحَشِيٌّ
محذور، له بَدِيهَةٌ رَادِعَةٌ، وهَيْبَةٌ هَائِلَةٌ؛ معهم السُّيُوفُ الهِنْدِيَّةُ، وَدُكُورُ البَيْضِ
الْيَمَانِيَّةُ؛ رِقَاقُ الشَّقَرَاتِ، مَسْنُونَةُ الشَّحْدِ، مُشْطَبَةُ الضَّرَائِبِ، مَعْتَدِلَةُ الْجَوَاهِرِ،
صَافِيَةُ الصَّفَاحِ، لَمْ يَدْخُلْهَا وَهْنُ الطَّبْعِ، وَلَا عَابَهَا أَمْتُ الصَّوْغِ، وَلَا شَانَهَا خِفَّةُ
الْوِزْنِ، وَلَا فَدَحَ حَامِلُهَا بُهْرُ الثَّقَلِ؛ قَدْ أَشْرَعُوا لَدُنَّ الثَّمَا، طَوَالَ الْهَوَادِي،
مُقَوِّمَاتُ الْأَوْدِ، زُرْقُ الْأَسِنَّةِ، مَسْتَوِيَةُ الثَّعَالِبِ؛ وَمِيضُهَا مَتَوَقِّدٌ، وَسِنْخُهَا^(١)
مَتَلَهَّبٌ، مَعَاقِصُ عَقْدِهَا مَنُحَوْتَةٌ، وَوُصُومُ أَوْدِهَا مَقْوَمَةٌ، وَأَجْناسُهَا مُخْتَلِفَةٌ،
وَكُغُوبُهَا جَعْدَةٌ، وَعُقْدُهَا حَبْكَةٌ؛ شَطْبَةُ الْأَسْنَانِ، مُؤَهَّةُ الْأَطْرَافِ، مَسْتَحِدَّةُ
الْجَنَبَاتِ، دِقَاقُ الْأَطْرَافِ، لَيْسَ فِيهَا أَلْتِوَاءُ أَوْدِ، وَلَا أَمْتُ وَصَمٍ، وَلَا بِهَا مَسْقَطُ
عَيْبٍ، وَلَا عِنَّا وَقُوعُ أَمْنِيَّةٍ؛ مَسْتَحْقِي كَثَائِنِ النَّبْلِ وَقِسِي الشَّوْحَطِ وَالنَّبْعِ؛
أَعْرَابِيَّةُ التَّعْقِيبِ، رُومِيَّةُ النَّصُولِ، مَسْمُومَةُ الصَّوْغِ؛ وَلَتَكُنْ سِهَامُهَا عَلَى خَمْسِ
قَبْضَاتٍ سِوَى النَّصُولِ، فَإِنَّمَا أُبْلَغُ فِي الْغَايَةِ، وَأَنْفَذْتُ الدُّرُوعَ، وَأَشَكُّ فِي الْحَدِيدِ؛
سَامِطِينَ حَقَائِبِهِمْ عَلَى مُتُونِ خِيُومِهِمْ، مَسْتَحْفِينَ مِنَ الْآلَةِ وَالْأَمْتَعَةِ وَالزَّادِ [إِلَّا مَا لَا
غِنَاءَ بِهِمْ عَنْهُ] ^(٣).

وَأَحْذَرُ أَنْ تَكَلَ مَبَاشَرَةً عَرَضَهُمْ وَأَتَخَّاهُمْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَعْوَانِكَ وَكُتَّابِكَ : فَإِنَّكَ
إِنْ وَكَلْتَهُ إِلَيْهِمْ أَضَعْتَ مَوَاضِعَ الْحَزْمِ، وَفَرَطْتَ حَيْثُ الرَّأْيُ، وَوَقَفْتَ دُونَ عَزَمِ
الرَّوِيَّةِ، وَدَخَلَ عَمَلُكَ ضَيَاعُ الْوَهْنِ، وَخَلَصَ إِلَيْكَ عَيْبُ الْحَابَاةِ، وَنَالَهُ فُسَادُ

(١) الثعلب طرف الرمح الداخل في جبة السنان، وفي "مفتاح الأفكار" وغيره «وشحذها متلهب».

(٢) في الأصول والمفتاح بالغين والفاء، ولم تقف له على معنى مناسب.

(٣) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" ص ٢٥١.

المداهنة، وغلب عليه مَنْ لا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ طليعةً للمسلمين ولا عُدَّةً ولا حِصْنًا يَدْرِيُونُ بِهِ، وَيَكْتَفُونَ بِمَوْضِعِهِ. والطلائعُ حصونُ المسلمين وِعْيُونُهُمْ، وَهُمْ أَوَّلُ مَكِيدَتِكَ، وَعُرْوَةُ أَمْرِكَ، وَزِمَامُ حَرْبِكَ. فليكنَ أَعْتِنَاؤُكَ بِهِمْ، وَأَتَقَاؤُكَ إِيَّاهُمْ بِحَيْثُ هُمْ مِنْ مُهِمِّ عَمَلِكَ، وَمَكِيدَةِ حَرْبِكَ؛ ثُمَّ آتَخِبْ لِلْوِلَايَةِ عَلَيْهِمْ رَجُلًا بَعِيدَ الصَّوْتِ، مَشْهُورَ الْإِسْمِ، ظَاهِرَ الْفَضْلِ، نَبِيهَ الذِّكْرِ؛ لَهُ فِي الْعُدُوقَاتِ مَعْرُوفَاتٌ، وَأَيَّامٌ طَوَالٌ وَصَوَلَاتٌ مُتَقَدِّمَاتٌ؛ قَدْ عُرِفَتْ نِكَايَتُهُ، وَحُدِرَتْ شَوْكَتُهُ، وَهَيْبَ صَوْتُهُ، وَتُنَكَّبَ لِقَاؤُهُ؛ أَمِينَ السَّرِيرَةِ، نَاصِحَ الْحَيْبِ؛ قَدْ بَلَّوْتَ مِنْهُ مَا يُسَكِّتُكَ إِلَى نَاحِيَتِهِ: مِنْ لَيْنِ الطَّاعَةِ، وَخَالِصِ الْمَوَدَّةِ، وَرَكَائَةِ الصَّرَامَةِ، وَغُلُوبِ الشَّهَامَةِ، وَأَسْتِجَاعِ الْقُوَّةِ، وَحَصَافَةِ التَّدْيِيرِ. ثُمَّ تَقَدَّمْ إِلَيْهِ فِي حُسْنِ سِيَاسَتِهِمْ، وَأَسْتِزَالِ طَاعَتِهِمْ، وَأَجْتِلَابِ مَوَدَّاتِهِمْ، وَأَسْتِعْذَابِ ضَمَائِرِهِمْ؛ وَأَجْرِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ أَرْزَاقًا تَسَعُّهُمْ، وَتُمَدُّ مِنْ أَطْعَامِهِمْ سِوَى أَرْزَاقِهِمْ فِي الْعَامَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقُوَّةِ لَكَ عَلَيْهِمْ، وَالْأَسْتِنَامَةِ إِلَى مَا قَبْلَهُمْ.

وَأَعْلَمْ أَنَّهُمْ فِي أَهَمِّ الْأَمَاكِنِ لَكَ، وَأَعْظَمِهَا غَنَاءً عَنْكَ وَعَمَّنْ مَعَكَ؛ وَأَقْعَبُهَا كَبْتَنَا مُحَادَّكَ، وَأَشْجَبُهَا غَيْظًا لِعُدُوكَ؛ وَمَنْ يَكُنْ فِي الثِّقَةِ، وَالْجَلَدِ، وَالْبَأْسِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْقُوَّةِ، وَالنَّصِيحَةِ، وَالْعُدَّةِ، وَالنَّجْدَةِ حَيْثُ وَصَفَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرَكَ بِهِ، يَضَعُ عَنْكَ مَثُونَةَ الْهَمِّ، وَيُرْخِ مِنْ خِثَافِكَ رَوْعَ الْخَوْفِ، وَتَلْتَجِئُ إِلَى أَمْرِ مَنِيْعٍ، وَظَهَرِ قُوَّةٍ، وَرَأْيٍ حَازِمٍ، تَأْمَنُ بِهِ بِجَنَاحَاتِ عُدُوكَ، وَغِرَّاتِ بَغَاتِهِمْ، وَطَوَارِقِ أَحْدَاثِهِمْ؛ وَيَصِيرُ إِلَيْكَ عِلْمُ أَحْوَالِهِمْ، وَمُتَقَدِّمَاتِ خُبُورِهِمْ؛ فَاتَّبِعْهُمْ رَأْيَ عَيْنٍ، وَقُوَّةً بِمَا يُصْلِحُهُمْ مِنَ الْمَنَالَاتِ وَالْأَطْعَامِ وَالْأَرْزَاقِ، وَاجْعَلْهُمْ مِنْكَ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُمْ بِهِ مِنْ مَحَارِزِ عِلَاقَتِكَ، وَحَصَانَةِ كُهُوفِكَ، وَقُوَّةِ سَيَّارَةِ عَسْكَرِكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تُدْخِلَ فِيهِمْ أَحَدًا بِشَفَاعَةٍ، أَوْ تَحْتَمِلَهُ عَلَى هَوَادَةٍ، أَوْ تَقَدِّمَهُ لِأَثَرَةٍ؛ أَوْ أَنْ يَكُونَ

مع احدٍ منهم بغل نفل ، أو فضل من الظهر ، أو نفل فادح ، فتشتد عليهم مئونة أنفسهم ، ويدخلهم كلال السامة فيما يعالجون من أنقاعهم ، ويستغلون به عن عدوهم إن دهمهم منه رافع ، أو فخا هم منه طليعة . فتفقد ذلك محمكا له ، وتقدم فيه آخذا بالحزم في إمضائه ؛ أرشدك الله لإصابة الحظ ، ووقفك ثمن التدبير ، وقصد بك لأسهل الرأي وأعوذه نفعاً في العاجل والآجل ، وأكتبته لعدوك وأشجاء لهم ، وأردعه لعاديتهم .

ول دراجة عسكري وإخراج أهله إلى مصافهم ومراكبهم رجلاً من أهل بيوتات الشرف ، محمود الخبرة ، معروفاً بالنجدة ، ذا سن وتجربة ، لين الطاعة ، قديم النصيحة ، مأمون السرية ، له بصيرة بالحق نافذة تقدمه ، ونية صادقة عن الإدهان تحجزه . وأضنهم إليه عدة نفر من ثقات جندك وذوى أسنانهم يكونون شرطاً معه ؛ ثم تقدم إليه في إخراج المصاف ، وإقامة الأحراس ، وإذكاء العيون ، وحفظ الأطراف ، وشدة الحذر ، ومروءة فليضع القواد بأنفسهم مع أصحابهم في مصافهم ، كل قائد بإزاء مكانه ، وحيث منزله ، قد سد ما بينه وبين صاحبه بالرمح شارعة ، والترسة موضونة ، والرجال راصدة ، ذاكية الأحراس ، وجلة الروع ، خائفة طوارق العدو وبياته . ثم مره فليخرج كل ليلة قائداً في أصحابه أو عدة منهم إن كانوا كثيراً ، على غلوة أو اثنتين من عسكريك ، متنبذاً عنك محيطاً بمنزلك ، ذاكية أحراسه ، قلقة التردد ، مفرطة الحذر ، معدة للزوع ، متأهبة للقتال ، آخذة على أطراف المعسكر ونواحيه ، متفرقين في اختلافهم كُردوساً كُردوساً ؛ يستقبل بعضهم بعضاً [في الاختلاف ^(١)] ويكسع تال متقدماً في التردد ؛ وأجعل ذلك بين قوادك وأهل

عسرك نُوبًا معروفة ، وحِصصًا مفروضة ، لا تُعَرِّمُهَا مِنْ دَلِيفَا مِنْكَ بِمَوَدَّةٍ ،
ولا تُحَامِلُ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ بِمَوْجِدَةٍ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَوْضُ إِلَى أَمْرَاءِ أَجْنَادِكَ وَقُودَ حَيْلِكَ أُمُورَ أَصْحَابِهِمْ ، وَالْأَخْذَ عَلَى قَافِيَةِ أَيْدِيهِمْ ،
رِيَاضَةً مِنْكَ لَهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرَائِهِمْ ، وَالْإِتْبَاعِ لِأَمْرِهِمْ ، وَالْوُقُوفَ عِنْدَ
نَهْيِهِمْ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ فِي النُّوَابِ الَّتِي أَلْزَمْتَهُمْ إِيَّاهَا ، وَالْأَعْمَالَ الَّتِي
أَسْتَجَدَّتْهُمْ لَهَا ، وَالْأَسْلِحَةَ وَالْكَرَاعَ الَّتِي كَتَبَتْهَا عَلَيْهِمْ ؛ وَاحْذَرِ اعْتِلَالَ أَحَدٍ مِنْ
قُودِكَ عَلَيْكَ بِمَا يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَأْدِيبِ جُنْدِكَ ، وَتَقْوِيمِهِمْ لَطَاعَتِكَ ، وَقَعْمِهِمْ عَنِ
الْإِخْلَالِ بِمَرَاكِرِهِمْ لَشَيْءٍ مِمَّا وَكَلُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ لِلْجُنْدِ ، مَفْثَاةٌ
لِلْقُودِ عَنِ الْحَذِّ وَالْإِيثَارِ لِلنَّاصِحَةِ ، وَالتَّقَدُّمِ فِي الْأَحْكَامِ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ فِي اسْتِخْفَافِهِمْ بِقُودِهِمْ وَتَضْيِيعِهِمْ أَمْرَ رُؤَسَائِهِمْ دُخُولًا لِلضَّيَاعِ عَلَى
أَعْمَالِكَ ، وَاسْتِخْفَافًا بِأَمْرِكَ الَّذِي يَأْتَمِرُونَ بِهِ وَرَأْيِكَ الَّذِي تَرْتَبِي . وَأَوْعِزْ إِلَى الْقُودِ
أَنْ لَا يُقَدِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى عِقُوبَةِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، إِلَّا عُقُوبَةً تَأْدِيبٍ فِي تَقْوِيمِ مَيْلٍ ،
وَتَثْقِيفِ أَوْدٍ ؛ فَأَمَّا عِقُوبَةُ تَبْلُغُ تَلَفَ الْمُهْجَةِ وَإِقَامَةُ حَدٍّ فِي قِطْعٍ ، أَوْ إِفْرَاطٌ فِي ضَرْبٍ
أَوْ اخْذُ مَالٍ ، أَوْ عِقُوبَةُ فِي شَعَرٍ فَلَا يَلِيَنَّ ذَلِكَ مِنْ جُنْدِكَ أَحَدٌ غَيْرُكَ ، أَوْ صَاحِبُ
شُرْطَتِكَ بِأَمْرِكَ وَعَنْ رَأْيِكَ وَإِذْنِكَ ؛ وَمَتَى لَمْ تُدَلِّلِ الْجُنْدَ لِقُودِهِمْ ، وَتُضَرِّعَهُمْ
لِأَمْرَائِهِمْ ؛ تُوجِبْ لَهُمْ عَلَيْكَ الْحِجَّةَ بِتَضْيِيعِ - إِنْ كَانَ مِنْهُمْ - لِأَمْرِكَ ، أَوْ خَلَلِ
- إِنْ تَهَاوَنُوا بِهِ - مِنْ عَمَلِكَ ، أَوْ عَجْزِ - إِنْ فَرَطَ مِنْهُمْ - فِي شَيْءٍ مِمَّا وَكَلْتَهُمْ بِهِ
أَوْ أَسْنَدْتَهُ إِلَيْهِمْ ؛ وَلَا تَجِدْ إِلَى الْإِقْدَامِ عَلَيْهِمْ بِاللُّومِ وَعِصِّ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِمْ جَمَازًا
تَصِلُ بِهِ إِلَى تَعْنِيفِهِمْ ، بِتَفْرِيطِكَ فِي تَذْلِيلِ أَصْحَابِهِمْ لَهُمْ ، وَإِسَادِكَ إِيَّاهُمْ عَلَيْكَ
وَعَلَيْهِمْ . فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا مُحْكَمًا ، وَتَقَدَّمْ فِيهِ بِرِفْقٍ تَقَدُّمًا بَلِيجًا ؛ وَإِيَّاكَ أَنْ

يَدْخُلُ حَزْمَكَ وَهْنٌ ، أَوْ يَشُوبَ عَزْمَكَ إِثَارٌ ، أَوْ يَخْلُطَ رَأْيَكَ ضِيَاعٌ ، وَاللَّهِ يَسْتَوِدُّعُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَفْسَكَ وَدِينَكَ .

إِذَا كُنْتَ مِنْ عَدُوِّكَ عَلَى مَسَافَةٍ دَانِيَةٍ وَسَنَنَ لِقَاءٍ مُخْتَصِرٍ ، وَكَانَ مِنْ عَسْكَرِكَ
مُقْتَرِبًا قَدْ شَامَتْ طُلُوعُكَ مُقَدِّمَاتِ ضَلَالَتِهِ ، وَحُمَاةَ فِتْنَتِهِ ؛ فَتَاهَبْ أَهْبَةَ الْمُنَاجِزِ ،
وَحُذِّ اعْتَدَادِ الْحَذَرِ ، وَكُتِبَ خُبُولُكَ ، وَعَبَّ جُنْدُكَ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْمَسِيرَ إِلَّا فِي مُقَدِّمَةِ
وَمَيْمَنَةٍ وَمَيْسَرَةٍ وَسَاقَةٍ ؛ قَدْ شَهَرُوا الْأَسْلِحَةَ ، وَنَشَرُوا الْبُيُودَ وَالْأَعْلَامَ ؛ وَعَرَّفَ
جُنْدُكَ مَرَاكِرَهُمْ سَائِرِينَ تَحْتَ أَلْوِيَتِهِمْ ، قَدْ أَخَذُوا أَهْبَةَ الْقِتَالِ ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْقَاءِ ؛
مُلْتَجِئِينَ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ ، عَارِفِينَ بِمَوَاضِعِهِمْ فِي مَسِيرِهِمْ وَمُعَسَّكَرِهِمْ . وَلِيَكُنْ تَرْحُلُهُمْ
وَتَنْزُلُهُمْ عَلَى رَايَاتِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ وَفِي مَرَاكِرِهِمْ ، قَدْ عَرَّفَ كُلُّ قَائِدٍ مِنْهُمْ أَصْحَابَهُ
مَوَاقِفَهُمْ : مِنَ الْيَمِينَةِ وَالْمَيْسَرَةِ وَالْقَلْبِ وَالسَّاقَةِ وَالطَّلِيعَةِ ، لِأَزْمِنَ لَهَا ، غَيْرَ مُخْلِئِينَ
بِمَا اسْتَنْجَدُوا لَهُ ، وَلَا مُتَهَاوِنِينَ بِمَا أَهْيَبَ بِهِمْ إِلَيْهِ ؛ حَتَّى تَكُونَ عَسَاكِرُكَ فِي مَنَهِلٍ
تَصِلُ إِلَيْهِ وَمَسَافَةٍ تَخْتَارُهَا كَأَنَّهَا عَسْكَرٌ وَاحِدٌ فِي أَجْتِمَاعِهَا عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأَخَذَهَا بِالْحَزَمِ ،
وَمَسِيرِهَا عَلَى رَايَاتِهَا ، وَزُؤُولِهَا فِي مَرَاكِرِهَا ، وَمَعْرِقَتِهَا بِمَوَاضِعِهَا : إِنْ ضَلَّتْ دَابَّةٌ مِنْ
مَوْضِعِهَا ، عَرَفَ أَهْلُ الْعَسْكَرِ مِنْ أَىِّ الْمَرَاكِرِ هِيَ ، وَمَنْ صَاحِبُهَا ، وَفِي أَىِّ
الْمَحَلِّ حُلُولُهَا مِنْهَا فَرَدَّتْ إِلَيْهِ ، هَدَايَةً مَعْرُوفَةً بِسَمْتِ صَاحِبِ قِيَادَتِهَا ؛ فَإِنَّ تَقَدُّمَكَ
فِي ذَلِكَ وَإِحْكَامَكَ لَهُ طَارِحٌ عَنْ جُنْدِكَ مَثُونَةِ الطَّلَبِ ، وَعَنَايَةِ الْمَعْرِفَةِ ،
وَأَبْتِغَاءِ الضَّالَّةِ .

ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى سَاقَتِكَ أَوْتَقَ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فِي نَفْسِكَ صَرَامَةً وَنَفَازًا وَرِضًا فِي الْعَامَّةِ ،
وَإِنصَافًا مِنْ نَفْسِهِ لِلرَّعِيَّةِ ، وَأَخْذًا بِالْحَقِّ فِي الْمَعْدِلَةِ ، مُسْتَشِيرًا تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتَهُ ؛
أَخْذًا بِهَدْيِكَ وَأَدَبِكَ ، وَاقِفًا عِنْدَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ، مُعْتَرِمًا عَلَى مَبَاحِثِكَ وَتَرْبِيَتِكَ ، نَظِيرًا

(١)

لك في الحال ، وشيئاً بك في الشرف ، وعديلاً في الموضع ، ومُقارِباً في النسب ؛
ثم أَكثِفْ معه الجَمْعَ ، وأَيِّدْ بالقُوَّةَ ، وقوِّهِ بِالظُّهْرِ ، وأَعِنِّهِ بِالْأَمْوَالِ ، وَأَعْمِدْهُ بِالسِّلَاحِ ،
ومُرِّهِ بِالْعَطْفِ عَلَى ذَوِي الضَّعْفِ من جنسك ومن أَرْحَفَتْ به دَابَّتُهُ وَأَصَابَتْهُ
نَكْبَةٌ : من مرض أو رُجُلَةٌ أو آفَةٌ ، من غير أن يأذن لأحدٍ منهم في التَّخَيُّعِ عن
عسكره ، أو التَّخَلُّفِ بعد تَرْحَلِهِ ، إِلَّا لِجُهْدٍ سُقْمًا ، أو لِمَطْرُوقٍ بِآفَةٍ جَائِحَةٍ . ثم تَقَدَّمْ
إِلَيْهِ مُحَدِّراً ، ومُرِّهِ زَاجِراً ، وَأَنَّهُ مُعْلِظٌ فِي الشَّدَةِ عَلَى مَنْ مَرَّ بِهِ مِنْصَرِفًا عَنْ مَعْسِكَ
من جنسك بغير جَوَازِكَ ، شَادًّا لَهُمْ أَسْرًا ، ومُوقِرُهُمْ حديدًا ، ومُعَاقِبُهُمْ مُوجِعًا ،
وَمُوجِّهِهُمْ إِلَيْكَ فَتَهْكَهُمُ عُقُوبَةً ، وَتَجْعَلُهُمْ لغيرهم من جنسك عِظَةً .

وَأَعْلَمْ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ مَنْ تَسْكُنُ إِلَيْهِ وَاثِقًا بِنَصِيحَتِهِ قَدْ بَلَوْتَ مِنْهُ
أَمَانَةً تُسَكِّتُكَ إِلَيْهِ ، وَصَرَامَةً تُؤَمِّنُكَ مَهَاتَّتَهُ ، وَنَقَادًا فِي أَمْرِكَ يُرِنُّ عِنكَ خِثَاقُ
الْخَوْفِ فِي إِضَاعَتِهِ - لَمْ يَأْمَنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَسَلَّلَ الْجُنْدُ عَنكَ لَوَادًا ، وَرَفَضَهُمْ
مَرَاكِزَهُمْ ، وَإِخْلَاهُمْ بِمَوَاضِعِهِمْ ، وَتَخَلَّفَهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ ، آمِنِينَ تَغْيِيرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ؛
وَالشَّدَةُ عَلَى مَنْ أَجْتَرَمَهُ مِنْهُمْ ، فَأَوْشَكَ ذَلِكَ فِي وَهْنِكَ ، وَخَذَلَ مِنْ قُوَّتِكَ ، وَقَلَّ
مِنْ كَثْرَتِكَ .

اجْعَلْ خَلْفَ سَاقَتِكَ رُجُلًا مِنْ وُجُوهِ قَوَادِكَ ، جَلِيدًا ، مَاضِيًا ، عَفِيفًا ، صَارِمًا ،
شَهْمَ الرَّأْيِ ، شَدِيدَ الْحَذَرِ ، شَكِيمَ الْقُوَّةِ ، غَيْرَ مُدَاهِنٍ فِي عُقُوبَةٍ ، وَلَا مَهِينٍ فِي قُوَّةٍ ،
فِي خَمْسِينَ فَارَسًا يَحْشُرُ إِلَيْكَ جُنْدَكَ ، وَيُلْحِقُ بِكَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنكَ بَعْدَ الْإِبْلَاحِ
فِي عُقُوبَتِهِمْ ، وَالتَّهْلُكِ لَهُمْ وَالتَّنْكِيلِ بِهِمْ . وَلْيَكُنْ بِعُقُوتِكَ فِي الْمَتَرِ الَّذِي تَرْحَلُ عَنْهُ ،
وَالْمَنْهَلِ الَّذِي تَقْقُوزُ مِنْهُ ، مُنْطَرِفًا فِي النَفْصِ لَهُ ، وَالتَّبَعِ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنكَ بِهِ ،

مشتداً في أهل المنزل وساكنه بالتقدم، موعِزاً إليهم في إزعاج الجُند عن منازلهم، وإخراجهم عن مكائهم؛ وإبعاد العقوبة الموجهة والنكال المبسّل في الأشعار والأبشار، واستصفاة الأموال وهدم العقار لمن آوى منهم أحداً أو ستر موضعه، أو أخفى محله. وحذّره عقوبتك إياه في الترخيص لأحد، والمحابة لذي قرابة، والاختصاص بذلك لذي أثره وهوادة. ولتكنّ فرسانه متخّين في القوة، معروفين بالنجدة؛ عليهم سوايغ الدروع دونها شعار الحشو وجبب الاستجنان؛ متقلّدين سيوفهم، سامطين كائنهم، مستعدين لهيج إن بدّهم [أو كين إن يظهر لهم] ^(١). وإياك أن تقبل منهم في دوابهم إلا فرساً قوياً أو رِذونا ويحيا: فإن ذلك من أقوى القوة لهم، وأعون الظهري على عدوهم، إن شاء الله.

ليكنّ رحيلك إباناً واحداً، ووقنا معلوماً: لتخفّ المئونة بذلك على جُندك، ويعلموا وأن رحيلهم، فيقدّموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم، وأعلاف دوابهم، وتسكن قلوبهم إلى الوقت الذي وقفوا عليه، ويطمئنّ ذوو الرأي إلى إبان الرحيل، ومتى يكنّ رحيلك مختلفاً، تعظم المئونة عليك وعلى جُندك ولا يزال ذوو السّفه ^(١) [والترق] يترحلون بالإرجاف ويترلون بالتوهم، حتى لا ينتفع ذوو رأي بنوم ولا طمأنينة.

إياك أن تظهر استقلاً، أو تُتادى برحيل من منزل تكون فيه، حتى تأمر صاحب تعيّنك بالوقوف بأصحابه على معسكرك آخذاً بجنبتي فوهته، بأسلحتهم عدّة لأمر إن حضر، أو مفاجأة من طليعة للعدو إن رأيت منكم هزيمة، أو لمحت عندهم غيرة. ثم مرّ الناس بالرحيل وخيلك واقفة، وأهبتك معدّة، وجئتك

(١) الزيادة عن «مفتاح الأفكار» وغيره.

واقية، حتى إذا استقللتم من معسكركم، وتوجهتم من منزلكم، سرتهم على تعبئكم
بسكون ريح، وهذو حمة، وحسن دعة. فإذا انتهيت إلى مهل أردت نزوله
أو هممت بالمعسكر به، فأياك ونزوله إلا بعد العلم بأهله، والمعرفة بمرافقه، ومُر
صاحب طليعتك أن يعرف لك أحواله، ويستثيرك علم دفينه، ويستبطن علم
أمره ثم يُنهيها إليك على ماصارت إليه: لتعلم كيف آتياه لمعسكرك، وكيف ماؤه
وأغلافه وموضع معسكرك منه، وهل لك - إن أردت مقاماً به، أو مطاولة عدوك
أو مكائده فيه - قوة تملك ومدد يأتيه: فإنك إن لم تفعل ذلك، لم تأمن أن تهجم
على منزل يعجزك ويزعجك عنه ضيق مكانه، وقلة مياهه، وأقطاع مواده،
إن أردت بعدوك مكيدة، أو أحتجت من أمورهم إلى مطاولة. فإن آرتحلت منه
كنت غرضاً لعدوك، ولم تجد إلى المحاربة والاختار سبيلاً، وإن أقت به أقت على
مشقة وحصر وفي أزل وضيق، فاعرف ذلك وتقدم فيه. فإن أردت نزولاً أمرت
صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله متحية من معسكرك، عدة لأمر
إن غالك، ومفرعاً لبديهة إن راعتك، فقد أمنت بحمد الله وقوته بقاء عدوك،
وعرفت موقعها من حركك، حتى يأخذ الناس منازلهم، وتوضع الأتقال مواضعها،
ويأتيك خبر طلائعك، وتخرج دبابتك من معسكرك دراجة ودباباً محيطين بمعسكرك،
وعدة إن أحتجت إليها. ولكن دبابات جندك أهل جلد وقوة، قائداً أو اثنين
أو ثلاثة بأصحابهم، في كل ليلة ويوم نوباً بينهم؛ فإذا غربت الشمس ووجب
نورها، أخرج إليهم صاحب تعبئتك أبدأهم، عسساً بالليل في أقرب من مواضع
دبابي النهار، يتعاور ذلك قوادك جميعاً بلا محابة لأحد فيه ولا إدهان.

إياك وأن يكون منزلك إلا في خندق وحصن تأمن به بيات عدوك وتستنيم فيه
إلى الحزم من مكيدتك إذا وضعت الأتقال وحطت أبنية أهل العسكر، لم يمدد

طُنْب ، ولم يُرْفَع خِباء ، ولم يُنْصَب بناءٌ حتى تَقْطَعَ لكلِّ قَائِدٍ ذَرْعاً معلوماً من الأرض بقَدْر أصحابه ، فيَحْضِرُوهُ عليهم خَنْدَقاً يُطِيفُونَهُ بعد ذلك بِخَنْدَاقِ الْحَسَك ، طَارِحِينَ لها دُونَ أَشْجَارِ الرِّمَاح ، وَنَصَبِ التَّرْسَةِ ، لها بَابَانِ قد وَكَّلتَ بِحِفْظِ كُلِّ بَابٍ مِنْهُمَا رَجُلَانِ مِنْ قُوَّادِكَ فِي مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ؛ إِذَا فُرِغَ مِنَ الْخَنْدَقِ كَانَ ذَانِكَ الرَّجُلَانِ الْقَائِدَانِ بَيْنَ مَعَهُمَا مِنْ أَصْحَابِهِمَا أَهْلَ ذَلِكَ الْمَرْكَزِ ، وَمَوْضِعَ تِلْكَ الْخَلِيلِ ، وَكَانُوا هُمُ الْبَوَايِنَ وَالْأَحْرَاسَ لَذَيْنِكَ الْمَوْضِعَيْنِ ، قَدْ كَفَّوْهُمَا وَضَبَطَوْهُمَا وَأَعْفَوْا مِنْ أَعْمَالِ الْعَسْكَرِ وَمَكْرُوهُهُ غَيْرَهُمَا .

وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ فِي خَنْدَقٍ ، أَمِنْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ طَوَارِقَ عَدُوِّكَ وَبَقَاتِهِمْ ، فَإِنْ رَامُوا تِلْكَ مِنْكَ ، كُنْتَ قَدْ أَحْكَمْتَ ذَلِكَ وَأَخَذْتَ بِالْحَزْمِ فِيهِ ، وَتَقَدَّمْتَ فِي الْإِعْدَادِ لَهُ ، وَرَتَقْتَ مَخُوفَ الْفَتَقِ مِنْهُ ؛ وَإِنْ تَكُنِ الْعَافِيَةُ أَسْتَحْقِيقَتْ حَمْدَ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَارْتَبَطَتْ شُكْرُهَا بِهَا ، وَلَمْ يَضُرَّكَ أَخْذُكَ بِالْحَزْمِ : لِأَنَّ كُلَّ كُفْلَةٍ وَنَصَبٍ وَمَثْوَةٍ إِنْفَاقٍ وَمَشَقَّةٍ عَمَلٍ مَعَ السَّلَامَةِ غُثِّمْ وَغَيْرُ خَطَرٍ بِالْعَاقِبَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَإِنْ أَتَيْتَ بَيِّنَاتٍ عَدُوِّكَ أَوْ طَرَفَكَ رَائِعاً فِي لَيْلِكَ ، فَلْيُلْفِكَ حَدَرًا مُشْمِراً عَنْ سَاقِكَ ، حَاسِراً عَنْ ذِرَاعِكَ ، مُتَشَرِّناً لِحَرْبِكَ ؛ قَدْ تَقَدَّمْتَ دَرَجَتُكَ إِلَى مَوَاضِعِهَا عَلَى مَا وَصَفَهُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَدَبَّابُكَ فِي أَوْقَاتِهَا الَّتِي قَدَّرَكَ ، وَطَلَائِعُكَ حَيْثُ أَمَرَكَ ، وَجُنْدُكَ عَلَى مَا عَبَأَ لَكَ قَدْ خَطَرْتَ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِكَ ؛ وَتَقَدَّمْتَ إِلَى جُنْدِكَ إِنْ طَرَفَهُمْ طَارِقٌ ، أَوْ فَاجَأَهُمْ عَدُوٌّ ، أَنْ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَافِعاً صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ مُغْرِقاً فِي الْإِجْلَابِ ، مُعَلِّناً بِالْإِرْهَابِ لِأَهْلِ النَّاحِيَةِ الَّتِي يَقَعُ بِهَا الْعَدُوُّ طَارِقاً ، وَلِيُشْرِعُوا رِمَاحَهُمْ نَاشِينَ بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ ، وَيَرْشُقُونَهُمْ بِالنَّبْلِ مُكْتَنِينَ بِأَثَرِ سَيْتِهِمْ ، لِأَزِمِينَ لَمَرّاً كَرَهُمْ ،

(١) فِي الْمِفْتَاحِ وَغَيْرِهِ « مَلْبَدِينَ تَرَسْتَهُمْ » وَفِي الْأَصْلِ أَرَسْتَهُمْ وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ لَا يُقَالُ أَرَسَةُ وَزَانَ أَرَضْفَةً وَإِنَّمَا جُمِعَ التَّرْسُ تَرَسَةً وَتَرُوسٌ وَتَرَّاسٌ وَرَبِمَا قِيلَ أَرَّاسٌ فَتَنَبَهَ .

غير مُزِيلٍ قَدَمٍ عَنْ مَوْضِعِهَا ، وَلَا مُتَجَاوِزِينَ إِلَى غَيْرِ مَرَكَبِهِمْ . وَلْيَكْبَرُوا ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ وَسَائِرُ الْجُنْدِ هَادُونَ ، لَتَعْرِفَ مَوْضِعَ عَدُوِّكَ مِنْ مَعْسِكَ ، فُتِمَدَّ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ بِالرِّجَالِ مِنْ أَعْوَانِكَ وَشُرَطَتِكَ ، وَمَنْ آتَنَخَبْتَ قَبْلَ ذَلِكَ عُدَّةً لِلشَّدَائِدِ بِحَضْرَتِكَ ، وَتَدَسَّ إِلَيْهِمُ النَّشَابُ وَالرَّمَاحُ .

وَأَيَّاكَ وَأَنْ يَشْهَرُوا سَيْفًا يَتَجَالَدُونَ بِهِ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يَكُونَ قِتَالُهُمْ فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ لَمْ يَطْرُقْهُمْ إِلَّا بِالرَّمَاكِ مُسْنِدِينَ لَهَا إِلَى صُدُورِهِمْ ، وَالنَّشَابِ رَاشِقِينَ بِهِ وَجُوهَهُمْ ؛ قَدْ أَلْبَدُوا بِالْأَثَرِيسَةِ ، وَاسْتَجَنُّوا بِالْبَيْضِ ، وَأَلْقَوْا عَلَيْهِمْ سَوَابِغَ الدَّرُوعِ وَجِبَابِ الْحَشَوِ ؛ فَإِنْ صَدَّ الْعَدُوُّ عَنْهُمْ حَامِلِينَ عَلَى جِهَةٍ [أُخْرَى ، كَبَرٌ] أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا كِفْعَلُ النَّاحِيَةِ الْأُولَى ، وَبَقِيَّةُ الْعَسْكَرِ سَكُوتٌ وَالنَّاحِيَةُ الَّتِي صَدَّ عَنْهَا الْعَدُوُّ لَازِمَةٌ مَرَاكِبُهُمْ مُتَطَقَّةٌ الْهَدُوسَاكُنَةُ الرِّيحِ ، ثُمَّ عَمِلَتْ فِي تَقْوِيَتِهِمْ وَإِمْدَادِهِمْ بِمِثْلِ صَنِيعِكَ فِي إِخْوَانِهِمْ .

وَأَيَّاكَ أَنْ تُنْجِدَ نَارَ رُؤُوفِكَ [وَإِذَا وَقَعَ الْعَدُوُّ فِي مَعْسِكَ أَنْجَحَهَا سَاعِرًا لَهَا وَأَوْقَدَهَا حَطْبًا جَزَلًا يَعْرِفُ بِهِ أَهْلُ الْعَسْكَرِ مَكَانَكَ وَمَوْضِعَ رُؤُوفِكَ] ^(١) فَيَسْكُنُ نَافِرُ قُلُوبِهِمْ ، وَيَقْوَى وَاهِي قُوَّتِهِمْ ، وَيَشْتَدُّ مُنْخَذِلُ ظُهُورِهِمْ ، وَلَا يَرْجُمُونَ بِكَ الظُّنُونِ ، وَيَجْعَلُونَ لَكَ آرَاءَ الشُّوءِ ، وَيُرْجِفُونَ بِكَ آثَاءَ الْخَوْفِ ، وَذَلِكَ مِنْ فِعْلِكَ رَادُّ عَدُوِّكَ بِغِيظِهِ لَمْ يَسْتَفْلِلْ مِنْكَ ظُفْرًا ، وَلَمْ يَبْلُغْ مِنْ نِكَائِكَ سُورًا . وَإِنْ أَنْصَرَفَ عَنْكَ عَدُوُّكَ وَنَكَلَ عَنِ الْإِصَابَةِ مِنْ جُنْدِكَ وَكَانَتْ بِجَيْشِكَ قُوَّةٌ عَلَى طَلَبِهِ أَوْ كَانَتْ لَكَ مِنْ فُرْسَانِكَ خَيْلٌ مُعَدَّةٌ وَكُتَيْبَةٌ مُنْتَخَبَةٌ ، [وَأَقْدَرْتَ عَلَى أَنْ تَرَكَّبَ بِهِمْ أَكْسَاءَهُمْ ، وَتَجَلَّاهُمْ عَلَى سَنَنِهِمْ ؛ فَاتَّبَعَهُمْ بِرِيْدَةِ خَيْلٍ عَلَيْهَا الثَّقَاتُ مِنْ فُرْسَانِكَ ، وَأُولُو النِّجْدَةِ مِنْ حُمَاتِكَ ؛ فَإِنَّكَ تَرَهَّقُ عَدُوُّكَ وَقَدْ أَمِنَ مِنْ بَيَّاتِكَ ، وَشَغِلَ بِكَلَالِهِ عَنِ التَّحَرُّزِ

(١) الزيادة من مفتاح الافكار وغيره وهى من سقطات النسخ كما لا يخفى .

منك والأخذِ بأبوابِ معسكره ، والضَّبطِ لمحارِسِه عليك ، موهنةٌ مُحاثُهم لَغبةٌ
أبطالُهم : لما أَلْفَوْكُمْ عليه من التَّشْمِيرِ والِحْدِ ، قد عَقَّرَ اللهُ فيهم ، وأصابَ مِنْهم ،
وجرحَ من مقاتِلَتَهم ، وكَسَرَ من أمانِي ضُلَّالَهم ، وردَّ من مستَعْلِي جَمَاحِهم .

وتقدَّم إلى من توجَّهه في طلبِهم ، وتنبَّهه أكسَاءُهم : في سُكُونِ الرِّيحِ ، وقِلَّةِ الرِّفْتِ ،
وكثرةِ التَّسْيِجِ والتَّهْلِيلِ ، وأسْتَنْصارِ اللهِ عزَّ وجلَّ بالسِّنَّتِهم وقلوبِهم سِرًّا وجَهْرًا ،
بلا لَحَبِ صَجَّةٍ ، ولا آرتفاعِ ضَوْضاءٍ ؛ دُونَ أن يردوا على مطلبِهم ، ويتنَزَّروا فُرُصَتَهم .
ثم لِيَشْهَرُوا السَّلَاحَ ، وينتَضُوا السُّيُوفَ ، فإنَّ لها هَيْبَةً رائِعةً ، وبِدِيهةً مُحَوِّفةً ،
لا يقومُ لها في بُهْمَةِ اللَّيْلِ وحِنْدِسِه إلا البَطْلُ المُحَارِبُ ، ودُوَّ البَصِيرَةِ المُحَامِي ،
والمُسْتَمِيتُ المُقَاتِلُ ، وقَلِيلٌ ما هم عندَ تِلْكَ الحِمِيَّةِ وفي ذاكِ المَوْضِعِ .

ليَكُنْ أَوَّلَ ما نَتَقَدَّمُ به في التَّهَيُّؤِ لعدُوِّكَ ، والاستعدادِ لِلِقائِهِ ، انتِخابُك من فُرْسانِ
عسْكَركَ وُحْماءِ جُنْدِكَ ذَوِي البَأْسِ والحُنْكَةِ والِحْدِ والصَّرَامةِ ، مِمَّنْ قد اعتادَ
طِرَادَ الكُفَّةِ ، وكَثُرَ عن ناجِزِهِ في الحَرْبِ ، وقامَ على ساقٍ في مُنازَلَةِ الأَقْرانِ ،
ثَقِفَ الفُرُوسِيَّةَ ، مجْتَمِعَ القُوَّةِ ، مستَحْصِدَ المِرْيَةِ ، صَبُورًا على هَوْلِ اللَّيْلِ ، عارِفًا
بِمُناهِزَةِ الفُرْصِ ؛ لم تَمُتْهُ الحُنْكَةُ ضَعْفًا ، ولا بَلَّغَتْ به السِّنُّ كَلالًا ، ولا أَسْكَرَتْهُ
غِرَّةُ الحَدائِثِ جَهْلًا ، ولا أَبْطَرَتْهُ نَجْدَةُ الأَغْمارِ صَلَفًا ، جَرِيئًا على مَخاطَرَةِ التَّلَفِ ،
مُقَدِّمًا على آدْرَاعِ المَوْتِ ، مُكابرًا لِمُهَيْبِ الهَوْلِ ، متَقَحِّمًا نَحْشَى الخُتُوفِ ، خائِضًا
عَمَراتِ المَهالِكِ ؛ برأى يَوَيْدَهُ الحَزْمَ ، وَنِيَّةَ لا يَخْلُجُها الشَّكُّ ، وأَهْواءَ جَمْعِمعةٍ ،
وَقُلُوبِ مُؤْتَلِفةٍ ؛ عارِفِينَ بِفَضْلِ الطَّاعَةِ وعِزِّها وشَرَفِها ، وَحَيْثُ مَحَلُّ أَهْلِها من
التَّايِيدِ وَالظَّفَرِ والتَّحْكِينِ ، ثم أَعْرِضْهُمْ رَأْيَ عَيْنٍ على كُرَاعِهم وأَسْلِحَتِهم . وَلِتَكُنْ
دَوَابُّهم إِماتَ عِتاقِ الخَيْلِ ، وأَسْلِحَتُهم سَوابِغَ الدُّرُوعِ وَكِمالِ آلَةِ المُحَارِبِ ، مُتَقَلِّدِينَ

سُوفَهُمِ الْمُسْتَخْلَصَةُ مِنْ جَيِّدِ الْجَوْهَرِ وَصَافِي الْحَدِيدِ، الْمُنْخَيَّرَةُ مِنْ مَعَادِنِ الْأَجْناسِ،
 هِنْدِيَّةِ الْحَدِيدِ يَمَانِيَةِ الطَّعِيعِ، رِقَاقِ الْمَضَارِبِ، مَسْمُومَةِ الشَّحَذِ، مُشْطَبَةِ الصَّرِيَّةِ؛
 مُبْدِينِ بِالْتَّرْسَةِ الْفَارِسِيَّةِ، صَيِّدَةِ التَّعْقِيبِ، مُعَلِّمَةِ الْمَقَايِصِ بِحَلَقِ الْحَدِيدِ، أَنْحَاؤُهَا
 مَرْبَعَةٌ، وَخَارِزُهَا بِالتَّجْلِيدِ مُضَاعَفَةٌ، مَحْمَلُهَا مُسْتَخَفٌّ؛ وَكَأَنَّ النَّبْلَ وَجَعَابُ الْقِسِيِّ
 قَدْ أَسْتَحْقَبُوهَا، وَقِيسَى الشَّرِيَانِ وَالتَّبَعِ أَعْرَاسِيَّةُ الصَّنْعَةِ، مُخْتَلِفَةُ الْأَجْناسِ، مُحْكَمَةُ
 الْعَمَلِ، مُقَوِّمَةُ التَّنْقِيفِ؛ وَنُصُولُ النَّبْلِ مَسْمُومَةٌ، وَعَمَلُهَا مَصْيَصِيٌّ، وَتَرْكِيبُهَا
 عِرَاقِيٌّ، وَتَرْيِشُهَا بَدَوِيٌّ؛ مُخْتَلِفَةُ الصَّوْغِ فِي الطَّعِيعِ، شَتَّى الْأَعْمَالِ فِي التَّشْطِيبِ
 وَالتَّجْنِيعِ وَالْإِسْتِدَارَةِ. وَلِتَكُنِ الْفَارَسِيَّةُ مَقْلُوبَةُ الْمَقَايِصِ، مِنْبَسِطَةُ السِّيَةِ،
 سَهْلَةُ الْإِنْعِطَافِ، مُقَرَّبَةُ الْإِنْخِئَاءِ، مُمَكِّنَةُ الْمَرْمَى، وَاسِعَةُ الْأَسْهُمِ؛ فُرْضُهَا سَهْلَةُ
 الْوُرُودِ، وَمَعَاظِفُهَا غَيْرُ مَقْتَرِبَةِ الْمَوَاتَاةِ. ثُمَّ وَلَّ عَلَى كُلِّ مَائَةِ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ
 خَاصَّتِكَ وَنِقَاتِكَ وَنُصْحَائِكَ، لَهُ صِيَّتٌ فِي الرِّيَاسَةِ، وَقَدَمٌ فِي السَّابِقَةِ، وَأَوَّلِيَّةٌ
 فِي الْمَشَايِعَةِ. وَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ فِي ضَبْطِهِمْ، وَكَفَّ مَعَرَّتِهِمْ، وَأَسْتَنْزَالَ نَصَائِحَهُمْ،
 وَأَسْتَعْدَادَ طَاعَتِهِمْ، وَأَسْتِخْلَاصَ ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعَاهُدَ كِرَاعِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ: مُعْغِيًا لَهُمْ
 مِنَ النَّوَائِبِ الَّتِي تَلَزُمُ أَهْلَ عَسْكَرِكَ وَعَامَّةَ جُنْدِكَ؛ وَاجْعَلْهُمْ عُدَّةً لِأَمْرِ إِنْ حَزَبَكَ
 أَوْ طَارِقَ إِنْ أَتَاكَ؛ وَمُرَّهُمْ أَنْ يَكُونُوا عَلَى أَهْبَةِ مُعَدَّةٍ، وَحَذَرِ نَافِ لِسَنَةِ الْغَفْلَةِ
 عَنْهُمْ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيُّ السَّاعَاتِ مِنْ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ تَكُونُ إِلَيْهِمْ حَاجَتُكَ. فَلْيَكُونُوا
 كَرَجُلٍ وَاحِدٍ فِي التَّشْمِيرِ وَالتَّرَادُفِ وَسُرْعَةِ الْإِجَابَةِ؛ فَإِنَّكَ عَسَيْتَ أَنْ لَا تَجِدَ عِنْدَ
 جَمَاعَةِ جُنْدِكَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الرُّوعَةِ وَالْمُبَاغَةِ - إِنْ أَحْنَجْتَ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ - مَعُونَةً
 كَافِيَةً، وَلَا أَهْبَةَ مُعَدَّةٍ، بَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ. فَلْيَكُنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ تَنْتَخِبُ عُدَّتَكَ
 وَقُوَّتَكَ، بَعُونًا قَدْ وَظَّفَتْهَا عَلَى الْقَوَادِ الَّذِينَ وَلَّيْتَهُمْ أُمُورَهُمْ، فَسَمِيتَ أَوَّلًا وَثَانِيًا وَثَالِثًا
 وَرَابِعًا وَخَامِسًا وَسَادِسًا؛ فَإِنْ أَكْتَفَيْتَ فِيمَا يَطْرُقُكَ وَيَبْدُوهَكَ بَيْعَتْ وَاحِدًا، كَانَ

مُعَدًّا لَمْ تَحْتَجْ إِلَى اتِّخَابِهِمْ فِي سَاعَتِكَ تِلْكَ فَقَطَّعَ الْبُعْثَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ مَا يَرَهُكَ . وَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَى أَثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، وَجَّهْتَ مِنْهُمْ إِرَادَتَكَ أَوْ مَاتَرَى قُوَّتَكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَكُلُّ بَخْرَائِكَ وَدَوَاوِينِكَ رَجُلًا نَاصِحًا أَمِينًا ، ذَا وَرَعٍ حَاجِزٍ ، وَدِينٍ فَاصِلٍ ، وَطَاعَةٍ خَالِصَةٍ ، وَأَمَانَةٍ صَادِقَةٍ ؛ وَاجْعَلْ مَعَهُ خِيَلًا يَكُونُ مَسِيرُهَا وَمَنْزِلُهَا وَمَرْحَلُهَا مَعَ خِرَاتِكَ وَحَوْلَهَا . وَتَقَدَّمْ إِلَيْهِ فِي حِفْظِهَا ، وَالتَّوَقَّى عَلَيْهَا ، وَأَتِّمَّامِ كُلِّ مَنْ تُسَيِّدُ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى إِضَاعَتِهِ وَالتَّهَانِ بِهِ ، وَالشَّدَةِ عَلَى مَنْ دَنَا مِنْهَا فِي مَسِيرٍ ، أَوْ ضَاعَتْهَا فِي مَنْزِلٍ ، أَوْ خَالَطَهَا فِي مَنْهَلٍ . وَلْيَكُنْ عَامَّةُ الْجُنْدِ وَالْجِيشِ - إِلَّا مَنْ آسَتْخَلَصْتَ لِلْمَسِيرِ مَعَهَا - مُتَحَنِّنِينَ عَنْهَا ، مُجَانِبِينَ لَهَا فِي الْمَسِيرِ وَالْمَنْزِلِ ؛ فَإِنَّهُ رُبَّمَا كَانَتْ الْجَوْلَةُ وَحَدِثَ الْفَرْعَةُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْخِرَازِنِ مَنْ يُوَكِّلُ بِهَا أَهْلَ حِفْظِهَا وَذَبَّ عَنْهَا ، وَحِاطَةِ دُونِهَا ، وَقُوَّةٍ عَلَى مَنْ أَرَادَ اتِّهَابَهَا ؛ أَسْرَعَ الْجُنْدُ إِلَيْهَا وَتَدَاعَوْا نَحْوَهَا حَتَّى يَتَرَامَى ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى اتِّهَابِ الْعَسْكَرِ ، وَأَضْطِرَابِ الْفِتْنَةِ ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْفِتَنِ وَسُوءِ السَّيْرِ كَثِيرٌ ، وَإِنَّمَا هِمَّتُمْ الشَّرَّ ؛ فَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي خِرَاتِكَ وَدَوَاوِينِكَ [وَبُيُوتِ أَمْوَالِكَ] مَطْمَعٌ ، أَوْ يَجِدَ سَبِيلًا إِلَى اغْتِيَابِهَا وَمَرْزَأَتِهَا .

اعْلَمْ أَنَّ أَحْسَنَ مَكِيدَتِكَ أَثَرًا فِي الْعَامَّةِ ، وَأَبْعَدَهَا صِيتًا فِي حُسْنِ الْقَالَةِ ، مَا نَلْتَ الظَّفَرَ فِيهِ بِحَزْمِ الرُّوِيَّةِ ، وَحُسْنِ السَّيْرِ ، وَلُطْفِ الْحِيلَةِ . فَلْتَكُنْ رَوِيَّتُكَ فِي ذَلِكَ وَخِرْصُكَ عَلَى إِصَابَتِهِ بِالْحَيْلِ ، لَا بِالْقِتَالِ وَأَخْطَارِ التَّلَفِّ ؛ وَأَدْسُسْ إِلَى عَدُوِّكَ ، وَكَاتِبْ رُؤْسَاءَهُمْ وَقَادَتَهُمْ وَعِنْدَهُمُ الْمَنَالَاتِ ، وَمِنْهُمْ الْوَلَايَاتِ ، وَسَوِّغْهُمْ الثَّرَاثَ ، وَضَعْ عَنْهُمْ الْإِحْنَ ، وَأَقْطَعْ أَعْنَاقَهُمْ بِالْمَطَامِعِ ، وَاسْتَدْعِهِمْ بِالْمَنَاقِبِ ؛ وَأَمْلَأْ قُلُوبَهُمْ بِالْتَرَهيبِ إِنْ أَمَكَّتَكَ مِنْهُمْ الدَّوَائِرُ ، وَأَصَارَتْهُمْ إِلَيْكَ الرَّوَاجِعُ ؛ وَأَدْعُهُمْ إِلَى الْوُثُوبِ بِصَاحِبِهِمْ أَوْ أَعْتَزَلِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِالْوُثُوبِ عَلَيْهِ طَاقَةٌ ؛ وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَطْرَحَ إِلَى

بعضهم كُتِبَ كَأَنَّهَا جَوَابُ كُتِبَ لَهُمْ إِلَيْكَ ، وَتَكْتُبُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ كُتِبَ إِلَيْكَ تَدْفَعُهَا إِلَيْهِمْ ، وَتَجَلُّ بِهَا صَاحِبَهُمْ عَلَيْهِمْ وَتَنْزِلُهُمْ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ التَّهْمَةِ وَمَحَلِّ الظَّنِّ ؛ فَلَعَلَّ مَكِيدَتَكَ فِي ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا آفِرَاقُ كَلِمَتِهِمْ ، وَتَشْتَبِهُ جَمَاعَتِهِمْ ، وَإِحْنُ قُلُوبِهِمْ ، وَسُوءُ الظَّنِّ مِنْ وَالِيهِمْ بِهِمْ ، فَيُوحِشُهُمْ مِنْهُ خَوْفُهُمْ إِيَّاهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِذَا أَيْقَنُوا بِأَتَاهِمِهِمْ ؛ فَإِنْ بَسَطَ يَدَهُ فَقَتَلَهُمْ ، وَأَوَّلَعَ سَيْفَهُ فِي دِمَائِهِمْ ، وَأَسْرَعَ الْوُثُوبَ بِهِمْ ، أَشْعَرَهُمْ جَمِيعًا الْخَوْفَ ، وَشَلَّاهُمُ الرُّعْبَ ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْكَ الْهَرَبُ فَهَاقُوا نَحْوَكَ بِالنَّصِيحَةِ وَأَمْوُكَ بِالطَّلَبِ . وَإِنْ كَانَ مَتَانِيًا مَحْمِلًا رَجَوْتَ أَنْ سَتَمِيلَ إِلَيْكَ بَعْضُهُمْ ، وَيَسْتَدْعِي الطَّمَعُ ذَوِي الشَّرِّ مِنْهُمْ ، وَتَنَالَ بِذَلِكَ مَا تُحِبُّ مِنْ أَخْبَارِهِمْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

إِذَا تَدَانَى الصَّفَّانِ ، وَتَوَاقَفَ الْجَمْعَانِ ، وَاحْتَضَرَتِ الْحَرْبُ ، وَعَبَّاتُ أَصْحَابِكَ لِقِتَالِ عَدُوِّهِمْ ؛ فَأَكْثَرُ مِنْ قَوْلٍ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَالتَّوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّفْوِيضِ إِلَيْهِ ، وَمَسْأَلَتِهِ تَوْفِيقَكَ وَإِرْشَادَكَ ، وَأَنْ يَعِزَّ لَكَ عَلَى الرَّشَدِ الْمُنْجَى ، وَالْعِصْمَةِ الْكَالِئَةِ ، وَالْحَيَاطَةِ الشَّامِلَةِ . وَمُرُّ جُنْدِكَ بِالصَّحْنِ وَقَلَّةُ التَّلَقُّتِ عِنْدَ الْمُصَاوَلَةِ ، وَكَثْرَةُ التَّكْبِيرِ فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَالتَّسْبِيحُ بِضَائِرِهِمْ ؛ وَلَا يُظْهِرُوا تَكْبِيرًا إِلَّا فِي الْكَتَرَاتِ وَالْحَمَلَاتِ ، وَعِنْدَ كُلِّ زُلْفَةٍ يَزْدَلِفُونَهَا ؛ فَأَمَّا وَهُمْ وَقُوفٌ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْفَشَلِ وَالْجُبْنِ ، وَلْيَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَيَسْأَلُوهُ نَصْرَهُمْ وَإِعْزَازَهُمْ ، وَلْيُكْثِرُوا مِنْ قَوْلٍ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، اللَّهُمَّ أَنْصُرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنَا الْبَاغِي ، وَآكِفِنَا شَوْكَةَ الْمُسْتَحِدَّةِ ، وَأَيِّدْنَا بِمَلَائِكَتِكَ الْغَالِبِينَ ، وَاعْصِمْنَا بِعَوْنِكَ مِنَ الْفَشَلِ وَالْعِجْزِ إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

وَلْيَكُنْ فِي مَعْسِكَ الْمَكْبَرُونَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قَبْلَ الْمُؤَاقَبَةِ ، وَقَوْمٌ مَوْقُوفُونَ يُحْضُونَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَيَحْضُرُونَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَيَصِفُّونَ لَهُمْ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَثَوَابِهِمْ ،

وَيَذْكُرُونَهُمُ الْجَنَّةَ وَدَرَجَاتِهَا وَيُنْعِمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَهْلِيهَا وَسُكَّانَهَا، ويقولون : أَذْكُرُوا اللَّهَ يَذْكُرْكُمْ،
وَأَسْتَنْصِرُوهُ يَنْصُرْكُمْ ، وَالتَّجِئُوا إِلَيْهِ يَمْنَعْكُمْ . وَإِنْ أَسْطَعْتَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمُبَاشِرَ
لَتَعِيبَةَ جُنْدِكَ ، وَوَضَعَهُمْ مَوَاضِعَهُمْ مِنْ رَأْيِكَ ، وَمَعَكَ رَجُلٌ مِنْ ثِقَاتِ فُرْسَانِكَ
ذَوُوسِنٍّ وَتَجْرِبَةٍ وَنَجْدَةٍ عَلَى التَّعَبَةِ الَّتِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَاصَفُهَا لَكَ فِي آخِرِ كِتَابِكَ ،
فَأَفْعَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَيُّدِكَ اللَّهُ بِالنَّصْرِ ، وَغَلَبَ لَكَ عَلَى الْقُوَّةِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّشْدِ ، وَعَصَمَكَ مِنَ
الزَّيْغِ ، وَأَوْجَبَ لِمَنْ أَسْتَشْهَدَ مَعَكَ ثَوَابَ الشُّهَدَاءِ وَمَنَازِلَ الْأَصْفِيَاءِ ، وَالسَّلَامُ
عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وكتب سنة تسع وعشرين ومائة .

الطرف الثالث

(فيما كان يُكْتَبُ عَنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بَبْغَدَادَ إِلَى حِينَ أَنْقَرَضَ

الخلافة العباسية من بغداد)

وهو على أربعة أنواع :

النوع الأول

(ما كان يُكْتَبُ لَوْزَرَاءِ الْخِلافةِ)

وكان رسمهم فيه أن يَفْتَحَ بلفظ « أما بعدُ فالحمد لله » ويؤتى فيه بثلاث

تحميدات ، وربما أقتصر على تحميدة واحدة . وعلى ذلك كانت تقاليدُ وُزَرَاءِهِمْ مِنْ
أرباب السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ .

وهذه نسخة تقليدٍ من ذلك كتب بها العلاء بن موصلايا ، عن القائم بأمر الله ،
لوزير نجر الدولة بن جَهِير ، في شهور سنة آئنتين وسبعين وأربعمائة ، وهو :

أما بعدُ ، فالحمد لله ذي الآلاءِ الصافيةِ المواردِ ، والتَّعَمُّ الصَّادقةِ الشَّواهدِ ،
والطُّولِ الجامعِ شَمَلَ أسبابِ المنحِ الشَّواردِ ؛ ذي القُدرةِ المَصْرِفةِ على حُكْمِهَا مَجَارِي
القَدَرِ ، والمشيئةِ الحَالِيَةِ بِالنَّفَازِ في حَالَتِي الْوَرْدِ وَالصَّدَرِ ؛ الْمُدَلَّ بِعِجَلِ صُنْعِهِ أَعْنَاقَ
الْمَصَاعِبِ ، الْمُدِيمِ بِكَرِيمِ لُطْفِهِ من أَمْتِدَادِ ذَوَائِبِ النَّوَائِبِ ؛ الَّذِي جَلَّ عن إدْرَاكِ
صِفَاتِهِ بَعْدَ أَوْحَدٍ ، وَدَلَّ بِبَاهِرِ آيَاتِهِ على كونه الْقَرْدِ الْوَلِيِّ بِكُلِّ شُكْرٍ وَحَمْدٍ ؛ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُون .

والحمد لله الذي أَخَصَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّسَالَةِ وَاجْتَبَاهُ ، وَحَبَّاهُ
بِالْكَرَامَةِ بِمَا أَشْرَقَ لَهُ مَطْلَعُ الْجَلَالِ ، وَأَخْتَارَهُ وَبَعَثَهُ لِإِظْهَارِ كَلِمَةِ الْحَقِّ بَعْدَ أَنْ
مَدَّ الضَّلَالُ رُوقَهُ ؛ فَلَمْ يَزَلْ يَاعِزُّ الشَّرْعَ قَائِمًا ، وَلِسَاعَاتِ زَمَانِهِ فِي طَلَبِ رِضَا
اللهِ قَاسِمًا ؛ لَا يَنْحَرِفُ عَنْ مَقَاصِدِ الصَّوَابِ وَلَا يَمِيلُ ، وَلَا يُخْلِي مَطَايَا جِدِّهِ فِي تَقْوِيَةِ
الَّذِينَ مِمَّا يُتَابِعُ فِيهِ الرَّسِيمَ وَالذَّمِيلَ ، إِلَى أَنْ أَزَالَ عَنِ الْقُلُوبِ صَدَأَ الشُّكُوكِ وَجَلَا ،
وَأَجْلَى مَسْعَاهُ عَنْ كُلِّ مَا أَوْدَعَ نُفُوسَ أَحْلَافِ الْبَاطِلِ وَجَلَا ؛ وَمَضَى وَقَدْ أَضَاءَ
لِلْإِيمَانِ هَلَالُ أَمْنٍ سِرَّارُهُ ، وَأَنْتَضَى لِإِبَادَةِ الشَّرِّ حُسَامًا لَا يَنْبُوقُ غِرَارُهُ ؛
فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الْمُنْتَخَبِينَ ؛ صَلَاةً يَتَّصِلُ الْأَصِيلُ فِيهَا
بِالْعُدُوِّ ، وَتَرَى قِيَمَتَهَا فِي الْأَجْرَوافَةِ الْعُلُوِّ وَالْعُلُوِّ .

والحمد لله الذي أَصَارَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِرْثِ النُّبُوَّةِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَى ،
وَأَنَارَ لَهُ مِنْ مَطَالِعِ الْعِزِّ مَا أَسْدَى بِهِ كُلَّ نِعْمَةٍ وَأَوْلَى ؛ وَأَحَلَّهُ مِنْ شَرَفِ الْإِمَامَةِ

بَحِثْ عَنْتَ لَطَاعَتِهِ أَغْنَأُكَ الرَّقَابَ الصَّعَابَ ، وَأَذَعَنْتَ لَهُ الْقُلُوبَ بِالْأَنْطَوَاءِ عَلَى
الْوَلَاءِ الْفَسِيحِ الرَّحَابِ وَالشَّعَابِ ؛ وَجَعَلَ أَيَّامَهُ بِالنَّضَارَةِ أَهْلَةَ الْمَغَانِي ، مُتَقَابِلَةً
أَسْمَاؤُهَا فِي الْحُسْنِ بِالْمَغَانِي ؛ فَمَا يَجْرِي فِيهَا إِلَّا مَا الصَّوَابُ فِي فِعْلِهِ كَامِنٌ ، وَالْحَظُّ
يَأْتِيهِاجُ سُبُلِهِ كَائِنٌ ؛ إِبَانَةً عَنْ اقْتِرَانِ الرَّشْدِ بَعِزَائِهِ فِي حَالَتِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ، وَاقْتِرَابِ
مَرَامِ كُلِّ مَا يَحُلُّ مِنَ الصَّلَاحِ فِي الدَّهْرِ أَفْضَلَ الْحَلِّ .

ثم إنه يرى من إقرار الحقوق في نصابها ، وإمرار جبال التوفيق في جانبها من
الأطباع الممتدة إلى اغتصابها ؛ ما يُعْرِبُ عن الإِهْتِدَاءِ إِلَى طُرُقِ الرَّشْدِ ، وَالِاقْتِدَاءِ
بِمَنْ وَجَدَ ضَالَّةَ الْمَرَادِ حِينَ تَشَدُّ ؛ وَيَقْصِدُ مِنْ تَجْدِيدِ الْعَوَارِفِ ، عِنْدَ كُلِّ عَالَمٍ بِقَدْرِهَا
فِي الزَّمَانِ عَارِفٌ ؛ مَا يَحُلُوجُنِي ثَمَرُهُ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، وَيَحْدُو أَنْشَارُ خَبَرِهِ عَلَى إِعَانَةِ كُلِّ
فِكْرٍ فِي وَصْفِهِ عُنْوَانٌ ؛ فَيَتَنَاوَلُ الرُّوَاةُ ذِكْرَ ذَلِكَ غَوْرًا وَتَجَدُّا ، وَتَلْقَى الْهِمَمُ الْعَلِيَّةُ
أَذْخَارَ الْجَمَالِ بِهِ أَنْفَعُ مِنْ كُلِّ قِنِيَّةٍ وَأَجْدَى ؛ اسْتِمْرَارًا عَلَى شَاكِلَةِ تَحَلَّتْ بِالكَرَمِ ، وَحَلَّتْ
مِنَ الْجَلَالِ فِي الْقَلَلِ وَالْقِمَمِ ، وَحَلَّتْ آثَارَهَا فِي إِيْلَاءِ نَفِيسِ الْمَنْحِ وَجَزِيلِ الْقِسَمِ .

ولما غَدَا مَنْصِبُ الْوِزَارَةِ مَوْقُوفًا عَلَى الَّذِينَ طَالَمَا جَرُّوا بِهِمَمَهُمْ نَوَاصِيَ الْخُطُوبِ ،
وَحَازُوا بِذِمَّتِهِمُ الْمَنَالَ فِي مَقَاصِدِ اسْتَشْهَدُوا بِهَا عَلَى إِحْرَازِ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَأَسْتَدْلَوْا ؛
وَكُفُّوا بِكَفَايَتِهِمْ أَكُفَّ الْفَسَادِ وَرَدُّوا ، وَحَازُوا الْفَعَالَ فِي كُلِّ مَاسَعَوْا لَهُ وَجَدُّوا ؛
وَحَلَا الزَّمَانُ مِمَّنْ يَنْهَضُ بَعْبُ هَذَا الْأَمْرِ الْجَسِيمِ ، وَتُصَيِّخُ أَنْبَاؤُهُ فِيهِ ذَكِيَّةُ الْأَرَجِ
وَالنَّسِيمِ - لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ التَّخْيِيمَ فِي عِرَاصِهِ ، وَالتَّحْكِيمَ فِي آجِتِنَاءِ الْفَخْرِ
مِنْهُ وَأَسْتِخْلَاصِهِ ؛ وَكَانَ الْقَدَرُ سَبَقَ بِإِفْصَالِكَ عَنْ خِدْمَةِ لَالِصَّغْفِ سِرِّيهِ ،
وَلَا لِقُوَّةَ جَرِّيهِ ، وَلَا لِكُدْرٍ سِيرِهِ ؛ وَكَيْفَ وَأَنْتَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْكَمَالِ ، وَالْمُتَجَرِّدُ فِي كُلِّ

(١) لعله في صياتها .

(٢) أى يبعث ويسوق أنشأرا الخ .

مقام سلم حَدِّ تَقَرُّبِكَ فِيهِ مِنْ حَادِثِ الْكَلَالِ ؛ وَلَكَ فِي الدَّوْلَةِ الْحَقُوقُ الَّتِي أَعْتَدْتَ لَكَ مِنْ وَقَعِ الْإِسْتِرَادَةِ بِحَقٍّ ، وَالْمَوَاقِفُ الَّتِي أَعْتَدْتَ مِنْ دِرَّةِ الْإِحَادِ بِمَا أَيْنَ الظُّرُّ لَهَا وَأَنَا ، وَالْمَقَاصِدُ الَّتِي أَعْدَمْتُ مِنْكَ الْبَدَلُ ، وَلَا أَنْحَرَفَ لَكَ مِنْهَا مَسْعَى عَنْ مَنَاجِجِ الْإِصَابَةِ وَلَا عَدَلَ ؛ وَتَمَكَّنْتُ فِيهَا مِنْ عِنَانِ التَّوْفِيقِ بِمَا لَا يُجَارَى سَيْفُكَ فِيهِ قَطْ ، وَلَا يُحْسُنُ لَهُ حَالُ الْمَسْرَى إِلَيْهِ الْمَحَظُّ ؛ وَالْآثَارُ الَّتِي أَنْارْتَ مِنْ كَوَامِنِ الرِّضَا أَفْضَلَ مَا يُذْنَرُ وَيُقْتَنَى ، وَأَنْارْتَ مِنْ دَلَائِلِ الزُّلْفَى مَا يُتَجَزَّ بِهِ وَعُدُّ الْمُنَى وَيُقْتَضَى ؛ لَكِنْ كَانَ ذَلِكَ مَسْطُورًا فِي الْكِتَابِ ، وَلِيتَيْنَّ أَنَّهُ لَا عِوَضَ عَنْكَ فِي الْإِسْتِحْقَاقِ لِلْأَمْرِ وَالْإِسْتِجَابِ ؛ لَمْ يُوجَدْ لِهَذِهِ الرِّثْبَةِ كُفُّوًا سِوَاكَ ، وَلَا يُزَيِّهَهَا عَنْ الْعَطْلِ غَيْرُ رَائِقِ حِلَاكَ ؛ فَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَسْلِيمَ مَقَالِيدِهَا إِلَيْكَ إِذْ كُنْتَ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَمَنْ يَجْمَعُ بَعْدَ الشَّتَاتِ شَمْلَهَا ؛ فَطَوَّقَكَ مِنْ قَلَائِدِهَا مَا هُوَ بِأَعْطَافِكَ الْصَّقِ ، وَبِتِمَامِ أَوْصَافِكَ أَلْقَى : لَتَدْرِعَ مِنْ عِزِّ الْوِزَارَةِ جَلْبَابًا لَا تُخْلِقُ الْأَيَّامُ لَهُ جِدَّةً ؛ وَلَا تَزَالُ السُّعُودُ بِمَا يَسْئُلُ إِلَى دَوَامِ مُدَّتِهِ مَمْتَدَّةً ؛ وَتَرْتَضِعَ مِنْ لِبَانِ خِلَالِهَا مَا يَقْضِي لَكَ بِأَنْ تَقِفَ نَفْسَهَا عَلَيْكَ ، وَتَقِفَ آمَالُ الْأَمْثَالِ دُونَ مَا آتَتْهُ الْغَايَةُ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ وَتَعْتَمِدَ فِيمَا عَدَقَهُ بِكَ مِنْهَا وَنَاطَهُ ، وَوَقَّالَكَ فِيهِ حَقُوقَ النَّظَرِ وَأَشْرَاطَهُ ؛ بِحِكْمٍ تَوَحَّدَتْ فِي إِحْرَازِ أَدَوَاتِهَا الَّتِي لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ لَكَ مِنْهَا مَدًى ، وَلَمْ يَمُدَّ طَامِعٌ إِلَى مَسَاجِلَتِكَ فِيهَا يَدًا - مَا يَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى وَيَرْضِيهِ ، وَيُحْصَى ذِكْرُكَ بِالطَّيِّبِ وَيَحِيطُهُ فَتُفُوزَ فَوْزًا كَبِيرًا ، وَتُعِيدَ السَّاعِي فِي إِدْرَاكِ شَاوِكَ ظَالِمًا حَسِيرًا .

ثُمَّ إِنَّهُ شَفَعَ هَذِهِ الْمِنْحَةَ الَّتِي قَصَصَكَ بِمَجَاسِدِ نَخْرِهَا بِالْوُجُوبِ ، وَعَوَّضَكَ فِيهَا الدَّهْرُ بِحَادِثِ الْبِشْرِ عَنْ سَابِقِ الْقَطُوبِ - بِإِصْلَاحِكَ إِلَى حَضْرَتِهِ ، وَإِدْنَائِكَ مِنْ سُدَّتِهِ ؛ وَمُنَاجَاتِكَ بِمَا يُتَبَيَّنُ لَكَ أَمْتِطَاءَ غَارِبِ الْمَجْدِ وَصَهْوَتِهِ ، وَالْإِحْتَوَاءَ عَلَى خَالِصِ السَّعْدِ

وَصَفَوْتِهِ ؛ وَجَبَّائِكَ مِنْ صُنُوفِ التَّشْرِيفَاتِ الَّتِي تَرُوقُ حِلْيَ خِلَالِهَا ، وَتُتَوَقُّ الْآمَالُ
إِلَى إِدْرَاكِهَا وَمَنَالِهَا ؛ وَصَفَتِ الْكَرَامَاتُ الَّتِي وَقَّتِ الْمُنَى بِهَا بَعْدَ مَطَالِهَا ، وَنَفَتِ
الْقَدَى عَنْ مُقَلِّ مَغْضُوضَةٍ بِسُوءِ فِعَالِ الْإِيَّامِ وَمَقَالِهَا ؛ بِمَا يُوْطِئُ عَقَبَكِ الرِّجَالُ ،
وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يُجَاهِلُ مُجَارَاتَكَ الْمَسْرَحَ وَالْمَجَالَ ؛ وَلَمْ يَقْتَنِعْ بِذَلِكَ فِي حَقِّ النَّعْمَى الَّتِي
أَعْدَاكَ فِيهَا عَلَى الْغَيْرِ ، وَأَعْدَاكَ مِنْهَا فِي ظِلٍّ مِنَ الْأَمْنِ الْبَادِي الْأَوْضَاحِ وَالْغُرُبِ ؛
حَتَّى أَلْحَقَ بِسِمَاتِكَ «تَاجَ الْوُزَرَاءِ» تَتَوِيًّا بِذِكْرِكَ فِي الزَّمَانِ ، وَتَتِيًّا عَلَى اخْتِصَاصِكَ
لَدَيْهِ بِوَجَاهَةِ الرَّثْبَةِ وَالْمَكَانِ ؛ فَصَارَ مَكْرُوهَ الْأُمُورِ فِي مَحَبُّوبِهَا سَبَبًا ، وَخَبَتْ نَارُ كُلِّ
مَنْ سَعَى فِي تَضْلِيلِ النِّظَامِ وَجِيفَا وَخَبِيَا ، حَتَّى الْآمِلُونَ أَنْ يَجْعَلُوا تَحْتَ الْخِلَافَةِ^(١)
زِمْنًا ، وَتُصْبِحَ رِبَاعُهُ بَعْدَ النَّصَارَةِ دِمْنًا ؛ لِيُعْقِبَهُمْ ذَاكَ نَيْلَ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْإِمَاءُ (؟)
لِذَا الْعَزْمِ . وَبِالْجُمْلَةِ فَالْإِسَاءَةُ وَاقِعَةٌ مِنْ تَتَابُعِ هَذِهِ الشَّكَاوَى ، وَقَدْ كَانَ الْأَحَبُّ أَنْ
لَا يُضْمَنَ الْكُتُبَ النَّافِذَةَ سِوَى تَعَهُدِ الْأَنْبَاءِ ، لِأَزَالِ عَرْفُهَا أَرْجَا مِنْ سَائِرِ الْأَرْجَاءِ
وَالنَّوَاحِي . لَكِنْ تَأْتِي مَجَارِي الْأَقْدَارِ ، وَدَوَاعِي الْإِضْطِرَارِ ، إِلَى مَا يُرْتَقَى مَاءُ الْإِرَادَةِ^(٢)
وَالْإِثَارِ ؛ وَالْآنَ فَقَدْ بَلَغَ الْمَاءُ ، وَجَلَبَ مِنْ عَدَمِ الصَّبْرِ الْحِنَاءَ ؛ وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ هَزَّةٍ
دِينِيَّةٍ مِنْكَ تَكْشِفُ بِهَا هَذِهِ الْمَعْرَةَ ، وَتُخَفِّفُ مِنْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يُتِمُّ لَدَيْهِ أَكْمَلَ
الْمَسْرَةِ ؛ فَقُمْ فِي ذَلِكَ مَقَامَ مَثَلِكِ - وَإِنْ كَانَ لَا نَظِيرَ لَكَ يُوجَدُ - تَحَظَّ بِمَا يُمَضَى
لَكَ فِيهِ آسْتَحْقَاقُ كُلِّ الْحَمْدِ وَيُوجِبُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد من ذلك ، كتب بها عن المسترشد - فيما أظن - لبعض
وزرائه ، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله المنفرد بكبريائه ، المتفضل على أوليائه ؛ مُجْزِلِ النِّعَمَاءِ ،
وَكَاشِفِ النِّعَمَاءِ ؛ وَمُسْبِغِ الْعَطَاءِ ، وَمُسْبِلِ الْغِطَاءِ ؛ وَمُسْنِي الْحَبَاءِ ، وَمُسْدِي الْآلَاءِ ؛

(١) في الأصل الخافة ولا معنى له . (٢) لعله بما يرتق .

الذى لا يثوده الأعباء ، ولا يكيده الأعداء ؛ ولا تبلغه الأهوام ، ولا تُحيط به الأفهام ؛ ولا تُدرّكه الأبصار ، ولا تُخَيِّله الأفكار ؛ ولا تُهزِّمه الأعوامُ بتواليها ، ولا تُعجزه الخطوبُ إذا آذنت ليا ليها ؛ عالمٌ هو أجس الفكر ، وخالق كل شيء بقدر ؛ مصرف الأقدار على مشيئته ومُجربها ، ومانح مواهبه من أخصى بيد الشكر يمتريها ؛ حمداً يصوب حياته ، ويعذب جناته ؛ وتهلل أسرة الإخلاص من مطاويه ، ويستدعى المزيد من آلائه ويقتضيه .

والحمد لله الذى استخلص محمداً صلى الله عليه وسلم من زكي الأَصْلَاب ، وانتخبه من أشرف الأنساب ؛ وبعثه إلى الخليقة رسولا ، وجعله إلى منهج النجاة دليلا ؛ وفدو الشرك بورا لدل وقضاه (١) وشهر غضب العزِّ وانتضاه ؛ والأُمم عن طاعة الرحمن عازفه ، وعلى عبادة الأوثان عاكفه ؛ فلم يزل بأمر ربّه صادعا ، وعن التمسك بعرا الضلال الواهية وازعا ؛ وإلى رُكوب محجة الهدى داعيا ، وعلى قدم الاجتهاد فى إبادة الغواية ساعيا ؛ حتى أصبح وجه الحق منيرا مشرقا ، وعُوده بعد الذبول أخضر مورقا ؛ ومضى الباطل موليا أدباره ، ومستصجبا تنبيهه وبواره ؛ وقضى صلى الله عليه وسلم بعد أن مهد من الإيمان قواعده ، وأحكم أساسه ووطائده ؛ وأوضح سبل الفوز لمن اقتفاهها ، ولحب طريقها بعد مادّثت صواها ؛ فصلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وصحبه الأكرمين ؛ صلاة متصلا سحّ غمامها ، مُسفرا صبح دوامها .

والحمد لله على أن حاز لأمر المؤمنين من إرث النبوة ما هو أجدرُ بجائزة مجده ، وأولى بقبض عده ؛ ووطأ له من الخلافة المعظمة مهادا أحفرته نحوه حوافز أرتياحه ، وجذبته إليه أزمة راعه والتياحه ؛ إلى أن أدرك من ذلك مناه ، وألقى الاستقرار الذى لا يريم عصاه ؛ وعصّد دولته بالتأييد من سائر أنحائه ومراميه ،

(١) كذا فى الأصول على هذه الصورة ولم نهند إلى تحقيقه .

وأعراضه ومغازيه ؛ حتى فاقَتِ الدُّولَ المتقادمةَ إشراقاً ، وأعطتها الحوادثُ من التغيرِ عهداً وفيّاً وميثاقاً ؛ وأضحتْ أيامه - أدامها الله - حاليةً بالعدلِ أجيادها ، جاليةً في ميادينِ النُّصرةِ جِيادها ؛ وراح الظُّلمُ دارسةً أطلاله ، مقلّصاً سرباله ، قد أنجمَ سحابه ، وزُمتْ للرحلةِ ركابُه ؛ فما يستمرُّ منها أمرٌ إلا كان صُنْعُ الله سبحانه مؤيِّده ، والتوفيقُ مصاحبَه أثى يَمِّ ومُسَدِّده ؛ وهو يستوزعه - جلَّتْ عظمتُه - شُكْرُ هذه النعمة ، ويستريدهُ بالتحدُّثِ بها من آلائه الجمَّة ؛ ويستمدُّ منه المعونةَ في كلِّ أربِ قصده وأمه ، وشحذَ لا تحائِهَ عزمه ؛ وما توفيقُه إلا بالله عليه يتوكَّلُ وإليه يُنيب .

ولما كانتِ الوزارةُ قُطْبَ الأمور الذي عليه مدارُها ، وإليه إيرادُها وعنه إصدارُها ؛ وخلاً منصَّبها من كافٍ يكونُ له أهلاً ، وينظِّمُ من شماله شَملاً ، أجال أميرُ المؤمنينَ فيمن يَخْتَارُ [لذ] لك فكره ، وأنعمَ [النظر] لأهلِ الأصطفاءِ لهذه المنزلةِ حتى صرَّحَ مخضُّ رأيه عن زُبدةِ اختيارِك ، وهذاه صائبُ تديره إلى اقتراحِك وإيثارك ؛ وألقى إليك بالمقاليدِ ، وعوَّلَ في دولتهِ القاهرةِ على تديريك السَّديدِ ؛ وناطَ بك من أمرِ الوزارةِ ما لم يُلَفِّ له سِوَاكَ مستحقاً ، ولا لنسيمِ استِجابِه مسترقاً ؛ علماً بما تُبديه كفايتك المشهورة ، وإيالتك المخبورة ؛ من تقويمِ ما أعجزَ مِياذُه ، وإصلاحِ ما استشرى فساده ؛ وأستقامةِ كلِّ حالٍ وهى عمادُها ، وأصلت على كثرةِ الاقتداحِ زنادُها ؛ وتثبتنا لما تبسمُ عنه الأيامُ من آثارِ نظرك المعربةِ عن آحتوائك على دلائلِ الجزالةِ ، وأستيلائك على تحايلِ الأصالةِ ؛ اللذين تُنالُ بهما غاياتُ المعالي ، وتُفرَّعُ الذُّرى والأعلى .

ثم إنَّ أميرَ المؤمنينَ بمقتضى هذه الدَّعاوى اللازمه ، وحرُماتِ جدِّك وأبيك السالفةِ المتقاهِ ؛ التي استحصدتُ في الدارِ العزيزةِ قُوى أمراسِها ، وأدنتُ منك

الآن ثَمرة غراسِها ، رأى أن يُشيد هذه العارفة التي تَأرجَ لَدَيْكَ نَسِيمُها ، وبدتْ
على أَعناقِ نَحْرِكَ رُسُومُها ، وجادتْ رِبَاعَكَ شَائِبُها ، وضفتْ عَلَيْكَ جَلالِيبُها ،
بما يَزِيدُ أَرْزَلَكَ أَشْتِدَادًا ، وباعَ أَمَلُكَ طُولًا وَأَمْتِدَادًا ؛ فَأَذْنَاكَ من شَرِيفِ حَضْرَتِهِ
مُنَاجِيا ، ومنَحَكَ من مَرَايا الأيَّامِ ما يُكْسِبُكَ ذِكْرًا في الأَعقابِ سارِيًا ، وعلى الأَحقابِ
باقِيًا ، وأفاضَ عَلَيْكَ من المَلابِسِ الفاخِرةِ ما حَزَتْ به أوصافُ الجَمالِ ، وجمعَ لك
أَبادِيَدَ الآمالِ ؛ وَقَلْدَكَ وحصلَ (١) بَدَاوَهُ ، وأمطاك صَهْوَةً ساجِئِ يُساوِي الرِّياحَ
سَبْقًا ، ووسَمَكَ بكذا وكذا في ضَمَنِ التَّاهِيلِ لِلتَّكْنِيَةِ ، إِبَانَةً عن جَمِيلِ مَعْتَقَدِهِ فَيَكْ ،
وردايةً لوسائلك المَحْكَمَةِ المَرائِرِ وأَوَاحِيكَ .

وأمرَكَ بِتَقْوَى اللهِ التي هي أَحصَنُ المَعاقِلِ ، وأَعَدَّبُ المَناهِلِ ؛ وأنفَعُ الذَّخائِرِ ،
يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرِ ؛ وأن تَسْتَشْعِرَها فيما تُبْديهِ وتُخْفِيهِ ، وتَذَرُهُ وتَأْتِيهِ ؛ فإنها أَفْضَلُ الأَعْمَالِ
وأَوْجِبُها ، وأَوْضَحُ المَسالِكِ إلى الفُوزِ بِرِضا اللهِ وأَلْجَبُها ، وأَجْلِبُ الأشياءَ لِلسَّعَادَةِ
الباقِيَةِ ، وأَجْنِها لِقُطُوفِ الحِنانِ الدانِيَةِ ؛ عالِمًا بما في ذَلِكَ من نَفْعٍ تَتَكَمَّلُ أَقسامُهُ ،
وتَنْتَفِعُ عن نُورِ الصَّلَاحِ الجامِعِ أَكْمامُهُ ؛ قال اللهُ جَلَّتْ أَلَاؤُهُ ، وتَقَدَّسَتْ أَسْماءُؤُهُ :
﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمُواتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .
وقال تَعَالَى حاضًّا على تَقْواهِ ، ومُغْبِرًا عما خَصَّ بِهِ مَتَّقِيهِ وَجَبَّاهُ ؛ وكفى بِذَلِكَ دَاعيًّا
إِلَيْها ، وباعِثًا عَلَيْها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وأمرَكَ أن تَتَوَحَّى المَقاصِدَ السَّليمةَ وتَأْتِيها ، وتَتَوَخَّ المَوارِدَ الوَخيمةَ وتَجْتَنِيها ؛
وأن تُتَبِعَ بِالْحَزْمِ أَفْعالَكَ ، وتَجْعَلَ كِتابَ اللهِ تَعَالَى إِمامَكَ الذي تَهْتَدِي بِهِ وَمِثالَكَ ؛
وأن تُكَفِّفَ من نَفْسِكَ عَندَ جَماعِها وإِبابِها ، وتَصُدِّها عن مِتابَةِ أَهْوائِها ؛ وتُثَبِّتَ عَندَ
أَحْتِدَامِ سَورةِ الغَضَبِ عِنايَها ، وتُشْعِرَها من حَمِيدِ الخِلائِقِ ما يُوافِقُ إِسْرارَها فيهِ

(١) كذا في الأصل على هذه الصورة والمراد أنه انعم عليه بخلة وسيف وجواد . تأمل .

إعلانها : فإنها لم تزل إلى مثلة السوء المردية داعية ، وعن سلوك مناهج الخير المنجية ناهية ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ 》 .

وأمرك أن تختير للخدمة بين يديك من بلوت أخباره ، وأستشفقت أسرارَه ؛ فعلمتَه جامعاً أدوات الكفاية ، مؤسوما بالأمانة والدراية ؛ قد عرّكنه رحا التجارب عرك الثقال ، وحلب الدهر أشطره على تصارييف الأحوال : ليكون أمر ما يؤلاه على منهج الاستقامة جاريا ، وعن ملايس الخلل والارتياح عاريا ؛ فلا يضع في منزلة قدما ، ولا يأتي ما يقرع سنه لأجله ندما ؛ وأن تمنح رعايا أمير المؤمنين من يشرك ما يعقل شوارد الأهواء ، ويلوى إليك بأعناق نوافرها اللاتي اعتصمن بالجماح والإباء ؛ مازجا ذلك بشدة تستولى حياء رهبتها على القلوب ، وتقل مرهفات بأسها صرف الخطوب ، من غير إفراط في استدامة ذلك يضيق نظامها به ، ويغيرها اتصاله باستشعار وعمر الخطأ واستيطاء مركبه .

وأمرك أن تعذب مورد الإحسان لمن أحمدت بلاءه ، وتحقق غناه ؛ وأستحسننت أثره ، وأرتضيت عيانه وخبره ؛ وتسدل أسمال الهوان على من بلوت فعله ذميا ، وألفيته بعراض الإساءة مقيا ، وإلى رباعها الموحشة مستائسا مستديما ؛ كيلا لكل أمرئ بصاعه ، وأتباعا لما أمر الله باتباعه ؛ وتجنبنا للإهمال الجاعل المحسن والمسيء سواء ، والمعيد هما في موقف الجزاء أكفأ ؛ فإن في ذلك ترهيدا لدوى الحسنى في الإحسان ، وتتأبأ لأهل الإساءة في العدوان ؛ ولولا ما فرضه الله على أمير المؤمنين من إيجاب الحجج ، والفكاك من ربة الاجتهاد ببلاغ المعذرة ، لثنى عنان الإطالة مقتصرا ، وأكتفى ببعض القول مختصرا ؛ ثقة بامتناع سدادك ونهاك ،

أَنْ يَرَاكَ صَوَابُ الْفِعْلِ حَيْثُ نَهَاكَ ؛ وَاسْتِنَامَةٌ إِلَى مَا خَوَّلَكَ اللَّهُ مِنَ الرَّأْيِ النَّاقِبِ ،
 الْمُطَّلِعِ مِنْ خِصَائِصِ الْبَدِيهَةِ عَلَى مُحْتَاجِبِ الْعَوَاقِبِ . فَأَرْتَبِطُ يَا فُلَانُ هَذِهِ النُّعْمَى
 الَّتِي جَادَتْ دِيْمَهَا مَغَانِيكَ ، وَحَقَّقَتْ الْأَيَّامُ بِمَكَاتِبِهَا أَمَانِيكَ ؛ بِشُكْرِ يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُ
 الْإِعْتِرَافِ ، فَيُؤْمِنُ وَحِشَى النَّعْمِ مِنَ النَّفَارِ وَالْإِنْخِرَافِ ؛ وَأَسْلُكَ فِي جَمَالِ السَّيْرِ ،
 وَالْإِقْتِدَاءِ بِهَذِهِ الْأَوَامِرِ الْمُبَيَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، جَدِّدًا يُغْرِى بِجَمْدِكَ الْأَلْسِنَةَ ، وَيُعْرِبُ عَنْ
 كَوْنِكَ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ؛ وَاللَّهُ يَصَدِّقُ مَحِيَلَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 فِيكَ ، وَيُوزِعُكَ شُكْرًا مَا أَوْلَاكَ وَيُؤَلِّسُكَ ؛ وَيَجْعَلُ الصَّوَابَ غَرَضًا لِنَيْلِ عِزِّهِ ،
 وَيَذُودُ عَنْ دَوْلَتِهِ الْقَاهِرَةِ كَتَّابَ الْخُطُوبِ بِصَوَارِمِ السَّعْدِ وَلَهَازِمِهِ ؛ وَيَصِلُ أَيَّامَهُ
 الزَّاهِرَةَ بِالْخُلُودِ ، وَيَسْطُ عَلَى أَقَاصِي الْأَرْضِ ظِلَّهُ الْمُدُودِ ؛ مَا أَسْتَهْلَ جَفْنَ الْغَيْثِ
 الْمُدْرَارِ ، وَأَبْتَسَمْتَ تُغُورُ الثُّوَارِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان الخلافة ببغداد ما كان يُكْتَبُ
 لأرباب الوظائف من أصحاب السيوف ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(الْعُهُودُ ، وَهِيَ أَعْلَاهَا رُتْبَةً)

وطريقتهم فيها أَنْ تُفْتَحَ بلفظ : « هَذَا مَا عَاهِدَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَلِيُّهُ فُلَانٌ أَبُو فُلَانٍ
 الْإِمَامُ الْفُلَانِيُّ إِلَى فُلَانِ الْفُلَانِيِّ حِينَ عَرَفَ مِنْهُ » وَيَذْكُرُ بَعْضُ مَنَاقِبِهِ ، وَرُبَّمَا
 تَعَرَّضَ لِثَنَاءِ سُلْطَانِ دَوْلَتِهِ عَلَيْهِ . ثُمَّ يَقَالُ : « فَقَلَّدَهُ كَذَا وَكَذَا » ثُمَّ يَقَالُ : « وَأَمْرَهُ
 بِكَذَا » وَيَأْتِي بِمَا يُنَاسِبُ مِنَ الْوَصَايَا . ثُمَّ يَقَالُ : « فَقَلَّدَهُ كَذَا وَكَذَا » ثُمَّ يَقَالُ :

«هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، وَحُجَّتُهُ عَلَيْكَ» أو نحو ذلك ؛ ولا يُؤْتَى فيه بتحميد في أول العهد ولا في أشائه كما تقدّم في عهود الخلفاء للولوك .

عهد أرباب السيوف

(وهى عدّة ولايات)

منها — النظر في المظالم .

وهذه نسخة عهد كتب به أبو إسحاق الصابى ، عن المطيع لله ، إلى الحسين ابن موسى العلوى ، بتقليد المظالم بمدينة السلام ، وهى :

هذا ما عهد عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين ، إلى الحسين بن موسى العلوى ، حين اجتمع فيه شرف الأعراق ، والأخلاق ؛ وتكامل فيه يمن النقائب ، والضرائب ؛ وعرف أمير المؤمنين فيه فضل الكفاية والغناء ، ورشاد المقاصد والأنحاء ؛ فى سالف ما ولّاه إياه من أعماله الثقيلة التى لم يزل فيها محمود المقام ، مستمرا على النظام ؛ مُصِيبَ النَّقْضِ والإبرام ، سديد الإساءة والإلحام ؛ زائداً على المزايد ، راجحاً على الموازين ؛ فائتاً للحاذين ، مُبراً على المبارين ؛ فقلّده النظر فى المظالم بمدينة السلام وسوادها وأعمالها ، وما يتجرى معها ؛ ثقة بعلمه ودينه ، واعتماداً على بصيرته ويقينه ؛ وسكوناً إلى أن الأيام قد زادتة تحليماً وتهدياً ، والسّن قد تاهت به تحنيكا وتجرّياً ؛ وأن صنعة أمير المؤمنين ^(١) مستقرة منه عند أكرم أكفائها ، وأشرف أوليائها ؛ برحمه المتأ الدانية ، وحرمة الشايحة العالیه ، ومعرفة الناقبة الداعية إلى التفويض إليه ، الباعثة على التعويل عليه ؛ وأمير المؤمنين يستمد

الله في ذلك أحسن ماعوده من هداية وتسدید، ومعونة وتأیید؛ وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنب .

أمره بتقوى الله التي هي الجنة الحَصِينة ، والعِصمة المَتيّنة ؛ والسبب المتّصل يوم انقطاع الأسباب ، والزيادة المبلغ إلى دار الثواب ؛ وأن يستشعرها فيما يُسرّ ويُعلن ، ويعتمدها فيما يُظهر ويُبطن ؛ ويعملها إمامه الذي يَخُوه ، ورائده الذي يَقفوه ؛ إذ هي شِمة الأبرار والأخيار . وكان أولى من تعلق بعلائقها ، وتمسك بوثائقها ؛ لمفخره الكريم ، ومنصبه الصّميم ؛ واستظلاله مع أمير المؤمنين بدوّة رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله - التي يَكْتُمَان في فَنَائِها ، ويَأْوِيَان إلى أُمِّيَّاتِها ؛ وحقيق على من كان منها مَنزَعه ، وإليها مَرَجِعُه ؛ أن يكون طَيِّباً زَكِيّاً ، طاهراً نَقِيّاً ، عفيفاً في قوله وفعله ، نظيفاً في سرّه وجهره ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وأمره بتلاوة القرآن ، وتأمل ما فيه من البرهان ، وأن يجعله نصباً لناظره ، ومألفاً لناظره ؛ فأخذ به ويُعطى ، ويأتمر له وَيَتَمَيَّ ؛ فإنه الحجة الواضحة ، والمحجة اللائحة ؛ والمعجزة الباهرة ، والبيّنة العادلة ؛ والدليل الذي من أتبعه سَلِمَ ونجّا ، ومن صدّف عنه هَلَكَ وهوى ؛ قال الله عز من قائل : ﴿ وَأَنَّهُ لِكِتَابٍ عَزِيزٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره أن يجلس للخصوم جلوساً عامّاً ، ويُقبل عليهم إقبالاً تامّاً ؛ ويتصفّح ما يُرْفَع إليه من ظلاماتهم ، ويُنعم النظر في أسباب مُحَادَاتِهِمْ ؛ فإكان طريقه طريق المنازعة المتعلقة بنظر القضاة وشهادات العدول رَدّه إلى المتولّى للحكم ، وما كان طريقه الغُصوب المحتاج فيها إلى الكَشَف والفحص ، والاستشفاف والبحث ؛

نظر فيه نظرَ صاحبِ المظالم ، وأترع الحقّ من غصب عليه ، وأستخلصه ممن أمتدت له يدُ التعدي والتغرر إليه ؛ وأعاده إلى مستحقّه ، وأقرّه عند مستوجبهِ ؛ غيرَ مراقبٍ كبيراً لكبره ، ولا خاصاً لخصوصه ، ولا شريفاً لشرفه ، ولا متسلطناً لسلطانه ؛ بل يقدمُ أمرَ الله جلّ ذكره في كل ما يأتى ويذكر ، ويتوخى رضاه فيما يُورد ويُصدر ؛ ويكونُ على الضعيف الحقّ حديداً رءوفاً حتى يتّصر ويتّصف ، وعلى القوى المبطل شديداً غليظاً حتى يتقاد ويدع . قال الله جل وعز : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ .

وأمره أن يفتح بابَه ، ويسهل حجابَه ، وينسط وجهَه ، ويلين كنفَه ؛ ويصير على الخُصوم الناقصين في بيانهم حتى تظهر حجّتهم ؛ وينعم النظر في أقوال أهل اللّسن والبيان منهم حتى يعلم مُصيبهم ؛ فربّما استظهر العريض المبطل بفضل بيانه ، على العاجز الحقّ ليعي لسانه ؛ وهناك يجب أن يقع التصفّح على القولين ، والاستظهار للأمرين : ليؤمن أن يزول الحقّ عن سنّته ، ويزور الحكم عن طريقه ؛ قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ .

وأمره بأن لا يردّ للقضاة حكماً يعضونه ، ولا سحلاً ينفذونه ؛ ولا يعقب ذلك بفسخ ، ولا يطرق عليه التقض ؛ بل يكون لهم موافقاً مؤازراً ، ولأحكامهم عاضداً ناصراً ؛ إذ كان الحقّ واحداً وإن اختلفت المذاهب إليه . فإذا وجد القصة قد سيقّت ، والحكومة قد وقعت ؛ فليس هناك شكّ يوقف عنده ، ولا ريب يحتاج

إلى الكشف عنه ؛ وإذا وجد الأمر مشتبهًا ، والحق ملتبسًا ؛ والتغرر مستعملًا ،
 والتغلب مستجازًا ، نظر فيه نظر الناصر لحق المحقين ، الداحض لباطل المبطلين ؛
 المقوى لأيدى المستضعفين ، الآخذ على أيدي المعتدين ؛ قال الله عز وجل :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ
 وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا
 أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ ﴾

وأمره أن يستظهر على معرفته بمشاورة القضاة والفُقهاء ، ومباحثة الرُبَّانين
 والعلماء ؛ فإن أشتبَه عليه أمر استرشدَهم ، وإن عَزَب عنه صوابٌ استدلَّ عليه
 بهم ؛ فإنهم أزيمة الأحكام ، وإليه مرجع الحُكَّام ؛ وإذا اقتدى بهم في المُشكلات ،
 وعَمِل بأقوالهم في المُعضلات ؛ أَمِنَ من زَلَّة العائر ، وغَلْطَة المستأثر ؛ وكان خَلِيقًا
 بالأصالة في رأيه ، والإصابة في أبحاثه ؛ وقد أمر الله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - بالمشاورة
 فعَرَفَ النَّاسَ فَضْلَهَا ، وَأَسْلَكَهُمْ سُبُلَهَا ؛ بقوله لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله :
 ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وأمره أن يكتب لمن تَوَجَّبَ له حَقٌّ من الحقوق إلى صاحب الكوفة بالشَّدِّ
 على يده والتَّكْنُّن له منه ، وقَبْضُ الأيْدِي عن مُنَازَعَتِهِ ، وَحَسْمُ الأَطْطَاعِ في مُعَارَضَتِهِ ؛
 إذ هو مُنْدُوبٌ لَتَنْفِيزِ أَحْكَامِهِ ، وَمَأْمُورٌ بِإِمْضَاءِ قَضَايَاهُ ؛ ومَتَى أخذ أحدٌ من
 الخِصُوم إلى مَكَاذِبَةٍ في حَقِّ قَدْ حُكِمَ عَلَيْهِ بِهِ ، أَخَذَ عَلَى يَدِهِ وَكَفَّهُ عَنْ عُذْوَانِهِ ، وَرَدَّهُ
 إِلَى حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُعَدَّلُ عَنْهُ ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، ومجَّته عليك ؛ قد أرشدك وذَكَرك ، وهَدَاكَ
وبَصَرَكَ ؛ فكنْ إليه مُنتَبِهاً ، وبه مُقتدياً ؛ وأستعين بالله يُعِنكَ ، وأستكفِه يَكْفِكَ .
وكتب الناصح أبو الطاهر في تاريخ كذا .



ومنها — بَقَاةُ الطالِبِينَ : وهي المعبر عنها الآن بِبَقَاةِ الأشراف .

وهذه نسخةُ عهدِ بَقَاةِ الطالِبِينَ ، كتب به أبو إسحاق الصابى ، عن الطائع لله
إلى الشريف أبي الحسن محمد بن الحسين العلوى الموصى ، مضافاً إليها النظرُ
في المساجد وعمارتها ، وأستخلافه لوالده الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى على
النظر في المظالم والحج بالناس ، في سنة ثمانين وثلثمائة ، وهي :

هذا ما عهد عبدُ الله عبدُ الكريم ، الإمامُ الطائعُ لله أميرُ المؤمنين ، إلى محمد بن
الحسين بن موسى العلوى ، حين وصلته به الأنساب ، وقرئت لديه الأسباب^(١) ؛
وظهرت دلائلُ عقله ولبابته ، ووضحت مخايلُ فضله ونجاته ؛ ومهد له بهاءُ الدولة
وضياءُ الملة أبو نصر بن عضد الدولة مامهد عند أمير المؤمنين من المحلِّ المكين ،
وصفقه به من الحلم الرزين ؛ وأشار به من رفع المنزلة ، وتقديم الرتبة ؛ والتأهيل
لولاية الأعمال ، وتحمل الأعباء والأثقال ؛ وحيث رغبه فيه ، سابقة الحسين أبيه ،
في الخدمة والنصيحة ، والمشايعة الصحيحة ، والمواقف المحموده ، والمقامات
المشهوده ؛ التي طابت بها أخباره ، وحسنت فيها آثاره ؛ وكان محمد متخلطاً بخلائقه ،
وذاهباً على طرائقه : علماً وديانته ، وورعاً وصيانته ؛ وعفةً وأمانه ، وشهامةً وصرامه ؛

(١) في " المثل السائر " ص ١٢٢ « وتأكدت له الأسباب » .

وتَفَرَّدًا بِالْحِظِّ الْحَزِيلِ : من الفضل الجميل والأدب الجزل ، والتوجه في الأهل ؛ والإيفاء في المناقب على لذاته وأثرابه ، والإبرار على قُرَّانته وأضرابه - فقلَّده ما كان داخلًا في أعمال أبيه من نِقَابَةِ ثِقَبَاءِ الطَّالِبِينَ بمدينة السلام وسائر الأعمال والأمصار ؛ شرقًا وغربًا ، وبعْدًا وقربًا ؛ واختصَّه بذلك جذبًا بضبعه ، وإنافه بقدره ، وقضاء لحقِّ رحمه ؛ وترَفَّيها لأبيه ، وإسعافًا له بليثاره فيه ؛ إلى ما أمر أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر في المظالم ، وتسيير الحجيج في أَوَّانِ المَوَاسِمِ ؛ والله يُعرِّفُ أمير المؤمنين الحَليَّةَ فيما أمرَ ودبرَ ، وحُسْنَ العاقبة فيما قضى وأمضى ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكَّلُ وإليه يُنِيبُ .

أمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين ، وسِيَّما الصالحين ، وعِصْمَةُ عِبَادِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ ؛ وَأَنْ يَعْتَقِدَهَا سِرًّا وَجَهْرًا ، وَيَعْتَمِدَهَا قَوْلًا وَفِعْلًا ؛ فَيَأْخُذَ بِهَا وَيُعْطِيَ ، وَيَرِيئُ وَيَرِي ؛ وَيَأْتِي وَيَذَرُ ، وَيُورِدُ وَيُصْدِرُ ؛ فَإِنَّهَا السَّبَبُ الْمَتِينُ ، وَالْمَعْقِلُ الْحَصِينُ ؛ وَالزَّادُ النَّافِعُ يَوْمَ الْحِسَابِ ، وَالْمَسْلُوكُ الْمُقْضَى إِلَى دَارِ الثَّوَابِ ؛ وَقَدْ حَصَّ اللَّهُ أَوْلِيَائِهِ عَلَيْهَا ، وَهَدَاهُمْ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ إِلَيْهَا ؛ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وأمره بتلاوة كتاب الله سبحانه مواظبًا ، وتصفحه مداومًا مُلَازِمًا ؛ وَالرُّجُوعَ إِلَى أَحْكَامِهِ فِيمَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ ، وَنَقَضَ وَأَبْرَمَ ، وَأَنَابَ وَعَاقَبَ [وَبَاعَدَ وَقَارَبَ] ؛ فَقَدْ صَحَّحَ اللَّهُ بُرْهَانَهُ [وَحُجَّتَهُ] ، وَأَوْضَعَ مِنْهَا جَهَ وَمَحِجَّتَهُ ؛ وَجَعَلَهُ جَفْرًا فِي الظُّلُمَاتِ طَالِعًا ، وَنُورًا فِي الْمَشْكَلَاتِ سَاطِعًا ؛ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ نَجَا وَسَلِمَ ، وَمَنْ عَدَلَ عَنْهُ هَلَكَ وَهَوَى

(١) في "المثل السائر" بدله «ويسروينوى» .

(٢) الزيادة من "المثل السائر" .

[وَنَدِمَ] ^(١) . قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره بتزيره نفسه عما تدعو إليه الشهوات ، وتتطلع إليه الزوات ؛ وأن يضبطها ضبط الحكيم ، ويكفها كف الحليم ؛ ويجعل عقله سلطاناً عليها ، وتميزه أمراً ناهياً لها ؛ فلا يجعل لها عدواً إلى صبوته ولا هفوه ، ولا يطبق منها عناناً عند ثورة ولا فوره ؛ فإنها أماراة بالسوء ، منصبة إلى النقي ؛ فالحازم يتيمها عند تحرك وطره وأربه ، وأهتياج غيظه وغضبه ؛ ولا يدع أن يغضها بالشكيم ، ويعركها عرك الأديم ؛ ويقودها إلى مصالحها بالخراتم ، ويعتقلها عن مقارفة المحارم والمآثم ؛ كما يعز بتذليلها وتأديبها ، ويجعل رياضتها وتقويمها ؛ والمفترط في أمره تطمع به إذا طمحت ، ويحج معها أئى جمحت ؛ ولا يلبث أن توردته حيث لا صدر ، وتلجته إلى أن يعتذر ؛ وتقيمه مقام النادم الواجم ، وتتكب به سيدل الراشد السالم ؛ وأحق من تحلى بالمحاسن ، وتصدى لاكتساب الحماد ؛ من ضرب بمثل سهمه في نسب أمير المؤمنين الشريف ، ومنصبه المنيف ؛ وأجتمع معه في ذؤابة العثرة الطاهره ، وأستظل بأوراق الدوحة الفاسحه ؛ فذاك الذى نتضاعف له المآثر إن أثرها ، والمثالب إن أسف إليها ؛ ولا سيما من كان مندوباً لسياسة غيره ، ومُرشحاً للتقليد على أهله ؛ إذ ليس ينفي بإصلاح من ولى عليه ، من لا ينى بإصلاح ما بين جنبه ؛ وكان من أعظم الهجنة أن يأمر ولا يأتمر ، ويزجر ولا يزدجر ؛ قال الله عز وجل : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وأمره بتصفّح أحوال من وُلّي عليهم واستقراء مذاهبهم ، والبحث عن بواطنهم ودخائلهم ؛ وأن يعرف لمن تقدّمت قدمه منهم وتظاهر فضله فيهم منزله ، ويوقّيه حقّه ورتبته ؛ وينتهي في إكرام جماعتهم إلى الحدود التي توجبها أنسابهم وأقدارهم ، وتقتضيها مواقفهم وأخطارهم : فإنّ ذلك يلزمه لشئيين : أحدهما يخصّه وهو النسب الذي بينه وبينهم ، والآخر يعمّه والمسلمين جميعاً ، وهو قول الله جلّ ثناؤه : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ فالموَدّة لهم والإعظام لأكارهم ، والإشبال على أصاغرهم ؛ [واجب] متضاعف الوجوب عليه ، ومتأكّد اللزوم له ؛ ومن كان منهم في دُون تلك الطّبقة من أحداثٍ لم يَحْتَنِكُوا ، أو جُدعانٍ لم يقرحوا ؛ مُجَرِّينَ إلى ما يُزَيَّرُ بأنسابهم ويغضُّ من أحسابهم ، عدلهم ونههم ، ونهاهم ووعظهم ؛ فإنّ نزَعُوا وأقلَعُوا فذاك المراد بهم ، والمقصود إليه فيهم ؛ وإنّ أصرّوا وثابَعُوا ، أُنالهم من العقوبة بقدر ما يكفّ ويدعُ ؛ فإنّ نفع وإلا تجاوزوه إلى ما يوجب ويلدع ؛ من غير تطرُق لأعراضهم ، ولا آتِهائِ لأحسابهم ؛ فإنّ الغرض منه الصّيانه ، لا الإهانه ؛ والإداله ، لا الإداله . وإذا وجبت عليهم الحقوق ، أو تعلّقت بهم دواعي الخُصوم ، قادهم إلى الإغفاء بما يصح منها ويحب ، والخروج إلى سنن الحق فيما يشتهيه ويلتبس . ومتى لزمته الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها ، بعد أن ثبّت الجرائم وتصح ، وتبين وتُتضح ؛ وتُجَرّد عن الشكّ والشبهة ، وتُجَلّ من الظنّ والتمه ؛ فإنّ الذي يُستحبّ في حدود الله أن تُدرأ عن عباده مع نقصان اليقين والصّحة ، وأن تُمضى عليهم مع قيام الدليل والبيّنة . قال الله عزّ وجل :

﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

(١) الإشبال العطف وفي "المثل السائر" « والاشتغال » وهو بمعناه .

(٢) الزيادة عن "المثل السائر" .

وأمره بحياطة هذا النسب الأظهر، والشرف الأفخر، عن أن يدعيه الأدياء،
أو يدخل فيه الدخلاء؛ ومن آتى إليه كاذبا، وأنتحل به باطلا، ولم يوجد له بيت
في الشجرة، ولا مصداق عند النسابين المهره، أوقع به من العقوبة ما يستحقه،
ووسمه بما يعلم به كذبه وفسقه؛ وشهره شهرة ينكشف بها غشه ولبسه، ويتبرع
بها غيره ممن تسؤل له مثل ذلك نفسه. وأن يخصن الفروج عن مناهكة من ليس لها
كفؤا، ولا مشاركتها في شرفها ونفرتها؛ حتى لا يطمع في المرأة الحسبية النسبية
إلا من كان مثلا لها مساويا، ونظيرا موازيا؛ فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وأمره بمراعاة متبلى أهله ومتجديهم، وصلحاتهم ومجاورهم، وأراملهم
وأصاغرهم؛ حتى يسد الخلة من أحوالهم، ويُدز الموائد عليهم، وتتعدل أقساطهم
فيما يصل إليه من وجوه أموالهم؛ وأن يزوج الأيما، ويربي اليتامى؛ ويلزمهم
المكاتبة ليتقنوا القرآن، ويعرفوا فرائض الإسلام والإيمان؛ ويتأدبوا بالآداب،
اللائقة بذوى الأخساب؛ فإن شرف الأعراق، محتاج إلى شرف الأخلاق؛ ولا حمد
لمن شرف نسبه، وتخف أدبه؛ إذ كان لم يكسب الفخر الحاصل له بفضل سعى
ولا طلب، ولا اجتهد ولا دأب؛ بل بضع من الله عز وجل له، ومزید في المنة
عليه؛ وبحسب ذاك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية، والاعتداد
بما فيها من المزية، وإعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب، والترفع عن
الذائل والمثالب.

وأمره بإحمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمره أمير المؤمنين
باستخلافه عليه من النظر في المظالم، والأخذ للظلم من الظالم؛ وأن يجلس للترافعین

إليه جُلُوساً عاماً ، ويتأَمَّل ظُلَامَاتِهِمْ تأَمُّلاً تاماً ؛ فما كان منها متعلّقاً بالحَاكِمِ رَدّه إليه ، ليَحْمِلَ الخُصُومَ عليه ؛ وما كان طَرِيقُهُ طَرِيقَ الغُشْمِ والظُّلْمِ ، والتَّغْلِبِ والغُصْبِ ، قَبِضَ عنه اليَدَ المُبْطِلَةَ ، وثَبَّتَ فيه اليَدَ المُسْتَحِقَّةَ ؛ وتَحَرَّى في قَضَايَاهُ أَنْ تَكُونَ مُوَافِقَةً لِلْعَدْلِ ، وَمُجَانِبَةً لِلتَّغْلِيلِ ؛ فَإِنَّ غَايَتِي الحَاكِمِ وصَاحِبِ المَظَالِمِ وَاحِدَةٌ : وهى إقَامَةُ الحَقِّ وَنُصْرَتُهُ ، وَإِبَانَتُهُ وَإِنَارَتُهُ ؛ وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ سَبِيلَاهُمَا فِي النِّظَرِ : إِذَا الحَاكِمُ يَعْمَلُ عَلَى مَا ثَبَّتَ وَظَهَرَ ، وصَاحِبُ المَظَالِمِ يَفْحَصُ عَمَّا غَمَضَ وَأَسْتَرَّ ؛ وَلَيْسَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَرُدَّ لِحَاكِمِ حُكُومِهِ ، وَلَا يُعِلَّ لَهُ قَضِيَّةً ؛ وَلَا يَتَعَقَّبَ مَا يُفِئِدُهُ وَيُخْصِيهِ ، وَلَا يَتَّبِعَ مَا يَحْكُمُ بِهِ وَيَقْضِيهِ ؛ وَاللَّهُ يَهْدِيهِ وَيُسَدِّدُهُ ، وَيُوقِّعُهُ وَيُرْشِدُهُ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَسِيرَ حَاجِجَ بَيْتِ اللَّهِ إِلَى مَقْصِدِهِمْ ، وَيُجِيبَهُمْ فِي بَدَائَتِهِمْ وَعَوْدَتِهِمْ ؛ وَيَرْتَبَهُمْ فِي مَسِيرِهِمْ وَمَسْلِكِهِمْ ، وَيُرَاعَهُمْ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ ؛ حَتَّى لَا تَتَأَلَّمُ شِدَّتُهُ ، وَلَا تَصُلَّ إِلَيْهِمْ مَضَرَّةٌ ؛ وَأَنْ يُرِيحَهُمْ فِي الْمَنَازِلِ ، وَيُورِدَهُمُ الْمَنَآهِلَ ؛ وَيُنَاوِبَ بَيْنَهُمْ فِي النَّهْلِ وَالْعَلَلِ ، وَيُمَكِّنَهُمْ مِنَ الْإِرْتَوَاءِ وَالْإِكْتِفَاءِ ؛ مُجْتَهِدًا فِي الصِّيَانَةِ لَهُمْ ، وَمُعْذِرًا فِي الذَّبِّ عَنْهُمْ ؛ وَمُتَمَلِّقًا عَلَى مَتَانِحِهِمْ وَمَتَخَلِّفَهُمْ ، وَمُنْهِيضًا لَضَعِيفِهِمْ وَمَهِيضَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ حُجَّاجُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَزُورَةُ قَبْرِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ قَدْ هَجَرُوا الْوَطَانَ ، وَفَارَقُوا الْأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ ؛ وَتَجَشَّعُوا الْمَغَارِمَ الثَّقَالَ ، وَتَعَسَّفُوا السُّهُولَ وَالْحَبَالَ ؛ يَلْبُونَ دَعَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيُطِيعُونَ أَمْرَهُ وَيُؤَدُّونَ فَرْضَهُ وَيَرْجُونَ نَوَابِهِ ؛ وَحَقِيقٌ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُحْرَسَهُمْ مَتَبَّرًا ، وَيُحَوِّطَهُمْ مَتَطَوِّعًا ؛ فَكَيْفَ مَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ وَصَمِنَهُ ، وَتَقَلَّدَهُ وَأَعْتَقَهُ ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

وأمره أن يُراعى أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها ، وأقطارها وأكافها ؛
وأن ينحى أموال وقوفها ، ويستقصى جميع حقوقها ؛ وأن يلم شعنها ، ويسد خللها ؛
بما يتحصل من هذه الوجوه قبله ، حتى لا يتعطل رسم جرى فيها ، ولا تنقض عادة
كانت لها ؛ وأن يثبت اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها ، ويذكر اسمه بعده
بأن عمرانها جرى على يديه ، وصلاحها أداه قول أمير المؤمنين إلى فعله ؛ فقد فسح له
أمير المؤمنين بذلك تنويهاً باسمه ، وإشادةً بذكره ؛ وأن يولى ذلك من قبله من حسنت
أمانته ، وظهرت عفته وصيانتته ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ
أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ .

وأمره أن يستخلف على ما يرى الاستخلاف عليه من هذه الأعمال : في الأمصار
الدانية ، والبلاد القريبة والبعيدة ، من يثق به من صلحاء الرجال ، وذوى الوفاء
والاستقلال ؛ وأن يعهد إليهم مثل الذى عهد إليه ، ويعتمد عليهم فى مثل ما اعتمد
عليه ؛ ويستقرى مع ذلك آثارهم ، ويتعرف أخبارهم ؛ فمن وجده محموداً أقره
ولم يزله ، ومن وجده مذموماً صرفه ولم يمهله ؛ وأعتاض منه من ترجى الأمانة
عنده ، وتكون الثقة معهوداً منه ؛ وأن يختار لكتابته وحجته والتصرف فيما قرب
منه وبعد عنه ؛ من يزينه ولا يشينه ، وينصح له ولا يغشيه ، ويحمله ولا يهجنه ، من
الطبقة المعروفة بالظلف ، المتصونة عن النطف ؛ ويجعل لهم من الأرزاق الكافية ،
والأجرة الوافية ، ما يصدّهم عن المكاسب الذميمة ، والمأكلى الوخيمة ؛ فليس تجب
عليهم المحجة إلا مع إعطاء الحاجة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ
وَأَنْ سَعْيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ﴾ .

وأمره بأن يكتب لمن يقوم بيئته عنده وتكشف حجة له ، إلى أصحاب
المعان بالشدة على يديه ، وإيصال حقه إليه ، وحسم الطمع الكاذب فيه ،
وقبض اليد الظالمة عنه ؛ إذ هم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه ، والوقوف عند
رسمه وحده .

وهذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته لك وعليك ؛ قد أنار فيه سيالك ، وأوضح
دليلك ؛ وهداك وأرشدك ، وجعلك على بينة من أمرك ؛ فاعمل به ولا تخالفه ،
وأتته إليه ولا تتجاوز به ، وإن عرض لك أمر يعجزك الوفاء به ، ويشتبه عليك وجه
الخروج منه ، أنهيته إلى أمير المؤمنين مبادرا ، وكنت إلى ما يأمر بك به صائرا ؛
إن شاء الله تعالى . وكتب في مستهل شعبان سنة ثمانين وثلثمائة .



ومنها - ولاية الصلاة .

وهذه نسخة عهد كتب بها أبو إسحاق الصابى عن الطائع لله ، لأبى الحرث
محمد بن موسى العلوى الموصى ، بتقليده الصلاة في جميع النواحي والأمصار
والأطراف ، وتوقف عن إظهاره لرأى رآه في ذلك ، وهى :

هذا ما عهد عبد الله إلى محمد بن موسى العلوى ، لما استكشفه النظر في نقابة
الطالبين فكفاه ، وتحمل ذلك العبء فأغناه ، وفات النظراء في الاستقلال والوفاء ؛
وبدأ الأمثال في الإضطلاع والغناء ؛ جامعا إلى شرف الأحساب والأعراق ، شرف
الآداب والأخلاق ؛ وإلى كرائم المفاخر والمناقب ، مكارم الطبائع والضرائب ؛
على الحداثة من سننه ، والغضاضة من عوده ؛ مستوليا من البراعة والنجابه ؛ والفراهة
واللبابه ؛ على التي لا يبلغها الشيب المفارق ، فضلا عن البالغ المراهق ؛ وغايات

تَقَطَّعَ دُونَهَا أَنْفَاسُ الْمَنَافِسِينَ ، وَتَضَرَّعَ عَلَيْهَا أَحْشَاءُ الْحَاسِدِينَ ؛ لِأَسْمَاءٍ وَقَدْ أَطَّتْ^(١) بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ شَوَاجِنُ الْأَرْحَامِ ، وَعَطَفَتْهُ عَلَى أَصْطِنَاعِهِ عَوَاطِفُ الْآبَاءِ وَالْأَعْمَامِ ؛ وَأَقْتَضَتْ آثَارُهُ الْمَحْمُودَةَ ، وَطَرِائِقُهُ الرَّشِيدَةَ ؛ أَنْ يُنَاوِيَهُ عَلَى رُبَّةٍ لَمْ يَبْلُغْهَا أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَقْتَرَعْ دَوَائِبَهَا رَجُلٌ دُونَهُ ؛ فَقَلَّدَهُ الصَّلَاةَ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ فِي خَمْسَةِ جَوَامِعِهَا : فَأَوَّلُهَا الْجَمَاعُ الدَّخَلُ فِي حَرِيمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَامِعُ الرِّصَافَةِ ، وَجَامِعُ الْمَنْصُورِ ، وَجَامِعُ بُرَائِي ، وَجَامِعُ الْكَفِّ الَّذِي تَوَلَّى أَبُوهُ إِشَادَتَهُ وَعِمَارَتَهُ ، وَحُسْنُ آثَارِهِ فِي أَنْشَاءِهِ وَإِعْلَانِهِ ؛ وَحَيْثُ سَمَتْ هِمَّتُهُ إِلَيْهِ ، وَبَذَلَ الْمَجْهُودَ فِي إِتْفَاقِ الْأَمْوَالِ الدُّثْرَةِ عَلَيْهِ ؛ وَاسْتَزَلَّ بِذَلِكَ مِنْ اللَّهِ أَجْزَلَ لِمَا تَابَهُ الْمُتَشَائِبِينَ ، وَأَوْفَرَ أَجْرِ الْمَاجُورِينَ ؛ وَجَمِيعِ الْكُنَابِرِ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا ، وَبَعِيدِ الْأَقْطَارِ وَقَرِيبِهَا ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَ التَّسْهِيدِ فِي ذَلِكَ وَسَائِرِ مَرَامِيهِ ، وَجَمِيعِ مَطَالِبِهِ وَمَغَازِيهِ ؛ وَجَوَارِي هِمَمِهِ الَّتِي يُمَضِّيهِهَا ، وَسَرَايَا عَزَمَاتِهِ الَّتِي يَنْوِيهَا ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ النِّجَاحَ قَائِدَهَا وَسَائِقَهَا ، وَالصَّلَاحَ أَوَّلَهَا وَآخِرَهَا ؛ وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَحَرُّ الْمَعَاقِلِ ، وَأَحْصَنُ الْجُنُنِ عِنْدَ النَّوَازِلِ ؛ وَأَعْظَمُ مَلْجَأٍ يُلْجَأُ إِلَيْهِ ، وَأَمْنٌ مَوْثَلٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ ؛ وَأَنْ يَعْتَقِدَهَا فِي خَلْوَتِهِ وَحَقْلَتِهِ ، وَيَعْتَمِدَهَا فِي سِرِّهِ وَعِلَاقَتِهِ ؛ وَيَجْعَلَهَا سَبَبًا يَنْتَبِعُهُ ، وَلِبَاسًا يَدْرِعُهُ ؛ فَيُنَازِعُ بِهَا مَنْ نَازَعَهُ ، وَيُؤَادِعُ بِهَا مَنْ وَادَعَهُ : فَإِنَّهَا أَوْكَدُ الْأَسْبَابِ ، وَأَوْصَلُ الْقُرْبِ وَالْأَنْسَابِ . وَأَوَّلَى النَّاسِ بِالْتَّمَسْكِ بِحَبْلِهَا ، وَالِاسْتِمَالِ بِظُلْمِهَا ؛ مَنْ كَانَ بِأَجَلٍ الْمُنَاسِبَ تَعَلَّقَهُ ، وَبِأَشْرَفِ الْخَلَائِقِ

(١) فِي الْقَامُوسِ « أَطَّتْ لَهُ رَحِمِي رَفَتْ وَتَحَرَّكَتْ » فَانْظُرْهُ .

(٢) فِي اللِّسَانِ ج ٥ ص ٣٦٢ « الدُّثْرُ بِالْفَتْحِ الْمَالُ الْكَثِيرُ لَا يَنْتَبِي وَلَا يَجْمَعُ بِقَالَ مَالٌ دَثْرٌ وَمَالَانٌ دَثْرٌ وَأَمْوَالٌ دَثْرٌ » فَلَمَّا هَاءُ التَّأْنِيثِ زَائِدَةٌ مِنْ قَلَمِ النَّاسِخِ . تَأَمَّلْ .

تَحْلُقُهُ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وأمره بتلاوة القرآن ، والمواظبة عليه والإدمان ، والأثمار بما فيه من الأوامر ، والأزديجار عما تَضُمَّن من الزواجر ؛ وأن يجعله الإمام المتَّبِع فيَقْفُوهُ ، والطريق المَهْمَج فيَقْصِدْهُ وَيُخَوِّهُ : فإنه العَلَمُ الْمُنْجِي من الغَوَايِهِ ، والدليلُ الْقَائِدُ إِلَى الْهَدَايِهِ ؛ والنور الساطعُ لِلظَّلَامِ إِذَا أَشْكَلَ مُشْكَلٌ ، والحَاكِمُ الْقَاضِي بِالْحَقِّ إِذَا أُعْضِلَ مُعْضِلٌ ؛ قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره بتَهْدِيبُ لُبِّهِ ، من جَوَامِجِ الْوَسَاوِسِ ، وتطهير قَلْبِهِ ، من مَطَاحِ الْهَوَاجِسِ ؛ وَأَنْ يَتَوَقَّى الْمَخْطَةَ الْعَارِمَةَ ، وَيَتَجَنَّبَ اللَّفْظَةَ الْمُؤْلِمَةَ ؛ عَاصِيًا جَوَادِبَ الْخَلَاعَةِ ، وَمُطِيعًا أَوَامِرَ التَّرَاهَةِ ؛ حَتَّى يَسْتَوِيَ خَافِيهِ وَعَالِيَتُهُ ، وَيَتَّفَقَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ ؛ فِعَالٌ مِنْ جَعَلَهُ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ إِمَامًا ، وَقَدَمَتَهُ الرِّعْيَةُ أَمَامًا ؛ وَكَانَ إِلَى اللَّهِ دَاعِيَا ، وَلَهُ عَنْ عِبَادِهِ مُنَاجِيَا ؛ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَالِقِهِمْ وَسِيطَا ، وَعَلَى مَا قَلَّدَهُ مِنَ الصَّلَاةِ بِهِمْ أَمِينَا ؛ لِتَصِحَّ شُرُوطُ صَلَاتِهِ ، وَيُقْبَلَ مَرْفُوعُ دَعَوَاتِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وأمره بِالْمَحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ ، وَاتِّهَازِ فُرْصِهَا مِنَ الْأَوْقَاتِ ؛ وَالدَّخُولِ فِيهَا بِالرَّقَّةِ وَالْخُشُوعِ ، وَالتَّوَفُّرِ بِالْإِخْبَاتِ وَالْخُضُوعِ ؛ وَحَقِيقُ عَلَى كُلِّ مُسْتَشْعِرٍ شِعَارَ الْإِسْلَامِ ، وَمُتَجَلِّبٍ جِلْبَابَ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ مُسْتَوْفِيًا شُرُوطَهُ ، وَمُسْتَقْصِيًا حُدُودَهُ وَرُسُومَهُ ، فَكَيْفَ بِنِ أَقَامَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ [مقامه] فِي أَمْتِطَاءِ غَوَارِبِ الْمَنَابِرِ

وَدُرَّاهَا ، وَنَضَبَهُ مَنْصِبَهُ فِي أُمِّ الرِّعْيَةِ أَذْنَاهَا وَأَقْصَاهَا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ بَايَئُهَا آيِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ . وَقَالَ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وأمره بالسعى في الجمع إلى المساجد الجامعة ، وفي الأعياد إلى المصلّيات
الضاحية ؛ وأن يخصّ أحدها بصلاته فيه وقصده له ؛ ويأمر خلفاءه على الصلاة
بالإقتراح في سائر الجوامع ، وبأبى المنابر ؛ بعد الأمر بجمع المؤذنين والمكبرين ،
وإحضار القوام والمرتين ، في أتم أهبة وأجمل هيئة ، بقلوب مستشعرة للخشوع ،
متصدية للدموع ؛ وألّسن بالتسبيح والتقديس مُنْطَلِقة ، وآمال في حُسن الجزاء
وجزيل الثواب مُنْفِسِحَة ، حتّى تعبرَ ألسنتُهُمْ إذا أفرغوا الخطب وأفتتحوا الكلام
عن مكنون ضمائرهم ، ومضمون سرّائهم ؛ فتجىء المواعظ بالغة ، والزواجر ناجعة ؛
قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وأمره بمراعاة المساجد، وتعهد الجوامع، وسدّ خللها، ولمّ شعثها؛ فإنها مقاوم
عزّه ونفخه، ومحاضر صيته وذكره؛ ومراكز أعلام الدين الخافقه، ومطالع
شموس الإسلام الشارقه؛ ومواقف الحق المشهوده، وقواعد الإيمان الموطوده؛
مما لا يتضعّع أحدها إلا تتضعّع من أركان الإسلام له ركن، ولا ألتأت بعضها
إلا ألتأت من أعضاء الدين عضو؛ قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ
أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ .

(١) جمع مقوم وفي اللسان «المقوم الخشبة التي يمسكها الحراث» ولعله يريد أنها آلات عزه ونفوه .
تأمل .

وأمره في خُطْبَتِهِ بِكَثْرَةِ التَّحْفِظِ ، وعندَ آفَتْاحِهِ وأخْتتامِهِ بِطُولِ التَّيَقُّظِ ؛
 فإنَّ العُيُونَ به مُنَوِّطَةٌ ، والأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مَمْدُودَةٌ ؛ والمَسَامِعُ فَارِغَةٌ تَتَلَقَّفُ ما يَقُولُهُ ،
 والقُلُوبُ فَارِغَةٌ لِحَفْظِ ما يُبْدِي وما يُعِيدُ ؛ قَلِيلُ الزَّلَلِ ، في ذَلِكَ المَوْقِفِ كَثِيرُ ،
 وصَغِيرُ الخَطَلِ ، في ذَلِكَ المَقَامِ كَبِيرُ ؛ واللهُ تَعَالَى يُسَدِّدُهُ إِلَى المَحَجَّةِ الوُسْطَى ،
 وَيَقِفُ بِهِ عَلَى الطَّرِيقَةِ المِثْلَى ، بِمَنِهِ .

وأمره بالسَّكِينَةِ في آتِنِصَابِهِ لِلصَّلَاةِ الجَامِعَةِ ، وتَقَدُّمِهِ لِقَضَاءِ الفُرُوضِ اللّازِمَةِ ؛
 وأنَّ يَسْكُنَ [في كُلِّ] حَدٍّ من حُدُودِهَا في الرُّكُوعِ والسُّجُودِ ، والقِيَامِ والقُعُودِ ؛
 فَإِنَّهُ عَلَيْهَا مُحَاسَبٌ ، وبِمَا يَلْحَقُ من يَأْتُمُّ بِهِ في جَمِيعِهَا مُطَالِبٌ ؛ وأنَّ يُفَرِّغَ قَلْبَهُ
 لما يَتْلُوهُ من البَيَانِ ، ويرْفَعُ صَوْتَهُ بما يَتَرَبَّه من قَوَارِعِ القُرْآنِ ؛ مَرَّتَلًا لِقِرَاءَتِهِ ،
 وَمُسْتَرَسِلًا في تِلَاوَتِهِ : لِيَشْتَرِكَ في سَمَاعِهَا الأَقْرَبُ والأَقْصَى ، وَيَنْتَفِعَ بِمَوَاضِعِهَا
 الأَبْعَدُ والأَدْنَى ، بَعْدَ إِخْلَاصِ سِرِّهِ وَاتِّزَاعِهِ ، وتَسْوِيَتِهِ في الطَّهْوَرِ بَيْنَ بَادِيهِ
 وخَافِيهِ ، وَغَايِبِهِ وحَاضِرِهِ ؛ فليسَ بالطَّاهِرِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى من يُصِيبُ بالمَاءِ أَطْرَافَهُ ،
 وَأُذُنَ بِالخَبَائِثِ شِغَافَهُ ؛ قالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ
 مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ . وقالَ : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ
 عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وأمره أن يُقِيمَ الدَّعْوَةَ عَلَى منابرِ أَعْمَالِهِ القَاصِيَةِ والدَانِيَةِ والغَائِبَةِ والحَاضِرَةِ
 لِأُمَمِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ ثمَّ لِلنَّاهِضِ عَنْهُ بِالْأَعْبَاءِ ، والقَائِمِ دُونَهُ فِي البَأْسَاءِ والضَّرَاءِ ؛ الَّذِي
 غَدَى يَلْبَانِ الطَّاعَةِ ، وأَتَقَادَ بِزِمَامِ المَتَابَعَةِ : بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ؛ وَلَوْلَاةِ الأَعْمَالِ من بَعْدِهِ
 الَّذين يُدْعَى لَهُمُ عَلَى المَنَابِرِ ، ما يُكُونُ مِنْهَا عَلَى العَادَةِ الجاريةِ فِيهَا ، فإنَّها دَعْوَةٌ تَلْزِمُ
 إقامَتُها ، وكَلِمَةٌ تَجِبُ إِشادَتُها ؛ إِذْ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِطَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ أَوْجَبَهَا اللهُ

تبارك وتعالى على كافة المسلمين وجميع المعاهدين، إذ يقول [وهو] اصدق القائلين :
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ؛ وعائدتها
 نعمهم، وفائدتها تشملهم؛ إذ كان صلاح الرعية مقرونا بصلاح راعيها، وفساد
 الأمة منوطا بفساد راعيها .

وأمره باستخلاف من يرى استخلافه على الصلاة في الأفطار والأطراف والنواحي
 والبلدان، وأن يختار من الرجال كل حسن البيان ؛ مضجع اللسان ؛ ليل الريق إذا
 خطب، بليغ القول إذا وعظ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته لك وعليك ؛ قد أعذر فيه وأنذر، وهدى
 من الضلالة وبصر ؛ وأعلقك زمام رشدك وغيك ، وقلدك عنان هلكك وفوزك ؛
 وخيرك في كلا الأمرين، ووفقك إزاء الطريقين ؛ فإن سلكت أهداهما لم تلبث أن
 تعود غائما، وإن ولجت أضلها فغير بعيد أن تشوب نادما ؛ وأستعين بالله يُعَنِّكَ ،
 وأسترده من الكفاية يزدك ؛ وأستليسه الهداية يلينك ، وأستدله على نجاح
 المطالب يذللك، إن شاء الله، والحمد لله وحده .

ومنها — نظر الأوقاف .

وهذه نسخة عهد من ذلك ، كتب بها أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله -
 للحسين بن موسى العلوى ، وهى :

هذا ماعهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين ، إلى الحسين بن
 موسى العلوى ، حين طابت منه العنصر، ووصلته بأمر المؤمنين الأواصر ؛ جمع
 إلى شرف الأعراق الذى ورثه، شرف الخلق الذى آكتسبه ؛ ووضعت آثار دينه

وأمانته ، وبانت أدلة فضله وكفايته ، في جميع ما أسنده أمير المؤمنين إليه من الأعمال ، وحمله إياه من الأثقال ؛ فأضاف إلى ما كان ولآه من [ذلك] النظر في الوقوف التي كانت يد فلان فيها بالحضرة وسواها ، ثقة بسداده ، وسكونا إلى رشاده ؛ وعلمنا بأنه يعرف حق الصنيعه ، ويرعى ما يستحفظه من الوديعه ؛ ويجري في المنهل الذي أحده أمير المؤمنين منه ووكل إليه . والله يمد أمير المؤمنين بصواب الرأي فيما تحاه وتوحاه ، ويؤمنه في عاقبته الندم فيما قضاه وأمضاه ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنب .

أمره بتقوى الله التي هي عماد الدين ، وشعار المؤمنين ، وأن يعتقدها في سره ونجواه ، ويعملها الذخيرة لأولاه وأخراه ؛ ويتجنب الموانع المونية ، ويتوقى الموارد المريبة ؛ وينص طرفه عن المطامع المغوية ، ويذهب بنفسه عن المطارح المخزية ؛ فإنه أحق من فعل ذاك وآثره ، وأولى من اعتمده واستشعره ؛ بنسبه الشريف ، ومفخره المنيف ؛ وعادته المشهورة ، وشاكلته الماثورة ؛ وتلاوة كتاب الله الذي هو وعرة رسول الله الثقلان المخلفان في الأمة ، وقد جمعته ، وأخرهما الأنساب وجمعه والثاني عصمة أولى الألباب ، وتوجهت حجة الله بما يرجع من هذه الفضائل إليه ، وأنه غضن من دوحة أمير المؤمنين ، التي تحداها الله بالإنذار قبل الخلائق أجمعين ؛ إذ يقول لرسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ . وقد حصّ تبارك وتعالى على التقوى ، ووعد عباده عليها الزلفى ؛ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وأمره بالإشتغال على ما أسنده إليه أمير المؤمنين من هذه الوقوف مستنفدا طوقه في عمارتها ، مستفرغا وسعته في مصلحتها ، دأباً في استغلالها وتشميرها ، مجتهداً

(١) هذه الجمل هكذا في الأصول وهي غير مستقيمة .

في تدبيرها وتوفيرها ؛ وأن يصرف فاضل كل وقف منها بعد الذي يُخرج منه للنفقة على حفظ أصله ، واستندار حبله ؛ والمثونة الراتبه للقوام عليه ، والحفظة له ؛ إلى أربابه الذي يعود ذلك عليهم في وجوهها التي سبل لها ، ووقف عليها ؛ واضعاً جميع ذلك مواضعه ، موقعا له مواقع ؛ خارجاً إلى الله من الحق فيه ، مؤدياً الأمانة إليه ؛ وأن يُشهد على القابضين بما يقبضونه من وقوفهم ، ويكتب البرات عليهم بما يستوفونه من أموالهم ؛ ويستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ما يُنفقه من أموال هذه الوقوف على مصالحه ، ويصرفه منها إلى أهلها ؛ ويُجرحه منها في حقوقها وأبواب ربها ، وسائر سُبلها ووجوهها ؛ سالكاً في ذلك مذهبه المعروف في أداء الأمانة ، واستعمال الظلف والتزاه ؛ معقبا على من كان ناظراً فيها من الخونة الذين لم يرعوا عهداً ، ولم يتصونوا عن سُحت المطاعم ، وظلم المآثم .

وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد ، مشهور بالرشاد ؛ معلوم منه نصيحة الأصحاب ، والضبط للحساب ؛ وتفويض ديوان الوقوف وتديره إليه ، وتوصيته بصيانة ما يستعمل عليه من أصول الأعمال وفروعها ، وقليل الحجج وكثيرها ؛ وأن يحتاط لأربابها في حفظ رؤسومها ومعاملاتها ، وحراسة طسوقها ومقاسماتها ؛ حتى لا يستمر عليها حيف يبق أثره ، ولا يتغير فيها رسم يُخاف ضرره ؛ وأن ينصف الأكره فيها والمزارعين ، وسائر المخالطين والمعاملين ؛ ولا يحشمهم حيفا ، ولا يسومهم خسفاً ؛ ولا يُغضي لهم عن حق ، ولا يسمح لهم بواجب ، خلا ما عادت السماحة به بزيادة عماراتهم ، وتأليف نياتهم ، واجتلاب الفائدة منهم والعائدة بهم ؛ فإنه مؤتمن في ذلك كله أمانة ، وعليه أن يؤديها ويخرج عن الحق فيها .

وأمره باختيار خازن حصيف ، قسوم أمين ؛ يخزن حجج هذه الوقوف وسجلاتّها ، وسائر دفاترها وحسباناتها ؛ فإنها ودائع أربابها عنده ، وواجب أن يحتاط عليها

جُهِدَهُ ؛ ففَتَى شَكَّ فِي شَرْطٍ مِنَ الشُّرُوطِ ، أَوْ حَدَّ مِنَ الْحُدُودِ ؛ أَوْ عَارَضَ مُعَارِضَ ،
أَوْ شَاغَبَ مُشَاغِبَ ، فِي أَيَّامٍ نَظَرِهِ وَأَيَّامٍ مَنْ عَسَى أَنْ تُثَقَّلَ وَلَايَةُ هَذِهِ الْوُقُوفِ إِلَيْهِ ،
وَيُنَاطَ تَدْيِيرُهَا بِهِ ، دَفَعَ مَا يَمُحِّثُ مِنْ ذَلِكَ بِهِذِهِ الْحُجَجِ الَّتِي هِيَ مَعَارِفُ الْبُرْهَانِ ،
وَقَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ ؛ وَإِلَيْهَا الْمَرْجِعُ فِي كُلِّ بِنَّةٍ تُنْصَرُ وَتُقَامُ ؛ وَشُبْهَةٌ تُدْحَضُ وَتُضَامُ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَوَثِيقَتُهُ الْحَاصِلَةُ فِي يَدَيْكَ ؛ فَاتَّبِعْ آثَارَ أَوَامِرِهِ ،
وَأَزْدِرْ عَنْ نَوَاهِيهِ وَزَوَاجِرِهِ ؛ وَاسْتَمْسِكْ بِهِ تَتَّجُ وَتَسْلَمَ ، وَاعْمَلْ عَلَيْهِ تَقْزُ وَتَغْنَمَ ؛
وَاسْتَرِشِدِ اللَّهَ يُرْشِدَكَ ، وَاسْتَهْدِهِ يَهْدِكَ ؛ وَاسْتَعِنْ بِهِ يَنْصُرْكَ ، وَفَوِّضْ إِلَيْهِ يَعْصِمَكَ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(مِمَّا يُكْتَبُ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ لِأَرْبَابِ السُّيُوفِ الْقِتَالِيدُ . وَهِيَ لِمَنْ دُونَ
أَرْبَابِ الْعُهُودِ فِي الرُّتَبَةِ ، وَلَيْسَ لَافْتِتَاحِهَا عَنْدهُمْ ضَاطِبٌ)

وَهَذِهِ نَسْخَةُ تَقْلِيدٍ بِحِمَايَةِ الْكُوفَةِ ، لِأَبِي طَرِيفِ بْنِ عَلِيَّانِ الْعُقَيْلِيِّ ، مِنْ إِنْشَاءِ
أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ ، وَهِيَ :

قَدْ رَأَيْنَا تَقْلِيدَكَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ - الْحِمَايَةَ بِالْكُوفَةِ وَأَعْمَالِهَا وَمَا يَجْرِي مَعَهَا
ثِقَةً بِشَهَامَتِكَ وَغَنَائِكَ ؛ وَسُكُونًا إِلَى أَسْتِقْلَالِكَ وَوَفَائِكَ ، وَاعْتِقَادًا لِإِصْطِنَاعِكَ
وَأَصْطِفَائِكَ ؛ وَحُسْنَ ظَنِّكَ فِي شُكْرٍ مَا يُسَدِّدُ إِلَيْكَ ، وَمُقَابَلَتِهِ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ ؛
مِنْ الْأَثَرِ الْجَمِيلِ فِيمَا تُؤَلَّاهُ ، وَالْمَقَامِ الْحَمِيدِ فِيمَا تُسْتَكْفَاهُ ؛ فَتَوَلَّ - أَيْدِكَ اللَّهُ - ذَلِكَ
مَقْدَمًا تَقْوَى اللَّهَ وَمَرَاقِبَتَهُ ، وَمُسْتَمْدًا تَوْفِيقَهُ وَمُعَوْنَتَهُ . وَاحْرُسِ الرِّعْيَةَ فِي مَسَاكِنِهَا ،
وَالسَّابِلَةَ فِي مَسَالِكِهَا . وَادْفَعْ عَنْ عَمَلِكَ وَنَوَاحِيهِ أَهْلَ الْعَيْثِ جَمِيعًا ، وَأَطْلُبْهُمْ طَلَبًا

شديداً ، وأطرقهم في مكانهم ، وتَوَجَّحَ عليهم في مظانهم ؛ ونكَّلَ بمن تظفَّرَ به منهم
نكالا يُقيم به حُكْمَ الله عليهم ، وحُدودَه في أمثالهم ؛ وبَالِغُ في ذلك مبالغةٌ تُخيفُ
الظَّالِمِينَ وتُوجِّسُهُ ، وتُؤمِّنُ السَّالِمِينَ وتُؤنِّسُهُ . وراعى الأكرَّةَ والمُزَارَعِينَ حتَّى يَنبَسِطُوا
في معاشيهم ، ويتَصَرَّفُوا في مصالحهم ؛ وتَنبَسِّرَ عوامِلُهُم في عِمَارَاتِهَا ، ومَوَاشِيَهُم
في مَسَارِحِهَا ؛ ومتى طُرِدَتْ لأحدٍ منهم طريدةٌ أو أمتدَّتْ إليهم يدٌ عاتيةٌ ، أرتجعتْ
ما أَخَذَ له ، وردَّدته بعينه أوقمةً مثله . وخَفَّفَ عن وُلَّيت عليه الوطأةَ ، وأرَفَعَ
عنهم المِثْلونَةَ والكُفْلَةَ ؛ وحَذَمَ بالتناصُفِ ، وأَقْبَضَهم عن التَّظَالُمِ ، وأَمْنَعَ قُوِيَّهم من
تَحْيِيفِ المَضْعُوفِ ، وشرَّفَهُم من آسْتِزَامَةِ المَشْرُوفِ ؛ وأَوَّلَهُم من عدلِكَ وحُسنِ
سِيرَتِكَ ، وآسْتِقامَةِ طَرِيقَتِكَ ، ما يَتَّصِلُ عليه شُكْرُكَ ، وَيَطِيبُ به ذِكْرُكَ ؛ ويَقْتَضِي
لك دَوَامَ الْوِلَايَةِ ، وَتَضَاعُفَ الْعِنَايَةِ .

وَأَعْلَمُ بَأَنكَ فِيمَا وُلَّيْتَهُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مُتَضَمِّنٌ لِلْمَالِ وَالْدَّمِ ، وَمَأْخُوذٌ بِكُلِّ
مَاهِيَّتِكَ مِنْ ذِمَّةٍ وَمَغْرَمٍ ؛ فليكن أَجْتِهَادُكَ فِي الضَّبْطِ وَالْحِمَايَةِ ، وَاحْتِرَاسُكَ مِنْ
الإِهْمَالِ وَالْإِضَاعَةِ ، بِحَسَبِ ذَلِكَ . وَأَكْتُبُ بِأَخْبَارِكَ عَلَى سِيَّاقَتِهَا ، وَأَتَارِكُ لَأَوْقَاتِهَا :
لِيَتَّصِلَ لَكَ الْإِحْمَادُ عَلَيْهَا ، وَالْمَجَازَةُ عَنْهَا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .^(١)

النوع الثالث

(مما كان يُكْتَبُ لأَرَبَابِ الْوُظَائِفِ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ بِبَغْدَادَ مَا كَانَ يُكْتَبُ
لأَرَبَابِ الْوُظَائِفِ بِبَغْدَادَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَقْلَامِ)

وهي على ضربين :

(١) من أحده استبان له أنه مستحق للحمد .

الضرب الأول

(العُهود)

ورسّمها على نحو ما تقدّم في عُهود أرباب السّيوف ، تُفتّح بـ «هَذَا مَا عَهْدُ»
إلى آخر الترتيب المتقدّم ذكره .

وهذه نسخة عَهْد بولاية قضاء حاضرة بغداد وسائر الأعمال ؛ كَتَبَ به المسترشدُ
بِالله لقاضي القضاة أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الزَيْنَبِيِّ ، وَهِيَ :

هَذَا مَا عَهْدُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو مَنْصُورِ الْفَضْلِ ، الْإِمَامُ الْمُسْتَرَشِدُ بِالله أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِلَى قَاضِي الْقِضَاةِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الزَيْنَبِيِّ : لَمَّا تَأَمَّلْتُ طَرِيقَتَهُ ، وَشَخَّذْتُ عَقِيدَتَهُ ؛
وَأَحْمَدَ مَذَاهِبَهُ ، وَأَرْتَضَيْ ضَرَائِبَهُ ؛ وَتَكَاثَرَتْ دَوَائِعِهِ ، وَحَسُنَتْ مَسَاعِيهِ ؛ وَوَجَدَهُ
عِنْدَ الْإِخْتِبَارِ ، وَفِي مِضْمَارِ الْإِعْتِبَارِ ، رَاجِعًا إِلَى عَقْلِ رَصِينٍ ، وَدِينٍ مَتِينٍ ؛ وَأَمَانَةٍ
مَشْكُورَةٍ ، وَنَزَاهَةٍ مَجْبُورَةٍ ؛ وَوَرَعَ ثَمَرِ الْمَشْرِعِ ، عَارٍ مِنْ دَسِّ الْمَطْمَعِ ؛ وَعِلْمٌ تَوْفَّرَ مِنْهُ
قِسْمُهُ ، وَأَصَابَ فِيهِ سَهْمُهُ . وَحِينَ رَاعَى فِيهِ مَوْرُوثَ شَرَفِ النَّسَبِ ، إِلَى شَرَفِ
الْعِلْمِ الْمَكْتَسَبِ ، مَعَ مَاسَلَفِ لَبِيئَتِهِ مِنَ الْحُرُمَاتِ الْمُرْعِيَةِ الْمُنَاسَكَةِ ، وَالْقُرْبَاتِ الْمَرْضِيَّةِ
الْمُتَمَهِّدَةِ ؛ وَالسَّوَابِقِ الْمُحْكَمَةِ الْمَرَارِ ، الْحَمِيدَةِ الْمُبَادِيِّ وَالْمَصَابِرِ ؛ فَقَلَّدَهُ قِضَاءَ الْقِضَاةِ
بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَسَائِرِ الْأَمْصَارِ ، فِي الْآفَاقِ وَالْأَفْطَارِ ؛ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَبُعْدًا وَقُرْبًا ؛
إِنَافَةً بِهِ إِلَى مَا أَصْبَحَ لَهُ مُسْتَحَقًّا ، وَاسْتَمَرَّ اسْتِجَابُهُ مُسْتَرَقًّا ؛ وَجَذْبًا بَضْبَعِهِ إِلَى
مَا يَتَحَقَّقُ نُهُوضُهُ بِأَعْبَانِهِ ، وَحُسْنِ اسْتِقْلَالِهِ بِهِ وَغَنَائِهِ ؛ وَاقْتِفَاءً لِأَنَارِ الْأُئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ
فِي إِيدَاعِ الْوَدَائِعِ عِنْدَ مُسْتَحَقِّهَا ، وَتَفْوِيضِ الْأُمُورِ إِلَى أَكْفَائِهَا وَأَهْلِهَا ؛ لِاسْمِ
أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِهِمْ ، وَأَعْذِيَاءِ نِعْمَتِهِمْ ؛ الَّذِينَ كَشَفَتْ عَنْ سَجَفِ خَبَرَتِهِمُ التَّجَارِبُ ، وَوَرَدُوا
مِنْ الْخِلَالِ الرَّشِيدَةِ أَعْدَبَ الْمَشَارِبِ ؛ وَاتَّهَجُّوا الْجَدِّدَ الْوَاضِعَ ، وَتَقَبَّلُوا الْخُلُقَ

الصالح ، والله سبحانه يَقْرُنُ عِزَّائِمَ أمير المؤمنين بِالْخَيْرَةِ فِي كُلِّ رَأْيٍ يَرْتَبِيهِ ، وَأَمْرٍ يُؤْمُهُ وَيُنْصَحِيهِ ؛ وَيَصَدِّقُ مَخِيلَتَهُ فِي كُلِّ حَالٍ يَأْتِيهَا ، وَيُضَيِّعُ عِزَّهُ فِيهَا ؛ وَمَا تَوَفَّقُهُ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

أمره بتقوى الله التي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِالتَّسَكُّ بِسَبْئِهَا ، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ إِضَاعَتِهَا ؛ فَإِنَّهَا الْجَنَابُ الْمَرِيعُ ، وَالْمَعْقِلُ الْمَنِيعُ ؛ وَالنَّجَاةُ يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ ، وَالْعُدَّةُ النَّافِعَةُ فِي الْمَعَادِ وَالْمَحْشَرِ ، وَالْعِصْمَةُ الْحَامِيَةُ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَحَالِلِهِ ، الْمُنْقِذَةُ مِنْ أَشْرَاكِهِ وَحَبَائِلِهِ ؛ وَبِهَا تُمَحِّصُ الْأَوْزَارُ ، وَتُنَالُ الْأَوْتَارُ ؛ وَتُدْرَكَ الْمَارِبُ ، وَتَتَجَّحُّ الْمَطَالِبُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وأمره باستشعار خشية الله سبحانه في قوله وفعله ، واختلاف أطواره وأحواله ؛ وَتَذَكُّرُ مَا هُوَ قَادِمٌ عَلَيْهِ ، وَوَأَفْدٌ إِلَيْهِ : يَوْمَ ﴿ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ . فَلَا يَقُودُهُ الْهَوَى إِلَى اتِّبَاعِ شَهْوِهِ ، أَوْ إِجَابَةِ دَاغِي هَفْوَةٍ أَوْ صَبْوَةٍ ، إِلَّا كَانَ الْخَوْفُ قَادِعَهُ ، وَالْحَذَارُ مَانِعَهُ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ التَّوَاضُّعَ وَالْوَقَارَ شِمَّتَهُ ، وَالْحِلْمَ دَابَّةَ وَخَلِيقَتَهُ ؛ فَيَكْظِمُ غَيْظَهُ عِنْدَ احْتِدَامِ أَوَارِهِ ، وَأَضْطِرَامِ نَارِهِ ؛ بِمَحْتَبَا عِزَّةِ الْغَضَبِ الصَّائِرَةِ إِلَى ذُلِّ الْإِعْتِدَارِ ، وَمَتَوَخِّيًا فِي كُلِّ حَالٍ لِلْقَاصِدِ السَّلِيمَةِ الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ . وَأَنْ يَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ غَيْرِهِ تَأَمُّلَ مَنْ جَعَلَهَا لِنَفْسِهِ مِثَالًا ، وَأَتَّخَذَهَا لِنَسْجِهِ مِثْوَالًا ؛ فَمَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْهَا فَيَأْتِيهِ ، وَمَا كَرِهَهُ فَيَجْتَوِيهِ ؛ غَيْرَ نَاهٍ عَمَّا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَلَا آمِرٍ بِمَا هُوَ مُجَانِبٌ لِفِعْلِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وأمره بتلاوة كتاب الله مواظباً، والإكثار من قراءته دائماً، وأن يجعله إماماً يقتفيه، ودليلاً يتبعه فيهديه، ونوراً يستضيء به في الظلمات، وهادياً يسترشده عند اعتراض الشبهات، وموثلاً يستند إليه في سائر أحكامه، وحضناً يلجأ به في نقضه وإبرامه، عاملاً بأوامره، ومزدهجاً بزواجره، ومُنعمًا بنظره في مُحكم آياته، وصادعاً ببناته، ومُعَمِّلاً فكره في خوض غماره، وأستخراج غوامض أسرارهِ، فإنه الحق الذي لا يَجُور متبعه، والمتجر الذي لا يَئور مُبتضعه، والمنار الذي به يُقتدى، والمنهج الذي بأعلامه يُهتدى، والمصدر الذي تَعْرِى به الأمور في مُلِيس الإشكال، وتشرع معه الأحوال المستبهمة في ورود الوُضوح السلسال، ويَنبوع الحكمة الذي ضرب الله فيه الأمثال، وفرق فيه بين الحرام والحلال، والهداية والضلال، قال الله سبحانه: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

وأمره بدراسة السنن النبوية صلوات الله على أصحابها، والافتداء بما جاءت به من مكارم الأخلاق التي ندب إليها، وحض عليها، وتتبع ما يتداخلها من الأخبار الجريئة، والروايات غير الصحيحة، والفحص عن طرقها وإسنادها، وتمييز قويمها وميادها، والبحث عن رواتها، منحوزها وثقاتها، فما ألفاه بريئاً من الطعن، آمنة من القسح والوهن، عارياً من ملايس الشك والارتباب، عاطلاً عن حلي الشبهة والأغتياب، أتبعه وأقتفاه، وتمثله وأحتذاه، وكان به حاكماً، ولأدواء الباطل بآتباعه حاسماً، وما كان مترجماً بين كفتي الشك واليقين، ولم تبد فيه مخايل الحق المكين، جعل الوقف حُكمه، وردع عن العمل به عزمه، إلى أن يضح الحق فيه، فيعتمد ما يوجبُه ويقتضيه: فإنه - عليه السلام - الداعي إلى الهدى، والرحمة

التي عصم الله بها من عَوَادِي الرَّدَى؛ والهادى الذي لم يفصل بين العمل بفرائض كتابه وسُنَّته في قوله تقدست أسماؤه، وجلَّتْ آلاؤه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأمره بإقامة الصَّلوات الخمس المفروضة في أوقاتها ، والمبادرة إليها قبل فواتها ، والإتيان بشرائطها المحدودة وأركانها .

وأمره بمجالسة العلماء، ومباحثة الفقهاء، ومناقشة ذوى البصيرة والفهم، والفطنة والحزم، ومشاورتهم في عَوَارِض الأمور المشكِلة، وسوانح الأحكام المستبهمة المعضلة، حتى يصرَّح محض رأيه وآرائهم عن زُبْدَةِ الصَّواب، وتنتج أفكارهم باستجماها نظراً شافياً بالجواب، رافعاً عنه مُنْسِدِل الحجاب، وإن في ذلك تلجاً للصدور، واستظهاراً في الأمور، واحترازاً من دواعي الزَّلَل، واستمرار الخلل، وأمناً من غوائل الأفراد، وحطاً للتعويل على الاستبداد، فلربُّ ثقة أدت إلى تجل، وأمن أفضى إلى وجل، وما زالت الشورى مقرونة بالإصا به، مُحْكَمَةٌ عُرَى الحق وأسبابه، حارسة من عواقب الندم، داعية إلى السلامة من زَلَّة القدم، وقد أمر الله نبيه صلى الله وسلم عليه، وأزلف محله لديه، بالاستظهار بالمشاورة مع عظم خطره، وشرف قدره، فقال : ﴿ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يشي المتوكلين ﴾ .

وأمره أن يختار للحكم الأماكن الفسيحة الأرجاء، الواسعة الفضاء، وينظر في أمور المسلمين نظراً تفتت ثغور العدل فيه، وتلوح خشية الله من مطاويه، فيوصل إليه كافة الخصوم، ويبرز لهم على العموم، غير مشدد حجاب، ولا مرتج دون المترافين إليه بابه، وأن يولي كلاً من الإقبال عليه، وحسن الإصغاء إليه، ما يكون بينهم فيه

مُسَاوِيَا، وَلَهُمْ فِي جَمْعِ الْمَوَازَاةِ حَاوِيَا؛ وَلَا يُعْطَى مِنْ أَلْفَاتِهِ [إِلَى] الشَّرِيفِ لَشَرَفِهِ،
 وَذِي الشَّارَةِ الْحَسَنَةِ مِنْ أَجْلِ تَوْبِهِ وَمِطْرَفِهِ، مَا يَمْنَعُهُ مِنْ تَقَحُّمِهِ الْعُيُونِ، وَتَرْجَمَ
 فِي نَحْوِهِ الظُّنُونِ: فَإِنَّ ذَلِكَ مُطْمَعٌ لَدَى الرُّوَاءِ فِي دَفْعِ الْحَقِّ إِذَا وَجِبَ عَلَيْهِ،
 وَاتِّمَاسِ الْبَاطِلِ وَإِنْ ضَعُفَتِ الدَّوَاعِي إِلَيْهِ؛ مُؤَيِّسٌ لَدَى النُّجُولِ مِنَ الْإِتِّصَارِ
 لِحَقِّهِ، وَإِنْ أَسْفَرَ صَبْحُ يَقِينِهِ وَنَطَقَتْ أُنْسُهُ أَدْلَتُهُ؛ فَالِنَّاسُ وَإِنْ تَبَايَنُوا فِي الْأَقْدَارِ
 وَالْقِيَمَةِ، وَتَفَاوَتُوا فِي الْأَرْزَاقِ الْمَقْسُومَةِ، فَلَا إِسْلَامَ لَهُمْ جَمْتَعٌ، وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ
 يَتَّبَعَ؛ وَهُمْ عِنْدَ خَالِقِهِمْ سَوَاءٌ إِلَّا مَنْ مِيزَتْهُ التَّقْوَى، وَتَمَسَّكَ بِسَبِيلِهَا الْأَقْوَى؛
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمُ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا
 أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ لَمْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ
 كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ الْمُتَرَاغِبِينَ إِلَيْهِ، وَالْخُصُومَ لَدَيْهِ؛ وَيَتَطَلَّبَ مَا وَقَعَ نِزَاعُهُمْ
 لِأَجَلِهِ فِي نَصِّ الْكِتَابِ، وَيَعْدِلَ إِلَى السُّنَّةِ عِنْدَ عَدَمِهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ؛ فَإِنَّ قُنْدَ
 مِنْ هَذَيْنِ الْوُجْهَيْنِ، فَلْيَرْجِعْ إِلَى مَا اخْتَارَهُ السَّلَفُ الْمُهْتَدُونَ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ
 الْمُجْتَهِدُونَ؛ فَإِنْ لَمْ يُلَفَّ فِيهِ قَوْلًا وَلَا إِجْمَاعًا، وَلَا وَجَدَ إِلَيْهِ طَرِيقًا مُسْتَطَاعًا، أَعْمَلَ
 رَأْيَهُ وَاجْتِهَادَهُ، وَأَمْتَطَى رِكَابَ وَسْعِهِ وَجِيَادِهِ؛ مُسْتَظْهِرًا بِمَشُورَةِ الْفُقَهَاءِ فِي هَذِهِ
 الْحَالِ، وَمُسْتَخْلِصًا مِنْ آرَائِهِمْ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ الْآمِنُ الْإِعْتِلَالُ: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ
 الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِاسْتِعْمَالِ الْأَنَاءَةِ عِنْدَ الْحُكُومَاتِ، وَاسْتِمَاعِ الدَّعَاوِي وَالْيَبِّنَاتِ؛ مِنْ غَيْرِ
 سُرْعَةٍ تُنْجِثُ خَطَلًا، وَلَا إِفْرَاطٍ فِي التَّائِي يُوْرِثُ مَلَلًا؛ فَإِنَّ الْحَقَّ بَيْنَ ذَيْنِكَ عَلَى شَفَا
 خَطَرٍ، وَظَهَرَ غَرَرٌ؛ وَلَا سِيَّأًا إِذَا كَانَ أَحَدُ الْخَصْمَيْنِ مِنْطِيقًا، يَتَّقِي كَلَامَهُ تَحْقِيقًا؛

فإنه يَحْتَلِبُ بِلَاغَةِ نُطْقِهِ مَسْتَمِعَهُ ، وَيُعْطِي وَجَهَ الْبَاطِلِ بِالْفَاظَةِ الْمَوْشَعَةِ ؛ فَإِذَا اتَّفَقَ
لَدَيْهِ مَا هَذَا سَبِيلَهُ ، شَحَدَ لَهُ غَرْبَ فِطْنَتِهِ ، وَأَرْهَفَ غَرَارَ فِكْرِهِ وَبَصِيرَتِهِ ؛ وَمِنَحَ
كُلًّا مِنَ الْإِنْصَاتِ مَا يَحْتَلِي وَجَهَ النَّصَفِ مُنِيرًا ، وَيَعْدُو لِأَشْيَاعِ الْخَوَرِ مُبِيرًا .
وَأَنَّ ذُو اللِّسَنِ رَوَعَهُ ، وَأَوْهَمَهُ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ ، بِمَا يَلْفَقُهُ مِنْ كَلَامٍ يَقْصُرُ خَصْمُهُ
عَنْ جَوَابِهِ ، وَيَتَحَصَّرُ عَنْ جِدَالِهِ وَأَسْتِيفَاءِ خِطَابِهِ ؛ مَعَ عَدَمِ الْبَيِّنَةِ الْمَشْهُودَةِ ، وَتَعَدُّرِ
الْحُجَّةِ الْمَوْجُودَةِ ، أَسْتِعَادَ كَلَامَهُ وَأَسْتَنْطَقَهُ ، وَأَسْتَوْصَحَّ مَغْزَاهُ وَتَحَقَّقَهُ ؛ مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ
إِعْجَابٍ بِمَا يَذْكُرُهُ ، وَلَا أَعْتَرَارٍ بِمَا يَطْوِيهِ وَيَنْشُرُهُ ؛ وَلَا إِصْغَاءٍ يَبْدُو أَمْرَ الرَّاغِبِ
مِنْ حَقْوَاهُ ، وَلَا آخْتِصَاصٍ لَهُ بِمَا يَمْنَعُ صَاحِبَهُ شُرَاهُ : لَكَلَّا يُولَدَ ذَلِكَ لَهُ أَشْطِطَاطًا ،
وَيُحْدِثَ لَهُ أَنْطِلَاقًا فِي الْخُصُومَةِ وَأَنْبِسَاطًا ؛ حَتَّى إِذَا أَبْتَسَمَ الْحَقُّ ، وَأَنْتَصَرَ الصِّدْقُ ؛
وَفَلَجَ أَحَدُهُمَا بِحُجَّتِهِ ، وَلَحَنَ بَيِّنَتَهُ ، أَقْرَأَ الْوَاجِبَ فِي نِصَابِهِ ، وَأَدَالَهُ مِنْ جُنُودِ الظُّلْمِ
وَأَحْزَابِهِ ؛ وَأَمْضَى الْحُكْمَ فِيهِ بِاعْتِرَافٍ صَادِقٍ ، وَرَأْيٍ مُحْصَدٍ الْوَنَائِقِ ؛ غَيْرَ مُلْتَفِتٍ
إِلَى مُرَاجَعَةِ الْخُصُومِ وَتَشَاوُجِهِمْ ، وَشُكُوهِهِمْ وَتَنَاقُضِهِمْ ؛ أَعْتِمَادًا لِلْوَاجِبِ ، وَاتِّهَابًا
لِجَدِّ الْعَدْلِ الْأَلِيبِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ .

وَأَمْرُهُ إِذَا أُنْتَدِبَ لِلْقَضَاءِ أَنْ يُفَرِّغَ بَالَهُ ، وَيَقْضِيَ أَمَامَهُ أَوْطَارَهُ وَأَشْغَالَهُ ؛ وَيُحْلِيَ
مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا سِرَّهُ ، وَيُشْرَحَ لِمَا هُوَ بِصَدَدِهِ صَدْرُهُ ؛ فَلَا تَتَرَعُّ نَفْسُهُ إِلَى تَحْصِيلِ
مَأْرَبٍ ، وَلَا تَتَطَلَّعُ إِلَى دَرْكِ مَطْلَبٍ ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أَكْتَفَتْهُ شُجُونُهُ ، وَأَحَاطَتْ بِهِ
شُؤْنُهُ ، كَانَ عُرْضَةً لِلتَّشَعُّبِ أَفْكَارِهِ ، وَحِمْلَةً عَلَى مَرَكَبِ اضْطِرَارِهِ الْجَارِي بِضَدِّ
إِيثارِهِ وَأَخْتِيَارِهِ ؛ حَرِيًّا بِالتَّقْصِيرِ عَنِ الْفَهْمِ وَالْإِفْهَامِ ، وَالضَّجَرِ عِنْدَ مُشْتَجَرِ الْخِصَامِ .

وأمره بالتثبت في الحدود، والاستظهار عند إقامتها بمن يسكن إلى قوله من الشهود؛ والاحتياط من عجل يُحيل الحكم عن بيانه، أو ريث يرجيه عند وضوحه وتبينه؛ وأن يتجافى عما لم يصرح له بذكره وشرحه، ولا يسرع إلى تصديق ساع وإن تشبه بالناصحين في نصحه؛ حتى يستبين له الحق فيمضيه، عاملاً بما يوجب حُكم الله فيه. وأن يذراً من الحدود ما أترضت الشبهة دليله، وكانت شواهد مدخوله؛ ويُقيم منها ما قامت شهوده، ولم يمكن إنكاره وجحوده؛ قال الله تعالى: مَكْرًا لِتَجَافِيَهَا، وَمُعْظَمًا لِلتَّجَوُّزِ فِيهَا: ((وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)).

وأمره بتصفّح أحوال الشهود المعدلين، المسموعة أقوالهم في أمور المسلمين وأحوال الدين؛ ومواصلة البحث عن طرائقهم، واستشفاف خلايقهم؛ مستخدماً في ذلك سره وجهه، وواصلًا بعوان دأبه فيه بكرة؛ فمن علمه سليماً في فعله، غير ظنين في أصله؛ متحرراً في كسبه، مرضياً في مذهبه؛ حافظاً لكتاب الله سبحانه، متمسكاً من علم الشريعة بما يلوى عن مهاوى الخطأ عنانَه؛ حاليًا بالديانة المنيرة المطالع، حامياً نفسه عن الإسفاف إلى دنايا المطامع، حاوياً من الظلف والأمانه، والقدر والصيانة، والاحتراش والتحفظ، والتحرز واليقظ؛ ماتيّز به على أشكاله وأثرابه، وطال مناكب أمثاله وأضرابه، فقد كملت صفاته، واقتضت تقديمه أدواته؛ ووجب أن يُمضى كونه عدلاً، ويجعله لقبول الشهادة أهلاً. ومن رآه عن هذه الخلال مقصراً، وبيعضها مستظهِراً؛ وكان موسوماً بديانة مشكورة، ونزاهة مأثورة، رضى بذلك منه قانعا، وحكم بقوله سامعا. ومن كان عن هذين الفريقين نائياً، ولأحوالهم المبين ذكرها نافياً، ألغى قوله مطرحاً، وردّ شهادته مصرّحاً؛ فإن هؤلاء الشهود أعوان الحق على انتصاره، وحرب الباطل على تبثيره وبواره؛

وَمَحَجَّةَ الْحَاكِمِ إِلَى قَضَائِهِ ، وَوَزَّرَهُ الَّذِي يَسْتَعِدُّ إِلَيْهِ فِي سَائِرِ أُنْحَائِهِ ؛ فَإِذَا أُعْدِرَ فِي آرْتِيَادِهِمْ ، وَاسْتَفْرَغَ وَسْعَهُ فِي آتِقَادِهِمْ ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ عَهْدَةِ الْاجْتِمَاعِ ، وَاسْتَحَقَّ مِنَ اللَّهِ جَزَاءَ الْمُجْتَمِدِ يَوْمَ التَّنَادِ ؛ وَمَتَى غَرَّرَ فِي ذَلِكَ تَوَجُّهَاتِ اللَّائِمَةِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ قِنًّا بِنِسْبَةِ التَّقْصِيرِ فِي الْإِحْتِيَاظِ إِلَيْهِ ؛ وَاللَّهُ يُتَوَلَّى السَّرَائِرَ ، وَيَتْلُو خَفِيَّاتِ الضَّائِرِ ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ . وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكِلَ أُمُورَ الْيَتَامَى فِي أَمْلَاكِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَمِرَاعَاةَ شُؤْنِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ ؛ إِلَى الثَّقَاتِ الْأَعْقَاءِ ، وَالْكَفَاةِ الْأَثْقِيَاءِ ؛ الَّذِينَ لَا تَسْتَهْوِيهِمْ دَوَاعِي الطَّمَعِ ، وَلَا يُورِدُهُمُ الْإِسْفَافُ مَوَارِدَ الطَّبَعِ ؛ وَأَنْ يَتَّبِعَ أُمُورَهُمْ وَيَتَصَفَّحَهَا ، وَيُشَارِفَهَا بِنَفْسِهِ وَيَسْتَوْضَحَهَا ؛ عَلِمَا أَنَّهُ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ مُسْئُولٌ ، فَإِنَّ عُدْرَةَ فِي إِهْمَالٍ يَتَخَلَّلُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ ؛ وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

وَأَنْ يُوعِزَ إِلَيْهِمْ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى أَرْبَابِهَا بِالْمَعْرُوفِ : لِيَتَهَيَّجُوا فِيهَا جَدَدَ الْقَصْدِ الْمَأْلُوفِ ؛ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الْحُلُمَ ، وَأُونِسَ مِنْهُمْ الرُّشْدَ وَعُلِمَ ؛ وَسَاغَ لَهُمُ التَّصَرُّفُ فِي نُفُوسِهِمْ ، وَوُثِقَ مِنْهُمْ بِاسْتِدْرَارِ مَعَانِيهِمْ ، دَفَعَ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ مَحْرُوسَةً ، وَوَقَّاهُمْ إِيَّاهَا كَامِلَةً غَيْرَ مَقْصُوصَةٍ ؛ مُسْتَظْهِرًا بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْهَا بِتَسْلِيمِهَا إِلَيْهِمْ ؛ اتِّبَاعًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

وأمره بترويح الأيامي اللواتي فقدن الأولياء ، واعتدئ عليهن صرف الدهر
وأساء ، وأضرتهن طول الإزمال ، وبدت عليهن آثار الخلة في الحال ، فينكحهن
أكفاهن من الرجال ، ويتم عقد نكاحهن على مهور الأمثال .

وأمره بتفويض أمر الوقوف الجارية في نظره إلى من يأمنه ويختاره ، وتقرن
بإعلانه في ارتضائه أسراره : من أهل التجربة والحياة ، ذوي الاضطلاع والغناء ؛
فإنهم أقل إلى المطامع تشوفا ، وأبعد في عواقب الأمور نظرا وتلطفا ؛ وأن يوسع
عليهم في الأرزاق ، فيوصلها إليهم مهنة عند الوجوب والاستحقاق ؛ فبذلك يملك
المرء نفسه ويستصلحها ، ويتجنب مواقف التهم ويطرأها ؛ وتجنب عليه المجنة
إن نلأ أمانه ، أو قارف خيانه ؛ مستظها بترتيب المشرفين الذين خبر أحوالهم ،
وسبر أفعالهم .

وأن يتقدم إلى المستنابين قبله بالإففاق عليها حسب الحاجة من محضوها ؛
حافظا بما تعمده من ذلك لأصولها ؛ وجباية ارتفاعها من مظانها ؛ والتماس حقوقها
في أوانها ؛ وصرفها في وجوها التي شرطها واقفوها ، وعين عليها أربابها وأهلؤها ؛
غير محل مع ذلك بالإشراف والتطلع ، ولا مهمل للفحص والتبليغ ؛ فمن ألفاه حميد
الأثر ، ورضى العيان والخبر ، عول عليه ، وفوض مستنابا إليه ؛ ومن وجده قد مد
إلى خيانة يده استبدل به وعزله ، جزاء بما فعله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ .

وأمره أن يستخلف على مانأى عنه من البلاد من جمع [إلى الوقار] الحلم ،
وإلى الدراية الفهم ؛ وإلى التيقظ الاستبصار ، وإلى الورع الاستظهار ؛ من
لا يضيق بالأمور ذرعا ، ولا يحدث له مراجعة الخوصم سجرا ولا تبرما ؛ ولا يتأدى

في أسباب الزلّة ، ولا يُقَصِّر عن الرجوع إلى الحقّ إذا اتّضح له ، ولا يكتفى بأدنى معدّلة عن بلوغ أقصاها ، ولا تنهات نفسه على طاعة هواها ، ولا يرجئ الأخذ بالحجة عند انكشافها ، ولا يعجل بحكم مع اعتراض الشبهة واكتنافها ، ولا يستميله اغراء ، ولا يزدهيه مدح وإطراء ، وأن يعهد بمنل ماعهد أمير المؤمنين إليه ، ويعذر في الإجهاد بإيجاب الحجة عليه : ليبراً من تبعه بادرة عساه يأتيها ، أو مزلة تناديه فيهب ملبياً لداعياها ، قال الله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب ﴾ .

وأمره أن يُمِضَى ما مضاه الحكم قبله ولا يتعقّب أحكامهم بتأويل ، مجتنباً تتبع عثراتهم ، والبحث عن هفواتهم ؛ ومهما رُفِع إليه من ذلك مما الإجماع عليه موافق ، ولسان الكتاب والسنة به ناطق ، أمضاه وحكم به ، وإن كان مبانياً لمذهبه : فإنّ الحكومات كلّها ماضية على اختلاف جهاتها ، مستمرة على تنافى صفاتها ؛ محمية عن التأويل والتعليل ، محروسة من التغيير والتبديل ؛ ما كان لها مخرج في بعض الأقوال ، أو وجد لها عند الفقهاء احتمال ؛ إلّا أن يكون الإجماع منعقداً على ضدها ، أخذاً بالناسأ وردّها ؛ فيستفرغ في إيضاحها جهده ، ويُنفق في تلافيها من الاستطاعة وجده ، حتّى يعيدها إلى مقرّها من الواجب ، ويُمِضِيها على الحقّ اللازب ، قال الله عز وجل : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .

وأمره أن يتخذ كتاباً بالظلف مؤسوماً ، وبأدق ما ينط به قسوماً ، خبيراً بما يسطره ، عالماً بما يدكره ، عارفاً بالشروط والسجلات ، وما يتوجه نحوها من التأويلات ، ويتداخلها من الشبهة والتليسات ، مطلعاً على أسرارها وعللها ، وتصاريف حيلها ، متحرراً في كل حال ، متزّها عن مذموم الفعل ؛ متخذاً خشية

الله شِعَارًا ، مُسْبِلًا دُونَ عِصْيَانِهِ مِنَ التَّقَى أَسْتَارًا : فَإِنَّمَا نِظَامَاتُهُ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا ، وَيَدُّهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَيَعُولُ عَلَيْهَا ، وَمَتَى لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَازِعٌ ، وَلَا مِنْ عَقْلِهِ وَدِينُهُ رَادِعٌ ؛ لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ تَدْبَ عَقَارُهُ لَيْلًا ، وَيَسْحَبَ عَلَى الْغَوَائِلِ وَالْمُؤَبِّقَاتِ ذَيْلًا ؛ فَيَعِمُّ الضَّرَرُ بِمَكَانِهِ ، وَيُشْرِعُ أَذَاهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ حَدَّ سِنَانِهِ . وَأَنْ يَخْتَرَّ حَاجِبًا طَاوِيًا كَشَحَهُ دُونَ الْأَشْرَارِ ، جَامِعًا لِأَدَبِ الْأَخْيَارِ ؛ مُدْرِعًا جِلْبَابَ الْحَيَاءِ ، طَلَّقَ الْوَجْهَ عِنْدَ اللَّقَاءِ ؛ سَهَّلَ الْجَانِبَ لِيَنَّهُ ، مُسْتَشْعِرَ الْخَيْرِ مُتَبَقِّنَهُ ؛ غَيْرَ مُتَجَهِّمٍ لِلنَّاسِ ، وَلَا مُعَامِلِهِمْ بِغَيْرِ الْبَشَاشَةِ وَالْإِيْنِاسِ ؛ فَإِنَّهُ الْبَابُ إِلَيْهِ ، وَالْمَعْتَمَدُ فِي لِقَائِهِ عَلَيْهِ ؛ فَلْيَنْتَخِبْهُ آتِخَابَ مَنْ عِلْمُ أَنَّ حُسْنَ الثَّنَاءِ خَيْرُ زَادٍ ، وَأَنْفُسُ ذُخْرُ عَتَادٍ ؛ وَرَأَى طَيِّبَ الْمُحَمَّدَةِ أَجْمَلَ كَسْبٍ مُرَادٍ ، وَحَظَّ مُجَسَّدَ مُسْتَفَادٍ . وَمَتَى كَانَ عَنْ هَذِهِ الْخِلَالِ مُتَخَلِّيًا ، وَبِخِلَافِهَا مُتَحَلِّيًا ، آعْتَاضَ عَنْهُ بِمَنْ هُوَ أَسْلَمُ غِيَا ، وَأَمْنُ رِيَا ، وَأَنْفَى جِيَا ، وَأَقْلَ عِيَا ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَسَلَّمَ دِيوَانَ الْقَضَاءِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالسَّجَلَاتِ ، وَالْوَثَائِقِ وَالْكَفَالَاتِ ، وَالْمَحَاضِرِ وَالْوَكَالَاتِ ؛ بِمُحَضَّرٍ مِنَ الْعُدُولِ لِيَكُونُوا لَهُ مُشَاهِدِينَ ، وَعَلَيْهِ شَاهِدِينَ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ خَزَائِنَهَا مِنْ يَرْتَضِيهِ ، بِاجْتِمَاعِ أَدْوَاتِ الْخَيْرِ فِيهِ ؛ عَامِلًا فِي حِفْظِهَا بِمَا تَقْتَضِيهِ الْأَمَانَةُ الَّتِي أَشْفَقَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ مِنْهَا ، وَأَقَرَّرْنَ بِالْعِزِّ عَنْهَا ؛ مُتَحَرِّيًا مِنْ أَمْرِ يَبُوءُ مَعَهُ بِالْأَثَامِ ، فِي دَارِ الْمَقَامِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِمِرَاعَاةِ أَمْرِ الْحِسْبَةِ فَإِنَّهَا أَكْبَرُ الْمَصَالِحِ وَأَهْمُّهَا ، وَأَجْمَعُهَا لِنَفْعِ النَّاسِ وَأَعْمُّهَا ؛ وَأَدْعَاهَا إِلَى تَحْصِينِ أَمْوَالِهِمْ ، وَانْتِظَامِ أَحْوَالِهِمْ ؛ وَحَسْمِ مَوَادِّ الْفَسَادِ ،

وَكَفَّ يَدَهُ عَنِ الْإِمْتِدَادِ ، وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الْمُسْتَنْابِ فِيهَا بِدَوَامَةِ الْأَطْلَاعِ عَلَى كَمِيَّةِ الْأَسْعَارِ ، وَالْفَحْصِ عَنْ مَادَّةِ الْمُخْلُوقَاتِ فِي الْأَتْقَطَاعِ وَالِاسْتِمْرَارِ ؛ وَمَوَاصِلَةِ الْجُلُوسِ فِي أَمَاكِنِ الْأَقْوَاتِ وَمَطَانِّهَا : لِيَكُونَ تَسْعِيرُهَا بِمَقْتَضَى زِيَادَتِهَا وَقُصَايَاهَا ؛ غَيْرَ خَارِجٍ فِي ذَلِكَ عَنْ حُدِّ الْأَعْتِدَالِ ، وَلَا مَائِلٍ إِلَى مَا يُنْجِخِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنْ إِكْثَارٍ وَإِقْلَالٍ ؛ وَأَنْ يُرَاعِيَ عِيَارَ الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ ، لِيُمَيِّزَ ذَوِي الصَّحَّةِ مِنَ الْمَطْفَفِينَ ؛ فَيَقُولُ لِمَنْ حَسُنَ آخِتَابُهُ [مَرَّ] حَيٌّ وَيُقَابِلَ مَنْ سَاءَ آخِتَابُهُ بِمَا يَجْعَلُهُ لِأَمثَالِهِ رَادَعًا ، حَتَّى يَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَيَتَجَنَّبُوا التَّطْفِيفَ بِقَلْبٍ مِنْ إِضْمارِ الْمَعَاوِدَةِ سَلِيمٍ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَبَلِّ لِلطَّافِّينَ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَحُجَّتُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ؛ وَفَقَّكَ [فِيهِ] عَلَى مَنَهِجِ الصَّلَاحِ ، وَأَعْلَقَكَ مِنْهُ إِنْ اتَّبَعْتَهُ بِأَسْبَابِ النَّجَاحِ ؛ وَأَدَّرَبَهُ عَلَيْكَ خِلْفَ السَّعَادَةِ إِنْ أَمْرِيَّتُهُ بِيَدِ الْقَبُولِ ، وَجَمَعَ لَكَ مَعَ آخِتَادِهِ بِدَائِدِ الْمَأْمُولِ ، وَعَطَفَ لَدَيْكَ مَتَى تَمَثَّلَتْهُ شَوَارِدُ السُّوْلِ ؛ وَأَوْجَدَكَ ضَالَّةً مُتَاعِكَ إِنْ أَصْبَغْتَ إِلَيْهِ سَامِعًا مُطِيعًا ، وَأَعَادَ إِنْ أَثْمَرَتْ بِأَوَامِرِهِ شَمْلَ أَقْوَالِكَ جَمِيعًا ، وَأَرَادَكَ مَرَعَى النِّجَاةِ إِنْ نَهَضْتَ بِأَعْبَائِهِ مَرِيعًا ؛ لَمْ يَذْخَرْكَ فِيهِ شَفِيفًا ، وَلَا حَقَرَكَ إِرْشَادًا وَتَعْرِيفًا ؛ خَلَعَ بِهِ رِبْقَةَ الْأَمَانَةِ عَنْ عُنُقِ اجْتِهَادِهِ ، وَأَوْصَحَ لَكَ مَا يُسْأَلُ غَدًا عَنْ فَعْلِهِ وَأَعْتَادِهِ .

فَبَادِرْ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ مُسْرِعًا ، وَقُمْ بِالْمَحْدُودِ فِيهِ مُضْطَلِعًا ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَالِمٍ هَفْوَهُ ، وَلِكُلِّ جَوَادٍ كَبْوَهُ ؛ فَاغْضُضْ عَنْ مَطَامِحِ الْهَوَى طَرَفَكَ ، وَاتَّنِ عَنْ أَضَالِيلِ الدُّنْيَا

(١) مَرَحَى كَلِمَةُ تَقَالُ لِلرَّامِي إِذَا أَصَابَ تَعْجِبًا مِنْ رَمِيهِ .

(٢) مَرَى الدَّمِ وَأَمْرَاهُ اسْتَخْرَجَهُ . (٣) لَعَلَّهُ مَعَ اخْتِرَالِهِ . تَأَمَّلْ

الْعَزَازَةِ عِظْفَكَ ، وَآخَشَ مَوْقِفًا تَشَخَّصَ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، وَتَعَدَّمَ الْأَعْوَانُ وَالْأَنْصَارُ ؛
يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، وَتَنْقُطُعُ الْوَسَائِلُ إِلَّا مَنَّ أَطَاعَ اللَّهَ وَاتَّقَاهُ ؛ يَنْعَمُ
عَوْفُكَ^(١) ، وَيَأْمَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَوْفُكَ ؛ وَمَهْمَا عَرَضَ لَكَ مِنْ شُبْهَةٍ لَمْ تُلَفِّ مَخْرَجًا مِنْهَا ،
وَلَا صَدْرًا عَنْهَا ، وَلَا وَجَدْتَ لَسْقِيَهَا هِنَاءً ، وَلِدَائِهَا شِفَاءً ، فَطَالَعَ حَضْرَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِحَالِهَا مُسْتَعْلِمًا ، وَأَنْهِيَإِلَيْهِ مُسْتَفْتِحًا بِاسْتِدْعَاءِ الْجَوَابِ عَمَّا أَصْبَحَ لَدَيْكَ مُسْتَغْلِقًا
مُبْهَمًا ، يُدِدُكَ مِنْهُ بِمَا يُرِيكَ صُبْحَ الْحَقِّ مَنِيْلَجًا ، وَضِيقَ الشَّكِّ مُتَفَرِّجًا ؛ عَنْ عِلْمٍ
عِنْدَهُ الْبَحْرُ كَالْقِيَّاسِ ، إِلَى أَوْشَالِ النَّاسِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعْضِدُ آرَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِالصُّوَابِ ، وَيُمِدُّهُ بِالتَّوْفِيقِ فِي سَائِرِ الْآرَابِ ؛ وَيُقَوِّدُ لِمِرَادِهِ أَزِمَةَ جَوَائِحِهَا الصُّعَابِ ،
مَا أَنْجَمَ سَحَابٌ ، وَأَنْجَمَ رَبَّابٌ ، بِمَنَّةٍ وَسَعَةٍ فَضْلُهُ .



وهذه نسخة عهد بولاية القضاء بسر من رأى ، كتب بها أبو إسحاق الصابى ،
عن الطائع لله ، للقاضى أبى الحسين محمد بن قاضى القضاة أبى محمد عبيد الله ،
ابن أحمد بن معروف ، حين ولّاه القضاء بسر من رأى وغيرها ، وما أضيف إلى
ذلك من أعمال الجزيرة ، وهى :

هذا ماعهد عبد الله عبد الكريم ، الإمام الطائع لله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن
قاضى القضاة عبيد الله بن أحمد ، حين عرفت الفضيلة فيه ، وتقبل مذهب أبيه^(٢) ،
ونشأ من حصنه فى المنشئ الأمين ، وتبوا من سببه ونسبه المتبوا المصون ؛ ووجده
أمير المؤمنين مستحقاً لأن يؤسم بالصنيعه ، والمنزلة الرفيعة ؛ على الحدائث من سنه ،

(١) العوف من معانيه البال والحال ومنه يقال فى الدعاء نعم عوفك .

(٢) يقال تقبل فلان أباه [أى بالياء المثناة] تقبلاً اذا نزع اليه فى الشبه .

وَالْفَضَاةُ مِنْ عُوْدِهِ ، سَامِيًا بِهِ فِي ذَلِكَ إِلَى مَرَاتِبِ أَعْيَانِ الرِّجَالِ ، الَّتِي لَا تُدْرَكُ إِلَّا مَعَ الْكَمَالِ وَالْأَكْتِهَالِ : لِمَا آتَسَّ مِنْ رُشْدِهِ وَنَجَابَتِهِ ، وَأَسْتَوْضَحَّ مِنْ عَقْلِهِ وَلَبَابَتِهِ ، وَأَسْتَرْجَحَّ مِنْ وَقَارِهِ وَحِلْمِهِ ، وَأَسْتَغَزَرَ مِنْ دِرَايَتِهِ وَعِلْمِهِ ، وَلِلَّذِي عَلَيْهِ شَيْخُهُ قَاضِي الْقُضَاةِ عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ مِنْ حَصَافَةِ الدِّينِ ، وَخُلُوصِ الْيَقِينِ ، وَالتَّقَدُّمِ عَلَى الْمُتَحَلِّلِينَ بِحِلِّيَّتِهِ ، وَالْمُتَحَلِّلِينَ لِصِنَاعَتِهِ ، وَالْأَسْتِبْدَادِ عَلَيْهِم بِالْعِلْمِ الْحَقِّ ، وَالْمَعْنَى الْفَخْمِ ، وَالْإِقْتِنَانِ فِي الْمَسَاعِي الصَّالِحَةِ الَّتِي يُسَوِّدُ أَحَدُهُمْ بِأَحَدِهَا ، وَيَسْتَحِقُّ التَّجَاوُزَ لَهُمْ مِنْ أَسْتَوْعِبِهَا بِأَسْرَافِهَا ، وَبِالثَّقَةِ وَالْأَمَانَةِ ، وَالْعِفَّةِ وَالتَّزَاهَةِ ، الَّتِي صَارَ بِهَا عَلَمًا فَرْدًا ، وَوَاحِدًا فَرْدًا ، حَتَّى تَكْلِفُهَا مِنْ أَجْلِهِ مَنْ لَيْسَتْ مِنْ طَبْعِهِ وَلَا سِنْخِهِ ، فَهُوَ الْمُحْمُودُ بِأَفْعَالِهِ الَّتِي أَخْتَصَّ بِهَا وَبِأَفْعَالِ غَيْرِهِ مَنْ حَذَاهُ فِيهَا ، وَبِمَا نَفَقَ مِنْ بَضَائِعِ الْخَيْرِ بَعْدَ كِبَادِهَا ، وَبِالسَّابِقَةِ الَّتِي لَهُ فِي خِدْمَةِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ أَوْلَا ثُمَّ خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثَانِيًا ، فَإِنِهَا [سَابِقَةٌ] شَائِعٌ خَبَرُهَا ، وَجَمِيلٌ أَثَرُهَا ، قَوِيَّةٌ دَوَاعِيهَا ، مَتَمَكِّنَةٌ أَوَاخِيهَا . وَلِلْمَكَانَةِ الَّتِي خُصَّ بِهَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [وَمِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْدَهُ اللَّهُ] (١) وَمِنْ نَصِيرِ الدَّوْلَةِ النَّاصِحِ أَبِي طَاهِرٍ رَعَاهُ اللَّهُ ، وَمِنْ عِظَمَاءِ أَهْلِ حَوَزَتِهِمْ ، وَأَفَارِيقِ عَوَامِّهِمْ وَرِعِيَّتِهِمْ ، فَلَمَّا صَدَّقَ مُحَمَّدٌ فِرَاسَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَحَائِلَهُ ، وَأَخْتَذَى سَجَايَا أَبِيهِ وَشِمَائِلَهُ ، وَحَصَلَ لَهُ مَا حَصَلَ مِنَ الْحُرُمَاتِ الْمُتَنَائِلَةِ ، وَالْمَوَاتِ الْمُتَنَاصِلَةِ ، أَحْرَزَ مِنَ الْأَثَرَةِ عَلَى قُرْبِ الْمَدَى ، مَا لَا يُحْزِرُهُ غَيْرُهُ عَلَى بُعْدِ الْمَرْمَى ، وَأَسْتَغْنَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ عَنْ طَوْلِ التَّجَرُّبَةِ وَالْإِخْتِبَارِ ، وَتَكَرَّرِ الْأَمْتِحَانِ وَالْإِعْتِبَارِ . فَقَلَّدَهُ الْحُكَمَاءُ بَيْنَ أَهْلِ سُرٍّ مَنْ رَأَى ، وَتَكَرَّيَتْ ، وَالطَّبْرَهَانِ ، وَالسَّنَّ ، وَالْبَوَازِيجَ ، وَدَقُوقًا ، وَخَانِيجَارَ ، وَالبَنْدِيعِينَ ، وَبُوحَسَابُورَ ، وَالرَّادَانِيْنَ ، [وَمَسْكِنَ] (٢) وَقُطْرَبُلَ ، وَنَهْرَبُوقَ ، وَالدِّينَ ، وَجَمِيعَ الْأَعْمَالِ

(١) الزيادة من "رسائل الصافي".

(٢) أفاريق جمع أفراف وأفراف جمع فرقة .

المُضَافَةُ إِلَى ذَلِكَ وَالْمُنَسُوبَةُ إِلَيْهِ ، وَشَرَّفَهُ بِالْخَلْعِ وَالْجُمْلَانِ ، وَضُرُوبِ الْإِنْعَامِ وَالْإِحْسَانِ ؛ وَكَانَ فِيهِمَا أَعْطَاهُ مِنْ هَذَا الصِّبَةِ وَالْمَجْدِ ، وَنَحَلَهُ إِيَّاهُ مِنَ الْمَفْخَرِ الْعَدْبِ ، مَبْتَغِيًّا مَا كَسَبَهُ مِنْ اللَّهِ الرَّضَا وَالزُّلْفَى ، وَالسَّلَامَةَ فِي الْفَاتِحَةِ وَالْعُقْبَى ؛ وَرَاعِيًّا لِمَا يُوجِبُهُ لِقَاضِي قُضَايَاهُ عِيْدُ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ مِنَ الْحَقُوقِ الَّتِي أَخْفَى مِنْهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَبْدَى ، وَأَمْسَكَ عَنْ أَضْعَافِ مَا أَحْصَى ؛ وَذَاهِبًا عَلَى آثَارِ الْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ ، وَالْوَلَاةِ الْمُجْتَهِدِينَ ، فِي إِقْرَارِ وَدَائِعِهِمْ عِنْدَ الْمُرْتَبِعِينَ لِحِفْظِهَا ، الْمُضْطَلَعِينَ بِمَجْلِهَا ، مِنْ أَوْلَادِ أَوْلِيَائِهِمْ ، وَذُرِّيَّةِ نُصَحَائِهِمْ : إِذْ كَانَ لَا بُدَّ لِلْأَسْلَافِ أَنْ تَمْضَى ، وَلِلْأَخْلَافِ أَنْ تَتِمَّ ؛ كَالشَّجَرِ الَّذِي يُغْرَسُ لَدُنَّا فَيَصِيرُ عَظِيمًا ، وَالنَّبَاتِ الَّذِي يَنْجُمُ رَطْبًا فَيَصِيرُ هَشِيمًا ؛ فَالْمُصِيبُ مِنَ تَخَيَّرِ الْغُرْسِ مِنْ حَيْثُ آسْتَنْجِبَ الشَّجَرُ ، وَأَسْتَحْلَى الثَّمَرُ ، وَتَعَمَّدَ بِالْعُرْفِ مَنْ طَابَ مِنْهُ الْخَبَرُ ، وَحَسُنَ مِنْهُ الْآثَرُ ؛ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى تَسْدِيدًا لِمُحَمَّدٍ عَائِدَتُهُ ، وَتَدِيرًا عَلَيْهِ مَا دَتُهُ ؛ وَبِتَوَلَّاهُ فِي الْعِزَّاتِ الَّتِي يَعْرِمُهَا ، وَالْأُمُورِ الَّتِي يُعْرِمُهَا ، وَالْعُقُودِ الَّتِي يَعْقِدُهَا ، وَالْأَغْرَاضِ الَّتِي يَعْتَمِدُهَا ؛ وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يَنْيَبُ .

أَمْرُهُ بِاعْتِمَادِ التَّقْوَى ، فَإِنَّهَا شِعَارُ أَهْلِ الْهُدَى ؛ وَأَنْ يُرَاقِبَ اللَّهُ مَرَاقِبَةَ الْمُتَحَرِّزِ مِنْ وَعِيدِهِ ، وَالْمُتَنَجِّزِ لِمَوَاعِيدِهِ ؛ وَيَطَهِّرَ قَلْبَهُ مِنْ مُوَبِقَاتِ الْوَسَاوِسِ ، وَيُهْدِئَهُ مِنْ مُرْدِيَاتِ الْهَوَاجِسِ ؛ وَيَأْخُذَ نَفْسَهُ بِمَا خَذَ أَهْلُ الدِّينِ ، وَيَكْلَفُهَا كُلْفَ الْأَبْرَارِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَيَمْنَعَهَا مِنْ أَبَاطِيلِ الْهَوَى ، وَأَضَالِيلِ الْمُنَى ؛ فَإِنَّهَا أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ، صَبَّةٌ إِلَى الْغَى ؛ صَادَةٌ عَنِ الْخَيْرِ ، صَادِفَةٌ عَنِ الرَّشْدِ ؛ لَا تَرْجِعُ عَنْ مَضَاهَا إِلَّا بِالشَّكَاكِمِ ، وَلَا تَتَفَادُ إِلَى مَنَافِعِهَا إِلَّا بِالْخَزَائِمِ ؛ فَمَنْ كَبَحَهَا وَشَتَّاهَا نَجَّاهَا ، وَمَنْ أَطْلَقَهَا وَأَمْرَجَهَا

(١) أَيْ مَائِلَةً إِلَى الْخَطِّ . (٢) فِي الْأَصُولِ وَالرِّسَالَةِ وَأَمْرَجَهَا بِأَهْلَاءِ وَلَعَلَّهُ تَصْغِيفُ فِي السَّلَاسِ

”وَأَمْرَجَهَا [أَيْ الدَّابَّةَ] تَرْكَهَا تَذَهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ“ فَتَنْبَهُ .

أرداها . وأولى مَنْ جعل تقوى الله دأبه ودينه ، والحيفة منه منهاجه وسننه ؛ مَنْ
 ارتدى رداء الحُكَّام ، وأمر ونهى في الأحكام ، وتصدى لكف الظالم ، ورد المظالم ؛
 وإيجاب الحدود ودرئها ، وتحليل الفروج وحظرها ؛ وأخذ الحقوق وإعطائها ،
 وتنفيذ القضايا وإمضاءها : إذ ليس له أن يأمر ولا يأمر ، ويؤمر ولا يؤمر ؛ ويأتى
 مثل ما ينهى عنه ، وينهى عما يأتى مثله ؛ بل هو محقّق بأن يصلح ما بين جنبيه ،
 قبل أن يصلح ما رُدَّ أمره إليه ؛ وأن يهدب من نيته ، ما يحاول أن يهدب من
 رعيته ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
 مُسْلِمُونَ ﴾ : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

وأمره بالإكثار من تلاوة القرآن الواضح سبيله ، الراشد دليله ؛ الذى من استضاء
 بمصايحه أبصر ونجا ، ومن أعرض عنها زلَّ وغوى ؛ وأن يتخذ إماماً يهتدى بأياته ،
 ويقتدى ببيّانه ؛ ومثلاً يحذو عليه ، ويردُّ الأصول والفروع إليه ؛ فقد جعله الله
 حجتّه الثابتة الواجبه ، ومحجّته المستبينّة اللاجبه ؛ ونوره الغالب الساطع ، وبرهانه
 الباهر الناصع ؛ وإذا ورد عليه معضل ، أو غم عليه مُشْكِل ، اعتصم به عائداً ،
 وعطف عليه لا يثدا ؛ فبه يكشف الخطب ، ويذلّ الصعَب ؛ وينال الأرب ،
 ويذكر المطلب ؛ وهو أحد الثقلين اللذين خلّعهما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
 وسلم فينا ، ونصّبهما معلّماً بعده لنا ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْغَائِبِينَ خَصِيماً ﴾ . وقال تعالى :
 ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ
 حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره بالمحافظة على الصَّلوات ، وإقامتها في حَقائق الأوقات ؛ وأن يدخل فيها
أَوَّانَ حُلُولها بإخلاص من قلبه ، وحُضور من لُبِّه ؛ وجمع بين لفظه ونيتِه ،
ومطابقة بين قوله وعمله ؛ مرثلاً للقراءة فيها ، مُفصِّحاً بالإبانه لها ، مُثَبِّتاً في رُكوعها
وسُجودها ؛ مستوفياً لحدودها وشروطها ؛ متجنباً فيها جرائر الخطأ والسَّهو ، وعوارض
الخلل واللغو : فإنه واقف بين يَدَي جِبَار السماء والأرض ، ومالك البَسْط
والقبض ، والمطلِّع على خائنة كُلِّ عين وخافية كُلِّ صَدْر ، الذي لا تحتجب دُونه
طَوِيَّه ، ولا تستعجم عليه خَبِيَّه ؛ ولا يُضيع أجر مُحْسِن ، ولا يُصلح عمل مُفْسِد ؛
وهو القائل عز وجل : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

وأمره بالجلوس للخصوم ، وفتح بابهم على العموم ؛ وأن يوازى بين الفريقين إذا تقدما إليه ، ويجادى بينهما فى الجلوس بين يديه ، ويقسم لهما أقساما متساوية من نظره ، وأقساطا متعادلة من كلمه : فإنه مقام توازن الأقدام ، وتكافؤ الخواص والعوام ؛ ولا يقبل على ذى هيئة لهيئته ، ولا يعرض عن دميم لدمايته ؛ ولا يزيد شريفا على مشروف ، ولا قويا على مضعوف ؛ ولا قريبا على أجنبي ، ولا مسلما على ذمى ، جامعهما التخاصم ، وضئهما التحاكم . ومن أحسن منه بنقصان بيان ، أو عجز عن برهان ؛ أو قصور فى علم ، أو تأخر فى فهم ، صبر عليه حتى يستنيط ماعنده ، ويستشف ضميره ؛ وينقع بالإقناع غلته ، ويريح بالإيضاح غلته . ومن أحسن منه بلسن وعبارة وفضل من بلاغه ، أعمل فيما يسمعه منه فكره ، وأحضره ذهنه ؛ وقابله بسد حلة خصمه ، والإبانة لكل منهما عن صاحبه ؛ ثم سأل على أقوالها ودعائيهما تأمله ، وأوقع على بيناتهما ومججها تدبره ؛ وأنفذ حينئذ الحكومة إنفاذا يعلمان به أن الحق مستقر مقره ، وأن الحكم موضوع موضعه ؛ فلا يبقى للحكوم عليه استراية ولا للحكوم له استراية ؛ وأن يأخذ نفسه مع ذلك بأظهر

الخلائق وأحمدُها ، وأهدى السَّجَايا وأرشدَها ؛ وأن يقصد في مَشْيِهِ ، ويُغْضَ من صَوْتِهِ ، ويَحْدَفُ الفُضُول من ^(١) [لفظه و] لَحْظِهِ ؛ ويَحْفَفُ من حَرَكَاتِهِ وَلَفْطَاتِهِ ، ويتَوَقَّرُ من سائرِ جَنَابَاتِهِ [وَجَهَاتِهِ] ^(١) ، ويتَجَنَّبُ الخُرْقَ والحِلَّةَ ، ويتَوَقَّظُ الفَظَاظَةَ والشَّدَّةَ ؛ ويُلبِنَ كَنَفَهُ من غيرِ مَهَانَةٍ ، ويرَبُّ هَيْبَتَهُ في غيرِ غِلْظَةٍ ؛ ويتَوَنَّى في ذلك وَقُوفًا بين غَايَتَيْهِ ، وتوسُّطًا بين طَرَفَيْهِ ؛ فإنه يَخَاطِبُ أَخْلَاطًا من النَّاسِ مُخْتَلِفِينَ ، وَضُرُوبًا غيرَ مُتَّفِقِينَ ؛ ولا يَخْلُوفِيهِمْ من الجَاهِلِ الْأَهْوَجِ ، والمَظْلُومِ الْمُحْرَجِ ؛ والشَّيْخِ الْهَيْمِ ، والنَّاشِئِ الْعَرِ ؛ والمرأةَ الرَّكِيكَةِ ، والرجلَ الضَّعِيفَ النَّحِيزَةَ ؛ وواجبٌ عليه أن يَغْمُرَهُمْ بِعَقْلِهِ ، وَيُشْمَلَهُمْ بِعَدْلِهِ ؛ وَيُقِيمَهُمْ عَلَى الْأَسْتِقَامَةِ بِسِيَاسَتِهِ ، وَيُعِطِفَ عَلَيْهِمْ بِجَلْمِهِ وَرِيَاسَتِهِ . وأن يَحْجِسَ وَقَدْ نَالَ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ طَرَفًا يَقِفُ بِهِ عِنْدَ أَوَّلِ الْكِفَايَةِ ، وَلَا يَبْلُغُ مِنْهُ إِلَى آخِرِ النَّهَايَةِ ؛ وَأَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى أَسْبَابِ الْحَاجَةِ كُلِّهَا ؛ وَعَوَارِضِ الْبَشَرِيَّةِ بِأَسْرَاهَا : لِئَلَّا يُلِمَّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ مُلِمٌ أَوْ يَطِيفَ بِهِ طَائِفٌ فَيُحِيلَانِهِ عَنْ جَلَدِهِ ، وَيُحَوِّلَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَدَدِهِ . وَلِيَكُنْ هُمُّهُ إِلَى مَا يَقُولُ وَيُقَالُ لَهُ مَصْرُوفًا ، وَخَاطِرُهُ عَلَى مَا يَرِدُ عَلَيْهِ وَيَصْدُرُ عَنْهُ مَوْقُوفًا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ .

وأمره إذا ثَبَتَ عِنْدَهُ حَقٌّ مِنَ الْحَقُوقِ لِأَحَدٍ مِنَ الْخُصُومِ . أَنْ يَكْتُبَ لَهُ مَتًى آتَمَسَ ذَلِكَ إِلَى صَاحِبِ الْمَعُونَةِ فِي عَمَلِهِ بِأَنْ يَمَكِّنَهُ مِنْهُ ، وَيَحْسِمَ الْمَعَارَضَاتِ فِيهِ عَنْهُ ، وَيَقْبِضَ كُلَّ يَدٍ تَمْتَدُّ إِلَى مُنَازَعَتِهِ ، أَوْ تَتَعَدَّى إِلَى مُجَادَبَتِهِ ؛ فَقَدْ نَدَبَ اللَّهُ

النَّاسَ إِلَى مُعَاوَنَةِ الْمُحِقِّ عَلَى الْمُبْطِلِ ، وَالْمُظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ ؛ إِذْ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ :
 ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ .

وأمره أَنْ يَسْتَصْحِبَ كَاتِبًا دَرَبًا بِالْمَحَاضِرِ وَالسَّجَلَّاتِ ؛ مَاهِرًا فِي الْقَضَايَا
 وَالْحُكُومَاتِ ؛ عَالِمًا بِالشُّرُوطِ وَالْحُدُودِ ؛ عَارِفًا بِمَا يُجُوزُ وَمَا لَا يُجُوزُ ؛ غَيْرَ مَقْصَّرٍ عَنِ
 الْقَضَاةِ الْمُسْتُورِينَ ، وَالشُّهُودِ الْمُقْبُولِينَ ، فِي طَهَارَةِ ذَيْلِهِ ، وَنَقَاءِ جَبِيهِ ، وَتَصَوُّنِهِ عَنِ
 خُبْتِ الْمَاكِلِ وَالْمَطَاعِمِ ، وَمُقَارَفَةِ الرَّيْبِ وَالثَّهْمِ ؛ فَإِنَّ الْكَاتِبَ زِمَامُ الْحَاكِمِ الَّذِي إِلَيْهِ
 مَرْجِعُهُ ، وَعَلَيْهِ مُعَوَّلُهُ ؛ وَبِهِ يَحْتَرِسُ مِنْ دَوَاهِي الْحَيْلِ ، وَكَوَامِنِ الْغِيلِ . وَحَاجِبًا
 سَدِيدًا رَشِيدًا ، أَدِيًّا لِيَبِيا ؛ لَا يُسِفُّ إِلَى ذَنْبَةٍ وَلَا يَلِمْ بِمَنْكَرَةٍ ؛ وَلَا يَقْبَلُ رِشْوَةً ،
 وَلَا يَلْتَمِسُ جَعَالَةً ؛ وَلَا يَجُجِبُ عَنْهُ أَحَدًا يُحَاوِلُ لِقَاءَهُ فِي وَقْتِهِ ، وَالْوَصُولَ إِلَيْهِ
 فِي حِينِهِ . وَخُلَفَاءُ يَرُدُّ إِلَيْهِمْ مَا بَعَدَ مِنَ الْعَمَلِ عَنْ مَقَرِّهِ ، وَأَعْجَزُهُ أَنْ يَتَوَلَّى النَّظَرَ فِيهِ
 بِنَفْسِهِ ؛ يَنْتَخِبُهُمْ مِنَ الْأُمَثَلِ ، وَيَتَخَيَّرُهُمْ مِنَ الْأَفْضَلِ ؛ وَيُعْهَدُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ مَاعُيْهِدٍ
 فِيهِ إِلَيْهِ ، وَيَأْخُذُهُمْ بِمَثَلٍ مَا أَخَذَ بِهِ ؛ وَيَجْعَلُ لِكُلِّ مَنْ هَذِهِ الطَّوَائِفُ رِزْقًا يَكْفِيهِ
 وَيَكْفِيهِ ، وَقُوَّةً تَنْجِزُهُ وَيُغْنِيهِ ؛ فَلَيْسَ تَلْزِمُهُمُ الْحُجَّةُ إِلَّا مَعَ إِعْطَائِهِمُ الْحَاجَةَ ،
 وَلَا تُؤْخَذُ عَلَيْهِمُ الْوَثِيقَةُ إِلَّا مَعَ إِزَاحَةِ الْعِلَّةِ ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَأَنْ لَيْسَ
 لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ﴾ .

وأمره بِإِقْرَارِ الشُّهُودِ الْمَوْسُومِينَ بِالْعَدَالَةِ عَلَى تَعْدِيلِهِمْ ، وَإِمْضَاءِ الْقَضَايَا بِأَقْوَالِهِمْ ؛
 وَحِمْلِهِمْ عَلَى ظَاهِرِ السَّلَامَةِ ، وَشِعَارِ الْأَسْتِقَامَةِ ؛ وَأَنْ يَعْتَمِدَ مَعَ هَذَا الْبَحْثِ عَنِ
 أَدْيَانِهِمْ ، وَالْفَحْصِ عَنْ أَمَانَاتِهِمْ ، وَالْإِصْغَاءِ إِلَى الْأَحَادِيثِ عَنْهُمْ : مِنْ ثَنَاءٍ يَتَكَرَّرُ ،
 أَوْ قَدَحٍ يَتَرَدَّدُ ؛ فَإِذَا تَوَاتَرَ عِنْدَهُ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ ، رَكْنَ إِلَى الْمَزْتَكِيِّ الْأَمِينِ ، وَنَبَا عَنْ
 الْمَتَّهِمِ الظَّنِّينِ : فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ آغْتَبَطَ أَهْلُ الْأَمَانَةِ بِأَمَانَاتِهِمْ ، وَنَزَعَ أَهْلُ الْخِيَانَةِ

عن خياناتهم ؛ وتقرَّبوا إليه بما تَنَفَّقَ سَوْفُهُ ، وَيُسْتَحَقُّ به التَّوَجُّهَ عنده ، وآسَمَتِ شُهُودُهُ وَأَمْنَاؤُهُ ، وَأَتْبَاعُهُ وَخَلَفَاؤُهُ ، عَلَى الْمَنَهِجِ الْأَوْضَحِ ، وَالْمَسْلَكِ الْأَنْجَحِ ؛ وَتَحَصَّنَتْ الْأَمْوَالُ وَالْحُقُوقُ ، وَصِيَنْتِ الْحُرُمَاتُ وَالْفُرُوجُ ؛ وَمَتَى وَقَفَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى هَفْوَةٍ لَا تُغْفَرُ ، وَعَثْرَةٍ لَا تُنْقَلُ ، أَسْقَطَهُ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ جُمْلَتِهِمْ ؛ وَأَعْتَاضَ مِنْهُ مَنْ يَحْمَدُ دِينَهُ ، وَيَرْضَى أَمَانَتَهُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْذِرْ لَهُمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ . وَقَالَ فِي الشَّهَادَةِ : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِالضَّيْطِ لَمَّا يَجْرَى فِي عَمَلِهِ مِنَ الْوُقُوفِ الثَّابِتَةِ فِي دِيْوَانِ حُكْمِهِ ؛ وَالتَّعْوِيلِ فِيهَا عَلَى الْأَمْنَاءِ الثَّقَاتِ ، وَالْخُصَفَاءِ الْكُفَّاءِ ، الْمَعْرُوفِينَ بِالظَّلْفِ وَالْوَرَعِ ، الْمُتَنَزِّهِينَ عَنِ النَّطْفِ وَالْجَشَعِ ؛ وَالتَّقَدُّمِ إِلَيْهِمْ فِي حِفْظِ أَصُولِهَا ، وَتَوْفِيرِ فُرُوعِهَا ؛ وَتَثْمِيرِ غَلَاظِهَا وَآرْتِفَاعِهَا ؛ وَصَرْفِهَا إِلَى أَهْلِهَا وَمُسْتَحَقِّهَا فِي وَجْهِهَا وَسُبُلِهَا ؛ وَمَطَالِبَتِهِمْ بِحَسَابٍ مَا يَجْرِي عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَالْإِسْتِقْرَاءِ لَأَنَارِهِمْ فِيهِ وَأَفْعَالِهِمْ ؛ وَأَنْ يَحْمَدَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَى وَكَفَّ ، وَيَذُمَّ مَنْ أَضَاعَ وَأَسَفَ ؛ وَيُنْزِلَ كُلًّا مِنْهُمْ مِثْلَتَهُ الَّتِي أَسْتَحَقُّهَا بِعَمَلِهِ ، وَاسْتَوْجِبَهَا بِأَثَرِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِالْإِحْتِيَاظِ عَلَى أَمْوَالِ الْإِيْتِمَامِ ، وَإِسْنَادِهَا إِلَى أَعْفَى وَأَوْثَقِ الْقُؤَامِ ؛ وَالتَّقَدُّمِ إِلَى كُلِّ طَائِفَةٍ بَأَنْ يَجْرِیهِمْ جُحْرُى وَلَدَهُ ، وَيَقِيمُهُمْ مَقَامَ سُلَالَتِهِ ، فِي الشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِصْلَاحِ لَشُؤْنِهِمْ ، وَالْإِشْرَافِ عَلَى تَأْدِیْبِهِمْ ؛ وَتَلْقِیْنِهِمْ مَا لَا يَسَعُ الْمُسْلِمَ جَهْلُهُ مِنَ الْفَرَائِضِ الْمَقْتَرَضَةِ ، وَالسُّنَنِ الْمَوْكَّدَةِ ؛ وَتَحْرِیْجِهِمْ فِي أَبْوَابِ مَعَاشِهِمْ ،

وأَسْبَابُ مَصَالِحِهِمْ ؛ وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ مِنْ عَرَضِ أَمْوَالِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا شَطَطَ فِيهِ وَلَا تَبَذُّرَ ، وَلَا تَضْيِيقَ وَلَا تَقْتِيرَ ؛ فَإِذَا بَلَغُوا مَبَالِغَ كَمَالِهِمْ ، وَأَوْنِسَ مِنْهُمْ الرُّشْدُ فِي مَتَصَرِّفَاتِهِمْ ، أَطْلَقَ لَهُمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَأَشْهَدَ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ ؛ فَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ بِمَا تَقَلَّدَهُ مِنْ الْحُكْمِ ، خَلْقًا مِنَ الْآبَاءِ لِدَوَى الْيَتَمِ ؛ وَصَارَ بِهَذِهِ الْوَلَايَةِ عَلَيْهِمْ مُسْئُولًا عَنْهُمْ ، وَجَزِيًّا عَمَّا سَارَ بِهِ فِيهِمْ ، وَأَوْصَلَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَيْهِمْ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِحِفْظِ مَا فِي دِيَوَانِهِ مِنَ الْوَنَائِقِ وَالسَّجَلَاتِ ، وَالْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ ، وَالْوَصَايَا وَالْإِقْرَارَاتِ : فَإِنَّهَا وَدَائِعُ الرِّعْيَةِ عِنْدَهُ ، وَوَاجِبٌ أَنْ يَحْرُسَهَا جُهْدَهُ ؛ وَأَنْ يَكْلِمَهَا إِلَى الْخُزَّانِ الْمَأْمُونِينَ ، وَالْحَفِظَةِ الْمُتَّقِظِينَ ؛ وَيُوعِزُّ إِلَيْهِمْ بِأَنْ لَا يُخْرِجُوا شَيْئًا مِنْهَا عَنْ مَوْضِعِهِ وَلَا يُضَيِّفُوا إِلَيْهَا مَا لَمْ يَكُنْ بَعْلَمِهِ ؛ وَأَنْ يَتَّخِذَ لَهَا بَيْتًا يَحْصُرُهَا بِهِ ؛ وَيَجْعَلُهُ بَحِثٌ يَأْمُنُ عَلَيْهِ : لِيَرْجِعَ مَتَى أَحْتَاجَ الرُّجُوعَ إِلَيْهِ ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ إِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يُعِينُهُ فَصْلُهُ ، وَيُسْتَبْتِ عَلَيْهِ وَجْهُ الْحُكْمِ فِيهِ ، أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَيَطْلُبَ بِهِ سَبِيلَ الْمُخْلَصِ مِنْهُ ، فَإِنْ وَجَدَهُ وَإِلَّا فَفَنَى الْأَثَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنْ أَدْرَكَهُ وَإِلَّا أَسْتَفْتَى فِيهِ مَنْ يَلِيهِ مِنْ ذَوِي الْفِقْهِ وَالْفَهْمِ ، وَالْهَدَايَةِ وَالْعِلْمِ^(١) ؛ فَمَا زَالَتِ الْأُئِمَّةُ وَالْحُكَّامُ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَطُرُقُ السَّنَنِ الْوَاضِحِ ؛ يَسْتَفْتِي وَاحِدًا مِنْهُمْ وَاحِدًا ، وَيَسْتَرْشِدُ بَعْضُ بَعْضًا ؛ لَزُومًا لِلْإِجْتِهَادِ ، وَطَلِبًا لِلصَّوَابِ ؛

(١) فِي رِسَائِلِ الصَّابِي « وَأَهْلِ الدَّرَايَةِ » .

وتحرزا من الغلط ، وتوقيا من العثار ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ۝ ﴾ .

وأمره أَنْ لَا يَنْقُضَ حكما حكم به مَنْ كَانَ قَبْلَهُ وَلَا يَفْسُخَهُ ، وَأَنْ يَعْمَلَ عَلَيْهِ وَلَا يَعْدِلَ عَنْهُ ، مَا كَانَ دَاخِلًا فِي إجماع المسلمين ، وسائغا في أوضاع الدين ؛ فَإِنْ خَرَجَ عَنِ الإجماع ، أَوْضَحَ الحال فِيهِ لِمَنْ بَحْضَرْتَهُ مِنَ الفقهاء والعلماء حَتَّى يَصِيرُوا مثله فِي إنكاره ، وَيَجْتَمِعُوا معه عَلَى إيجاب رَدِّهِ ، ثُمَّ يَقْضِيهِ حِينَئِذٍ نَقْضًا يَشِيعُ وَيَذِيعُ ، وَيُعَوِّدُ بِهِ الأمر إِلَى واجبه ، وَيَسْتَقِرُّ معه الحقُّ فِي نِصَابِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ ﴾ .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إِلَيْكَ ، وَحُجَّتُهُ عَلَيْكَ ؛ قَدْ شَرَحَ بِهِ صَدْرَكَ ، وَأَوْضَحَ بِهِ سُبُلَكَ وَأَقَامَ أَعْلَامَ الهداية لَكَ ، وَلَمْ يَأْلُكَ تبصيرا وتذكيرا ، وَلَمْ يَدْنِرْكَ تعريفاً وتوقيفاً ؛ وَلَمْ يَجْعَلْكَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ عَلَى شُبْهَةٍ تَعْتَرِضُكَ ، وَلَا حَيْرَةٍ تَعْتَاقُكَ ؛ وَاللَّهُ شَاهِدُهُ بِجُحُوجِهِ مِنَ الحقِّ فِيمَا وَصَّى وَعَهْدِهِ ، وَعَلَيْكَ بِقَبُولِكَ مَا قَبِلْتَ مِمَّا وَثَّقَ وَقَلَّدَ ؛ فَإِنْ عَدَلْتَ وَأَعْتَدَلْتَ - وَذَلِكَ خَلِيقُكَ بِكَ - فَقَدْ فَازَ وَفُزْتَ معه ، وَإِنْ تَجَانَقْتَ وَزَلَلْتَ - وَذَلِكَ بَعِيدٌ مِنْكَ - فَقَدْ رَجَحَ وَخَسِرْتَ دُونَهُ ؛ فَلْتُكْنِ التَّقْوَى زَادَكَ ، وَالْإِحْتِرَاسُ شِعَارَكَ ؛ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ يُعِزَّكَ ، وَاسْتَهْدِهِ يَهْدِكَ ؛ وَأَعْتَصِدْ بِهِ يُعْصِدَكَ ، وَاسْتَمْدْ مِنْ تَوْفِيقِهِ يُنْصِدِّدَكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[وكتب نصير الدولة الناصح أبو طاهر يوم كذا من رجب سنة ست وستين
(١)
وثلاثمائة] .



وهذه نسخة عهد بقضاء القضاة شرقاً وغرباً ، كُتِبَ به عن الإمام الناصر لدين الله أحمد ، للقاضي محي الدين أبي عبد الله محمد بن فضلان ، من إنشاء أستاذ الدار عضد الدين بن الضحّاك ، وهي :

هذا ماعهدَ عبدُ الله وخليفته في العالمين ، المقترَضُ الطاعة على الخلق أجمعين ، أبو العباس أحمدُ الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن يحيى بن فضلان : حين سَبَرَ خِلاله وأَسْتَقْرَاهَا ، وأَعْتَبَرَ طَرَائِقَه وأَسْتَبْرَاهَا ، فآلفاه رشيداً في مَذَاهِبِه ، سَدِيداً في أفعاله وَضَرَائِبِه ، مُوسُوماً بِالرَّصَانَةِ ، حَالِيّاً بِالرَّوْعِ والدِّيانَةِ ، مَبْرَزا من العلوم في فُنُونِهَا ، عالِماً بِمَقْرُوضِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ وَمُسْتَسْنُونِهَا ، مُدْرِعا مَلَأَ عَقَافَ ، قد أَنَافَ على أَمْثَالِه في بَوَارِعِ الْأَوْصَافِ ، فَقَلَّدَه قَضَاءَ الْقُضَاةِ في مَدِينَةِ السَّلَامِ وَجَمِيعِ الْبِلَادِ والأَعْمَالِ ، والنَوَاحِي والأَمْصَارِ : شَرْقاً وَغَرْباً ، وَبُعْداً وَقُرْباً ، سُكُونًا إلى ما عِلِمَ من حاله ، وَأَضْطِلَاعَه بالنَهْضَةِ الْمُتَوَطَّئَةِ به وَأَسْتِقْلَالِه ، وَرُكُونًا إلى قِيَامِه بِالوَجِبِ فيما أُسْنَدَ إِلَيْه ، وَنُهُوضِه بِعِبءِ مَاعُوْلٍ في حِفْظِ قَوَانِينِه عَلَيْهِ ، وَأَسْتِنَامَةٍ إلى حُلُولِ الْأَصْطِنَاعِ عِنْدِه ، وَمُصَادَفَتِه مِنْهُ مَكَانًا تَبَوَّأَه بِالْأَسْتِحْقَاقِ وَحْدَه ، والله تعالى يعضد آراء أمير المؤمنين بمزيد التوفيق في جميع الأمور ، وَيُحَسِّنُ لَهُ الْخِيَرَةَ فيما يُؤْمُهُ من مَنَاطِمِ الدِّينِ وَصَلَاحِ الْجُمْهُورِ ، وما توفيق أمير المؤمنين إِلَّا بالله عليه يتوكَّلُ وإِلَيْهِ يُنِيبُ .

أمره بتقوى الله تعالى في إعلانه وإسراره ، وتَقَمُّصِ شِعَارِهَا في إظهار أمره وإِضْمَارِه ، فإنها العروة الوثقى ، والدُّنْخَرُ الْأَبْقَى ، والسعادة التي مَادُونَهَا فَوْزٌ وَلَا فَوْقَهَا مَرَقٌ ، وهي حلية الأبرار ، وسِيَمَا الْأَخْيَارِ ، وَالْمَنْهَجُ الْوَاضِعُ ، وَالْمَنْجَرُ الرَّابِحُ ، وَالسَّبِيلُ

المؤدى إلى النجاة والخلاص ، يوم لا وزر ولا حزن مناص ، وأنفع العُد
والذخائر ، وخير العتاد يوم تُنشر الصحف وتبلى السرائر ؛ يوم تشخص الأبصار ،
وتعدم الأنصار : ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سُرَّابِلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ
وَتَعْنَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ . ولا ينجو من عذاب الله يومئذ إلا من كان زاده التقوى ،
وتمسك منها بالسبب الأقوى ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى
وَاتَّقُوا يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ .

وأمره أن يجعل كتاب الله إماماً يهتدى بمناره ، ويستصبح بيواهر أنواره ؛
ويستضيء في ظلم المشكلات بمبیر مضباحه ، ويقف عند حدود محظوره ومباحه ؛
ويتخذ مثلاً يحتذيه ، ودليلاً يتبع أثره فيهديه ؛ ويعمل به في قضاياه وأحكامه ،
ويقنّدى بأوامره في نقضه وإبرامه : فإنه دليل الهدى ورائده ، وسائق النجح
وقائده ؛ ومعدن العلم ومنبعه ، ومنجم الرّشاد ومطلعه ؛ وأحد الثقلين اللذين خلقهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمّة ، والدّكر الذى جعله الله تعالى تبياناً لكل
شيء وهدى ورحمه ، فقال عز من قائل : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ
وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وأمره بأنتراع الآثار النبوية صلوات الله على صاحبها وسلامه ، والاهتداء^(١)
بشموسها التى تنجلي بها دجّة كل مشكل وظلامه ؛ والافتداء بسنة الشريعة المتبوعة ،
وتصفّح الأخبار المسموعة ؛ والعمل منها بما قامت أدلة صحّته من جميع جهاته ،
وآستحكمة الثقة بقلّته عنه - عليه السلام - ورواته ؛ وسأبت أسانيده من قدح ،
ورجاله من ظنة وجرح ، فإنها التالية للقراءان المجيد في وجوب العمل بأوامره ،

(١) فى اللسان ج ١٠ ص ٢٢٩ « آتزع بالآية والشعر تمثل ويقال للرجل إذا استنبط معنى آية من
كتاب الله قد آتزع معنى جيداً » .

والإتهاء برَوادعه وزواجِرِه ، وهو عليه الصلاة والسلامُ الصادقُ الأمينُ الذي ماضٍ
وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ؛ وقد قرَنَ الله سبحانه طاعته بطاعته ، والعمل
بكتابه والأخذ بسنته ؛ فقال عز من قائل : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
عَنْهُ فَاتَّقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأمره بمجالسة العلماء ، ومباحثة الفقهاء ؛ ومشاركتهم في الأمور المشكِلة ،
وعوارِض الحكومات المُعْضِلة : لتستبين سبيلُ الصواب ، ويعرَى الحكم من مَلَابِس
الشبه والارتباب ؛ ويُخْلَص من خطايا الأفراد ، وغوائل الاستبداد ؛ فالمشورة باليمن
مقرونة ، والسلامة في مطاويها مضمونة ؛ وقد أمر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه
وسلم مع شرف منزله وكمال عِصْمتِه ، وتأبيده بوحيه وملائكته ؛ فقال سبحانه :
﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وأمره بفتح بابه ، ورفع حجابِه ؛ وأن يجلس للخصوم جلوساً عادماً ، وينظر
في أمورهم نظراً حسناً تاماً ؛ مساوياً بينهم في نظره ولحظه ، وإصغائه ولقطه ؛ محترِزاً
من ذى اللسن وجُرأة جنانه ، متأنياً بذى الحصر عند إقامة برهانه ، فربما كان
أحد الخصمين ألحن بحجته ، والآخر ضعيفاً عن مُقاومته ؛ هذا مقام الفحص
والاستفهام ، والتثبت وإمضاء الأحكام : ليسلم من خديعة مُحْتال ، وكيد مُقتال ؛
مائلاً في جميع ذلك مع الواجب ، سالكاً طريق العدل الألاحب ؛ غير فارق في إمضاء
الحكم بين القوي والضعيف ، والمشروف والشرِيف ؛ والمالك والمملوك ، والغني
والصعلوك ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا
الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

وأمره أن يتصفّح أحوال الشهود، المسموعة أقوالهم في الحقوق والحدود؛
المرجوع إلى أمانتهم، المعمول بشهادتهم؛ الذين بهم تُقام الحجج وتُدحض، وتبرم
الأحكام وتُنقض؛ وتثبت الدعاوى وتبطل، وتُمنى القضايا وتُسجل؛ مجتهداً
في البحث عن طرائقهم وأحوالهم، وانتقاد تصاريقهم وأفعالهم، واستشفاف
سجائهم، وعرفان مزاياهم؛ مخصّصاً بالتمييز من كان حميداً لخلال، مرضى الفاعل؛
راجعاً إلى ورع ودين، متمسكاً من الأمانة والزهادة بالسبب المتيّن، قال الله تعالى:
﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾.

وأمره بالنظر في أمور اليتامى وأموالهم، ومراعاة شئونهم وأحوالهم؛ وأن يرتب
بسبب اتساق مصالحهم الثقات الأعفَاء، والأمناء الأثقياء؛ ممن ظهرت ديانته،
وحسنت سيرته؛ وأشهر بالظلف والعفاف، والتزّه عن الطمع والإسفاف؛
ويأمرهم بحفظها من خلل يتخلّلها، ويد خائفة تدخلها؛ وليكن عليهم حديبا، وفي قرط
الحق أبا؛ وخلفا من آبائهم في الإشفاق عليهم، وحسن الكفالات إليهم؛ فإنه عنهم
مسئول، والعدر عند الله تعالى في إهمالهم غير مقبول؛ وأن يأذن لهم في الإنفاق
عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقتير، ولا تضيق ولا تبذير؛ فإذا بلغ أحدُهم
النكاح، وآس منه أمارات الرشد والصلاح، دفع ماله إليه، وأشهد بقبضه عليه؛
على الوجه المنصوص، غير منقوص ولا منغوص؛ ممثلاً أمر الله تعالى في قوله
سبحانه: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

وأمره بترويج الأيامي اللواتي لأولياءهن من أكفائهن، بمهور أمثالهن؛ وأن
يشمل ذوات الغنى والفقر منهن بعله، ويتحرى لهن المصلحة في عقده وحله.

وأمره أن يستنبط فيما بعد عنه من البلاد ودنأ، وقرب منه ونأى، كل ذي علم واستبصار، وتيقظ في الحكم واستظهار، وزاهية شائمه، وأوصاف لأدوات الاستحقاق جامعة، ممن يتحقق هوضه بذلك وأضطلاعه، ويأمن استزلاله وأخذاعه، وأن يعهد إليهم في ذلك بمثل ما عهد إليه ولا يألوهم تنبيها وتذكيرا، وإرشادا وتبصيرا، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ .

وأمره بامضاء ما أمضاه قبله الحُكَّام، من القضايا والأحكام، غير متعقب أحكامهم بنقض ولا تبديل، ولا تغيير ولا تأويل، إذا كانت جائزة في بعض الأقوال، مُمضاة على وجه من وجوه الاحتمال، غير خارقة للإجماع، عارية من ملابس الابتداع، وإن كان ذلك منافيا لمذهبه، فقد سبق حكم الحاكم به، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

وأمره أن يتخذ كاتباً قيمياً بشروط القضايا والسجلات، عارفاً بما يتطرق نحوها من الشبه والتأويلات، ويتداخلها من النقص والتليسات، متحرراً في كل حال، متزهاً عن دميم الأفعال. وأن يتخير حاجباً نقي الجيب، مأمون المشهد والغيب، مستشعراً للتقوى، في السر والنجوى، سالكاً للطريقة المثلى، غير متجهم للناس، ولا معتمد مأينافي بسط الوجه لهم والإيناس: فإنه وُصِّلهم إليه، ووجهه المشهود قبل الدخول عليه، فلينخبه من بين أصحابه، ومن يرتضيه من أمثاله وأضرابه .

وأمره بتسليم ديوان القضاء والحكم، والاستظهار على ما في خرائثه بالإثبات والختم، والاحتياط على ما به من المال والسجلات، والمُحجج والمحاضر والوكالات؛

والقبوض والوثائق والأثبات والكفالات ، مخضّر من العُدُول الأمانة الثقات ؛
وأن يرتّب لذلك خازناً يؤدّي الأمانة فيه ، ويتوخّى ما توجبه الديانة وتقتضيه .

وأمره بمراعاة أمر الحسبة : فإنها من أكبر المصالح وأهمّها ، وأجمعها لمنافع
الخلق وأعمّها ؛ وأدعاها إلى تحصيل أموالهم ، وانتظام أحوالهم ؛ وأن يأمر المستناب
فيها باعتبار سائر المبيعات فيها : من الأقوات وغيرها في عامّة الأوقات ؛ وتحقيق
أسباب الزيادة والثّقْصان في الأسعار ، والتصديّ لذلك على الدوام والاستمرار ؛ وأن
يُجْرى الأمر فيها بحسب ما تقتضيه الحال الحاضرة ، والموجبات الشائعة الظاهرة ؛
واعتبار الموازين والمكاييل ، وإعادة الزائد والناقص منها إلى التسوية والتعديل ؛
فإن أطلع لأحد من المتعاملين على خيانة في ذلك وفعلٍ دميم ، أو تطفيف عدل فيه
عن الوزن بالقسطاس المستقيم ، أناله من التأديب ، وأسباب التهذيب ، ما يكون
له رادعاً ، ولغيره زاجراً وإزاعاً ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَيَلْ لِلْظَّافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا
عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وهذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته عند الله تعالى عليك ؛ قد أولاك من
صنوف النعم والآلاء ، وجزيل الكرم والحباء ؛ ما يوجب عليك الاعتراف بقدره ،
وأستيزاع شكره ؛ ووقف بك على محجة الرّشاد ، وهذاك إلى منهج الحقّ وسنن
السّداد ؛ ولم يالك تقيفاً وتبصيراً ، وتنبهاً وتذكيراً . فتأمل ذلك متدبراً ، وقف
عند حدود أوامره ونواهيه مستبصراً ؛ وأعمل به في كلّ ما تاتيّه وتدّره ، وتورده
وتصدّره ؛ وكن للخيلة في آرتيادك محققاً ، وللمعتقد فيك مُصدّقاً ؛ تفز من خير
الدارين بمعلّى القِداح ، وإحماد السرى عند الصّباح ؛ وحسب أمير المؤمنين الله
وبنعم الوكيل .

الضرب الثاني

(مما كان يكتب يديوان الخلافة ببغداد لأرباب الوظائف
من أصحاب الأقسام التواقيع)

وطريقتهم فيها أن يفتح التوقيع بلفظ «أحق» أو «أولى» أو «أقمن من أبيضت
عليه النعم» أو «من فوض إليه كذا» أو «من توه بذكره» ونحو ذلك «من كان
بصفة كذا وكذا» ثم يقال : «ولما كان فلان بصفة كذا وكذا، فوض إليه كذا
وكذا» أو «أسند إليه كذا وكذا» ونحو ذلك .

وهذه نسخة توقيع بتدريس، كتب به عن الإمام الناصر لدين الله، للقاضي
محيي الدين «محمد بن فضلان» بتدريس المدرسة النظامية ببغداد، في سنة
أربع عشرة وستمائة، وهي :

أحق من أبيضت عليه بحاسد النعم^(١)، وجذب بضبعه إلى مقام التنويه وتقدم
القدم، من أسفر في أفضية الفضائل صباحه، وانتشر في العالم علمه وأزهر
مضباحه .

ولما كان الأجل الأوحده، العالم، محيي الدين، حجة الإسلام، رئيس
الأصحاب، مفتي الفريقين، مفيد العلوم، أبو عبد الله «محمد بن يحيى بن فضلان»
أدام الله رفعته، من نظم فرائد المحامد عقده النضيد، وأوى من العلم والعمل إلى
ركن شديد، وثبت قدمه من الديانة على مستتب راسخ وقرار مهيد - روى التعويل
في تفويض التدريس بالمدرسة النظامية إليه : ثقة بأضطلاحه وأستقلاله، وتبريزه

(١) المجاسد جمع مجسد بالضم والكسر الثياب التي تلى الجسد وقد تكون مصبوغة بالجسد وهو الزعفران .

فِي حَلَبَاتِ الْإِسْتَبَاقِ عَلَى نُظَرَائِهِ وَأَمَنَالِهِ ، وَتَرَاوَجِ الْمُسَاجِلِينَ لَهُ عَنْ قُوْتِ غَايَتِهِ وَبُعْدِ مَنَالِهِ ؛ وَأُسْنِدِ إِلَيْهِ - أَدَامَ اللَّهُ رَفَعَتَهُ - النَّظْرُ فِي أَوَاقِفِ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ بِاجْمَعِهَا ، وَاعْتِمَادِ مَا شَرَطَهُ الْوَاقِفُ فِي مَصَارِفِهَا وَسُبُلِهَا ؛ سَكُونًا إِلَى كِفَايَتِهِ ، وَرُكُونًا إِلَى سَدَادِهِ وَأَمَانَتِهِ .

وَرِسْمٍ لَهُ تَقْدِيمُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي مَا زَالَ مُنْتَهَجًا لَطَائِقِهَا ، مَتَمَسِّكًا بِعَصَمِهَا وَوُثَائِقِهَا ؛ وَأَنْ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلتَّعَلُّمِينَ ، وَلَا تَأْخُذَهُ شُجْرَةٌ مِنَ الْمُسْتَفِيدِينَ ، وَلَا تَعْدُو عَيْنَاهُ عَنْ جُهَلَاءِ الطَّالِبِينَ ؛ وَلَا يَتَبَرَّمُ بِالْمُبَالَاغَةِ فِي تَفْهِيمِ الْمُبْتَدِئِ ، وَلَا يَغْفُلُ عَنْ تَذْكِيرِ الْمُنْتَهَى : فَإِنَّهُ إِذَا أَحْتَمَلَ هَذِهِ الْمَشَقَّةَ ، وَأَعْطَى كُلَّ تَلْمِذٍ حَقَّهُ ، كَانَ اللَّهُ تَعَالَى كِفِيلًا بِمُعُونَتِهِ ، بِحَسَبِ مَا يَعْلَمُ مِنْ حِرْصِهِ عَلَيْهِمْ وَإِخْلَاصِ نِيَّتِهِ . وَلِيَكُنْ بِسَائِرِ الْمُتَفَقِّهَةِ مَعْتَنِيًّا رَفِيقًا ، وَعَلَيْهِمْ حَدًّا شَفِيقًا ؛ يُفَرِّغُ لَهُمْ مِنَ الْفِقْهِ مَا وَضَّحَ وَتَسَهَّلَ ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ مَا أَلْتَبَسَ مِنْ غَوَامِضِهِ وَأَشْكَلَ ؛ حَتَّى تَسْتَنِيرَ قُلُوبُهُمْ بِأَضْوَاءِ عُلُومِ الدِّينِ ، وَتَنْطِقَ أَلْسِنَتُهُمْ فِيهَا بِاللَّفْظِ الْفَصِيحِ الْمُبِينِ ، وَتُظْهِرَ آثَارُ بَرَكَاتِهِ فِي مَرَاشِدِهِ وَتَبَيَّنَ ؛ وَلِتَتَوَفَّرَ هِمَّتُهُ فِي عِمَارَةِ الْوُقُوفِ وَاسْتِنَائِهَا ، وَالتَّوَفُّرِ عَلَى كُلِّ مَاعَادٍ بِتَرَايُدِهَا وَزَكَايَاها ؛ بِحَيْثُ يَتَضَحَّ مَكَانَ نَظَرِهِ فِيهَا ، وَيَبْلُغَ الْغَايَةَ الْمَوْفِيَةَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُ وَيُوفِيهَا ؛ وَلَا يَسْتَعِينُ إِلَّا بِمَنْ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ وَيُوفِيهَا ، وَيَقُومُ بِشُرَاطِ الْأَسْتِحْفَاطِ وَيُكْفِيهَا ؛ وَهُوَ - أَدَامَ اللَّهُ رَفَعَتَهُ - يَخْرُجُ مِنْ عَوَائِدِ الْمُدَرِّسِينَ وَالْمُتَوَلِّينَ قَبْلَهُ عَلَى أَوْفَى مَعْهُودٍ ، وَيُسَامِي بِهِ إِلَى أَعْدِ مُرْتَقَى وَمَقَامٍ مَجْهُودٍ ؛ وَأَذِنَ لَهُ فِي تَسَاوُلِ إِيحَابِ التَّدْرِيسِ وَنَظَرِ الْوُقُوفِ الْمَذْكُورَةِ ، أَسْوَةً مَنْ تَقَدَّمَ فِي التَّدْرِيسِ وَالنَّظَرِ فِي الْوُقُوفِ ، عَلَى مَا شَرَطَ الْوَاقِفُ فِي كُلِّ وَرْدٍ وَصَدَرٍ ، وَاعْتِمَادِ كُلِّ مَاحَدَةٍ فِي ذَلِكَ وَمَثَلِهِ مِنْ غَيْرِ تَجَاوُزِ .

النوع الرابع

(مما كان يُكْتَب من ديوان الخلافة ببغداد ما كان يُكْتَب لِزُعماء أهل الذِّمة)

وطريقهم فيه أن يُفْتَح بلفظ : « هذا كتابُ أمرٍ بكتبه فلانُ أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين لفلان » ثم يقال : « أما بعدُ فالحمدُ لله » ويؤتى فيه بتحميدة أو ثلاث تحميدات إن قُصِد المبالغة في قهر أهل الذِّمة بدُخولهم تحت ذِمة الإسلام وأتقيادهم إليه . ثم يذكر نظر الخليفة في مصالح الرعية حتى أهل الذِّمة ، وأنه أُنهى إليه حالُ فلان وسُئِل في توليته على طائفته قولاه عليهم للميزة على غيره من أبناء طائفته ونحو ذلك ؛ ثم يُوصيه بما يناسبه من الوصايا .

وهذه نسخة من ذلك ، كُتِب بها عن القائم بأمر الله ، لعبد يسوع الجاثليق ، من إنشاء العلاء بن موصلايا ، وهي :

هذا كتابُ أمرٍ بكتبه عبدُ الله أبو جعفر عبد الله الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، لعبد يسوع الجاثليق الفطرك .

أما بعدُ ، فالحمدُ لله الواحدِ بغيرِ ثانٍ ، القديمِ لأعن وجودِ زمانٍ ؛ الذي قُصِرَت صنيعه الأوهام ، عن إدراكه وحارته ؛ وضَلَّت صنيعه الأفهام ، عن بلوغ مدى صفاته وحالت ؛ المتنزّه عن الولد والصاحبه ، العاجزة عن إحاطة العلم به دلائلُ العقول الصافية الصائبه ؛ ذي المشيئة الحالِية بالمضاء ، والقُدرة الجارية عليها تصاريِف القَدَر والقضاء ؛ والعظمة الغنيّة عن العَوْن والظهير ، المتعالى بها عن الكُفء والنظير ؛ والعِزة المكتفية عن العُضد والنصير ، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

والحمد لله الذى آختر الإسلام ديناً وأرناضاه، وشام به عَضَبَ الحقِّ على الباطل
 وانتَضاه ؛ وأرسل محمداً - صلى الله عليه - مُنْقِذاً من أَشْرَاقِ الضَّلَّه ، وكاشفاً عن
 الإيمان ما عَمَّره من الإِشْرَاقِ وأظْلَه ؛ وبعثه ماحياً أثر الكُفْرِ من القُلُوبِ والأَسْماعِ ،
 وناحياً فى اتِّبَاعِ أوامِرِهِ ما جَدَّ فى البِدَارِ إليه والإِسْرَاقِ ؛ وأدَّى ما حَمَلَهُ أحسنَ الأَداءِ ،^(٢)
 وداوَى بِمُعْجَزِ النُّبُوَّةِ مِنَ النُّفُوسِ مُعْضِلَ الدَّاءِ ؛ ولم يَزَلْ لأعلام الهدى مُبِيناً ، ولِحَبَائِلِ
 النِّعَى حَاسِماً مُبِيناً ؛ إلى أن خَلَصَ الحقُّ وَصَفاً ، وغدا الدِّينُ من أَضْدَادِهِ مَتَصِفاً ؛
 وَأَتَضَّحَ لِلْحَائِرِ سُنَنِ الرَّشْدِ ، وَأَنقَادِ الأَيْبِ بِاللَّيْنِ والأَشَدِّ ؛ فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
 الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الْمُتَخَيِّينَ ، وَخُلَفَائِهِ الأَئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيماً .

والحمد لله الذى آسْتَخْلَصَ أميرَ المؤمنين من أَزْكَى الدَّوْحَةِ والأُرُومِ ، وأَحَلَّهُ من
 عِزِّ الإِمَامَةِ ذِرْوَةَ لِمَجْدٍ غَيْرِ مَرُومِ ؛ وَأَصَارَ إِلَيْهِ مِنْ تَرَاثِ النُّبُوَّةِ مَا حَوَاهُ بِالأَسْتَحْقَاقِ
 وَالوُجُوبِ ، وَأَصَابَ بِهِ مِنْ مَرَامِي الصَّلَاحِ مَا حَمَيْتْ شُمُوسُهُ مِنَ الأَفْوَاقِ وَالوُجُوبِ ؛
 وَأَوْلَاهُ مِنْ شَرَفِ الخِلافةِ مَا اسْتَقْدَمَ بِهِ الفَخْرَ قَلْبِي ، وَاسْتَحْدَمَ مَعَهُ الدَّهْرَ فَمَا تَأْتِي ؛
 وَمَنَحَ أَيَّامَهُ مِنْ ظُهُورِ العَدْلِ فِيهَا وَأَنْتَشَارِهِ ، وَلَقَّاحِ حَوَامِلِ الإِنْصَافِ فِيهَا وَوَضَعَ
 عِشَارَهُ ، مَا فَضَّلَ بِهِ العُصُورَ الخَالِيَةَ ، وَظَلَّتْ السَّيْرُ مُتَضَمِّنَةً مِنْ ذِكْرِهَا مَا كَانَتْ
 مِنْ مِثْلِهِ عَارِيَةً خَالِيَةً ؛ وَهُوَ يَسْتَدِيمُهُ - سَبْحَانَهُ - المَعُونَةُ عَلَى مَا يَقْرُبُ لَدَيْهِ
 وَيُزِيلُ عَنْهُ ، وَيَسْتَمِدُّهُ التَّوْفِيقَ الَّذِي يَغْدُو لِعِزَائِمِهِ المِيمُونَةَ أَوْفَى العَضْدِ والعُدَّةِ ؛
 وَمَا تَوْفِيقُ أميرِ المؤمنين إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يَنْتَبِ .

(١) شام السيف شياً سله .

(٢) فى الأصول وأدلى ... الادلاء . وهو تصحيف كما لا يخفى .

وأمر المؤمنين مع ما أوجب الله تعالى عليه من اختصاص رعاياه [بالمواهب]
 التي يمد عليهم رواقها، ويرد بها إلى أغصان صلاحهم أوراقها؛ ويُلْقِي على أجيادهم
 عقودها، ويقي رايح أثلاثهم رُكودها، يرى أن يُولِي أُولَى الاستقامة من أهل
 ذمته ضروب الرأفة وصنوفها، وأقسام العاطفة الدافعة عنهم حوادث الغير وضروفها؛
 بمقتضى عهودهم القويّة القويّة، وأذمتهم^(١) التي يلزم أن يحافظ عليها أهل العدل
 والتقوى؛ ويعتمدهم من الضرر الفاسد، والإجرام المضاهي الآنف منه الغابر؛
 بما يقبض يد الضيم وكفه، وأن يحبّوهم من الحياطة بما يحرس رسومهم المستمرة
 من أسباب الاختلال، ويحرّهم فيها على ماسنه السلف معهم من مألوف السجايا
 والخلال.

ولما أنهى إلى حضرة أمير المؤمنين تمييزك عن نظرائك، وتحليك من السداد
 بما يستوجب معه أمثالك المبالغة في وصفك وإطرائك؛ وتخصّصك بالأنحاء التي
 فتّ فيها شأواً أقرانك، وأذنت بها ماقصر معه مساجلك من أبناء جنسك أن يعدلك
 في ميزانك؛ وما عليه أهل نحلته من حاجتهم إلى جائق كافٍ بأمرهم، كاف
 في سياسة جمهورهم؛ مستقلاً بما يلزمه القيام به، غير مُقِلّ بما يتعين مثله في أدوات
 منصبه؛ وأنّ كلاً من يرجع إليه منهم لما تصفح أحوال متقدّمي دينهم واستشفّ،
 وأعمل الفكر في اختيار الأرجح منهم والأشرف؛ وآتفقوا من بعد على إجمالة الرأي
 الذي أفاضوا بينهم قداحه، وراضوا به زند الاجتهاد إلى أن أوري حين راموا
 اقتداحه؛ فلم يصادفوا من هو بالرياسة عليهم أحقّ وأحرى، وللشروط الموجبة
 التقديم فيهم أجمع وأحوى؛ وعن أموال وقوفهم أعفّ وأورع، ومن نفسه لداعي
 التحزّي فيها أطوع وأتبع، منك. اختاروك لهم راعياً، ولما شدّ نظامهم ملاحظاً

(١) جمع ذمام بالذال المعجمة وفي اللسان الذمام والمذمة الحق والحرمة .

مُرَاعِيَا ؛ وَسَلُّوا إِمْضَاءَ نَصِّهِمْ عَلَيْكَ وَالْإِذْنَ فِيهِ ، وَإِجْرَاءَ الْأَمْرِ فِيمَا يُخَصُّكَ أَسَدٌ
بِحَارِيهِ ؛ وَتَرْتِيكَ فِيمَا أُهْلَتْ لَهُ وَحُمِلَتْ ثِقَلُهُ ، وَآخْتِصَّاصَكَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنَ
الْأَضْرَابِ ، بِمَزِيدٍ مِنَ الْإِرْعَاءِ وَالْإِيحَابِ ؛ وَحَمَلَكَ وَأَهْلَلَ نَحْلَكَ عَلَى الشُّرُوطِ الْمُعْتَادَةِ ،
وَالرُّسُومِ الَّتِي إِمْضَاءُ الشَّرِيعَةِ لَهَا أَوْفَى الشَّهَادَةِ - رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْإِجَابَةَ إِلَى
مَا وَجَّهَتْ إِلَيْهِ فِيهِ الرَّغْبَةُ ، وَاسْتِخَارَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ عَزْمٍ يُطْلَقُ شَبَابُهُ وَيُمِضَى
عَرَبُهُ ؛ مَقْتَدِيَا فِيمَا أَسْدَاهُ إِلَيْكَ ، وَأُسْنَاهُ مِنْ أَنْعَمِهِ لَدَيْكَ ؛ بِأَفْعَالِ الْأُئِمَّةِ الْمَاضِينَ ،
وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، مَعَ أَمْثَالِكَ مِنَ الْجَنَائِقَةِ الَّذِينَ سَبَقُوا ،
وَفِي مَقَامِكَ أَتَسَقُّوْا ؛ وَأَوْعَزَ بِتَرْتِيكَ جَانِلِيْقًا لِنُسْطُورِ النَّصَارَى بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَسَائِرِ
الْبِلَادِ وَالْأَصْقَاعِ ، وَزَعِيًّا لَهُمْ وَلِلرُّومِ وَالْيَعَاقِبَةِ طَرًّا ، وَلِكُلِّ مَنْ تَحْوِيهِ دِيَارُ الْإِسْلَامِ
مِنْ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ مَنِّ بِهَا يَسْتَقِرُّ وَإِلَيْهَا يَطْرَأُ ؛ وَجَعَلَ أَمْرَكَ فِيهِمْ مِمْتَثَلًا ، وَمَوْضِعًا
مِنَ الرَّيَاسَةِ عَلَيْهِمْ مَثَلاً ؛ وَأَنْ تَتَفَرَّدَ بِالتَّقَدُّمِ عَلَى هَذِهِ الطَّوَائِفِ أَجْمَعٍ : لِيَكُونَ قَوْلُكَ
فِيمَا يُجَيِّزُهُ الشَّرْعُ فِيهِمْ يُقْبَلُ وَإِلَيْكَ فِي أَحْوَالِهِمْ يُرْجَعُ ؛ وَأَنْ تُتَمِيزَ بِأَهْبَةِ الرَّعَامَةِ ،
فِي مَجَامِعِ النَّصَارَى وَمُصَلِّيَاتِهِمْ عَامَّةً ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَكَكَ فِيهَا أَوْ يَشَاكِكَ فِي النِّسْبَةِ
الدَّالَّةُ عَلَيْهَا مَطْرَانٌ أَوْ أُسْقُفٌ لِلرُّومِ أَوْ الْيَعَاقِبَةِ : لَتَغْدُوْا شَوَاهِدُ وَلَا يَتَكَ بِالْأَوَامِرِ
الْإِمَامِيَّةِ بَادِيَةً لِلْسَّامِعِ وَالنَّاظِرِ ، وَأَتَأَرُّ قُصُورُهُمْ عَنْ هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي لَمْ يَلْفُوهَا كَافَّةً
لِلْمُجَادِلِ مِنْهُمْ وَالْمُنَاطِرِ ؛ وَمُنِعُوا بِأَسْرِهِمْ عَنْ مَسَاوَاتِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ هُوَ مِنْ شُرُوطِ
الرَّعَامَةِ وَرُسُومِهَا ، وَالتَّزْيِيِّ بِمَا هُوَ مِنْ عِلَامَاتِهَا وَوُسُومِهَا ؛ إِذْ لَا سَبِيلَ لِأَحَدِهِمْ أَنْ
يُمْتَدَّ فِي مُبَارَاتِكَ بَاعَهُ ، وَلَا أَنْ يُخْرَجَ عَنِ الْمَوْجِبِ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ لَكَ وَالتَّبَاعَةِ ؛
وَحَمَلَكَ فِي ذَاكَ عَلَى مَا يُدِلُّ عَلَيْهِ الْمَشْهُورُ الْمُنْشَأُ لِمَنْ تَقَدَّمَكَ ، الْمُخْضَى لَكَ وَلِكُلِّ مَنْ
يَأْتِي بَعْدَكَ ؛ الْمَجْدُّدُ بِمَا حَوَاهُ ذِكْرُ مَا نَطَقَتْ بِهِ الْمُنَاشِيرُ الْمُقْتَرَةُ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، لِمَنْ تَقَدَّمَكَ فِي مَقَامِكَ ، وَأَحْرَزَ سَبْقَ مَعْرَاكَ

ومرامِك : من كَوْنِ المنصوبِ في الحَنَلَّةِ إليه الرَّعَامَةُ على ما تَضُمُّهُ ديارُ الإسلامِ من هذه الفِرَقِ جَمْعاً ، والمنصوصُ عليه في التقدُّم الذي ليس لغيره من رياضه مَرْعَى ؛ وتقدُّمُ أمير المؤمنين بِحِياطتك وأهل نِحلتك في نفوسكم وأموالكم وبيعتكم ، ودياركم ومقار صلواتكم وحِرَاسَةِ أموالكم ، واعتمادكم بأقسام الكَلَّاءَةِ على أَجمل الرِّسمِ معكم ؛ وأن تُنَحِّمُوا من نقض سُنَّةِ رِضِيَّةٍ قُورِتْ لكم ، ودَحَضْ وتيرة حميدة استُعْمِلَتْ في فَرَضِكُمْ ؛ وأن تُقَبِّضَ الحِزِيَّةُ من رجالكم ذَوِي القُدرة على أدائها بحسب ما جرت به عاداتكم دون النساء ومن لم يَبْلُغِ الحُلُمَ دَفْعَةً واحدةً في السنه ، وتُجَرُّوا في ذلك على السَّجِيَّةِ التي تناقَلَهَا الرُّوَاةُ وتداولتها الألسنه ؛ من غير تَنْبِيْهِ ولا تَكْرِير ، ولا تَرْزِيقٍ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ المَعْدِلَةُ عندكم ولا تَكْدِير ؛ وأن تُحْبِيَ بالشَّدِّ دائماً وتقوية يدك على من نَصَبْتَهُ في أمورهم ناظراً ولشملهم ناظراً ؛ ويُفَسِّحْ لك في فصل ما يَشْجُرُ بينهم على سبيل الوَسَاطَةِ : لتَقْصِدَ في ذاك ما يَحْسِمُ دَوَاعِيَ الخُلْفِ وَيَطْوِي بِسَاطَهُ ؛ وأن تُمَضِيَ تَقْيِيفَكْ لهم وأمرَكْ فيهم ، أسوة ما جَرَى عليه الأمرُ مع مَنْ كانَ قَبْلَكَ يَلِيهِمْ ؛ لِتُحْسِنَ معه السيرة العادلة عليهم ^(١) بِحِفْظِ السَّوَامِ ، المطابقة للشروط السائغة في دين الإسلام .

وأمر بإنشاء هذا الكتاب مشتملاً على ما خَصَّصَ به ، وأمضى أن تُعَامَلَ بموجبه ؛ فقايلُ نعمة أمير المؤمنين عندك بما تستوجبُه من شكرٍ تَبْلُغُ فيه المَدَى الأَقْصَى ، وبِشِرٍّ لا يُوْجِدُ التَصَفُّحُ له عندك قُصُوراً ولا قُصُفاً ؛ وواظِبْ على الاعتراف بما أولِيْتَهُ من كُلِّ ما جَمَلَك ، وصدَّقَ ظَنَّنَكَ وأَمَلَك ؛ وأسترد الإنعام بطاعة تطوى عليها الجِوَانِحُ ، وأدعية لآيامه تُتَبَّعُ الغادِي منها بالرائح ؛ وتجنَّبِ التَقْصِيرَ فيما بك عُدِقَ ، وإليك وِكلٌّ وعليك عُلُقٌ ؛ واحتفظ بهذا الكتاب جُنَّةً تمنعُ عنك ريبَ الدهرِ وغيره ،

وحجة تحمل فيها على ما ينحى ما منحه من كل ما شئته (؟) وغيره ، وليعمل بهذا المثال كافة المطارنة والأساقفة والقسيسين ، والنصارى أجمعين ؛ وليعتمدوا من التباعة لك ما يستحقه تقديمك على الجماعه ، وليثقوا بما يغمرهم من العاطفة الحامية سربهم من التفريق والإضاعة ؛ إن شاء الله تعالى .

وكتب في شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وأربعمائة .

الطرف الرابع

(فيما كان يكتب عن مدعى الخلافة ببلاد المغرب والأندلس)

وكانوا يعبرون عما يكتب من ذلك بالظواهر والصكوك : فالظواهر جمع ظهير ، وهو المعلن ، سمي مرسوم الخليفة أو السلطان ظهيراً لما يقع به من المعاونة لمن كتب له . والصكوك جمع صك وهو الكتاب ، قال الجوهري : وهو فارسي معرب والجمع أصك وصكك وصكوك ؛ ثم تحامى المتأخرون منهم لفظ الصك ، لما جرى به عرف العامة من غلبة استعماله في أحد معني الاشتراك فيه وهو الصفع ، واقتصرُوا على استعمال لفظ الظهير .

ولذلك حاثان :

الحالة الأولى

(ما كان الأمر عليه في الزمن القديم)

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَمْ مَصْطَلَحٌ يَقْفُونَ عِنْدَ حَدِّهِ فِي الْإِبْتِدَاءَاتِ ، بَلْ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ قَرِيحَةُ الْكُتَّابِ ؛ فَتَارَةً يَبْدَأُ بِلَفْظِ : « مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ » أَوْ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى أَهْلِ فُلَانَةٍ » أَوْ « إِلَى الْأَشْيَاخِ بِفُلَانَةٍ » أَوْ « يَصِلُكُمْ فُلَانٌ بِهَذَا الْكِتَابِ » .

وتارة يُبتدأ بـ «أما بعد حمد الله» . وتارة يُبتدأ بلفظ «تقدّم فلان بكذا» . وتارة يُبتدأ بلفظ «مكتوبنا هذا» وغير ذلك مما لا يَنحصر .

فمن الظواهر المكتّبة لأرباب السيوف عندهم ، ما كُتِب به بولاية ناحية ، وهى :
من فلان إلى أهل فلانة أدام الله لهم من الكرامة أتمّها ومن الرعاية أوفّاها ،
وأسبغ عليهم برود نعمة الجزيلة وأضفاها .

أما بعد حمد الله ميسر أسباب النجاح ، ومُسنى مرام الرّشاد والصّلاح ، والصلاة
على سيدنا محمد رسول الله نبي الرحمة والرّفق والإسّباح ، وعلى آله وصحبه المتّصّفين بالقوّة
في ذات الله تارة وتارة بخصّ الجناح ، والرّضا عن الخليفة أمير المؤمنين ذى الشّرف
الذى لم يزل بالهدى النبوى متوقّد المصباح ، والدعاء للقام الإمارى بالنصر الذى يُؤتى
مقاليد الأفّتاح ، والتأييد الماضى حدّ رُعيه حيث لا يَمضى غرّار المهنّد وشبّا الرّماح
- فإنّا كتبناه إليكم - كتب الله لكم سُكون الأرجاء وهُدوّها ، وأجرى لكم بالصّلاح
رواح الأيام وغُدوّها «من فلانة» وللدّولة العليّة بركات تكثر السّحب فى أنسكابها
وأنسجامها ، وتقود الخيرات والمسرات فى كل أوْب بزمامها ، والحمد لله حمدا يقضى
بوفور جزيلات النّعم وجسامها .

وإنّ الأهتمام بكم لمستدقّ على كل غرض جميل ، ومقدّم فيما يُخيطكم بكلّ بُغية
وتأميل ، وبحسب هذا لا يزال يُختار لكم من الولاة كلّ مختار مُتخَب ، ولا يُقدّم
عليكم إلّا مَنْ يتهى إلى أثيل حسبٍ وكريم مُنسَب ، ولا يزال يُداول موضعكم بين
كل طريقة تتصل من حُسن السّير وسداد النظر بآمتن سبب ، وعلى هذا الأصل
استخرنا الله وهو المستخار ، والذى يقضى ما يشاء ويُختار ، فى أن قدّمنا عليكم ،

وَوَلَّيْنَا لِلنَّظَرِ فِيمَا لَدَيْكُمْ، مَنْ لَهُ التَّقَدُّمُ فِي الْإِقْدَامِ، وَالْأَضْطِلَاعُ الثَّابِتُ الْأَقْدَامِ؛
وَذَلِكَ فَلَانٌ . وَآثَرْنَاكُمْ بِهِ أَعْتِنَاءً بِجَانِبِكُمْ وَأَهْتِيَالًا، وَخَصَصْنَاكُمْ مِنْهُ بِنِ يَفْسَحَ
فِي كُلِّ أَثَرٍ حَمِيدٍ بَجَلَالٍ؛ وَالْمَعْتَقْدُ فِيهِ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى شَاكِلَتِهِ بِنَبَاهَةِ مَكَانِهِ، وَأَنْ يَبْدُلَ
فِي الْإِتِهَاضِ وَالْأَكْتِفَاءِ غَايَةً وَسُعِيَةً وَإِمْكَانَةً؛ وَعَلَيْهِ أَنْ يُلَازِمَ تَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ
فِي سِرِّهِ وَعَلَنِهِ، وَيَجْرِيَ عَلَى سَبِيلِ الْعَدْلِ وَسَنَنِهِ؛ وَيُسَمِّرَ عَنْ سَاعِدِهِ فِي الدَّفَاعِ عَنْ
أَحْوَالِكُمْ كُلِّ التَّشْمِيرِ، وَيَأْخُذَ عَلَى أَيْدِي أَهْلِ التَّعَدَّى أَخْذًا يَقْضِي عَلَى الْفَسَادِ وَأَهْلِهِ
بِالتَّنْبِيهِ؛ وَيَقْصِدَ بِكُمْ سَدِيدَ السَّعْيِ وَرَشِيدَ الرَّأْيِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ؛
وَيُسَوِّ فِي الْحَقِّ بَيْنَ الْحَافِلِ وَالتَّافِهِ وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ؛ وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْمَعُوا وَتُطِيعُوا،
وَلَا تُهْمِلُوا حَقَّ الْأَمْتَالِ وَالْإِثْمَارِ وَلَا تُضَيِّعُوا؛ وَأَنْ تَكُونُوا يَدَهُ الَّتِي تَبْطِشُ،
وَأَعْوَانَهُ فِيمَا يُحَاوِلُ مِنْ مَسْتَوِي الْمَسَاعِي الْمَرْضِيَّةِ وَمُسْتَوْعِبِهَا، وَأَنْ تَتَعَاوَنُوا عَلَى التَّقْوَى
وَالْبِرِّ، وَتَقْفُوا لَهُ عِنْدَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ؛ وَتَجْتَهِدُوا مَعَهُ فِي مَصَالِحِكُمْ كُلِّ الْاجْتِهَادِ،
وَتَعْتَمِدُوا عَلَى مَا رَسَمْنَاهُ لَكُمْ أَتَمَّ الْأَعْتَادِ؛ وَتَسْجُدُونَ مِنْ مُوَالِيكُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -
مَابِوَافِقِ الظَّنِّ بِهِ، وَيَلَايِمُ الْعَمَلَ بِحَسَبِ حَسَبِهِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَالسَّلَامُ .



ومنها ما كُتِبَ به في ولاية ناحية أيضا، وهي :

من فلان إلى أهل فلانة أدام الله تعالى كرامتهم بتقواه ، وعرفهم أحق النظر
بمصالحهم وأحراهم .

وبعد ، فإنَّا كُتِبْنَا لَكُمْ - كتب الله لكم أحوال متصلة الصلاح ، حميدة الاختتام
والافتتاح - من فلانة ونعم الله سبحانه موفورة الأقسام ، صيبة الغمام ، وقد أقتضى

ما تَوَحَّاهُ مِنَ الْاِحْتِياطِ عَلَى جَوَانِبِكُمْ ، وَنَعْتِمِدُهُ مِنَ الْاِيشَارِ لَكُمْ وَالْاَعْتِنَاءِ بِكُمْ ،
أَنْ نَتَّخِيزَ لِلتَّقْدِيمِ عَلَيْكُمْ مَنْ نَعْلَمُ مِنْهُ الْأَحْوالَ الْمَرْضِيَّةَ حَقِيقَةً ، وَنَتَّخِذُ سِيَرَهُ فِيمَا يُحَاوِلُهُ
وَطَرِيقَهُ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ مِنْ حُدُثِ مَقاصِدُهُ ، وَشُكِرَتْ فِي الْمُحَاوَلَاتِ الْاجْتِهَادِيَّةِ عَوَائِدُهُ ؛
وَحُسِّنَتْ فِيمَا نُصَرِّفُهُ فِيهِ مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُهُ ، رَأَيْنَا وَاللَّهُ الْقَاضِي فِيمَا نَذَرَهُ وَنَأْتِيهِ ،
بِالتَّوْفِيقِ الَّذِي يُكُونُ بِهِ اِتِّقَادُ النَّجْحِ وَتَأْتِيهِ ، أَنْ نَقْدِمَهُ لِحِفْظِ جِهَاتِكُمْ ، وَتَأْمِينِ
أَرْجَائِكُمْ وَجَنَابَتِكُمْ ؛ وَوَصَّيْنَاهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِيمَا قَلَدْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ الْاجْتِهَادِ ، وَيَتَنَبَّضَ
فِي إِذْهَابِ الشَّرِّ وَإِرْهَابِ أَهْلِ الْفَسَادِ ؛ وَبِأَنْ يَسْلُكَ فِيمَا يَتَوَلَّاهُ مِنَ الْأَحْكَامِ سَنَنَ
الْحَقِّ ، وَيَجْرِيَ عَلَى سَبِيلِ الْعَدْلِ وَالرَّفْقِ ؛ وَيُدْفَعُ أَسْبَابَ الْمَظَالِمِ ، وَيُصِيفَ الْمَظْلُومَ
مِنَ الظَّالِمِ ؛ فَإِذَا قَامَ فَتَلَقَّوْهُ بِنُفُوسٍ مَبْسُطَةٍ ، وَعَقَائِدَ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ مَرْتَبِطَةٍ ؛
وَكُونُوا مَعَهُ عَلَى تَمْثِيلَةِ الْحَقِّ يَدًا وَاحِدَةً ، وَفِئَةً فِي ذَاتِ اللَّهِ مُتَعَاوِنَةً مُتَعَاذَةً بِحَوْلِ
اللَّهِ سَبْحَانَهُ .



وَمِنْهَا مَا كُتِبَ بِهِ بِإِعَادَةِ الْوَالِ إِلَى نَاحِيَةٍ ، وَهِيَ :

وَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ - كَتَبَكُمْ اللَّهُ مِنَ الْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَأَعْلَقَكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ
بِالْحَبْلِ الْأَمْتَنِ الْأَقْوَى - مِنْ فُلَانَةٍ : وَالَّذِي نُوَصِّيكُمْ بِهِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلُ
بِطَاعَتِهِ ، وَالْاِسْتِعَانَةُ بِهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ صَرَّفْنَا إِلَيْكُمْ فُلَانًا بَعْدَ أَنْ أَقَامَ هُنَا شَاهِدًا
مَشَاهِدًا لِلتَّعْلُمِ نَافِعَهُ ، مُبَاشِرًا مِنَ الْمَذَاكِرَةِ فِي الْكُتُبِ وَالسُّنَنِ بِمَجَالِسِ ضَامِنَةٍ خَيْرِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَامِعَةٍ ؛ مُطَالِعًا لِأَحْوالِ الْمُوحِدِينَ أَعَزَّاهُمْ اللَّهُ فِي مَا أَخَذَهُمُ الدِّينِيَّةُ ،
وَمَقاصِدِهِمُ الْمُحْيِيَّةَ لِمَا دَرَسَ مِنَ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ ؛ فَنَالَ بِذَلِكَ كُلَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَأَحْرَزَ بِهِ

حظًا من السعادة كبريا، وظفر منه بما يكون له في كل ما ينظر فيه سراجا منيرا؛
وقد أعدناه إلى الشغل الذي كان يتولاه لجهتكم حرسها الله، وصيناه بتقوى الله
تعالى الذي لا يطالع على السرائر سواه؛ وأن يكون بما شاهدته مما تقدم ذكره
مقتديا، وبأنواره الساطعة التي لا يضل من أهتدى بها مهتديا؛ ولا يستند في شيء
من أحكامه إلى من لا يقوم على عصمته دليل، ولا جعل إليه تحريم ولا تحليل؛
فأعينوه - وفقكم الله - على تمشية هذه المقاصد الكريمة أكرم إمانه، وأسلكوا
من مظاهرتة على الحق وموازرتة على المسالك التي تستبين هنالك أتم استبانته؛
إن شاء الله تعالى.



ومن الظواهر المكتبة بالوظائف الدينية ما كتب به في ولاية قاض، وهو:

أما بعد حمد الله رافع علم الحق لمن أهتدى، وواضع يزان القسط بالشرعية
المحمدية الآخذة بالجزع عن مهاوى الردى؛ ومؤيد الدين الحنيفي بن آرتضى لتحديد
حدوده وتجديد عهوده وهدى. والصلاة على سيدنا محمد نبيه الكريم الذي أرسله
إلى الناس كافة غير مستثنى عليه من الخلق أحدا؛ وعلى آله وصحبه الذين سلكوا
في نصره وإظهار أمره جددا. والرضا عن الخليفة أمير المؤمنين العباسي الأطيب
عنصرا ومختدا، فإننا كتبناه إليكم - كتبكم الله ممن أعتز بطاعته وتقواه، واعتصم من
حبله المتين بأوقفه وأقواه - من فلانة وفضل الله سبحانه مديد الظلال، وتوكلنا
عليه - عز وجهه - ظهيرنا المعتمد به في كل حال، وعمادنا الذي تقدمه فيما ندبره
من الأعمال؛ وإنكم من عنايتنا، وموصول رعايتنا، لبالحل الأدنى؛ ومن خاص

نظرنا وأهتامنا لمن نكاف بشأنه كله ونُعنى، ونعتمد من ذلك بالأحسن فالأحسن
جزء الذين أحسنوا الحسنى .

وقد علمتم - وصل الله كرامتكم - أن الأحكام الشرعية هي ملاك الأمور
ونظامها ، وعليها مدار الأعمال الدينية وبها تمامها ؛ وأنه لا يصلح لها إلا من تجرد
عن هواه ، وأثر الحق على ماسواه ؛ وأتبع حكم نبيه - عليه السلام - في كل ما عمل
ونواه ، وتجل بالدراية وحمل الرواية فكانتا أظهر حلاه ؛ وأتسم بالعدل والاعتدال
فيما وليه من ذلك أو تولاه ، وكان ممن أطلق الحق لسانه وقيد الورع يمينه ؛ وقد أمعنا
النظر فيمن له من هذه الأوصاف أو في نصيب ، ومن إن رمى عن قوس نظره
الموفق كان سهمه المسدد مصيب : لنخصمكم به قاضيا في هذه الأحكام ، ونقدمه
للفصل بينكم في القضايا الشرعية حكما من صالحى الحكم ؛ فرأينا أهلا لذلك ومعللا
من اختيرت على [النهج] القويم أحواله ، وأرضيت فيما نيظ به من ذلك أعماله
وأقواله ؛ وشهد له الاختبار بالانكشاف عن كل سابق وغائب ، وعن ارتكاب
التيئات إلى السنن اللاحب ؛ وذلكم « فلان » أدام الله كرامته وتوفيقه ، ويسر إلى
مسالك النجاة مسلكه وطريقه ؛ فأنفذناه إليكم حكما مرضى السير ، وإفر الحظ
من المعارف المصورة للحق في أجمل الصور ؛ مكتفيا بما لديه من استقامة الأحوال
عن الوصايا ما خلا التذكير والتنبية ، والوصية بتقوى الله فهي التي تعصم العامل بها
وتنجيه ؛ فقد وصى بها الله من اختاره من خلقه لإقامة حقه وأرضاه ، فقال تعالى :
(وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ) . فلتقوه
- أدام الله كرامتكم - بنفوس منبسطه ، وقلوب مبهجة مغتبطه ، وأهواء على التظافر

والتناصر في الحق مجتمعة مرتبطة ؛ وتعاونوا في ذات الله على الطاعة ، وكونوا في سبيل الله يدًا واحدة فيد الله مع الجماعة ؛ واستعينوه سبحانه على الخير بغيركم ، وأشكروا الله يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم ؛ وهو سبحانه يتولّاكم بالحفظ الشامل ، ويستعملكم من طاعته وسُلوكم سبيل مرضاته بأجى ما استعمل به عامل ؛ والسلام .



ومنها ما كتب به أبو الحسن الرعني في ولاية قاض ، وهي :

من فلان إلى الأشياخ بقلانة أدام الله كرامتهم بتقواه ، واستعملهم فيما يحبّه ويرضاه .

أما بعد ، فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم حسنه ، وأوزعكم شكر ما حولكم من نعمه ورحمه ؛ ومن مقاصد هذا الأمر العزيز - أدامه الله - ما يعلي يد الحق ويسميها ، ويسد سهام العدل إلى أغراضها ومرامها ، ويتكفل بالجزاء لمن لاذ بأكاف الطاعة وتواحيها ، والحمد لله على نعمه التي لا تحصرها ولا تحصىها .

وإلى ذلكم فإن فلانًا لمّا تمكنت الثقة بجميل صفته ، واستنامت البصيرة إلى استحكام سننه ومعرفته ؛ وقد كان تقدم له من خدمة الأمر وأوليائه ما تجده مع الأيام وخرجه ؛ وخصّصه من كريم الاستعمال بما استنداه إلى مراقب الذكاء واستدرجه ؛ رأينا - والله المستعان - أن تقدمه للنظر في قضاياكم الدينية ، وأحكامكم الشرعية ؛ بعد أن وصّيناه بتقوى الله فقدمها ، وعرضنا عليه ما يعلمه ويلزمه من شروط الحكومة فالتزمها . فليهنّض إلى ما قدمناه على بركة الله تعالى

(١) في الأصل أنجده بالهمز وهو غير مناسب .

مُسْمَرًا عَنْ سَاعِدِ الْحَزْمِ ، أَخَذًا فِي كَافَّةِ أُمُورِهِ بِمَا يَأْخُذُهُ أَوَّلُو الْعَزْمِ ؛ جَارِيًا عَلَى السَّنَنِ
الوَاضِحِ الْمَعْرُوفِ ؛ مَسَوِيًّا فِي الْحَقِّ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْحَامِلِ وَالشَّرِيفِ وَالْمَشْرُوفِ ؛ مُحْتَسِبًا
عَلَى إِقَامَةِ فُرُوضِ الدِّينِ أَوْ كَرَمِ أَحْتِسَابِ ، مَكْتَسِبًا مِنَ الْأَجْرِ فِي رَدِّعِ الظُّلْمِ وَالْبَاطِلِ
أَفْضَلَ آكْتِسَابِ ، رَاجِيًّا فِي تَمْشِيَةِ الْعَدْلِ عَلَى رَغَمٍ مِنْ أَبَاهُ مَا يَرْجُو الْمُؤْمِنُ الْمُحَقِّقُ
مِنْ زُفْيٍ وَحُسْنِ مَأَبٍ ؛ وَلَدِينَا مِنْ عَقْدِهِ عَلَى ذَلِكَ مَا يُحَسِّنُ مَقْصَدَهُ ، وَيُمْكِّنُ
فِي بَسْطَةِ الْحَقِّ مَقْعَدَهُ ؛ فَإِذَا وَافَاكُمْ فَاسْتَبَشِرُوا بِمُؤَافَاتِهِ ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا يُضَيِّهِ
مِنْ لَوَازِمِ الشَّرْعِ وَمُوجِبَاتِهِ ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْخَيْرِ تَعَاوُنًا يُجْزِلُ حَظَّكُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
وَبَرَكَاتِهِ ؛ فَهُوَ الْمُؤْمَلُ فِي ذَلِكَ لِأَرْبٍ سِوَاهُ .



وَمِنَ الظَّهَائِرِ الْمَكْتَبَةِ بِالْوِظَائِفِ الدِّيَوَانِيَةِ مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو الْمَطَّرِفِ بْنِ عَمِيرَةَ
بِوَلَايَةِ وِزَارَةٍ ، وَهُوَ :

مَكْتُوبُنَا هَذَا بِيَدِ فُلَانٍ أَدَامَ اللَّهُ عِلَّاءَهُ ، وَحَفِظَ عَنَانِيَّتَهُ وَغَنَاءَهُ ؛ يَجِدُ بِهِ مَكَانَ
الْعِزَّةِ مَكِينًا ، وَمُورِدَ الْكَرَامَةِ عَذْبًا مَعِينًا ، وَسَبِيلَ الْحُرْمَةِ الْمُتَأَكَّدَةِ وَاضِحًا مُسْتَبِينًا ؛
وَيَتَقَلَّدُ وَزَارَتَنَا تَقَلُّدَ تَفْوِيضٍ وَإِطْلَاقٍ ، وَيَلْبَسُ مَا خُلِعَ عَلَيْهِ مِنْهَا لِبْسَةً تَمُكِّنُ
وَأَسْتَحْقَاقٍ ، وَيُنْزِلُ مِنْ رُتَبَتِهَا الْعُلْيَا مَنَزِلَةً شَرَفُهَا ثَابِتٌ وَحَامَاهَا بَاقٍ ؛ وَيُسَوِّغُ الدَّارَ
الْمَخْزَنِيَّةَ الَّتِي يَسْكُنُهَا بِفُلَانَةٍ تَسْوِيغًا يُمَلِّكُهُ إِيَّاهَا أَصَحَّ تَمْلِكٍ ، وَيُقَرِّدُ فِيهَا مِنْ غَيْرِ
تَشْرِيكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَالسَّلَامُ .



وَمِنْهَا مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَبَّارِ فِي مَشَارَفَةِ نَاحِيَةٍ ، وَهُوَ :

عن إذن فلان ، يتقدم فلان للنظر في الأشغال المخزنية بفلانة ، موفياً بما يجب عليه من الاجتهاد والتشمير ، والحد الذي أرسم في الإنماء والتثمير ، مصدقاً ما قدر فيه من الانتهاض والاستقلال ، وقرر عنه من الأمانة التي رشتته وأهلته لاتبه الأعمال ، جارياً في ضبط الأمور المخزنية والرفق بجانب الرعية على المقاصد الجليلة والمذاهب المرضية في عامة الشؤون والأحوال ، عاملاً بما تقدمت به الوصية إليه ، وتأكدت الإشارة [به] عليه ؛ من تقوى الله في السر والعلن ، علماً أن المرء بما قدمته يداه ^{مُرتَبَّ} .



ومنها ما كتب به المذكور بإعادة مشارف إلى ناحية ، وهو :

يُعاد بهذا المكتوب فلان^١ إلى خُطّة الإشراف بفلانة : رافلاً من ملابس التَّكْرِمة والحُظوة في شُفوفها ، مُحلّ بينه وبين النظر في ضروب الأشغال المخزنية وصُنوفها ؛ فهو المعروف بالكفاية والاجتهاد ، الموصوف بحُسن الإصدار والإيراد ؛ وأولى الناس بالالتزام النَّصِيحه ، والأزدياد من بضائع الأعمال الرَّيِّحه ، مَنْ كَثُرَت النِّعمُ السلطانيَّةُ لديه ، ودُفِعَ إلى الخُطَط ودُفِعَتْ إليه . فليتقلد هذه الخُطّة بحَقِّها من الانتهاض والتشمير ، وتأدية الأمانة بالإنماء والتثمير ، وليتزوّد تقوى الله تعالى ليوم يُسأل عن النِّقَرِ والقِطْمير ؛ جارياً في أموره كلّها على الطريقة السَّويَّة ، جامعاً بين الاحتياط ^(١) للمخزن والرفق بالرعيَّة ، غير عادلٍ في حالٍ من الأحوال وفنٍّ من فُنون الأعمال عن مقتضى هذه الوصية ؛ إن شاء الله تعالى .

الطرف الخامس

(فيما كان عليه الأمر في الدولة الفاطمية بالديار المصرية)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب المملكة أنه كان بها من وظائف أرباب السيوف
الوزارة إذا كان الوزير صاحب سيف ، والنظر في المظالم ، وزم الأقارب ، وتقابة
العلويين ، وزم الرجال والطوائف : كالأُموية ، والحافظيّة ، والأفضلية ، وغيرهم
ممن تقدّم ذكره في ترتيب دولتهم ، وولاية الشرطة ، وولاية المعاون والأحداث ،
وولاية الحامية ، وولاية حفظ الثغور ، والإمارة على الحج ، والإمارة على الجهاد ،
وولاية الأعمال ، وغير ذلك . ومن الوظائف قضاء القضاة ، والدعوة إلى مذهبهم ،
والنظر في الأوقاف والأحباس ، والنظر في المساجد وأمر الصلاة ، وغير ذلك .

وكانت كتابة ما يكتب لديهم لأرباب الولايات على نوعين :

النوع الأول

(ما كان يكتب به عن الخليفة نفسه)

وكان من شأنهم أنهم يتعرّضون في أثناء الولاية لإشارة الوزير بتولية المولى وشأنه
عليه ، وربما أهملوا ذلك . وكانوا يُسمّون جميع ما يكتب من ديوان الإنشاء
سجلات ، وربما سمّوه عهوداً ؛ وعليه يدل ما كتبه العاضد آخر خلفائهم في طرة
سجل السلطان صلاح الدين بالوزارة : « هذا عهد لأعهد لوزير بمثله » على ما تقدّم
ذكره في الكلام على عهود الملوك .

ولهم فيها أربعة مذاهب :

(١) لعله « ومن وظائف أرباب الأعلام قضاء » الخ فتنبه .

المذهب الأول

(أن يفتتح ما يكتب في الولاية بالتصدير)

وهو « من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، إلى فلان ابن فلان » بالألقاب المنعوت بها من ديوان الخلافة ، ويُدعى له بدعوتين أو ثلاث ؛ ثم يقال : « سلامٌ عليك فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصليّ على جدّه محمّد صلى الله عليه وسلم وعلى أخيه وأبن عمّه أمير المؤمنين على بن أبي طالب » ويؤتى من وصف الخليفة ومدّحه بما يناسب المقام .
ثم هو بعد ذلك على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى

(أن يقال بعد التصدير المقدم «أما بعد فالحمد لله»)

ويؤتى من التحميد بما يناسب تلك الولاية ، ثم يؤتى بتحميدة ثانية وثالثة ، وتكون الثالثة متعلّقة بالنعم الشاملة لأمر المؤمنين ؛ ثم يقال : « وإن أمير المؤمنين لما اختصّه الله به من كذا وكذا » ويذكر ما سنع من أوصاف الخليفة ، ويذكر أنه تصفّح الناس وسبرهم فلم يجد من يصلح لتلك الولاية إلا هو ؛ ويذكر من صفته ما اتفق ذكره ، ثم يذكر تفويض الولاية إليه ، ويوصيه بما يناسب ، ويختتم بالدعاء ثم بالسلام مع التفضين في العبارة ، واختلاف المعاني والألفاظ ، والتقديم والتأخير بحسب ما تقتضيه حال المنشيء ، وتودى إليه قريحته .

وهي على ضربين :

الضرب الأول

(١) سِيَلَاتُ أَرْبَابِ السِّيُوفِ)

وعلى ذلك كَتَبُ سِيَلَاتُ وَزَرَائِهِمُ أَصْحَابِ السِّيُوفِ الْقَائِمِينَ مَقَامَ السُّلَاطِينِ
الآنَ، مِنْ لَدُنْ وَزَارَةِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ بَدْرِ الْجَمَالِيِّ وَزِيرِ الْمُسْتَعَصِرِ : خَامِسِ خُلَفَائِهِمْ
وإلى أنقراض دولتهم . وقد تقدم منها ذكر عهدِي المنصور : أسد الدين شيركوه
أَبْنِ شَادِي ، ثُمَّ أَبْنِ أَخِيهِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بِالْوِزَارَةِ عَنْ
الْعَاضِدِ فِي جُمْلَةِ عُهُودِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ ، حَيْثُ أَشَارَ فِي "التَّعْرِيفِ" إِلَى عَدَمِهِمَا
مِنْ جُمْلَةِ عُهُودِ الْمُلُوكِ .

وَمِنْ أَحْسَنِهَا وَصْفًا ، وَأَبْجَحِهَا لَفْظًا ، وَأَدَقَّهَا مَعْنَى ، مَا كَتَبَ بِهِ الْمَوْفَّقُ بْنُ الْخَلَّالِ
صَاحِبُ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ عَنِ الْعَاضِدِ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ ، بِالْوِزَارَةِ لَشَاوَرِ السَّعْدِيِّ ، بَعْدَ أَنْ
غَلَبَهُ ضَرْغَامٌ عَلَيْهَا ثُمَّ كَانَتْ لَهُ الْكُرَّةُ عَلَيْهِ . وَهَذِهِ نَسْخَتُهُ :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَاضِدِ لَدَيْنَ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى السَّيِّدِ
الْأَجَلِّ ، سُلْطَانِ الْجِيُوشِ ، نَاصِرِ الْإِسْلَامِ ، سَيِّفِ الْإِمَامِ ، شَرَفِ الْأَنْامِ ، عُمْدَةِ
الدِّينِ ، أَبِي فُلَانٍ فُلَانٍ .

سَلَامٌ عَلَيْكَ : فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يَصَلِّيَ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ
الْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّيِّينَ ؛ وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَانِحِ الرِّغَائِبِ ، وَمُنِيلِهَا ، وَكَاشِفِ الْمَصَاعِبِ ، وَمُزِيلِهَا ؛
وَمُذِلِّ كُلِّ عُصْبَةٍ كَلَفَتْ بِالْغَدْرِ وَالشَّقَاقِ وَمُذِيلِهَا . نَاصِرٍ مِنْ بَغْيٍ عَلَيْهِ ، وَعَاكِسٍ

(١) لم يترجم فيما يأتي للضرب الثاني وهو سِيَلَاتُ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ وَإِنْ كَانَتْ قَدْ ذَكَرَهَا فِي الْمَرَاتِبِ
الثَّلَاثِ الْآتِيَةِ فَتَنْبَهْ .

كَيْدِ الْكَائِدِ إِذَا فَوْقَ سَهْمِهِ إِلَيْهِ ؛ وَرَادَّ الْحَقُّوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَمَرْتَجِعَ الْمَرَاتِبَ إِلَى مَنْ هُوَ أَجْدَرُ بِرُقِيَّتِهَا وَأَوْلَى بِهَا ؛ وَمُسْنَى الْخَيْرِ بِتَيْسِيرِ أَسْبَابِهِ ، وَمَسْهَلِ الرَّبِّ بِتَهْيِيدِ طُرُقِهِ وَفَتْحِ أَبْوَابِهِ ، وَمُدْنَى نَائِيِ الْحِطِّ بَعْدَ نُفُورِهِ وَاعْتِرَابِهِ ؛ وَمُطْلِعِ الشَّمْسِ بَعْدَ الْمَغِيبِ ، وَمُتْدَارِكِ الْخَطْبِ إِذَا أَعْضَلَ بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ ؛ مُبْدِعِ مَا كَانَ وَيَكُونُ ، وَمُسَبِّبِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ ؛ مُحْسِنِ التَّسْدِيرِ ، وَمَسْهَلِ التَّعْسِيرِ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخَصَّ أَوْلِيَاءَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارَ بِالْأَسْتِعْلَاءِ وَالظُّهُورِ ، وَذَلَّلَ لَهُمْ جَوَارِحَ الْخُطُوبِ وَمَصَابِعَ الْأُمُورِ ؛ وَآتَاهُمْ مِنَ التَّائِيدِ كُلِّ بَدِيعٍ مُسْتَعَرَّبٍ ، وَأَنَالَهُمْ مِنْ كُلِّ غَرِيبٍ إِذَا أُورِدَ قَصَصُهُ أَطْرَبَ ؛ وَمَكَّنَهُمْ مِنْ نَوَاصِي الْأَعْدَاءِ ، وَشَمِلَهُمْ بِعَنَائِيهِ فِي الْإِعَادَةِ وَالْإِبْدَاءِ ؛ وَضَمَّنَ لَهُمْ أَحْمَدَ الْعَوَاقِبِ ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي ثَبَّتَتْ لَهُمْ فِي صَحَائِفِ الْأَيَّامِ أَفْضَلَ الْمَنَاقِبِ ؛ وَهَدَاهُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَارَاقِ زُلَّالِهِ ، وَتَمَّ غَايَةَ التَّمَامِ كَمَا أَنَّهُ كَانَ لِرِضَا اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَحُسْنِ ثَوَابِهِ مَالَهُ ؛ وَيُمِدَّهُمْ فِي الْمَجَاهِدَةِ عَنْ دَوْلَتِهِ بِالتَّائِيدِ وَالتَّحْكِينِ ، وَيُحْظِيهِمْ مِنْ أَنْوَارِ الْيَقِينِ ، بِمَا يَجْلُو عَنْ أَفْتَدَتِهِمْ دُجَى الشَّكِّ الْبَهِيمِ ؛ وَيُظْهِرُ لِأَفْهَامِهِمْ خِصَائِصَ الْإِمَامَةِ فِي حُلَلِ التَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَيُرِيهِمْ أَنَّ خُلُوصَ الطَّاعَةِ مَنَجَاتٌ فِي الْمَعَادِ بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْتَثْمَرَ مِنْ دَوْحَةِ النُّبُوَّةِ الْأُئِمَّةَ الْهَادِينَ ، وَأَقَامَهُمْ أَعْلَامًا مُرْشِدَةً فِي مَحَبَّةِ الدِّينِ ؛ وَبَيَّنَّ بِتَبْصِيرِهِمُ الْحَقَائِقَ وَوَرَّثَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَرَفَ مَقَامَاتِهِمْ ،

(١) مراده الصعب . والرتب بالتحريك من معانيه الشدة والغلظة يقال ما في هذا الأمر رتب ولا عتب أى عناء وشدة .

(٢) لم يتقدم ما يعطف عليه وهو من متعلقات أمير المؤمنين كما لا يخفى .

وجعله مُحَرِّزَ غَايَتِهِمْ ، وَجَامِعَ مُعْجَزَاتِهِمْ وَأَيَاتِهِمْ ؛ وَقَضَىٰ لِمَنْ أَلْتَحَفَ بِظُلِّ فَنَائِهِ ،
وَأَشْتَمَلَ بِسَائِغِ نِعَمِهِ وَآلَائِهِ ، وَتَمَسَّكَ بِطَاعَتِهِ وَاعْتَصَمَ بِوَلَائِهِ ؛ بِالْخُلُودِ فِي النِّعَمِ
الْمُقِيمِ ، وَالْحُلُولِ فِي مَقَامِ رِضْوَانِ كَرِيمٍ : ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ نِعْمَةً الَّتِي جَعَلَتْهُ لِلبَشَرِ إِمَامًا ، وَأَمَضَّتْ لَهُ فِي الْمَشَارِقِ
وَالْمَغَارِبِ أَوَامِرَ وَأَحْكَامًا ؛ وَجَرَّدَ مِنْ عَزَمِهِ فِي حَيَاةِ دِينِ اللَّهِ عَضْبًا مُرْهَفًا
حُسَامًا ، وَأَسْتَخْلَصَ لِإِنْجَادِ دَوْلَتِهِ مِنْ أَوْلِيَائِهَا أَكْلَهُمْ شَجَاعَةً وَإِقْدَامًا ؛ وَأَحْسَنَهُمْ
فِي تَدْيِيرِ أُمُورِهَا قَانُونًا وَنِظَامًا ؛ وَأَتَمَّهُمْ لِمَصَالِحِ أَجْنَادِهَا وَرِعَايَاهَا تَفَقُّدًا وَاهْتِمَامًا ،
وَأَوْلَاهُمْ بِأَنْ لَا يُوجَّهَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ مَلَامًا ، وَأَجْدَرَهُمْ بِأَنْ يُحَلَّ
مِنْ جَبِيلِ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دَارَ سَلَامٍ يَلْقَىٰ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصَلِّيَ
عَلَىٰ جَدِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ الَّذِي أَعْلَنَ بِالتَّوْحِيدِ وَجَهْرًا ، وَغَلَبَ بِالتَّائِيدِ وَقَهْرًا ؛ وَأَظْهَرَ
الْمُعْجَزَ الْبَدِيعَ وَأَسْتَطَالَ إِعْجَازَهُ وَبَهْرًا ، وَأَطْلَعَ نُورَ الْإِسْلَامِ وَأَشْتَهَرَ فِي الْمَشَارِقِ
وَالْمَغَارِبِ إِشْرَاقَهُ وَظَهَرَ ؛ وَعَلَىٰ أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ أَيْنَا عَلِيٌّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَيْفُ اللَّهِ
الَّذِي شَهَرَهُ عَلَى الْكُفْرِ وَسَلَّهُ ، وَكَفَّلَهُ إِعْزَازَ الدِّينِ فَأَعْظَمَهُ بِجِهَادِهِ وَأَجَلَّهُ ؛ وَقَرَعَ
بِعِزِّهِ صَفَاةَ الْإِلْحَادِ فَأَعَانَهُ (؟) بِعِزِّهِ وَأَذَلَّهُ ، وَقَصَّدَ الْأَصْنَامَ وَأَرْغَمَ مِنْ أَسْتَعْوَاهِ
الشَّيْطَانَ بِاتِّبَاعِهَا وَأَضَلَّهُ ؛ وَعَلَى الْأَئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أَعْلَامِ الدِّينِ ، وَهُدَاةِ الْمُتَّقِينَ ؛
وَمَوْصِيٍّ سَبِيلِ الْحَقِّ لِأَهْلِ الْيَقِينِ ؛ وَمَوْصَلِيٍّ الْأَنْوَارِ الدِّينِيَّةِ إِلَى بَصَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛
صَلَاةً تُتَكَرَّرُ وَتَتَرَدَّدُ ، وَتُدَوِّمُ مَدَى الْأَيَّامِ وَتُتَجَدَّدُ .

وَإِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا أَخْتَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمَنْصِبِ الشَّرِيفِ ، وَسَمَّا بِهِ إِلَيْهِ مِنَ
الْحَلِّ الشَّائِخِ الْمُتَيْفِ ؛ وَفَوَّضَهُ إِلَيْهِ مِنْ تَدْيِيرِ خَلْقِهِ ، وَأَفْرَدَهُ بِهِ مِنْ آتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَالْقِيَامِ

بحقّه ؛ وناطه به من المحاماة عن المِلَّة الحنيفيَّة ، والاجتهاد في أن يشمَل أهلها بالحالة السنيَّة والعيشة الهنيئة ؛ وإعانتة في إظهار شعاعها ، وتأيدته في إظهار علوِّها على المُلْك وأقنندارها - يَبْدُلُ جُهدَه في الاستعانة بمن تقوم به حُجَّتُه عند الله بالأعتماد عليه ، ويتوثَّق لنفسه في اختيار من يقوم برضا الله في إسناد الأمور إليه ؛ ويَحْرُصُ على التفويض لمن يَكُنِّي في التدبير ، وتُحِيطُ غايةً نظره بالصغير من رجال الدولة والكبير ، تقرُّبا إلى الله بالعمل فيما ولَّاه بما يُرضيه ، وأزْدِلَافًا بِاتِّباع أمره في كل ما يُنفِذه ويُمضيه . وقد كان أمير المؤمنين تصبَّح أوليَّاء دولته ، وعظماة مملكته وأكابر شيعته وأنصار دعوته ؛ فوجدك أيُّها السيد الأجلُّ أكلهم فضلا ، وأقلهم مثلاً ؛ وأمهم في التدبير والسياسة إنصافاً وعدلاً ، وأحقهم بأن تكون لكلِّ رياسةٍ وسيادةٍ أهلاً ؛ ففوض إليك في أمور وزارته ، وعوَّلَ عليك في تدبير مملكته وجمع لك النظر فيما وراء سرير خلافتِه ؛ فخرتِ الأمور بمقاصدك السعيدة على إيثار أمير المؤمنين وإرادته ، واستمرَّ أمرُ المملكة بمباشرتك على أحسن قانونه وعادته ، وشملت الميامن والسعود أتمَّ أشتمالٍ على تفصيله وجملته ؛ وأنحسمتِ الأدواء ، وذلتْ بسطوتك الأعداء ، وزالت في أيَّامك المظالم والأعتداء ؛ وحسنتِ بأفعالك الأمور ، وظهرتِ الصِّلَاحُ وكان قبلَ وزارتك قليلَ الظُّهور ؛ فانبسطتِ الآمال ، وأنسقتِ الأعمال ؛ وأُفِيع الضَّلَال ، وأُمِنَتِ الأهوال ؛ وخَلَصَتِ من الرأى السَّقيم ، وحظيتِ بالملُك العقيم ، وغدا جُنْدُها ورعاياها بركة رَأْيِكَ في النِّعم المُقيم .

فلما رَمَقْتَ عَيْنَ الكمال ، وألْهَبَ قلوبَ حَسَدِكَ مأوئيتَه من تمام الخِلال ، تكاثَر من يَحُوك المَكَايد ، وتظاقرَ عليك المَنافِسُ والمُعاندُ ؛ ورنَتْ إليك إِساءَةُ مَنْ عاملته بالإحسان ، وعدتْ عليك خيانهُ من أَمَتَتْه أُمَّ أَمْتَانِ ؛ وَتَمَّ لَهُ المَرادُ بِوَفَائِكَ ^(١)

وَعَدْرَهُ ، وَسَلَامَةِ صَدْرِكَ وَمَكْرِهِ ، وَأَتَّفَاقِ ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ وَمُبَايَنَةِ سِرِّهِ لَجْهَرِهِ ؛
فَكَانَ مَا هَوَّنَهُ فِي نَفْسِهِ سَلَامَةُ النَّفْسِ وَأَكْبَرُ الْوَلَدِ ، وَمُنَحٌ فِي اسْدَادِهِ نِعْمًا لَا تَحْصِرُ
بَعْدَ ، وَأَفْطَحَ مَا كَانَ فِيهِ مَا أُصِيبَ بِهِ وَلَدُكَ الْأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي أُصِيبَ
وَهُوَ مَظْلُومٌ ، وَلَوْ لَمْ يُصَبِّ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنَ الْأَجَلِ الْمُحْتَمُومِ ؛ فَرِحْتَ بِمَا نَالَكَ ثَوَابًا ،
وَأَسْتَفْتَحَ لَكَ الْحِطُّ مِنَ النَّصْرِ عَلَى الْبَاغِي بَابًا ؛ وَاعْتَصَبَ الْغَادِرُ مَا لَا يَسْتَحِقُّ ،
وَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِصُورَةِ الْمُبْطِلِ وَرَأَى بِصُورَةِ الْمُحَقِّ ؛ وَهَدَتْكَ السَّعَادَةُ إِلَى الْعَمَلِ
بِسِيرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، فِي الْأَنْحِيَازِ عَنِ الْأَعْدَاءِ ، وَالتَّبَاعِدِ عَنْ أَهْلِ النَّغَى وَالْإِعْتِدَاءِ ؛ فَانْسَلَتْ
مِنَ الْغَوَاةِ أَنْسَالُ الصَّارِمِ مِنْ غَمْدِهِ ، وَتَوَارَيْتَ مِنَ الْعُتَاةِ تَوَارَى النَّارُ فِي زَنْدِهِ ؛
وَقَطَعْتَ الْمَفَاوِزَ مَصَاحِبًا لِلْعُقْرِ وَالْعَيْنِ ، حَتَّى حَلَلْتَ بَرَبَوِيَّةَ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ؛
وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُمِدُّكَ فِي ذَلِكَ بُدْعَانَهُ ، وَيُعِدُّكَ لِنُدْبِيرِ دَوْلَتِهِ وَقَعَ أَعْدَائُهُ ؛ وَرَأَى
وَأَنَّ أَبْعَدَتْكَ الضَّرُورَاتُ عَنْ بَابِهِ ، وَأَنَّكَ الْحَادِثَاتُ عَنْ جَنَابِهِ ، أَنَّكَ وَزِيرُهُ
الْمَكِينُ ، وَخَالِصَتُهُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ؛ الَّذِي لَا يَنْزِعُ عَنْهُ شَمْسَ وَزَارَتِهِ ، وَلَا يُؤْمِرُهُ
غَيْرُ سُلْطَانِهِ وَمَمْلَكَتِهِ .

وَلَمَّا وَجَّهْتَ إِلَى أَعْمَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِنِ اسْتِصْحَابَتِهِ رَاجِعًا مِنْ عُدُوكَ الْأَنْتِصَارِ ،
قَاصِدًا لِإِدْرَاكِ الثَّارِ ؛ وَحَلَلْتَ بِعَقْوَتِهِ ^(١) ، وَخِيَّمْتَ فِي جِهَتِهِ ؛ فَاتَّصَلَتْ بَيْنَكُمْ الْحُرُوبُ ،
وَعَزَّ عَلَى كُلِّ مِمَّا نِيلَ الْمَطْلُوبِ - أُنْجِدْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ عِلْمِهِ بِبُلُوغِ الْكُتَابِ
أَجَلَهُ ، وَاسْتِيفَاءِ الْوَقْتِ الْمَحْدُودِ مَهْلَهُ ، بِإِظْهَارِ مِيلِهِ إِلَيْكَ وَمِيلِهِ عَنْ ضِدِّكَ ، وَأَنَّ
قَصْدَهُ مُبَايَنٌ لِقَصْدِ الْمَذْكُورِ مُوَافِقٌ لِقَصْدِكَ ؛ فَسَبَّبَ ذَا نَصْرِكَ وَخِذْلَانَهُ ،
وَتَقْوِيَتَكَ وَإِيهَانَهُ ؛ وَلَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَالِهِ عَنَاءٌ تُسْعِدُكَ ، وَرِعَايَةٌ تُؤَيِّدُكَ .

(١) أى بساحته يقال ما بعقوة هذه الدار مثل فلان .

فحين عُدت إلى بابه عودَ الشُّموس إلى مَشارِقها قَبْلَكَ أَحْسَنَ قَبُولٍ ، وتلقَّاك
بتبليغ السُّول ؛ وكشف الغطاء عما كان يُسرُّه إليك ويضمره ، ويريده بك ويؤثره ؛
وجدت لك ما كنت تنظر فيه من الوزاره ، ومباشرة ما كان مردودا إليك من السَّفارة
والظَّهارة : لأنك أوحدُ ملوكِ العصر كَمَلا ، وأوسعُهم في حسن التدبير مَجَلا ؛ وأشرفُهم
شِما بديعةً وخِلالا ، وأصلحُهم آثارا وأعمالا ؛ وأتمُّهم سعادةً وإقبالا ، وأكثرُهم
تَقِيَّةً لله تعالى ؛ وما زلتَ لآفانِ راجعا ، ولراية المجد رافعا ؛ ولذرى العلاء والسَّناء
فارعا ؛ تردُّاتُ العصور بعُصرِكَ ، وتَجَمُّلُ الدنِيا ببقاء هَنيئِكَ وأَمْرِكَ ؛ وتتعجَّب
الأفلاكُ العليَّة من سَعَةِ صَدْرِكَ ، وتتضاءلُ الأقدارُ الساميةُ لعظيم قَدْرِكَ ؛ وكم لك
من مَنقِبَةٍ تَجِلُّ أن يَكَيِّفَها بديعُ الأقوال ، وتعظُمُ أن يَمَنِّها بديعُ الأقوال ؛ فالدولة
العَلَوِيَّة بتدبيرِكَ مَخالَّةٌ زاهيةً ، وأركانُ أعدائها وأضدادِها بِحَزْمِكَ وعَزمِكَ وإِهِيهِ ،
وسَعاداتُ من تَضُمُّهُ وتَشتمِلُ عليه متضاعفةٌ غيرُ منقطِعةٍ ولا متناهِيةٍ ؛ ولم تزلْ
للإسلام سِيفًا قاطعًا ماضيا ، وعلى الإلحاد سِيفًا مرَّهفا قاضيا ؛ تدوُّدُ الشُّرك عن
التوحيد ، وتصدُّدُ الكفر عن الإيمان فيجيدُ مرُغمًا ويبيدُ . وكم لك في خِدمة أُمَّةِ
الهدى من مَأثرةٍ تُؤثِّرُ فُتُوحًا ، ويوردُ ذِكْرُها فيُغري بالثناء عليك ويلهج ؛ وتبذلْ
في طاعتهم النفسَ والولد ، وتنتهى في مناصحتهم إلى الأمدِ الذى ليس بعده أمد ؛
فلذلك فُزْتَ بدعواتهم التى أعقبَتِكَ حُسْنَ العواقب ، وأحلتكَ المحلَّ الذى لا تسمو
إلى رُقيَّةِ النجومِ الثَّواب ؛ فإذا رَفَعَكَ أميرُ المؤمنين إلى منزلةٍ ساميةٍ ، وجدَ محلَّكَ
لديه عنها يَجِلُّ ويسمو ، وإذا خَصَّكَ بفضيلةٍ ما ، صادفَ استِحْقاكَ عنها يرتفع
ويعلو ؛ وإذا استَشَفَّ خصائصَكَ ، وجدَها بديعةَ الكمال ، يمتنعُ أن يُدركَ مثُلُها

(١) الأقوال جمع قَوْل (وأصله من ذوات الواو) وهم ملوك حير ويجمع أيضا على أقبال على

يُجْرِصُ سَاجِ أَوْيُنَالَ ؛ وَقَدْ تَوَافَقَتِ الْخَوَاطِرُ عَلَى أَنَّكَ أَوْحَدُ وُزَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ
ظَفَرًا وَنَظَرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي طَاعَتِهَا وَخَالَصَتِهَا أَتْرًا ، وَأَفْضَلُهُمْ خُبْرًا وَأَطْيَبُهُمْ خَبْرًا ؛
وَقَدْ جَدَّدَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْطَفَاءُكَ لُوزَاتِهِ ، وَاجْتَبَاءُكَ لِتَدْيِيرِ مَمْلَكَتِهِ ، وَجَعَلَكَ
الْفَرْدَ الْمَشَارَكَ فِي دَوْلَتِهِ .

فَتَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْمَهْمَاتِ الْحَسَامِ ، وَتَسَمَّ مَا وَطَّدَهُ لَكَ مِنْ
هَذِهِ الرُّتَبِ الْعِظَامِ ؛ وَتَلَقَّى آلاءَهُ بِمَا يُثَبِّتُكَ فِي جَرَانِدِ الْأَبْرَارِ ، وَيَمْنَحُكَ مَصَاحِبَةَ التَّوْفِيقِ
فِي الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ ؛ وَبَاشَرَ مَا نَاطَ إِلَيْكَ مِنْ كَبِيرِ الْأُمُورِ وَصَغِيرِهَا ، وَجَلِيلِ الْأَحْوَالِ
وَحَقِيرِهَا ، وَأَبْسَطَ يَدَكَ فِي تَدْيِيرِ دَوْلَتِهِ ، وَأَنْفَذَ أَوَامِرَكَ فِي أَرْجَاءِ مَمْلَكَتِهِ ؛ وَأَعْنَبَ بِمَا
جَعَلَهُ لَكَ مِنْ تَدْيِيرِ جُيُوشِ الْمَيَّامِينَ وَأَوْلِيَاءِهِ الْمُتَّقِينَ ، وَكَفَالَةِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَدَايَةِ
دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَبَّ أَحْوَالِ جُنُودِهِ وَرَعَايَاهُ أَجْمَعِينَ ؛ وَأَعْمَلَ فِي ذَلِكَ بِتَقْوَى اللَّهِ
الَّذِي مَابَرَحْتَ لَكَ دَابًّا وَطَرِيقَهُ ، وَشِمِيَّةً وَخَلِيقَهُ ؛ وَبِهَا النِّجَاةُ مِنَ النَّارِ ، وَالسَّلَامَةُ
فِي دَارِ الْقَرَارِ ؛ وَالْفَوْزُ بِمَعْنَى الْخَلَّاصِ ، فِي يَوْمِ الْمُنَاقَشَةِ وَالْقِصَاصِ . فَالْعَارِفُ مِنْ
مَهْدِهَا مَقَامَهُ فِي الْآخِرَةِ تَمْهِيدًا ، وَأَحْرَزَ بِهَا مِنَ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ مَزِيدًا ؛ بِقَوْلِ اللَّهِ
فِي الْكَتَابِ الَّذِي جَعَلَهُ فِي الْإِعْجَازِ فَرِيدًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا
قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ .

وَرَاقِبِ اللَّهَ فِيمَا أَلْفَاهُ إِلَيْكَ فَقَدْ فَوَّضَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ ، وَالرَّفْعِ
وَالْخَفْضِ ؛ وَالْوِلَايَةِ وَالْعِزِّ ، وَالْقَطْعِ وَالْوَصْلِ ؛ وَالتَّوْلِيَةِ وَالتَّصْرِيفِ وَالصَّرْفِ ،
وَالْإِمْضَاءَ وَالْوَقْفَ ؛ وَالغَضَّ وَالتَّيْنِيهِ ، وَالْإِنْخَالَ وَالتَّنْوِيهِ ؛ وَالْإِعْزَازَ وَالْإِذْلَالَ ،
وَالْإِسَاءَةَ وَالْإِنْجَالَ ؛ وَالْإِبْدَاءَ وَالْإِعَادَةَ ، وَالتَّنْقِصَ وَالتَّزْيِيدَ ؛ وَالْإِنْعَامَ وَالْإِرْغَامَ ،

وكل ما تحدّثه تصاريّف الأيام، وتقتضيه مطالب الأنام ؛ فهو إليك مرّدود، وفيما عُدق بنظرك معدود .

وأما العدل ومدّ رواقه ، وإقامة مَوَاسمه وأسواقه ؛ والإنصاف وأتباع محبّته ، والاعتماد على أحكامه وأفضيته ؛ وكفّ عوادي الجور والمظالم ، وحمل الأمر على قصد التصاحب والتسالم ؛ وإظهار شعاع الدين ، في إنصاف المتداعين إلى الشرع المتحامين ؛ والدعوة الهادية وفتح أبوابها للمستجيبين ، وإعزاز من يتمسك بها من كافة المؤمنين ؛ والأموال والنظر فيها ، والأعمال أفاضلها وأدانيها - فكل ذلك محرّر في تقليد وزارتك الأول ، وأنت أولى من حافظ على العمل به وأكمل .

وأما أمراء الدولة الأكابر، وصُدورها الأماثل ؛ وأمرائها الأعيان، وأولياؤها الذين بسُيُوفهم تُقام دعائم الإيمان - فانت شفيعهم في كل مكان، ومُعِينهم الذي يبدل جهده بغاية الإمكان ؛ والجاهد لهم في النفع والصّلاح ، والحريص على دفع مايلهم بكل منهم من الضرر والأجتياح ؛ ومازلت لهم في الأغراض بحضرة أمير المؤمنين مساعداً ، وعلى مايلنهم الآراب حريصاً جاهداً ؛ وتحصنهم دائماً بعنايتك ، وتحمدهم برعايتك ، وتعمل لهم في الحاجات صائب رأيك ؛ فأجرهم على ما ألقوه من الاعتناء والإجمال ، وبلغهم من محافظتك نهايات الآمال ؛ فهم أبناء الملاحم ، ومضطلو هبّ الجمر الجاحم ، ومصالحو الصّفاق ، المُرَهفة الضروب ، وملاعبو الرّماح ، العاسلة ذات الكعوب ؛ ومعملو العتاق الأعوجية ، ومُرسلو السّهام المريشة المبرية .

وأمير المؤمنين يعلم أنك بفضل فطرتك ، وثاقب فطنتك ، وما مترك الله به من قديم حُكمتك ونجربتك ؛ تغنى عن الوصايا ، وتزده عن توسيع الشّرح في القضايا ؛ وإنما أورد لك هذا التّر منها على جهة التّيسّن بأوامر الأئمة ، والتبرّك بمراسيم هداة

الأمه ؛ والله يحقق لأمر المؤمنين فيك الأمل ، ويوفّقك في خدمته للقول والعمل ؛
ويعينك على إصلاح دولته ، وأغتنم فرص طاعته ؛ وبذل الجُهد والطاقة
في مناصحته ، والاجتهاد في رفع منار دعوته ؛ ويؤيدك على أعداء مملكته ، ويرشدك
إلى العمل بما يُسبّغ عليك لباس نعمته ؛ فاعلم هذا من أمير المؤمنين ورسمه ،
وانته إلى موجب حكمة ؛ إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ،
والتحميد .



وعلى ذلك كتب الموفق بن الخلال أيضا عن العاضد بولاية ابن شاوّر السعدي
نيابة الوزارة عن أبيه ، وتفويض الأمور إليه ، وهذه نسخه :

من عبد الله ووليه (باللقاب الخلافة) إلى فلان (بالنعوت اللائقة به) .

سلام عليك (إلى آخر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم
في سجل الوزارة لأبيه) .

أما بعد ، فالحمد لله مؤيد الحقائق بأفضل الأنصار ، ومُعزّ الممالك بأكمل ذوي
النفاذ والاستبصار ؛ وجاعل الولد البار لوالده رُحماً وسنداً ، والنجل المختار لناجيه
نَجدة ومُدداً ؛ مرتّب الممالك على أفضل نظامها ، ومُرقيّ الدول إلى المؤثر من إجلالها
وإعظامها : ليتّضح للتأملين فضل تأكيد الأواصر ، ويستبين الناظرين فصل تباين
العناصر ؛ إبراماً منه - جل وعز - لأسباب الحكمة ، وتوسيعاً لسبيل الحنان
والرحمة ؛ وشمولاً لما يتتابع به إحسانه من المنّ الجسيم (فضلاً من الله ونعمة
والله عليم حكيم) .

والحمد لله مُعَلِّي الدَّرَجَاتِ وِرَافِعِهَا، وَمُفِيدِ الْأُمَمِ وَنَافِعِهَا؛ وَمُزِيلِ الْبَاسَاءِ وَدَافِعِهَا،
وَجُجِبِ الدَّعَوَاتِ وَسَامِعِهَا، وَمُضَاعِفِ الْمَصَالِحِ وَجَامِعِهَا؛ الَّذِي وَقَفَ عَلَى الدَّوْلَةِ
الْعَلَوِيَّةَ أَحْسَنَ السَّيْرِ، وَخَصَّهَا فِيمَنْ تُؤَثِّرُ أَصْطِفَاءُهُ بِمُسَاعَدَةِ الْقَدَرِ، وَيَسِّرُهَا رَاقِقَ
التَّدْيِيرِ بَعْدَ مَلَابَسَةِ الرِّثْقِ وَالْكَدَرِ؛ وَأَدْنَحَهَا مِنَ الْأَصْفِيَاءِ مَنْ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِأَنْوَارِهِ،
وَتُزَيِّنُ الدُّهُورَ بِحَاسِنِ آثَارِهِ؛ وَتَسْمُوُ الْمَفَاخِرُ بِمَفَاحِرِهِ، وَيَتَوَالِي الثَّنَاءُ عَلَى مَا أَبْتَكَرَهُ
مِنَ الْمَكَارِمِ فِي أَوَّلِ نَسَبِهِ وَآخِرِهِ؛ وَيَتَنَابَعُ الْإِحْسَادُ لِمَنْ يَخْتَارُهُ وَيَحْتَبِيهِ، وَتَتَضَاعَلُ
أَقْدَارُ الْمُلُوكِ إِذَا ذُكِرَ فَضْلُهُ وَفَضَّلَ أَيْبُهُ؛ وَتَسْكُنُ النُّفُوسُ إِلَى تِمَامِ وَرَعِهِ وَدِينِهِ،
وَيَنْطِقُ لِسَانُ الْإِجْمَاعِ بِصِحَّةِ مَعْتَقَدِهِ وَيَقِينِهِ .

والحمد لله الَّذِي شَمِلَ الْبَرَايَا فَضْلُهُ، وَنَعِمَ الْخَلَائِقَ عَدْلُهُ؛ وَأَقْرَبَتِ الْعُقُولُ بِأَنَّ إِلَيْهِ
يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي أَحْظَتْ دَوْلَتَهُ الظَّاهِرَةَ، بِمُؤَاظَرَةِ الْبَيْتِ
الْجَلِيلِ الشَّائِرِيِّ، وَأَيَّدَتْ مَمْلَكَتَهُ الْقَاهِرَةَ، بِحَامَاتِهِ عَنْ حَوَزَتِهَا بِالْعَضْبِ الْمُرْهَفِ
وَالسَّمْهَرِيِّ؛ وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَنِّهِ الَّتِي اسْتَخْلَصَتْ لَهُ مِنْهُ أَنْصَارًا يُرْهِفُونَ فِي طَاعَتِهِ
الْعِزَّائِمِ، وَيُحَقِّقُونَ فِي إِرَادَتِهِ الْعِظَائِمِ، فَيُذَبُّونَ عَنْ حَوَزَتِهِ وَلَا يَخَافُونَ فِي ذَاتِ اللَّهِ
لَوْمَةَ لَائِمٍ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلِّيَ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ الدَّاعِي إِلَى الْهُدَى، وَالْمَبْعُوثِ إِلَى الْخَلَائِقِ
وَهُمْ إِذْ ذَاكَ سُدَى؛ وَالْمُنَاضِلِ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ بِالْأُسْرَةِ وَالْآلِ، وَالْمُطَّرِحِ
عَاجِلِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ لِأَجْلِ الْمَالِ؛ وَعَلَى أَيْبِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ الَّذِي
أَقَامَ مِنْ دِينِ اللَّهِ مَنَكَرَ الْأَوْدِ، وَقَامَ لِنَبِيِّ اللَّهِ مَقَامَ النَّجْلِ الْمُرْتَضَى وَالْوَلَدِ؛ وَقَطَّ مِنْ
طَوَاغِيتِ الْكُفْرِ شَائِخَ الْهَامِ، وَأَوْضَحَ غَامَضَ التَّنْزِيلِ بِمَا أَفْرَدَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَزَايَا

الإلهام؛ وعلى الأئمة من دُرَيْتِهِمَا أبناءِ الرِّسَالَةِ والإمامه، والمختصِّين بِإِثْبَاتِ بَيْتِهِ الْحُبُوبِ
بِتَظْلِيلِ الْعَمَامَةِ؛ والقائمين بِنُصْرَةِ الدِّينِ، والمتفرِّدين بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ .

وإنَّ أمير المؤمنين لِمَا أَقَامَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ تَمْكِينِ قَوَاعِدِ الدِّينِ، واختاره لإيضاحه
من إرشادِ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ؛ وأفضى بِهِ إِلَيْهِ مِنْ سِرِّ الْإِمَامَةِ الْمُكْنُونِ، وألقاه إِلَيْهِ مِنْ
خَفَايَا الْإِلْهَامِ الَّتِي تُسْتَبْطَنُ مِنْ أَنْوَارِهَا عِلَّةٌ مَا كَانَ وَيَكُونُ؛ وأَمَدَهُ [بِهِ] مِنَ التَّيْيِيدِ
الَّذِي يَسْتَأْصِلُ طَوَاغِيتَ التَّفَاقُقِ بِقَوَارِعِ الْمَهَالِكِ، وَيُسَلِّكُ بِمَرَدَةِ أَهْلِ الْعِنَادِ أَوْعَرَ
السُّبُلِ وَالْمَسَالِكِ؛ وَأَعْجَدَهُ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ بِالْأُلُطَافِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي تُتَكَفَّلُ بِإِعْلَاءِ
كَلِمَتِهِ، وَتَتَضَمَّنُ نَصْرَ أَعْلَامِهِ وَتَذَرُّ دَعْوَتِهِ؛ وَأَتَاهُ جَوَامِعُ الْمَعَارِفِ وَالْحِكَمِ، وَفَرْضَ
طَاعَتِهِ عَلَى مَنْ دَانَ بِالتَّوْحِيدِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ؛ وَأَلْزَمَ مَقَاصِدَهُ وَأَنْجَاءَهُ التَّوْفِيقِ،
وَأَوْجَبَ لَهَا السَّعَادَةَ فِي كُلِّ جَلِيلٍ وَدَقِيقٍ - يَفُوضُ أَمْرَهُ إِلَى الْخَالِقِ، وَيُفِيضُ
جُودَهُ وَرِيَّهُ فِي الْخَلَائِقِ؛ فَلَا يَزَالُ لِأَحْوَالِ دَوْلَتِهِ مُرَاقِبًا، وَلَا يَنْفَكُ يُفِيدُ كُلَّ
مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا نَظْرًا ثَاقِبًا؛ فَإِذَا لَاحَظَ لَهُ لَاحِظَةً صَلاَحَ، أَوْ بَدَتْ لِنَظَرِهِ حَاجَةُ نَجَاحَ،
أَجْتَهِدَ فِي تَوْسِيعِ نَجَاحِهَا، وَحَرَّضَ عَلَى حَتْمِهَا وَقَصْدِ إِعْجَالِهَا؛ وَأَتَمَسَّ لِلدَّوْلَةِ أَجْتِلَاءَهَا،
وَفَتَحَ إِلَى آسْتِدْعَاءِ النَّفْعِ بَابَهَا: لِيَنْمِيَ الْخَيْرُ الْعَمِيمُ، فِي دَوْلَتِهِ، وَيَتَضَاعَفَ النَّفْعُ
الْجَسِيمُ، لِرَعِيَّتِهِ؛ وَتَكُونَ كَافَّةُ الْخَلْقِ فِيهَا بِالْأَمْنَةِ وَالسُّكُونِ مَغْمُورِينَ، وَبِحُسْنِ
صَنِيعِ اللَّهِ بِهِمْ فَرِحِينَ مُسْرُورِينَ .

وَلَمَّا تَصَفَّحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَحْوَالَ دَوْلَتِهِ، وَتَأَمَّلَهَا تَأَمُّلًا مِنْ يُؤْثِرُ أَنْ يَفْقَهُ الْفَحْصَ
فِي كُلِّ مَهْمٍ عَلَى حَقِيقَتِهِ، رَأَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ مَنَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ خَالِصَتِهِ
وَصِفَتِهِ، وَوَزِيرَهُ وَكَافِيَهُ وَوَلِيَّهُ؛ السَّيِّدَ الْأَجَلَّ (بِالْنَعْوَتِ وَالِدَعَاءِ) الَّذِي قَامَ بِنُصْرَتِهِ،
وَكَفَّلَ أَهْوَالَ الْحُرُوبِ بِنَفْسِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأُسْرَتِهِ؛ وَحَالَفَ التَّغَرُّبَ وَالْأَسْفَارَ،

واستبدل من لين العيش بملاقاة السهام واللهازم والشفار؛ واتخذ ظهور الجياد عوضاً من الحشايا، ومنازلة الأبطال دأباً في الحنادس والبكر والعشايا؛ وآثر على لبس الغصص المونق الحديد، لباس اليلب ولألمات الحديد؛ ولازم في ذات الله قرع أبواب الختوف، والتهجم على كل مخشى مخوف؛ حتى ذل الأعداء، وقمع الاعتداء، وحسم الأدواء، وأزم الدهر بعد خطئه الاستهواء؛ وأفاد دولة أمير المؤمنين باجتهاده عزاً، وأذخر لها عند الله من الأجر والثوبة كنزاً؛ وسير عنها في الآفاق أحسن الأحاديث، وبين فضلها على غيرها في القديم من الدهر والحديث؛ وأخلص لأمر المؤمنين في الطاعة حتى استخدم الموالى الموافق، والمباين المنافق؛ وكل فضائله التي لا تحصى، ومحاسنه التي لا تحصى ولا تعد؛ بفضيلة ثبوت الفضائل، ومثبة تفوق بفخرها المناقب الجلائل : وهى ماوجهه الله [له] من بقوة الأجل فلان الذى لم يزل للدولة عزاً حاضراً، وولياً ناصراً؛ وعوناً قاهراً، ومجداً ظاهراً؛ وجملاً باهراً . وما برح لله - جلّ وعلا - مراقباً، وليرضاه وغفرانه طالباً؛ قد جمع إلى كمال الدين وصحة اليقين، المخالصة في طاعة أمير المؤمنين؛ لا يفتر منذ مدة الطقولية [عن] درس القرآن، ولا يبارى بغير الأمور الدينية تجماء الأقران؛ إن تصفحت محاسنه الدنيوية عد ملكاً مهذباً، وإن تأملت مناقبه الدينية حسب ملكاً مقرباً؛ وكم له من مثبة تستنقص الغيوت، وشجاعة تستجيب اللبوت؛ ومهابة ترد أحاديثها الجيوش على الأعقاب، وتغريها بموالاة الحذر والأرقاب؛ إذا أسهبت الخطوب أوجرت تدبيره، وإذا استطالت الحوادث قصر طولها فأعجب تقريره؛ فالدولة العلوية من ذبه في الحرم الآمن، والخلافة العاضدية من ملاحظاته في تدبير يجمع أشنات الميامن؛ فأجتمع المآثر قد وحده، بشهادة الإجماع، وتوالى المحامد قد أفردته، بما شاع منه في الممالك وذاع؛ تتحاسد عليه غر الأخلاق، وتنافس فيه المكارم منافسة

ذوات الإشراف؛ فلا تُوجد خلّة فضليّ بارع إلا وقد جمّعها، ولا مكنة جبر قارع إلا وهو الذي مهّد محجّتها وسّعها، ومقاماته في الجهاد والحلاد مقاماتٌ أوضحت الحقائق للأفهام، وثبتت الدقائق تثبتاً يبق على غير الأيام؛ وأعزّت دعوة الدولة العلوية وأيدتها، ونصرت أعلامها ونشرتها، وأكسفت بالتفضيل والإحسان رجالها، وأزلت بالحدّ والتشمير أوجالها؛ ومحت آثار عدايتها بالسيف، وألقتهم عن النكايات المخبّفة بوزع المنايا والختوف.

والحرّوب قمرباه في مهودها، ومنشاه بين أسودها، ورعاتها وقف على إضرامها وإخماد وقودها؛ فإذا تورّدها تورّدها باسم مهلاً، وإذا أقتحم مضايقتها تصرّف فيها متوقفاً مهلاً؛ لا يخفى بأهوالها، ولا يرى لقارعة من عظام قوارعها وإلها؛ وحسبك فتكاته في طعاة الكفار، وقصد أولياء الدولة بالإظهار: فإنّ الكفار حين نهّدوا للنفاق، واجتلبوا أشباههم من بعيد الآفاق؛ وتجمّعوا على الأعمال بخائهم بعزّة من عزّماته أقامت راية الدين، وجعلتهم حصيداً خامدين؛ وأفنت منهم الصناديد، وأصطلمتهم ببلايا تريد على التعديد؛ واجتحتهم بالقتل والأسر والتفريق، ورمتهم بدواه لا يقدر بشرى على دفاعها ولا يطيق؛ ولمّا ألّجأ طاغية الكفر إلى الحيرة وركد، ورام الاعتصام بعروتها واجتهد، وأغترّب بما معه من الجمع وكثرة العدد؛ نهّد إليه في الأبطال الأنجاد، ونهض نحوه ثابتاً للقرع والحلاد؛ فزاله عن مجتمه، ودعره دُعراً شرده عن معلمه؛ ورماه بالحراك بعد الشكون، والتعب الذي قدّر باعتباره أنّ مثله لا يكون؛ ولم له فتكة في أهل العمود ذلّت حماهم، وأستلبت أرواحهم، وأعادت ليلاً بالنقع صباهم.

وعند تَمَادِي عَتَاةِ الْكُفَّارِ فِي الْإِصْرَارِ، وَجَوَسِهِمْ خِلَالَ الدِّيَارِ؛ وَفَتْهِمْ فِي وُجُوهِ الْأَذَى وَالْإِضْرَارِ، وَطَمَعِهِمْ فِي أَجْتِيَاكِ أَهْلِ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْطَارِ - عَوَّلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَسْتِصَالِهِمْ عَلَى عَزَمِهِ، وَاعْتَصَدَ بِذَبِّهِ وَحَسَمِهِ؛ وَجَعَلَ إِلَيْهِ التَّدِيرَ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ الَّتِي هِيَ عُمْدَةُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَدَارُ هِجْرَةِ الْإِمَامِ، وَمَعْقِلُ الْخِلَافَةِ مُنْذُ غَابِرِ الْأَيَّامِ؛ وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِي رَبِّ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ، وَتَأْمِينِهَا مِنْ بَوَاقِي الْأَوْجَالِ؛ فَبَثَّ بِالْحَضَرَةِ وَالْأَعْمَالِ مِنْ مَهَابَتِهِ مَا شَرَّتْ الْأَوْغَارُ، وَسَهَّلَ الْأُمُصَارَ، وَحَقَّقَ الضَّلَالَ، وَأَذَقَهُمُ النَّكَالَ؛ فَعَمَّ السُّكُونُ وَالْأَمْنَةُ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْأَعْمَالِ السِّيَاسَةُ الْمُسْتَحْسَنَةُ؛ بِخَادَتِ بَنْصَرَةِ الْأَيَّامِ وَصَلَاكِ الْوُجُودِ، وَاعْتَبَطُوا مِنْ تَدْيِيرِهِ بِصُعُودِ الْجُدُودِ، وَرَتَّبُوا مِنْ عِنَايَتِهِ فِي عَيْشِ يُضَاهِي عَيْشَ جَنَّاتِ الْخُلُودِ؛ فَالْبَلَاغَاتِ بِأَسْرَافِهَا لَا تَقُومُ بِمَدْحِ مَا أُوتِيَ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَلَا يُوَازِي مَجْمُوعُهَا مَنْقِبَةً مِنْ مَنَاقِبِهِ الَّتِي أَرَبَى بِهَا عَلَى الْمُلُوكِ الْأَوَاخِرِ وَالْأَوَائِلِ؛ وَالْخَصَائِصُ الْمُلُوكِيَّةُ يُجْمَلُهَا فِيهِ جِلَّةٌ وَفِطْرُهُ، وَإِذَا قِيسَتْ نَادِرَةٌ مِنْ نَوَادِرِ فَضْلِهِ بِمَا تَفَرَّقَ فِي جَمِيعِ الْمُلُوكِ كَانَتْ فَضَائِلُهُ بِمِزَلَةِ الْبَحْرِ وَمَجْمُوعُ فَضَائِلِ الْمُلُوكِ بِمِزَلَةِ الْقَطْرِ؛ وَقَدْ طَرَزَ فَضَائِلُهُ الْبَدِيعَةَ، وَخِلَالَ السَّامِيَةِ الرَّفِيعَةَ، مِنْ مُوَالَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنَاصِحِهِ دَوْلَتِهِ بِمَا تَكْفُلُ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَنِهَايَاتِ مَغَانِمِ الثَّوَابِ الشَّرِيفَةِ الْفَاحِرَةِ؛ فَلَيْلَهُ وَنَهَارُهُ مَضْرُوفَانِ إِلَى الْمَجَاهِدَةِ عَنْ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي هِيَ دَوْلَةُ التَّوْحِيدِ، وَالْمُخْلِصِ فِيهَا مُعْرَضٌ لِكُلِّ مَقَامٍ سَعِيدٍ؛ فَحَاسِنُهُ تَرْتِفِعُ عَنْ قَدْرِ التَّقْرِيزِ وَالْمَدِيحِ، وَلَا تُقَابِلُ إِلَّا بِمُوَالَاةِ التَّسْبِيحِ .

وَمَا أَحَدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَثَرَهُمَا فِي خِدْمَتِهِ، وَشَكَرَ قَصْدَهُمَا فِي دَوْلَتِهِ؛ وَكَانَ السَّيِّدُ الْأَجْلُّ قَدْ بَلَغَ إِرْبَهُ فِي الْخِلَالِ، وَحَلَّ الْمَحَلَّ الَّذِي لَا تَتَعَاطَاهُ جَوَائِحُ الْأَمَالِ؛ وَقَدْرُهُ يَشْرَفُ عَنْ كُلِّ تَكْرِيمٍ، وَمَوْضِعُهُ يَتَيَّزُ عَنْ كُلِّ مَنْ جَسِيمٍ، وَمِثْرَتُهُ تَسْمُو عَنْ كُلِّ تَعْظِيمٍ - فَأَوْصَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَ الْأَجْلُّ أَنْ يُقَرَّرَ لَهُ جَمِيعُ خِدْمَتِهِ، وَيُسَيَّغَ عَلَيْهِ

فِي الْمُسْتَأْنَفِ أَضْفَى نِعْمَهُ : فَإِنْ مَحَلَّهُ يَرْتَفِعُ عَنْ مَحَلِّ الْخِلْمِ الْجَلِيلِ ، وَيَسْمُو عَنْ كُلِّ تَصَرُّفٍ يَسِمُهُ فِي الدَّوْلَةِ بِسِمَةِ جَمِيلَةٍ ؛ وَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّدَ الْأَجَلَ أَنْ يُعْلَنَ بِإِسْنَادِ النِّيَابَةِ عَنِ وَالِدِهِ فِي أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ إِلَيْهِ ، وَيُشْهَرَ أَنَّ ذَلِكَ مَعُولٌ فِيهِ عَلَيْهِ : لِيُخَفَّفَ عَنِ السَّيِّدِ الْأَجَلَ أَمِيرَ الْجِيُوشِ أَمْرَ أَنْقَالِهَا ، وَيَتَحَمَّلَ عَنْهُ تَكْلِيفَهُ بَعْضَ أَحْوَالِهَا ؛ تَرْفِيهَا لِلْسَّيِّدِ الْأَجَلَ عَنِ التَّعَبِ ، وَتَخْفِيفًا مِنْ كَثْرَةِ النَّصَبِ ؛ عَلَى أَنْ عُلُوُّ قَدْرِهِ الْأَجَلَ لَمْ يُحْلِهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ مِنْ مِشَارَكَةٍ فِي التَّدِيرِ ، وَلَا صَدَّهُ عَنْ مِمَّا جَزَا فِي مُهِمٍّ كَبِيرٍ ؛ بَلْ مَا بَرِحَتْ يَدُهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ جَائِلَةً ، وَجَلَّالَةُ مَنْصِبِهِ تَقْضِي بِأَنْ تَكُونَ تَصَرُّفَاتُهُ لَجَمِيعِ الْأُمُورِ شَامِلَةً ؛ وَتَوْقِيعَاتُهُ مَاضِيَةً فِي الْأُمُورِ وَالرِّجَالِ ، وَالْجِهَاتِ وَالْأَعْمَالِ ؛ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّدَ الْأَجَلَ يَسْتَسْعِدَانِ بِأَدَاتِهِ ، وَيَتَّبِعَانِ فِي كُلِّ السِّيَاسَاتِ مَا هُوَ مُوَافِقٌ لِإِرَادَاتِهِ : لَمَّا خَصَّهُ اللَّهُ [بِهِ] مِنَ الْمَرَامِي الصَّائِبَةِ ، وَلِلْمَقَاصِدِ الَّتِي السَّعَادَةُ عَلَى مَا يَرِدُ مِنْهَا مُوَاطِبَةٌ ، وَجَبَلَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَافِظَةِ عَلَى حُسْنِ الْمَرْجِعِ وَحَمِيدِ الْعَاقِبَةِ - نَخْرَجُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى السَّيِّدِ الْأَجَلَ بِالْإِعَازِ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بَكْتَبِ هَذَا السَّجَلِ لَكَ : فَتَقَلَّدَ مَا قُلَّدْتَهُ مِنَ النِّيَابَةِ عَنِ وَالِدِكَ فِيمَا إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ مَمْلَكَتِهِ ، وَأَحْوَالِ دَوْلَتِهِ ؛ مُعْتَمِدًا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي بِهَا نَجَاةُ أَهْلِ الْيَقِينِ ، وَفَوْزُ سَعْدَاءِ الْمُتَّقِينَ ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ . وَاحْمِلْ عَنِ السَّيِّدِ الْأَجَلَ وَالِدِكَ مَا يُؤَثِّرُ أَنْ تَحْمِلَهُ عَنْهُ مِنَ الْأَنْقَالِ ، وَتَكْفُلْ مَا يَكْفُلُكَ إِيَّاهُ مِنَ الْأَشْغَالِ ؛ وَتَفْعَلْ مَا يَخْتَارُ أَنْ تُفْعَلَهُ ، وَأَنْجِزْ مَا يُؤَثِّرُ أَنْ تُنْجِزَهُ ؛ وَأَمْضِ مَا يُسِيرُ إِلَيْكَ بِإِمضَائِهِ مِنْ أَسَالِبِ التَّوْقِيعَاتِ ، وَفُنُونِ الْمُهِمَّاتِ ؛ وَقُمْ فِي كُلِّ مِنْ أُمُورِ نِيَابَتِكَ الْمَقَامَ الَّذِي يُرِضِيهِ ، وَيُوجِبُهُ بَرُّكَ وَيَقْتَضِيهِ ؛

(١) فِي الْأَصْلِ «إِلَيْكَ إِلَى إِمضَائِهِ» وَلَا يَخْفَى ضَعْفُهُ أَوْ بَطْلَانُهُ .

وقد جعلك الله ميمون النقيبه ، مسعود الضريبه ؛ مُكَلَّل الآدوات ، موهَّلاً لترقى الغايات ؛ لا تكبر عن مباشرتك كبيره ، ولا تَشْفُ^(١) عن رُتبتك رتبةً خطيره ؛ وأجر على عادة والدك فى حسن السياسة والتدبير ، والإجمال للأولياء لكما فى كل صغير من الأمور وكبير .

والوصايا متسعة الفنون ، كثيرة الشجون ؛ ولك من مزية الكمال ، وفضيلة الجلال ، ومساعدة الإقبال ، والخبرة بالجهات والأعمال ، وطوائف الأولياء والرجال ؛ ما يُعينك على استنباط دقائقها ، والعمل بحقائقها ، وسلوك أحسن طرائقها .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وجمته عليك ؛ فاعمل بأحكامه ، وأجر أمورك على نظامه ؛ وبالغ أيها السيد الأجل أمير الجيوش فى شكر نعمة الله التى ألهمت الملوك إشاعة فضلك ، وربت السعود على اكتناف عقدك وحلك ، ومنحتك آية كليم الله بفعلت لك وزيراً من أهلك ؛ فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



وعلى ذلك كتب بعض كتّابهم عن العاضد ، لرؤيك بن الصالح طلائع بن رؤيك ، بولاية المظالم وتقديم العسكر فى وزارة أبيه ، وهذه نسخته :

من عبد الله ووليه فلان أبى فلان الإمام الفلانى (بلقب الخلافة) أمير المؤمنين ، إلى فلان (بلقبه وكنيته) .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يُصلّى على جدّه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ؛ صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ؛ وسلّم تسليماً كثيراً .

(١) فى القاموس "شف يشف شفا زاد وقص" .

أما بعد، فالحمد لله الغامر بالطول والفضل، الأمر بالإحسان والعدل؛ موسع سبل الصلاح لبريئته، ومسبب أسباب النجاح لدينه الخفيف ومثلته؛ وجاعل أبرار أوليائه ذخائر معدة لنفع الخلق، ومُصْطَفِي سعادٍ أَحِبَّائِهِ لإعلاء منار الشرع وإقامة قسطاس الحق؛ وميسرهم للنهوض بالأعباء التي تتكفل بعصدة الدولة العلوية وتقوم، ومحتبيهم للفصل بمرضاته فيما يقضى بإغاثة الملهوف وإنصاف المظلوم؛ الذي تنقاد بمشيئته الأمور، وتتصرف بإرادته الدهور، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ ويعتدو فضله على عبادِه جسيما، و﴿ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

والحمد لله الذي أوضح بانيائه سبل الهدى للأَنَامِ، وأتقد بإرشادهم من عبادة الأوثان والأصنام؛ وأقام بجتهادهم أحكام مآشره من الملل والأديان، وأذهب بأنوارهم مآمر الأمم من غياهب الظلم والعدوان؛ وقفى على آثارهم بمن لانبوة بعد نبوته، ولا حجة أقطع من حجته؛ ولا وصلة أفضل من وصلة ذنرها لأمته، ولا ذرية أقوم بحق الله في حفظ نظام الإيمان من عثرته وذريته .

يمجده أمير المؤمنين على أن مكن له في الأرض، وذخر شفاعته لذوي الولاء في يوم النشور والعرض؛ وأورثه خصائص من مضى من أئمة الهدى آبائه، وأفرده بمعجز التأييد الذي أضاعت الآفاق بمشرق أنبائه؛ ويشكره على أن أئمة دولته بكفيل جدد جلبابها، وظهير أحكم أسبابها، ونصير بلغ بها في الولي والعدو مطالبا وآرابها؛ وأستجيب له من نجله خيلا يتلوه في الفضائل البارعة، وناصرًا يحاول في الذب عن حوزته عزما أمضى من السيوف القاطعة؛ وعصدا يقوم له بإرضاء الخالق والمخلوق، ومُسعدا لا يألو جهدا في إيصال المستحقين إلى ما جعله الله لهم

من الحقوق . ويسأله أن يصلي على جدّه محمّدٍ سيّدٍ من بلّغ عن الله رسالةً وأمراً ،
وأفضّل من دعا إلى توحيد بارئهِ سرّاً وجهراً ؛ وأكمل من جاهد عن دينه حتى
ظهرت بعد الدّروس جدّته ، وقهرت إثر الخُضوع عزّته ، وانتشرت في المشارق
والمغارب كلمته ودعوته ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وآبن عمّه أبينا على بن أبي طالب
قسيمه في الشّرف والأبوة ، وصديقه الأكبر فيما جاء به من النّبوة ؛ والمكمل بالنصّ
على إمامته الدّين ، وخامس الخمسة الذين سادسهم الرّوح الأمين ؛ وأبى الأئمة
الأبرار ، والهازم بمُفرده كلّ جيش جرّار ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما أعلام محبّة
الهدى ، وأنوار سبيل الإيمان التي بأنوارها يُستبصر ويُقتدى ؛ وأدلةً منهاج النجاة ،
وكاشفي غمّ الشكّ إذا الظلم دجّاه ؛ وسلّم ومجّد ، وتابع وردّد .

وإنّ أمير المؤمنين لما أصطفاه الله له من إرث سرّ الإمامة المصنّون المكنون ،
وحقّ بيانه العظيم الذي بالخُشوع لجلّاله أفلح المؤمنون ؛ واختاره [له] من نشر لواء
الحقّ ونصره ، وتأكّد أحكام الإنصاف ليحظى بعائنتها كافّة أهل زمنه وعصره ؛
وألبسه إياه من تاج خلافته الذي أشرق لبصائر العارفين نورُه الساطع ، وتجلّى لأفهام
الموقنين برهانه الصادع ودليله القاطع ؛ وأودعه من خفايا الحكم التي عدّب سلسيلها ،
وبلغ إلى النعيم الخالد دليلها وسيلها ؛ وكلّه لأيامه من الإقبال الذي جعلها مواسيمَ
زاهيةً بهجة النصر المبين ، وأعيادَ ظفّر تروّق بتوالي إبادة العادلين عن الطاعة
النّاكبين ؛ وأوقاتاً سعيدة تُفيد الدين وأولياءه عزّاً واعتلاء ، وتوجب للإيمان
أنصاره أقداراً وأسّتيلاء ، وتُسبغ عليهم كيفما تصوّرت بهم الأحوال مننّاً ضافيةً
وآلاء ؛ ويسرّه لعلمه من الإحاطة بكلّ مُغيّب مستور ، وأوجبه لأغراضه في كلّ
ما يرومه من مظاهر المقدور ؛ ومهّده لحلّوله من أشمخ منازل التطهير والتقديس ،
وشرف به شيمه من كلّ خلق نبوّى بارع نفيس ؛ وفصّله به من الكرم الذي لا ترأل

سُحِبَهُ تَجُودُ الْأُمِّ سَرَفًا، وَلَا تَنَفَّكَ غِيَوْتُهُ تُجِدْ لِمَنْ مُطِرَ بِهِ عَلَاءٌ وَشَرَفًا؛ وَلَا بَرَحَ وَابِلُهُ
يَعْمُ بِالنَّعْمِ الْغَرِّ الْحَسَامِ، وَلَا تَكْفُفُ سَيُوبُهُ عَنْ إِفَاضَةِ الْمَنَنِ الَّتِي عَلَتْ وَغَلَتْ فَلَا
تُسَامِحُ وَلَا تُسَامِ؛ وَخُصَّ بِهِ إِحْسَانُهُ مِنَ الْمُنَابَرَةِ عَلَى إِعْظَامِ الْمَنَاحِ لِلْمُسْتَوْجِبِينَ،
وَالْحَافِظَةِ عَلَى إِجْزَالِ الْمَوَاهِبِ لِلزُّدْلَيْنِ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُتَقَرِّينَ - يُجْهِدُ آرَاءَهُ
فِي آرْتِيَادٍ مِنْ تَضَاعُفٍ لِلْبَرِيَّةِ بِالْأَسْتِعَانَةِ بِكَالِهِ أَسْبَابُ الْمَصَالِحِ، وَتَتَأَكَّدُ لِلْأُمَّةِ
بِالتَّعْوِيلِ عَلَى بَارِعِ فَضْلِهِ أَحْكَامُ النَّجْحِ وَالْمَنَاجِ؛ وَتَقُومُ الْحُجَّةُ عِنْدَ اللَّهِ بِالْإِعْتِضَادِ
بِهِ فِيمَا يَقْضَى بِنَفْعِ [الْعِبَادِ]، وَيُسَهِّلُ الْإِعْتِدَادَ عَلَى دِيَانَتِهِ بِالنُّصْحِ لِلَّهِ فِي الْحَاضِرِ مِنْ بَرِيَّتِهِ
وَالْبَادِ؛ وَيَنْطِقُ شَرْفُ خَلِيقَتِهِ بِتَوْفَرِهِ عَلَى إِحْرَازِ مَغَانِمِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَتُعْرَبُ طَرَائِقُهُ
عَنِ السَّعْيِ الَّذِي لَا يَقِفُ فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِ دُونَ بُلُوغِ الْغَايَةِ الْقُصُوبِ؛ وَتَدُلُّ أَحْوَالُهُ
عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُ وَيَقُولُ، وَتُوضِّحُ أَخْبَارُهُ حُسْنَ تَأْتِيهِ
فِي مَصَالِحِ الْأُمِّ لِمَا يَعْجِزُ عَنْ أَسْتِنْبَاطِهِ رَوَاجُ الْعُقُولِ؛ وَيَقْتَدِحُ نَظَرُهُ أَنْوَارًا يُسْتَضَاءُ
بِهَا فِي طُرُقِ السِّيَاسَاتِ الْفَاضِلَةِ، وَيَفْتَتِحُ فِكْرُهُ أَبْوَابًا تَصْحَى بِهَا الْخَلِيقَةُ إِلَى الْخَيْرَاتِ
الْكَامِلَةِ وَاصِلِهِ؛ وَيَبْعِثُهُ حُسْنُ جِلَّتِهِ عَلَى أَنْ يَحْتَقِرَ فِي إِعَانَةِ الْبَرَايَا، عِظَائِمَ الْمَشَاقِّ،
وَيَدْعُوهُ كَرَمُ سَجِيَّتِهِ إِلَى أَنْ يَحْنُو عَلَى الرِّعَايَا، حُنُوًّا مَنْ يَتَوَخَّاهُمْ بِالرَّحْمَةِ وَالْإِشْفَاقِ؛
وَيَقْوَى بِإِعَانَتِهِ الْمُسْتَضْعَفُ قُوَّةً تُحَصِّنُهُ مِنْ عَدَوِي الْإِهْتِضَامِ، وَيَعِزُّ بِمِلَاحِظَتِهِ
الْمُسْتَذِلُّ عِزَّةً تُخْرِجُهُ عَنْ صُورَةِ الْمَقْهُورِ الْمُسْتَضَامِ؛ وَيَقْتَنِي الْآثَارَ الصَّالِحِيَّةَ فِي عَدْلِ
الطَّبَاعِ وَحُسْنِ الشِّمِّ، وَيَتَّبِعُ السُّنَنَ الْغِيَاثِيَّةَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ، وَيَقْصِدُ
فِي اللَّطْفِ بِالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ قَصْدَهَا، وَيَنْتَحِي نَوَاجِمَ الْبَاطِلِ فَيَعْتَمِدُ أَجْتِنَاطَهَا
وَحَصْدَهَا؛ وَيَكُونُ تَفْوِيضُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ تَوْثِقًا عِنْدَ خَالِقِهِ وَبَارِيهِ، وَاحْتِيَاطًا
لِنَفْسِهِ فِي أَسْتِنَادِ الْمَهْمَاتِ مِنْهُ إِلَى مَنْ لَا يُدَانِيهِ مُدَانٍ وَلَا يُبَارِيهِ؛ وَنَتِيجًا لِلدَّوْلَةِ
الْعُلَوِيَّةِ بِمَبَاشَرَتِهِ لِلْأَحْوَالِ تَيْمَنًا يُؤْذَنُ لَهَا بِإِدْرَاكِ كُلِّ مَطْلَبٍ بَعِيدٍ، وَتَسْتَعِدُّ بِحُسْنِ

سيرته آستسعادا يَفْضَى لِلنَّاحِجِ بِتَمَكِينٍ تُبْدَى فِيهِ وَتُعِيدُ ، وَتَحْتَالُ الْأَيَّامُ بِمَا آجَلْتَهُ
من جواهر مَفَاحِرِهِ ، وَتَزْدَانُ الْأَزْمَانُ بِمَا تَوْشَّحَتْهُ مِنْ مَنَاقِبِهِ الَّتِي حَقَرَتْ الْمُلُوكَ
فِي أَوَّلِ الدَّهْرِ وَآخِرِهِ .

وقد آكْتَفَيْتُكَ أَيُّهَا الْأَجَلُ عَنَايَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَأَشْتَمَلْتُ عَلَيْكَ ، وَتَبَاعَتْ
مَوَادُّ أَصْطِفَائِهِ وَآجِبَتَائِهِ إِلَيْكَ ، وَأُنَالَتْكَ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بَارِعٍ ، غَايَتُهُ ، وَأُظْهِرْتُ
فِيكَ لِكُلِّ كَيْلٍ رَائِعٍ ، آيَتُهُ ، وَجَمَعْتُ لَكَ مِنْ مُعْجَزَاتِ الْحَاسِنِ مَا لَوْلَا مُشَاهَدَتُكَ
لَوَجِبَ اسْتِحَالَةُ جَمْعِهِ ، وَلَا نَكْرُكُ كُلِّ مُتَدَبِّرٍ صَدَرَ حَدِيثُهُ عَنْ صَدَرِ صَدْرِهِ أَوْ وُرُودِ
سَمْعِهِ ، وَيَسَّرَ لَكَ تِمَامَ السَّعْدِ وَالْإِقْبَالِ ، التَّرَقَّى إِلَى ذِرْوَةِ الْعُلَى الَّتِي يَهَابُ النُّجُومُ أَنْ
تَمُرَّ مَلَا حَظَّتْهَا مِنْهُ بِيَالٌ ، وَتَأْتَتْ الْحُظُوظُ فِي إِعْظَامِ مَا خَوَّلَتْكَ مِنَ الْفَضَائِلِ الْبَاهِرَةِ
فَبَالَغَتْ وَتَنَاهَتْ ، وَأَغْرَقَتْ فِيمَا أَتَمَحَّفَتُكَ بِهِ مِنَ الْحَاسِنِ النَّادِرَةِ فَشَرَفَتْ بِكَ
وَتَبَاهَتْ ، حَتَّى غَدَا جَسِيمٌ مَأْقَدَمُ شَرْحِهِ مِنَ الشَّاءِ وَذِكْرُهُ ، وَعَظِيمٌ مَاجِبٌ مِنْهُ نَشْرُهُ
فَتَضَوَّعَ أَرْجُهُ وَنَشْرُهُ ، نَغْبَةٌ مِنْ بَحَارِهَا الزَّائِرَةِ ، وَشِدْرَةٌ مِنْ عُقُودِهَا الْفَاحِرَةِ ، وَقَلِيلًا
مِنْ كَثِيرِهَا الْجَسِيمِ ، وَضَيْلًا مِنْ جَزِيلِهَا الَّذِي آسَتْ كَلَّ خَصَائِصَ التَّعْظِيمِ .

وَاسْتَمْتَرَتْ فَانَتْ الْجَامِعُ لِمُفْتَرِقِ الْفَضَائِلِ الْمُلْكِيَةِ ، وَالْفَارِغُ ذُرَى الْجَلَالِ الَّذِي
أَفْرَدَتْكَ بِهِ الْمَوَاهِبُ الْمُلُوكِيَّةُ ، وَالْمُنْمُوحُ أَعْلَى رُتَبِ السِّيَادَةِ السَّارِيَةِ إِلَيْكَ مِنْ أَكْرَمِ
الْأُصُولِ ، وَالْمُلْمُوحُ بَارْتِقَاءِ هِضَابِ الْمَجْدِ الَّتِي عَجَزَ مُلُوكُ الْآفَاقِ عَنْ [الْإِتِّهَاءِ] إِلَيْهَا
وَالْوُصُولِ ، وَالْأَوْحُدُ الَّذِي بَدَّ الْعِظْمَاءَ فَعَظُمَ خَطَرًا وَقَدْرًا ، وَالْأَرْوَعُ الَّذِي أَنْقَادَتْ لَهُ
الصَّعَابُ فَرَحِبُ بَاعًا وَصَدْرًا ، وَالْعَالَمُ بِالْأُمُورِ الَّذِي أَصْبَحَ أَعْلَمَ مُلُوكِ الْأَرْضِ بِأَحْسَنِ
التَّدْبِيرِ وَأَدْرَى ، وَالْمُدْكِي بِأَنْوَارِ ذِكَاثِهِ فِي عَاتِمِ النَّوْبِ سِرَاجًا وَهَاجًا ، وَالْمُشْمَرُ فِي ذَاتِ
اللَّهِ فَلَا يُوجَدُ لَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَرْضَاهُ مَعَاجَا ، وَالْمُبْتَكِرُ مِنْ غَرَائِبِ السِّيَاسَاتِ مَا لَا تَرَالُ
مَحَاسِنُهُ عَلَى مَفْرَقِ الزَّمَنِ تَاجَا ، وَالْمُجَدِّ اللَّهْجُ بِتَمْجِيدِهِ كُلِّ مَقُولٍ وَلِسَانٍ ، وَالْمُعْجَزُ

كُلُّ مُتَعَاظٍ وَإِنْ كَانَ بَلِغًا بِدِيعِ الْإِحْسَانِ ؛ وَالْمُنْمُوخُ الْمُعْرِقُ فِي السِّيَادَةِ وَالْمُلْكَةِ ،
 وَالْمُبْتَدِعُ الْمَكَارِمِ أَبْكَارًا تَجَلُّ عَنْ أَنْ يُشَاهِيَهُ أَحَدٌ فِيهَا أَوْ يُشْرَكَه ؛ فَأَيَّاتُ مَجْدِكَ
 ظَاهِرَةٌ بَاهِرَةٌ ، وَغُرُّ خَلَاتِكَ فِي اخْتِرَاعِ الْمَآثِرِ وَأَفْتِرَاعِهَا مَاهِرَةٌ ؛ وَإِلَيْكَ إِيْمَاءُ
 السَّعَادَةِ وَإِشَارَاتُهَا ، وَالْدُّسُوتُ بِاعْتِلَاكِكَ مَنَاكِبَهَا تُسَامِي السَّمَاءَ أَرْجَاؤُهَا ، وَيَتَحَقَّقُ
 فِي الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ بِتَصَدُّرِكَ فِيهَا رَجَاؤُهَا ؛ فَلَا كَيْلَ إِلَّا مَا أَصْبَحَ إِلَيْكَ يُنْسَبُ ، وَلَا جَلَالَ
 إِلَّا مَا يُعَدُّ مِنْ خَصَائِصِكَ وَيُنْسَبُ ؛ وَلَمْ تَزَلْ لِرَبِّكَ خَاضِعًا ، وَلَشَرَفِكَ مُتَوَاضِعًا ؛
 وَأَنْوَارُ الْأَلَمِيَّةِ تُوضِّحُ لَكَ مِنْ طُرُقِ الْأَمَانَةِ مَا يَعِجْزُ عَنْ إِدْرَاكِهِ قَوَىُّ التَّجْرِبِ ،
 وَتُحْكَمُ لَكَ مِنْ أَحْكَامِ السِّيَاسَةِ مَا تَقْصُرُ عَنْ أَقْلِهِ فِطْنُ الْحُكَمَاءِ الشَّيْبِ ؛ وَتُبْدَى لَكَ
 أَسْرَارُ الْأَزْمَنَةِ الْمُتَطَاوِلَةِ فِي إِقْبَالِ سِنِّكَ ، وَتُلَيْنُ بِتَلَطُّفَاتِ صَلَابَةِ الْخُطُوبِ مَعَ نَضَارَةِ
 غُصْنِكَ ؛ وَمَا بَرِحَ ذِكْرُ أَخْبَارِ صَوْلَتِكَ ، وَحَدِيثُ مَا أَعْظَمَهُ اللَّهُ مِنْ فُرُوسِيَّتِكَ
 وَشَجَاعَتِكَ ، يُوفِّرُ حُلُومَ الْأَبْطَالِ فِي الْمَلَّاحِمِ إِذَا أَطَارَهَا الدُّعْرُ فَطَاشَتْ ، وَيُسَكِّنُ
 نَفُوسَ الْأَنْجَادِ فِي الْمَلَّاحِمِ إِذَا أَطَارَهَا الدُّعْرُ بَخَاشَتْ ؛ وَيُحَدِّثُ لِلْجَبْنَاءِ جُرْأَةً وَإِقْدَامًا ،
 وَيَجْعَلُ الْكَهَّامَ فِي الْحُرُوبِ مُدَلِّقًا حُسَامًا ؛ خَفِيلَاءُ الْأَعْوَجِيَّةِ زَهُومًا تَرْقُبُهُ مِنْ شَرَفِ
 أَمْتِطَائِكَ ، وَصَلِيلُ الْمَشْرِفَةِ تَرْنُمُ بِمُطَرِّبِ قَصَصِكَ وَأَنْبَاءِكَ ؛ وَاهْتَرَأُ السَّمْهَرِيَّةِ جَدَلُ
 بِمَا كَفَّلَتْهَا مِنْ إِشَادَةِ عِلَائِكَ ، وَضَمَّتْهَا مِنْ إِبَادَةِ أَعْدَائِكَ ؛ وَلَيْسَ بِغَرِيبٍ أَنْ تَفْضَلَ
 الْأَمْلَاكُ ، وَتَطَّأَ أَخَامُصُكَ السَّمَاءَ ؛ وَتَخْتَالَ فِي وَشَى الْوَصْفِ الْبَدِيعِ ، وَتُشْرِقَ أَسْرَةُ
 مَحَاسِنِكَ فَتُخْجَلَ ضَوْءُ الصُّبْحِ الصَّدِيعِ ؛ وَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ مَعَ فَضْلِ الْخَلِيقَةِ وَالْفِطْرَةِ ،
 وَكَيْلِ الْخَصَائِصِ الَّتِي غَدَا كُلُّ مِنْهَا فِي يَدَيْهِ الْمُعْجِزَاتِ نَذْرُهُ ، بِبُتُوَّةٍ مُغِيثِ الْأَنَامِ ،
 وَمُصْلِحِ الْأَيَّامِ ؛ وَكَفِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَافِيهِ ، وَمُبْرِيئِ مُلْكِهِ مِنْ أَسْقَامِ الْحَوَادِثِ
 وَشَافِيهِ ؛ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْمَلِكِ (وَنَمَّةُ النُّعُوتِ وَالِدَعَاءِ) الَّذِي أَنْتَظَاهُ اللَّهُ لِكَشْفِ
 الْعُغْمِ ، وَارْتِضَاهُ لَتَدْيِيرِ الْأُمَمِ ، وَفَضْلُهُ عَلَى مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ؛ وَشَمَخُ عِلَاوَتِهِ فَتَظَامَنَ

له كل على ودان، وسمت مواطئ أقدامه فتمنت منالها مواطئ التيجان؛ وحاز بالمساعي
الفضل الباهر أجمع، وأستولى على بواهر الحكم بالنظر الناقب والقلب الأصم؛ وأفرد^(١)
بكال عز أن تدركه الآمال، أو يكون لأشتطاطها فيه مطمع أو مجال؛ وغدا النصر
المبين تابعا لعذب الويته، وحسن إقباله في كل موطن كفيلا بإدبار العدو وتوليته؛
وأجاب داعي الله إذ استنصر لآل بيت النبوة واستصرخ، ولبي دعاءه تلبية تستطر
أخبارها على ممر الزمان وتورخ؛ وأجلى شياطين الضلال وقد تبع في زعيمها
الجاحد وثنا، وصدها بالعزم المرهف عما أصرت عليه من منكر الإلحاد وثنا؛
وبدلت سطاء جبابرة الطغاة من الأوطان بعدا وشحقا، وأمتعهم فتكاته من الأعداء
الوافرة إفناء وشحقا، وأذاقتهم حملات جيوشه وبأل أمر من عاضد باطلا وعاند
حقا؛ وجعلتهم شيفار سيوفه الباترة في التنايف حصيدا، ورمت بالإرغام والإضرع
معاطسهم وخدودهم بعد أن عمروا شتيا وصيدا؛ وقصد بمواضيا أشلاءهم ودماءهم
فألجم غروبها وسقى، وكشف بلوامعها عن الدولة الفاطمية من معزتهم جنح عاتما
وغسقا؛ وكفل أمورهم فأحسن الإيالة والكفالة، وأعادها إلى أفضل ما تقدم لها
من القوة والفخامة والجلالة؛ ونظر أحوالها فقوم كل معوج وعدل كل مائل،
وحباها ملبس جمالي تقبح عند بهجته ملابس الخائل.

ولما أباد عصب العناد، عطف على الاجتهاد في الجهاد؛ فجابت بحافله متقاف
الأقطار، ونالت من الفتك بالكفرة في أقصى بلادها نهاية الأوطار، وانتزعت منهم
الحصون، واستباححت المنع المصون؛ حتى أصارت جلدتهم المشهور فشلا، وقبض
إقدامهم المذكور وشلا؛ وشمل الأمة بسيرة عرفت بالعدل والإحسان، وأحظت

الخلائق بالأمن المديد الظلال؛ وأرضتهم بالعيش الرائق الزلال؛ وأنالتهن من المطالب ما أئسعت لإدراكه خطأ الآمال؛ وجاد ففضح الغائم؛ ومن على ذوى الذنوب حتى كاد يتقرب إليه بالجرائم؛ وأقال عثرات كبرت فلولا كرم سجيته لم يرم الإقالة من خطرها رائم؛ وأمدته الله من معجزات البلاغة والبيان، وغرائب الحكم البديعة الإفتنان، ما يستخف الأحلام بفرط الطرب والإفتان؛ ولم يزل منذ كان يحى سرح الدين، ويضم نشر المؤمنين، ويبذل نفسه الشريفة في نصرة الدولة العلوية بذل أكمل ناصر وأفضل معين؛ وتكبر عظام الخطوب فيكون عزمه أعظم وأكبر، وترهى الأيام بغر محاسنه وهو لا يزهى ولا يتكبر؛ فقد عز جانب كماله، عن أن يناهضه جهد المديح، وارتفع محل جلاله، فلا ينال تكييفه بإشارة ولا تصريح، وعظم قدر مفاخره فلم يقابل إلا بموالاة التمجيد خالقه والتسبيح؛ ووجب على متصفح خصائصه الموالاة في التعظيم، ولزوم منهج استيداع لا يبرح عنه ولا يريم؛ ومبالغة قوله تعالى :
 ((ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)) .

فبلغ الله أمير المؤمنين في إطالة مدته الآمال، وأبقى لمدته باستمرار نظره الخط والجمل؛ وفتح له المشارق والمغارب بهمه العالية وعزائمه، وجعل نواجم الإلحاد حصائد سفار صوارمه؛ فانخرأيتها الرجل بأصلك وفرعك كيف شيت، وأبجج بما منحت منه وأوتيت، ووال شكر خالقك على ما حولت وأوليت؛ فما نخر بمنل نحر ملك سديد، ولا تباهى الدهر لأحد بمنل ماتباهى في حقك ولا أبدع .

ولما تكامل لك أيها الأجل بلوغ هذا الفضل الجسيم، وتم ما منحته من المجد الحادث والقديم، جدد أمير المؤمنين لك شعار التعظيم، وكمل لديك المفاخر تكميل العقد العظيم؛ وجعل الخير في امرته لك عيانا، وأقامك للدولة الفائزة والمملكة

الصالحية بُرْهانا، وجعلك لكافة المسلمين في أقطار الأرض سُلطاناً؛ وطابق بين ماخصك به من السمات السنية، وبين مامكنه لك من المراتب العلية؛ فأنتخذك لدولته ناصراً وعُضداً، وأنتخبك للإسلام مجداً وسنداً، وأحيا بمُرافدتك أنصار الدين، وشفى بنظرك صدور المؤمنين؛ واستخلصك لنفسه النفيسة حياً وخليلاً، وبلغ بك إلى الغاية القصوى إعلاءً وتجيلاً؛ وشرَّفك بخَلع بديعة من أخص ملايس الخلافة تروق محاسنها كل النواظر، وتفوق بدائعها ماديجه زهر الروض الناضر؛ وقلَّدك سيفاً يؤذن بالتقليد، ويشير بالنصر الدائم المزيدي؛ تتنافس في مَنته وفريده الجواهر، ويستولي ناصعها على الباطن منه والظاهر؛ وعززها بالتشريفات التي اكتسبتها البهجة والبهاء، وبلغتها في العلى إلى الغاية التي ليس بعدها انتهاء؛ وآثر أن تُبسِّط يدك في التدبير، ويُعَدِّق بك ما هو عنده بالمحلِّ الكبير؛ ويُجمَع لك من أشتات دولته ما لم يُعرف لجمع مثله في سالف الزمن نظير، ويسند إلى كمالك ما يعودُ النفع بصلاحه على المأمور من الأنام والأُمير .

فقاوَضَ أيُّها السيد الأجلُّ الملك الصالح والدك أدام الله قدرته، وأعلى كلمته؛ في ذلك مُفاوضةً أفضت إلى وقوع الإجماع على أنك أكل ملوك دهرِكِينا، وأصَحَّهم يقينا؛ وأشرفهم نفساً وأخلاقاً، وأكرمهم أصولاً وأعرافاً؛ وأمثلهم طريقةً وأحسنهم سيرةً، وأثَقَّهم صدراً وأطهرهم سريره؛ وأشَفَّهم جوهرًا وأزكاهم ضريبةً وأثَقَّهم لله سرًّا وعَلَنًا، وأولاهم بأن لا يصُدِّر عنه من الأفعال إلَّا جميلًا حسنًا؛ وأنت أفضَلُ مَنْ عَدَّق أمير المؤمنين بنظره أمر الدنيا والدين، وأسند إلى ملاحظته أحوالُ أمراء الدولة ورجالها أجمعين، وفوض مصالح المسلمين منه إلى التَّيِّ الأمين؛ وأنَّ السيد الأجلَّ الملك الصالح أدام الله قدرته لما أخلص محله عند أمير المؤمنين بتأعِ الإشادة، وتفردَ باستمرار المضاعفة بإذن الله تعالى والزيادة؛

وَأَسْتَوِي عَلَى الْأَمْدِ الْأَقْصَى فِي السَّمَوَاتِ وَالتَّعَالَى، وَأَنْخَفَضْتُ عَنْ ثَرَاهِ ذُرَى أَشْمَخِ
الْمَعَالِي، كَانَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِ فِي الْجَلَالِ وَأَنْتَ ثَانِيهِ، وَالسَّابِقِ فِي الْفَخَارِ
وَأَنْتَ تَالِيهِ؛ وَدَلَّ بِفَضْلِكَ عَلَى فَضْلِهِ دِلَالَةُ الصَّبْحِ عَلَى النَّهَارِ، وَالنَّمَاءِ عَلَى الْإِبْدَارِ،
وَالثَّرِّ الطَّيِّبِ عَلَى فَضِيلَةِ الْأَصْلِ وَالنَّجَارِ؛ فَتَبَارَكَ مُوَلِي الْمَنِّ لِأَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ، الْقَائِلِ
فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ .

وَقَرَّرَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِشْفَافَ أُمُورِ الْمَظَالِمِ، وَإِنْصَافَ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ؛
وَالنَّظَرَ فِي آسَفْهِ سَلَارِيَةِ الْعَسَاكِرِ الْمُؤَيَّدَةِ الْمَنْصُورَةِ إِثَارًا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنْ يَجْعَلَ
لَكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَيْسَرًا، وَيُثَبِّتَ لَكَ فِي كُلِّ مِنْ أُمُورِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ حَدِيثًا
حَسَنًا وَآثَرًا؛ وَرَتَّبَ ذَلِكَ لَكَ تَرْتِيبًا يَضَعُجُهُ التَّوْفِيقُ وَيُلْزِمُهُ، وَيَكْمَلُهُ السَّعْدُ وَيَتِمُّهُ؛
وَيُحِيطُ بِهِ الْيَمْنُ وَالنَّجَاحُ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْحِظُّ وَالْفَلَاحُ . فَقُلْتُ مَا قُلْتُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ، مَتَمِّسِكًا بِأَسْبَابِ وَلَائِهِ وَعِصْمِهِ؛ جَارِيًا عَلَى أَحْسَنِ عَادَاتِكَ فِي مِرَاقَبَةِ
اللَّهِ وَخِيفَتِهِ، مُسْتَمِرًّا عَلَى أَفْضَلِ حَالَاتِكَ فِي خَشْيَتِهِ؛ مُتَّبِعًا أَوَامِرَهُ فِي الْعَمَلِ بِتَقْوَاهُ،
وَزَاجِرًا لِلنَّفْسِ عَمَّا تُؤْثِرُهُ وَتَهْوَاهُ؛ بِقَوْلِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الْمَبِينِ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَظَالِمَ كَثُرَ مِنْ كُنُوزِ الرَّحْمَةِ، وَبَابُ يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى مُصْلَحَةِ الْأُمَمِ،
وَوَسِيلَةٌ يَتَوَسَّلُ بِهَا السُّعْدَاءُ إِلَى خَالِقِهِمْ فِي اسْتِبْقَاءِ مَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ؛
فَاجْلِسْ لَهَا جُلُوسًا عَامًّا تَرْفَعُ فِيهِ الْحِجَابَ، وَتُسِّرُ لِلْوُصُولِ إِلَيْكَ عِنْدَهُ الْأَسْبَابَ؛
وَتَأْمُرَ بِتَقْرِيبِ الْمُتَظَلِّمِينَ، وَتَوْعِزَ بِإِدْنَائِهِمْ لِتَسْمَعَ كَلَامَ الشَّاكِينَ؛ وَتَوْفِّرَ عَلَى الْأَخْذِ
بِيدِ الْمُسْتَضْعَفِ الْقَرِيعِ^(٢)، وَالْحُرْمَةِ الَّتِي لَا تَجِدُ سَبِيلًا لِلْإِنْصَافِ وَلَا تَسْتَطِيعُ؛ وَتَتَقَدَّمُ

(١) يريد ولاية المظالم . (٢) من معان القريع المغلوب وهو المناسب هنا .

بأن تُحْضَر بين يديك النَّائِبَ في الحُكْمِ العَزيزِ الذی علی فُتْیاءِ مَدَارِ أَحْکامِ الدین ،
وَمَنْ تَحْتَاجُهُ مِنَ الموقَّعین والدَّوَائِنِ ؛ وتأمُر بِإِحْضارِ القِصَصِ وعَرَضِها ، وتُتَمَلِّ
دَعَاوِیَ المُنْتَظَمِینِ فی إِبْرَامِها ونَقْضِها ؛ وتوقُّعُ علی کُلِّ مَنها بِما یقتضیه الشَّرعُ
وأَحْکامُها ، ویوجِبُه العَدْلُ ونِظامُها .

وأنظر فی مُشِکَلِ القِصَصِ نظراً یُزِيلُ إشْکالَها ، ویجْعَلُ إلى لَوَازِمِ الشَّرعِ والحقِّ
مَآلَها ؛ وراعِ أَمَرَ المَنازَعَاتِ حَتَّى تَنْتَهِیَ إلى الأَوَاخِرِ ، ولا یبقِ فیها تَأَمُّلٌ لِمَتَأَمَّلِ
ولا نَظَرٌ لِنَظَرٍ ؛ وتُخْرِجُ أوامِرَکَ بِإِیصالِ کُلِّ ذی حَقٍّ إلى حَقِّه ، وَکَفِّ کُلِّ مُتَعَدِّ
عَنْ سُلُوكِ سَبِيلِ العُدُوَانِ وطَرَفِهِ . ولیکن الضَّعیفُ أَقْوَى الاقْویاءِ عِنْدَکَ إلى أَنْ یَصَلَ
إلى حَقِّه مَوْقِراً ، والقَوِیُّ أَضْعَفُ الضَّعْفاءِ حَتَّى یَخْرُجَ مِمَّا عَلَیهِ طَائِعاً أَوْ مُجْبِراً ؛ والشَّرعُ
والعَدْلُ فهُما قِسْطُ سَاسِ اللَّهِ فی أرضِهِ ، ومُعِینا [نَ عَلِی] الحقِّ مِنْ أَرَادَ العَمَلَ بِواجِبِ
الحَقِّ وفَرَضِهِ ؛ نَحْذِیهما وَأَعْطِ بَینَ العِبادِ ، وَأَنْتِ أَحْکامُهما فیما قُرْبُ وَبُعدُ مِنْ
الِبِلادِ ؛ وسَواءُ یَهِما فی الحَقُوقِ بَینَ الأَنامِ ، وَصَرَفَ النِّصْفَةَ بِحُکْمِهما بَینَ الخِواصِّ
والْعَوامِ ، حَتَّى یَتَنَصَّفَ المَشْرُوفُ مِنَ الشَّرِیفِ ، والضَّعیفُ مِنْ ذِی القُوَّةِ العَینِ ؛
والمَغْمُورُ مِنَ الشَّهِیرِ ، والمَأْمُورُ مِنَ الأَمِیرِ ، والصَّغِیرُ مِنَ الکَبِیرِ ؛ وَأَسْتَکْثِرُ بِإِغاثَةِ عِبادِ
اللَّهِ ذِخائِرَ الرِّضْوانِ ، وَأَسْتَفْتِحُ بِقیامِکَ بِحَقُوقِ اللَّهِ فیهِمَ أَبْوابَ الحِنانِ ؛ وَأَعْمَمُ بِسَعیدِ
نَظَرِکَ وَتَأَمُّ تَفَقُّدِکَ ومَلاحِظَتِکَ جَمیعَ صُدُورِ أَوْلِیاءِ الدَّولَةِ وَکِبَرائِها ، وَمُقَدِّمِها
المَطْوَقیْنَ وَأَمْرائِها ؛ ومِیزِها الأَعیانَ ، وَرِجالَها الظَّاهِرَةَ نَجَدْتُهُمَ لِلعیانِ ؛ وَتَوَخَّ الوُجُوهَ
مِنْهُمَ بِالإِجْلالِ والإِجْبارِ ، وَتَبْلِیغِ الأَغْراضِ والأَوْطارِ ؛ وَالتَّمِیزِ الذِی یَحْفَظُ نِظامَ
رُتَبِهِمَ ، وَیُنِیلُهُمَ مِنْ حِراسَةِ المَنازِلِ غَایَةً أَرَبَهُمَ ؛ وَأَلْقَهُمَ مُسْتَبْشِراً کَعادَتِکَ الحُسْنی ،
وَأَجَرَ مَعَهُمْ فی کَرَمِ الأخلاقِ عَلَی مَذْهِبِکَ الأَسْنی ؛ وَعَرَفَهُمَ بِإِقبالِکَ عَلَی مِصالِحِ
أُمُورِهِمَ ، وَأَتَّجَاهُکَ لِصَالحِ شُؤنِهِمَ ، بِرَکَةِ آسْتِمالِهِمَ بِفَضْلِکَ ، وَالتَّحافُهِمَ بِظُلْمِکَ ؛

وَأَقْصَدَ مَنْ يَلِيهِمْ بِمَا يَبْسُطُ آمَالَهُمْ ، وَيُوسِعُ فِي التَّكْرِمَةِ مَجَالَهُمْ ؛ وَيُكْسِبُهُمْ عِزَّةَ
 الإِدْنَاءِ والتَّقَرُّيبِ ، وَيُخَصِّصُهُمْ مِنْ إِحْفَائِكَ بِأَوْفَرِ سَهْمٍ وَنِصِيبٍ ؛ وَكَافَّةَ الرِّجَالِ فَاحْفَظْ
 نِظَامَهُمْ بِحُسْنِ التَّدِيرِ ، وَأَثَرُفِهِمْ بِجَيِّلِ النَّظَرِ أَحْسَنَ التَّأْيِيدِ ؛ وَتَوَخَّهِمْ بِمَا يُشَدُّ
 بِاهْتِمَاكَ أَرْزَهُمْ ، وَيُصْلِحْ بِتَفَقُّدِكَ أَمْرَهُمْ ، وَيقِفْ عَلَى الطَّاعَةِ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ ؛
 وَيُسِّرْ لَهُمْ أَسْبَابَ الْمَصَالِحِ وَيُسَهِّلْهَا ، وَيَتِمِّمْ لِمَطْلَبِهِمْ أَحْكَامَ الْمَيَامِنِ وَيُكْمِّلْهَا ؛
 وَأَصِفْ لِمَجْمُوعِ ذِكْرِهِمْ مِنْ سَابِقِ فِي التَّقْدِيمَةِ وَتَالِ ، وَمُخْلِصِ فِي الْمَشَايِعَةِ وَمُؤَالِ ، مَنَاهِلَ
 إِحْسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الطَّامِيَةِ الْجَمَامِ ، الْمُتَعَرِّضَةِ مَوَارِدُهَا الْعَذْبَةَ لِأَدْوَاءِ كَافَّةِ الْأَنَامِ ؛
 فَهَمُ أَنْصَارُ الدَّوْلَةِ وَأَعْوَانُهَا ، وَأَبْنَاءُ الدَّعْوَةِ وَخُلَصَاؤُهَا وَشُجْعَانُ الْمُلْكَةِ وَقُرَسَانُهَا ؛
 وَتَوْحِيدُ خِلَاصِهَا عِنْدَ اعْتِرَاضِ الْكُرُوبِ ، وَسَيُوفُهَا الْمَذْرَبَةُ الْقَاطِعَةُ الْغُرُوبِ ؛
 وَأَسْتَنْتَاهَا الْمُتَوَغِّلَةُ مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي سُودَاءِ الْقُلُوبِ ، وَخِزْبُهَا الَّذِي أُذِنَ اللَّهُ بِأَنَّهُ الْغَالِبُ
 غَيْرُ الْمَغْلُوبِ ؛ وَلِكُلِّ مِنْهُمْ مَتَرِلُهُ مِنَ التَّقْدِيمِ ، وَمَوْضِعُهُ مِنَ الْأَشْتِمَالِ بِظِلِّ الطَّوْلِ
 الْعَمِيمِ ، وَمَحَلُّهُ مِنَ الْغَنَاءِ وَمَكَانُهُ مِنَ الْكِفَايَةِ الَّذِي بَلَغَ إِلَيْهِ فَسَدَهُ . فَرَتَّبَ كُلًّا مِنْ
 الْمَقْدَمِينَ فِي الْمَوْضِعِ الْجَدِيدِ بِهِ اللَّاتِقُ ، وَأَوْضَحَ لِلْمُؤَقِّينَ أَنْوَارَ مَرَاثِدِكَ لِيَلْحَقَ
 بِتَهْذِيكِ السُّكَيْتِ مِنْهُمْ بِالسَّابِقِ .

وَالْوَصَايَا مَتَسِعَةُ النَّطَاقِ ، مَتَشَعِّبَةُ الْإِسْتِثْقَاقِ ؛ وَلَمْ يَسْتَوْعِبْ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 أَقْسَامَهَا ، وَلَا حَاوَلَ إِتْمَامَهَا : لِلْإِسْتِغْنَاءِ بِمَا لَكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي غَدَتْ فِي أَسْتِنْبَاطِ
 حِكْمِ السِّيَاسَاتِ أَكْبَرُ مَعِينٍ ، وَالْفِطْرَةِ النَّفْسِيَةِ الَّتِي تُمَدِّدُكَ مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ بِأَغْزَرِ مَعِينٍ ؛
 وَلَا يَزَالُ يُضِيءُ لِبَصِيرَتِكَ مِنْ أَنْوَارِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْمَلِكِ الصَّالِحِ - أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ -

(١) لعله وأصف لجميع من ذكرتهم من سابق الخ . تأمل .

(٢) فِي الْأَصْلِ "أَخْتَلَفْنَاهَا" . تأمل .

التي لا تَبْرَحُ للبصائر لَامِعَةٍ ، ولِحَاسِنِ الأفعال وَغُرَرِهَا جامعَةٍ ؛ مَا تَسْتَعِينُ بِأَصْوَاتِهَا ^(١) عَلَى الْغَرَضِ الْمَطْلُوبِ مِنَ الْإِصَابَةِ وَأَكْثَرِ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَإِنْعَامُهُ عَلَيْكَ ؛ فَتَلَقَّهِ مِنَ الشُّكْرِ بِمَا يَكُونُ لِلزَّيْدِ سَبَبًا مُؤَكَّدًا ، وَيَعْدُو الْإِحْسَانَ مَعَهُ مُرَدَّدًا مُجَدَّدًا ؛ وَأَبْدُلْ جُهِدَكَ فِيمَا أَرْضَى اللَّهُ وَأَرْضَى إِمَامَ الْعَصْرِ ، وَثَابِرْ عَلَى الْأَعْمَالِ الَّتِي تُنَاسِبُ فَضَائِلِكَ الْمُتَجَاوِزَةَ حَدَّ الْحَصْرِ ؛ وَاللَّهُ يُعْضِدُكَ بِالتَّوْفِيقِ ، وَيُمَهِّدُكَ إِلَى السَّعَادَةِ أَسْهَلَ طَرِيقٍ ؛ وَيُرْهِفُ فِي الْحَرْبِ عَزَائِمَكَ ، وَيُمِضِي فِي الْأَعْدَاءِ صَوَارِمَكَ ؛ وَيَضَاعِفُ لَكَ مَوَادَّ النُّصْرَةِ وَالتَّائِيدِ ، وَيُخَصِّصُ بِنَاءَ مَجْدِكَ بِالْإِعْلَاءِ وَالتَّشْيِيدِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

قُلْتُ : وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ مَا كَانَ يَكْتُبُ فِي دَوْلَتِهِمْ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ سِجَلَاتٍ كَبَارَ نِيَابَاتِهِمْ ، حَالِ اسْتِفْحَالِ الدَّوْلَةِ فِي مَبَادِي أَمْرِهَا ، قَبْلَ نُحُورِ الْبِلَادِ الشَّاسِعَةِ عَنْهَا وَاسْتِفْلَاعِهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ : كِدَمَشَقْ وَمُضَافَاتِهَا مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ قَبْلَ نُحُورِهَا عَنْهُمْ لَبِنِي أُرْتُقْ فِي زَمَنِ الْمُسْتَنْصِرِ أَحَدِ خَلْقَائِهِمْ ؛ وَكَأَفْرِيقَةٍ وَمَا مَعَهَا مِنْ بِلَادِ الْغَرْبِ قَبْلَ تَغْلِبِ الْمُعَزِّزِ بْنِ بَادِيسِ نَائِبِ الْمُسْتَنْصِرِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهُ بِهَا وَقَطْعِ الْخُطْبَةِ لَهُ ؛ وَبِكُزَيْرَةِ صِقْلِيَّةَ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ قَبْلَ تَغْلِبِ رُجَّارِ أَحَدِ مُلُوكِ الْفَرَنْجِ عَلَيْهَا وَأَنْتَزَاعِهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ فِي زَمَنِ الْمُسْتَنْصِرِ الْمَذْكُورِ أَيْضًا ؛ فَإِنَّ مَشَقَّ وَأَفْرِيقَةَ وَصِقْلِيَّةَ كَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ نِيَابَاتِهِمْ ، وَأَجَلُّ وَلَايَاتِهِمْ ؛ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَكُونَ فِي كِتَابَةِ السِّجَلَاتِ عَنْدهُمْ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ .

(١) فِي الْأَصْلِ " فَاسْتَدَ " . تَأَمَّلْ .

المرتبة الثانية

(من المذهب الأول من سَجَلَاتِ ولايات الفاطميين أن يُقْتَح السَّجَلُ بالتصدير، فيقال : « من عبد الله وولَّه » إلى آخر التصلية ، ثم يُؤْتَى بالتحميد مرة واحدةً ويُؤْتَى في الباقي بنسبة ماتقدم ، إلا أنه يكونُ أخَصَر مما يُؤْتَى به مع التحميدات الثلاث)

ثم هي إما لأرباب السُّيُوف أو لأرباب الأقلام من أرباب الوظائف الدِّينية والوظائف الدِّيوانية .

فاما السَّجَلَات المَكْتَبَةُ لأرباب السُّيُوف ، فمن ذلك نسخة سَجَلِ بولاية القاهرة من هذه الرتبة : لِرَفْعَةٍ قدر متولَّيها حينئذٍ ، وهي :
من عبد الله وولَّه (إلى آخره) .

أما بعدُ ، فالحمد لله رافع الدَّرَجَات ومُعَلِّمها ، ومُؤَلِّي الآلاء ومُؤَالِيها ؛ ومُحَسِّن الجزاء لمن أحسن عَمَلًا ، ومُضَاعِف الحِباء للذين لا يَبْغُونَ عن طاعته حَوْلًا ؛ ومنيل أفضل المَوَاهِب ومُحَوِّلها ، ومَتَمِّم النعمة على القائم بِشُكْرِها ومُكَمِّلها ؛ مُتَّبِع المِنَّة السالفة بنظائرها وأشكالها ، والمُجَاوِز على الحَسَنَةِ بعَشْرِ أمثالها ؛ وصلى الله على جدِّنا محمدٍ رسولِهِ الذي أَقام عِمَادَ الدين الخَفيف ورفَعَهُ ، وخَفَضَ بِجِهاده مَنَارَ الإلحاد ووضَعَهُ ؛ وأرَغَمَ عِبْدَةَ الصَّليب والأوثان ، ونَشَرَ في أَقْطَار المملَكَةِ كلمةَ الإسلام والإيمان ؛ وكَشَفَ غِايِبَ الضَّلال بأنوار الهدى الألامِية ، وهَتَكَ حِجَابَ الكُفْرِ ببراہين التوحيد الصاعدة وسيوف النصر القاطعة ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمِّه أبنينا أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، سيف الحقِّ الماضي المَضَارِب ، وبَحْر العلم الطامى

الْبَلَجِ وَالْعَوَارِبِ ؛ وَمَعِينِ الْحِكْمَةِ الْعَذْبِ الْمَشَارِعِ ؛ وَالْمَخْصُوصِ بِكُلِّ شَرَفٍ بَاسِقٍ وَفَضِيلٍ بَارِعٍ ؛ وَعَلَى أَهْلِهَا سَادَةِ الْأَنَامِ ، وَحِمَاةِ سِرْحِ الْإِسْلَامِ ؛ وَمَوْصَحَى حَقَائِقِ الدِّينِ ، وَقَاهِرَى أَحْزَابِ الْمُلْحَدِينَ ؛ وَسَلَّمٌ وَمَجْدٌ ، وَضَاعَفَ وَجَدُّ .

وإنَّ أميرَ المؤمنين لما آتاه الله من شَرَفِ الْمُحْتَدِ وَالنَّجَارِ ، وَتَوَجَّهَ بِهِ مِنْ تَيْجَانِ الْإِمَامَةِ الْمُشْرِقَةِ الْأَنْوَارِ ، وَأَلْقَاهُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَالِيدِ الْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ ، وَأَنَالَهُ إِيَّاهُ مِنْ الْخِلَافَةِ فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّفَاعَةِ فِي يَوْمِ الْعَرْضِ ؛ وَعَدَقَهُ بِهِ مِنْ إِيضَاحِ سُبُلِ الْهُدَى اللَّامِعَةِ ، وَهَتَكَ حِجَابِ الْكُفْرِ بِرَاهِينِ التَّوْحِيدِ الصَّادِعَةِ وَسُيُوفِ النُّصْرِ الْقَاطِعَةِ ؛ إِلَى الْأَنَامِ ، وَأُطْلِعَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْرَارِ الْحِكْمَةِ بِمُنَاجَاةِ الْإِلَهَامِ ؛ وَأَقَامَهُ لَهُ مِنْ إِعْلَاءِ مَنَارِ الْمِلَّةِ وَتَقْوِيمِ عِمَادِ الْحَقِّ ، وَأَمَدَّهُ بِهِ آرَاءَهُ مِنَ الْعَنَايَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ فِيمَا جَلَّ وَدَقَّ ؛ وَأَمْضَاهُ لَهُ فِي الْأَفْطَارِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي ، وَأَفْرَدَهُ بِهِ مِنَ الْخَصَائِصِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي يَقْصُرُ عَنْ تَعْدِيدِهَا إِسْهَابُ الْوَاصِفِ الْمُتَنَاهِي ؛ وَيَسَّرَهُ لِإِرَادَتِهِ مِنْ أَقْبَادِ كُلِّ أَبِي جَاحٍ ، وَحَبَّبَهُ إِلَيْهِ مِنْ آسْتِمَالِ السَّيْرِ الْمُسْتَدْنِيَّةِ مِنَ الْمَصَالِحِ كُلِّ بَعِيدٍ نَازِحٍ - يُضَاعِفُ بِهِآءَ أَبَائِهِ بِاصْطِفَاءِ ذَوِي الصَّفَاءِ ، وَيَزِيدُ فِي بَهْجَةِ زَمَانِهِ بِاسْتِكْفَاءِ أَوْلَى الْوَفَاءِ ؛ وَرَفَعَ مَنَازِلَ الْمُعْرِفِينَ فِي الْوَلَاءِ إِلَى غَايَاتِ السَّنَاءِ ، وَيُنِيلُ الْمُخْلِصِينَ مِنَ الْحَبَاءِ ، مَا يُدِلُّ عَلَى مُوَاضِعِهِمُ الْخَطِيرَةِ مِنَ الْأَجْتِنَاءِ ؛ وَيُسْنِدُ مَعَالِيَ الْأُمُورِ ، إِلَى الْأَعْيَانِ الصُّدُورِ ؛ وَيَعْدِقُ الْوَلَايَاتِ الْخَطِيرَةَ ، بِمَنْ حُسُنَتْ مِنْهُ الْآثَارُ وَالسَّيْرَةُ ، وَأَظْهَرَ تَغَايُرُ الْأُمُورِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ خُلُوصِ النِّيَّةِ وَتَقَاءِ السَّرِيرَةِ ؛ وَاسْتَوَلَى عَلَى جَوَامِعِ الْفَضْلِ وَغَايَاتِهِ ، وَقَصُرَتْ هِمُّهُمُ الْأَكْفَاءُ عَنْ مِمَّا لَتَتْهُ فِي الْغَنَاءِ وَمُسَاوَاتِهِ ؛ وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ الْمَنَاقِبُ قِيَادَ الْمُسْتَسْلِمِ الْمُسَلَّمِ ،

(١) جمع عارب أو عاربة . يقال ماء عرب كثير ونهر عرب و بئر عربية كثيرة الماء والفعل من كل ذلك

عرب عربا فهو عارب وعاربة . انظر اللسان ج ٢ ص ٨١ .

(٢) متعلق بإيضاح سبل الهدى فتنبه .

وأعجز تعديد محاسنه البارعة كل ناطق ومتكلم ؛ وسمت هيمته إلى آكتساب الفخار ،
 وأستكمل فنون المحامد فحصلت لديه حصول الأقتناء والإدخار ؛ وفاز من كل مأثرة
 بالنصيب الوافر المثل ، وتشوقت إليه الرتب السنية تشوق [من] رأته لها دون
 الأكفاء أهلا ؛ وكفى المهمات يجنان ثابت وصدر واسع ، وقزبت عليه أفعاله
 المرضية من الميامن كل بعيد شاسع ؛ ووسم جلائل التصرفات بما خلقه بها من
 مستحسن الآثار ، وخلصت مشايعته من الأكدار فحل في أميز محل من الإيثار ؛
 وجارى المبرزين من أرباب الرياسات فسبق وأبر ، وأحرز جميل رأي ولي نعمته
 فيما ساء وسر .

ولما كنت أيها الأمير المعني بهذا الوصف الرفيع ، المخصوص من مفاخره بكل
 رائع بديع ؛ الحال من الإصطفاء في أقرب محل وأذناه ، المرتقى من الرياسة أشمخ
 مكان وأسناه ؛ الأوحاد في كل فضيلة ومنقبه ، الكامل الذي أوجب له الكمال
 صعود الجدد وسمو المرتبة ؛ المصلح ما يرد إلى نظره بالتدبير الفائق ، الشامل ما يصدق به
 بحزمه الذي لا تخشى معه البوائق ؛ أجمع على شكر خصائصه وخلالله ، الفائق جهد
 الأعيان الأفاضل بعفو استقلاله ؛ المعصم من المشايعة بالسبب المتين ، المتميز على
 الأكفاء بماثره الماثورة وفضله المبين ؛ وما زالت مساعيك في طاعة أمير المؤمنين
 توجب لك منه المزيد ، وتستدعي لمزلتك من جميل رأيه مضاعفة التشييد ؛
 وتحصك من الإجتباء بالنصيب الوافر الجزيل ، وتبلغك من تتابع النعم ما يوفى على
 الرجاء والتأمل .

وقد باشرت جلائل الولايات ، وعديك بك أنعم المهمات ، فاستعملت السيرة
 العادلة ، وسست السياسة الفاضلة ؛ وجمعت على محبتك القلوب ، وبلغت الرعية

من إفاضة الإنصاف كل مؤثر ومطلوب؛ وإذا برقت بارقة نفاق، ونجم ناجم من مرادة المراق، كنت الولي الوفي، والمخلص الصفي، والمدافع عن الحوزة بجهاذه، والمحامى عنها بماضى عزمه وصادق جلاده، والباذل مهجته دون ولي نعمته، والجاهد فيما يحظيه بنائل مواته وتأكد أذمته؛ ومجلى ظلام الخطب الدامس بحسامه، ومزيل الخطب الكارث برأيه واعتزاه؛ ومواقفك في الحروب، تكشف الكروب، وتروى من دماء الأبطال ظامئات الغروب؛ وتورد سنان اللذن العاسل، ويريد الكمي الباسل، وتحكم طلبا المناصل، في الهامات والمفاصل؛ وتستبيح من مهج الأقران كل مصون، وترميمهم من قوارع الدمار بضروب متسعة الفنون؛ فأتارك في كل الحالات مجوده، وشرائط الأصطفاء فيك فاضلة موجوده. وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه ووزيره، وكافل ملكه وظهيره؛ السيد الأجل الملك الذى

فأثنى عليك ثناء وسع فيه المجال، وخصك من شكره وإحماده بما أفاض عليك حلل الفخر والجمال؛ وقرر لك الخدمة في ولاية القاهرة المحروسة. فنقلد ماقلدك أمير المؤمنين من ذلك : عاملا بتقوى الله الذى تصير إليه الأمور، ويعلم خائنة الأئمين وما تخفى الصدور؛ قال الله فى كتابه المبين : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ .

وأعلم أن هذه المدينة هى التى أسس على التقوى بُنائها، ولها الفضيلة التى ظهر دليلها ووضح برهانها : لأنها خصت بفخر لا يدرك شأؤه ولا تدرك آماده، وذلك أن منارها لم يدكر عليها إلا أئمة الهدى آباء أمير المؤمنين وأجداده؛ ثم إننا الحرم الذى أضفى تقيسه أمرا حتما، وظل ساكنه لا يخاف طلبا ولا هضا؛ وغدت

النعمةُ به ممتمةٌ مكَّلهُ ، والأدعيةُ في بيوتِ العباداتِ به مرفوعةٌ متقبَّلهُ : للقربِ من أمير المؤمنين بابِ الرحمةِ ومعدنِ الحلاله ، وثمرهِ النبوةِ وسُلالةِ الرسالة ؛ فاشتملُ كافةَ الرعايا بها بالصيانة والعناية ، وعمَّهم بتأمِّ الحفظِ والرعاية ؛ وأبسطَ عليهم ظلَّ العدلِ والأمنه ، وسرفهم بالسَّيرةِ العادلةِ الحسنه ؛ وساوَى في الحقِّ بينَ الضعيفِ والقوى ، والرَّشيدِ والغوى ؛ والمِلِّيِّ والدَّميِّ ، والفَقيرِ والغنيِّ ؛ وأعتمدَ من فيها من الأمراءِ والمُيزين ، والأعيانِ المُقدِّمين والشُّهودِ المعدِّلين ؛ والأُمائلِ من الأجنادِ ، وأربابِ الخدمِ من القَوادِ بالإعزازِ والإكرام ، وبلغهم نهايةَ المُرَادِ والمَرَامِ ؛ وأقمَ حدودَ الله على من وجبتُ عليه بمقتضى الكتابِ الكريمِ ، وسنةِ محمَّدٍ عليه أفضلُ الصلاة والتسليم ؛ وتفَقَّدَ أمورَ المتعيِّشين ، وأمنَعَ من البُخسِ في المكايلِ والموازين ؛ وحَدَّرَ من فسادٍ مُدخَلٍ على المطاعِمِ والمَشَارِبِ ، وأتَهَجَ في ذلك سبيلَ الحقِ وطريقَ الواجبِ ؛ وأحْظَرَ أن يَحُلَّوْا رجلٌ بامرأةٍ ليستَ له بَحْرَمٍ ، وأفَعَلَ في تنظيفِ الجوامعِ والمساجدِ وتزَيُّيها عن الابتذالِ بما تُعزِّبه وتُكرِّمُ ؛ وأشدَّدَ من أعوانِ الحُكْمِ في قوَدِ أباةِ الخصومِ ، وأعتمدَ من نُصرةِ الحقِ ما تبقَى به النعمةُ عليك وتدومُ ؛ وأوعِزَ إلى المُستخدَمين بحفظِ الشارعِ والحاراتِ ، وحراستها في جميعِ الأزمنةِ والأوقاتِ ؛ وواصلِ التَّطَوُّافِ في كلِّ ليلةٍ بنفسك في أوفى عِدَّه ، وأظهر عُدَّه ؛ وأنتهِ في ذلك وفيما يُجارِيهِ إلى ما يَشْهَدُ بِاجْتِهَادِكَ ، ويزيدُ في شُكْرِكَ وإِحْماءِكَ ؛ والله تعالى يوفِّقُك ويُرشِّدُكَ ، ويسدِّدُكَ في خدمةِ أمير المؤمنين ويُسعدُكَ ؛ فاعلمْ ذلك وأعملْ به ، وطالِعْ مجلسَ النظرِ الأجلِّ "الملكيِّ" بما تحتاج إلى علمه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا النمط كان يُكْتَبُ سِجِلٌ ولايةِ الشَّرقية من أعمالِ الديارِ المصريةِ دُونَ غيرها من سائرِ الولاياتِ ، إذ كانت هي خاصَّ الخليفةِ كالجِزيَّةِ والمَنْفُوطِيَّةِ الآنَ ، وكان واليها هو أكَبرُ الوُلاةِ عندهم لذلك .

وأما الوظائف الدينية .

فمنها — ما كتب به القاضي الفاضل عن العاضد بولاية قاض :

من عبد الله وولّيه عبد الله أبى محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين ، إلى
القاضي المؤمن الأمين ، علم الدين ، خالصة أمير المؤمنين ، وفقه الله لما يرضيه ،
وسدده فيما يدره ويأتيه ، وأعانه على ما عديق به وولّيه .

سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلّى
على جدّه سيّد ولد آدم ، وعالم كل عالم ، ومُبقى كلمة المتقين على اليقين ، ومُعلي منار
الموحدين على المُلحدين ؛ صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وعلى أُمراء المؤمنين ،
صلاة تنصلّ فى كلّ بُكرة وأصيل ، ويُعدها أهل الفضل وأهل التحصيل ؛ ووالى
وجدد ، وعظّم ومجّد ، وكرّر ورّد .

وإن أمير المؤمنين لما آتاه الله إياه من نفاذ حكمه ومضاء حكمه ، وفوضه إليه
من إمامة أمته ؛ وأفاضه عليه من أنوار كسفت غمامة كلّ عُمه ، وشردت بَعْدَه
من بسطة ظلم وسطوة ظلمه ؛ وأظهره له من حقّ نصب للنصر علمه وللهداية
علمه ؛ وأيده به من كلّ عزيمة فتكت بكلّ أزمه ، ووكل به همه من إتمام نعمة
وأبتداء نعمة ؛ وأطلق به يده من معروف روض الآمال صوب مدراره ، وبدت
على الأحوال آثار إثارة ؛ وأخذ به الخصب من المحل ثاره وأستقال به الرخاء
من وهّدت عتاره ، وعضّد به أفعاله من أمور التوفيق أتباعا وأقتضابا ، وألممه
من موالاة الآلاء التى لاتذهب عهود عهادها أنقضاء ولا أنتضابا ؛ ويسر له عزيمته
من الآراء التى لا تُكسب إلا حمدا أو ثوبا - يختص بإحسانه من ينص الاختبار
على أنه أهل للاختيار ؛ وتفيض الأحوال من حوالى أوصافه ما يُديم المطار

فى الأوطار؛ ويُنعم على النعمة بإهدائها إلى ذوى الاستىجاب، ويضطنع الصنعة بإقرارها فى مغارس الاستطابة والاستىجاب؛ ويرشخ لخدمه من عرف ذكره بأنه فائح، وعرف عرفه ناصع ناصح؛ ويؤى جنان إنعامه من أحسن عملا، واستحققت منزلته من الكفاية أن تكون له بدلا، ولم تنبغ تصرفاته فى كل الأحوال عنها حولا؛ ودرجته خصائصه العلية فاقعد صهوات الدرجات العلى، واستحق بفضل تفضيله أن يؤلى الجميل جملا؛ وعمرضت خلاله على تعيين الانتقاد فاقضاها ولا يتضاها، وزويت مسالك الغناء بصدرة فضاها فضاها .

ولما كنت أيها القاضى المشتمل على هذه الخلال أشتمال الرّوض على الأزاهر، والأفق على النجوم الزواهر؛ والعقود على فاجر الجواهر، والخواطر على خطراتها الخواطر، والنواظر على ماتصافح من الأنوار وتباشير؛ المثرى من كل وصف حسن، المتبوع الأثرى بما قرّض من المحاسن وسن؛ الكالى ما تستحفظ بعين كفاية لا يصاغ أجفانها وسن؛ الأمين الذى تريه أمانته متاع الدنيا قليلا، وتضجبه ناظرا عن نصارتها كليلا؛ المؤثر دينه على دنياه؛ المطيع الذى لا يسلو العصبه عن هواه، المخلص النية فى الولاء و”لكل أمرئ ما نواه“ الناصح الذى يتره ما يلبسه عن لباس الرّيب، البعيد عن مظان الظنون فلا تتطلع الأوهام منه على عيب غيب؛ النقي الساحة أن يفرس بها وضمه، التقي الذى لا تخدع يده عن التمسك ما استطاع بجبل عصمه؛ المحتوم الحقوق بأن يستودع دهر الوفاء، المتوسل بموات توجب له الإيفاء على الأكفاء؛ المستقيم على مثل الظهيرة كهلا ويافعا، الشافع بنفسه لنفسه وكفى بالاستحقاق شافعا؛ وحسبك أنك حملت الأمانة وهى حفظ الكتاب، وأطلق الله به لسانك فشفت القلوب من الأوصاب، ووصل به سببك إلى رحمة يوم

تتقطع الأسباب ؛ وأصبح محلك في الدارين أهلاً أنيرا ؛ وكنت ممن قال الله فيه :
(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) .

وقد خالطت في مَوَاقِب أمير المؤمنين المعقبات التي من بين يديه ومن خلفه ،
وقربت من مجالسه المشتملة منه على عُنْوَانِ عناية الله بالبرية ولطفه ، ونوره الذي
كَلَّتِ العيون عن كشفه والحيل عن كسفه ؛ وتقدمت بخدمة الخلفاء الراشدين ،
أمراء المؤمنين ، إلى سوايق سبقت بها في كل مضمار ، وجمعت في المخالصة فيها
بين الإعلان والإضمار ؛ وسبر التجريب حالك بصحائف خبره ، واستمرت بك
الحال في القرب منهم وفي تقلب الأحوال عبره ؛ وتدرجت في حجب القصور ،
وبدت لك الغايات فما كنت عنها ذا قصور ؛ فكانت التقدمة لك مظنونة وبك
مضمونة ، وسريتك على الأسرار المصونة مأثونة ؛ وما أعوجت معالم^(١) إلا وكان
تقويمها بتقويمك ، ولا أستيقظت حيلة نخاف الحق سبيل غيها بتهويمك ؛ وإن كل
قائل لا يملك من إصغاء أمير المؤمنين ما تملك بتلاوة الذكر الحكيم ، ولا يسلك من قلبه
ما تسلك بمعجز جده العظيم ؛ فانت تخدم أمير المؤمنين بقلبك مواليا ، ولسانك
تاليا ؛ وبنظرك مؤتمنا ، وبيدك مخترنا ؛ لاجرم أنك حصدت ما زرعت طيبا ، وسقاك
ما استمطرت صيبا ، وزقت لك الأيادي بكرا وثيبا ، وحللت يقاع المنازل مستأنسا
إذا حل غيرك وهدأتها متهيبا .

فأما حرمتك التي بؤاتك من الاختصاص حرما ، وجعلتك بين الخواص علما ؛
وتوالى يدك بلمس ماحظي من الملابس بصحبة جسده الطاهر ، وأشمك على زهر
النضار وزهر الجواهر ، فذلك جار مجرى السكة والدعوة في أنهما أمانة تعم العباد
والبلاد ، وهذه أمانة تحض النفوس والأجساد ؛ ولك مما في خزائنه وكالة التخخير

(١) التويم النوم الخفيف . يريد أنه لا ينام عن ابطال كل حيلة .

والتعير، وعن أغراضه الشريفة سفارة الإفراج والتغير؛ وهذه موات تجعل سماء السّماح لك دأمة الدّيم، وتُسكن آمالك في حرم الكرم؛ وتعتقد بينك وبين السعادة أوكد الذّم، وتقتاضى لك جدود الجلد يقدم الخدم.

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه، الذى رُهي الزمان به فتاه؛ ووزيره، الذى عزّ به منبره وسريه، السيد الأجل أفضل الملوك قدرا، وأكثرهم قدرة، وأعظمهم صبرا؛ وأدربهم نصرة، وأفيضهم جودا غمرا، وأكشفهم لغمرة، وأمضاهم على الهول صدرا، وأردّهم لكّره، وأثبتهم جاشا وصليل السيوف يخطب والمقاتل تسمع، وأوضحهم فى استحقاق المجد حجة شرعتها الزّماح الشرع؛ وأرّكهم فى طاعة أمير المؤمنين لمشقه، وأشدّهم وطاة على من بحمد نوزه وعقّ حقه؛ فالدنيا مبتسمة به عن ثغور السرور، والمُلك بكفّالته بين ولى منصور وعدو محصور؛ فأسفرت سفارته عن أنك من أمثل ودائع الصّنائع وأكفاء الاستكفاء، وأعيان من يحقق اختيارهم وفضلهم العيان، وأفاضل من هو أهل لإسداء الفواضل؛ وأن الصنعة ثوب عرك (?) داره، وجار قد عقد بين شكرك وبينه جواره؛ وقتر لك تقدمة فى الحضرة لأنك فارسهم أسما وفعلا، وأولهم حين نتلو وحين تتلى؛ والنظر على المؤذنين بالقصور الزاهرة، والمساجد الجامع، وبالمشاهد الشريفة : لأن الأذان مقدمة بين يدي القراء، وأمارّة على معالم الإيمان؛ والنظر فى تقويم ما يرد إلى الخزانة العالية الخاصة والعامة من الملابس على اختلاف أصنافها، والأمتعة على آتلاف أوصافها؛ ومشاركة خزانة الفروش ليكمل لك النظر فى الكسوات التى تصان لللبوس، والكسوات التى تُبتذل للجلوس؛ وخزن بيت المال الخاص ليكمل لك النظر فى الذهب مَصُوغا ومرقوما، وخزنا وتقويما؛ واستصوب أمير المؤمنين ماراه، وأمضى ما أمضاه؛ ونخرج أمره إلى ديوان الإنشاء أن يكتب هذا السجل لك بذلك.

فَاعْرِفْ قَدْرَ مَا عُدِّ بِكَ مِنْ أُمُورٍ دِينٍ وَدُنْيَا ، وَخِدِّمْ لِاتَّقْوَىٰ عَلَيْهَا إِلَّا بِلِبَاسِ
التَّقْوَىٰ ؛ وَأَنْتَ كَقَدْ أَصْبَحْتَ لِحَنَاتِ أَنْعَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رِضْوَانَا ، وَيُذَكُّكَ لِلْفُظْ
إِحْسَانِهِ لِسَانَا ؛ وَبِأَشْرَ ذَلِكَ مُسْتَشْعِرًا خَشْيَةَ اللَّهِ فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ ، مُحْتَقِقًا أَنَّهُ
غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِكَ ؛ مَذْنَحًا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا يَبْقَىٰ عِنْدَ فَنَاءِ ذَنْكَ ، مُسْتَدِيمًا
لِلنِّعْمَةِ بِمَا يَقِيْدُهَا مِنْ شُكْرِكَ ، وَمَا يَصُونُهَا أَنْ تُبْتَذَلَ مِنْ بَشْرِكَ ؛ عَلِمًا أَنَّ التَّقِيَّةَ حِلْيَةُ
الْإِيمَانِ ، وَضَمَانُ الْإِمَانِ ، وَزَادَ أَهْلَ الْحَنَانِ إِلَىٰ الْحَنَانِ ، بِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ
الْعَزِيزِ : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ .

وَأَخْلَصَ نَيْتَكَ فِي خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَمَعَ الْإِخْلَاصَ الْخَلَاصَ ، وَأَدَّ لَهُ الْأَمَانَةَ
فَإِنَّ أَدَاءَهَا أَطْيَبُ الْقَصَصِ يَوْمَ الْقِصَاصِ ؛ وَقُمْ فِي خِدْمَتِهِ الْمَقَامَ الْحَمْدُودَ ، وَأَسْتَدِمُ
بِهَا صُغُودَ رِكَابِ السُّعُودِ ؛ فَقَدْ عَزَّفَكَ اللَّهُ بَرَكَةَ النَّصِيحَةِ وَعَوَائِدَهَا ، وَأَنْجَزَتْ لَكَ
الْأَمَالَ الْمُنْبَسِطَةَ مَوَاعِدَهَا ؛ وَأَسْتَشْرِفُ أَحْوَالَ الْقِرَاءِ فَهَمَّ أَحَقُّ قَوْمٍ بِالْتِهَذِيبِ ،
وَلَزُومِ أَسَالِيبِ التَّادِيبِ ؛ فَمَنْ كَانَ لِلآيَاتِ مَرَاتِلًا ، وَلِلدِّرَاسَةِ مَتَبَتَّلًا ؛ وَبِأَثْوَابِ
الصَّلَاحِ مُتَقَمِّصًا ، وَبِخَصَائِصِ الدِّينِ مُتَخَصِّصًا ؛ وَلَمَّا فِي صَدْرِهِ بِقَلْبِهِ لَا يَلِيسَانَهُ
حَافِظًا ، وَعَلَىٰ آدَابِ مَا حَفِظَ مُحَافِظًا ؛ فَذَلِكَ الَّذِي تُشَافُهُ تِلَاوَتُهُ الْقُلُوبَ ، وَتَرُوضُ
بِأَنْوَاءِ الْمَدَامِعِ جُدُوبَ الذُّنُوبِ ؛ وَمَنْ كَانَ دَائِمَ الْإِطَالَةِ فِي سَفَرِ الْبَطَالَةِ ، سَاطِرًا لِأَنْوَارِ
الْمَعْرِفَةِ بِظُلَمِ الْجَهَالَةِ ؛ فَحَقُّ عَلَيْكَ أَنْ تَصْرِفَهُ وَتُبْعِدَهُ ، وَتَجْعَلَ التَّوْبَةَ لِلْعُودِ مُوَعِدَهُ ؛
وَكَذَلِكَ الْمُؤَذِّنُونَ فَهَمَّ أَمْنَاءِ الْأَوْقَاتِ ، وَمُتَقَاضُونَ دُيُونِ الصَّلَوَاتِ ؛ وَلَا يَصْلُحُ
لِلتَّائِذِينَ إِلَّا مِنْ كَلِمَاتِ أَوْصَافِ عَدَالَتِهِ ، وَأُصَامُ جَهَالَتِهِ .

وَأَمَّا الْأَمَانَةُ فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي وَكَلْتَ إِلَىٰ حَزْنِكَ وَخَتَمْتَكَ ، وَالْأَمْنَةُ الَّتِي وَكَلْتَ
إِلَىٰ تَقْوِيكَ وَحُكْمِكَ ؛ فَإِنَّ تَوَدُّدِي بِسُلُوكِ أَخْلَاقِكَ وَهِيَ الْأَمَانَةُ ، وَأَتَّبِعْ طِبَاعَكَ

وهي الإباء للخيانة ؛ وأن تستمر على وتيرتك ، ومشكور سيرتك ؛ ومشهور سريرتك ،
ومُنير بصيرتك ؛ وأن لا تُوثق من هوى تَبَّعه ، ولا حيف تبتدعه ، ولا قوى تُخدع له ،
ولا ضعيف تُخدعه ؛ ولا من محابة وإن أحببت ، ولا من مُداجة كيفما تقلبت ؛
وأذكر ما يُنتل من آيات الله في مثلها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾
والله يتولى توفيقك وتوفيقك ، ويُديم [على] ما يُحب تصريفك ؛ إن شاء الله تعالى .

ومنها - ما كتب به القاضى الفاضل أيضا ، وهى :

من عبد الله وولَّيه (إلى آخره) .

أما بعدُ ، فإن رتب الولايات متفاوتة الأقدار ، متباينة الأخطار ؛ وكل شيء منها
عند أمير المؤمنين بمقدار ؛ ولها رجال مشرفو الأقدار ، ومحامِلُ بحضرته مقدرة تقدير
منازل الأقدار ؛ ومحالُّ الأولياء بمقامه محالُّ الأهله تتنقل بين أول النماء إلى آتئاء
الإبدار ؛ ومن أميزها قدرا ، وأحقها بأن يكون صدرا ، وأن يشرح لمن حله صدرا ،
وأن يسوق إليه الخاطب من استحقاقه مهرا ؛ ولاية مدينة مصر : لأنها المجاورة لمحل
الخلافه ، وكل مضر بالنسبة إليها معها بالإضافه ؛ وهى خطة النيل ، وفُرصة النيل ؛
وبها إذا هجمت الخطوب النيل ، ومنها من عثرت الأيام المقييل ؛ ومنها تؤنس
أنوار الإمامة على أنها تتوصح بغير التأميل وبدء التأميل ، ولا يؤهل لولايتها إلا كل
حامل لعبئها الثقيل ؛ ولا تسند الخدمة فيها إلا لكل مُثَرٍّ من ذخائر السياسة غير فقير
ولا مقل ، ولا يتوقل رُتبها إلا من تكون به الرتب مُنيرة ومحاسنه لا تمل مما يمل ؛
ولا يمتطى صهوتها إلا من لا يطاقطى للأطاع عزرة زاهته ولا يذل ، ولا يرتقى درجاتها
إلا من يهتدى بأعلام الديانة التى لا تُضلل ، ولا يُقرأ سِجلها إلا لمن يطوى مظالم
الرعية طى الكتاب السِجل .

ولما كنت أيتها الأمير من توقدت هذه الأوصاف فيه توقد النار في ذرى علمها ،
وأوجد معاني معاليها وأنقذها من إسار عدمها ؛ وأرتقى إلى هضبات الرياسة المنيرة
بما جعل خلاله المسلم فضلها مثل سلمها ، وناولته الدراية عناني سيفها وقلمها ؛
وشهدت الأيام بتقدم قدمه في مراتبها وقدمها ، وأمنت الصواب أن يتبع أفعاله
إذا أمضاها بعيب (؟) بدمها ؛ وكتبت أفلام رماحه سطور الطعن في صدور العدا
مستمدة من دمها ؛ وتجمش مشقات المعالي فأثرته تعفى راحة بجسمها ؛ واجتمعت
فيه صفات المحاسن المتفرقة ففضي عليها بتجسيمها ؛ وتصدر الدرجات المحصنة
من مطالع الحاضر لحظه من رقتها ونسيمها ؛ وتعرضت ذخائر المحامد لما في طبعه
من اقتناصها وتعيمها ؛ وقزت عين المنازل فما زوت وجه إقبالها ولا بسطت راحة
تظلمها ، وأثنت إليه عقائلها المصونة فما ثنت دون ديانته عنان تلومها ؛ وأترك
في كل ولاية مشكور ، وسعيك في كل غاية غير مقصور ؛ وغناؤك في المهمات
معد مذخور ، ومساجلك عن أسير ما وصلت إليه مدفوع مذخور ؛ وليل شبابك
بالكوكب الدرى من صولتك منحور ، وأفعالك أفعال من لا يحوز غير محرز كسب
الأجور ، وخلالك خلal من أنتظم في سلك الذين يرجون تجارة لن تبور .

وقد سلفت لك خدام تصرفت فيها وتدرجت ، وعرفت بطهر الذكر من رعيته
وتأرجت ؛ وتحوبت من الأوزار على ما يوقع ذنبك وتحرجت ؛ وجريت على أجمل
عاده ، وأقتضيت عند آتقضاء شأو الإبداء استئناف شأو الإعادة . ومثل بحضرة
أمير المؤمنين لسان أمره ، وسيف زجره ، السيد الأجل الذى قام بما استكفاه
فأحسن وحسن ، وصان حمى الملك فأحصن وحصن ؛ وجاد بنفسه في سبيل الله
فما ضن ، وكان مكان ما أمل عند أصفافه وفوق ما ظن ؛ وسدد قصوده ، ففرقت
سهاها وما مرقت عن طاعته ، وأطلع سعوته ، فأنارت نجومها لأوليائه ورجومها لأهل

خلافِ خلافته ، وأطلقت أحكامَ عدل الله في خلق الله أحكامَ مراماته وسيفُ إخافته ؛ فالدنيا بين أياته عن ماخذ السراء ، وطلقاء الجود بما عملته يده من قيود الإحسان في عداد الأسراء ؛ ورضا أمير المؤمنين عنه كافلٌ له بأن يرضى الله في الأعداء ، وملوك الأرض إن فدت السماء (؟) طيبةً أنفسها له بالفداء ؛ والدنيا متأرجحة بطيب خبره ، والعلواء متبرجة بحسن نظره ؛ وبحار التدبير لا تُفارق زبدَ أمواجها إلا بفاجر جواهره ، وقوانين السياسة لا توجد مسندة إلا عن أتباع أثره ؛ ولا حظ لمحاربه إلا سلمه بعثاره وتشلمه بعثيره ، فأثنى عليك بحضرتة وإصفا ، وثنى إليك عنان عنايته عاطفا ، ورأى تقليدك ولايتها مُعربا باستحقاقك عارفا - خرج أمر أمير المؤمنين إليه بأن يُوعزَ إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك بتقليدك ولاية المعونة والحسبة بمدينة مصر والحيزة والقرافة ، إنافةً بك عن النظراء ، وإبانةً عمالك من جميل الآراء ؛ وتطريةً لحظك بما حصل به من الإطراء ، ورعايةً لما لك من الانتهاء إلى أقصى غايات الإحسان والإجراء ، وإيجاباً لما تتوسل به من العناء ، وذخائر الغناء والإثراء ، وإشادةً لقدرك الذي أشاده ما أنت عليه من الإيواء إلى ظلّ الزاهة والاستيناء .

فتقلّد ما قلّده من هذه الخدمة ، وأرقل بما ضفّا عليك من ملابس هذه النعمة وبما صفا لديك من موارد هذه الجمّة ؛ وقدم تقوى الله أمامك ، وأتبّع وصيتها التي آستعمل الله بها إمامك ؛ فيها النجاة مضمونه ، والرحمة متيقّنة لا مظنونته ؛ قال الله سبحانه في كتابه المكنون : ﴿ وَيَجِبُ اللَّهُ الَّذِينَ آتَقُوا بِمَقَازِيهِمْ لَا يَسْمَهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

وآعتمد المساواة بين الناس فيما هو حُكم ، والنظر بالعدل في كلّ ما هو ظلم ؛ ولا تجعل بين الغنى والفقير في الحق فرقا ، وأسلك فيهم طريقاً واحداً فقد ضلّ

مَنْ سَلَكَ فِيهِمْ طُرُقًا ، وَاشْتَمَلَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بَطْمًا نَيِّبَةً تُنِيمُ الْأَخْيَارَ وَتُوقِظُ الْأَشْرَارَ ،
وَأَمْنِيَّةٌ تَسَاوِي فِيهَا بَيْنَ ظِلَامِ اللَّيْلِ وَنُورِ النَّهَارِ : لَتَكُونَ وَلَا يَتُوكَ لَهِمْ مَوْسِمًا ، وَمَوْرِدُهَا
لَتُغْفِرُ الْأَمْرَ مَيْسِمًا ؛ وَأَنْصِفِ الْمَظْلُومَ وَأَقْصِ الظَّالِمَ ، وَكُنْ لِنَفْسِكَ زَعِيًّا بِنَجَاتِهَا فَالزَّعِيمُ
لَهَا غَارِمٌ ؛ وَأَنَّهُ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَحَسْبُكَ
أَنْ تُعَرِّفَ بِهِ وَتُذَكِّرَ ؛ وَخُذْ فِي الْحُدُودِ بِالْإِعْتِرَافِ أَوْ الشَّهَادَةِ ، وَلَا تَتَعَدَّ حَدَّهَا بِنَقْصٍ
وَلَا زِيَادَةٍ ؛ وَكَمَا تُقِيمُهَا بِالْبَيِّنَاتِ ، فَكَذَلِكَ تَدْرُؤُهَا بِالشُّبُهَاتِ . وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
مِنْ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ وَوُجُوهِهَا ، وَكُلِّ سَامِي الْأَقْدَارِ نَبِيٍّ ؛ وَأَرَبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ،
وَالْمَعْدُودِينَ فِي الْعُلَمَاءِ وَالْأَعْلَامِ ، وَالْمُعَدِّلِينَ الَّذِينَ هُمْ مَقَاطِعُ الْأَحْكَامِ ، وَالتَّجَارِ
الَّذِينَ هُمْ عَيْنُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالرَّعِيَّةِ الَّذِينَ بِهِمْ قِوَامُ الْعَيْشِ فِي الْأَيَّامِ ؛ مَنْ يَلْزِمُكَ
أَنْ تَكُونَ لَهُمْ مُكْرِمًا ، وَلَا يَأْتِيَهُمْ مُحْكِمًا ، وَمَنْ ظَلَمَهُمْ مَتَحَرِّجًا مَتَأَمًّا ، وَلَسَانُهُمْ
فِي الشُّكْرِ عَنْ لِسَانِكَ مَتَكَلِّمًا ؛ وَإِلَى قُلُوبِهِمْ بِجَمِيلِ السَّيْرِ مَتَحَبِّبًا ، وَلِمَسَاطِطِهِمْ - مَا لَمْ
تُسْخِطْ اللَّهَ - مَتَجَنِّبًا . وَأَشَدُّ مِنَ الْمُسْتَخْدَمِينَ بَابُ الْحُكْمِ فِي إِشْخَاصٍ مَنْ يَتَقَاعَدُ
عَنِ الْحُضُورِ مَعَ خَصْمِهِ ، وَيَتَّبِعُ حُكْمَ جَهْلِهِ فَيَخْرُجُ عَنْ قَضِيَّةِ الشَّرْعِ وَحُكْمِهِ ؛
وَأَوْعِزْ إِلَى أَصْحَابِ الْأَرْبَاعِ بِإِطْلَاعِكَ عَلَى الْخَفَايَا ، وَإِبَانَةِ كُلِّ مُسْتَوْرٍ مِنَ الْقَضَايَا ؛
وَأَنْ يَتَّقِظُوا لَسَكَّاتِ اللَّيْلِ وَغَفَلَاتِ النَّهَارِ ، وَخُذْهُمْ فِي اللَّيْلِ بِمَا آتَرَمَوْهُ مِنَ الْحَرَسِ
مِنْ مَكَائِدِ اللَّصُوصِ وَالْدُّوَارِ ، وَأَيِّقِظْهُمْ لِأَنْ يَتَّقِظُوا فَرُبَّمَا آجَتْنِي ثَمَرُ الْأَمْنِ
مِنْ غَرَسِ الْحِذَارِ ؛ وَإِذَا ظَفِرَتْ بِجَانِ قَدِ أَوْبَقَهُ عَمَلُهُ ، وَطَمَحَ إِلَى الْفَسَادِ أَمَلُهُ ،
فَاجْمَعْ لَهُ بَيْنَ التَّنْكِيلِ وَالتَّوَكُّلِ ، أَوْذَى رِييَّةٍ إِنْ زَادَ رِييَّةً بِالْحَبْسِ الطَّوِيلِ ،
وَالْإِطْلَاعِ بِأَمْرِهِ إِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْقَبِيلِ . وَوَاصِلِ التَّطَوُّافِ فِي الْعَدَدِ الْوَافِرِ ،
وَالسَّلَاحِ الظَّاهِرِ ، فِي أَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ وَأَطْرَافِهَا ، وَعَمَّرَ بِسَرِّكَ سَائِرَ أَرْجَائِهَا وَأَكْثَفَهَا .
وَأَنْظِرْ فِي الْحَسْبَةِ نَظْرًا مِنْ يَحْتَسِبُ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا وَأَبْقَى ؛ وَمَنْ يَرْغَبُ فِي الْأَجْرِ

وَيُعْرِضُ عَنْ شِعَارِ لِبَاسِ التَّقْوَى وَاللَّبَسِ . وَأَمْنَعُ أَنْ يُخْلَوْ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ لَيْسَتْ بِذَاتِ
 مُحَرَّمٍ : لَتَكُونَ قَدْ سَلِمْتَ وَسَلِمْتَ مِنْ شُبُهَتِي الْمَطْعَمِ وَالْمَطْعَمِ . وَأَسْتَوْضِحُّ آيَاتِ
 الْمَعَامَلَاتِ ، وَغَيْرَهَا فِيهَا تَحْفُفُ الْمَوَازِينِ أَوْ تَرْجَحُ ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ
 وَالسَّمَوَاتِ ﴾ . وَاعْتَمِدْ فِي تَهْذِيبِهَا وَتَضْوِيئِهَا مَا تُحْسِنُ فِيهِ لِلْسَّيِّئِ وَالْمُحْسِنِ ، لِأَنَّكَ
 تُكْفِفُ أَحَدَهُمَا عَنْ عَمَلِ الْمَتَاهِفِ وَعَنْ الْمَهُوبِ الْمُعْنِ .

وَتَقْدِمُ بِنَفْضِ الْأَدْوَى عَنْ جَادَةِ الطَّرِيقِ ، وَأَنَّهُ أَنْ تَحْمَلَ دَابَّةً أَكْثَرَ مِمَّا تُطِيقُ ؛
 وَتَقْفِدُ الْجَوَامِعَ وَالْمَسَاجِدَ بِالتَّنْظِيفِ إِبَانَةً لِحَالِهَا ، وَصَيَانَةً مِنْ أِبْتِدَالِهَا ؛ وَلَا تَمَكِّنْ
 أَحَدًا أَنْ يَحْضُرَهَا إِلَّا مُؤَدِّيًّا لِلْفَرَضِ أَوْ مُنْتَظِرًا أَوْ مُطْلَقًا ، أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا
 أَوْ مُسْتَمِعًا ؛ فَإِنَّهَا أَسْوَاقُ الْآخِرَةِ ، وَمَنَازِلُ التَّقْوَى الْعَامِرَةِ ؛ وَأَجْرُ الْأُمُورِ عَلَى عَادَاتِهَا ،
 وَأَسْتَرِشِدْ فِي طَارِئَاتِهَا وَمُشْكَلاتِهَا ؛ فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة سيجل بولاية قاضي بنغر الإسكندرية، من إنشاء القاضي الفاضل،
 من هذه الرتبة، وهي :
 من عبد الله ووليه (إلى آخره) .

أما بعدُ، فالحمد لله الذي نَشَرَ رَايَةَ التَّوْحِيدِ وَأَعَزَّ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ ، وَهَدَى بِكَرَمِهِ
 مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ؛ رَافِعَ مَنَارَ الشَّرْعِ وَحَافِظَ نِظَامِهِ ، وَنَجَزِلَ الثَّوَابَ
 لِمَنْ عَمِلَ بِأَمْرِهِ فِي تَحْلِيلِ حَالِهِ وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ ؛ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ، وَسَاوَى
 بَيْنَ الْخَلِيقَةِ فِيمَا كَانَ حُكْمًا ، وَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ
 الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ . سُبْحَانَهُ مِنْ خَالِقٍ لَمْ يَزَلْ رُعُوفًا
 بِرَبِّيَّتِهِ ، عَادِلًا فِي أَقْصِيَّتِهِ ، مُضَاعِفًا أَجْرَ مَنْ خَشِيَهِ وَعَمِلَ بِخِفَتِهِ ، مُوفِّرًا ذَلِكَ لَهُ
 يَوْمَ يَوْمِ الْحُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بِنَيْهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ .

يحمده أمير المؤمنين أن أفاض عليه أنواراً إلهية ، وتعبّد البرية بأن جعلها بطاعته مأمورة وعن مخالفته منيية ؛ وأستخلف منه على الخليفة القوى الأمين ، وآتاه مالم يؤت أحدًا من العالمين ؛ ويسأله أن يصلّي على جدّه الذى عمّ إرساله بالرحمة ، وكشف بمبعثه كلّ عُثمّه ، وجعل شرعه خيرَ شرع وأُمتّه خيرَ أُمّة ؛ فأحيا من الإيمان ما كان رَمِيما ، وهدى بالإسلام صراطاً مستقيماً ، وخاطبه الله فيما أنزل عليه بقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْغَائِبِينَ خَصِيماً ﴾ وعلى أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى وقر الله نصيبه من العلم والحكمة ، وجعل خلافة فى أرضه لاتخرج عن ذريته الهداة الأئمة ؛ وعلى أئمة الأطهار ، وعترتهما السادة الأبرار ، الذين ولأوهم يُحظى بالجنة ومحبتهم تتجى من النار؛ وسلّم عليهم أجمعين [سلاماً] باقياً إلى يوم الدين .

وإن أمير المؤمنين لما أفرد الله به من المآثر، وتوحّده به من المناقب والمفانير، وخصّه بشرفه من الإحسان إلى أوليائه بالإنعام إليهم فى الدنيا والشفاعة لهم فى اليوم الآخر - يرتاد لجلال الخدم من يُشار إليه ويؤمى ، ويختار لتوليها من يكون بأفعالها ناهضاً وبأعبائها قووماً ؛ ويُسند أمرها إلى من لا يُتَمارى فى سُودده ولا يُتخلف فى فضله ، ويُعَدّق شُونها بمن عُدقت الرئاسة به وبأسلافه من قبله ؛ فيكون إذا شُرف بها عَرَف منزلتها ومحللها ، ووقع الاتفاق على التمثل بقوله : ﴿ وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا ﴾ .

ولما كنت أيها القاضي المكين من البيت الذى آشتهر قدُّره ، وأرتفع ذكُّره ، وحلّت رتبته ، بأوصاف كلّ من أهله فى قوله وفعله ؛ وتردّدت رياسته ، فى عدد كثير لاهد للرياسة بالتردد فى مثله ؛ وكانت لك ولن مضى من أسلافك آثار فى الخدم خلّدت لكم مجداً يبقى ، وأقرت من الحديث به ما لا يسمو إليه النسيان ولا يرقى ؛

فكل ما تتولونه متجمل بكم ولا يُريد معكم زياده، وكل ما يُعتمد فيه عليكم قد نال مطلوبه وبلغ الغية والإرادة ؛ والذي يخرج عن نظركم يتلَهف عليكم حيناً إليكم وأشتياقاً، وإن ردَّ إليكم يألُ تشبُّثاً بكم وتمسكاً واعتِلاقاً.

هذا إلى ما لكم من الحُرُمات المرعيه، والمَوَاتِ التي ليست بمنسيه . والسيد الأجل الأفاضل الذي حسبته من المفاخر قيامه بحق الله لما غفل الملوك عنه وقعدوا ، وأستيقاظه بمفرده حين ناموا دُونَ استخلاصه مما عراه ورقدوا ؛ وإن أنتصابه آيةً أظهرها الله للهِ ، وحسمَ بها في رَفْعِ منار الدين كلَّ علٍّ ؛ فإذا أنفقت الأعمار في [بيان] أوصافه كانت جديرهً بذلك حريه ، وإذا ذُكرت آثاره في الإسلام كان العلم بكرمها لاحقاً بالعلوم الضرورية ؛ فما يُنسب المتوسّع في التقرّيط له إلى تغال ، ولا تضييع وقت يُقضى في آهتِام بالشئ على مناقبه وأشتغال - يواصلُ الشئ عليك والشكر لك ، ويتابعُ من ذلك ما إذا ذكر اليسير منه شرفك وجملك ؛ ويصف ما كان لأخيك القاضي المكين - رحمه الله - من الاجتهاد في المناصحات ، ومن الأفعال الحسنة والأعمال الصالحات ، ومن الوجاهة التي أحلته مكاناً متجاوزاً غاية الآمال الطامحات ، مارفَعه عن طبقات كثير من سادات الناس ، وجعل حاسديه في راحة لما شملهم من دعة الياس . وإنك أيها القاضي المكين ، الأشرف الأمين ؛ قد بلغت مداه في الجلاله ، وورثت مجده لا عن كلاله ؛ وحويت فضله ونفقه ، وقفوت أثره وأحييت ذكره ؛ وحزرت خلاله الجميلة وأفعاله الرضيّه ، وحصلت الفضيلتين الذاتية والعرضيه ؛ ولذلك تقررت نُعوتك « القاضي المكين » لاستيجابك فيما تقضى به جزيل الثواب ، ولتكن أفعالك في محل الصواب ؛ و « الأشرف الأمين » لشرف نفسك ، وكون أمانتك في حاضر يومك على ما كانت في ماضى أمسك ؛ و « تاج الأحكام » لأن ما يصدر منها سامى المنهاج ، وقد ارتفع محله كما

أرتفع محلّ التاج ؛ و « جمال الحُكَّام » لأنك لما وَلِيتَ ماؤُلُوا ، جَمَلْتَهُمْ إذ فعلتَ من الواجب فوق ما فعلُوا ؛ و « عُمْدَةُ الدين » لأنَّ من كان مثلك رَكْنَ إلىه الدينُ وأَسْتَد ، وتَوَكَّأ على جانبه وأَعْتَمَد ؛ و « عُمْدَةُ أمير المؤمنين » لأنك ذخيرةٌ لدولته ، ونِعْمَ البقيةُ الصالحةُ لملكه .

ومعلوم أن ثغر الإسكندرية - حماه الله تعالى - الثغر الرفيعُ المقدار ، الذى هو قُرَّةُ العين للإسلام وَقَدَّى فى عيون الكُفَّار ؛ ومحلهُ مما تتطامن له معاقلُ التوحيد وحُصُونُهُ ، وهو مشتملٌ من الفقهاء والصلحاء والمرابطين وأهل الدين على مَنْ لم يَزَلْ يحفظه ويصونه ؛ وإليه تَتَنَاقَلُ ^(١) السُّفَّار ، وتَرْتَدُّ التُّجَّار ، وهو المقصود من الأقطار القصية النائية ، ومن البلاد القريبة الدانية ؛ وما زالت أحواله جاريةً بنظرك على أحسن الأوضاع وأفضلها ، وأوفى القضايا وأكملها ؛ وما كان أَسْتِخْدَامُ غيرك فيه إلا ليظهر إشرافُ شَمْسِكَ ، ولِيُزَوَلَ الشكُّ فى تَبَرُّزِكَ على جَنَسِكَ ، وليتبين فضلُ مباشرتك وتَوَلَّيكِ على أن ذلك لم يَكُنْ مكتماً ، وليتحقق أن عقدَ صلاحه لا يكون بتولى غيرك متَّسِقاً ولا متَّظلاً .

وقد رأى أمير المؤمنين إمضاءَ ما رآه السيدُ الأجلُّ الأفضل من إقرارك على الحكم والقضاء : لأَطلاعِكَ من ذلك على سِرِّهِ ، ونَفَازِكَ فى جميع أمرِهِ ؛ ونَجْوَكَ به ودُرْبَتِكَ ، ولأَسْتِغْلَالِكَ ومضائِكَ ومَعْرِفَتِكَ ؛ وإنك إذا أَسْتَمَرَرْتَ على عادتك ، غَنَيْتَ عن تجديد وصيَّتِكَ ؛ فَمَادَ على سُنَّتِكَ ، ولا تَخْرُجَ عن سبيلِكَ ومَحَجَّتِكَ ؛ وأنت تعلم أن الشهود بهم يُعْطَى الحُكَّامُ ويمنعون ، وبأقوالهم يَفْصَلُونَ وَيَقْطَعُونَ ؛ وبشهاداتهم تثبتُ الظُّلُمَاتُ وتَبْطُلُ ، وعليها يَعْتَمَدُ فى اتِّزَاعِ الحُقوقِ مَنْ يُدَافِعُ ويمْطُلُ ؛ فواجبٌ أن يَكُونُوا من أَتْقِيَاءِ الورى ، ومن لا يَتَّبِعُ الهوى ؛ فَاسْتَشَفَّ

(١) أى تنصب وترد عليه كثيرا انظر اللسان والقاموس .

أحوالهم ، وأستوضح أمورهم وأفعالهم ؛ فمن كان بهذه الصفة فأجره على عادته في استماع مقالته ، ومن كان بخلافه ففقد الأمر على عدالته ، وأحسِم مادة الضرر في قبول شهادته ؛ وقد جعل لك ذلك من غير استئذان عليه ، ولا اعتراض لك فيه ؛ ولا تقترب أحداً من رتبة العدالة ، وأرفعها بإزالة الأطلاع فيها عن الإهانة والإذالة ؛ وأغضض من أبصار المتطلعين إليها ، والمتوثنين عليها ، بالتطأرح على الجهات ، والتماسها بالعنايات التي هي من أقوى الشبهات ؛ وإن ورد إليك توقيع وتركية من الباب فأصدره [في] مطالعتك ليحيط العلم به ، ويخرج إليك من الأمر ما تفعل على حسبه ؛ وأفعل في دار الضرب وأحوال المستخدمين والمتصرفين على ما أنت به العالم البصير ، والعارف الخبير .

وقد جعل لك إضافة إلى ذلك النظر في أمر جميع هذا الثغر المحروس وأُسند إليك ووكل إلى صائب تديرك ، وإلى حُسن تهديك ؛ وإلى بركة سياستك ، وإلى عملك فيه بمقتضى دياتك ؛ وصار جميع المستخدمين به من قبلك متصرفين ، ولأوامرك متوَكِّفين ، وعند ما تحذو واقفين ، ولمراسمك متابعين غير مخالفين ؛ فمن أخطأته منهم وعلمت نهضته فأجره على عادته ورسمه ، ومن كان بخلاف ذلك فاستبدل به وأُخ من الخدمة ذكر اسمه ؛ فلا يد مع يدك ، ولا عدول عن مقصدك ؛ والاستخدام في هذا الأمر قد أُسند إليك ورُد ، وكونه من جهة غيرك أغلق بابه وسُد ؛ فلا تصرف فيه إلا لمن صرّفه ، ولا خدمة إلا لمن أستخدمته .

وتأكيد القول عليك لا يزيدك حرصاً ، والمعرفة بهمتك وخبرتك تغنيك عن أن توصي ؛ والذي تقدم ذكره في هذا السجل إلهاف لحدك ، وإعلاء لحدك ، وإطلاع لكوكب سعدك ؛ والله يتولى تأييدك وتوفيقك ، ويوضح إلى الخير سبيلك وطريقك ؛

فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع مجلس النظر بأمر خدمتك ، وما تحتاج إلى عمله في جهتك . إن شاء الله عز وجل .



وأما السجلات المكتبة بالوظائف الديوانية ، فكما كتب به بعض كتابهم بولاية ديوان المرنج :

لسني الدولة وجلالها ، ذى الرياستين ، أبى المنجى سليمان بن سهل بن عمران .
أما بعد ، فإنه من حسنت آثاره في مناصحات الأئمة الخلفاء ، وأرتفع محله في طاعتهم عن الأنظار والأمثال والأكفاء ، وظهرت بركات أفعاله فيما يتولاه ظهور الشمس ليس بها من خفاء ؛ وباهى بتديره كل ما يشره من أمر خطير قدره ، واستدعت من الثناء والإطراء ما يتأرجح نشره ويتضوع ذكركه ؛ وتساوى عنده القول والعمل ونافس فيه الخبر والخبر ، ورتبه مرتبه مقدما على من مضى من طبقته وغبر ؛ ووسم الأعمال بسمات في العماير تضاف إليه وتنسب ، وغدت الخدم ترضى به وتُعجب ، وهو لا يزهى ولا ينظر ولا يعجب - كان رد المهمات إليه حسن نظرها ، وإذا حطرت جلاله توليها على غيره أضحى نفاذه متعجلا له محلها ؛ وكان التنويه به حقا من حقوقه وواجبا من واجباته ، والمبالغة في تكريمه وتفخيمه مما يتعين الانتهاء فيه إلى أقصى أماده وأبعد غاياته .

ولما كنت في متولى الدواوين ، مشهور الشأن والقدر ، وحالا من مراتب الكفاة المقدمين ، في حقيقة الصدر ؛ إن أنتظموا عقدا كنت فيه الواسطة ، وإن قسط غيرك على معامل لم تكن أفعالك قاسطه ؛ ولك السياسة التي ظلت ساحاتها رحابا ؛

والرياسة التي من وَصَفَكَ بها فما تَمَلَّقَ ولا داجى ولا حابى؛ والصَّنَاعَةُ البَارِعَةُ التي
تَشْهَدُ بها الطُّرُوسُ واليَرَّاعُ ، والأَمَانَةُ الوَافِيَةُ التي أَرْتَفَعَ فيها الخِلاَفُ ووقَعَ عليها
الإِجْمَاعُ ؛ والتَصَرُّفُ في أنواعِ الكِتَابَةِ على تَبَيُّنِ صُورِهَا ؛ والأَسْتِلاءُ على ظَاهِرِهَا
ومُسْتُورِهَا وإِصْحَاحِهَا ومَكْتُومِهَا ، والأَخْذُ لَهَا عن أَهْلِ بَيْتِكَ الَّذِينَ لم يَزَالُوا فِيهَا
عَمِيقِينَ ، ولم يَنْفِكُوا في مَدَاهَا سَابِقِينَ غَيْرَ مَلْحُوقِينَ ؛ وقد زِدْتَ عَلَيْهِمْ بِمَا حُرِّتَهُ
بِهَيْمَتِكَ ، وَلِئِنَّهُ بَقَرِيحَتِكَ ؛ حَتَّى بَلَغْتَ مِنْهَا ذِرْوَةً شَامِخَةً عَلَيْهِ ، وَحَصَلَتْ فَضِيلَتَيْنِ
فَضِيلَةً ذَاتِيَّةً وَفَضِيلَةً عَرَضِيَّةً ؛ وَأَمِنْتَ مِنْ يُبَارِيكَ وَيَسَاجِلُكَ ، وَكُفِّتَ مَنْ
يَنَازِلُكَ وَيُطَاوِلُكَ ؛ وَكَانَ الدِّيَوَانُ الْمُتَرَجِّعُ عَنْ بَهْرَامَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَجْلِ الدَّوَاوِينَ
وَأَوْفَاهَا ، وَأَحَقُّهَا بِالتَّقْدِيمِ وَأَوَّلَاهَا : لِأَنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَى نَوَاجِحِ مَخْتَارِهِ ، وَيَحْتَوِي عَلَى
ضِيَاعٍ مَكْنُوفَةٍ بِالْعَارِ ؛ وَقَدْ زَادَهُ مِيزَةٌ عَلَى غَيْرِهِ كَوْنُكَ نَازِرًا فِيهِ ، وَأَنْكَ مَدَبَّرَ
أَمْرِهِ وَمُسْتَوْفِيهِ .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه وزيره السيد الأجل الأفضل الذي عز بحسن
سيرته الملك وتضاعف بهاؤه ، وصنعت مصالح الأمور تديراته وآراؤه ؛ وظلت
شؤون الدولة بما يقرره منتظمة مستقيمة ، وغدت الميامن والسعود محيطة في داره
مقيمة ؛ وأتفقت على الثناء عليه مختلفات الأقوال ، وقضت مهابة بحماية النفوس
وصيانة الأموال . وفاوضه في أمر هذا الديوان فأفاض في وصفك وشكرك ، وأطنب
في تقريرك وإجمال ذكرك ؛ ونبه على الخط في توليك إياه ، وواصل من مدحك
بما يتضوع عرفه ويطيب رياه ؛ وقررتك من توليه ما يصل سبب الخيرات
بسببه ، وميزك بما لم يطمع أحد من كافة متولى الدواوين به ؛ فلم يجعل فيه يدًا
مع يدك ، ولا نظرا لإلالك بمفردك ؛ فلا يرفع [أحد] شيئا إلى غير ديوانك من حساب
ما يجري في أعماله ، ولا معاملة لبيت المال إلا معك فيما يحل من أمواله . فامضى

أمير المؤمنين ذلك وأمر به ، وخرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الديوان المرتجع المذكور : ثقةً بأنك تأتي فيه على الإرادة ، وتأتى لبُلوغ الغرض وزياده .

فاستخِر الله تعالى وباشِرْ أموره بجِدِّك المعهود ، وشمر عن ساق عزمك المشهود وسعيك المحمود ؛ وأجر على رَسْمِكَ في العمل بما يحفظ أوضاعه ، ويُزجى آرتفاعه ، ويُزيج عِلَّتْه ، ويُغزِر مادته ؛ فاعتقد مواصلة الليل والنهار في مصالحه فرضاً إذا اعتقدها غيرك قُفْلاً ، وأجعل اجتهادك لاستخراج أمواله وكُنْ عليها إلى أن تصل إلى بيت المال قُفْلاً ؛ واستنظف ما فيه من تقاوٍ وباقٍ ، وأفعل في تديره ما يُجىر أموره على الوفاق ؛ واستخدم من الكتاب من تحمده وترتضيه ، ونصهم إلى الأفعال التي تستدعي شكرك لهم وتقتضيه ؛ ولا تُسوّغ لضايف ولا عامل أن يقصر في العماره ، وأعتد من ذلك ما يكون على كفايتك أوضح دلالة وأصح أماره .

وقد أمر أمير المؤمنين أن تُجرى الحال على ما كانت عليه من دخول ذلك وبيعه بغير مكس في جميع الأعمال ؛ وأزاح مع ذلك عِلَّتْكَ ببسْط يدك وإنفاذ أمرك وإمضاء قولك ، وإفرادك بالنظر من غير أن يكون لأحد من متولّى الدواوين على اختلافهم نظرٌ معك ؛ فتماد في حُسن تديره على سُنَّتِكَ ، ولا تخرج عن مذهبك وطريقتك ؛ والله يوفقك ويُسعدك ، ويُعينك ويعضدك ؛ فأعلم هذا وأعمل به إن شاء الله عز وجل .

المرتبة الثالثة

(من المذهب الأول من سبجات ولايات الفاطميين أن تفتح

بالتصدير أيضا ، وهو « من عبد الله ووليه » إلى آخر التصلية على

النبي صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين على رضى الله عنه ، ثم يُؤتى بالبعدية ،

لكن من غير تحميد ، بل يقال : « أما بعد فإن أولى » أو « إن أحق »

ونحو ذلك ؛ ويذكر مناقب المولى ثم يأتي بالوصايا)

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ مِنَ السَّبْجَاتِ يَشْتَرِكُ فِيهَا أَرْبَابُ السُّيُوفِ وَأَرْبَابُ الْأَقْلَامِ

مِنْ أَصْحَابِ الْوُظَائِفِ الدِّينِيَّةِ وَالْوُظَائِفِ الدِّيَوَانِيَّةِ .

فَأَمَّا سَبْجَاتُ أَرْبَابِ السُّيُوفِ فَكَأَصْحَابِ زُيُومِ طَوَائِفِ الرِّجَالِ ، يَعْنِي التَّقَدُّمَةَ

عَلَيْهِمْ وَالْوَلَايَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وهذه نسخ ولايات لأرباب السيوف بالحضرة من هذه المرتبة .

نسخة سبج بز طائفة ، من إنشاء القاضي الفاضل ، وهى :

من عبد الله ووليه (إلى آخره) .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يَصْطَنِعُ مَنْ يَرْضِيهِ لِنَافِعِ عَيْدِهِ وَصَحْبِهِمْ ، وَيَسْتَوْفِقُهُ

لِلنَّظَرِ فِي تَقْدِيمِ رِجَالِ مَمْلَكَتِهِ وَزَمَمِهِمْ ، وَيَخْتَارُ مَنْ يَحْتَبِيهِ لِإِحْرَازِ مَدَحِهِمْ بِالْبُعْدِ

مِنْ مُوجِبَاتِ ذَمِّهِمْ ؛ وَلَا يُؤْهِلُ لَذَلِكَ إِلَّا مَنْ تَوَسَّلَ بِالْغَنَاءِ وَتَقَرَّبَ ، وَاسْتَقَلَّ بِالْأَعْبَاءِ

وَتَدَرَّبَ ؛ وَأَطْلَقَ حَدَّ التَّوْفِيقِ فَضْلِي وَتَدَرَّبَ ، وَأُودِعَ الْإِحْسَانَ فَمَا زَايَلَ مَحَلَّهُ

وَلَا تَقَرَّبَ ، وَلَا بَسَّ الْأُمُورَ مَلَابَسَةً مِنْ فُطُنٍ وَجَرَّبَ ؛ وَقَدْ أَيْدَى اللَّهُ دَوْلَتَهُ بِفَتَاهِ

وَأَمِينِهِ ، وَعَقْدَهُ وَثَمِينِهِ ؛ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الَّذِي غَدَتْ أَرَاؤُهُ لِلصَّالِحِ كَوَافِلَ ، وَأَذْكَا

لِلتَّنْذِيرِ عُيُونَ حَرَمٍ غَيْرِ مُلْتَفِتَاتٍ عَنْهُ وَلَا غَوَافِلَ ؛ وَأَطْلَعَ مِنَ السَّعْدِ نَجُومًا غَيْرَ غَوَارِبَ

ولا أوأفل ، وقام بفرائض النصائح قيام من لم يجوز فيها رخص النوافل ، وتحدثت بأفعاله رماحه في المحافل فما راعت الجحافل .

ولما مثل بحضرة أمير المؤمنين أجمل ذكره واطابه ، وقصد بك غرض الاصطناع فأصابه ، واستمطر لك الإنعام الغدق السحاب فأجابه ، ووصف ما أنت عليه من شهامة شهدت وشهرت ، وصرامة تظاهرت وظهرت ، وكفاية برعت وفرعت ، ونزاهة استودعت الأمانة فرعت ، ومناجحة أنفردت بوصفها ، وتحلت واسطة عقد صفها ، وجهاد لم يزل به القرآن مغربا ، والصعب المقاد مدعنا والخطب عابيا (؟) في قيادها مدعيا ، وقزر لك الاستخدام في زم الطائفة فامضى تقريره ، واستصاب تديره ، وخرج أمره إليه بأن يؤخر إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل وإيداعه ماتهدى به ، وتعمل بتأديبه .

فتقلد ماقلدته من ذلك عاملا بالثقة فإنها الحجة والمحجة ، والجنة والجنة ، والمدد السليم ، والمربح القويم ، والنعمة والنعيم ، بقول الله سبحانه في كتابه الحكيم : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ .

فانهض بشروط هذا الزم نهوضا يؤدي عنك من النصح مفروضا ، ويعمل لك كل يوم كتاب شكر مفوضا ، وسس هذه الطائفة بما يوليها دواعي الوفاق ، ويحييها من عوادي الاقتراق ، وأجهذ في منافعها مجتليا ، ولأخلاف درها محتلبا ، وانتصب لاستشفاف أحوالهم وتعهدها ، وملاحظة أفعالهم وتفقدتها ، فمن ألفتته إلى فرائض الخدمة مسرعا ، وبنوافلها متطوعا ، وبكرمه عما يشينه مترعبا ، شحذت بصيرته بالتكرمه ، ورشحت همته للتقدمه ، ومن وجدته لتلك الصفات الزائنة مخالفا ، وللصفات الشائنة مؤالفا ، ولنفسه عما يرفعها صارفا ، قومت أوده وثقفته ، وأشرفت به على منهج الصراط ووقفته ، فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة سِجِلِّ بولاية الفُسطاط المعبّر عنها بمصر على نحو ما تقدّم في ولاية القاهرة، وهي :

أما بعدُ ، فإنَّ أمير المؤمنين لِمَا خَصَّ الله به آراءه من التأييد الذي يُستدّ سِهَامُهَا ، وَيُجْزَل من التوفيق سِهَامُهَا ؛ وأُطْلِق به يَدُه من أَيَادٍ تَسِيْقُ آمَادَ الآمالِ وَتُكَاثِرُ أَوهَامُهَا ، وَأَلْبَسَ الدِّينَ ببقائه من مهابةٍ تَصَيِّرُ قُلُوبَ أعدائه مَهَامُهَا ؛ وَمَيِّزَ به عَصْرَه من خصائص نصر لا تُطِيلُ الأَيَّامَ أَسْتَفْهَامُهَا ولا تُخْشِي أَسْتَبْهَامُهَا ، وَيَسِّرَه من نبأ دعوته التي طَبَّقَتْ أَنْجَادَ الأَرْضِ وَتِهَامُهَا ، وَرَقَّاه من محلِّ أمانة الإمامة التي لا يظهر أَرَبَابَ الأَلْبَابِ على أسرار الله ولا آتِهَامُهَا ؛ وَنَاطَه بتديده من إمالة البرية والاعتناء بمصالحها ، وَأَصَابَه من مرَاشِدِ اليقين التي تَسْتَضِيءُ العقولَ بِمَصَابِيحِهَا ؛ وَأَتَى به الأَنْفُسَ الصَّالِحَةَ من تقواها ، وَصَرَفَ بِمَا صَرَفَه على لسانه من الحُكْمِ عنها مَضَارَّ الشُّبُهَةِ وَطَوَّاهَا ، وَأَلْبَسَه من هدى النبوة التي قَرَّبَ الله إِسْنَادَ من رآها وَفَضَّلَ مَنْ رَوَاهَا - يَسْتَفْزِرُ مَوَادَّ التوفيق من خَالِقِهِ بِنُصْحِهِ في الخَلِائِقِ ، وَيَقْدِّمُ الأَسْتِخَارَةَ بين يَدَيِ أفعاله فهي به أَمْلَكُ الخِلَالِ وَأَخْصُ الخَلَائِقِ ؛ وَيَعْتَمِدُ للقيام بتكاليف الأِسْتِنْهَاضِ ، وَيَخْتَارُ لتقويم الميَادِ من أَشْهَرِ بالتدبير وَجَبَرُ المُنْهَاضِ ؛ وَيُقَدِّمُ لِكِبَارِ الوِلَايَاتِ وَعَوَالِيهَا ، وَخِصَائِصِ الرُّتَبِ وَغَوَالِيهَا ، مَنْ تَكَافَأَتْ في أَسْتِعَابِ المحاسِنِ خِلَالَهُ ، وَخَطَبَ الخِدَمَ المتكَثِّرةَ لأولى الحِطْوَظِ أَسْتِقْلَالَهُ ، وَعَلِمَ أَسْتِدَادَهُ بِطِيبِ الذِّكْرِ وَأَمِنْ أَنْفِصَالَهُ ، وَأَوَى إِلَى جَنَّةٍ مَرِيعة وَجَنَّةٍ مَنِيعة من الوَلَاءِ وَالْحَقَّةِ ظِلَالَهُ ، وَأَسْتَقَامَ على مَحَبَّةٍ وَاضِحَةٍ من المَخَالِصَةِ ولم يُخَفِّ زَيْغُهُ وَلَا ضَلَالَهُ ، وَمَضَتْ ضَرَائِبُهُ فِي المِهْمَاتِ مَضَاءَ الحُسَامِ الذي لا يَنْبُو حُدُّهُ وَلَا يَثْبُتُ أَنْفَالُهُ ، وَصَحَّ بِصِيرَةٍ

في المناصحة فما سرّ الأعداء شكّه ولا اعتلّاه ، وأعطى الخدم حقّوها من إقامة القوانين ، ونهض بأعبائها المتقلّة نهضة المشمرين غير الوائين ، وأشدّت وطأة تبادره على المفسدين والجانين ، وتظاهرت شواهد ميزته بما يكثر له الحساد ويُرغم الشائين ؛ وأقنّى من نفائس المحامد ما يعده أهل النظر قنيّة القانين ، وأسبّقى من جميل الأحداث ما يبقّى ذكره بعد فناء القانين ؛ ووفّقت في الخدمة مصادره ومواردّه ، وانتظمت دُرر الذكركر بحسن ذكره فأتلّفت فواردّه ؛ ونُسِدت ضوأل الغناء فالتفت عنده غرائبه وشواردّه ؛ وأختصّت مساعيه بالإبرار على الأنظار ، وصحّت خلاله على عيب النقد كما صحّح النار نور الأبصار ؛ ونظر لمن أسند إليه أمره نظراً يعفيه من تطرّق الأكدار والمضار ؛ ورعى له ما هو متوسّل به من آثار حقيقة بالإيثار ، وكفاية تأخذ للخدم من الفخر بالثار .

ولما كنت أيها الأمير المراد بهذا الإيراد ، المطرود إليه هذا الاستطراد ، المعذود في أمراء الدولة العلوية من الأعيان الأفراد ؛ المحلّى سيفه بين المساعي الجميلة ينتقى منها ما اختار ويصطفى ما أراد ؛ المهادي الصفات الحسنة فلا جاحد من عُداته ولا راد ؛ المضطّلع بما يعني حمله الحازم المطيق ؛ المستنفد في أفعاله المشكورة أقوال الواصف المنطيق ؛ الواصل بمحمود مساعيه إلى غايات السائقين في مهل ؛ الجامع في تدبير المهمّات بين رأيي أحتكّ وحزم أكتهل ؛ المنظور بعين الحزم بآيات دواعيه ، المترقّي إلى أمانيته في درج مساعيه ؛ المحيّب دعوة العزم إذا قام فلم يسمع المقصرون داعيه ، المجتهد في تشييد أركان التدبير إذا ارتقب اضطرابه وخيف تداعيه ، الممثل وصايا الأدب الصالح فهو بقلبه راعيه وبسمعه واعيه ؛ الشهم الذي ينفذ في الأمور نفاذ الشهم ، الأملعي الذي علّا أن يمانل بما أوتي من بسطة الفهم ؛ المتبوي من النعمة منزلة شكر لا يروم ضيقها أن يريمه ، ومرّيع حمد لا يسوم نازلها غير

أن يُسَيِّمه ؛ المباشر من ماثور السياسة ما آستفاض ذكره فلم تتطرق عليه أسباب
المحمد ، البالغ بسمو المساعي ما قصر الأكفاء عنه ولم يقصروا عن الجهد ؛ الحال
من التقدم في هضابها إذا نزل الأكفاء منها في الوهد ، الحامل من أعباء المشايعة
ماغدا به من الموفين على الأنظار الموفين بالعهد ؛ المحقوق من الوسائل بأن يجودها
النجاح بأعز رديمة وأسقى عهد ؛ المؤدى فيما يُسند إليه فروض التفويض ، الملى
بأن لا تنوب فرصة حزم إلا كان ملياً بالحق والتعويض ؛ المكتفى من وصايا الحزم
بما يقوم له مقام التصريح من التعريض ، المستوجب أن تُجدى إلى آستحقاقه
وتُهدى سحائب الطول الطويل العريض ؛ المستوعب شرائط الرياسة بالإستلاء
على أدواتها ، المتبّع مظان الخطوب بمفاجأة الغرض في مداواتها ؛ المبرز على القرناء
بخلال لا تطمع الهمم في مساماتها ولا مساواتها ، الآخذ من كل شيء بأحسنه فأى
حسنة لم يؤتها ولم ياتها ، النافذ الآراء إذا المشكلات لم يتضح لأرباب الألباب
مُصنّت بيّانها ، المُصيب شواكل الضرائب فسهام آرائه مذلولة على شواتها ، المتبرج
المقاصد لعيان الحمد إذا تحفّزت الأفعال ووارت سواتها ، المعروف بثبوت الجنان ،
حين يلتبس الشجاع بالجبّان ، المشكور في مواقف الحرب بأفواه الجراح ولسان
السنان ؛ المقدم حيث الأعضاء تتزّل والأقدام تتزلزل ، المقتحم غمرات الهيجاء
والأرواح عن ولايات الأجسام تُعزل . وقد وليت الولايات فاستقلت بها أحسن
آستقلال ، ورفع لك منار العدل فاستدللت منه بأوضح آستدلال ؛ وجعلتها على من
تؤويه حرماً ، وعلى من يطرقها حمى ؛ وكنت لجمهور زمانك في المصالح والنصائح
مقسماً ، ولحكم التقوى ولو ضقت مشقاتها دون حكم الهوى محكماً .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين قتاه ووزيره السيد الأجل الذي حلّ المشكلات
من رأيه ورأياته بالشمس ومُحّاها ، وتعرّضت له آية الليل من العدا بخلاها بسُيوفه

ومحاربا ، وثبت نصاب الملك الفاطمي حين أدارت الحرب على فتكاته رحاها ،
وأقناده الأعداء إلى مصارعها بخزائم من العزائم وأوحاها ، وقام بنصر أئمة
الهدى حين قعد الناس ، وزعى الله عزيمته الصابرة في البأساء والضراء وحين
الباس ، وخاطر في حفظ الدين بنفس تجرى مجبها مع الأنفاس ، وحل من ملوك
الأرض محل العين من الراس بل الراس من الحواس ، وأتعبت الأجسام هممه
الحسام ، وأعدى الزمان فنبسم جدلا بعدله البسام ، وقسمت المطامع أمواله فحى
المجد الموقر عليه من الانقسام .

فطالع أمير المؤمنين بأخبارك بعد اختبارك ، وتوسلك إلى التقدمة بمرضى آثارك ،
وما أظهره الامتحان من نقاء سريرتك وأسرارك ، وأستقامتك على مثلى الطريقة
وأستبصارك ، وأن ولاية مضر من أنفس الولايات محلا ، وأثبتها على غيرها فضلا ،
مجاورتها لل مقام الكريم ، وحصولها من استقلال الركاب الشريف إليها على الشرف
العظيم ، واختصاصها من مجال الخلافة بما جمع لها بين الفخرين الحادث والقديم ،
وأوجب لها على غيرها من البلاد مزية ظاهرة التكريم والتقديم ، وما يمت به أهلها
من شرف الحوار الذى لا ملهم به التخيير في الإحسان والتحكيم .

وما رأى من إسناد ولايتها إليك علما أنك ممن تركو لديه الصنيعه ، وتروى
في جيد كفايته فرائد المن البضيعه ، وتتطامن لأستحقاقه ذروة كل مرتبة رفيعه -
نرج أمر أمير المؤمنين إليه ، بأن يؤعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك
بالولاية المذكورة . فتقأ ماقلدك منها مقدما تقوى الله على كل فعل وقول ، متبرئا
إليه من طول الحول ، معدا ذخيرتها النافعة ليوم الهول ، قال الله فى مُحكم الكتاب :
﴿ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ .

وَأَنْظُرْ فِي هَذِهِ الْوَلَايَةِ حَاجِكًا بِالْقِسْطِ ، وَسَاوِي الْحَقِّ بَيْنَ طَبَقَاتِ النَّاسِ ؛
وَلَا تُمَيِّزْ فِيهِ رَفِيعًا عَلَى حَقِيرٍ ، وَلَا غَنِيًّا عَلَى فَقِيرٍ ؛ وَأَقِمِ الْحُدُودَ عَلَى مَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ
إِقَامَةُ يَرْتَدِعُ بِهَا الْمَغْرُورُ ، وَتُسْتَقِيمُ بِهَا الشُّؤُنُ وَتَنْتَظِمُ الْأُمُورُ ؛ وَرَاعِ مَنْ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ
الْمَحْرُوسَةِ مِنْ شُهُودِهَا ، وَمُمَيِّزِي أَهْلِهَا ، فِيهَا الْفُقَهَاءُ وَالْأَتَقِيَاءُ ، وَالْقُرَّاءُ وَالْعُلَمَاءُ ؛
وَالْمُمْتَنِزُونَ الْأَعْيَانُ الْوُجُوهُ ، وَأَهْلُ السَّلَامَةِ الَّذِينَ يَسْتَوْجِبُ كُلُّ مِنْهُمْ نَيْلَ مَا يَأْمُلُهُ
وَبُلُوغَ مَا يَرْجُوهُ ؛ فَاعْتَمِدْ إِعْزَازَهُمْ ، وَتَوَخَّ تَكْرِمَتَهُمْ ؛ وَوَقِّهِمْ مَا يَجِبُ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ ،
وَأَلْقِهِمْ بِالْوَجْهِ الْمُسْفِرِ الطَّلُقِ ؛ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَنُصِّ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَعَاقِبُ
عَلَيْهِ ؛ وَتَفَقَّدْ أَحْوَالَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ ، وَحَافِظْ عَلَى إِجْرَائِهَا عَلَى أَحْكَامِ الصَّوَابِ
وَقَضَايَا الْوَاجِبِ ؛ وَاحْظُرْ فِي الْمَكَائِلِ وَالْمَوَازِينِ الْبَخْسَ وَالتَّطْفِيفَ ، وَقَدِّمِ الْإِنْذَارَ
فِي ذَلِكَ وَالتَّحْذِيرَ وَالتَّخْوِيفَ ؛ وَأَوْعِزْ بِتَنْظِيفِ الْمَسَالِكِ وَالسَّاحَاتِ ، وَأَمْنَعْ مِنْ
تَوَعِيرِ السُّبُلِ وَالطَّرِيقَاتِ ؛ وَاعْتَمِدْ كُلَّ لَيْلَةٍ مُوَاصِلَةَ التَّطَوُّافِ عَلَى أَرْجَاءِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ
وَأَكْثَافِهَا ، وَمُتَابَعَةَ الْإِطْلَالِ عَلَى نَوَاحِيهَا وَأَطْرَافِهَا ؛ وَاعْمَلْ فِيمَنْ تَظْفَرُ بِهِ مِنْ عَائِثٍ
وَعَادٍ ، وَمُنْتَهَجِ طَرِيقِ الْفُسَادِ ، مَا يَرْتَدِعُ بِهِ سِوَاهُ ، وَيَجْعَلُهُ مَوْعِظَةً لِمَنْ يَعْدِلُ
عَنِ الصَّوَابِ وَيَتَّبِعُ هَوَاهُ ؛ وَاشْدُدْ مِنَ الْمُتَصَرِّفِينَ عَلَى بَابِ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ فِي قُوْدِ أَبَاةِ
الْخُصُومِ ، لِيُنْظَرَ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَنْتَصِفُ بِهِ الْمَظْلُومُ مِنَ الظَّالِمِ ؛ وَتَقَدَّمَ بِتَوْقِيرِ الْجَوَامِعِ
وَصِيَائِهَا ، وَحَافِظْ عَلَى مَاعَادِ بَهْجَتِهَا وَنِظَاقَتِهَا ؛ وَخُذِ الْمُسْتَخْدِمِينَ فِي الْأَرْبَاعِ بِأَنْ
يَتَّقِظَ كُلُّ مِنْهُمْ لِمَا يَجْرِي فِي عَمَلِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا يَحْدُثُ وَيُنْهَى إِلَيْكَ مِنْ قِبَلِهِ ؛
وَأَنْظُرْ فِي الصَّنَاعَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَفِي عَمَائِرِ الْأَسَاطِيلِ الْمَظْفَرَةِ الْمَنْصُورَةِ ؛ وَتَوَقَّرْ عَلَى تَدْيِيرِ
أُمُورِهَا وَالْإِهْتِمَامِ بِشُؤْنِهَا ؛ وَحِفْظِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَخْشَابِ ، وَالْحَدِيدِ وَالْعُدَدِ وَالْآلَاتِ
وَالْأَسْبَابِ ؛ وَأَبْعَثِ الْمُسْتَخْدِمِينَ عَلَى الْمَنَاصِحِ فِيهَا ، وَبَذِلِ الْجُهْدَ فِي قَصْدِ مَصَالِحِهَا
وَتَوَخَّيْهَا ؛ وَأَجْرَأْ أَمْرَ هَذِهِ الْوَلَايَةِ عَلَى مَا يَشْهَدُ بِحُسْنِ أَثَرِكَ ، وَجَمِيلِ ذِكْرِكَ وَطِيبِ

خبرك؛ فاعلم هذا وأعمل به، وطالع مجلس النظر السيدى الأجلّى بأمور خدمتك، وما يحتاج إليه من جهتك؛ إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة سجل بولاية الأعمال القوصية، وهى بعد التصدير:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين لموضع من خلافة الله التى أعمره إياها، وأنا بنظره محيّاها؛ والإمامة التى أقره ذراها، وناط به عراها؛ وما وكله إليه من القيام، بحفظ الإسلام، الذى رضىه ديناً، وألبسه بعدله تحسیناً وبذبه عنه تحصيناً؛ وما استودعه إياه من جوامع الحكم، وعدقه بكفالاته من رعاية الأمم، وعضده برأيه من التأييد والتوفيق، وأوجبه من فرض طاعته على كل مطبق - يصطفى لمعونه على النهوض بما حمّله الله من أعباء الأمانة، والشكر على ما أختصه به من الوجاهة عنده والمكانة؛ ويستكفى فيما أمر به من إحسان الإيالة فى بريته، وينتخب لتفويض أمورهم والسلوك بهم مسالك رافته فى سيرته - من يكون أصطفاؤه لرضا الله عنه مطابقاً، وأجتنأؤه لشرائط المراد والاقتراح موافقاً؛ وانتصابه للهمم أفضل ما يبدى به وقدم أعماده، وإسناد الأمر الجسم إليه أوفى ما عظم بتدبره شأنه ورفع بنظره عماده؛ وإن ولى ولاية، جعلها بمهابته حرماً آمناً على أهلها من المخاوف، وغداً حسن سيرته برهاناً على فضله يضطر إلى التصديق به المؤلف والمخالف؛ وأعاد حميد أثره محلها ربيعاً مرمراً، وقرب حسن شأنه من المطالب ما كان بعيداً متمتعاً؛ وإن نذب للخلج، عاد مظفر المقاصد، محفوفاً باليأمن والمساعد؛ ساحباً ذيل الفخر، حائراً لىكنوز الأجر؛ مستعيناً بتوحيده على العدد الجسم، والعسكر الدهم^(١).

وإنَّ هذه الأوصاف قد أصبحت لك أيُّها الأميرُ أسامي لم تزدك معرفه، وخواصَّ المهيمَّات إلى ملابسيتك إياها متطلَّعة متشوّفه، وأفعالك الحميدة قد بنت لك بكلِّ ريع منارا، وجعلت لك في كلِّ مكرمة سماء وآثارا، وجميل رأى أمير المؤمنين فيك، قد زاد توفيق مساعيك، وضاعف ارتقاء معاليك، وجعل الخيرة مقترنة بمقاصدك ومراميك، وسما بك إلى رتبة من الوجاهة تتذبذب دُونها مطارح الهيم، وأحلَّك من الثقة بك منزلة لا تُفْضي إليها خواطر الظنِّ والتهم، وتحقق من يقينك ومضاء عزيمتك، وعدل سيرتك وصفاء سيريرتك، ماجعل حظك عنده زائد النماء، وذكرك بحضرته مكنوفاً بالشكر والثناء، ووسائلك إليه متقبلة، وقد أدركت في ريق الشباب حزامه الكهول، وأستنججت في مقاصدك بضمير من الولاء مأهول، ولك البيت الذي كثُر فيه الأجداد والأفاضل، وأحلَّك في دعة الناس من يخافهم المباري والمناضل، وتساوت في اعتقاد تفضيلهم حالتا السرِّ والجهر، وأصلح بعزائمهم مآظهم من الفساد في البر والبحر، وفَتَّ المطامع بفضيلة هذا النسب وفضيلة النفس، ودلت ما ترك على ما ظهر من خصائصك دلالة الفجر على الشمس.

ولما رآك أمير المؤمنين أهلاً للعون على استيجابه لطفاً لله عنده، والتماس عوائد صنعه الجميل فيمن فارق سعيه ونبد عهده - آتتضئ منك حساماً حاكماً للدواء، معيناً في اللاءاء، طباً بتأليف الأهواء، لا ينبو غراره، ولا يخشى اغتراره، ولا يفلح حده، ولا يؤويه غمده، فانهقنت الدماء، وسكنت الدهماء، وعم الأمن، وعظم من الله تعالى الطول والمث، وأصبح مكان القول فيك ذا سعة فسيحا، ولسان الإحماد لأفعالك منطلقاً فصيحاً، وحصلت من الوجاهة عند أمير المؤمنين بحيث [لا تأباك] رتبة خطيره، ولا تتأى عنك بجانها [منزلة] رفيعة أثيره، بل غدت خواصها فيك

لأَسْتَجْزَالَ حَظَّهَا مِنَ الْجَمَالِ بِكَ رَاغِبَهُ ، وَمَتَنَعَاتُهَا لِأَسْتَكْرَامِ الْإِكْفَاءِ طَالِبَةً لِلْإِفْضَالِ
بِلِ خَاطِبَةٍ ؛ إِذَا كَانَ مَا يَعْدَمُ التَّسَمُّ بِكَ لَا يَعْدَمُ شَعْنًا وَأَخْتِلَالًا ، وَمَا حَظِيَّ مِنْهَا
بِمَقَارِبَتِكَ يَتِيهِ زُهْوًا بِكَ وَأَخْتِيَالًا ؛ فَإِذَا أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَمَلٍ
مِنْ أَعْمَالِ مَمْلَكَتِهِ وَيَرْفَعَ مِنْ مَحَلِّهِ ، وَيُفِيضَ عَلَيْهِ مِنْ سَحَائِبِ رَأْفَتِهِ مَا يَكُونُ مَاحِيًا
لِأَثَارِ جَذْبِهِ وَمَحَلِّهِ ؛ وَيُعِمُّ بِالْبَرَكَاتِ أَقْطَارَهُ ، وَيَبْلُغُ كَلًّا مِنْ أَهْلِهِ مَا رَبَّهُ مِنَ الْعَدْلِ
وَأَوْطَارِهِ - أَسْتَنْدَ مِنْكَ إِلَى الْقَوِيِّ الْأَمِينِ ، وَالْكَامِلِ الَّذِي لَا يُخَدَعُ الظَّنُّ فِيهِ وَلَا يَمِينُ ؛
إِذَا اسْتُكْفِيَ أَمْرًا حَمَى حَمَاهُ بِالْمَاضِيَيْنِ : حُسَامِهِ وَأَعْتَرَامِهِ ، وَتَمَسَّكَ فِي حِفْظِ
نِظَامِهِ بِالْحُسْنَيْنِ : طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ إِمَامِهِ .

وَمَا كَانَتْ مَدِينَةُ قُوصَ وَأَعْمَالُهَا أَمْدَى أَعْمَالِ الْمَمْلَكَةِ مَسَافَهُ ، وَأَبْعَدَهَا مِنْ دَارِ
الْخِلَافَةِ ؛ وَتَشْتَمِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَجْناسِ النَّاسِ ، وَأَخْلَاطٍ يُحْتَاجُ فِيهِمْ إِلَى إِحْسَانِ
السِّيَاسَةِ وَالْإِنْسَانِ ؛ وَعَلَيْهِ مَعَاجُ الْمَسَافِرِينَ مِنْ كُلِّ فُجَّ عَمِيقٍ ، وَإِلَيْهِ يَقْصِدُ الْمُجْتَاجُ
إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْعَتِيقِ - رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَبِاللَّهِ تَوْفِيقَهُ أَنْ يَرُدَّ وَلَايَةَ الْحَرْبِ بِهَا
إِلَيْكَ ، وَيُعَوَّلَ فِي تَقْوِيمِ مَائِدَتِهَا وَضَمِّ نَشْرِهَا عَلَيْكَ ؛ وَأَنْ يَحْسِمَ بِكَ دَاءَهَا ؛ وَيُحَسِّنَ
بِنَظَرِكَ رُوءَاءَهَا ؛ وَيُعِمُّ أَهْلَهَا بِكَ رَأْفَةً وَمَنًّا ، نَفْرَجُ أَمْرَهُ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتُبِ
هَذَا السَّجَلِ [لَكَ] بِالْوَلَايَةِ الْمَذْكُورَةِ .

فَتَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْتَمَدَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي جَعَلَهَا شَرْطًا فِي الْإِيمَانِ ،
وَأَمَرَ بِاعْتِمَادِهَا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ ؛ فَقَالَ فِي تَابِهِ الْمُبِينِ : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾ .

وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَبْسُطُ عَدْلٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْبَايِنِ وَالْحَضَرِ ؛
وَأَقَمَ الْحُدُودَ عَلَى مَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ بِمَقْتَضَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَقُمَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ

من ذلك بأنفذ عَزَمٍ وأقوى مُنَّه ؛ وساوٍ في الحقِّ بين الضعيف والقوى ، وآسٍ بين العدو والوليّ [والذميّ] والمليّ ؛ وأجعل من تضمُّه هذه الولاية ساكنين في كنف الوقياه ، مشمولين بالصَّون والحمايه ؛ وليكنَّ أربهم في الصلاح من أربك ، فكلُّ منهم شاكرٌ لله على النعمة بك ؛ وبُتَّ في أقطارها ما يحجزُ النفوس العاديَّة عن النظام ، ويُعيد شيتهم بعد العدوان مُخلدة إلى التوادع والتَّسالم ؛ ومن أقدم على بكاء الإجماع ، ولم يتخرج عن الدِّم الحرام ؛ فأمتثل فيه ما أمر الله به في قوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ 》 .

واعتمد المستخدَم في الحكم العزيز والدَّعوة الهاديَّة - بثبتهما الله - بما يقوى عزمه ، وينفذ حكمه ؛ وأجزل حظه من إعزاز الجانب ، وتيسير المطالب ؛ وأحسن إليه العون على صون المؤمنين ، واجتلاب المستخين . والمستخدمون في الأموال من مُشارفٍ وعامل وغيرهما فأندبهم في عمارة الأعمال ، وبلغهم في المرافدة كنه الآمال ؛ وأشدُّد منهم في صون الارتفاع ، وحفظه من الإفراط والضياع ؛ وضافهم على استخراج الخراج ، وخذهم بمجل المعاملين على عدلٍ منهج . والرجال العسكرية المركزية المستخدمون معك فاستخدمهم في الحدم السانحه ، وصرفهم في المهمَّات القريبة والنازحه ؛ فمن استقام على طريق الصواب ، أجريت أموره على الانتظام والاستتباب ؛ ومن كان للإخلال آلفا ، وللواجب مُخالفا ، قومت بالتأديب أوده ، وحلَّته عن مورد الفساد الذي تورَّده .

هذه دُرر من الوصايا فأبعث (١) على إحضاره الثقة بهدايتك إلى كلِّ صواب ،

(١) لعله بعث على اختصارها الثقة الخ تأمل .

واعتلاقك من الديانة والأمانة بأوتى الأسباب ؛ وإحاطة علم أمير المؤمنين بأستغنائك بذاتك ، وكإل أدواتك ، عن الإيقاظ والتنبيه ، والإرشاد فيما تنظر فيه ؛ والله يوفقك إلى ما يرضيه ، ويجعل الخيرة مكتنفة لما ترويه وتمضيه ؛ فأعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

* * *

وهذه نسخة سجل بولاية الأعمال الغريبة ، وهى :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين لما فضله الله به من إمامة البشر وشرّفه ، وأناله إياه من الخلافة التى نظم بها عقد الدين الحنيف وألفه ؛ وأمضاه الله له فى أقطار البسيطة من الأوامر ، ونقله إليه من الخصائص النبوية التى تجلّت بذكرها فروق المنابر ، ومكّنه له من السلطان الذى تخضع له الجبابرة وتدين ، وعصّده به من التأييد الذى أرغم المشركين وخفض منار الملّحين ؛ وآثره به من مزايا التقديس والتمجيد ، وألهمه إياه من استكمال السيرة التى أصبح الزمن يجالها حالى الحيد ؛ وأنجد به ملكه من موالاة النصر ومتابعة الإظفار ، وحازه له من موارث النبوة المتقلة إليه عن آبائه الأطهار ؛ وأصطفاه له من إيضاح سبل الهدى المعتاد ، وألهمه إياه من إسباغ ملابس الرحمة على الحاضر من الأمم والباد ؛ ووقّر عليه أجهتاده من استنداء المصالح وأجتلابها ، وصرف إليه همه من تمهيد مسالك الأمانة وفتح أبوابها - يتصفّح أمور دولته تصفّح العاني تهذيب أحوالها ، ويتفقّد أعمال مملكته تفقّدا يزيل شعها ويؤمن من آختلالها ؛ ويعدّق المهمات الخطيرة بالصدور الأفاضل من أصفياه ، ويزيّد فى رفع منازل أوليائه إلى الغاية التى تشهد بجلالة مواضعهم من جيل آرائه ؛ ويفيض عليهم من أنوار سعادته ما يظهر سناه للأبصار ، ويمتحنهم من أصطفائه ما لا يزال دائم الثبات والاستقرار ؛ ويعول فى صيانة الرعايا من المضار ؛ وحراسة الأعمال المتميزة من عيث المفسدين والدّعار ، على من ترّوع مهابته ضواري

الآساد، وتكفل عزائمهم بقطع دابر الفساد؛ ويُدع في السياسة الفاضلة ويُغرب،
وتُعجب أنباؤه في حسن التدبير وتُطرب؛ ويعمُّ الرعايا بضروب الدعة والسكون،
ويشملهم من الأمانة والطمأنينة بأنواع وفنون؛ وتقوم كفايته بسد الخلل وتقويم
الأود، ويبلغ في تيمنه في اكتساب المحامد إلى أقصى غاية وأبعد أمد؛ ويعني
ب حفظ التواميس وإقامة القوانين، ويدأب في استعمال السيرة الشاهدة له باستكمال
الفضل المبين؛ ولا يألو جهداً في تقريب الصلاح واستدناؤه، ويقصد من الأفعال
الجميلة ما تلهج به الألسن بإطابة شأنه .

ولما كنت أيتها الأمير تُنجها من نجوم الدين المضيئة المشرقة، وثمره من ثمرات
دوحة العلاء الزكية المورقة؛ وقدأ في الفضائل البديعة، وفردا في المحاسن التي لم تُفّر
بنظير ذكرها أذن سميعه؛ وسيفاً يحسم داء الفساد حداه، وكافياً لا يتجاوزهُ الإقتراح
ولا يتعداه؛ وماجداً حاز المفاخر عن أهل بيته كابر عن كابر، وعلماً في المآثر يهتدى
به الأعيان الأكابر؛ وهماماً تملأ مهابته القلوب، وماضياً تلوذ بمضائه الأعمال
الخطيرة وتثوب؛ وصدرًا تُقرّله الرؤساء بارتفاع المنزلة، ومهذباً أغرته شيمه الرضية
ببث الإنصاف وبسط المعيلة؛ وحازماً لا يُخشى أخذاعه وأغتراره، وعازماً لا ينكهم
عزمه ولا يكلّ غراره . وقد ألفت إليك المناقب قيادها مطيعه، وأحطتكم الرياسة
في أشمخ ذروة رَفيعه؛ وتألفت عندك الفضائل تألفت الجواهر في العقود، وتكفلت
لك مساعيك المحموده بتضاعف الميامن وترادف السعود؛ وتكاملت فيك الخلال
المطابقة لكم أعراقك، وأستعملت الأفعال الشاهدة بمبالغتك في ولاء أتمتكم
وإغراقك؛ وحصل لك من الانتماء إلى البيت الصالحى الكريم ما كسبك فخرا
لا يبرح ولا يريم؛ وخصك في كل زمن بمضاعفة التفخيم والتقديم؛ وأنا لك من الإقبال
غاية الرجاء، وجعل وجهتك فسيحة الفناء؛ وسيرة الأرجاء . ولك المهابة التي تُغني

غناء الحيوش المتكاثرة العَدَد ، والشجاعة التى تُسَلِّط قَوَارِعَ الدِّمَارِ عَلَى مَنْ كَفَرَ
وعند؛ والعزم الذى آسَمَدَتِ السُّيُوفُ الباترة من مَضَائِهِ ، وعَزَّ جَانِبُ التَّوْحِيدِ
بِأَنْتِضَائِهِ لِحِجَاهِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَآرِثِيَّائِهِ ؛ وَالْإِقْدَامُ الذى تَلَوَّذُ مِنْهُ أَسُودُ الْوَقَائِعِ بِالْفِرَارِ ،
وَالْبَأْسُ الذى لَا يَعْصِمُ مِنْهُ الْهَرَبُ وَلَا يُنَجِّيْ مِنْ بَوَادِرِهِ الْحِدَارُ .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه ووزيره ، وصائين مُلْكِهِ وَظَهْرِهِ ؛ السَّيِّدُ الْأَجَلُ
الذى ^(١) فَأَخْبَى عَلَيْكَ شَاءَ طَالَ وَطَاب ، وَحَرَّرَ فِي ذِكْرِ مَنَاقِبِكَ وَمَحَاسِنِكَ
القولَ وَالخُطَابَ ؛ وَذَكَرَ مَالِكَ [مِنَ الْأَعْمَالِ] فِي الْأَعْمَالِ الْغَرِيبَةِ ، الَّتِي أَعَادَتِ
الْأَمْنَةَ عَلَى الرِّعْيَةِ ؛ وَمَا آسَمَعَمْتُ فِيهِمْ مِنَ السَّيْرِ الْعَادِلَةِ ، وَالسِّيَاسَاتِ الْفَاضِلَةِ ؛
وَقَرَّرَ لَكَ الْخِدْمَةَ فِي وِلَايَةِ أَعْمَالِ الْغَرِيبَةِ ؛ - نَفَرَجَ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ بِأَنْ يُوعِزَ
إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِّ لَكَ بِالْوِلَايَةِ الْمَذْكُورَةِ .

فَتَقَلَّدَ مَا قُلَّدْتَهُ عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ الِذِى إِلَيْهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ، وَيَعْلَمُ حَاطَّةَ
الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ؛ وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ فِي كِتَابِهِ الْمَكْنُونِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ فَاعْتَمِ بِالْعَدْلِ مَنْ تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْوِلَايَةُ ، وَأَنْتَهُ
فِي حَيَاتِهِمْ وَكَلَاءَتِهِمْ إِلَى الْغَايَةِ ؛ وَصُنْهُمْ مِنْ كُلِّ أَدَى يُلْمُ بِسَاحَتِهِمْ ، وَتَوَفَّرَ عَلَى مَا عَادَ
بِاسْتِثْنَاءِ مَصْلَحَتِهِمْ ؛ وَأَخْصِصْ أَهْلَ السِّرِّ وَالسَّلَامَةِ بِمَا يُصْلِحُ أَحْوَالَهُمْ ، وَيُشْرَحِ
صُدُورَهُمْ وَيُسِّطِ أَمَالَهُمْ ؛ وَقَابِلِ الْأَشْرَارَ مِنْهُمْ بِمَا يُدَوِّخُ شَرَّهُمْ ، وَيَكُفِّ عَنْ ذُنُوبِ
الْخَيْرِ مَضَرَّتِهِمْ ؛ وَأَشْدِّدْ وَطَأَتَكَ عَلَى الدُّعَارِ وَأَهْلِ الْعِنَادِ ، وَتَطْلُبْهُمْ حَيْثُ كَانُوا
مِنَ الْبِلَادِ ؛ وَأَقِصِّدْ حِمَايَةَ السُّبُلِ وَالطَّرِيقَاتِ ، وَصُنْهَا مِنْ غَوَائِلِ الْمُفْسِدِينَ عَلَى مِثْرِ
الْأَوْقَاتِ ؛ وَمَنْ ظَفِرَتْ بِهِ مِنَ الْمُجْرِمِينَ فَاجْعَلْهُ مُزْدَجِرًا لَأَمْثَالِهِ ، وَمَوْعِظَةً لِمَنْ
يَسْلُكُ مَسْلِكَ ضَلَالِهِ ؛ وَالْمُقَدِّمُونَ عَلَى سَفْكِ الدِّمِ الْحَرَامِ ، وَالْمُرْتَكِبُونَ لِكِبَاثَةِ الذُّنُوبِ

والإجرام، فامتثل فيهم ما أمر الله تعالى به في كتابه الكريم، إذ يقول: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ نَجْزِي فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

وأجزل حظ الثواب في الحكم العزيز من عنايتك، واجعل لهم نصيباً وافراً من اهتمامك ورعايتك، وعاضدكم على إقامة منار الشرع، وأجر أحوالهم على أجل قضية وأحسن وضع. والمستخدمون في الأموال، تُسدّ منهم شداً يبلغهم الآمال، ويقضى بتزجية الارتفاع وتثير الاستغلال، وعاضدكم على عمارة البلاد، ووازركم على ما تكون به أحوالها جارية على الأطراد. والرجال المركزية والمجردون فاستنهمهم في المهمات القريبة والبعيدة، وخذهم بلزوم المناهج المستقيمة السديدة، وقابل الناهض منهم بما يستوجب له نصيبه، وقوم المقصر بما يوزع من يسلك مسلكه ويقتنى طريقته، فاعلم هذا وأعمل به وطالع، إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة سجل بولاية نجر الإسكندرية، كُتب به لابن مصل، من إنشاء القاضي الفاضل، وهي :

أما بعد، فإن أمير المؤمنين لما أكرمه الله به من شرف المنصب والنصاب، وأجار العباد بآبائه الطاهرين من عبادة الأوثان والانصباب، وأوردتهم من موارد حكمه التي كل صادر عن ربي قلبه منها صاد، وسخره بأمره من رياح الصواب التي تجرى بأمره رخاء حيث أصاب، وأضفى بسهام عزائمهم، من مقاتل الباطل، وحلّ بأنوار مكارمهم، من أجياد الأمانى العواطل، وأنجزه على يد أيديهم من وعود سُعود تظل السحب المواطر بمثلها هواطل، وتوحده به من الإمامية التي أعز بها

أحزاب التوحيد، وأجراه من بركاته التي لا تقول لها هل من مزيد، وأوراه من فتكاته التي لا تقول لها الآجال هل من محيد، وأجده من إرادته لأزمة الأيام فهي بين إنعامه وإسقامه تفيد وتفيد ؛ وأحدثه له من معجزات التأييد التي تملك أحاديثها رقّ التأبید، وشرف به قدره في ملكوت السموات والأرض والملائكة له أنصار والملوك له عبيد ؛ وألهمه من إبداع جليّ صنائعه حيث لا ينكر المقلد ولا يستغرب التقليد ، وأنطق به لسان كرمه من بدائع إحسان تروق بين التريد والتوليد - ينظر بنور الله فيمن ينظر به للجمهور ، ويحلو عقائل المكارم على من هو ماهر في تقدمة المهور ؛ ويرى الذين يرجون بولائه تجارة لن تبور ، ويقتدح الأنوار المودعة في سواد الشباب كما يودع في سواد العين بياض الثور ؛ ويرفع رتب الأعيان حتى إذا تعاطاها سواهم ضرب بينه وبينها سور ، وتعود أياديه إلى بيوت النعم فكل بيت تولاه كالبيت المعمور ؛ ويهدي السرور بهم إلى صدور الثغور ، والابتسام إلى ثغور الصدور ؛ ويرى أنهم يستوجبون فواضله ميرانا ، وإذا سلمت إليهم أئنة الولايات كانت لهم ترانا ، وإذا تبوءوا الرتب العلية كانت الرئاسة لهم دارا والسياسة أئانا ؛ لا سيما الصدر الذي عرفته السعادة لدولة أمير المؤمنين واحدا يجمع فضل سلفه ، وتدبا ماعرضت عليه جواهر الدنيا فضلا عن أعراضها إلا ولأها عطف نراهته وظلفه ؛ وألمعا تتناثر معاني المعالي من شمائله كما تنتثر من غصن القلم نمارأخره ، وكفا للصدور من أنهضه بها بنص تكلفه أنهضه بها فضل كلفه ؛ وقواما بالأمور يمتضى عليها مضاء النجم في بحر حنيسه لا السهم في نحر هدفة ، وملا كاللثغور إذا حل منها في إسكندريتها فهو على الحقيقة نجم حل برج شرفه ؛ وطودا للوقار يعتري الحلم منه إلى أقومه لا إلى أخنفة ، وشرطا للاختيار ، يكتفى مصطفىه منة معرفه ومثونة معنفة ؛ ومعنى للفخار ، لم ينتصف فيه من لسان

واصفه **مَسْمُوعٌ** مُسْتَوْصِفُهُ ، وَعَلَمًا لِلْأَنْظَارِ ، يَدُوكُمْ مَنَارٌ إِشْرَاقُهُ وَيُخْفِي عَلَيْهِمْ
مَنَالٌ شَرْفُهُ .

وَمَا كُنْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَاسِطَةً عَقْدَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْحُسْنَى ، وَمُنْجِدَ أَلْفَاظِهَا
مِنَ الْحَقِيقَةِ بِالْمَعْنَى الْأُسْنَى ؛ الْمُتَوَحَّدَ مِنَ الرِّيَاسَةِ بِاسْمٍ لَا يَجْمَعُ بَعْدَهُ وَلَا يُتَى ،
الْجَارِي إِلَى غَايَةٍ مِنَ الْمَجْدِ لَا يُرَدُّ عَنْهَا عِنَانُهُ وَلَا يُثْنَى ؛ الْجَدِيدَ إِذَا وَلَّى أَنْ يُسْكِنَ
الرَّعِيَّةَ الْيَوْمَ عَدْلًا لَا تَسْكُنُهُ فِي غَدٍ عَدْنَا ؛ وَيُخْزِرُ فِيهِمْ وَعَدَ اللَّهِ الصَّادِقَ فِي قَوْلِهِ :
﴿ وَلِيَبَدِّلَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ . الْمُسْتَبَدَّ بِالْمَحْمَدِ حَتَّى آسَقَرَتْ فِيمَا يَفْعَلُ وَآسَقَرَتْ
فِيمَا يُكْنَى ؛ الثَّبَتَ الَّذِي لَا تَقْرَعُ الْأَهْوَالُ صِفَاتِهِ ، النَّدْبَ الَّذِي لَا تَبْلُغُ الْأَقْوَالُ
صِفَاتِهِ ، الْوَلَى الَّذِي لَا تَكْذُرُ الْأَحْوَالُ مُصَافَاتِهِ ؛ الْجَامِعَ بَيْنَ فَضْلِ السَّوَابِقِ وَفَضْلِ
الْوَاحِقِ ، الْمُتَجَلَّى فِي سَمَاءِ الرِّيَاسَةِ نِيرًا لَا تَهْتَضِمُهُ ضُرُوفُ اللَّيَالِي الْمَوَاحِقِ ؛ الْمَشْكُورَ
الْفَعَالَ لَا بِالسِّنَةِ الْحَقَائِبِ بَلْ بِالسِّنَةِ الْحَقَائِقِ ، الْمُسْتَبَدَّ بِالْهَمِّ الْجَلَائِلِ الْمَدْلُولَةِ
عَلَى الْمَحَاسِنِ الدَّقَائِقِ ؛ الْمُسْتَمَدَّ صَوْبَ الصَّوَابِ مِنْ خَاطِرٍ غَيْرِ خَاطِلٍ ، الْمُسْتَجِدَّ
ثَوْبَ الثَّوَابِ بِسَعْيٍ يَنْصُرُ الْحَقَّ عَلَى الْبَاطِلِ ؛ الْمُسْتَعَدَّ لَعُقْبِ الْأَيَّامِ بِأَقْرَانٍ مِنَ الْحَزْمِ
تَنْثِيهَا عَلَى الْأَعْقَابِ ، الْمُسْتَرَدَّ بِمَسَاعِيهِ قَوَارِطِ مَحَاسِنِ كَانَتْ مَطْوِيَّةً فِي ضُمَائِرِ الْأَحْقَابِ ؛
السَّامِيَ بِهَيْمَتِهِ ، إِلَى حَيْثُ نَتَقَاصَرُ النِّوَاطِرُ السَّوَامِي ، الْمُقَرِّطُسُ بِعَزِيمَتِهِ ، حَيْثُ لَا تَبْلُغُ
الْأَيْدِي الرُّوَامِي ؛ الْمُسْتَقِيلَ بِقَطِّ نَوَاجِمِ الْخُطُوبِ وَحَسْمِهَا ، الْمُسْتَقَرَّ فِي النُّفُوسِ أَنَّهُ
يُقُومُ فِي ظُلُمِهَا مَقَامَ نَجْمِهَا ؛ الْمُطَاقَ وَجْهًا فَلَا غُرُوَّ أَنْ تُجَلِّيَ بِهِ الْجُلِّيَّ ، الْمَطْلُقَ وَصْفًا
حَسَنًا فَلَا يَعْزُضُ لَهُ لَوْلَا وَلَا إِلَّا ؛ الْمُؤَيَّدَ الْعَزَمَاتِ ، فِي صَوْنٍ مَا يَفُوقُ إِلَيْهِ وَيَلِيهِ ،
الْمَتَّقِي الْوَثَبَاتِ ، مِمَّنْ يُجَاوِرُهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَيَلِيهِ ؛ الْمُحْيِي بِمَسْعَاهِ مَا شَادَهُ أَوَّلُوهُ ، وَالْمُتَوَصِّحَةَ
فِيهِ نَصُوصُ الْمَجْدِ الَّذِي كَانُوا تَأَوَّلُوهُ ؛ وَالْأَوَى إِلَى بَيْتٍ تَنَاسَقَتْ فِي عُقُودِهِ الرُّؤَسَاءُ
الْجِلَّةُ ، وَالطَّالِعَ مِنْهُ فِي سَمَاءٍ إِذَا غَرَبَتْ مِنْهَا الْبُدُورُ أَشْرَقَتْ فِيهَا الْأَهْلَةُ .

ولقد زدت عليهم وما قصرُوا زيادةً أبيضَ الفجرِ على أزرَقِهِ ، وكنتَ شاهدَ من يروى مناقبَهُم البديعِ ، ودليلَ من ادَّعى أن المكارمَ لكم ملكَةٌ وعندِ سِوَاكم وديعهُ ؛ وقيلَت وصاياهم في المعالي فكأنما كانت لديكم شريعهُ ، ونصرتُم الدولة العلويةَ فكنتم لها أمثالَ أولياءَ وأخصَّ شيعهُ ؛ وتجلَّتْ أنسابُكم باصطناعها وكفاكم إن عُدتُم لصنائعِ الله صنيعهُ ، وأباحتُكم من اصطفائها كلَّ درجةٍ على تعاطى الأَطَاعِ عليه منيعهُ ؛ وقدمتُكم جيشَ برّها وبحرّها ، وكان منكم سيفُ جهادها ونجمُ ليها وفارسُ كرّها ؛ وصالتُ بكم على أعدائها كلَّ مَصَالٍ ، وأغرِبتُ من يلبسها إلا إذا استقرتُ في داركم إلى مَصَالٍ ؛ وحينَ خرجتَ منها خائفاً تترقّب ، وأبقيتَ فيها حائفاً يتعقّب ؛ كنتَ الذهبَ المشهورَ ، الذى ما بهرجه الرّغامُ ، والحَرْفَ المجهُورَ ، الذى ما أدرجه الإدغامُ ؛ وكنتَ وإن كنتَ بينَ الكُفَّارِ ، عنهم شديدَ النّفارِ ، وحلّتَ فيهم محلُّ مؤمنِ آلِ فرعونَ يدعُوهم إلى النّجاةِ وإن دعوهُ إلى النارِ ؛ وعدتَ إلى بابِ أميرِ المؤمنين عودَ الغائبِ إلى رحلِهِ ، والآيِبِ إلى أهلِهِ ؛ وآسقررتَ به آسقرارَ الجِوهرِ فى فضلِهِ ، والفرعِ فى أصلِهِ ؛ وأبانَ الاستشفافُ عن جوهرِكَ الشّفافِ ، وخرجتَ من تلكَ الهفواتِ خروجَ الرياحِ لأخروجِ الكُفّافِ ؛ وأعرِبتَ السّعادةَ إذ حيّتُك بمشيبِ أسودَ ، وتبعَ الأماجدُ غبارَكَ الذى يُرْفَعُ من طريقِ السّوددِ ؛ وأعتلقتَ بعروةَ الحُدّ ، فلستَ من ددٍ ولا منك ددُ ، وضربتَ قلبَ العيشِ الأصفى بعدَ العيشِ الأنكدُ ؛ لاجرم أن أميرَ المؤمنين أنساك سيئةً أمسك بحسنةٍ يومك ، وسَمّا بك إلى أعلى رُتبِ الأولياءِ وأغناكَ عن تعرّضِ سِوَمك ، وأنعمَ بك على قومٍ ماعزُ قِوَا إلا رياسةَ قومك .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين أمين مملكته ، ويمين فتكته ، السيد الأجل الذى أتى الله به سَهْمَا إلى مَصَرٍ وهى كُتائتُهُ ؛ وأفرده بمزية السبق فلا حظَّ لمُساجلِهِ إلا أن

تَدْمِي بَنَاتِهِ ، ورعى الرعيّة منه ناظرٌ لا تُلمُّ بناظره مرأودُ المَجُود ، وقام بالملك منه قائمٌ لا يزالُ يورِدُهُ مَوَارِدَ الجُود ؛ وأغنته يدُ الغلاب عن لسانِ الجلاب ، ونال نادرَةَ الأمل في نادرَةِ الطّلاب ؛ وجمّت فتكاته من الهرمين إلى الحرمين ، وصرف الرّيحَ تصريفَ القلم وكأنه يَصُولُ ويَصِلُ بقلمين ؛ وردّ الله به العدوَّ منخِذلاً ، وطالما لَقِيَه فأقام مُنَجِّدلاً ؛ وأضحى به ذيلُ النعمة منسحباً وسِترُ الأمانة منسدلاً ، ودبرَ الأمورَ فأمسكها حازماً وعقلها متوكّلاً - فأنهى مالسلفك عند الأئمة الخلفاء من مزيّة الاصطفاء ، وما لك في نفسك من الحسنات التي ما برحت بارحة الخفاء ؛ وما أطلع عليه من خلاك التي ما أخلّت بمنقبه ، وأفعالك التي ما تغايرت في يومٍ ذى نعمة ولا يومٍ ذى مسغبة ؛ وما لك من وثائق العقود ، وما فيك من الأوصاف المؤكدة لعلائق السُّعود ؛ وقرّر لك الخدمة في كذا وكذا - خرج أمرُ أمير المؤمنين إليه بأن يُوعزَ إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجلّ لك بالخدم المذكورة وهي التي فرقت لسلفك وجمعت لديك ، كما أن محاسنهم المفرقة منتظمة العقود عليك : ليُكمل لك ولايتي النغر والسيادة في حال ، وليُسدّ بك نغر الجهاد ونغر الإجمال ، ولتقوم [في هذا] مقامُ المَجْفَل الجرار وفي ذلك مقامُ الحيا المَهْطال . ولتكون فرائدُ الإنعام عندك ثَواماً^(١) ، وليجعل ابتداء تصرفك لغيرك تَمَاماً ، وليختصر لك طريقَ الكمال ، وليجري بك في ميدان الشكر طليق الآمال .

فتقلّد ماقلّده منها عاملاً بتقوى الله التي هي مصالح الأعمال ، وميدانُ الإتحاف والإجمال ، وسببُ النجاة في الابتداء وعند المال ؛ قال الله سبحانه في كتابه الذي لم يجعل له عوجاً : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ .

(١) جمع ثوام . قال الأزهري ومنسله غم رباب وإبل ظوار وهو من الجمع العزيز . انظر اللسان

وَأَبْسَطَ الْعَدْلَ عَلَى مَنْ يَحْوِيهِ هَذَا الثَّغَرُ الَّذِي هُوَ ثَغَرُ الثُّغُورِ الْبَاسِمِ ، وَأَوَّلَاهَا بِأَنْ
تَكُونَ أَيَّامُهُ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاسِمَ ؛ فَفِيهِ مِنْ صُدُورِ الْحَافِلِ ، وَقُلُوبِ
الْحَافِلِ ؛ وَعُيُونِ الْمَدَارِسِ ، وَأَعْيَانِ الْفَوَارِسِ ؛ وَتُجَارِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَخْيَارِ الْأُمَّةِ
الْمُقِيمَةِ وَالْمَسَافِرَةِ ؛ وَوُفُورِ مَكَارِمِ عَدْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي هِيَ بِالرَّجَاءِ وَارِدَةٌ وَبِالرِّضَا
صَادِرَةٌ ، مَنْ يُؤْثَرُ أَنْ يَكُونَ فَضْلُ السُّكُونِ لَهُمْ شَامِلًا ، وَرَدَاءُ الْأَمْنِ عَلَيْهِمْ سَائِلًا ؛
وَسَحَابُ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ هَاطِلًا ، وَحَالُهُمْ فِي الْأَتْسَاقِ لَا مَتَغَيِّرًا وَلَا حَائِلًا . وَسَاوَى فِي الْحَقِّ
بَيْنَ أَعْدِهِمْ وَأَقْرَبِهِمْ ، وَمَقِيمِهِمْ وَمَتَغَرِّبِهِمْ ؛ وَاعْتَمَدَ مِنْهُمْ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ بِمَا يُرْفَعُ
فِي الطَّاعَةِ خَاطِرُهُ وَيُسْحِذُهُ ، وَيَصُونُهُ مِنْ تَحِيْفِ الْأَيْدِي الْجَائِرَةِ وَيُنْقِذُهُ ؛ وَأَخْصَصَ
الْعُلَمَاءَ بِكَرَامَةِ تَعْيِينِهِمْ عَلَى التَّعْلِيمِ ، وَالْأَعْيَانَ بِمَزِيَّةِ تَوْضُّعِهِمْ لِمَا لَهُمْ مِنْ مَزِيَّةِ التَّقْدِيمِ ؛
وَأَكْفَفَ عَوَادِي أَهْلِ الشَّرِّ وَالشَّرَّ ، وَأَقْمَعَ غُلُوءَ مَنْ آعَتَرَ بَغْيَ اللَّهِ وَآعْتَرَبَ ؛ وَتَوَخَّاهُمْ
بِإِقَامَةِ الْمَهَابَةِ وَبَسْطِهَا ، وَكَفَّ الشُّوْكَةَ وَقَطَّهَا ؛ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ،
وَأَقَمَ الْحُدُودَ لِإِقَامَةِ مَنْ يُثَابُ عَلَيْهَا وَيُؤَجَّرُ ، وَتَفَقَّدَهَا عَلَى حَدِّهَا غَيْرَ دَاخِلٍ فِي الْأَقْلَلِ
وَلَا خَارِجٍ إِلَى الْأَكْثَرِ ؛ وَأَذَلَّ الْعِيُونَ عَلَى مَنْ يُلِمُّ بِسَوَاحِلِ الثَّغَرِ مِنْ أَسْطُولِ الْعَدُوِّ
اللَّعِينِ وَمَرَاكِبِهِ ، وَأَحْجَزَ بِالْقِظَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَلْصِيصِ مَطَالِبِهِ ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ بِاتِّخَاذِ
الْأَسْلِحَةِ الَّتِي يُعِزُّ اللَّهُ بِهَا جَانِبَهُ ، وَيُذِلُّ مَجَانِبَهُ ؛ وَتُبْلَغَ الْعَدُوُّ اللَّعِينُ مِنْ ذِكْرِهَا مَا يُعْمِلُهَا
وَهِيَ فِي أَيْدِيهِمْ مَوْفَرَةٌ ، وَيَبْذُلُهَا فِي مَقَاتِلِهِمْ وَيَبْوِثُهَا بِهَا مَعْمَرَةٌ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
فِي آيَاتِهِ الْمَتْلُوءَةِ : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ۚ ۝ ۱ ۚ ۝ ۲ ۚ ۝ ۳ ۚ ۝ ۴ ۚ ۝ ۵ ۚ ۝ ۶ ۚ ۝ ۷ ۚ ۝ ۸ ۚ ۝ ۹ ۚ ۝ ۱۰ ۚ ۝ ۱۱ ۚ ۝ ۱۲ ۚ ۝ ۱۳ ۚ ۝ ۱۴ ۚ ۝ ۱۵ ۚ ۝ ۱۶ ۚ ۝ ۱۷ ۚ ۝ ۱۸ ۚ ۝ ۱۹ ۚ ۝ ۲۰ ۚ ۝ ۲۱ ۚ ۝ ۲۲ ۚ ۝ ۲۳ ۚ ۝ ۲۴ ۚ ۝ ۲۵ ۚ ۝ ۲۶ ۚ ۝ ۲۷ ۚ ۝ ۲۸ ۚ ۝ ۲۹ ۚ ۝ ۳۰ ۚ ۝ ۳۱ ۚ ۝ ۳۲ ۚ ۝ ۳۳ ۚ ۝ ۳۴ ۚ ۝ ۳۵ ۚ ۝ ۳۶ ۚ ۝ ۳۷ ۚ ۝ ۳۸ ۚ ۝ ۳۹ ۚ ۝ ۴۰ ۚ ۝ ۴۱ ۚ ۝ ۴۲ ۚ ۝ ۴۳ ۚ ۝ ۴۴ ۚ ۝ ۴۵ ۚ ۝ ۴۶ ۚ ۝ ۴۷ ۚ ۝ ۴۸ ۚ ۝ ۴۹ ۚ ۝ ۵۰ ۚ ۝ ۵۱ ۚ ۝ ۵۲ ۚ ۝ ۵۳ ۚ ۝ ۵۴ ۚ ۝ ۵۵ ۚ ۝ ۵۶ ۚ ۝ ۵۷ ۚ ۝ ۵۸ ۚ ۝ ۵۹ ۚ ۝ ۶۰ ۚ ۝ ۶۱ ۚ ۝ ۶۲ ۚ ۝ ۶۳ ۚ ۝ ۶۴ ۚ ۝ ۶۵ ۚ ۝ ۶۶ ۚ ۝ ۶۷ ۚ ۝ ۶۸ ۚ ۝ ۶۹ ۚ ۝ ۷۰ ۚ ۝ ۷۱ ۚ ۝ ۷۲ ۚ ۝ ۷۳ ۚ ۝ ۷۴ ۚ ۝ ۷۵ ۚ ۝ ۷۶ ۚ ۝ ۷۷ ۚ ۝ ۷۸ ۚ ۝ ۷۹ ۚ ۝ ۸۰ ۚ ۝ ۸۱ ۚ ۝ ۸۲ ۚ ۝ ۸۳ ۚ ۝ ۸۴ ۚ ۝ ۸۵ ۚ ۝ ۸۶ ۚ ۝ ۸۷ ۚ ۝ ۸۸ ۚ ۝ ۸۹ ۚ ۝ ۹۰ ۚ ۝ ۹۱ ۚ ۝ ۹۲ ۚ ۝ ۹۳ ۚ ۝ ۹۴ ۚ ۝ ۹۵ ۚ ۝ ۹۶ ۚ ۝ ۹۷ ۚ ۝ ۹۸ ۚ ۝ ۹۹ ۚ ۝ ۱۰۰ ۚ ۝ ۱۰۱ ۚ ۝ ۱۰۲ ۚ ۝ ۱۰۳ ۚ ۝ ۱۰۴ ۚ ۝ ۱۰۵ ۚ ۝ ۱۰۶ ۚ ۝ ۱۰۷ ۚ ۝ ۱۰۸ ۚ ۝ ۱۰۹ ۚ ۝ ۱۱۰ ۚ ۝ ۱۱۱ ۚ ۝ ۱۱۲ ۚ ۝ ۱۱۳ ۚ ۝ ۱۱۴ ۚ ۝ ۱۱۵ ۚ ۝ ۱۱۶ ۚ ۝ ۱۱۷ ۚ ۝ ۱۱۸ ۚ ۝ ۱۱۹ ۚ ۝ ۱۲۰ ۚ ۝ ۱۲۱ ۚ ۝ ۱۲۲ ۚ ۝ ۱۲۳ ۚ ۝ ۱۲۴ ۚ ۝ ۱۲۵ ۚ ۝ ۱۲۶ ۚ ۝ ۱۲۷ ۚ ۝ ۱۲۸ ۚ ۝ ۱۲۹ ۚ ۝ ۱۳۰ ۚ ۝ ۱۳۱ ۚ ۝ ۱۳۲ ۚ ۝ ۱۳۳ ۚ ۝ ۱۳۴ ۚ ۝ ۱۳۵ ۚ ۝ ۱۳۶ ۚ ۝ ۱۳۷ ۚ ۝ ۱۳۸ ۚ ۝ ۱۳۹ ۚ ۝ ۱۴۰ ۚ ۝ ۱۴۱ ۚ ۝ ۱۴۲ ۚ ۝ ۱۴۳ ۚ ۝ ۱۴۴ ۚ ۝ ۱۴۵ ۚ ۝ ۱۴۶ ۚ ۝ ۱۴۷ ۚ ۝ ۱۴۸ ۚ ۝ ۱۴۹ ۚ ۝ ۱۵۰ ۚ ۝ ۱۵۱ ۚ ۝ ۱۵۲ ۚ ۝ ۱۵۳ ۚ ۝ ۱۵۴ ۚ ۝ ۱۵۵ ۚ ۝ ۱۵۶ ۚ ۝ ۱۵۷ ۚ ۝ ۱۵۸ ۚ ۝ ۱۵۹ ۚ ۝ ۱۶۰ ۚ ۝ ۱۶۱ ۚ ۝ ۱۶۲ ۚ ۝ ۱۶۳ ۚ ۝ ۱۶۴ ۚ ۝ ۱۶۵ ۚ ۝ ۱۶۶ ۚ ۝ ۱۶۷ ۚ ۝ ۱۶۸ ۚ ۝ ۱۶۹ ۚ ۝ ۱۷۰ ۚ ۝ ۱۷۱ ۚ ۝ ۱۷۲ ۚ ۝ ۱۷۳ ۚ ۝ ۱۷۴ ۚ ۝ ۱۷۵ ۚ ۝ ۱۷۶ ۚ ۝ ۱۷۷ ۚ ۝ ۱۷۸ ۚ ۝ ۱۷۹ ۚ ۝ ۱۸۰ ۚ ۝ ۱۸۱ ۚ ۝ ۱۸۲ ۚ ۝ ۱۸۳ ۚ ۝ ۱۸۴ ۚ ۝ ۱۸۵ ۚ ۝ ۱۸۶ ۚ ۝ ۱۸۷ ۚ ۝ ۱۸۸ ۚ ۝ ۱۸۹ ۚ ۝ ۱۹۰ ۚ ۝ ۱۹۱ ۚ ۝ ۱۹۲ ۚ ۝ ۱۹۳ ۚ ۝ ۱۹۴ ۚ ۝ ۱۹۵ ۚ ۝ ۱۹۶ ۚ ۝ ۱۹۷ ۚ ۝ ۱۹۸ ۚ ۝ ۱۹۹ ۚ ۝ ۲۰۰ ۚ ۝ ۲۰۱ ۚ ۝ ۲۰۲ ۚ ۝ ۲۰۳ ۚ ۝ ۲۰۴ ۚ ۝ ۲۰۵ ۚ ۝ ۲۰۶ ۚ ۝ ۲۰۷ ۚ ۝ ۲۰۸ ۚ ۝ ۲۰۹ ۚ ۝ ۲۱۰ ۚ ۝ ۲۱۱ ۚ ۝ ۲۱۲ ۚ ۝ ۲۱۳ ۚ ۝ ۲۱۴ ۚ ۝ ۲۱۵ ۚ ۝ ۲۱۶ ۚ ۝ ۲۱۷ ۚ ۝ ۲۱۸ ۚ ۝ ۲۱۹ ۚ ۝ ۲۲۰ ۚ ۝ ۲۲۱ ۚ ۝ ۲۲۲ ۚ ۝ ۲۲۳ ۚ ۝ ۲۲۴ ۚ ۝ ۲۲۵ ۚ ۝ ۲۲۶ ۚ ۝ ۲۲۷ ۚ ۝ ۲۲۸ ۚ ۝ ۲۲۹ ۚ ۝ ۲۳۰ ۚ ۝ ۲۳۱ ۚ ۝ ۲۳۲ ۚ ۝ ۲۳۳ ۚ ۝ ۲۳۴ ۚ ۝ ۲۳۵ ۚ ۝ ۲۳۶ ۚ ۝ ۲۳۷ ۚ ۝ ۲۳۸ ۚ ۝ ۲۳۹ ۚ ۝ ۲۴۰ ۚ ۝ ۲۴۱ ۚ ۝ ۲۴۲ ۚ ۝ ۲۴۳ ۚ ۝ ۲۴۴ ۚ ۝ ۲۴۵ ۚ ۝ ۲۴۶ ۚ ۝ ۲۴۷ ۚ ۝ ۲۴۸ ۚ ۝ ۲۴۹ ۚ ۝ ۲۵۰ ۚ ۝ ۲۵۱ ۚ ۝ ۲۵۲ ۚ ۝ ۲۵۳ ۚ ۝ ۲۵۴ ۚ ۝ ۲۵۵ ۚ ۝ ۲۵۶ ۚ ۝ ۲۵۷ ۚ ۝ ۲۵۸ ۚ ۝ ۲۵۹ ۚ ۝ ۲۶۰ ۚ ۝ ۲۶۱ ۚ ۝ ۲۶۲ ۚ ۝ ۲۶۳ ۚ ۝ ۲۶۴ ۚ ۝ ۲۶۵ ۚ ۝ ۲۶۶ ۚ ۝ ۲۶۷ ۚ ۝ ۲۶۸ ۚ ۝ ۲۶۹ ۚ ۝ ۲۷۰ ۚ ۝ ۲۷۱ ۚ ۝ ۲۷۲ ۚ ۝ ۲۷۳ ۚ ۝ ۲۷۴ ۚ ۝ ۲۷۵ ۚ ۝ ۲۷۶ ۚ ۝ ۲۷۷ ۚ ۝ ۲۷۸ ۚ ۝ ۲۷۹ ۚ ۝ ۲۸۰ ۚ ۝ ۲۸۱ ۚ ۝ ۲۸۲ ۚ ۝ ۲۸۳ ۚ ۝ ۲۸۴ ۚ ۝ ۲۸۵ ۚ ۝ ۲۸۶ ۚ ۝ ۲۸۷ ۚ ۝ ۲۸۸ ۚ ۝ ۲۸۹ ۚ ۝ ۲۹۰ ۚ ۝ ۲۹۱ ۚ ۝ ۲۹۲ ۚ ۝ ۲۹۳ ۚ ۝ ۲۹۴ ۚ ۝ ۲۹۵ ۚ ۝ ۲۹۶ ۚ ۝ ۲۹۷ ۚ ۝ ۲۹۸ ۚ ۝ ۲۹۹ ۚ ۝ ۳۰۰ ۚ ۝ ۳۰۱ ۚ ۝ ۳۰۲ ۚ ۝ ۳۰۳ ۚ ۝ ۳۰۴ ۚ ۝ ۳۰۵ ۚ ۝ ۳۰۶ ۚ ۝ ۳۰۷ ۚ ۝ ۳۰۸ ۚ ۝ ۳۰۹ ۚ ۝ ۳۱۰ ۚ ۝ ۳۱۱ ۚ ۝ ۳۱۲ ۚ ۝ ۳۱۳ ۝ ۳۱۴ ۝ ۳۱۵ ۝ ۳۱۶ ۝ ۳۱۷ ۝ ۳۱۸ ۝ ۳۱۹ ۝ ۳۲۰ ۝ ۳۲۱ ۝ ۳۲۲ ۝ ۳۲۳ ۝ ۳۲۴ ۝ ۳۲۵ ۝ ۳۲۶ ۝ ۳۲۷ ۝ ۳۲۸ ۝ ۳۲۹ ۝ ۳۳۰ ۝ ۳۳۱ ۝ ۳۳۲ ۝ ۳۳۳ ۝ ۳۳۴ ۝ ۳۳۵ ۝ ۳۳۶ ۝ ۳۳۷ ۝ ۳۳۸ ۝ ۳۳۹ ۝ ۳۴۰ ۝ ۳۴۱ ۝ ۳۴۲ ۝ ۳۴۳ ۝ ۳۴۴ ۝ ۳۴۵ ۝ ۳۴۶ ۝ ۳۴۷ ۝ ۳۴۸ ۝ ۳۴۹ ۝ ۳۵۰ ۝ ۳۵۱ ۝ ۳۵۲ ۝ ۳۵۳ ۝ ۳۵۴ ۝ ۳۵۵ ۝ ۳۵۶ ۝ ۳۵۷ ۝ ۳۵۸ ۝ ۳۵۹ ۝ ۳۶۰ ۝ ۳۶۱ ۝ ۳۶۲ ۝ ۳۶۳ ۝ ۳۶۴ ۝ ۳۶۵ ۝ ۳۶۶ ۝ ۳۶۷ ۝ ۳۶۸ ۝ ۳۶۹ ۝ ۳۷۰ ۝ ۳۷۱ ۝ ۳۷۲ ۝ ۳۷۳ ۝ ۳۷۴ ۝ ۳۷۵ ۝ ۳۷۶ ۝ ۳۷۷ ۝ ۳۷۸ ۝ ۳۷۹ ۝ ۳۸۰ ۝ ۳۸۱ ۝ ۳۸۲ ۝ ۳۸۳ ۝ ۳۸۴ ۝ ۳۸۵ ۝ ۳۸۶ ۝ ۳۸۷ ۝ ۳۸۸ ۝ ۳۸۹ ۝ ۳۹۰ ۝ ۳۹۱ ۝ ۳۹۲ ۝ ۳۹۳ ۝ ۳۹۴ ۝ ۳۹۵ ۝ ۳۹۶ ۝ ۳۹۷ ۝ ۳۹۸ ۝ ۳۹۹ ۝ ۴۰۰ ۝ ۴۰۱ ۝ ۴۰۲ ۝ ۴۰۳ ۝ ۴۰۴ ۝ ۴۰۵ ۝ ۴۰۶ ۝ ۴۰۷ ۝ ۴۰۸ ۝ ۴۰۹ ۝ ۴۱۰ ۝ ۴۱۱ ۝ ۴۱۲ ۝ ۴۱۳ ۝ ۴۱۴ ۝ ۴۱۵ ۝ ۴۱۶ ۝ ۴۱۷ ۝ ۴۱۸ ۝ ۴۱۹ ۝ ۴۲۰ ۝ ۴۲۱ ۝ ۴۲۲ ۝ ۴۲۳ ۝ ۴۲۴ ۝ ۴۲۵ ۝ ۴۲۶ ۝ ۴۲۷ ۝ ۴۲۸ ۝ ۴۲۹ ۝ ۴۳۰ ۝ ۴۳۱ ۝ ۴۳۲ ۝ ۴۳۳ ۝ ۴۳۴ ۝ ۴۳۵ ۝ ۴۳۶ ۝ ۴۳۷ ۝ ۴۳۸ ۝ ۴۳۹ ۝ ۴۴۰ ۝ ۴۴۱ ۝ ۴۴۲ ۝ ۴۴۳ ۝ ۴۴۴ ۝ ۴۴۵ ۝ ۴۴۶ ۝ ۴۴۷ ۝ ۴۴۸ ۝ ۴۴۹ ۝ ۴۵۰ ۝ ۴۵۱ ۝ ۴۵۲ ۝ ۴۵۳ ۝ ۴۵۴ ۝ ۴۵۵ ۝ ۴۵۶ ۝ ۴۵۷ ۝ ۴۵۸ ۝ ۴۵۹ ۝ ۴۶۰ ۝ ۴۶۱ ۝ ۴۶۲ ۝ ۴۶۳ ۝ ۴۶۴ ۝ ۴۶۵ ۝ ۴۶۶ ۝ ۴۶۷ ۝ ۴۶۸ ۝ ۴۶۹ ۝ ۴۷۰ ۝ ۴۷۱ ۝ ۴۷۲ ۝ ۴۷۳ ۝ ۴۷۴ ۝ ۴۷۵ ۝ ۴۷۶ ۝ ۴۷۷ ۝ ۴۷۸ ۝ ۴۷۹ ۝ ۴۸۰ ۝ ۴۸۱ ۝ ۴۸۲ ۝ ۴۸۳ ۝ ۴۸۴ ۝ ۴۸۵ ۝ ۴۸۶ ۝ ۴۸۷ ۝ ۴۸۸ ۝ ۴۸۹ ۝ ۴۹۰ ۝ ۴۹۱ ۝ ۴۹۲ ۝ ۴۹۳ ۝ ۴۹۴ ۝ ۴۹۵ ۝ ۴۹۶ ۝ ۴۹۷ ۝ ۴۹۸ ۝ ۴۹۹ ۝ ۵۰۰ ۝ ۵۰۱ ۝ ۵۰۲ ۝ ۵۰۳ ۝ ۵۰۴ ۝ ۵۰۵ ۝ ۵۰۶ ۝ ۵۰۷ ۝ ۵۰۸ ۝ ۵۰۹ ۝ ۵۱۰ ۝ ۵۱۱ ۝ ۵۱۲ ۝ ۵۱۳ ۝ ۵۱۴ ۝ ۵۱۵ ۝ ۵۱۶ ۝ ۵۱۷ ۝ ۵۱۸ ۝ ۵۱۹ ۝ ۵۲۰ ۝ ۵۲۱ ۝ ۵۲۲ ۝ ۵۲۳ ۝ ۵۲۴ ۝ ۵۲۵ ۝ ۵۲۶ ۝ ۵۲۷ ۝ ۵۲۸ ۝ ۵۲۹ ۝ ۵۳۰ ۝ ۵۳۱ ۝ ۵۳۲ ۝ ۵۳۳ ۝ ۵۳۴ ۝ ۵۳۵ ۝ ۵۳۶ ۝ ۵۳۷ ۝ ۵۳۸ ۝ ۵۳۹ ۝ ۵۴۰ ۝ ۵۴۱ ۝ ۵۴۲ ۝ ۵۴۳ ۝ ۵۴۴ ۝ ۵۴۵ ۝ ۵۴۶ ۝ ۵۴۷ ۝ ۵۴۸ ۝ ۵۴۹ ۝ ۵۵۰ ۝ ۵۵۱ ۝ ۵۵۲ ۝ ۵۵۳ ۝ ۵۵۴ ۝ ۵۵۵ ۝ ۵۵۶ ۝ ۵۵۷ ۝ ۵۵۸ ۝ ۵۵۹ ۝ ۵۶۰ ۝ ۵۶۱ ۝ ۵۶۲ ۝ ۵۶۳ ۝ ۵۶۴ ۝ ۵۶۵ ۝ ۵۶۶ ۝ ۵۶۷ ۝ ۵۶۸ ۝ ۵۶۹ ۝ ۵۷۰ ۝ ۵۷۱ ۝ ۵۷۲ ۝ ۵۷۳ ۝ ۵۷۴ ۝ ۵۷۵ ۝ ۵۷۶ ۝ ۵۷۷ ۝ ۵۷۸ ۝ ۵۷۹ ۝ ۵۸۰ ۝ ۵۸۱ ۝ ۵۸۲ ۝ ۵۸۳ ۝ ۵۸۴ ۝ ۵۸۵ ۝ ۵۸۶ ۝ ۵۸۷ ۝ ۵۸۸ ۝ ۵۸۹ ۝ ۵۹۰ ۝ ۵۹۱ ۝ ۵۹۲ ۝ ۵۹۳ ۝ ۵۹۴ ۝ ۵۹۵ ۝ ۵۹۶ ۝ ۵۹۷ ۝ ۵۹۸ ۝ ۵۹۹ ۝ ۶۰۰ ۝ ۶۰۱ ۝ ۶۰۲ ۝ ۶۰۳ ۝ ۶۰۴ ۝ ۶۰۵ ۝ ۶۰۶ ۝ ۶۰۷ ۝ ۶۰۸ ۝ ۶۰۹ ۝ ۶۱۰ ۝ ۶۱۱ ۝ ۶۱۲ ۝ ۶۱۳ ۝ ۶۱۴ ۝ ۶۱۵ ۝ ۶۱۶ ۝ ۶۱۷ ۝ ۶۱۸ ۝ ۶۱۹ ۝ ۶۲۰ ۝ ۶۲۱ ۝ ۶۲۲ ۝ ۶۲۳ ۝ ۶۲۴ ۝ ۶۲۵ ۝ ۶۲۶ ۝ ۶۲۷ ۝ ۶۲۸ ۝ ۶۲۹ ۝ ۶۳۰ ۝ ۶۳۱ ۝ ۶۳۲ ۝ ۶۳۳ ۝ ۶۳۴ ۝ ۶۳۵ ۝ ۶۳۶ ۝ ۶۳۷ ۝ ۶۳۸ ۝ ۶۳۹ ۝ ۶۴۰ ۝ ۶۴۱ ۝ ۶۴۲ ۝ ۶۴۳ ۝ ۶۴۴ ۝ ۶۴۵ ۝ ۶۴۶ ۝ ۶۴۷ ۝ ۶۴۸ ۝ ۶۴۹ ۝ ۶۵۰ ۝ ۶۵۱ ۝ ۶۵۲ ۝ ۶۵۳ ۝ ۶۵۴ ۝ ۶۵۵ ۝ ۶۵۶ ۝ ۶۵۷ ۝ ۶۵۸ ۝ ۶۵۹ ۝ ۶۶۰ ۝ ۶۶۱ ۝ ۶۶۲ ۝ ۶۶۳ ۝ ۶۶۴ ۝ ۶۶۵ ۝ ۶۶۶ ۝ ۶۶۷ ۝ ۶۶۸ ۝ ۶۶۹ ۝ ۶۷۰ ۝ ۶۷۱ ۝ ۶۷۲ ۝ ۶۷۳ ۝ ۶۷۴ ۝ ۶۷۵ ۝ ۶۷۶ ۝ ۶۷۷ ۝ ۶۷۸ ۝ ۶۷۹ ۝ ۶۸۰ ۝ ۶۸۱ ۝ ۶۸۲ ۝ ۶۸۳ ۝ ۶۸۴ ۝ ۶۸۵ ۝ ۶۸۶ ۝ ۶۸۷ ۝ ۶۸۸ ۝ ۶۸۹ ۝ ۶۹۰ ۝ ۶۹۱ ۝ ۶۹۲ ۝ ۶۹۳ ۝ ۶۹۴ ۝ ۶۹۵ ۝ ۶۹۶ ۝ ۶۹۷ ۝ ۶۹۸ ۝ ۶۹۹ ۝ ۷۰۰ ۝ ۷۰۱ ۝ ۷۰۲ ۝ ۷۰۳ ۝ ۷۰۴ ۝ ۷۰۵ ۝ ۷۰۶ ۝ ۷۰۷ ۝ ۷۰۸ ۝ ۷۰۹ ۝ ۷۱۰ ۝ ۷۱۱ ۝ ۷۱۲ ۝ ۷۱۳ ۝ ۷۱۴ ۝ ۷۱۵ ۝ ۷۱۶ ۝ ۷۱۷ ۝ ۷۱۸ ۝ ۷۱۹ ۝ ۷۲۰ ۝ ۷۲۱ ۝ ۷۲۲ ۝ ۷۲۳ ۝ ۷۲۴ ۝ ۷۲۵ ۝ ۷۲۶ ۝ ۷۲۷ ۝ ۷۲۸ ۝ ۷۲۹ ۝ ۷۳۰ ۝ ۷۳۱ ۝ ۷۳۲ ۝ ۷۳۳ ۝ ۷۳۴ ۝ ۷۳۵ ۝ ۷۳۶ ۝ ۷۳۷ ۝ ۷۳۸ ۝ ۷۳۹ ۝ ۷۴۰ ۝ ۷۴۱ ۝ ۷۴۲ ۝ ۷۴۳ ۝ ۷۴۴ ۝ ۷۴۵ ۝ ۷۴۶ ۝ ۷۴۷ ۝ ۷۴۸ ۝ ۷۴۹ ۝ ۷۵۰ ۝ ۷۵۱ ۝ ۷۵۲ ۝ ۷۵۳ ۝ ۷۵۴ ۝ ۷۵۵ ۝ ۷۵۶ ۝ ۷۵۷ ۝ ۷۵۸ ۝ ۷۵۹ ۝ ۷۶۰ ۝ ۷۶۱ ۝ ۷۶۲ ۝ ۷۶۳ ۝ ۷۶۴ ۝ ۷۶۵ ۝ ۷۶۶ ۝ ۷۶۷ ۝ ۷۶۸ ۝ ۷۶۹ ۝ ۷۷۰ ۝ ۷۷۱ ۝ ۷۷۲ ۝ ۷۷۳ ۝ ۷۷۴ ۝ ۷۷۵ ۝ ۷۷۶ ۝ ۷۷۷ ۝ ۷۷۸ ۝ ۷۷۹ ۝ ۷۸۰ ۝ ۷۸۱ ۝ ۷۸۲ ۝ ۷۸۳ ۝ ۷۸۴ ۝ ۷۸۵ ۝ ۷۸۶ ۝ ۷۸۷ ۝ ۷۸۸ ۝ ۷۸۹ ۝ ۷۹۰ ۝ ۷۹۱ ۝ ۷۹۲ ۝ ۷۹۳ ۝ ۷۹۴ ۝ ۷۹۵ ۝ ۷۹۶ ۝ ۷۹۷ ۝ ۷۹۸ ۝ ۷۹۹ ۝ ۸۰۰ ۝ ۸۰۱ ۝ ۸۰۲ ۝ ۸۰۳ ۝ ۸۰۴ ۝ ۸۰۵ ۝ ۸۰۶ ۝ ۸۰۷ ۝ ۸۰۸ ۝ ۸۰۹ ۝ ۸۱۰ ۝ ۸۱۱ ۝ ۸۱۲ ۝ ۸۱۳ ۝ ۸۱۴ ۝ ۸۱۵ ۝ ۸۱۶ ۝ ۸۱۷ ۝ ۸۱۸ ۝ ۸۱۹ ۝ ۸۲۰ ۝ ۸۲۱ ۝ ۸۲۲ ۝ ۸۲۳ ۝ ۸۲۴ ۝ ۸۲۵ ۝ ۸۲۶ ۝ ۸۲۷ ۝ ۸۲۸ ۝ ۸۲۹ ۝ ۸۳۰ ۝ ۸۳۱ ۝ ۸۳۲ ۝ ۸۳۳ ۝ ۸۳۴ ۝ ۸۳۵ ۝ ۸۳۶ ۝ ۸۳۷ ۝ ۸۳۸ ۝ ۸۳۹ ۝ ۸۴۰ ۝ ۸۴۱ ۝ ۸۴۲ ۝ ۸۴۳ ۝ ۸۴۴ ۝ ۸۴۵ ۝ ۸۴۶ ۝ ۸۴۷ ۝ ۸۴۸ ۝ ۸۴۹ ۝ ۸۵۰ ۝ ۸۵۱ ۝ ۸۵۲ ۝ ۸۵۳ ۝ ۸۵۴ ۝ ۸۵۵ ۝ ۸۵۶ ۝ ۸۵۷ ۝ ۸۵۸ ۝ ۸۵۹ ۝ ۸۶۰ ۝ ۸۶۱ ۝ ۸۶۲ ۝ ۸۶۳ ۝ ۸۶۴ ۝ ۸۶۵ ۝ ۸۶۶ ۝ ۸۶۷ ۝ ۸۶۸ ۝ ۸۶۹ ۝ ۸۷۰ ۝ ۸۷۱ ۝ ۸۷۲ ۝ ۸۷۳ ۝ ۸۷۴ ۝ ۸۷۵ ۝ ۸۷۶ ۝ ۸۷۷ ۝ ۸۷۸ ۝ ۸۷۹ ۝ ۸۸۰ ۝ ۸۸۱ ۝ ۸۸۲ ۝ ۸۸۳ ۝ ۸۸۴ ۝ ۸۸۵ ۝ ۸۸۶ ۝ ۸۸۷ ۝ ۸۸۸ ۝ ۸۸۹ ۝ ۸۹۰ ۝ ۸۹۱ ۝ ۸۹۲ ۝ ۸۹۳ ۝ ۸۹۴ ۝ ۸۹۵ ۝ ۸۹۶ ۝ ۸۹۷ ۝ ۸۹۸ ۝ ۸۹۹ ۝ ۹۰۰ ۝ ۹۰۱ ۝ ۹۰۲ ۝ ۹۰۳ ۝ ۹۰۴ ۝ ۹۰۵ ۝ ۹۰۶ ۝ ۹۰۷ ۝ ۹۰۸ ۝ ۹۰۹ ۝ ۹۱۰ ۝ ۹۱۱ ۝ ۹۱۲ ۝ ۹۱۳ ۝ ۹۱۴ ۝ ۹۱۵ ۝ ۹۱۶ ۝ ۹۱۷ ۝ ۹۱۸ ۝ ۹۱۹ ۝ ۹۲۰ ۝ ۹۲۱ ۝ ۹۲۲ ۝ ۹۲۳ ۝ ۹۲۴ ۝ ۹۲۵ ۝ ۹۲۶ ۝ ۹۲۷ ۝ ۹۲۸ ۝ ۹۲۹ ۝ ۹۳۰ ۝ ۹۳۱ ۝ ۹۳۲ ۝ ۹۳۳ ۝ ۹۳۴ ۝ ۹۳۵ ۝ ۹۳۶ ۝ ۹۳۷ ۝ ۹۳۸ ۝ ۹۳۹ ۝ ۹۴۰ ۝ ۹۴۱ ۝ ۹۴۲ ۝ ۹۴۳ ۝ ۹۴۴ ۝ ۹۴۵ ۝ ۹۴۶ ۝ ۹۴۷ ۝ ۹۴۸ ۝ ۹۴۹ ۝ ۹۵۰ ۝ ۹۵۱ ۝ ۹۵۲ ۝ ۹۵۳ ۝ ۹۵۴ ۝ ۹۵۵ ۝ ۹۵۶ ۝ ۹۵۷ ۝ ۹۵۸ ۝ ۹۵۹ ۝ ۹۶۰ ۝ ۹۶۱ ۝ ۹۶۲ ۝ ۹۶۳ ۝ ۹۶۴ ۝ ۹۶۵ ۝ ۹۶۶ ۝ ۹۶۷ ۝ ۹۶۸ ۝ ۹۶۹ ۝ ۹۷۰ ۝ ۹۷۱ ۝ ۹۷۲ ۝ ۹۷۳ ۝ ۹۷۴ ۝ ۹۷۵ ۝ ۹۷۶ ۝ ۹۷۷ ۝ ۹۷۸ ۝ ۹۷۹ ۝ ۹۸۰ ۝ ۹۸۱ ۝ ۹۸۲ ۝ ۹۸۳ ۝ ۹۸۴ ۝ ۹۸۵ ۝ ۹۸۶ ۝ ۹۸۷ ۝ ۹۸۸ ۝ ۹۸۹ ۝ ۹۹۰ ۝ ۹۹۱ ۝ ۹۹۲ ۝ ۹۹۳ ۝ ۹۹۴ ۝ ۹۹۵ ۝ ۹۹۶ ۝ ۹۹۷ ۝ ۹۹۸ ۝ ۹۹۹ ۝ ۱۰۰۰ ۝ ۱۰۰۱ ۝ ۱۰۰۲ ۝ ۱۰۰۳ ۝ ۱۰۰۴ ۝ ۱۰۰۵ ۝ ۱۰۰۶ ۝ ۱۰۰۷ ۝ ۱۰۰۸ ۝ ۱۰۰۹ ۝ ۱۰۱۰ ۝ ۱۰۱۱ ۝ ۱۰۱۲ ۝ ۱۰۱۳ ۝ ۱۰۱۴ ۝ ۱۰۱۵ ۝ ۱۰۱۶ ۝ ۱۰۱۷ ۝ ۱۰۱۸ ۝ ۱۰۱۹ ۝ ۱۰۲۰ ۝ ۱۰۲۱ ۝ ۱۰۲۲ ۝ ۱۰۲۳ ۝ ۱۰۲۴ ۝ ۱۰۲۵ ۝ ۱۰۲۶ ۝ ۱۰۲۷ ۝ ۱۰۲۸ ۝ ۱۰۲۹ ۝ ۱۰۳۰ ۝ ۱۰۳۱ ۝ ۱۰۳۲ ۝ ۱۰۳۳ ۝ ۱۰۳۴ ۝ ۱۰۳۵ ۝ ۱۰۳۶ ۝ ۱۰۳۷ ۝ ۱۰۳۸ ۝ ۱۰۳۹ ۝ ۱۰۴۰ ۝ ۱۰۴۱ ۝ ۱۰۴۲ ۝ ۱۰۴۳ ۝ ۱۰۴۴ ۝ ۱۰۴۵ ۝ ۱۰۴۶ ۝ ۱۰۴۷ ۝ ۱۰۴۸ ۝ ۱۰۴۹ ۝ ۱۰۵۰ ۝

بما تحفّفه عنهم من وطأة كانت ثقيله ، وتقلّله عنهم من مغارم لم تكن قليلة ؛ فما عمّرت البلاد بمثل النزاهة التي هي شيمتك المعتادة ، والمعدّلة التي هي من خِلالك مستفاده ؛ وأعتدّ كلّاً من النّائب في الحكم العزيز والناظر في الدعوة الهاديّة والمُشارف بالثغر والعُمل برعاية تحفظ مرّاتهم ، وتلحظ مطالبهم ؛ وتنفّذ الأحكام ، وتبلغ بما ينظرون فيه من المصالح غايات التّمام ، وتُعزّ طائفة الإيمان ، وتظهر عليهم أثر الإحسان ؛ وتستدرّ حلب الأموال ، وتستديم عمارة الأعمال ؛ وتفضي بمواصله الجول وتحصيل الغلال ، وتعودّ بها عليك عوائد الأجر والجَمال ؛ ومثلك أشتاراً أيّها الأمير من ولى فلم تُطل له الوصايا التي يَحْتَاجُ إلى إطاقتها سواه ؛ ويوثق بما يذكّيه من عُيون حزم غير غوافل ولا سواه ؛ ويحقّق أن تقواه رقيب سرّه ونجواه ، وأن أمير ورعه يحكم على أسير هواه ؛ والله سبحانه يجعل نعمة أمير المؤمنين لديك مأمولة الدّوام موصولة الحبْل ، ويُتمّها عليك كما أتمّها على أبويك من قبل ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا النمط كانت سائر ولايات أعمال الديار المصرية ، فكانت تُكتَب على نظير ذلك في الوجه القبلي ولاية الجيزية ، وولاية الإطفيحية ، وولاية البهنساوية ، وولاية البوصيرية ، وولاية الأشمونين والطّحاوية ، وولاية الشّيوطية ، وولاية الإنجميّة ، وولاية الفيوم ، وولاية واج البهنسا ، وولاية الواح الداخلة ، وولاية الواح الخارجة . ومن الوجه البحري ولاية القليوبية ، وولاية منية تردى وهي منية غمر ، وولاية المرتاحية ، وولاية الدقهلية ، وولاية مدينة تيّس - وبها كانت دار الطّراز - وولاية المنوفية ، وولاية جزيرة بنى نصر وربما أضيفت إلى المنوفية وعبر عنهما بالمنوفيتين ، وولاية جزيرة قوسينياً ، وولاية البحيرة ، وولاية ثغر رشيد المحروس ، وولاية ثغر ستراره ، وولاية ثغر دِمياط ، وولاية القرمّا ، بساحل الشامي فيما دون العريش .

وأما البلاد الشامية فقد تقدم أنها كانت خرجت عنهم وتملكت الفرنج غالب سواحل الشام ، ولم يبق معهم إلا ساحل عسقلان ومقاربته وكان مقر الولاية بها في عسقلان .

وهذه نسخة سجل بولايتها ، وهي :

أما بعد ، فإن أولى ما وفر أمير المؤمنين حظّه من العناية والاشتمال ، واعتقد المكوف على مصالحه من أشرف القربات وأفضل الأعمال ؛ وأسند أمره إلى من يستظهر على الأسباب المعينة بحسن صبره ، وعدق النظر فيه بمن لا يشكّل عليه أمر لمضائه ونفاذه ومعرفته وخبره ، ما كان حرزا للرباطين ومعقلا ، وملتجدا للجاهدين وموثلا ، وموجبا لكل مجتهد أن يكون لدرجات الثواب مرتقيا متوقلا ، عملا بالحوطة للإسلام الذي جعله الله في كفالاته وضمائنه ، وتماديا على سياسته التي أقر بفضلها إقرار الضرورة كافة ملوك زمانه ؛ وحرصا على الأفعال التي لم يزل مقصودا فيها بالطفاف الله تعالى وتوفيقه ، وتبتلا للأموال التي أرشده الله سبحانه في تدبيرها إلى منهج الصواب وطريقه ، ومضاعفة من الحسنات عند أوليائه أهل الحق وحرّبه وفريقه .

ولما كانت مدينة عسقلان - حماها الله تعالى - غرة في بهيم الضلال والكفر ، وحرما يتنازع عن البلاد التي كلّها الشّرك بالناب والطّفّر ؛ وهو من أشرف الثغور والحصون ، وأهله أنصار الدين القيم المحفوظ المصون ؛ وكنت أيها الأمير من أعيان أمراء الدولة وكبرائهم ، ووجوه أفاضلهم ورؤسائهم ؛ ولك في الطاعة آسّر سأل الأمن في مواطن المخاوف ، وفي الذّب عنها وحمايتها مواقف كريمة لا توازي بالمواقف ؛ وقد وصلت في ولأئها القديم بالحديث والتالد بالطريف ؛ وحين وليت مهمات

أَسْتُنِجِدُ فِيهَا بِعَزَمِكَ ، وَأَسْتَعِينُ عَلَيْهَا بِحَزَمِكَ ؛ تَهَيَّبِ الْأَعْدَاءَ فِيهَا ذِكْرَ اسْمِكَ ، وَكَانَ مِنْ آثَارِكَ فِيهَا مَا شَهِرَ غُفْلَهَا ^(١) بِوَسْمِكَ ؛ فَلَا يُبَارِكُ مُبَارٍ إِلَّا أَرَبَّتْ عَلَيْهِ وَزِدَتْ ، وَلَا يُنَاوِيكَ مُنَاوٍ إِلَّا أَنْسَيْتَ ذِكْرَهُ أَوْ كِدْتَ ؛ فَكَمْ لَكَ مِنْ مَقَامٍ مَحْمُودٍ لَيْسَ شَأْؤُهُ وَوَصْفُهُ ، وَكَمْ لَكَ مِنْ ذِكْرِ جَمِيلٍ يُفَوِّحُ أَرْجُهُ وَيَتَضَوِّعُ عَرْفُهُ ، وَكَمْ لَكَ مِنْ جَمَالٍ فِي الْمَشَايِعِ لَا يَقْصُرُ أَمْدُهُ وَلَا يَكْبُوتُ طَرْفُهُ ؛ وَالسَّيِّدُ الْأَجَلُ الْأَفْضَلُ الَّذِي عَظَّمَ اللَّهُ قُدْرَهُ وَرَفَعَ مَجْدَهُ ، وَجَعَلَهُ فِي الْغَضَبِ لِتَوْحِيدِهِ دُونَ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ أُمَّةً وَحِدَةً ؛ وَأَلْهِمَهُ التَّجَرُّدَ لِنُصْرَةِ الْإِيمَانِ فَحَقَّ اللَّهُ لِمَا غَفَلَ الْمُلُوكُ وَقَعَدُوا ، وَأَمَدَّهُ بِمَوَادِّ السَّعِيدِ فَاسْتَيْقِظَ بِمُفْرَدِهِ حِينَ نَامُوا عَنْ اسْتِخْلَاصِهِ مِمَّا عَرَاهُ وَرَقَدُوا ؛ وَأَضْحَى أَنْتَصَابُهُ آيَةً أَظْهَرَهَا اللَّهُ لِلَّهِ ، وَغَدَا أَنْتَصَارُهُ مُعْجِزَةً حَسَمَ بِهَا فِي رَفْعِ مَنَارِ الدِّينِ كُلِّ عَلَيْهِ ؛ فَهِمَّتْهُ مَصْرُوفَةٌ عَلَى مَا يُعْزُ الشَّرِيعَةُ الْخَنِيفِيَّةُ ، وَعَزَمَتْهُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الدَّفْعِ عَنْهَا بِأَطْرَافِ الدُّوَابِلِ وَحَدِّ الْمَشْرِفِيَّةِ ؛ فَلَبَّغَهُ اللَّهُ فِي كُلِّ مَا يَحَاوِلُهُ مَا يُضَاعَفُ نَفْرَهُ ، وَأَعَانَهُ عَلَى مَا يَقْتَدِمُهُ لِمَعَادِهِ وَيَجْعَلُهُ فِي الْآخِرَةِ ذُنْحَرَهُ بِحَوْلِهِ وَمَنْتَهُ ، وَطَوَّلَهُ وَفَضَّلَهُ .

فَلَا يَزَالُ هَذَا السَّيِّدُ الْأَجَلُ يُثْنِي عَلَيْكَ ثَنَاءً يَخْلُدُ لَكَ وَلَعَقِبِكَ مَجْدًا بَاقِيًا ، وَيَحْبُوكُ مِنَ الْوَصْفِ وَالْإِطْرَاءِ بِمَا يَجْعَلُكَ فِي مَرَاتِبِ الْوَجَاهَةِ وَالنَّبَاهَةِ سَامِيًا رَاقِيًا ؛ وَيُرَشِّحُكَ مِنْ الْخِدْمِ لِأَجْلِهَا قَدْرًا ، وَيُطْلِعُ مِنْكَ فِي آفَاقِ سَمَائِهَا بَدْرًا ، وَيَجْعَلُ لَكَ بِمَا يُؤْهِلُكَ لَهُ صَيْتًا وَيُسَيِّرُ لَكَ ذِكْرًا ؛ وَحِينَ جَدَّدَ شُكْرَكَ ، وَأَوْصَلَ عَلَى عَادَتِهِ مَا يُشِيدُ أَمْرَكَ ؛ قَرَّرَ لَكَ وَلَايَةً «تَغْرِ عَسْقَلَانَ» - حِمَاةَ اللَّهِ تَعَالَى - الَّذِي هُوَ ثَغَرُ الدِّينِ ، وَكَانَهُ الْمَوْحِدِينَ ؛ وَوَزَّرَ الْأَتَقِيَاءَ الْمَجَاهِدِينَ ، وَشَجَّى فِي صُدُورِ الْكَفَرَةِ الْمَعَانِدِينَ ؛ فَامْضِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَاهُ مِنْ هَذَا التَّقْرِيرِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْبَرَكَתَ مَضْمُونَةً فِيمَا يَتَكَلَّفُهُ مِنَ التَّدْيِيرِ ؛

(١) الْغُفْلُ بِالضَّمِّ مَا لَا عَلَامَةَ فِيهِ مِنَ الْقِدَاحِ وَالطَّرْقِ وَغَيْرِهَا وَمَا لَاسِمَةٌ عَلَيْهِ مِنَ الدُّوَابِّ . انْظُرِ الْقَامُوسَ .

ونخرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك ولاية هذا الثغر المحروس وعمله ، وما هو منتظم معه من سهله وجبله .

فأعريف قدر هذه النعمة التي رفعتك على جميع الأمراء ، وأغناك فيها حسن رأى أمير المؤمنين ووزيره السيد الأجل الأفضل عن الوسائط والسفراء ، وأحلتك أعلى مراتب الرفعة والسمو ، وأحطتك مع بعد الدار بمزية القرب من قليهما والدؤو .

فتقلد ما قلدك أمير المؤمنين من هذه الولاية الشاخرة المحل ، التي غدا محطورها على غيرك من المباح لك المحل ، وتلقها من الشكر بما يجعلها إليك آويه ، ولديك مقيمة ناويه ، وأعمل فيها بتقوى الله التي إذا أظلمت الخطوب طلعت في ليها جفرا ، قال الله عز من قائل : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ .

وأشمل أهل هذه الولاية بالمأتملة بينهم فيما كان حقا ، ولا تجعل بين الشريف والمشروف في الواجب فرقا ، وأمر بالمعروف وأبعث عليه ، وأنه عن المنكر وأمنع من الإجراء إليه ، وأقم الحدود مستمرا في إقامتها على العادة ، ومتوقيا من نقص ما يؤمر به منها أوزياده ، وأصرف النصيب الأجل ، الأوفر الأكل ، إلى الاستيقاظ للعدو المخدول المجاور لك والبحث عن أخباره وعمل المكيد له ، ومواصلته بما يديم محافته وجهه ، وأغزه في غفرداره ، وأقصده بما يقضى بحفض مناره ، ولا تهمل تسيير السرايا إليه ، وإطلاع الطلائع بالمكاره عليه ، واعتمده بما يشترد عنه لذيذ منامه ، وأزرع في قلبه خوفا يهابك به في يقظته وفي أحلامه . وأفعل في أمر من يجرد إليك من عسكر البدل المنصور في تقرير نوب المناسر ، ولتخير لها كل متوئب على الإقدام منجاسر ، ما تقتضيه الحال مما أنت [أ] قوم لمعرفة ، وأهدئ الناس في سبيله ومحجته . ووفر حظ القاضى المكين متولى الحكم والمشاركة من

إِعْزَازِكَ وَإِكْرَامِكَ ، وَأَشْتِمَالِكَ وَأَهْتِمَامِكَ ، وَرِعَايَتِكَ وَمَعَاوَدَتِكَ ، وَالْعَمَلِ فِي ذَلِكَ بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ سِيَاسَتِكَ ، وَمَشْهُورٌ مِنْ رِيَاسَتِكَ ؛ وَكَذَلِكَ الْمُسْتَخْدَمُ فِي الدَّعْوَةِ الْهَادِيَّةِ ثَبَتَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَاعْتَمَدَهُ بِمَا يُعْزِزُ أَمْرَهُ ، وَيُسْطُ أَمَلَهُ وَيُشْرَحُ صَدْرَهُ . وَضَافِرٌ عَلَى أَمْرِ الْمَالِ ، وَوُقُورٌ الْإِسْتِغْلَالِ ؛ وَالْعَمَلِ مِنْ ذَلِكَ بِمَا فِيهِ أَكْبَرُ حِظٌّ لِلدِّيْوَانِ . وَأَجْرٌ عَلَى مَا هُوَ مَشْهُورٌ عَنْكَ فِي وِلَايَتِكَ مِنْ حُسْنِ السِّيَاسَةِ ، وَالْعَمَلِ بِقَضَايَا الْمَصْلَحَةِ ، وَالتَّبَثُّلِ لِمَا تَسْتَقِيمُ بِهِ أُمُورُ الْخِدْمَةِ ، وَحِفْظِ أَهْلِ السَّلَامَةِ وَأَرْبَابِ الدِّينِ ، وَإِعْمَالِ السَّيْفِ فِي مُسْتَوْجِبِهِ مِنَ الْمَفْسِدِينَ وَالْمُتَمَرِّدِينَ ، مِمَّا أَنْتَ أَنْفَذُ الْوَلَاةِ فِيهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِمَا يُوْجِبُهُ الصَّوَابُ وَيَقْتَضِيهِ ؛ فَاعْلَمْ هَذَا وَأَعْمَلْ بِهِ ، وَطَالِعْ مَجْلِسَ النَّظَرِ بِمَا تَجِبُ الْمَطَالَعَةُ بِمَثَلِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .^(١)

المذهب الثاني^(٢)

(أَنْ يَفْتَحَ مَا يُكْتَبُ فِي الْوَلَايَةِ بِلَفْظِ « هَذَا مَاعَهْدَ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ فَلَانْ أَبُو فَلَانْ ، الْإِمَامُ الْفُلَانِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، لِفُلَانِ الْفُلَانِيِّ حِينَ وَلَّاهُ كَيْتَ وَكَيْتَ » مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَحْمِيدِ فِي أَوَّلِ مَا يُكْتَبُ وَلَا فِي أَثْنَائِهِ ؛ ثُمَّ يَقَالُ : « أَمْرُهُ بِكَذَا وَأَمْرُهُ بِكَذَا » عَلَى قَاعِدَةٍ مَا كَانَ يَكْتَبُ فِي الْعَهْدِ بِدِيْوَانِ الْخِلَافَةِ بِبَغْدَادَ ، وَهُوَ قَلِيلُ الْإِسْتِعْمَالِ عِنْدَهُمْ لِلْغَايَةِ الْقُصُوبِ ، وَلَمْ أَطْفُرْ مِنْهُ بِغَيْرِ هَذَا الْعَهْدِ)

وهذه نسخة عهد على هذه الطريقة ، كُتِبَ بِهِ عَنْ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ ، لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ التُّعْمَانِ ، بِقَضَاءِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَأَجْنَادِ الشَّامِ وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ ، مُضَافًا إِلَى ذَلِكَ النَّظَرُ فِي دُورِ الضَرْبِ وَالْعِيَارِ وَأَمْرِ الْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ ، وَهُوَ :

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ هَذَا زِيَادَةٌ نَصَهَا « وَأَمَّا الْوُظَائِفُ الدِّينِيَّةُ فَهِيَ » ثُمَّ تَرَكَ بَيَاضًا بِقَدْرِ نِصْفِ صَفْحَةٍ .

(٢) وَقَعَ فِي الْأَصُولِ الضَّرْبُ الثَّانِي وَهُوَ سَهْوٌ مِنَ النَّاسِخِ .

هذا ما عهد عبد الله ووليه المنصور أبو علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، للقاضي حسين بن علي بن النعمان حين ولّاه الحكم بالمعزية القاهرة ومصر، والإسكندرية وأعمالها، والحرمين حرسهما الله تعالى، وأجناد الشام، وأعمال المغرب، وإعلاء المنابر، وأئمة المساجد الجامعة، والقومة عليها والمؤذنين بها، وسائر المتصرفين فيها وفي غيرها من المساجد، والنظر في مصالحها جميعا، ومشاركة دار الضرب وعيار الذهب والفضة، مع ما اعتمده أمير المؤمنين وانتجاه، وقصده وتوخاه: من اقتفائه لآثاره، واتبائه إلى إيثاره، في كل علية للدولة ينشرها ويحييها، وذنية من أهل القبلة يذثرها ويعفيها، وما التوفيق إلا بالله ولي أمير المؤمنين عليه توكله في الخيرة له ولسائر المسلمين فيما قلده إياه، من أمورهم وولاه.

أمره أن يتقى الله عز وجل حق التقوى، في السر والظهر والتجوى، ويعتصم بالثبات واليقين والنهي، وينفصم من الشبهات والشكوك والهوى: فإن تقوى الله تبارك وتعالى مؤئلا لمن وآل إليها حصين، ومعتق لمن اقتفاها أمين، ومعوّل لمن عوّل عليها مكين، ووصية الله التي أشاد بفضلها، وزاد في سناها بما عهد أنه من أهلها، فقال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

وأمره أن لا ينزل ما ولّاه أمير المؤمنين [إياه] من الأحكام في الدماء والأشعار والأبشار، والفروج والأموال، [عن] منزلته العظمى من حقوق الله المحترمة، وحرّماته المعظمة، وبيناته الميمنة في آياته المحكّمة، وأن يجعل كتاب الله عز وجل وسنة جدنا محمد خاتم الأنبياء، والمأثور عن أئمتنا على سيد الأوصياء، وآبائنا الأئمة الثجباء - صلى الله على رسوله وعليهم - قبلة لوجهه إليها يتوجه، وعليها يكون المنجى. فيحكم

(١) في الأصل «إلينا يتوجه وعليها لا يكون منجى» وهو غير مستقيم. تأمل.

بالحق ويقضى بالقسط، ولا يُحْكَمُ الهوى على العقل، ولا القسط على العدل، إيثارة لأمر الله عز وجل حيث يقول: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وأمره أن يُقَابِلَ مَارِسَمَهُ أمير المؤمنين وحده لِقَتَاهُ بَرَجَوَان، من إغرازه والشدة على يده، وتنفيذ أحكامه وأقضيته، والقصر من عنان كل متطاول على الحكم، والقبض من شكائمه، بالحق المفترض لله جل وعز ولأمير المؤمنين عليه: من ترك الجاملة فيه، والمحابة للذي رَحِمَ وقُرْبَى، وولي للدولة أو مولى، فالحكم لله ولخليفته في أرضه، والمستكين له لحكم الله وحكم وليه يستكين، والمتطاول عليه، والمباين للإجابة إليه، حقيق بالإذالة والنهوض؛ فليتنق الله أن يستخحي من أحد في حق له: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾.

وأمره أن يجعل جلوسه للحكم في المواضع الضاحية للتحاكين ويرفع عنهم حجاب، ويفتح لهم أبوابه، ويحسن لهم انتصابه؛ ويقسم بينهم لحظه ولفظه قسمة لا يُحَابِي فيها قوياً لقوته، ولا يُرْدَى فيها ضعيفاً لضعفه؛ بل يميل مع الحق ويحنح إلى جهته، ولا يكون إلا مع الحق وفي كفته؛ ويذكر بموقف الخصوم ومحاباتهم بين يديه موقفه ومحاباته بين يدي الحكم العدل الديان: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾.

وأمره أن يُنْعِمَ النظر في الشهود الذين إليهم يرجع وبهم يقطع في منافع القضايا ومقاطع الأحكام، ويستشف أحوالهم استشفافاً شافياً، ويتعرف دخالهم

تعرفاً كافياً ، ويسأل عن مذاهبهم وتقليدِهم في سرهم وجهرهم ، والخلّى والخنفيّ من أمورهم ، فمن وجده منهم في العدالة والأمانة ، والزّاهة والصّيانة ، وتحريّ الصّدق ، والشهادة بالحق ، على الشّيمة الحُسنى ، والطريقة المثلّي ، [أبقاه] وإلا كان بالإسقاط للشهادة أولى . وأن يطالع حضرة أمير المؤمنين بما يبدو له فيمن يعدّله أو يردّ شهادته ولا يقبله : ليكون في الأمرين على ما يحدّ له ويمثله ، ويأمن فيما هذه سبيله كلّ خلل يدخله ؛ إذ كانت الشهادة أسّ الأحكام ، وإليها يرجع الحكم ، والنظر فيمن يؤهل لها أحقّ شيء بالإحكام ؛ قال الله تقدّست أسماؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ .

وأمره أن يعمل بأمثلة أمير المؤمنين له فيمن يلي أموال الأيتام والوصايا وأولى الخلل في عقولهم ، والعجز عن القيام بأموالهم ؛ حتى يجوز أمرها على ما يرضى الله ووليّه : من حياضها وصياتها من الأمانة عليها ، وحفظهم لها ، ولفظهم لما يحرم ولا يحلّ أكله منها ؛ فيتبوا عند الله بعدا ومقتا ، كلّ الحرام والموكل له سُخْتًا ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

وأمره أن يُشارف أئمة المساجد والقومة عليها ، والخطباء بها والمؤذنين فيها ، وسائر المتصرّفين في مصالحها ؛ مشاركة لا يدخل معها خلل في شيء يلزم مثله : من تطهير ساحتها وأفنيّتها ، والاستبدال بما تبدّل من حصرها في أحيائها ، وعمارتها بالمصايح

في أوقاتها، والإنذار بالصلوات في ساعاتها، وإقامتها لأوقاتها، وتوفيتها حق رُكوعها وسُجودها، مع المحافظة على رُسومها وحدودها، من غير اختراع ولا اختلاع لشيء منها : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وأمره أن يرعى دار الضرب وعيار الذهب والفضة بثقات يحتاطون عليهما من كل لبس، ولا يمتكنون المتصرفين فيهما من سبب يدخل على المعاملين بهما شيئاً من الوكس؛ إذ كان بالعين والورق تُتناول الرباع، والضياغ والمتاع؛ ويبتاع الرقيق، وتتعد المناكح وتتناقض الحقوق؛ فدخول الغش والدخل فيما هذه سبيله جرحه للدين، وضرر على المسلمين؛ يتبرأ إلى الله منهما أمير المؤمنين .

وأمره أن يستعين على أعمال الأمصار التي لا يمكنه أن يشاهدها بأفضل وأعلم وأرشد وأعمد من يمكنه الاستعانة به على ما طوّقه أمير المؤمنين في استعماله . قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

هذا ماعهد أمير المؤمنين فأوف بعهده، تهتد بهديه، وترشد برشده؛ وهذا أول إمرة أمرها لك فاعمل بها، وحاسب نفسك قبل حسابها؛ ولا تدع من عاجل النظر لها أن تتظر لما بها : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وكتب في يوم الأحد لسبع ليال بقين من صفر سنة ٣٨٩ .

المذهب الثالث

من مذاهب كُتَاب الدولة الفاطمية

(أن يُقْتَحَ ما يُكْتَبُ في الولايات بخطبة مبدأةً بالحمد لله كما يكتب في أعلى الولايات في زماننا، ويقال : « يحمده أمير المؤمنين على كذا وكذا، ويسأله أن يصلّي على محمد وآله، وعلى جدّه عليّ بن أبي طالب » ثم يقال : « وإنّ أمير المؤمنين لم يزل ينظرُ فيمن يصلح لهذه الولاية، وإنه لم يجد من هو كفؤ لها غير المولى، وإنه ولّاه تلك الوظيفة » ثم يوضّى بما يليق به من الوصية؛ ثم يقال : « هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، وحمّته عليك، فاعمل به » أو نحو ذلك مما يُعطى هذا المعنى)

وقد أورد عليّ بن خلف من إنشائه في كتابه " موادّ البيان " المؤلف في ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية عدّة تقاليد لأرباب السيوف .

منها — تقليد في رسم ما يكتب للوزير، [وهو] :

الحمد لله المنفرد بالملكوت والسلطان، المستغنى عن الوزراء والأعوان؛ خالق الخلق بلا ظهير، ومصورهم في أحسن تصوير؛ الذي دبر فأتقن التدبير، وعلا عن المكلف والمُشير؛ المانّ على عبادته بأن جعلهم بالتوازر إخوانا، وبالتظافر أعوانا؛ وأقر بعضهم إلى بعض في انتظام أمورهم، وصلاح جمهورهم .

يحمده أمير المؤمنين أن استخلفه في الأرض، وناط به أسباب البرم والنقض؛ واسترعاه على بريته، واستخلصه لخلافته؛ وقبضه لإعزاز الإسلام، وحياطة الأنام، وإقامة الحدود وتنفيذ الأحكام؛ ويسأله الصلاة على سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وخيرة الأصفياء؛ المؤيد بأفضل الظهراء، وأكل الوزراء : عليّ بن أبي طالب المتكفل في حياته، بنصره وإظهار شريعته، والقائم بعد وفاته، مقامه في أمته؛

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا، وَعَلَى الْأُئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا، مَفَاتِيحَ الْحَقَائِقِ، وَمَصَابِيحَ الْخَلَائِقِ؛
وَسَلَّمَ، وَشَرَّفَ وَكَّرَّمَ.

وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَظَرَ لِحَلْفِهِ بَعِينَ رَحْمَتِهِ، وَخَصَّ كُلًّا مِنْهُمْ بِضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ
نِعْمَتِهِ، وَأَقْدَرَهُمْ بِالْتَعَاظِدِ، عَلَى أَنْتِظَامِ أُمُورِهِمُ الْوُجُودِيَّةِ، وَأَوْجَدَهُمُ السَّبِيلَ بِالْتَرَاغُدِ،
إِلَى آسْتِقَامَةِ شُؤْنِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ : لِتَنْجِسَ عِيُونُ الْمَعَاوِنِ بِتَوَازُرِهِمْ، وَتَدْرُ أَخْلَافُ
الْمَرَافِقِ بِتَظَافُرِهِمْ .

وَأَوَّلَى النَّاسِ بِاتِّخَاذِ الْوُزَرَاءِ، وَآسْتِخْلَاصِ الظُّهَرَاءِ، مَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى
إِلَى حَقِّهِ دَاعِيَا، وَلِحَلْفِهِ رَاعِيَا؛ وَلِدَارِ الْإِسْلَامِ حَامِيَا، وَعَنْ حِمَاةِ مُرَامِيَا؛ وَآسْتَخْلَفَهُ
عَلَى الدُّنْيَا وَكَلَّفَهُ سِيَاسَةَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ، وَلِذَلِكَ سَأَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ
الْقَوِيُّ الْأَمِينُ، فِي آسْتِخْلَاصِ أَخِيهِ هَارُونَ لِوِزَارَتِهِ، وَشَدَّ أَزْرَهُ بِمُوَازَرَتِهِ، فَقَالَ :
﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَنِّي أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴾ . وَآسْتَوَزَرَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الْمُؤَيَّدُ الْمَعْصُومُ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ أَبْنُ عَمِّهِ عَلِيًّا سَيِّدَ الْأَوْصِيَاءِ؛
بِدَلِيلِ قَوْلِهِ لَهُ : « أَنْتَ مَنِّي كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » لِأَنَّ الْإِمَامَ
لَوْ تَوَلَّى كُلَّ مَا قُرْبَ وَبَعْدَ بِنَفْسِهِ، وَعَقُولَ فِي حَيْطَتِهِ عَلَى حَوَاسِهِ؛ لَنَصَّ ذَلِكَ بِتَطَرُّقِ
الْخَلَلِ، وَدُخُولِ الْوَهْنِ وَالشَّلَلِ؛ وَإِنَّمَا تَسْتَعِينُ الْأُئِمَّةُ عَلَى مَا كَفَّلَهَا اللَّهُ بِكُفَاةِ
الْأَعْوَانِ، وَأَهْلِ النُّصْرَةِ فِي الْأَدْيَانِ؛ وَذَوِي الْإِسْتِقْلَالِ وَالتَّشْمِيرِ، وَالْمَعْرِفَةِ بِوُجُوهِ
السِّيَاسَةِ وَالتَّدْيِيرِ؛ وَالْخِبْرَةِ بِتَجَارِي الْأَعْمَالِ، وَأَبْوَابِ الْأَمْوَالِ، وَمَصَالِحِ الرِّجَالِ .

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَزَلْ يَتَأَدُّ لِوِزَارَتِهِ حَقِيقًا بِهَا مُسْتَحَقًّا نَعْتَهَا؛ جَامِعًا بَيْنَ
الْكِفَايَةِ وَالْغِنَاءِ، وَالْمَنَاصِحَةِ وَالْوَلَاءِ، وَالْأَبُوَّةِ وَالْإِخْتِصَاصِ، وَالطَّاعَةِ وَالْإِخْلَاصِ؛
وَالنُّصْرَةِ وَالْعَزْمِ، وَأَصَالَةِ الرَّأْيِ وَالْحَزْمِ؛ وَنَفَاسَةِ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْيِيرِ، وَالنَّظَرِ بِالْمَصْلَحَةِ
فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ؛ وَالْإِحْتِيَالِ وَالتَّأْدِيبِ، وَمَلَابَسَةِ الْأَيَّامِ وَالتَّجْرِبِ؛ وَالْإِنْتِمَاءِ

إلى كريم المناجب ، بضمير المناصب ؛ ويكرّر في الاختيار تقليده^(١) ، ويحيل في الانتقاء تأمله وتدبره . وكلّما عرّضت له مخيلة قمن توافق إيثاره ، أخلف نوعها ، وكلما لاحث له بارقة تطابق اختياره ، خبا ضوعها ؛ حتى آتته رويته إليك ، وأوقفه آرتياده عليك ؛ فراك لها من بينهم أهلا ، وبتقمّص سربالها أولى ؛ وبالأستبداد بإمرتها أحقّ وأحرى : لأشتمالك على أعيان الخصائص التي كان زياد [لها] جامعا ، وحلولك في أعيان المناقب التي لم تزل ترومها متحلّيا بفرائدها ، وما شيرت به من إفاضة العدل والإنساق ، وإغاضة الجور والإشطاط ؛ وإنالة الحق والإنصاف ، وإزالة الظلم والإجحاف ؛ ومراعاة النصّح بانسانك شاهدا ، ومناجاته بحذارك جاهدا ؛ ولئهوّضك بالخطب إذا ألمّ وأشكل ، والحادث إذا أهمّ وأعضل ؛ وتقرّدك بالمساعي الصالحة ، والآثار الواضحة ، والطرائق الحميدة ، والمذاهب السديده ؛ والتحلّي بالنزاهة والظلف ، والعطل من الطبع والتطف ؛ وفضل السيرة ، وصدق السريه ؛ ومحبة الخاصة والعامة ، والمعرفة بقدر الأمانة ؛ والأضطلاع بالصنيعه ، والحفظ للوديعه .

فراى أمير المؤمنين برأيه فيما يريه ، ويقضى له بالصلاح فيما يعزم عليه ويمضيه ويسدّد مراميه ومساعيه ؛ ويتعهده في جميع مقاصده بلطف تحلوّثمأره ، وتحسّن عليه وعلى الكافة آثاره ؛ أن قد ولّاك النظر في مملكته ، وأعمال دولته : برّها وبحرّها ، وسهلها ووعرّها ، وبدوها وحضرّها ؛ وردّ إليك سياسة رجالها وأجنادها ، وكتابها وعرفائها ، ورعيّتها ودواوينها ، وأرتفاعها ووجوه جباياتها وأموالها ؛ وعدّق بك البسط والقبض ، والبرم والنقض ؛ والخط والرفع ، والعطاء والمنع ، والإنعام والودع ، والتصريف والصرف ؛ ثقة بأن الصواب منوط بما تُسدى وتلجّم ، وتقيض وتنظّم ، وتنقض وتبرّم ؛ وتصدر وتورد ، وتقرّر وتأتى وتدرّ .

فَلْتَهْنَأْ هَذِهِ النِّعْمَةُ مِمَّا بَلَّسَهَا ، سَارِيًّا فِي قَبْسِهَا ، وَتَلَقَّهَا مِنَ الشُّكْرِ بِمَا يَسْتَرِيهَا
وَيُخَلِّدُهَا ، وَيُقَرِّرُهَا عَلَيْكَ وَيُؤَبِّدُهَا ، وَأَعْرِفْ مَا أَهْلَكَ لَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ
الْأَثِيرِ ، وَالْحَلِّ الْخَطِيرِ ؛ فَإِنَّمَا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .
وَأَنْتَ وَإِنْ كُنْتَ مَكْتَفِيًّا بِفَضْلِ حَصَافَتِكَ ، وَتَقَابَةِ فِطْنَتِكَ ، وَحُسْنِ دِيَانَتِكَ ،
وَوَثَاقَةِ تَجَرُّبَتِكَ - عَنِ التَّبْصِيرِ ، مُسْتَغْنِيًّا عَنِ التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكِيرِ ؛ فَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَزِيدَكَ مِنْ مَرَّاشِدِهِ ، مَا يَقْفُكَ عَلَى سَنَنِ الصَّوَابِ وَمَقَاصِدِهِ ؛ وَهُوَ
يَأْمُرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ ، وَاسْتِشْعَارِ خَشْيَتِهِ وَمِرَاقَبَتِهِ ؛ وَاللَّهُ قَدْ
جَعَلَ لِمَنْ آتَقَاهُ مَخْرَجًا مِنْ ضِيقِ أَمْرِهِ وَحَرَجِهِ ، وَنَصَبَ لَهُ أَعْلَامًا عَلَى مَنَاجِحِ قَرَجِهِ .
وَأَنْ تَسْتَعْمَلَ الْإِنْصَافَ وَالْعَدْلَ ، وَتُسَبِّحَ الْإِحْسَانَ وَالْفَضْلَ ، وَتُلِينَ كَنَفَكَ ، وَتُظْهِرَ
لَطْفَكَ ، وَتُحْسِنَ سَيْرَكَ ، وَتُفِيضَ بَرَكَ ، وَتُصَفِّحَ وَتَحْلُمَ ، وَتَعْفُوَ وَتَكْرُمَ ؛ وَتُبْصِرَ
مَنْ تَرْجُو صَلَاحَهُ وَتَقَهَّمَهُ ، وَتُنْصِفَ مَنْ أَفْرَطَ جِمَاحَهُ وَتُقَوِّمَهُ ؛ وَتَأْخُذَ بِوَثَائِقِ
الْحَزْمِ ، وَجَوَامِعِ الْعَزْمِ ؛ وَالْغَلْظَةِ وَالشَّدَةِ عَلَى مَنْ طَغَى وَلَجَّ فِي غِيٍّ وَعَنَاءٍ ؛ وَبَارَزَ اللَّهَ
وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخِلَافِ وَالشَّقَاقِ ، وَالْإِنْخِرَافِ وَالتَّفَاقِ ؛ مُسْتَعْمَلًا فَاضِلَ التَّدْيِيرِ عِنْدَ
الْمُؤَادَعَةِ ، وَفَاصِلَ الْمُكَاحِفَةِ عِنْدَ الْمُقَارَعَةِ ؛ مُصْلِحًا لِلْفَاسِدِ ، مُشْتَتًا لِلشَّارِدِ ؛ مَكْثَرًا
لِأَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ وَخُلَصَائِهَا ، وَحَاصِدًا لِبَغَاتِهَا وَأَعْدَائِهَا ؛ وَاعْظَمًا مَدَّكَرًا لِلْغَافِلِ ، مُؤَمِّنًا
لِلظُلُومِ الْخَائِفِ ، مُخَفِّقًا لِلظَّالِمِ الْخَائِفِ ؛ مُسْتَصْلِحًا لِلسَّيِّئِينَ ، مَدَّكَرًا بِإِحْسَانِ الْحَسَنِينَ ؛
مُتَنَجِّزًا لَهُمُ الْجَزَاءَ عَلَى بِلَاقَتِهِمْ فِي الطَّاعَةِ وَآثَارِهِمْ فِي الْخِدْمَةِ . وَأَنْ تَنْظُرَ فِي رِجَالِ الدَّوْلَةِ عَلَى
أَخْتِلَافِهِمْ نَظْرًا يَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَ السَّدَادِ ، وَيُجَرِّى أُمُورَهُمْ عَلَى أَفْضَلِ الْعُرْفِ الْمَعْتَادِ .
فَأَمَّا الْأُمَانُ وَالْأَمْرَاءُ ، وَالْأَعْيَانُ وَالرُّؤَسَاءُ ، فَتَحْفَظْ عَلَى مَنْ أَحْمَدْتَ طَرِيقَتَهُ ،
وَعَرِفَ إِخْلَاصَهُ وَطَاعَتَهُ ، شِعَارَ رِيَاسَتِهِ ، وَتَزِيدْ فِي تَكْرِمَتِهِ ، وَتَنْتَهِي بِهِ إِلَى مَا تَتَرَاءَى
إِلَيْهِ مَوَاضِي هِمَّتِهِ .

وأما طوائف الأجناد فُتِقِرُّهم على مرَّاتِهم في ديوان الجيش المنصور، وتُخَصُّهم من عِنايتِكَ بالنصيب الموفور، وتستخدمهم في سدِّ الثُّغور وتسيديد الأمور؛ وتُراعى وُصُولُ أطعِمهم إليهم، وأوقات الاستحقاق إليهم؛ وانفاقهم نصاب الوجوب منهم .

وأما الثَّكَّاب المستخدَمون منهم في استخراج الأموال، وعِمارة الأعمال، فتُخَصُّ كُفَّاتِهِم بما تقتضيه كفايتُهُم، وأمناءهم بما تُوجِبُه أماناتُهُم؛ وتُسْتَبَدَّلُ بالعاجز الخبيث الطَّعْمُ، والطَّيِّع المستشعرِ شِعَارِ المَذْمَةِ : لينحفظ التَّزَهُ المأمونُ بنزاهته وأمانته، ويُقْلَعُ الدَّنَسُ الخُثُونُ عن دَنَسِهِ وخيائنته؛ وتَأْمُرُ من تختاره لخدمة أمير المؤمنين منهم أن يَسِيرُوا بالسَّيْرِ الفاضله، ويعملُوا على الرُّسُومِ العادله؛ فلا يَضِيعُوا حَقًّا لبيت مال المسامين، ولا يُخَيِّفُوا أحدًا من المعاملين .

وأما الرعيَّة، فيأمرُك أن تحكُمَ بينها بالسَّوِيَّة، وتعتمدَها بعَدْلِ القَضِيَّة؛ وترفعَ عنها نِيرَ الجور، وتحميها من وِلَاةِ الظلم؛ وتسوِّسها بالفضل والرافة متى استقامت على الطاعة، وتأدِّبُ في التَّباعه؛ وتَقوِّمُها متى أجزَّت إلى المنازح والأفِتان، وأصرت على مَغَضَبَةِ السُّلْطَان .

وأما الأموال وهي العُدَّة التي تُرْهِفُ عزائم الأولياء، وتَغْضُ من نواظر الأعداء؛ فتستخرجها من محققها، وتضعها في مستحقها؛ وتجتهد في وفورها، وتتوفر على ما عَاد بدورها؛ وأن تَطالِعَ أمير المؤمنين بذره وجِلَّهُ، وعَقْدَ أمرِك وحِلَّهُ؛ وتُنْهِيَ إليه كل ما تعرَّضَ على إِنْهَائِهِ، وترجع فيه إلى رائه : ليُكْرِمَكَ من موادِّ تبصيره وتعريفه، ويزيدَكَ من هدايته وتوقيفه؛ بما يُفْضِي بك إلى جادة الخير وسبيله، ويوضح لك عِلْمَ النَّجَاح ودليله .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك : وقد أودعه من تلويح الإشارة ، ما يكفي به عن تصريح العبارة ، ثقةً بأنك الأريبُ الأملئ ، والفطنُ اللوذعي ، الذي تنتهي به متونُ التذكير إلى أطرافه وحواشيه ، وتفضي به هودى القول إلى أعجازه وتواليه .

فتقلّد ما قلّدك أمير المؤمنين ، وكُنْ عند حسن ظنّه في فضلك ، وصدّق مخيلته في كمالك ، والله تعالى يعترف أمير المؤمنين وجه الخيرة في تصيير أمره إليك ، وتعويله في مهماته عليك ، ويوفّقك لشكر الموهبة في استخلاصك ، والمنحة في اجتياك ، ويُنمّضك بما حَمَلَكَ من أعباءٍ مُظَاهَرَتِهِ ، وجَسَمِكَ من أثقال دَوْلَتِهِ ، ويُستدك إلى ما يُدِيرُ عليك أخلاف [نعمته] ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



ومنها - ما أورده في رسم تقليد زَمِّ الأقارب : وهو التقدمة على أقارب الخليفة ، وهذه نسخته :

الحمد لله الذي ابتداءً بنعمته ابتداءً وأقتضاباً ، وأعادها جزاءً ونواباً ، وميز من اختصّه بهداية خلقه ، وأستخلصه لإظهار حقّه ، بأضفاها عطاها ، وأضفاها نطافاً ، وأحسنها شعاراً ، وأجملها آثاراً ، وأستخرجهم من أطيب البرية أعراقاً ، وأطهرها شيماً وأخلاقاً ، وأقدمها سُودداً ومجداً ، وأكرمها أباً وجداً ، وتوحّد بأفضل ذلك وأعلاه ، وأكمله وأسناه ، مجدداً صفوته من خُلصائه ، وخيرته من أنبيائه ، فأظهره من المنجَبِ الكريم ، والمنجَمِ الصّميم ، والدّوّحة الطاهرِ عُصْرها ، الشريف جوهرها ، الحُلُوِّ ثمرها ، ورشّح من آختره من عثرته لسياسة بريته ، والدعاء إلى توحيده وطاعته .

يحمده أمير المؤمنين أن شرفه بميراث النبوة ، وفضله بأكرم الولادة والأبوة ؛ وأحلّه في الدروة العالية من الخلافه ، وناط به أمور الكافه ؛ ويسأله الصلاة على جدّه محمد وعلى أبيه ، صلى الله عليهما .

وإن أمير المؤمنين يرى أنّ من أشرف نعم الله عليه موقعاً ، وألطف مواهبه لديه موضعاً ؛ توفيقه للحافظة على من يؤاخذ به في كريم نَسبه ، ويمارجه في صميم حسبه ؛ ويُدانيه في طاهر مولده ، ويُقاربه في طيب محتده ؛ وتنزيل كلّ ذى تميّز منهم في دين وعلم ، ودراية وفهم ، وإحلاله بالمنزلة التي يستوجبها بفاضل نَسبه ، وفضل مكتسبه ؛ ويبعث أنظاره على التحلّي بخصاله ، والترّين بخلاله ؛ ليحصل لهم من فضل الخلاق والآداب ، ما يضاعى الحاصل لهم من عَرَاقَة المناجب والأنساب ؛ ولذلك لا يزال يُنوطُ أمورهم ، ويكلّ تديّره ، إلى أعيان دولته ، وأماثل خاصته ؛ الذين يعتادون حضرته ويراوحونها ، ويطالعونه بحقائق أحوالهم ويُنهونها ، ويستخرجون أمره في مصالحهم بما يذلل لهم قُطوف إحسانه وطوله ، ويُعذب لهم مَشارِعَ برّه وفضله ؛ وما توفيقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب .

فإن كان العهد إلى خادم ، قال :

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين معذوداً في أولى النباهه ، المترشّحين للاستقلال بأعباء دولته وذوى الوجاهه ، المُستخلصين لأستكفاء جلائل مملكته : لما أجمع فيك من إباء النفس وعزّتها ، ووثاقه الديانة وحصاقتها ؛ وسداد السيرة وأستقامتها ، وتقاء السريرة وطهارتها ؛ وتقيلك منهج أمير المؤمنين ومذهبه ، وتمثلك بهديه وأديه ؛ ونشك في قُصور خلافته ، وآرتضاعك دَرّ طاعته - رأى - والله تعالى يعزّم له على الخير في آرائه ، ويوفّقه لصالح القول والعمل في أنحائه - أن قلّدك زَمّ بنى عمّه

الأشراف الإسماعيليين ثقةً بسياستك وحميد طريقتك ، وإنافةً لمزلتك وإعرايا
عن أنير مكاتك .

وإن كان العهد إلى شريف قيل بدلاً من هذا الفصل :

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين ممن زين شريف محتده ، بمنيف سُودده ،
وطاهر مولده ، بظاهر محتده ؛ وكريم تالده بنفيس طارفه ، وجليل سالفه ، بنيل
آنيه ؛ مقتفياً سنن أوليتك ، مفرعاً على أصول دوحك ؛ ضارباً بالسهم المعلى في الدين
والعلم ، حائزاً خصل السبق في الرجاحة والفهم - رأى أمير المؤمنين أن قللك نقابة
بنى عمه الأشراف الفلانيين : ثقةً بأنك تعرف ما يجمعهم وإياك من الأرحام الواشجة ،
والأواصر المتمازجة ؛ وتحسن السيرة بهم ، والتعهد لهم والتوفر عليهم .

ثم يوصل الكلام بأى الخطابين قُدم فيقال :

فتقلد ما قللك أمير المؤمنين مستشعراً تقوى الله وطاعته ، معتقداً خيفته
ومراقبته ؛ سائراً فيمن ولأك أمير المؤمنين بسيرته ، مستنّاً بسنته ؛ متأدباً بأدابه ،
مقتفياً مناهج صوابه ؛ وإكرام هذه الأسرة [التى] خصها الله تعالى بكرامته ، وفرّض
مودتها على أهل طاعته ؛ ونزهاها عن الأدناس ، وطهرها من الأرجاس ؛ فقال جل
قائلاً : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وأعرف لهم حق مراتبهم الدانية من أمير المؤمنين ، ونزلهم بحيث نزلهم الله من
الدنيا والدين ؛ وأعتمد تعظيم مشايخهم وتوقيرهم ، وسياسة شبانهم وتديريهم ، وتقويم
أخلاقهم وتنقيفهم ؛ وحُذهم بلزوم الطرائق الحميدة ، والمذاهب السديده ؛ التى تليق
بأصولهم الطاهرة ، وفروعهم المثمرة ؛ ومناحتهم الصميمة ، ومناجيتهم الكريمة ؛
وتفقد منشاهم ومرباهم ، وحلطاتهم وقرباهم ؛ فبن تناكرت أعرافه ، وأخلاقه ،

وأنسابه، وآدابه، بالغت في تنبيهه وتعريفه، فإن نجح ذلك فيه وإلا بسطت يدك إلى تهذيبه، وإصلاحه وتأديبه : ليستيقظ من منامة غرته ، ويرجع إلى اللائق بشرف ولادته ؛ وأنظر فيما أوقف عليهم من الأملاك والمستغلات، والضّياع والإقطاعات، والرّسوم والصّلات ؛ وأنذب لتولّى ذلك من تسكن إلى ثقته وأمانته من الكُتاب ؛ وراع سيرته في عمارته ، وطريقته في تثير ماله وزيادته ؛ فإن ألفتته كافيًا أمينًا أقررتّه ، وإن وجدته عاجزًا خثونا صرفته ؛ وأسبدلت به من يحسن خبرك ، ويطيب أثرك ؛ وأجر الأمر في قسمته بين ذكورهم وإناثهم على الرسوم التي يشهد بها ديوانهم ؛ وأكتب الرّقاع عنهم إلى الحضرة في اقتضاء رؤسومهم ، وما يعرض من مهمّات أمورهم ، وتنجز كلّ ما يتعلق بهم وتوبّ عنهم فيه : لتستقيم شئونهم بسياستك، وتنظّم أحوالهم بحسن سيرتك .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاعمل به وأنته إلى متضمنه، إن شاء الله تعالى :



ومنها — مأورده في رسم تقليد بنقابة العلويين، وهو :

الحمد لله الذي آنجب من أسرار عباده قادة جعلهم لمصالحهم نظاما ، وأنجب من اختيار خليقته سادة صيرهم لأموهم قواما ؛ وعدق بهم هداية من ضلّ ، وتقويم من دلّ ؛ وتعليم من جهل ، وتذكير من غفل ؛ ونصّبهم أعلاما على طرق الرّشاد ، وأدلة على سبل السّداد .

يمجده أمير المؤمنين أن آخضه بأثرة الخلافة والإمامه ، وميزه بمزية الولاية على الأمة والزّعامة ؛ وأنهضه بما كلفه من سياسة بريته وتزليلهم منازلهم من اختصاصه وإيثاره، وإحلالهم في محالهم من استخلاصه واختياره ؛ ويسأله الصلاة على أشرف

الأُمِّ نَجَّارًا وَأَطِيبِهِمْ عُصْرًا، وَأَعْظَمِهِمْ مَفْخَرًا؛ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَخِيهِ
وَأَبْنِ عَمِّهِ، وَبَابِ حِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ؛ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ الرَّاسِخِ فِي نَسَبِهِ،
الْمُدَانِي [لَهُ] فِي حَسَبِهِ؛ سَيِّفَهُ الْبَاتِرَ، وَمُعْجِزَهُ الْبَاهِرَ، وَمُكَاتِفَهُ الْمُظَاهِرَ؛ وَعَلَىٰ
الْأُتَمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا الْمُهَدِّيَّينَ، وَسَلَمَ تَسْلِيمًا .

وإنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ شَرَفِ الْمَنَجِّمِ وَالْمَوْلِدِ، وَكَرَمِ الْمُخْتَلِدِ؛
وَحَوْلِهِ مِنْ مَنَاصِبِ الْخُلَفَاءِ وَالْأُتَمَّةِ، وَنَاطِقِهِ مِنْ إِمَامَةِ الْأُمَّةِ - يَرَى أَنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ
الَّتِي يَجِبُ التَّحَدُّثُ بِشُكْرِهَا، وَتَحَقُّقُ الْإِفَاضَةِ فِي نَشْرِهَا، تَوْفِيقَهُ لِلنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ
ذَوِي لُحْمَتِهِ، وَأَوَّلَىٰ مُنَاسَبَتِهِ؛ الْمُوَاشِحِينَ لَهُ فِي أَرْوَمَتِهِ، الْمُعْتَرِينَ إِلَىٰ كَرَمِ وِلَادَتِهِ؛
وَتَوْخِيهِمْ بِمَا يُرْفِلُهُمْ فِي مَلَابِسِ الْجَمَالِ، وَيُوقِّلُهُمْ فِي هَضَبَاتِ الْجَلَالِ؛ وَيُرْتَبُّهُمْ
فِي الرُّتَبِ الَّتِي يَسْتَوْجِبُونَهَا [وَيَرَاهَا] أَوَّلَىٰ بِمَغَارِسِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ، وَمَاسًّا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَدَابِهِمْ؛
وَلِذَلِكَ يَصْرِفُ أَهْمَامَهُ إِلَىٰ مَا يَجْمَعُ لَهُمْ بَيْنَ شَرَفِ الْأَعْرَاقِ، وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ؛ وَطَهَارَةِ
الْعَنَاصِرِ وَالْأَوَاصِرِ، وَحَيَازَةِ الْمَنَاقِبِ وَالْمَآثِرِ .

وَمَا كُنْتُ بِمَحْضَرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ جِلَّتِهِمُ الْعُلَمَاءِ، وَطَهَرَتِهِمُ الْأَزْكَيَاءِ؛
وَأَبْرَارِهِمُ الصُّلَحَاءِ، وَخِيَارِهِمُ الْفَضْلَاءِ، الَّذِينَ تَضَارَعَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَأَعْرَاقُهُمْ،
وَتَقَارَعَتْ أَنْسَابُهُمْ وَأَدَابُهُمْ؛ وَتَشَاكَهَتْ مَوَارِدُهُمْ وَمَصَادِرُهُمْ، وَتَشَابَهَتْ أَوَائِلُهُمْ
وَأَوَاخِرُهُمْ، وَأَنْفَقَتْ جُيُوبُهُمْ وَدَخَائِلُهُمْ، وَتَوَصَّحَتْ عَنِ الدِّينِ وَالْخَيْرِ مَخَالِلُهُمْ .
هَذَا مَعَ مَا يَرَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَرِيمِ مَسَاعِيكَ فِي خِدْمَتِهِ، وَإِصَابَةِ مَرَامِكَ
فِي طَاعَتِهِ؛ وَاعْتَصَامِكَ بِجَبَلِ مَتَابَعَتِهِ؛ وَنُهُوضِكَ بِحَقْوِقِ مَا أَسْبَغَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَتِهِ -
رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْضِي لَهُ فِي آرَائِهِ بِحُسْنِ الْأَخْتِيَارِ، وَيُمِيتُهُ بِالْعَوْنِ
وَالْتَأْيِيدِ فِي مَجَارِي الْأَقْدَارِ - أَنَّ قَلْدَكَ النَّقَابَةَ عَلَى الْأَشْرَافِ الطَّالِبِينَ أَجْمَعِينَ، الْمَقِيمِينَ

با لضره وسائر أعمال المملكة شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ؛ ثقةً بأنك تصدق بحيلته
فيك واعتقاده ، وتستدعي بكفاية ما استكفأك شكره وإحماده ؛ وتستدر بالاستقلال
والغناء أخلاف إحصانه وفضله ، وتمتري بالاضطلاع بمضيلع الأثقال فائض أمانته
وطوله .

فتقلد ما قلدك أمير المؤمنين عاملاً بتقوى الله وطاعته ، مستشعراً لحيفته
ومراقبته ؛ وأحسن رعاية من عدى بك رعايته ، وسياسة من وكل إليك سياسته .

وأعلم أن أمير المؤمنين قد ميزك على كافة أهل نسبك ، وجميع من يؤمرك
في حسبك ؛ وجعلك عليهم رئيساً ولهم سائساً ؛ فأعرف لهم حق القرابة والمشاكلة ،
وتشاجر الأنساب والمشاركة ؛ فإن الله تعالى يقول : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ . وعمهم جميعاً بالتوقير والإكرام ، والتفقد والإهتمام ؛ واتخذ
شيخهم أبا ، وكهلهم أخاً ، وطفلهم ولداً ؛ وأفرض لهم من الحنان ، والإشفاق
والفضل والإحسان ، ما تقتضيه الرحم الدائيه ، والأواصر المتقاربة ؛ وكُنْ مع ذلك
متفقدا لأحوالهم ، مطالعاً لسيرهم وأفعالهم ؛ فمن ألفتهم سالكا لأقصد الطرائق ، متخلقا
بأجمل الخلائق ؛ حارساً لشرفه ، متشبهاً بسلفه ، فزده في الأثرة زيادةً تُرغب أمثاله
في اقتفاء مذهبه ، وتبعته على التأدب بأدبه ؛ ومن وجدته مستحسناً مالا يليق بصريح
عرفه ، راكبا ما ليس من طُرقه ، فأيقظه بنافع الوعظ ، وذكَّره بنافع اللفظ ؛ فإن
استقام على الطريقة المثلى ، ورجع إلى الأجدر والأولى ، عرفت ذلك من فعله ،
وفرضت له ما تقرضه لصلحاء أهله : فإن الله تعالى قد فتح باب التوبة ، ووعد بإقالة
أهل الإنابة ؛ ومن انحرف عن التذكير ، وأنصرف عن التبصير ؛ وأصر وتمادى ،
وآرتكب ما يوجب حداً ؛ آمنتلت أمر الله تعالى فيه ، وأقمت الحد عليه ؛ غير مُضعف

إلى شَفَاعِهِ ، ولا مُوجب لحق ذَرِيَعِهِ : فإن أمير المؤمنين يصل من ذَوِي أَنْسابِهِ ، من وَكَّدَهَا بِأَسْبَابِهِ ؛ ويقطَع من أوجب الحق قطيعته ، ولا يراعى رَحِمَهُ وَقَرَابَتَهُ .
وَوَكَّلَ بِهِمْ مَنْ يَرَوِي إِلَيْكَ أَخْبَارَهُمْ ، ويكشفُ لك آثارَهُمْ : ليعلموا أنهم ببال من مطالعتك ، وبعين من أهتمامك ومشارفتك ؛ فيكبحُ ذلك جامعهم عن العثار والسَّقَط ، ويمنع طامعهم من الزَّلَل والغَلَط . وتوخَّهم في خطابك بالإكرام ، وميزهم عن محاورَةِ العوام ؛ ولا تقابل أحدا منهم ببداء ولا سب ، ولا قدح في أم ولا أب ؛ فإنهم فروعُ دوحَةِ أمير المؤمنين وعِترته الذين طهرهم الله من الأرجاس ، وفرض قِرَاهِم على الناس . ووفَّرَ آهتمامك على صيانة النَّسَب من الوُكْس ، وحياطته من اللَّبْس ؛ فإنه نَسَبُ الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يتصل يومَ انقطاع الأنساب ، وسببه الذي يتشج يومَ انفراط الأسباب ؛ وأثبت أسماءَ كافَّةٍ من يعتري إلى هذا البيت منسوبةً إلى أصولها : لتأمن من دَخيل مُلصقي يتروَر عليها ، ومُخْتَلِق مُلحَق ينضم إليها . وإن عرف مدَّع نسباً لاحجة له فيه ، ولا بينة عنده عليه ؛ فغلظ له العقاب ، وأشهره شهرة تحجزه عن معاودة الكذاب ؛ واحتطَّ في أمر المناخ وضنها عن العوام ، ووفَّر كرائم أهل البيت عن مُلابسة اللثام ؛ وإن آدعى أحدٌ من الرعية حقاً على شريف فاحملها على السوية وعده بإنصاف خصمه ، وأمنعه من ظلمه ؛ وإن ثبت أيضاً في مجلس الحكم حقٌّ على أحد من الأشراف فآزره منه [وول] ^(١) على من في البلاد ، أهل السداد منهم والرَّشاد ؛ ومُرهم بتقيل مذهبك ، ونقل أدبك ؛ وأصريف آهتمامك إلى حفظ أوقافهم وأملاكهم ومستغلاتهم في سائر الأعمال ، وحُطها من العفاء والأضحلال ؛ وتوفَّر على تثير آرتفاعها ، وترجسية مالها ؛

وَأَسْتَحْدِمُ لَضَبْطِ حَاصِلِهَا ، وَجِهَاتِ مُنْفَقِهَا ، مِنْ تَسْكُنِ إِلَى ثَقْتِهِ ، وَتَثِقِ بِنَهْضَتِهِ ؛
وَوَزْعِ مَا يَرْتَفِعُ مِنْ أَسْتَغْلَالِهَا بَيْنَهُمْ عَلَى رُتَبِهِمُ الَّتِي يَشْهَدُ بِهَا دِيَوَانُهُمْ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ فَانْتِهِ إِلَيْهِ مُنْتَهَجًا لِمِثْلِهِ ؛ مَعْتَمِدًا بِدَلِيلِهِ ؛ وَطَالِعَ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَلْبَسَ عَلَيْكَ وَأَبْهَمَ ، وَأَشْكَلَ وَأَسْتَعْجَمَ : لِيَقْفِكَ عَلَى وَاضِحِ السَّنَنِ ،
وَيُرْشِدَكَ إِلَى أَحْسَنِ السَّنَنِ ؛ وَأَسْتَعِينَ بِاللَّهِ يَهْدِكَ لِمَعُونَتِهِ ، وَأَسْتَمِدَّ بِكَ بِهَدَايَتِهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



ومنها — ما أورده في رسم تقليد بزم طوائف الرجال .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْبَدِيعِ تَقْدِيرُهُ ، الْحَكِيمِ تَدْبِيرُهُ ؛ الَّذِي أَثَقَّنَ مَاصِنَعَ وَأَحْكَمَهُ ، وَكَمَّلَ مَا بَدَعَ
وَتَمَّمَهُ ؛ وَأَعْطَى كُلَّ مَصْلُحَةٍ مِنْ مَصَالِحِ عِبَادِهِ نِظَامًا ، وَكُلَّ مَرَفَقٍ مِنْ مَرَافِقِ
خَلْقِهِ قِوَامًا ؛ فَلَا يُقَارَبُ فِيمَا خَلَقَ وَصُورًا ، وَلَا يُسَاكَلُ فِيمَا قَدَّرَ وَدَبَّرًا ؛ وَرَأْبَ ثَلَمَ بَرِيَّتِهِ
بِمَنْ أَسْتَخْلَصَهُ مِنْ خَاصَّتِهَا ، لِسِيَاسَةِ عَامَّتِهَا ؛ وَأَتَخَبَّهَ مِنْ أَشْرَافِهَا ، لِتَسْدِيدِ أَطْرَافِهَا ؛
وَلِإِقَامَةِ مِنْ سَادَهَا لِإِصْلَاحِ فَاسِدِهَا ، وَتَقْوِيمِ مَائِدِهَا ؛ وَتَوْقِيفِهَا عَلَى سَنَنِ الصَّوَابِ ،
وَتَعْرِيفِهَا بِحَاسَنِ الْآدَابِ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَحَلَّهُ فِي الْمُنْزِلَةِ الْعَلِيَّةِ : مِنْ أَصْطِفَائِهِ وَأَسْتَخْلَاصِهِ ، وَالذَّرُورَةِ
السَّنِيَّةِ : مِنْ أَجْتِبَائِهِ وَأَخْتِصَاصِهِ ؛ وَفَوْضَ إِلَيْهِ تَنْزِيلِ الرَّتَبِ وَتَحْوِيلِهَا ، وَإِقْرَارِ
الْمَنَازِلِ وَتَحْوِيلِهَا ؛ وَنَاطِ بِهَ الْبَرَمِ وَالتَّقْضِ ، وَالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ ؛ وَالرَّيْشِ وَالْحِصْنِ ،
وَالزِّيَادَةِ وَالتَّقْصِ ؛ وَسَوْغَةِ الشُّكْرِ عَلَى مَوَاهِبِهِ السَّابِغِ عِطَافُهَا ، الْفَسِيحَةِ أَكْثَافُهَا ،
الْبَعِيدَةِ أَطْرَافُهَا ؛ وَ[يَسْأَلُهُ] أَنْ يَصِلَى عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وَمُفِيدِ الْحِكْمَةِ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ

الرُّسُل ، وَمَوْصَّحِ السُّبُل ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وآبنِ عمِّه ، وخليفته على أُمَّته وقومه : على بن أبى طالب أمير المؤمنين ، ومولى المسلمين ؛ وعلى الأئمة من ذُرِّيَّتِهِما الطاهرين .

وإنَّ أمير المؤمنين بما فَوَضَّهَ اللهُ تعالى إليه من حِمايَةِ الأَمان ، والمُرامَةِ عن دار الإسلام ؛ وكَفَّلَهُ من غَضِّ نواظر أهل العِناد ، وتَكْيِيسِ رُؤوس رؤساء الإلحاد ؛ لا يزال ينظُرُ في مصالح عبيده ، وتوفّرِ سياسة رجال دولته وجنوده ؛ الذين هم حُرْبُ الله الغالبون ، وجنُده المنصورون ؛ ويرُدُّ النظرَ في أمورهم ، والتقدّمَ عليهم ؛ وزَمَّ طوائفهم ، إلى خواصِّ دولته ، وأعيان مملكته ، الذين بَلَّاطَرائِقهم ، وحَدِّ خلائقهم : من الغِناء والكِفاية ، والسَّداد وحُسن السياسة ؛ وتَقْلَهُم في الخِدم فاستَقَلُّوا بأعبائها وأثقالها ، ونَهَضُوا بناهضِ أَعْمالها ؛ ومَضَتْ عزائمهم في حِياطة البيضة ، وأَشْتَدَّتْ صرائعهم في تحصين الحُوْزة ، وصدَقَتْ نياتهم في المُرَامَةِ عن المَلَّة ، والمحاماة عن الدعوة والدَّولة .

ولمَّا كُنْتَ بحضرة أمير المؤمنين مُعَدًّا لمِهْمَّاته ، معدودًا في أُمائل كُفَّاته ؛ مشهورًا بحسن السياسة لما تُورِده وتُصدِّره ، معروفاً بفضل السَّيرة فيما تأتيه وتَدْرُه - رأى أمير المؤمنين - والله يُرْشِدُه لأَعْوَدِ الآراء بالصِلاح والإِصلاح ، وأدناها من الخير والنجاح - أن قُلْدَكَ زَمَامَ طائفة الرجال الفلانيين (ويوصفون بما تقتضيه مكاتبتهم من الدولة وحسن سيرهم في الخدمة) إنافةً بَقْدَرِكَ ، وإبانةً عن خَطَرِكَ ، وتنوِيهاً بَذَرِكَ ، وتفخِيماً لأَمْرِكَ .

وهو يأْمُرُكَ بتقوى الله تعالى وطاعته ، واستشعارِ مراقبته ؛ ورياضةِ خلائقك على محبة العَدْلِ ، وإيثارِ الفَضْلِ ؛ وأتِّباعِ اللُّطْف ، وأجتنابِ العَسْف ؛ وتونُّجِ

الإنصاف، وبَسْطِ الهيبة من غير إجحاف؛ وأن تُحَصَّ هذه الطائفة من النظر في أمورها، وتعهَّد صغيرها وكبيرها، بما يُسدِّد أحوالها، ويحقِّق آمالها؛ وتأخذها بأحسن الآداب اللائقة بأمثالها، وسلوك الطريقة المعهودة من أعيانها وأماثلها؛ وتُشعرها من أمير المؤمنين بما يشرح صدرها في خدمته، ويُقرِّع عنها في طاعته؛ والمصارعة إلى مكافئة أعدائه، والتمييز في نُصرة أوليائه؛ وتُطالع بحال من يستحقُّ الاحترام، ويستوجبُ إفاضة الإنعام؛ وتكتب الرِّقاع عنها (مستدعيًا للرباطات، في الأَطْلاع والعاجزين شاملاً في التعويد والتأثير والتلقيب والولايات قاصداً في ذلك ما يفسِّح آمالها في الآجال، ويوثِّقها بَدْرُور الأمثال^(١))؛ فإنهم أمراءُ الحروب، وكُفَّاة الخطوب، الذين يجاهدون عن الحوزة، ويرامون عن الدولة؛ وأُفْرِضَ لهم من الإكرام، وتأمَّ الإهتمام؛ ما تقتضيه مكاتبتهم في الدولة، وموضعهم من الخدمة؛ وتكفَّل أوساطهم بالرعاية، وأصرف إليهم شطراً موفوراً من العناية؛ وألحق من برز منهم وتقدَّم، ونهض وخدم، بنظرائه وأمثاله، وساو بينه وبين أشكاله؛ وتعهَّد أطرافهم بملاحضتك، وتفقدتهم بسياستك؛ وحُدِّم بلزوم السير الحميدة، والمذاهب السديده؛ والتوفُّر على ما يرهف عزائمهم، ويؤيِّد أيديهم؛ ولا تُفسِّح لأحد من هذه المذاهب في مخالطة العوام ولا مشاركة التجار والإحتراف، ووكل بهم من الثقباء من يتبلى سيرهم، وينهى إليك أخبارهم؛ فمن علمته قد آجرت إلى نسخ المذهب، فتناولهُ باليم الأدب؛ وأحضضهم على الإدمان في نقل السلاح، والضرب بالسيف، والمطاعنة بالرمح، والإزماء عن القوس؛ وميز من مهر وأستقل، وقصّر بمن ضجَّع وأحل؛ فهم كالجوارح التي ينفعها التعليم والإجراء، ويضرُّها الإهمال والإبقاء؛ وفي صرفك الإهتمام إليهم ما يزيد في رغبة ذى الهمة العليّه، ويبعثُ المعروف

(١) كذا في النسخ ولم نهند الى المراد منها .

في النفس الدنيَّة ؛ وأن تُطالبهم بالإستعداد ، وأرتباط الحُيُول الجياد ؛ والاستكثار من السَّلاح الشاك والجن . وليَكُنْ ما تُطالبهم بإعداده من هذه الأصناف على حَسَبِ القُروض من العطاء ، ولا تُرَخِّص لأحد في الإقتناع بما لا يليقُ بمُتَزلِّه ، والرضا بما يَقَع دُون ما يَعتَدُه أمانِلُ طَبَقَتِه . وَمَنْ مات من هذه الطائفة وخَلَّف ولدا يَتِيماً فَضَّمَّه إلى أمثاله ، وأنظَر في حاله ؛ ووَكَّل به من يَقِفُه في دينه ، ويعَلِّمه ما لا غنىَ به عن تعلُّيمه من كُتاب الله وسُنَّتِه ، وَمَنْ يَهْدِيهِ في الخدمة ويعَلِّمه العملَ بِأَلاتِها ، والتَّنَقُّل في حالاتِها ؛ ويَطْلُقْ له من إناعام أمير المؤمنين ما يقومُ بِكُلِّفَتِها ولوازمِها ، وخُذْ كُلَّ من تُقدِّمهم بِخدمِها والجُرى على عادتها في النُحُوض بما يُسْتَنَهَض به ، ولا يُفَسِّح لها في التَّنَاقُل عنه ؛ وسوِّبَينهم في الاستِخدام ؛ ولا تُحْصِ قوماً دون قوم بالترفيه والإجماع ؛ فإنَّ في ذلك إرهاباً لعزائمهم ، وتقويةً لِمُنَنِهم ، وإفاضةً العدل عليهم .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، قد وَكَّدَ به الحِجَّةَ عليك ؛ فتأمَّلْه ناظراً ، وراجِعْه متدبِّراً ؛ وآتِنَه إلى مَصايِرِه ومَراشِدِه ، وأَعْمَلْ على رُسُومِه وحدُودِه ، يُوقِّقِ الله مقاصِدَكَ ، ويُسَعِدِ مَصالحَكَ ويتولَّاكَ ، إن شاء الله تعالى .

ورُسُوم هذه العهود يتفاضلُ الخطابُ فيها بحسبِ تَفاضُلِ الطوائف وَمَنْ يُوَلِّي عليها . وهذا الأَنموذجُ متوسِّطٌ ثُمَّنَ الزيادةُ عليه والنقصُ منه .



ومنها — ما أورده في رسم تقليد بإمارة الحج ، وهذه نسخته :

الحمد لله الذي طَهَّرَ بيته من الأَرْجاس ، وجعلَهُ مَثابَةً للناس ؛ وآمَنَ مَنْ حَلَّه وَزَلَّه ، وأَوْجَبَ أَجرَ مَنْ هاجرَ إليه ووصلَه .

يحمده أمير المؤمنين أن خصه بحيازة البيت الأعظم ، والحجر المكرم ، والحطيم وزمزم ، وأفضى إليه ميراث النبوة والإمامه ، وثرث الخليفة والزعامه ، وجعله لقرضه موفيا ، ولحقوقه مؤديا ، ولحدوده حافظا ، ولشرائعه ملاحظا ، ويسأله أن يصل على من أمره بالتأذين في الناس بالحج إلى بيته الحرام لشهادة منافعهم ، وتأدية مناسكهم ، وقضاء نفثهم ، ووفاء نذرهم ، وذكر خالقهم ، والطواف بحرمه ، والشكر على نعمه : سيدنا محمد رسوله صلى الله عليه وعلى وصيه وخليفته ، وباب مدينة علمه وحكمته : على بن أبى طالب سيد الوصيين ، وعلى الأئمة من ذريتهما الطاهرين .

وإن أولى ما صرف أمير المؤمنين إليه همته ، ووفر عليه رعايته ، مثابرا عليه ، وناهضا لحق الله تعالى فيه ، النظر في أمر رفق الحجيج الشاحصة إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وردّه إلى من حلّ محلّك من الدين ، وتميز بما تميز به صلحاء المسلمين : من العلم ، ورجاحة الحلم ، ونفاذ البصيرة ، وحسن السريره ، وعدل السيره ، ولذلك رأى أمير المؤمنين أن قلّدك أمر رفق الحجيج المتوجهة من موضع كذا إلى الحرمين المحروسين ، وولّاك الحرب والأحداث بها : واثقا باستقلالك وغنائك ، وسدادك وإصابة آرائك ، فتقلّد ماقلّدك أمير المؤمنين بعزم ثاقب ، ورأي صائب ، وهمة ماضيه ، ونفس ساميه ، وشمر فيه تسميرا يعرب عن محلك من الإضطلاع ، ويدلّ على استقلالك بحق الإضطناع ، وخصّ الحجاج بأتمّ المحظ ، وكُن من أمرهم على تيقظ ، وأعتد ترقبهم في المسير ، وسو في رعايتهم بين الصغير والكبير ، فإنهم جميعا إلى الله متوجهون ، وإلى بيته الحرام قاصدون ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وافدون ، قد استقربوا بعيد الشقه ،

وَأَسْتَدْمُوا خَشِنَ الْمَشَقَّةَ ، رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ ، وَالنَّجَاةِ مِنْ عِقَابِهِ وَسَطْوِهِ ؛
وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ بِإِرْتِسَامِ أَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَإِيجَابًا لِلْحَرَمَةِ بِالْحُلُولِ فِي عِرَاصِ بَيْتِهِ وَأَفْنِيَّتِهِ ؛
فُرُافِدَتُهُمْ وَاجِبُهُ ، وَمُسَاعَدَتُهُمْ لِإِزْبِهِ ؛ حَتَّى يَصْلُوهَا إِلَى بُغْيَتِهِمْ وَقَدْ شَمِلَتْهُمْ السَّلَامَةُ
فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ ، وَالْأَمْنَةُ فِي الْحَيْلِ وَالرِّجَالِ : مُتَوَجِّهِينَ وَقَارِينَ وَقَافِلِينَ ، بَعْدَ
أَنْ يَشْهَدُوا مِنْ أَفْهَمِهِمْ ، وَيُؤَدُّوا مَنَاسِكَهُمْ ، وَيَعْمَلُوا بِمَا حُدَّ لَهُمْ . وَرُدَّاهُمْ فِي سَيْرِهِمْ
عَنِ الْإِزْدِحَامِ ، وَرَتَّبَهُمْ عَلَى الْإِنْتِظَامِ ؛ وَرَاعَاهُمْ فِي وُرُودِ الْمَنَاهِلِ ، وَأَمْنَعَهُمْ
مِنَ التَّحَادُثِ عَلَيْهَا وَالتَّكَاثُرِ فِيهَا ؛ حَتَّى لَا يَنْفَصِلُوا مِنْهَا إِلَّا بَعْدَ الْإِرْتَوَاءِ ، وَوُقُوعِ
التَّسَاوِيِ وَالْإِكْتِفَاءِ ؛ وَقَدَّمَ أَمَامَهُمْ مَنْ يَمْنَعُهُمْ مِنَ التَّسَرُّعِ ، وَأَخَّرَ وَرَاءَهُمْ مَنْ
يَحْفَظُهُمْ مِنَ التَّقَطُّعِ ؛ وَرَتَّبَ سَاقَتَهُمْ ، وَلَا تُخَلَّ بِحِفْظِهِمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ ؛ وَطَالَعَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَنَزِلٍ تَنْزِيلُهُ وَمَحَلٍّ تَحُلُّهُ بِحَقِيقَةِ أَمْرِكَ لِقَفِّ عَلَيْهَا ، وَيُمَدِّكَ
بِمَا يُنْهَضُكَ فِيهَا .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك فتدبره عاملاً عليه ؛ متبصراً بما فيه ، عاملاً بما .
يحسن موقعه لك ، ويزيدك من رضا الله وثوابه ، إن شاء الله تعالى .



ومنها — ما أورده في رسم تقليد الإمارة على الجهاد ، وهذه نسخته :

الحمد لله الصادق وعده ، الغالب جُنْدُهُ ؛ ناصِر الحق ومُذِيلُهُ ، وخَازِلُ الباطل
ومُذِيلُهُ ؛ مُحِلُّ التَّكْبَرِ بِنِ انْصَرَفَ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَمُنْزِلُ الْعِقَابِ بِنِ تَحَرَّفَ عَنْ دَلِيلِهِ ؛
الَّذِي اخْتَارَ دِينَ الْإِسْلَامِ فَأَعْلَى مَنَارَهُ ، وَوَضَّحَ أَنْوَارَهُ ؛ وَأَسْتَخْلَصَ لَهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ
أَعْضَادًا لَا تَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَلَا يُغْمِضُونَ عَنْ الْمَكَالِفَةِ دُونَهُ جَفَنَ حَالٍ ؛

وَجَزَّاهُمْ عَلَىٰ سَعْيِهِمْ فِي نُصْرَتِهِ جَزَاءً فِيهِ يَتَنَافَسُ الْمُتَنَافِسُونَ ، وَإِلَىٰ غَايَاتِهِ يَرْتَمِي بِالْهَيْمِ الْمُحِيطُونَ ؛ قَصْدًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي إِعْزَازِ دِينِهِ ، وَإِنْجَازِ مَا وَعَدَ بِهِ خُلَفَاءَهُ مِنْ إِظْهَارِهِ وَتَمَكُّنِهِ ؛ وَقَطًّا لَشَوْكَةِ أَهْلِ الْعِنَادِ ، وَتَعْفِيَةً لَأَثَارِ ذَوِي الْفُسَادِ ؛ وَتَوْفِيرًا لِأَحَاطِي مِنْ بَذْلِ الْإِجْتِهَادِ ، مِنْ سَعْدَاءِ عِبَادِهِ فِي الْجِهَادِ .

يُحْمَدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَخْتَصَّهَ بِلَطِيفِ الصَّنْعِ فِيمَا أَسْتَرَعَاهُ ، وَوَقَّعَهُ لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ فِيمَا وَلَّاهُ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى الْمُرَامَةِ عَنْ دَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْمَحَامَةِ عَنْ ذِمَارِ الدِّينِ ؛ وَمَجَاهِدَةِ [مَنْ] نَدَّعَنَاهَا صَادِفًا ، وَنَكَّبَ عَنْ سَبِيلِهِمَا مُنْصَرِفًا ؛ وَإِبَادَةِ مَنْ عِنْدَ عَنْ طَاعَتِهِ وَأَتَّخَذَ مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ عُلُوقًا كَبِيرًا ؛ وَأَسْتَرَاهُمْ مِنْ صِيَاصِهِمْ فَهَرَا وَأَقْتَسَارًا ، وَإِخْرَاجَهُمْ عَنْ بُيُوتِهِمْ عِزًّا وَأَقْتَدِرًا ؛ وَإِذَا قَتَلْتَهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ [و] عَاقِبَةُ كُفْرِهِمْ ، أَتَّبَعَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ إِذْ يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَى أَشْهَرِ الْخَلْقِ نُورًا وَفَضْلًا ، وَأُظْهِرِ الْبَرِيَّةَ فَرَعًا وَأَصْلًا ؛ وَأُرْشِدِ الْأَنْبِيَاءَ دَلِيلًا ، وَأَقْصِدِ الرُّسُلَ سَبِيلًا : مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الَّذِي أَبْتَعَثَهُ وَقَدْ تَوَعَّرَ طَرِيقُ الْحَقِّ عَافِيًا ، وَتَغَوَّرَ نُورُ الْهُدَىٰ خَافِيًا ؛ وَالنَّاسُ يَتَسَكَّعُونَ فِي حَنَادِسِ الْغَمَرَاتِ ، وَيَتَوَرَّطُونَ فِي مَهَاوِي الْهَلَكَاتِ ؛ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ ضَلَالٌ فَيَسْتَهْدُونَ ، وَلَا عُمَىٰ فَيَسْتَبْصِرُونَ ؛ فَأَيَّدَهُ وَعَضَّدَهُ ، وَوَقَّقَهُ وَسَدَّدَهُ ؛ وَنَصَرَهُ وَأَظْهَرَهُ ، وَأَعَانَهُ وَأَزْرَهُ ؛ وَأَتَّخَبَ لَهُ مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِهِ ، أَوْلِيَاءَ كَاتِفُوهُ عَلَىٰ ظُهُورِ حَقِّهِ ، سَمَّحُوا بِالْأَنْفُسِ الْعَزِيزَةِ ، وَالْأَمْوَالِ الْحَرِيزَةِ ؛ وَجَاهَدُوا مَعَهُ بِأَيْدٍ بَاسِطَةٍ مَاضِيَةٍ ، وَعِزَائِمٍ مُتَكَافِيَةٍ مُتَوَافِيَةٍ ؛ وَقُلُوبٍ عَلَى الْكُفَّارِ قَسِيَّةٍ قَاسِيَةٍ ؛ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ رَعُوفَةٍ حَانِيَةٍ . فَلَمَّا صَدَّقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، وَارْتَسَمُوا أَمْرَهُ وَاتَّهَوَّا إِلَيْهِ ، شَرَكَهُمْ مَعَهُ فِي الْوَصْفِ وَالثَنَاءِ ،

وأضافهم إليه في المدح والإطراء ؛ فقال جل قائلًا : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ . صلى الله عليه وعلى أخيه وآبن عمه أمير المؤمنين على بن أبي طالب سيف الله الفاضل ، وسنانه العامل ؛ ومُعْجَزُ رَسُولِهِ الباهر ، ووزيره المظاهر ؛ مُبِيدُ الشُّجْعَانِ ، ومُبِيرُ الْأَقْرَانِ ؛ ومُقَطِّرُ الْفُرْسَانِ ، ومُكَسِّرُ الصُّلْبَانِ ؛ ومنكس الأوثان ، ومُعِزُّ الْإِيمَانِ ، الذي سبق الناس إلى الإسلام ، وتقدّمهم في الصَّلَاةِ والصَّيَامِ ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما الميامين ، البررة الطاهرين ، وسلم تسليما .

وإنَّ أمير المؤمنين بما كلفه الله تعالى من [أمر] دينه ، ووَعَدَهُ من إظهاره وتمكينه ؛ يرى أنَّ أفضلَ مَآرَنَا إليه بِيَصْرِ بَصِيرَتِهِ ، ورمي نَحْوَهُ بِطَايِجِ هَمَّتِهِ ، مَا شِئِلَتِ الدِّينَ والدُّنْيَا بَرَكَتُهُ ، وَعَمَّتِ الْإِسْلَامَ والمُسْلِمِينَ عَائِدَتُهُ ؛ وحلَّ محلَّ الْغَيْثِ إِذَا تَدَفَّقَ وَهَمَّ ، والنَّهَارِ إِذَا تَأَلَّقَ وَلَمَعَ . ولا شَيْءَ أَعُوذُ عَلَى الْأُمَّةِ ، وَأَدْعَى إِلَى سُبُوغِ النِّعْمَةِ ، من عُلُوِّ كَلِمَتِهِمْ ، وَارْتِفَاعِ رَأْيَتِهِمْ ؛ وَتَحْصِينِ حُوزَتِهِمْ ، وإِيمَانِ مَنْصَبَتِهِمْ ؛ وتَأْدِيَةِ الْفَرِيضَةِ فِي مَجَاهِدَةِ أَعْدَائِهِمْ ، وَصَرْفِهِمْ عَنْ غُلَوَائِهِمْ ؛ وَاقْتِيَادِهِمْ بِالْإِذْلَالِ وَالصَّغَارِ ، وَكَبْحِهِمْ بِشَكَائِمِ الْإِهْوَانِ وَالْإِقْتِسَارِ ؛ ومواصلتهم بغزو الديار ، وَتَعْفِيَةِ الْأَثَارِ ؛ وإيداع الرُّعْبِ فِي صُدُورِهِمْ ، وَتَكْذِيبِ أُمَانِي غُرُورِهِمْ ؛ وَوَعْظِهِمْ بِالسِّنَةِ الْقَوَاضِبِ ، وَمَكَاتِبَتِهِمْ عَلَى أَيْدِي الْكَتَائِبِ : لما في ذلك من ذُلِّ الشَّرِّكِ وَثُبُورِهِ ، وَعِزِّ التَّوْحِيدِ وَظُهُورِهِ ؛ وَوُضُوحِ حُجَّةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَعْدَائِهِ بِمَا يُنْزِلُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ نَصْرِهِ وَمَعُونَتِهِ ، وَيُؤَيِّدُهُمْ بِهِ مِنْ تَأْيِيدِهِ وَعِنَايَتِهِ ؛ لِأَجْرَمِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَصْرُوفَ الْعَزْمَةِ ، مَوْقُوفَ الْهِمَّةِ ، عَلَى تَنْفِيزِ الْبُعُوثِ وَالسَّرَايَا ، وَالْمُوَاصَلَةِ بِالْجُيُوشِ وَالْعَرَايَا ؛ وَتَجْهِيزِ الْمُرْتَقَةِ مِنْ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَحَضِّ الْمَطْوُوعَةِ مِنْ أَهْلِ الْمَلَّةِ ، عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ غَزْوِ الْمُشْرِكِينَ ، وَجِهَادِ الْمُلْحِدِينَ ؛ نَافِذًا فِي ذَلِكَ بِنَفْسِهِ ، وَبِإِذْنِهِ

عزيمته ، عند تسهل السبل إلى البعثة ، وجود الفسحة ؛ ومعولاً فيه عند التعذر على أهل الشجاعة والرجاحة من أعيان أهل الإسلام الذين أيقنت ضمائرهم ، وخلصت بصائرهم ؛ ورغبوا في عاجل الذكر الجميل ، وأجل الأجر الجزيل ؛ وأمير المؤمنين يسأل الله تعالى أن يحريه فيما يصدر ويورد ، على أفضل مالم يزل يؤلى ويعود : من التوفيق في رأيه وعزمه ، والتسديد في تديره وحزمه ؛ ويؤتية من ذلك أفضل ما آتاه ولياً استخلفه ، وأميناً كفله عباده وكلفه ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنيب .

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين من يعده لجلال مهماته ، ويعده من أعيان كفاته ؛ وراه سداداً للخلل ، وعماداً في الحادث الجلل ، وسهماً في كتابته صائباً ، وشهاباً في سماء دولته نقيباً ، وسيفاً بيد الدين قاطعاً ، ومجناً عن الحوزة دافعاً - رأى - وبالله التوفيق - أن يقدمك على جيوش المسلمين ، وبُعوثهم الشاخصة إلى جهاد المشركين ؛ فقلدك الحرب والأحداث بها ، وعقد لك لواء بيده يلوى إليك الأعناق ، وينكس لك رؤوس أهل الشقاق ؛ وشرّك بفاخر ملايسه وحملانه ، وضاعف لديك مواد إحسانه ؛ وحباك بطوق من التبر ، مرصع بفاخر الدر ؛ عادقاً هذه الخدمة منك بالنصيح المأمون ، والنجيج الميمون ؛ الذي تتوصح فيه أنوار اللبابة ، وتلوح عليه آثار النجابه ؛ واثقاً بما تتطوى عليه من الإخلاص والولاية ، وتحتل به من الغناء والكفاية ؛ وتفترضه من الاستمرار على سنن الطاعة ، والاستقامة على سمت الأتقياء والتبابة ؛ وتوجبّه من مناصحة المسلمين ، والتشمير في نصرة الدين .

فقلد مقلدك أمير المؤمنين مستشعراً تقوى الله وطاعته في الإسرار والإعلان ، معتقداً خيفته ومراقبته في الإظهار والإبطان ؛ مخلص القلب ، رابط اللب ؛ واثقاً

بِنَصْرِ اللَّهِ الَّذِي يُسَبِّغُهُ عَلَى خُلَصَائِهِ ، وَيُفْرِغُهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ؛ أَخَذًا بِوَثَائِقِ الْحَزْمِ ،
 مَتَمِّسًا بِعَلَائِقِ الْعَزْمِ ؛ نَاطِرًا مِنْ وَرَاءِ الْعَوَاقِبِ ، مَتَفَرِّسًا فِي وُجُوهِ التَّجَارِبِ ؛
 مَقْلَصًا سُجُوفَ الْآرَاءِ بِإِضْفَاءِ غِيَارِ التَّدْيِيرِ ، مُمَرًّا مَرَارِئَ التَّقْرِيرِ ؛ مُوْغِلًا فِي الْخَفَائِلِ
 وَالْمَكَايِدِ ، حَارِسًا لِلطَّالِعِ وَالْمَرَّاصِدِ ؛ يَقْظَانِ النَّفْسَ وَالنَّاطِرَ ، مَتَحَرِّزًا فِي مَوْقِفِ الْوَانِي
 وَالْمُخَاطِرِ . وَأَنْ تَتَوَجَّهَ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَحَسَنِ تَوْفِيقِهِ ، وَيُثْمِنَ تَأْيِيدَهُ ؛ بَعْدَ أَنْ
 تَتَسَلَّمَ مِنَ الْجَيُوشِ الْمَنْصُورَةِ جَرَائِدَ بَعْدَةِ رِجَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ السَّائِرِينَ تَحْتَ رَايَتِكَ ،
 الْمُتَوَطِّئِينَ بِسِيَاسَتِكَ ؛ وَتَعْرِضَهُمْ عَلَيْهَا ، فَتَخَيَّرُ مِنْ شُهْرَتِ بَسَائِلِهِ وَكِفَاحِهِ ، وَعَقَّتِ
 جَوَادُهُ وَكُلَّ سِلَاحِهِ ؛ وَعَرِفَ بِصَدْقِ الْعَزِيمَةِ فِي مُقَارَعَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَحُسْنِ الطَّوِيَّةِ
 فِي الْإِخْلَاصِ وَالْوَلَاءِ ؛ وَتَسْتَبْدِلُ بِالْوَرَعِ الْجَبَانَ ، وَالرَّعْدِ الضَّعِيفَ الْجَبَانَ ؛
 النَّاقِصَ الْعُدَّةِ ، الْمَقْصُرَ النَّجْدَةِ ، الْمَدْخُولَ النَّيَّةِ ، ^(١) النَّغْلَ الطَّوِيَّةَ ؛ فَإِذَا كَلَّتِ الْعِدَّةُ
 مِنْ أَهْلِ الْجَلَدِ وَالشَّهَامَةِ ، وَأُولَى الْحِمَاسَةِ وَالصَّرَامَةِ ؛ أَسْتَدْعَيْتَ مِنْ بَيْتِ
 الْمَالِ مَا يُنْفَقُ فِيهِمْ مِنْ مَسْتَحَقِّ أَطْعَامِهِمْ ، وَمَعُونَةِ طَرِيقِهِمْ ؛ وَأَجْرَتِ النِّفْقَةِ فِيهِمْ
 عَلَى أَيْدِي عَارِضِيهِمْ وَكُتَّابِهِمْ ؛ فَإِذَا أَرْحَتَ عَلَيْهِمْ فَاسْتَصْحَبَ مِنْ الْعُدَدِ وَالسَّلَاحِ
 وَالْحِمَى وَالْأَزْوَادِ وَالْأَمْوَالِ مَا يُرْهَبُ الْأَعْدَاءُ ، وَيُنْهَضُ الْأَوْلِيَاءُ ؛ وَأَذَّنَ فِي مُطَوَّعَةِ
 الْمُسْلِمِينَ ، بِجِهَادِ الْمُشْرِكِينَ ؛ فِي [كُلِّ] بَلَدَةٍ تَنْزِلُهَا ، وَحَمَلَةٍ تُحْلِلُهَا ؛ وَأَبْدَلَ لَهُمُ الظُّهْرَ
 وَالْمِيزَةَ وَالْمَعُونَةَ بِالسَّلَاحِ وَمَا يَسْتَدْعُونَهُ ؛ وَأَرْهَفَ عَزَائِمَهُمْ فِي غَزَا الْكُفَّارِ ،
 وَإِعْجَالِهِمْ عَنِ الْأَوْطَانِ وَالْأُيُوتِ ؛ وَأَسْلَكَ الطَّرِيقَ الْقَاصِدَ ، وَلَا تُفَارِقُ أَهْلَ الْمَنَازِلِ
 وَالْمَوَارِدِ ؛ وَلَا تُعَدِّ السَّيْرَ إِغْدَاذَا تَقْطَعُ لَهُ الرِّجَالُ وَتَتَأَنَّرُ بِهِ الْأَزْوَادُ ، وَلَا تَتَلَوَّمُ
 فِي الْمَنَازِلِ تَلَوَّمًا تَتَصَرَّمُ فِيهِ الْأَمَادُ ؛ وَيُوجَدُ الْمُشْرِكُونَ مُهْلَةً لِلِإِحْتِيَالِ وَالِإِسْتِعْدَادِ ؛
 وَرَاعَ جَيْشَكَ عِنْدَ الْحَلِّ وَالتَّرْحَالِ ، وَلَا تُبَاعِدَ بَيْنَ مَضَارِبِهِمْ إِذَا نَزَلُوا ، وَلَا تَمَكَّنْهُمْ

(١) فِي الْأَصُولِ الْمَهْرُوقِ الطَّوِيَّةُ وَلَمْ نَجِدْ هَذِهِ الْمَادَّةَ .

من التفرد إذا ارتحلوا ، وخُذهم بالاجتماع والالئام ، والتألف والانتظام ، ولاسيما إذا حصلوا في أرض العدو فإنهم ربما أهتبلوا^(١) الفرصة في المسير المتسرع ، والمديت المتفرد ، ونالوا منه ما تُوسم به الهزيمة على أهل الإسلام ، والعياذ بالله .

وإذا دانيت القوم فأعط الحزامة حقها ، مستعملا تارة للدهاء والحداع ، وأخرى للقاء والفرار ، فربما أغنت ألسانه ، عن المكاشرة ، ونابت مخايل التلطف ، عن مداخل التعسف ، وكفت غوائل المخادعة ، عن مواقف المماصة ، وقد قال إمام الحرب ، وزعيم الطعن والضرب : ”الحربُ خدعة“ .

وإذا عزمت على المصاع والمناخه ، والإيقاع والمكائفه ، فبت من سرعان الفرسان الذين لا تشك في محض نصيحهم ، ولا ترتاب بصدق نياتهم ، طلائع تطلعك على الأخبار ، وعيوناً تكشف لك حقائق الآثار ، وتغض الطرف عن مجاورى الديار ، ومُر من تقدمه عليهم بأن لا يقتحم خطرا ، ولا يركب غررا ، وليكن من تنفذه في ذلك [من] أهل الخبرة بالطرق والساحات ، والدخلات والأودية والفجوات ، حتى لا يتم للعدو فيهم حيله ، ولا ينالهم منه غيلة ، فإذا أتوك بالخبر اليقين ، وأقبسوك قبس النور المبين ، بدأت الحرب مستخيرا لله تعالى ، مقدما أمامك الاستنجاح به ، وأستزال النصر من عنده ، مرثيا للكائب ، معبيا للصفوف والمقائب ، زاحفا بالراجل محصنا بالفارس والرامي مجتئنا بالنارس ، وأشحن القلب والجناحين بالشجعان المستبقيين ، والأبطال الحلاسين ، وأنزل إلى رضى الحرب من خف ركابه من الانجاد الراغبين في علو الصيت والذكر ، الطالبين الفوز بالثواب والأجر ، وأجعل وراءهم رداء ، وأعد لهم مددا يوازونهم إن يحتمهم ما لا يطيقونه ويحين(?) ، ويطايرونهم على

(١) أى أغتبنوا الفرصة الخ .

ما خُصَّ إليهم وادعين؛ وقِف من التأخير والإقدام، والتَّفُؤذ والإحجام، موقفًا تُعْطَى الحَزَامَةُ فِيهِ حَظُّهَا، والروِيَّةُ قِسْطُهَا؛ مَصَمًّا مَا كَانَ التَّصْمِيمُ أَذْنَى لَاتِهَازِ الْفُرْصَةِ، وَاهْتِبَالِ الْغِرَةِ؛ مَتَلُومًا مَا كَانَ التَّلُومُ أَحْمَدَ لِلْعَاقِبَةِ، وَأَسْلَمَ لِلْعَبَةِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ رِيحَ النَّصْرِ قَدْ تَهَبَّتْ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَكُنْ ذَلِكَ قَادِحًا مِنْكَ فِي الدِّينِ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَدْرِجُ بُسْتَةَ الْبَاطِلِ لِبُسْتَةِ الْإِظْفَارِ، وَيُرِيهِمُ الْإِقْدَارَ فِي تَحَايِلِ الْأَقْدَارِ؛ حَتَّى إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أوردتهم كَوَازِبُ أَمَانِيهِمْ مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ، وَأَخَذُوا بِتَقَةِ، وَدَالَتْ دَوْلَةُ الْحَقِّ لِأَوَّلِيَّائِهَا مَرْفُوعَةَ الْأَعْلَامِ، أَخَذَةً بِنَوَاصِي الْعُدَاةِ وَالْأَقْدَامِ؛ وَتَحَقَّقُ أَنَّ الْأُمُورَ بِخَوَاتِيمِهَا؛ وَالْأَعْمَالَ بِتَمَامِهَا؛ وَأَنَّهُ وَلِيُّ [الْمُؤْمِنِينَ] .

مَاجِعَ مَوْقِفٍ فَتَنَى شَكَّ وَيَقِينَ، وَكُفْرَ وَدِينَ؛ إِلَّا كَانَ الْقَلْجُ وَالنَّصْرُ لِأَهْلِ التَّقَى وَالذِّينِ، وَالْخُسَارَةُ وَالْبَوَارُ عَلَى الشَّاكِّينَ الْكَافِرِينَ، تَصَدِيقًا لَوَعْدِهِ تَعَالَى إِذْ يَقُولُ : ﴿لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لِمَنْ الْمُنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ .

وَتَحْفَظُ بِنَفْسِكَ وَلَا تُلْقِهَا فِي الْمَهَالِكِ مَتَهَوِّرًا، وَلَا تَزِمُ بِهَا فِي الْمَتَالِفِ مُحَاطِرًا؛ وَلَا تُسَاعِدْهَا عَلَى مَطَاوِعَةِ الْحِمْيَةِ وَالنَّخْوَةِ، وَتَحْتَزْ قَبْلَ السَّقْطَةِ وَالْهَقْوَةِ؛ فَإِنَّكَ - وَإِنْ كُنْتَ وَاحِدًا مِنَ الْجَيْشِ - أَوْحَدُهُمُ الَّذِينَ يَتَبَادَرُونَ إِلَيْهِ، وَيَعْتَمِدُونَ فِي السِّيَاسَةِ عَلَيْهِ؛ وَمَادَمْتَ مُحْفُوظًا مَلْحُوظًا فَالْهَيْبَةُ عَلَيْهِ، وَالْعَيْنُ سَامِيَةً؛ وَإِنْ أَلَمَّ بِكَ - وَاللَّهُ يَعِصُوكَ - خَطْبٌ، أَوْ نَالَكَ - وَاللَّهُ يَكْفِيكَ - رَيْبٌ، تَوَجَّهَ الْخَلَلُ، وَأَرْهَفَ حَدُّ الْوَهْنِ وَالشَّلَلِ . وَإِنْ دَعَاكَ نَفْسُكَ إِلَى الْجِهَادِ، وَحَمَلَكَ تَصَرُّفُكَ عَلَى الْكِفَاحِ وَالْجِلَادِ؛ فَلْيَكُنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْإِحْجَامِ، وَتَزَلُّلِ الْأَقْدَامِ : فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْحَذُ عِزَّائِمَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَقْوِي شَكَايِمَ الْمُتَأَخِّرِينَ؛ ذِيرَ مَضِيعٍ لِلْحَذَرِ، فِي الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ؛ وَكَذَلِكَ فَاحْرُسْ أَمَاثِلَ الْقَوَادِ، وَوَجُوهَ الْأَجْنَادِ، الَّذِينَ تُسْفَى صُدُورُ الْكُفَّارِ بِمَصَارِغِهِمْ،

وَتُنْفَعُ غُلَّاهُمْ بِمَضَائِعِهِمْ ؛ وَحَامٍ عَنْهُمْ حِمَايَةَ الْحُقُوفِ عَنِ الْمَقْلِ ، وَصُنْهُمْ صِيَانَةَ الصَّوَارِمِ
 مِنَ الْخُلَلِ ؛ وَدَافِعٌ عَنْ كَافَةِ [جند] المسلمين المرتزقين والمتطوعين ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ
 كَفَى بَيْنَ دِمَائِهِمْ ، وَسَوَى بَيْنَ ضَعْفَائِهِمْ وَأَقْوِيَائِهِمْ ؛ عَلَى أَنَّهُ سَبْحَانَهُ قَدْ وَعَدَهُمْ عَنْ
 بَذْلِ الْأَنْفُسِ فِي مَجَاهِدَةِ الْمُؤَلِّحِينَ ، وَإِبَادَةِ الْمُشْرِكِينَ ، الْجَزَاءَ الْجَسِيمَ ، وَالنَّعِيمَ الْمَقِيمَ ؛
 وَالْبَقَاءَ الَّذِي لَا يَبْتَغِيهِ قَنَاءٌ ، وَالْجَدَلَ الَّذِي لَا يَبْتَغِيهِ أَنْقِصَاءٌ .

وَقَدَّمَ عَلَى الْأَسَاطِيلِ وَالْمَرَائِبِ الْحَرْبِيَّةِ وَأَعْمَالِهَا وَرِجَالِ الْبَحْرِ مِنْ تَخْتَارِهِ لِنَدَاكَ
 مِنْ أَمَاثِلِ الْأَمْرَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّدَةِ وَالنَّجْدَةِ ، وَالْبَصَارَةِ وَالْمَهَارَةِ وَالْخَبْرَةِ بِشَقَّةِ
 الْبَحْرِ وَالْقِتَالِ فِيهِ ؛ وَمُرُهُ بِالتَّسْحِيلِ وَمِلَازِمَةِ السَّيْفِ وَالْإِرْسَاءِ مِنَ الشُّطُوطِ بِحَيْثُ
 يَتَأَمَّلُ مَضَارِبَكَ ، لِيَكُونَ مَأْجِلٌ عَلَيْهَا مِنْ مِيرَةٍ وَعُدَّةٍ قَرِيبًا مِنْكَ ؛ فَإِنْ نَازَلْتَ نَعْرًا
 مِنْ نَعُورِ السَّاحِلِ فَامْلَأْهُ بِالْحِلِيلِ مِنْ بَرِّهِ ، وَبِالسَّفَائِنِ مِنْ بَحْرِهِ ؛ وَاسْتَخْدِمْ لِحِفْظِ مَا فِيهَا
 مِنَ الْأَزْوَادِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالْعُدَدِ وَالتَّنْفِطِ وَدُهْنِ الْبَلَسَانِ وَالْجِلَالِ وَالْعَرَّادَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ
 الْأَلَاتِ مَنْ تَتَّقِ بِأَمَانَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ . وَتَقَدَّمْ إِلَيْهِمْ بِالْحَوَاطِطِ عَلَى مَا يَخْرُجُونَهُ مِنَ الْعَوَارِي
 وَاسْتَرْجَاعِهِ بَعْدَ الْغِنَى عَنْهُ ؛ وَاسْتَظْهِرْ بِذَلِكَ اسْتَظْهَارًا يُجَمِّدُ مَوْقِعَهُ لَكَ ، وَيَعْرِفُ بِهِ
 رَصِينُ رَأْيِكَ ؛ وَسَدِيدُ مَذْهَبِكَ . وَاسْتَخْلِصْ لِمَجَالِسَتِكَ مِنْ أَهْلِ الْأَصَالَةِ وَالْحَزَمِ ،
 وَالرَّجَاحَةِ وَالْفَهْمِ ، وَالِدَّرَايَةِ وَالْعِلْمِ ، وَالتَّجَارِبِ فِي مِمَارَسَةِ الْحُرُوبِ ، وَمَلَابِسَةِ
 الْخُطُوبِ ، مَنْ تَرْجِعُ إِلَى رَأْيِهِ فِيمَا أَشْكَلُ ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى تَجَرِبَتِهِ فِيمَا أَعْضَلَ ؛
 وَلَا تَسْتَبِدَّ بِرَأْيِكَ فَإِنَّ الْأَسْتِبْدَادَ يُعْمَى الْمَرَّاشِدُ ، وَيُبْهِمُ الْمَقَاصِدُ .

وَلَمَّا كَانَتْ الشُّورَى لِقَاحِ الْأَفْهَامِ ، وَالكَاشِفَةِ لِعَوَاشِي الْإِبْهَامِ ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى
 بِهَا نَبِيَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ
 اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وَلَا تُشَاوِرْ جَبَانًا وَلَا مَبْطِطًا عَنْ آتِنَازِ الْفُرْصَةِ الْمُمْكِنَةِ ، وَلَا مَتَهَوِّرًا يَحْمِلُكَ عَلَى الْغِرَّةِ الْمُهْلِكَةِ ؛ وَتَأَنِّ فِي الْآرَاءِ فَإِنَّ التَّائِيَّ يُجِئُ الْأَلْبَابَ ، وَيَجْلُو وَجَهَ الصُّوَابِ ، وَيَقْلُصُ سُجُوفَ الْأَرْتِيَابِ ؛ وَأَضْرِبْ بَعْضَ الْآرَاءِ بِبَعْضٍ وَسَجِّلْهَا ، وَأَجَلْ فِكْرَكَ فِيهَا وَتَأَمَّلْهَا ؛ فَإِذَا صَرَحْتَ عَنْ زُبْدَتِهَا ، وَأَنْشَقَّتْ أَكْثَمُهَا عَنْ ثَمَرَتِهَا ، فَأَمِضْ صَحِيحَهَا ، وَأَعْتَمِدْ نَجِيحَهَا ؛ وَإِذَا أَسْتَوَيْتَ بِكَ وَالْعَدُوَّ مَرَحَى الْحَرْبِ خَرَقَهُمُ بِنَارِ الطَّعْنِ ، وَأَذِقَهُمُ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَعَاقِبَةَ كُفْرِهِمْ ؛ وَلَا تَرَقِّ لَهُمْ ، وَأَتَّبِعْ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْعِلَظَةِ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ . فَإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ وَالْمُؤَادَعَةِ مَصَانِعِينَ ، فَقَابِلْ بِالْقَبُولِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

وَأَبْذِلِ الْأَمَانَ لِمَنْ طَلَبَهُ ، وَأَعْرِضْهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَطْلُبْهُ ، وَفِي مَنْ تُعَاهِدُهُ بِعَهْدِهِ ، وَأَثْبُتْ لِمَنْ تُعَاقِدُهُ عَلَى عَقْدِهِ ؛ وَلَا تَجْعَلْ مَا تُفْرِطُهُ مِنْ ذَلِكَ دَرِيْعَةً ، إِلَى الْخُلْدِيْعَةِ ، وَلَا وَاسِيَةً ، إِلَى الْغِيْلَةِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ . وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ” النَّاسُ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ “ وَإِذَا أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَى افْتِتَاحِ مَعْقِلٍ مِنْ مَعَاqِلِ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَسْتَضَاقَتِهِ إِلَى مَا بَأْيَدِي الْمُسْلِمِينَ ، فَارْفَعْ السِّيفَ عَنْ قَاطِنِيهِ ، وَأَعْتَمِدِ اللَّطْفَ بِالْمُقِيمِينَ فِيهِ ؛ وَأَدْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَهُ مِنْ كَرِيمِ الْمَقَامِ ؛ فَمَنْ أَجَابَكَ إِلَى اسْتِشْعَارِ ظِلِّهِ ، وَالْإِعْتَصَامِ بِجَبَلِهِ ؛ فَافْرِضْ لَهُ مَا تَفْرِضُهُ لِإِخْوَانِكَ فِي الدِّينِ ، وَأَصْنَمْ إِلَيْهِمْ مِنْ عِلْمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُبَصِّرُهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ ، وَيُثَقِّفُهُمْ وَيُسَدِّدُهُمْ ؛ وَخَيْرٌ مِنْ آثَرِ الْمَقَامِ عَلَى دِينِهِ بَيْنَ تَأْدِيَةِ الْجُزْيَةِ ، وَالْإِسْتِعْبَادِ وَالْمُلْكَةِ ؛ فَإِنْ أَدَّوْا الْجُزْيَةَ فَأَجْرُهُمْ مُجْرَى أَهْلِ الذِّمَّةِ

المعاهدين، وخصهم من الرعاية بما أمر به في الدين؛ وإن أبوا ذلك فإن الله تعالى قد أباح دماء رجالهم، وأستعباد ذراريهم ونسائهم؛ وأبتن بالمعقل مسجدا جامعاً يجمع فيه بالمسلمين، ويخطب على منبره لأمر المؤمنين؛ وأرفع منارته حتى تعلو على كنائس المشركين؛ وأنصب فيه إماماً يؤدي الصلاة في أوقاتها، وخطيباً مصقعا يخطب الناس ويعظهم، ومكبرين يدعون إلى الصلوات، ويهتفون على حقائق الأوقات؛ وقواماً وخدماً يتولون توير مصابيحهم، وتعهد تنظيفه وفرشه؛ وأطلق لهم من الأرزاق والجرايات ما يبعثهم على ملازمته ويعينهم على خدمته؛ واحتط على من يحصل في يدك من أسرى المشركين، لتفدى بهم من في قبضتهم من أسراء المسلمين؛ وإذا عرضوا عليك الفداء فاحذر من خديعة تتم فيه، أو حيلة تتوجه في أفتكك معروف منهم بجهول من أهل الإسلام؛ وإن كان الله تعالى قد فضل أذنياء المسلمين على عطاء الملحين، ولم يسو بينهم في دنيا ولا آخرة ولا دين؛ إلا أن هذا مما يوجب الحزم الحوطة فيه. وإن ظفرت بنسيب لطاغيهم المتملك عليهم أو خصيص به فاحمله إلى حضرة أمير المؤمنين، ليقرّبها رهينة على من قبلهم من المأسورين، وسبيلاً إلى انتزاع ما يبدّلونه في فدايته من المعادل والحصون. وقد أمضى لك أمير المؤمنين أن تعقد الهدنة معهم إذا رغبوا فيها على الشرائط التي تعود بعلو كلمة الله، وتجمع الخواطر والأستظهار للدولة؛ فعاقدهم محتاطاً، وأشترط عليهم مشطاً، وتجرز في العقد مما يوجب تأولاً، ويدخل وهناً، ويطرق وهياً. وتحفظ بجوالى المعاهدين والأموال المقبوضة في إداء الغلات والغنائم وسبي المشركين حتى يُجمل ذلك إلى بيت مال المسلمين؛ فينظر أمير المؤمنين في تفريقه على مستحقه، وإيصاله

(١) اشتهر هذا البناء على الألسنة وفي رسائل الأفاضل ولكن لم نجده في كتب اللغة وإنما الذي فيها بهذا المعنى «فلان محص بفلان أى خاص به وله به خصية» فنامل.

إلى مستوجبِهِ ، وَأَخْصَ عن أحوالِ الْمُسْتَأْمِنِينَ إِلَيْكَ تَفْحَصًا يَكْشِفُ ضَمَائِرَهُمْ ، وَيُلْوِ سِرَائِرَهُمْ ؛ وَتَحْتَزُّ مِنْهُمْ تَحْزُّنًا يُؤْمِنُكَ مَكَائِدُهُمْ وَحِيلَهُمْ ، وَخَدَائِعُهُمْ وَغِيْلَهُمْ ؛ وَإِذَا نَازَلْتَ حِصْنًا مِنْ حُصُونِ الْكُفَّارِ ، فَكُنْ عَلَى يَقْظَةٍ مِنْ تَخَاتِلِهِمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؛ وَانْصِبِ الْحَرَسَ وَالْأَرْصَادَ ، وَأَحْذَرِ الْغِيْرَةَ وَلَا تُهْمِلِ الْإِعْتِدَادَ : لِتَعْرِفَ أَعْدَاءَ اللَّهِ أَنْ طَرَفَكَ سَاهِدٌ ، وَجَنَانُكَ رَاصِدٌ ؛ وَتَفْقُدَ أَمْرَ الْجَيْشِ وَأَرْحُ عَلَّةً مِنْ تَرْقُبِهِ فِي الْأَطْمَاعِ وَالْمَوَاكِدَاتِ ، وَمُطَوَّعَتِهِ فِي الْمَعَاوِنِ وَالْجَرَايَاتِ ؛ وَلَا تَغْفُلْ عَنْهُمْ غَفْلَةً تَضْطَرُّهُمْ إِلَى الْإِنْفِلَالِ ، وَتَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِنْفِصَالِ ؛ وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ حَسُنَ فِي الْكَفَاحِ أَثَرُهُ ، وَطَابَ فِي الْإِبْلَاءِ خَبَرُهُ ؛ وَعِدْهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَبَاءِ الْجَزِيلِ ؛ وَالْعَطَاءِ وَالتَّوْبِيلِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ قَادِحٌ لِعِزَائِمِ الْأَوْلِيَاءِ ، بَاعِثٌ لَهُمْ عَلَى التَّصَمُّيمِ فِي اللَّقَاءِ ؛ فَإِذَا أَنْتَ - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - شَفِيتَ الصُّدُورَ ، وَآحَذَيْتَ الْمَأْمُورَ ، وَأَعَزَّزْتَ الدِّينَ ، وَذَلَّلْتَ الْمُلْحِدِينَ ؛ وَدَوَّخْتَ الْبِلَادَ ، وَنَكَّسْتَ رُءُوسَ أَهْلِ الْعِنَادِ ، فَأَقْلَبْ بِعَسَاكِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمُطَوَّعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَى حَضْرَتِهِ وَائْتَقًا بِجَبِيلِ جَرَائِهِ ، وَجَلِيلِ حَبَائِهِ ؛ وَطَالِعْ فِي مَوْرِدِكَ وَمَصْدَرِكَ ، بِمَا يَجِدُّهُ اللَّهُ لَكَ وَيَفْتَحُهُ عَلَى يَدِكَ ؛ وَأَذْكُرْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ لِيُحْمَدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّبْصِيرِ وَالتَّوْقِيفِ ، وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّعْرِيفِ ؛ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ فَهُوَ خَيْرُ مُعِينٍ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ نَعَمُ الْوَكِيلُ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، فَاعْمَلْ بِهِ وَأَنْتَ إِلَيْهِ يَسُدُّ اللَّهُ مَسَاعِيكَ ، وَيَصُوبُ مَرَامِيكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : وَأُورِدَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ مِنْ تَقَالِيدِ أَرْبَابِ السِّيُوفِ جُمْلَةٌ أَسْقَطَ مِنْ صَدْرِهَا التَّحْمِيدَاتُ .

مَا أُورِدَهُ فِي رِسْمِ تَقْلِيدِ الْإِمَارَةِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ أَنْ يُقَالَ بَعْدَ التَّحْمِيدِ مَا مِثْلُهُ :

وإنَّ الله تعالى أوجب طاعة أولى الأمر على كافة المؤمنين ، وأكَّد فرضها على جميع المسلمين ، فقال جل قائلًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ . علمًا منه تعالى بأنَّ الطاعة لملاك الأمر ونظامه ، ومساك الجمهور وقوامه ، وأنه لا يتم سياسة مع الشقاق والانحراف . وأمر سبحانه باستجابة من ألقى العِصمة من يده ، ونبذ الطاعة وراء ظهره ؛ بشافي الموعظ والتبصير ، ونافع التنبيه والتذكير ؛ فإن ألقه وتاب ، ورجع وأناب ؛ وإلا جُوهده وقُوتل ، وقُويل بالردع حتى يُقبِل ويعتصم بالطاعة ، وينتظم في سلك الجماعة ؛ فقال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ . وقال : ﴿ فَقَاتِلُوا آلَ ابْنِ مَرْثَدَةَ حَتَّى تَفِئَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ . وإنَّ الغلاة فارقوا اجتماع المسلمين ، وأنسلخوا من طاعة أمير المؤمنين ؛ ناذين لبيعته ، شائين بطل دعوته ؛ وشقوا عصا الإسلام ، واستحققوا محمل الحرام ، وأستوطشوا مَرَكَب السيئات والآثام ؛ وعرجوا عن قويم السنن ، وسَمَّوا بأراذل البدع أفاضل السنن ؛ وسعوا في الأرض بالفساد ، وجأهروا بالعُصيان والعناد ؛ وكتبهم أمير المؤمنين مبصرًا ، ومُعذِّرًا مُنذِرًا وخوفًا مُحذِّرًا ؛ ودعاهم إلى التي هي أصلح في الأولى والأخرى ، وأرجح في البدء والعقبى ؛ وأعلمهم أنَّ الله تعالى لا يقبل صلاتهم ولا صيامهم ، ولا حجَّهم ولا زكَّاتهم ، ولا يُمضى قضايهم ولا حُكوماتهم ، ولا عقودهم ومُنَاحاتهم ، ماداموا على معصية إمامهم ، ومُفارقة ولى أمرهم ؛ الذي أوجب عليهم طاعته ، وفرض في أعناقهم تِباعته ؛ وتابع في ذلك مواصلا ، ووالاه مَكاتبًا ومُرَاسِلًا ، فأَصْرُوا على العقوق ، واستمرَّوا على أطراح الحُقُوق ؛ ودَعَوْا إلى الأسوأ لها من إقدام الجُيُوش عليهم ، ونَقَلَ العساكر إليهم ؛ ومقابلتهم بما يقوم أودهم ، ويُصلح فاسدهم ، ويزع جاهلهم ، ويوقظ غافلهم .

(١) في الأصل الغلاب وليس بواضح المعنى والمراد البغاة .

وإنَّ أمير المؤمنين تخيَّرَكَ للتَّقدُّمِ على الجيشِ الهاتِفِ نحوهم : لما يعلمه من شَهامَتِكَ
وصَرَامَتِكَ ، وسَدَادِكَ وسياسَتِكَ ، وإخلاصِكَ ووفائِكَ ، وكِفايَتِكَ وغَنائِكَ ،
(ويوصفُ بما تقتضيه منزلته ، والأمر الذي هو أهل له) .

وهو يأمُرُكَ أنْ تَقدمَ النفوذَ إليهم ، مستنَجِحاً دعاءَ أمير المؤمنين ، مستنزِلاً
لصُرُوفِ الغالبين ؛ مستشعِراً لبأسِ التقوى ، في الإعلانِ والنَّجوى ، فإذا نازلتهم
في عُقر دارهم ، فأذِقْهم بالمضايقةِ وبالْأمرِهم ؛ وأسَلِّكْ بهم سبيلَ أمير المؤمنين
وأفْتِتحْهم بالإرشادِ ، وحُضِّمْهم على ما يقضى بصلاحِ الدنيا والمَعَادِ ؛ فإنْ أَسْتقاموا
وتَنَصَّلُوا وراجِعُوا ورجِعُوا فَأَعْطِهِم الأمانَ ، وأَفِضْ عليهم ظِلَّ الإحسانِ ؛ وإنْ
أَصْرُوا وتمردُوا ، وجاهدُوا وأَعْتَدُوا ، فشمِّرْ لِمنازلتهم ، وصمِّمْ في مقاتلتهم ؛ واثقاً بأن
الله تعالى قد قضى بالنصر لأوليائِهِ أمير المؤمنين وأهل طاعته ، وإلخِذْ لَأعدائه
وأهل مَعْصِيَتِهِ ؛ إبانَةً بذلك عن تأييده لمن أَعْتَصَمَ بحبله ، ودفعه لمن أَسْلَخَ من ظِلِّهِ ؛
وُحْجَةً بالغَةِ لمن تَمَسَّكَ بطاعته ، وموعظةً شافيةً لمن أَسْتَخَفَّ بِجَهْلِ مَعْصِيَتِهِ ؛ فإنْ
مَلَكَكَ اللهُ تعالى البلادَ ، وطَهَّرَها من أهل الفسادِ ؛ وشرَّدَ عنها الدُّعَارَ والأشْرارَ ،
إلى أَقاصِي الدِّيَارِ ؛ فَاجْبُبْ نَواعِيقَ الفِتْنَةِ والضَّلالةِ ، وعَفِّ آثارَ ذَوِي النِّغَمِ والجَهالةِ ؛
وَأَسْبِغِ الأَمْنَ على أهل السَّلامَةِ ، وأفرِغِ العَدَلَ على مَنْ سَلَكَ سبيلَ الاستقامَةِ ؛
وأَجْرِ الأَمْرَ في الخُطْبَةِ لِأَمير المؤمنين على الرِّسْمِ المحدودِ ، والمَنْهَجِ المعهودِ ؛ وطالِعْهُ
بما أَتَيْتَ إليه ، ليَكاتِبَكَ بما تَعَمَّدُ عليه .

ويضمَّنُ هذا العهد ما يقع فيه من شروطِ العهدِ المتقدِّمِ ، ويُؤمَرُ أنْ لا يَستَصحِبَ
من الجُنْدِ إلَّا من يَثِقُ بإخلاصِهِ وصفائِهِ ، وَيَسْكُنُ إلى أمانَتِهِ ووفائِهِ ؛ وأنْ يَرُفِّضَ
المدخولَ النَّيِّبَ ، النَّيْلَ الطَّوِيَّ ، فإنه لا شَيْءَ أَضَرُّ على المحاربةِ من لقاءِ عدوٍّ بِجَيْشِ

مُخَاصِرِينَ، وَجندٌ مُمَاكِرِينَ ؛ وقد يكون في العساكر مَنْ يُدَاهِنُ وَيُظْهِرُ الخِدْمَةَ وهو في مثل العَدُوِّ : إِمَّا لَأَنَّهُمَا سَالَفٌ وَدَادٌ وَوَلَايَةٌ قَدْ تَأَصَّلَتْ بِإِطَاعٍ وَإِفْسَادٍ ، أَوْ يَكُونُ لِسُلْطَانِهِ قَلِيلَ الإِحْمَادِ . وهذا الذى أوردناه ليس بمثال جامع وإنما هو الذى يُمَيِّزُ بِهِ هَذَا الْعَهْدُ عَمَّا تَقَدَّمَه ، وَالكَاتِبُ إِذَا أَحْتَاجَ إِلَى اسْتِعْمَالِهِ رَتَّبَهُ وَقَدَّمَ مَا يَجِبُ تَقْدِيمُهُ ، وَأَخَّرَ مَا يَجِبُ تَأْخِيرُهُ [أَضَافَ إِلَيْهِ مَا تَجِبُ] إِضَافَتُهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة سَجَلٍ بولاية مصر، وهى :

الحمد لله، الموفق إلى دواعى رضاه، المحسن العون على ما أوجب المزيد من إفضاله وأقتضاه ؛ المتيب على ما هدى إليه من طاعته ، القابل عمل من استتفد في الشكر أقصى طاقته ؛ المتكفل بمصالح عبادِهِ، المولى من مواهبه ما تعجز الخواطر والألسنة عن تعدادِهِ ؛ وصلى الله على جدنا محمد الذى جعل أتباعه سبيلاً إلى سكّن جنّات الخلود ، وآلت بهداه نار الكفر إلى الهمود والجمود ؛ وأنقذ من مهاوى الضلال ، ووسم من حادّه وحادّ عن سبيله بالصغار والإذلال ؛ وخلف في أمته الثقلين كتاب الله وعترته ، وأبقى بهما فيهم آيته وهدايته ؛ وعلى أخيه وأبن عمّه أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب مبّرماً أسباب الشريعة ومُحكِّماً ، ومُطلق سيفه في نفوس أعداء الملة ومُحكِّماً ؛ وباب مدينة علم النبوة التى لا يُدخَلُ إليها إلّا منه ، وسيد من عَنَاهُم الله بقوله : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ وعلى ألهما الأئمة الهداة قوَامِ الإسلام ، وساسة الأنام ؛ وخلفاء الله فى أرضه ، والموفين بعهده والأمينين بأداء سنته وفرضه ؛ ورُكْنِ العصمة الذى من لجأ إليه نجا ، والحِصْنِ الذى ما خاب من أمّه فرجاً منه فرجاً ؛ وسلّم وعظّم ، ووالى وكرّم .

وإن أمير المؤمنين لما أودعه الله إياه من أسرار الحكمه، واجتباؤه له من إمامه الأئمة، واختاره له من كَلَاءَةِ الخليفة وإيالتها، وحفظ حوزتها من المخاوف ورعايتها، وما خصه به من بُنوة النبوة والرسالة، وأفرد به رأيه من الجزالة والأصالة، واكتنف به أنحائه من التوفيق الذي لا يصدف عن غرض الإصابة ولا يجحد، وعصده به من التأييد القاضى لغزائمه ببلوغ الغرض فى نُصرة التوحيد، واستودعه إياه من الإقبال الذى يجعل المستحيل لمُرادِهِ إمكانيًا، والتأييد الذى أوضح به لإمامته بُرْهَانًا، وتوَحَّده به من العِصْمة التى تُصيب بها مَرَامِيهِ مَوَاقِعَ الرِّشَادِ، وتضمن الخيرة لما يعانیه من الأمور مما سَدَّ وِساد - يُعْمِلُ خَوَاطِرَهُ فىَا يَكْفُلُ لِلنَّفُوسِ بِرِضَاهَا، ويُجْزِلُ للدين والدنيا به حِظَّاهَا، وتتظاهرُ به ضروبُ الصِّلاحِ على الأئمة، وتحيا به سُنَنُ الخيرات وتتمُّ النعمه، وينظر لمن آستودعه الله إياهم من بريته نظر المؤدى الأمانة إلى مؤتمنه، المستودع فىَا يُتَقَرَّبُ به إليه من البرِّ شُكْرُ سَوَابِغِ مَنَائِحِهِ وَمِنَّتهِ، ويُقَرَّبُ على الأمة منال الخير بأصطفائه من يكون لأفاضل الشيم مستكلاً، وإلى ما أزلفه إلى الله سبحانه من طاعة أمير المؤمنين متوصلاً، ولشَوَادِّ الثناء بفاضل سيرته متحليًا، وللتسّمُح فى قوانين السَّياسة مجتنبًا، ولما علم [رغبة] الرعية فيه متصبا، وفىا بلغهم أقصى الآمالِ منسبًا، وبمراقبة الله فىَا يأتى ويذر متدينًا، وبُحْسُنُ الجزاء على العمل بمرضاته متيقنًا : ليكون أمير المؤمنين قد قضى [ما أوجبه عليه] مستخلفه بأجتنابه وأصطفائه، وأستحمد إليه بإسناد جلائل الخدم إليه وأستكفائه، وأتى ما تكون السلامة مضمونة فى مباديه وعواقبه، وأحظى بنيل المُراد فى جميع جهاته وجوانبه، مستديمًا نعم الله التى أسداها إليه وأولاها، مُواصلاً حمده على منته التى ظاهرها عليه وآلاها، ويستعينه على لَوَازِمِ عَوَارِفِهِ التى من أجلها خطرًا، وأحمدُها فى البرية أثرًا، وأجمعها لمَنافع الخاص والعام، وأعوذُها بحماية حوزة الإسلام، وأشهدها

ببراهين الأئمة ، وأدللها على عناية الله بهذه الأئمة ، مأمِنَحَه أمير المؤمنين من مُوازرة
فَنَاهُ ووزيره ، ومعينه على المصالح وظهيره ؛ السيد الأجل العادل أمير الجيوش
أبى الحسن على الظافرى ، - والدعاء - الذى أظهر الله به لأمر المؤمنين آياتِ
حُقوقه ، وأستأصل بئاسه شأفة من تتابع فى مُروقهِ وبالع فى عُقوقهِ ؛ وكسا الدهرَ
بإيالته ملايس الجمال ، وفَسَّحَ بفاضل سيرته مجال الآمال ؛ وبذل من الجهاد غايةَ
الإجتهاد ، ووالى من عمارة البلاد ما أنطق بحمده الجماد ؛ وأستخلص نخائل الصدور
بُلُطف سياسته ووسع عدله ، ورغبت غرائب الآمال فى الإيواء إلى سابغ فضله ؛
وتبارت الليالى والأيام فى خِدمة أغراضه فى أعاديه ، وأسترق قلوب الأولياء بما يؤاليه
من بيض أياديه ؛ ووضع الأشياء فى مواضعها غير مُحَابٍ ولا مرخص ، ولم يحظ
بأيامه النيرة غير الطائع المخلص ؛ ولم يتفق للباطل سُوق ، وأنت سيرته بما يرضى
الخالق والمخلوق ؛ فالله تعالى يجعل مدته غير متناهية إلى مدى ، والنصر والتوفيق
لآرائه مددا ؛ ويخلد أبدا سعده ، ويُخز لأمر المؤمنين على يده وعدّه .

ولما كانت منزلته عند أمير المؤمنين المنزلة التى نتطامن دُونها المنازل والرُتب ،
وجلت أن ينالها أحدٌ من بعد أو قُرب ؛ وأفعاله قُدوةٌ يَهْتَدَى بِأفعالها فى الشُكوك ،
وسيرته قد عظمت عن أن تتعاطى مماثلتها همُّ الملوكة ؛ ومحله عنده من الكمال بحيثُ
تستحكم الثقة بأختياره ، ويُرجع فى عقد الأمور وحلّها إلى اتّباع آثاره وموافقةِ
إيثاره ؛ وكانت مراتب الأولياء عند أمير المؤمنين بحسب مراتبهم من قُربه ،
وموضعهم من رضاه مُضاهياً لموضعهم من قلبه ؛ ومكانهم من الحُظوة لديه مُناسِبا
لمكانهم من الرُتبة عنده ، وأحفظهم بسناء الرُتب من أقبحه زَنَدَه وكساه مجده ؛ ولا سيما
من لم يخرج منه عن حُكم الولد ، وحلّ منه محلّ القلب من الكيد ؛ ونشأ فى دَوْحته
غُصْنانضيرا ، وطلع فى سماءِ جلاله قمرًا مُنيرا ؛ وأعتلى بِجَدّه ، وقطع بِجَدّه ، وتظاهرت

شواهد سَعْدِهِ فِي مَهْدِهِ ؛ وَكُنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْحَاوِي لِهَذَا الْفَضْلِ الْمَبِينِ ، الْمَعْتَلِقَ مِنْ وِلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَبْلِ الْمَتِينِ ، الَّذِي نَشَأَ مُتَوَقِّلاً فِي دَرَجِ الْمَعَالَى ، وَغَدَا مُتَقَبِّلاً فِي ظِلَالِ الصُّورِ وَالْعَوَالِي ؛ وَأَخَذْتَ بِمِرَاشِدِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْعَادِلِ فَرِدْتَ عَنِ الظُّنُونِ وَأَوْفَيْتَ ، وَوَعَدْتَ عَنْكَ فَصَدَقَتْ ضَمَانُهَا وَوَفَّيْتَ ؛ وَمَا زِلْتَ بَعِينَ الْإِجْلَالِ وَالْتِعْظِيمِ ، مَمْلُوحاً ، وَبِأَفْضَلِ خِلَالِ الرُّؤَسَاءِ مُنْوَحاً ؛ وَبِحُلَّائِلِ الْمَرَاتِبِ مُؤَهَّلاً ، وَبِلِسَانِ الْإِجْمَاعِ مَفْضَلاً ؛ وَلِمَا أَعْيَا مِنْ أَدْوَاءِ التَّفَاقِ حَاسِماً ، وَفِي مَوَاقِفِ الْخَوَافِ رَابِطَ الْجَاشِ حَازِماً ؛ وَلِمَا يُعَدُّ الْأُمَاجِدُ لَهُ مَذْخُورَ الْمَضَاءِ ، وَفِيَا تُعَانِيهِ وَتَلَايُسُهُ مُوَفِّقُ الْآرَاءِ ؛ وَقَدْ أَكْتَفَيْتَكَ مِنْ أَتْبَاعِكَ هَدَى السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْعَادِلِ - أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ وَوِلَاةَهُ - نَاصِرِ الدِّينِ ، الْأَجَلِّ الْمَظْفَرِ الْمُقَدِّمِ الْأَمِينِ ؛ سَيْفِ الْإِمَامِ ، رَكْنِ الْإِسْلَامِ ، شَرِيفِ الْأَنْبَاءِ ؛ نَخْرِ الْمُلُوكِ ، مُقَدِّمِ الْجِيُوشِ ، ذِي الْفَضَائِلِ ، خَلِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَبِي الْفَضَائِلِ عَبَّاسِ الظَّافِرِ الْعَادِلِ ، أَدَامَ اللَّهُ بِهِ الْإِمْتِنَاعَ ، وَعَضَّدَهُ وَأَحْسَنَ عَنْهُ الدِّفَاعَ ، الَّذِي هُوَ نَخْرُ الْمُلُوكِ وَنَجْلُهُمْ ، وَأَثَرُهُمْ مِنَ الْمَفَاحِرِ وَأَجْلُهُمْ ؛ وَأَقْدَمُهُمْ فِي الرِّيَاسَةِ قَدَمًا وَأَعْرَفُهُمْ ، وَأَطْيَبُهُمْ أَرْجَ شَاءٍ وَأَعْبَقُهُمْ - مَا جَعَلَكَ أَعْلَى الْأَعْيَانِ مَفْخَرًا ، وَأَكْرَمَ الْجَوَاهِرِ عُصْرًا ؛ وَأَوْلَاهُمْ بِأَلَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَطَائِهِ ، وَأَسْبَقَهُمْ فِي مِضْمَارِ اخْتِيَارِهِ وَأَجْتَبَائِهِ ؛ وَأَثَبْتَهُمْ عِنْدَهُ مَكَانَهُ ، وَأَحْرَاهُمْ فِي خِدْمَةِ بَتَادِيَةِ الْأَمَانَةِ ؛ وَقَدْ عَرَفَ مِنْ مَوَاقِفِكَ الْمَشْهُودَةَ ، وَمَقَامَاتِكَ الْمُحْمُودَةَ ؛ مَا كَانَ مِنْكَ فِي نَوْبَةِ ابْنِ مَصَّالٍ وَجُمُوعِ ضَمَالَةٍ ، وَمَا اسْتَفَاضَ مِنْ كَوْنِكَ سَبَبَ أَنْهَزَامِهِ وَأَنْفِلَالِهِ ؛ وَأَتَقْلَابِ تَدْيِيرِهِ عَلَيْهِ وَأَنْعِكَاسِهِ ، وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ جَسَدِهِ وَرَأْسِهِ ؛ وَحَصَلَ لَكَ بِذَلِكَ مِنْ إِحْسَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَا يَبْلُغُ الْوَصْفُ مَدَاهُ ، إِذْ كَانَ قَدْ جَرَّدَ سَيْفَ نَصْرِهِ وَالْأَجَلِّ الْمَظْفَرِ وَأَنْتَ حَدَاهُ - رَأَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُهُ - أَنْ لَا يُضَيِّعَ مَا فِيكَ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونٍ ، وَلَا يَرْجِعَ فِي أَمْرِ نَبَاهَتِكَ إِلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ السُّنُونُ ؛ إِذْ كُنْتَ لِلْكَمَالِ مَعَ فِتَاءِ السَّنِّ

حائرا ، وبجزية أصطناع أمير المؤمنين واختياره إياك فائزا ، وفافوض السيد الأجل العادل - أدام الله قدرته - في تشريفك بولاية يكشف بها شُفوف جوهرك ، ويوضح لكافة البرية بمباشرتك إياها ما استقر عنده من جميل مُحْتَبَرِك ؛ ووقع التعيين على تقليدك ولاية مصر وما مع ذلك من الصناعتين وغيرهما من حقوقهما . فأمضى أمير المؤمنين ذلك لما لهذه الولاية من الخطوة بالقرب والدُّقْو ، وليوقر على الإيثار على أن يبلغ نظرك إلى غايات العلو والسمو ؛ وخرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الخدمة المذكورة : علما بانتظام شئونها بإيالك ، وحياطة حوزتها بسطاك ومهاتيك ؛ وتحقيقاً أن بسياستك تعمها المصالح ، ونتظاهرها عليها الميامن والمناسج ؛ وتظهر لها الحجة في الافتخار ، على سائر الأمصار ، وتستأنف بمقارنتك من الميزة ما لم تحظ به فيما سلف من الأعصار ؛ ويتضح بك البرهان لمن بالغ في تفضيلها ، وتآل من فائض العدل بسيرتك ما تكاد تغنى به عن نييها .

فقلد ما قلدك أمير المؤمنين من ذلك : معتمداً على تقوى الله الذى إليه تصير الأمور ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؛ قال الله تعالى في محكم كتابه المبين : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ . وأجعل من تحويه هذه المدينة بالعدل مشمولين ، وعلى أجمل السيرة والرسوم محمولين ؛ وساو في الحكم بين الشريف والدنى ، وآس في المقدار بين الملى والدنى ؛ وأقم الحدود على من يجب عليه بمقتضى الكتاب وصحيح الآثار ، ولا تتعدّها بإفلال ولا إكثار . وفي هذه المدينة من ذوى الأنساب ، وأعيان الأجناد ومتميزى الكُتّاب ؛ وأماثل الشهود : فأعتمد تمييزهم والاحتفاء بهم ، ومعوتههم على مطالبهم ومحابهم ؛ وكذلك من تضمنت هذه الولاية من التجار والرعية . وتوخهم بما يسكن جاشهم ، ويزيل آسديحاشهم ؛ ويفسح لهم في الرجاء والأمل ، ويعينهم على صالح العمل . وتقدم بحفظ الجامع العتيق وصوره

وتوفيره ، على ما يليق به وتوقيره ؛ وأمنع من آتذاله في غير ما جُعل له ، ونُصب له ، من الإعلان بذكره فيه وأهله ؛ ووفر تامّ العناية ، وشامل الرعاية ؛ على من به من الفقهاء والعلماء ، والمتصدّرين والقُرّاء ؛ وحضهم بالترجمة على المبالغة في طلب العلوم ، والترقّد من صالح الأعمال ليوم الوقت المعلوم ؛ وخدّ جميع المستخّدين معك بلزوم الطرائق الحميدة ، والمقاصد المستوفقة السديده ؛ فن استمرّ على ما ترضاه من آجتهاده ، وتستوفقه من صواب آعتماده ، أجزيتّه على رّسمه في الرعاية ، وتوخّيته بالصون والحماية ؛ ومن كان بالخدم مُحلّا ، وسلوكه عما يلزمه ضالّا مضلّا ؛ فأوعز بتأديبه ، وما يقضى بتقويمه وتهذيبه ؛ والثقة بوفور حظك من الصواب ، وإجرائك على ما يئناط بك على الاستنباب ، أغنى عن الإطالة لك في الوصايا والإسهاب ؛ والله تعالى يقرن الخير بما تنظر فيه ، ويجعل التوفيق مضمونا فيما تدره وتأتيه ؛ ويُنيلك من رتب السعادة ما أنت له أهل ، ويُتم نعمته عليك كما أمّها على أبويك من قبل ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



ومن السجّلات بالوظائف الدينية على هذه الطريقة ما كتّب به القاضي الفاضل عن العاضد بولاية بعض القضاة ، وهو :

الحمد لله الواسعة عطاياه ، الوازعة قضاياه ؛ المشتملة على أقسام الخلق قسمه ، المبرور في سؤالهم يوم فصل القضاء قسمه ؛ المسطور في كتابه الذي ما قرط فيه من شيء محلل الشرع ومحرمه ؛ المتمثل فيه لمن مثله مطاع الأمر ومسّله ؛ الكريم الذي لا يضيع ثواب العاملين ، ولا يقطع أسباب الآملين ، ولا يمنع طلاب السائلين ؛ العدل الذي قامت حجّته على الناكبين والعاذلين ، والحق الذي يقضى بالحق وهو خير

الفاسلين؛ مُصَنِّى مَشَارِعِ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَعْرَاضِ الْكَدَرِ ، وَحَاجِي مَعَاوِلِ الْمَلَّةِ
 مِنْ آتِنَاقَاضِ الْمَدَرِ ؛ وَمَتَرَهُ أَوْلِيَائِهِ مِنْ مَحَاسِنِهَا فِي رِيَاضِ الْفِكْرِ ، وَمَعْرِفِهِمْ بِمَا عَرَضَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ إِنْآفَاقَتِهَا لِأَرْتِيَاضِ النَّظَرِ ، وَأَرْتِكَاضِ الْفِطَنِ وَالْفِطَرِ ؛ جَاعِلُ الْحُكْمِ سُلْطَانَهُ
 الَّذِي يَأْوِي اللَّهِيْفُ إِلَى ظِلِّهِ ، وَحِمَاهُ الَّذِي يَلْجَأُ الضَّعِيفُ إِلَى عَدْلِهِ ؛ وَمَفْرَعُ
 الرَّائِعِ الَّذِي يَقِفُ الْمَشْرُوفُ وَالشَّرِيفُ عِنْدَ فَضْلِهِ ، وَشِفَاءُ الْعِلَلِ الَّذِي يَذْهَبُ
 بِكُلِّ [مَا فِي] صَدْرٍ مِنْ عِلَّةٍ ؛ وَمَشْرَعُ الْإِنْصَافِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى الظَّلَمِا فَيُضْ سَجَلَهُ ،
 وَمَوْعِدُ الْخَلَائِقِ يَوْمَ تُطْوَى السَّمَاءُ كَطَيِّ سَجَلِهِ ، وَمُظْهِرُهُ لِيُظْهِرَ بِهِ هَذَا الدِّينُ عَلَى
 الدِّينِ كُلِّهِ ؛ وَالْأَمْرُ فِيمَا أَشْكَلَ مِنْهُ بِالتَّعْرِيجِ إِلَى مُسْتَنْبَطِهِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَجَاعِلِ الْأُئِمَّةِ
 الْهَادِينَ الْجُجَّجَ عَلَى مَنْ رَجَعَ إِلَى قِيَاسِ عَقْلِهِ أَوْ تَقْلِيدِ جَهْلِهِ ؛ وَأَحَدَ الثَّقَلَيْنِ الَّذِي
 يَخْفَفُ عَنْ كُلِّ غَارِبٍ كُلِّ ثِقَلِهِ ، وَأَخُوهُ الْكِتَابُ فَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يردَا الْحَوْضَ يَوْمَ
 نَهْلِهِ وَعَلَّهِ ؛ وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي مِنْ أَتَى الْيَوْمَ فِيهَا بَزَلَةً رَأَيْهِ أَتَى غَدَا بَزَلَةً فِعْلُهُ ،
 وَمَتَارُ الْأَنْوَارِ الْمَضْرُوبَ عَلَى طُرُقِ السَّارَى فِي لَيْلِ الضَّلَالِ وَسُبُلِهِ ، وَسَبَبَ الْعِصْمَةِ
 الَّتِي أَشَارَ فِيهَا إِلَى الْأَعْتَصَامِ بِحَبْلِهِ ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى جَدَّنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي عَظُمَ بِهِ جَدَّنَا ،
 وَأَعْتَلَقَ بِسَبَبِهِ مَجْدُنَا ؛ وَوَجَبَ بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ وَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَدُّنَا ، وَأُورْثَنَا مِنْ
 عِلْمِهِ مَا حَازَلْنَا شَرَفِي الدِّينِ وَالْدُّنَا ؛ وَحَلَمَ بِهِ نَجِيرٍ مِنْ ضَاقَتْ بِهِ الْمَذَاهِبُ فَرَجَا
 فَرَجَا ، وَحَكَمَهُ الْمَشْرُكُونَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ بِمَا قَضَى حَرَجًا ؛ وَعَلَى
 أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ ، الْقَائِمِ مَقَامَهُ بِفَضْلِ حَكَمِهِ وَفَضْلِ عِلْمِهِ ؛ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ
 أَبِي طَالِبٍ الَّذِي حُرِّزَ لَهُ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ أَلْبَابُهَا ، وَطَابَتْ بُغْيَارُ حِلْمِهِ إِقَامَةُ الْأَلْبَابِ
 وَإِلْبَابُهَا ؛ وَمِيزَهُ عَلَى الْكَافَّةِ بِقَوْلِهِ : ” أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَى بَابِهَا “ وَشَهِدَ طَوْرًا بِأَنَّهُ

أفتاهم ، فَعَلِمَ أَنَّهُ أَقْرَبُهُمْ بِهِ شَبَهاً وَفِي مَدَى الْفَضْلِ أَقْصَاهُمْ ؛ وَعَلَى الْأَئِمَّةِ مِنْ ذَرِيَّتِهِمَا الَّذِينَ أَنْعَمُوا فَأَجَزَلُوا ، وَحَكَمُوا فَعَدَلُوا ، وَحَمَلُوا نَقْلَ الْأَمَانَةِ فَحَمَلُوا ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَعَلُوا بِمَا فَعَلُوا ؛ وَاسْتَوْجَبُوا الْحَمْدَ بِمَا أَوْلُوا وَالْأَجْرَ بِمَا وُلُّوا ؛ صَلَاةً مَأْمُونَةً مِنَ الشُّبُهَاتِ ، مَتَوَصَّحَةً الشَّيَاطِينِ .

ولما كان حُكْمُ الصَّوَابِ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ يُخْتَارَ مَنْ بَانَ صَوَابُهُ وَأَتَّضَحَ ، وَبَانَ عَنْهُ حُكْمُ الْهَوَى الَّذِي فَضَحَ ؛ وَأَصْغَى ضَمِيرَهُ إِلَى لِسَانِ الْحَقِّ الَّذِي فَضَحَ ، وَعَرِضَ جَوْهَرُهُ عَلَى حَكِّ النَّقْدِ فَضَحَ ؛ وَمُيزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرِّجَالِ فَتَقَلَّ وَزَنَا وَرَجَحَ ، وَاحْتَجَّ بِهِ الْإِسْلَامُ عَلَى مَنْ نَوَى مُنَاوَاةَ فَتَجَحَّ ؛ وَوَلَّى الْأَحْكَامَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَأُصْلِحَ وَصَلَحَ ، وَتَسَمَّحَ إِذَا كَانَ الْحَقُّ لَهُ وَإِذَا مَا كَانَ فِيهِ فَمَا أَسْمَحَ وَلَا سَمَحَ ؛ وَجَدَّدَ جَدُّهُ مِنَ مَعَالِمِ الْعُلُومِ مَا صَحَّ رُسْمُهُ وَأُحِّحَ^(١) ، وَأُطْلِعَتْهُ عَلَى خَفَايَا الْمَشْكَلاتِ بِدِيهَةِ فِكْرِهِ لَمَّا لَمَحَ ؛ وَمَلَكَ عِنَانَ هَوَاهُ رَأْيَهُ بَخْنَجَ إِلَى هَوَاهُ وَمَا جَمَحَ ، وَشَرَحَ صَدْرَ الْأَخْتِيَارِ بِمَا مَلَأَ الْأَخْيَارَ مِنْ مَحَاسِنِهِ وَشَرَحَ ، وَتَعَالَى الْإِقْتِرَاحُ لِهَذِهِ الْمَرْتَبَةِ فَكَانَ وَفَقَ مَا أَرَادَ وَفَوْقَ مَا اقْتَرَحَ ؛ وَتَشَبَّثَ بَعَيْنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَتَمَسَّكَ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ دَاءٍ يَلَازِمُهَا وَأَعْرَاضَ تَشْبِيهِهَا وَتَمَسَّكَ ؛ وَكَثُرَ الْخَوْضُ فِي الْبَاطِلِ فِيمَا صَدَعَ بِالْحَقِّ وَإِمَامًا أَمْسَكَ ، وَأَعْدَى فَضْلَهُ وَفَضْلَهُ عَلَى مَنْ شَكَا أَوْشَكَ ؛ وَغَضَّ عَيْنَيْهِ عَمَّا أُعْطِيَ سِوَاهُ وَمَتَّعَ بِهِ ، وَأَشْتَرَى طُولَ رَاحَتِهِ بِنَصْبِيهِ الْآنَ مِنْ نَصْبِهِ ، وَحَسَرَهُ (؟) النِّعْمَةُ مِنْ تَعْبِهِ ؛ وَأَيْسَ الظَّالِمُ مِنْ مُمَالَاتِهِ وَمُبَالَاةِ ، وَطَمِعَ الْمَظْلُومُ بِقُرْبِ إِعَانَاتِهِ وَبَعْدَ إِعْنَاتِهِ ؛ وَمَرَّ مَرُّ الدَّهْرِ وَحَلَا حُلُوهُ فَلَمْ يَشْهَدْ بِاسْتِمَالَاتِهِ عَنْ حَالَاتِهِ ، وَلَمْ يَرْضَ أَحَدُهُ بِحُكْمٍ صَرَفَ دَهْرَ يَجْرِي بِأَذَاتِهِ ؛ وَلَا كَشَفَتْ مِنْهُ التَّجَارِبُ إِلَّا عَنِ الْبَصَائِرِ الَّتِي تَرُوقُ السَّمَاعُ

(١) أى فما آتقاد ولان ولا سمح أى جاد وسخا .

(٢) أى درس وعفا . انظر اللسان .

وَالنُّظَارَ، وَالْحَسَنَاتِ الَّتِي قَضَتْ بَصَائِرُهَا بِقَضَاءِ مَنَاطِرَةِ الْأَنْظَارِ؛ وَالدِّينَانِ الَّتِي عَمَرَتْ
الْمَحَارِيبَ فِي اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَالْأَمَانَةِ الَّتِي أَسْتَمْسَكَ عَقْدُهَا فَمَا خِيفَ عَلَيْهِ أَنْ
يَتَدَاعَى وَلَا أَنْ يَنْهَارَ، وَالصَّبِيَانَةِ الَّتِي أَسْتَوَى فَوْقَ مَرْكَبِهَا فَخَلَّتْ بِجَنَاطٍ عَدُنَ تَجْرِى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ .

وَمَا كُنْتُ أَيُّهَا الْقَاضِي مُلْتَقِي هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَطِيعَهَا، وَمَشْرِقَ نَحْرِهَا وَمَطْلَعَهَا،
وَمُلْتَقَى عَصَا أَرْتِيَادِهَا وَمَنْجَعَهَا، وَمَوْرِدَ فَرِطِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ وَمَشْرِعَهَا، وَمُرَادَ هَذِهِ
السَّمَاتِ الَّتِي تَقَعُ مِنْكَ مَوْقِعَهَا، وَتَأْلَفُ عِنْدَكَ مَوْضِعَهَا، وَأَصَلَ هَذِهِ الْمَحَامِدِ الَّتِي إِنْ
أَسْتَعَلَّقْتَ بِسِوَاهِ فَتَنَهُ فَرَعَهَا، وَقَارَعَ صَفَاةَ هَذِهِ الذَّرْوَةِ الَّتِي مَا كَانَ لغيره أَنْ يَقَرَّعَهَا،
وَمَنْ تَعُدَّهُ الْخَنَاصِرُ أَتَقَى كُفَاةَ الرِّيبِ وَأَوْرَعَهَا، وَأَبْلَجَ أَبَاةَ الرِّيبِ وَأَرْدَعَهَا، وَأَشَدَّهَا
قِيَامًا وَمَقَامًا فِي ذَاتِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ أَطْوَعَهَا، وَأَمْضَاهَا حَدًّا إِذَا كَفَّ الْبَاطِلَ
الْغُرُوبَ، وَأَشْرَقَهَا شَمْسًا لَا تَتَوَارَى بِحِجَابِ الْغُرُوبِ، وَأَقْوَاهَا سَلَّةً فِي تَنْفِيزِ حَكِيمِ
حَقٍّ إِذَا ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ، وَأَنْقَاهَا صَحِيفَةً بِمَا أَوْدَعَهَا مِنْ نُورِ الْعَمَلِ
الْمَكْتُوبِ، وَأَبْدَاهَا زُهْدًا فِي دُنْيَاهُ إِذَا أُنْمُوا بِوَعْدِهَا الْكَاذِبِ أَمَلٍ إِيْتَائِهَا الْمَكْذُوبِ،
وَأَدْوَمَهَا مَصَاحِبَةً لَشُكْرِ لَا يَسْتَقِيلُ بِهِ رَفِيقُهَا الْمَصْحُوبِ، وَأَقْوَمَهَا طَرِيقَةً فِي الْحَسَنَاتِ
فَمَا طَرِيقُهُ إِلَى الْخُوبِ بَلْخُوبِ، وَأَقْوَاهَا طُمَأْنِينَةً قَلْبٍ إِلَى ذِكْرِ الَّذِي تَطْمَئِنُّ بِهِ
الْقُلُوبُ، وَأَنْهَضَهَا عَزْمًا بِمَا أَعْيَا الْهِمَمَ مِنْ تَكَالِيفِ الطَّاعَةِ وَآدَ بَسْمَعٍ وَبَصَرٍ وَفَوَادٍ،
وَأَقْدَرَهَا عَلَى مُجَاهَدَةِ الشَّهَوَاتِ أَشَدَّ الْجِهَادِ، وَأَنْظَرَهَا لِنَفْسِهِ فِي تَحْصِيلِ عَمَلٍ يَشْهَدُ
لَهُ يَوْمَ قِيَامِ الْأَشْهَادِ، وَأَمَهَّدَهَا لِحَبْنِهِ وَذَخَائِرِ التَّقْوَى نِعَمَ الْمِهَادِ .

(١)
وإلى اليقين الذى ظهرت شواهدُه، والعمل الذى جُمِعَتْ إِلَيْكَ شَوَارِدُهُ،
والدين الذى صَفَتْ إِلَيْكَ مَوَارِدُهُ، والعِلْمُ الذى هَبَّتْ بِمَذَاكَرَتِكَ رَوَاكِدُهُ، وَالْفَهْمُ

الذى تظاهرت بمناظرتك مرشده؛ والنظر الذى ألقى فُرسانَ الحدال بالحدالة،
والأثر الذى يقضى به عليك بالعدالة؛ والمحاماة عن الحق بما يقضى لمخالفه بالإذالة
ولؤافه بالإدالة، والإرشاد الذى مابدا لفهم الشاك إلا بدأ له؛ والفُتيا التى ضربت
نَبَجَ الباطل بُسُوفها، وحلّت مَسامِعَ المستفيدين بُسُوفها؛ والجلالة التى لا يُمِلُّ
مسموع أوصافها، والعدالة التى لا يُمِلُّ (?) مشرّع انصافها؛ وكم ليلة أغمدت ظلامها
في نور التهجد والناس هُجُود، وسكّنت جُفونَ مناقبها بيقظات السُجُود، وأنشأت
الخشية غمامها فاطفات بماء الدمع النار ذات الوُود؛ وبلغت رياضة الجوارح
التي تُريد ورياض القلب التي تُرود؛ فأسفر الصبحُ منك عن سارٍ واقِف، وأستسرَّ
لك القبول عن أنس خائف؛ وتارّجت أنفاسُ الأسمار باستغفاركَ، وتمَّ عنوانُ
السُجود بأسراركَ، وأبيضّت شية الليل بحلي آثاركَ؛ وأكتفتك الطهارة حتى كأنك
مُصحّف، وأرهقتك الديانة حتى كأنك مُرهف؛ وحالفتك الرّكّانة وكأنك مع
سلامة الخلق أحف، وتفتتكَ السنُّ فأبقت منك ما أبقت من سنان المثقف؛
وعرفتكَ الأحكام بأنك ماضٍ على الحقائق عند الشّبه تتوقّف، وألفتكَ الزّاهة
فشهد عدولُ أن نكرة المطامع عندك لا تتعرّف؛ وصرفتكَ الزّاهة عن دُنيا إن كانت
عرائسها تُرفّ فعدداً مواردُها تُتَرَف، وأستشرفتكَ المنازلُ التي لا تُزال بأعناق الأشراف
تُستشرف؛ وما رأست، حتى درست؛ ولا تنبّهت، حتى تفقّهت؛ ولا أقنيت
حتى أفنيت الحابر، ولا تصدّرت حتى تصبّرت على كُلفِ تغلب الصابر؛ فما
حباك من حباك، ولا قدّمك حتى علم أن سواك ماساواك؛ فرياستك لم تكن قلته،
وأستشرف وجه الرياسة لك لم يكن لفته؛ بل تنقلت متدرّجاً، وأخني عليك لسانُ
حقيقة ما كان متلجّجاً؛ ولو أفعدك حسبك أو أباك، لقلبك المجد وما أباك؛

فكيف ولك نفس بنت لك الشرف الخالد ، وجمعت الطريف منه إلى التالذ ، ولم تقنع بما ورثت من تراث رياسة الوالد .

والسيد الأجل الذى أعاد إلى الدولة رونق نضارتها ، بعد رونق إضارتها ، وأفاضت عليه حيا إشارتها ، وأضافت إليه نص إشارتها ، وأعطته السعادة أفضل إمارتها ، بما أعطته من فضل وزارتها ، وأشملت معاني النجاح من صفحة بشره التى تجللك الآمال بشارتها ، وأقزت حركاته الخلافة فى دارها والأنوار فى دارتها ، وقصرت مهابته أيدى الأعداء بعد استطاليتها ، وأنحمت نارهم بعد آس-تطارتها ، وذلت رياضته الأسود فلم ترع الأسماع بزأرها ولا العيون بزيارتها - يعذك للصذور صدرا ، ويعذك بما يرفع ذوى الأقدار قدرا ؛ ويذكرك بما تطيب به نشرنا ، ويحسن ملبوسه بشرا ؛ ويراك أولى من أقام الحق لازما جواده ، وأقعد الباطل حاسما مواءه ؛ ويصفك بالعدل الذى يتألم عليه الأضداد ، والسداد الذى لا يضرب بينك وبينه بالأسداد ؛ والنزاهة المنزهة عن التصنع بالرياء ، والسريرة الطيبة النثر والسيرة الحسنة الرواء .

ولما قزر لك النيابة عنه فى الصلاة والخطابة والقضاء والمظالم والإشراف على الجوامع والمساجد ودار ضرب العين والورق والسكة بالحضرة وسائر أعمال المملكة ، أمضى أمير المؤمنين ماقرر ، وتخير لهذه العطية من تخير ؛ سكونا إلى أمانتك التى حلت نوقها ، وركونا إلى ديانتك التى أوجبت تطلع هذه الرتبة إليك وسوقها ؛ وعلمنا أنك فارسها الذى آتسع ميدانه ، وواحدنا الذى رجع ميزانه ، وكفوها الذى تمكن مكانه .

فتقلد ما قلدت من ذلك عاملا بتقوى الله التى يفوز العامل بها فى مواقف الإسقاط ، ويحوز بها السالك متالف الصراط ، ويحوز بها الآمل معارف الإحتياط ؛

قال الله في فرقانه الذى نزل على عبده ليكون للعالمين نذيرا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا﴾ .

والحكم فهو عقد اللباس دُنْيَا وَدِينًا ، وسبيلُ الحق الذى يسلكه مَنْ جَرَى شِمَالًا وَسَلَكَ يَمِينًا ، وبه كَفَّ الله الأيديَ المتعديّة ، وأنقَذَ من النار النفوسَ المتردّية ؛ وأقام حُدُودَ كُلِّ مَنْ أَسْتَحَقَّهَا ولم يَتَوَقَّهَا ، وأوجبَ قِصاصَ الدماء على مَنْ أَرَاقَهَا وَأَسْتَبَاحَ رَقَّهَا ، وبه يقف القوى والضعيفُ مَوْقفًا واحدًا ، وَيَظْهَرُ أُولُو عَدْلِ اللَّهِ لمن كان بعين قلبه مُشَاهِدًا ؛ وبه تُنَبِّئُ مواقعُ التحليل والتحرير ، وفيه تُنَعِّنُ مقاطعُ الحُكْمِ بالتحكيم ؛ وَلِمَجَالِسِهِ الْوَقَارُ فَهِيَ جَنَّةٌ لَا تَغَوُّ فِيهَا وَلَا تَأْتِمُّ ، وَالظَّالِمُ فِيهِ وَإِنْ ظَفِرَ فَإِنَّمَا ظَفِيرٌ بِمَا يُقْطَعُ لَهُ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ . وَلَا تَجْعَلْ بَيْنَ الْمُتَحَاكِمِينَ إِلَيْكَ مِنْ فَرْقٍ ، وَسَاوِ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ كَافَّةِ الْخَلْقِ ؛ وَلَا تَحْكُمْ بِحُجَّةِ أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ وَإِنْ كَانَ لَهَا السَّبْقُ : ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ . وَلَا تَقْطَعْ بِعِلْمِكَ وَإِنْ كُنْتَ عَلِيمًا ، وَلَا تُبَالِ فِي اللَّهِ أَنْ تُغْضِبَ ظَالِمًا وَتُرْضِيَ مَظْلُومًا ؛ وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَظَرِكَ وَإِصْغَائِكَ بَيْنَ الْمُتَرَاغِبِينَ إِلَيْكَ مَقْسُومًا ، فَلَا تَحْقِرْ خَطَا الْحُكْمِ وَتَجْنِبْ مِنْهُ بَيْنَهُمَا مَا تَجِدُهُ [عند] اللَّهِ عَظِيمًا : وَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا . وَتَجَلَّبَبْ بِالْوَقَارِ الَّذِي يَبَيِّنُ فَضْلَ الْمِلَّةِ ، وَيَشْهَدُ لِلْكُفْرِ بِاللَّهِ ، وَيُلْبِسُكَ نَخْرَ السَّرَاةِ الْحَلَّةَ ، وَلَا يَمْنَعُكَ مَذْمُومُ التَّكَبُّرِ ، عَنْ مَحْمُودِ التَّوَدُّرِ ، وَلَا جَبَرُ لَكْسَرِ التَّجَبُّرِ ، وَلَا خَيْرٌ فِيمَنْ لَا يُنْهَلُ رَوِيَّةُ التَّحِيرِ فَالْعَجَلَةُ تُضَيِّقُ مَيْدَانَ التَّخِيرِ ؛ وَإِذَا أُضْخِمَ الْمُتَبَسُّ لِفَهْمِكَ ، وَعَزَّ الْقَطْعُ بِفَضْلِ حُكْمِكَ ، فَأَفْهَمِ الظَّالِمَ مَا تَوَجَّهَ عَلَيْهِ لَخَصْمِهِ ، فَرِّبْ بِمَا أُوتِيَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِ لِأَمِنْ طَرِيقِ ظُلْمِهِ ؛ وَلَعَلَّهُ لَا يَجْمَعُ عَلَيْهِ بَيْنَ قَوْتِ مَرَادِهِ وَبِقَاءِ إِمْنِهِ ؛ وَذَاكَرَ الْمُقْدِمِينَ عَلَى الْيَمِينِ ، بِمَا عَلَى مَنْ يَمِينُ ؛ وَأَنْ كَاذِبَهَا يَدَعِ الدِّيَارَ

بَلَّاقٍ ، وَأَنْ خَرَقَ الْجُرْأَةُ عَلَى اللَّهِ مَالَهُ مِنْ رَاقِعٍ ، وَصَرَعَةَ الْفَاجِرَ مَالَهَا مِنْ مَزِيلٍ
وَلَا رَافِعٍ ؛ وَمَنْ قَطَعَهُ الْحَصَرَ عَنِ الْإِفْصَاحِ ، وَصَرَفَهُ الْبَيْتُ عَنِ الْإِيضَاحِ ، فَاسْتَعْمِلَ
مَعَهُ أَنَاةً تَوْضَعُ مَا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ ، وَرِفْقًا يُفْصَحُ مَا يَخْتَلِجُ فِي فِكْرِهِ ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ” إِنَّكُمْ لَتَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنْ
بِحُجَّتِهِ مِنَ الْآخِرِ فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ “ وَلَدْخُولِ الْمَجَالِسِ دَهْشَةً تُورِثُ اللِّسَانَ
عُقْلَهُ ، وَلِمَفْاجَأَةِ الْحَافِلِ حَيْرَةً تُعْقِبُ الْبَيَانَ مُهْلَهُ ؛ فَوَاجِبٌ عَلَيْكَ مَنْ تَدَلَّهُ أَنْ تَدَلَّهُ ،
وَمَنْ يُسَدِّهِ أَنْ تُسَدِّهِ : لَتَقْضَى بِمَا تَقْضَى ، وَتُضَى الْحَكَمَ بِحَقِيقَةِ تَمْضَى ؛ وَإِنْ
تَجَعَزَتْ قَضِيَّةٌ قَدْ فَرَطْتَ ، وَتَدَبَّرْتَ نَوْبَهُ قَدْ أَفْرَطْتَ ؛ فَبَادِرْ بِأَسْتِدْرَاكِهَا ، قَبْلَ
وُقُوعِكَ فِي أَدْرَاكِهَا ، وَتَعَذُّرِكَ عَنْ إِدْرَاكِهَا ؛ وَلَسْتَ مَعْصُومًا مِنَ الْمَغَالِطِ ، وَلَا مَوْصُومًا
بِالْخَطِ الْفَارِطِ ، وَلَا مَلُومًا [إِلَّا] إِذَا أَقَمْتَ عَلَى مَا اللَّهُ مِنْهُ سَاخِطٌ ؛ فَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ مَنْ
أَتَى الْخَلَّاقَ وَلَمْ يَتَّقِ الْخَلْقَ ؛ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ .

وَكَلَّمَ اللَّهُ وَسَنَّهُ رَسُولُهُ السَّرَاجَانَ اللَّذَانِ مَا ضَلَّ هُدَاهُمَا ، وَالْمِهَادَانَ اللَّذَانِ
مَا أَوْضَحَهُمَا إِلَيْهِ وَأَبْدَاهُمَا ؛ وَقَدْ أَغْنَتْ نَصُوصُهُمَا عَنِ الْأَقْيِسَةِ ، وَأَوْضَحَ خُصُوصُهُمَا
عَامَّةَ الْأُمُورِ الْمُلْتَبِسَةِ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . وَقَالَ
تَعَالَى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ وَإِنْ أَشْكَلَتْ نَازِلَةٌ غَيْرُ
مَسْطُورَةٍ ، وَأَعْضَلَتْ وَاقِعَةً غَيْرُ مُحْضُورَةٍ ؛ فَاسْتَرْشِدْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِهَا ، وَقِفْ
عَلَى بَحَارِ عِلْمِهِ فَلَنْ تَعْدَمَ سَبِيحَ دَرِّهَا ؛ فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ عِنْدَ التَّنَازُعِ بِأَنْ
نَزِدَ [إِلَيْهِ] مَا عَصَلَ ^(١) ، وَأَنْتُمْ أَخَذَكُمُ لِلْإِلَامِ ^(١) [الَّذِينَ حَكَمَ اللَّهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ
مَا أَشْكَلَ .

(١) زدنا هاتين الكلمتين على ما في الاصل لأن الكلام بدون زيادتهما لا يفهم . تأمل .

والشهادة فلقد أمر الله بإقامتها وكفى بالله شهيدا ، وكفى بذلك جلالة وتمجيدا ؛
ولا نَتَّخِذْ إِلَّا الْعُدُولَ الْمُقَانِعَ ، ولا تَسْمَعْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ لِأَمْرِ اللَّهِ سَامِعٌ ؛ فهم
الْأَعْوَانُ الَّتِي تُدْفَعُ بِهَا نَارُ جَهَنَّمَ ، وَالْخُنَّ الَّتِي يَتَّقِي بِهَا الْحَاكِمُ سَهَامَ الْآثَامِ فِيمَا حَلَّلَ
وَحَرَّمَ ؛ وَإِلَىٰ عَلَيْهِمْ آتَتْهُ مُقَاتِعُ الْحَقُوقِ الَّتِي اللَّهُ بِهَا أَعْلَمَ ؛ وَمَا سَرَىٰ حَكْمٌ إِلَّا بَعْدَ
أَنْ تَجِدَ أَقْوَالَهُ دَلِيلًا ، وَلَكَ السَّمْعُ وَلَهُمُ الْبَصَرُ وَكُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ؛
وَأَسْتَشِفُّ أُمُورَهُمْ فَمِنْ أَلْفَيْتِهِ آلِفًا لِمَحَبَّةِ الصَّوَابِ ، عَائِفًا لِمَضَلَّةِ الْإِرْتِيَابِ ؛ لَا يُخَافُ
بِالْإِعْضَابِ ، وَلَا يُخَافُ بِالْإِرْهَابِ ، وَلَا يُحِسُّ حَسَابًا إِلَّا لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، فَاسْمَعْ
مَقَالَتَهُ ، وَأَفْتِرْعَدَاتِهِ . وَمَنْ كَانَ عَنِ السَّبِيلِ نَاجِبًا ، وَلِلْهَوَىٰ رَاكِبًا ؛ فَأَرْجُلُهُ عَنِ
ظَهْرِ الْعَدَالَةِ ، وَنَتَبَعُ زَلَلِهِ بِالْإِزَالَةِ ؛ وَوَصِلَ فِيهِمُ أَلْسِنَةُ حَكَمِكَ ، وَأَوَّجُهُ عَلَيْكَ ؛
فَلَا تَسْتَنْبِ إِلَّا مَنْ تَعْلَمُ أَنَّ خَطَاةَ عَلَيْكَ وَصَوَابَهُ لَكَ ، وَلَا تَعُولُ إِلَّا عَلَىٰ مَنْ لَا يُخْجَلُ
نَفْسُكَ وَلَا يَذُمُّ تَعْوِيلُكَ .

وَكَاتَبُكَ فَقَلَمُهُ لِسَانُكَ ، وَلِسَانُهُ تَرْجُمَانُكَ ؛ إِنْ وَقَعَ فِإِلَيْكَ تُنْسَبُ مَوَاقِعُ تَوْقِيعِهِ ،
وَإِنْ وَصَلَ حَكْمًا بِمَسْطُورِهِ فَمِقْدَارُكَ مَسْطُورٌ مِنْ مَسْمُوعِهِ ؛ فَلَا تَرْضَ بِالذُّونِ فَمَا
يَدُونَ ، وَلَا تَعُولُ إِلَّا عَلَىٰ كُلِّ مَنْ تَصَوَّرَ وَتَصَوَّنَ .

وَحَاجِبُكَ فَهُوَ عَيْنُكَ وَإِنْ سُمِّيَ حَاجِبًا ، وَوَجْهُكَ الَّذِي تَلْقَىٰ بِهِ إِذَا كُنْتَ غَائِبًا ؛
فَاخْتَرْ مَنْ يَكُونُ مَتَعَيِّرًا فِي الْمَقَالِ ، مَتَحَلِّيًا بِحُسْنِ الْفِعَالِ ، مَجْرِبًا فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ؛
لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ دُنْيَا دِينِهِ ، وَلَا يَخُونُكَ أَمَانَتُهُ وَلَا يَتَمَدَّدُ يَمِينُهُ ، وَلَا يَقُولُ عَنْكَ
وَلَا عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا مَا يَزِينُكَ وَيَزِينُهُ ، وَلَا يَخِيفُ إِلَىٰ مَا تَخِيفُ بِهِ مَوَازِينُهُ .

وَالْخَطْبَاءُ قُرْصَانُ الْمُنَابِرِ ، وَاللُّسَنَةُ الْمُخَاضِرُ ، وَتَرَاجُمُ الشَّعَائِرِ ؛ وَأُئِمَّةُ الْمَجَامِعِ ، وَسُفَرَاءُ
الْقُلُوبِ بِوَسَاطَةِ الْمَسَامِعِ لِمَقَامِهَا الرَّافِعِ ؛ وَمُبْرِئُهَا الْفَارِعُ مِنَ الْقُلُوبِ عَلَىٰ دَائِهَا ، وَتَدْرُ

حرُّهُ شياطينَ الأمم عند آعتدائها؛ ويُعرب عن الهداية ويبالغ بلاغته في إهدائها؛ ويتقنُ مخارجَ الحروف مُحسِّناً في أدائها وإبدائها، وتُحُلُّ موعظته عن العيون الجامدة عُقْدَ وكائها، وينادى القلوبَ الصِّديَّةَ فيكون صَدَاهُ صَوْبَ بكائها، ويستشعرُ أُرْدِيَةَ الوَقَارِ فتشهد المنابرله بارتدائها؛ وتغذى النفوسَ مواعظه إذا قصده باستنصارها على القلوب وآستعدادها .

والأيتام فانت لهم والد ، وأجرُ نفقتك عليهم في الصحيفة وارد؛ وهم ودائعُ الله لديك، وذخائرُ الآباء [١] لا أنهم في يدك؛ فأحسن بهم السياسة بالشِّفقه، وأحسن لهم التدبيرَ بالنِّفقه؛ ومن آنست رُشدَه، فادفع ماله إليه ، ومن لم تسترشدْ قصده، فأنفق منه عليه؛ قال الله تنبيهاً وتحذيراً : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ .

والمساجد بيوت الله التي يُسَبِّحُ له فيها بالغُدُوِّ والآصال، ومَظَانُّ العبادة التي يعمرها أهل الاعتلاقِ بمعروفه والإفضال؛ ومَصَاعِدُ الكَلِمِ الطيبِ والعملِ الصالح، وأسواقُ الآخرة التي يُوجب فيها المشترُّونَ صَفْقَةَ البَيْعِ الرَّابِحِ؛ فعبّد الطريقَ إلى زيارتها، وأشرح قلوبَ المنطهرين بطهارتها، وآنيسَ القائمين بالليل والمستغفرين بالأُتْحَارِ بِنارتها .

والمضروبُ بدار الضرب فهو عينٌ ما تجب عليه الزَّكَّوات، ونفس ما تُحَارُ [به] المستملكات؛ ومدارُ ما تستملُّ عليه المعاملات، وقيمٌ ما تُحَقِّنُ به الدماء في الديات، ومنتهى ما تُوفِّي به الصَّدُقاتُ؛ وتوصى به الصدقاتُ؛ فتولُّ أخذَ عيَّاره، ومباشرةَ تصفيةِ درهمه وديناره، وأخلِصه لتنجو من النار بلفحات ناره؛ وأحفظْ شكله الذي ينقش خاتم جوازِه؛ والأسماءُ المسطرة عليه وسيلةٌ أُمِّتِازِه على بقية الأبحار وإعزازِه .

والوكالة على باب الحكم فهي كفاح المتناضلين ، وسلاح المتناصلين ؛ ومن يتفجع بها لا يُعزل من الخطاب ، كما لا ينصب بها من يفتح له الباطل الأبواب ؛ فلا تُوعى إلا لمن حسنته الدربة ، في السرعة من القربة ، وتدبر قول الله : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ ثَمَرٍ لَهُ ﴾ ممن يؤمن على النساء والرجال ، ولا يُعجبه إرسال لسانه في الحلال ، ولا يبطّل الحق إذا أطلق لسانه في سعة المجال .

والتصرفون الذين هم أيدي الشريعة التي تُشخص الخصوم ، ويُستعان بهم على قمع الظلوم ونفع المظلوم ؛ فتخير أن يكون أكبرهم من أهل طبقتهم ، وأمدتهم تحسبنا لسمعتهم وتحسبنا لأمانتهم .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاهد بهديه ، وقم بفرض رعيه وحق وعيه ؛ وكريم سعى الآخرة أحسن سعيه ، وتصرف بين أمر الحق ونهيه ؛ والله سبحانه يبلغك من مناجح أمرك ، مالا تبلغه بمطامح فكرك ؛ ويسر لك من بديهة الإرشاد ، ماتعجز عنه روية الارتداد ؛ فاعلم هذا من أمير المؤمنين ورسمه ، وأعمل بموجبه وحكمه ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك ما أورده على بن خلف الكاتب في كتابه "مواد البيان" في سجل بالدعوة للدولة والمشايع لها ، والموافقة على مذهبها ، وهو :

الحمد لله خالق ما وقع تحت القياس والحواس ، والمتعالى عن أن تُدركه البصائر^(١) بالإستدلال والأبصار بالإيناس ؛ الذي آختر الإسلام فأظهره وعظمه ، وأستخلص الإيمان فأعزّه وأكرمّه ؛ وأوجب بهما الحجّة على الخلائق ، وهداهم بأنوارهما إلى أقصد الطرائق ، وحاطهما بأوليائه الراشدين شُموِس الحقائق ؛ الذين نصّبهم في أرضه

(١) يريد بالقياس المعقول .

أعلاما، وجعلهم بين عباده حُكَّامًا؛ فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَايِدِينَ﴾ .

يمجده أمير المؤمنين أن أصطفاه لخلافته ، وخصه بلطائف حكمته ؛ وأقامه دليلاً على مناهج هدايته ، وداعياً إلى سبيل رحمته ؛ ويسأله الصلاة على سيدنا محمد نبيه الذى أبتعته رحمة للعالمين ، فأوضح معالم الدين ، وشرع ظواهره للمسلمين ؛ وأودع بواطنه لوصيه سيد الوصيين : على بن أبى طالب أمير المؤمنين ؛ وفوض إليه هداية المستجيبين ، والتأليف بين قلوب المؤمنين ؛ ففجر ينابيع الرشد ، وغور ضلالات الإلحاد ؛ وقاتل على التأويل كما قاتل على الرسل ، حتى أثار وأوضح السبيل ؛ وحسّر نقاب البيان ، وأطلع شمس البرهان ؛ صلى الله عليهما ، وعلى الأئمة من ذريتهما ؛ مصابيح الأديان ، وأعلام الإيمان ، وخلفاء الرحمن ؛ وسلم عليهم ماتعاقب الملوان ، وترادف الجديدان .

وإنَّ أمير المؤمنين بما منحه الله تعالى من شرف الحكمة ، وأورثه من منصب الإمامة والأئمة ؛ وفوض إليه من التوقيف على حدود الدين ، وتبصير من اعتمد بحبله من المؤمنين ، وتووير بصائر من استمسك بعروته من المستجيبين - يعلن بإقامة الدعوة الهادية بين أوليائه ، وسُبُوغ ظلّها على أشياعه وخُلصائه ؛ وتغذية أفهامهم بلبانها ، وإرهاق عقولهم ببيانها ؛ وتهذيب أفكارهم بلطائفها ، وإنقاذهم من حيرة الشكوك بمعارفها ؛ وتوقيفهم من علومها على ما يلحّب لهم سبيل الرضوان ، ويُفضى بهم إلى روح الجنان وريح الحنان ، والخلود السرمديّ في جوار الجواهر المنان - ما يزال نظره مصروفاً إلى توطيها بناشئ في حجرها ، مغتذٍ بدرّها سارٍ في نورها ؛ عالم بسرّائها المدفونة ، وغوامضها المكنونة ؛ موقفاً على ذلك اختياره ، وقاصية انتقاده واختياره ؛ حتى أذاه الاجتهاد إليك ، ووقفه الارتياذ عليك ؛ فأستدّها منك إلى

كفِّهها وكافِها ، ومِدْرِهها المبرِّز فيها ؛ ولسانها المترجم عن حقائقها الخفية ، ودقائقها المطوية ؛ ثقةً بوثاقة دينك ، وصحَّة يقينك ؛ وشهود هديك وهُداك ، وفضل سيرتك في كل ما وُلاكَ ؛ ومحض إخلاصك ، وقديم اختصاصك ؛ وأجراك على رسم هذه الخدمة في التشريف والمُحْلان ، والتنويه ومُضاعفة الإحسان .

فتقلّد ما قلّدك أمير المؤمنين مستشعرا للتقوى ، عادلا عن الهوى ، سالكا سبيل الهدى ؛ فإنَّ التقوى أحصنُ الجنِّ ، وأزینُ الزین ، و﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . وحضَّ على ذلك فقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وخذ العهد على كل مستجيب راغب ، وشُدَّ العقد على كل مُنقاد ظاهر ، من يظهر لك إخلاصه ويقينه ، ويصحُّ عندك عفافه ودينه ؛ وحضهم على الوفاء بما تُعاهدُهم عليه ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . ويقول جل من قائل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبِيعُونَكَ إِنَّمَا يَبِيعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . و[كف] كافة أهل الخلاف والعناد ، وجادلهم باللطف والسداد ، وأقبل منهم من أقبل إليك بالطوع والإتياد ؛ ولا تُكرِه أحدا على متابعتك والدخول في بيعتك ، وإن حملتك على ذلك الشفقة والرأفة والحنان والعاطفة : فإنَّ الله تعالى يقول لمن بعثه داعيا إليه بإذنه : محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ولا تُلقِ الوديعة إلا لحفاظ الودائع ، ولا تُلقِ الحبَّ إلا في مِرْعة لا تُكْدى على الزارع ؛ وتوخَّ لغرسك أجل المغارس ، وتوردُهم مشارع ماء الحياة المعين ،

وَقُرْبَهُمْ بِقُرْبَانِ الْخَالِصِينَ ؛ وَتَخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ ، إِلَى نُورِ الْبَرَاهِينِ
وَالْآيَاتِ ؛ وَاتَّلِ مَجَالِسَ الْحُكْمِ الَّتِي تَخْرُجُ إِلَيْكَ فِي الْحَضْرَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ؛
وَالْمُسْتَجِيبِينَ وَالْمُسْتَجِيبَاتِ ، فِي قُصُورِ الْخِلَافَةِ الزَّاهِرَةِ ، وَالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالْمُعِزِّيَّةِ
الْقَاهِرَةِ ؛ وَصُنْ أَسْرَارَ الْحُكْمِ إِلَّا عَنْ أَهْلِهَا ، وَلَا تَبْدُلْهَا إِلَّا لِمُسْتَحِقِّهَا ؛ وَلَا تَكْشِفْ
لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مَا يَعِجْزُونَ عَنْ تَحْمِلِهِ ، وَلَا تَسْتَقِلْ أَفْهَامَهُمْ بِتَقْبَلِهِ ؛ وَاجْمَعْ مِنَ التَّبَصُّرِ
بَيْنَ أَدَلَّةِ الشَّرَائِعِ وَالْعُقُولِ ، وَدَلِّ عَلَى اتِّصَالِ الْمَثَلِ بِالْمَثْنُونِ ؛ فَإِنَّ الظُّوَاهِرَ أَجْسَامٌ
وَالْبَوَاطِنَ أَشْبَاحُهَا ، وَالْبَوَاطِنَ أَنْفُسٌ وَالظُّوَاهِرَ أَرْوَاحُهَا ؛ وَإِنَّهُ لَا قِيَامَ لِلْأَشْبَاحِ
إِلَّا بِالْأَرْوَاحِ ، وَلَا قِيَامَ لِلْأَرْوَاحِ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَّا بِالْأَشْبَاحِ ، وَلَوْ افْتَرَقَا لَفَسَدَ النَّظَامُ ،
وَأَتَسَخَّ الْإِيحَادُ بِالْإِعْدَامِ . وَأَقْصِرْ مِنَ الْبَيَانِ ، عَلَى مَا يَحْرُسُ فِي النُّفُوسِ صُورَ الْإِيمَانِ ،
وَيَصُونُ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْإِفْتِنَانِ ؛ وَأَنَّهُمْ عَنِ الْإِثْمِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ ، وَكَامِنِهِ
وَعَالِنِهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ .

وَاتَّخِذْ كِتَابَ اللَّهِ مِصْبَاحًا تَقْتَبِسُ أَنْوَارَهُ ، وَدَلِيلًا تَقْنِي آثَارَهُ ؛ وَأَتْلُهُ مُتَبَصِّرًا ،
وَرَدَّدَهُ مُتَذَكِّرًا ، وَتَأَمَّلُهُ مُتَفَكِّرًا ؛ وَتَدَبَّرْ غَوَامِضَ مَعَانِيهِ ، وَأَنْشُرْ مَا طَوَى مِنَ الْحُكْمِ
فِيهِ ؛ وَتَصَرَّفْ مَعَ مَا حَلَّلَهُ وَحَرَّمَهُ ، وَنَقَضَهُ وَأَبْرَمَهُ ، فَقَدْ فَصَّلَهُ اللَّهُ وَأَحْكَمَهُ ؛ وَاجْعَلْ
شَرْعَهُ الْقَوِيمَ الَّذِي خَصَّ بِهِ ذَوِي الْأَلْسَابِ ، وَأَوْدَعَهُ جَوَامِعَ الصَّلَوَاتِ وَمَحَاسِنَ
الْآدَابِ ، سَبَابًا تَتَّبِعُ جَادَّتَهُ ، وَتَبْلُغُ فِي الْاِحْتِجَاجِ مَحَجَّتَهُ ، وَتَمْسُكُ بِظَاهِرِهِ وَتَأْوِيلِهِ
وَمُثْلِهِ ، وَلَا تَعْدِلْ عَنْ مَنَهْجِهِ وَسُبُلِهِ ؛ وَأَضْمِمْ نَشْرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاجْمَعْ شَمْلَ الْمُسْتَجِيبِينَ ،
وَأَرْشِدْهُمْ إِلَى طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَسَوِّ بَيْنَهُمْ فِي الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَقُولُ فِي بَيْتِهِ الْحَرَامِ : ﴿ سَوَاءٌ أَعَاكَفُ فِيهِ وَالْبَادُ ﴾ . وَزِدْهُمْ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْمَوَادِّ
عَلَى حَسَبِ قُوَاهِمِ مِنَ الْقَبُولِ ، وَمَا يَظْهَرُ لَكَ مِنْ جَوْدَةِ الْمُحْصُولِ ؛ وَدَرِّجْهُمْ بِالْعِلْمِ
وَوَفِّ الْمُؤْمِنَ حَقَّهُ مِنَ الْأَحْقَامِ ، وَلَا تُعْذِمِ الْجَاهِلَ عِنْدَكَ قَوْلًا سَلَامًا كَمَا عَلَّمَ رَبُّ

السلام . وتوخَّ رعاية المؤمنين ، وحماية المعاهدين ، وميزهم من العاقبة بما ميزهم الله من فضل الإيمان والدين ؛ وألن لهم جانبك وأحن عليهم وألطف ، وأبسَّط لهم وجهك وأقبل إليهم وأعطف ؛ فقد سمعت قول الله تعالى لسيد المرسلين :

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ولا تُفْسَحْ لأحد منهم في التطاول بالدين ، ولا الإضرار بأحد من المعاهدين والذميَّين ، وميزهم بالتواضع الذي هو حلية المؤمنين ؛ وإذا ألبس عليك أمرًا وأشكل ، وصعب لديك مرأً وأعضل ، فأنه إلى حضرة الإمامة متبعا قول الله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ : ليخرج إليك من بصائر توقيفها ، ومرآشد تعريفها ؛ ما يقفك على مناهج الحقيقة ، ويذهب ^(١) [بك] في لاجب الطريقه ؛ وأقبض ما يحمله المؤمنون لك من الزكاة والحزب والأنحاس والقربات وما يجرى هذا المجرى ؛ وتتقدم إلى كاتب الدعوة بإثبات أسماء أربابه ، وأحمله إلى أمير المؤمنين لينتفع بخرجوه بتقليله له ووصوله إليه ، وبرأ ذمهم عند الله منه . وأستنب عنك في أعمال الدعوة من شيوخ علم الحكمة ومن تتق بديانته ، وتسكن فيه إلى وفور صناعته ؛ وأعهد إليهم كما عهد إليك ، وخذ عليهم كما أخذ عليك ؛ وأستطلق لهم من فضل أمير المؤمنين ما يعينهم على خدمته ، ويحمل ثقلهم عن أهل دعوته ؛ وأستخدم كاتباً ديناً أميناً مؤمناً بصيراً عارفاً ، حقيقاً بالإطلاع على أسرار الحكمة التي أمر الله بصياتها وكتبتها عن غير أهلها ، نقياً حصيفاً لطيفاً ، يُزِلُّهم في مجلسك بحسب مراتبهم من العلم والدين والفضل .

(١) جمع جزية وهي خراج الارض وما يؤخذ من الدمي .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فتدبره متبصراً ، وراجعته متدبراً ، وبه الوصايا تهدي
وتسدد ، وتوفق وترشد ؛ وأستعين بالله يمدك بمعونته ، ويديم حظك من هدايته ؛
إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا سائر السجلات من هذا النوع . وقد أورد في "مواد البيان"
سجلات غير هذه حذف منها التعميد وأقتصر على مقاصدها ، وفيما ذكر من ذلك مفتح .

المذهب الرابع

(مما كان يكتب لأرباب الولايات بالدولة الفاطمية
مرتبة الأصاغر من أرباب السيوف والأقلام)

وليس لهذه الرتبة صبغ محصورة في الافتتاح ، بل تفتتح بلفظ : «إنَّ أمير المؤمنين
لما آتاه الله [من] كذا يفعل كذا وكذا ولما كنت بصفة كذا ، وحضر بحضرة
أمير المؤمنين فتأه ووزيره فلان وأشار بكذا ، فترك أمير المؤمنين في كذا » أو يقال :
«إنَّ أولي» أو «إنَّ أحق» أو «إنَّ أجدر» أو «أقمن» أو «من حسنت طريقته»
أو «من كان متصفا بكذا كان خليفاً بكذا» أو «ولما كان كذا» أو «منشور تقدم
بكتبه فلان » ونحو ذلك .

فمن المكتتب عن الخليفة من هذه المرتبة لأرباب السيوف نسخة سجل بزم .
إنَّ أمير المؤمنين لما آتاه الله من المحل الأرفع ، وجعله اليوم الأمر المطاع وغداً
الشفيع المشفع ؛ يتعهد عبيده بعهد كرمه ، ويخبر من هجر النوائب من يحاول ظلَّ

(١) الهجير والهجرة والهجر والهجرة نصف النهار عند زوال الشمس الى العصر وقيل في كل ذلك انه

حَرَمَهُ ، وَيَقْبَلُ وَسِيلَةً مِنْ كَانَتْ النِّجَابَةُ أَقْوَى وَسَائِلِهِ وَذِمَّتِهِ ، وَيُؤَمِّنُهُ مِنَ الْخَافِ
 حَوَادِثِ الدَّهْرِ بِهِ وَلِمَهُ ؛ فَلَا زَالَ بِأُمُورِهِمْ عَانِيَا ، وَبِمَكَارِمِ شِمْتِهِ عَنْ رَفْعِ مَسَائِلِهِمْ
 غَانِيَا ؛ لِاسْتِيْمَا مِنْ حُسْنٍ فِي الْخِدْمَةِ أَثَرًا وَطَابَ خَبَرًا ، وَنُشِرَتْ أَوْصَافُهُ فِي أَيْدِي الثَّنَاءِ
 فَكَانَتْ بُرُودًا وَحَبْرًا ؛ وَتَمَنَّى لَهُ الْإِحْسَانُ فِي كُلِّ زَمَانٍ أَنْ يَأْتِيَ مُسْتَحْمِدًا لَامَعْتَدِرًا ،
 وَعُدِيقَتْ بِهِ بِحَارِ الْحَمَامَةِ فَمَا أُخْرِجَتْ مِنْهُ إِلَّا جَوْهَرًا ، وَغَرَسَ مَقَدِّمَاتِ الْمَخَالِصَةِ
 وَكَانَ لِسَانُجِ الْإِنْعَامِ مُسْتَثْمَرًا ، وَصَقَلَ التَّجْرِبُ صَفِيحَةَ طَبْعِهِ وَكَانَ لَضَرِيصَةِ
 الْحَزْمِ مُسْتَأْمِرًا ، وَأَسْتَبَدَّ بِمُوجِبَاتِ الْحَامِدِ مَوْثِرًا لَهَا وَمُسْتَأْمِرًا ، وَجُعِلَتْ لَدَيْهِ أَسْبَابُ
 الْأَسْتِقْلَالِ الَّتِي قَلَّتْ عِنْدَ سِوَاهُ فَظَلَّ مِنْهَا مَهْدًا (١) مُتَكَثِرًا .

وَمَا كُنْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنْ قَامَ لَهُ هَذَا الْوَصْفُ مَقَامَ الْأَسْمِ [مِنْ] الْمُسَمَّى ،
 وَتَوَصَّحْتُ مَحَابِلَهُ بِهِ فَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَلْفِزِ الْمُعَمَّى ؛ وَقَامَ يَقْرُرُ مِنَ الْخِدْمَةِ مُشْتَمِلًا ،
 وَأَسْتَقِلَّ بِشَرَائِطِ التَّعْوِيلِ مُسْتَكْمِلًا ، وَأَدْرَكَ غَايَاتِ الْحَاسَنِ عِجَالًا مَتَمِّهًا (١) ، وَضَمِنَتْ لَهُ
 الشَّيْبَةُ أَنْ يَعْلُو كَاهِلَ الرِّيَاسَةِ مُتَكَمِّلًا ، وَأَشْتَهَرَ بِالتَّقَدُّمِ فَلَمْ تَعْرِفْ بِهِ أَوْضَاحُ الصَّنَائِعِ
 غُفْلًا وَلَا مَجْهَلًا ، وَأَسْتَوْجَبَ أَنْ لَا يَزَالَ فِي أَفْقِ الْإِنْعَامِ مُنْهَلًا عَلَيْهِ يُغَادِرُ لَدَيْهِ غَدِيرًا
 وَمِنْهَا ، وَأَسْتَحَقَّ أَنْ يَمْلَأَ يَدَيْهِ مِنْ نَظَرِهِ مُتَأَمِّلًا ، وَأَدَّى فَرِيضَةَ الْهَصِيحَةِ (٢)
 كَافَلًا مُتَكَفِّلًا وَمُعَمَّلًا لَامْتَعَمِّلًا ، وَنَهَضَ بِتَكَالِيفِ الْخِدْمَةِ مُتَحَمِّلًا فِيهَا مَا لَمْ يَزَلْ
 مُتَحَمِّلًا .

وَحَضَرَ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَتَاهُ الَّذِي أَفْنَاهُ التَّوْفِيقُ بِاسْتِزَارِهِ ، وَوَلِيَهُ الَّذِي
 جَمَّ بِهِ مَوْرِدُ السَّعْدِ بَعْدَ اسْتِزَارِهِ : السَّيِّدُ الْأَجَلُّ سَيْفُ نَصْرِهِ الْمُهَنْدُ بَاسُهُ ،

(١) التَّهْمِلُ التَّقَدُّمُ وَتَهْمِلُ فِي الْأَمْرِ تَقَدَّمُ فِيهِ . انْظُرِ الْلسَانَ .

(٢) بِيَاضٍ بِقُدْرِكَلَةٍ .

وليثُ حَرَبه والسَّانِ نَاب ، وسحابُ الرحمة إلى الإسلام بها حصل ربحى خضر
الجناب ، ومتعب الرائح في غيِّه حتى عَزَب في سُهوب الإسهاب بأطناب
الإطناب ، ومستحقُّ المدائح التي يُعَطَّر بها الجناب ، ويُعَطَّل بها الرِّكاب ؛ والملكُ
الذى خدمه الملوك لالرَّتبة الغناء عنه بل لرُتبة المناب ؛ فذكركَ بما جَمَلَك ، وأسَمَطَرَ
لك من الإحسان ما جَمَّ لك ، وأسَتَوْفَق في مُناصحة الدولة عَمَلَك ، وقَرَّبَت عليك
بِسِفَارَتِهِ بحضرة أمير المؤمنين أَمَلَك ؛ وقَرَّر لك الخدمة بالزَّم الفلاني إخلاداً إلى
ما تَطَوَّى عليه جُمْلَتُكَ ، وأَعْتَاداً على ما تعز به كَلِمَتُكَ ؛ فأجابه أمير المؤمنين إلى ما أجبَاكَ
إليه ، وتقدَّم أمرُهُ باستخدامك فيما عِينَ عليه ؛ ونرج أمره إلى ديوان الإنشاء
بكتِّب هذا السجل بتقليدك ذلك .

فقلَّد مَأَقَلَّدته مستشعِراً لباس التقوى ، ناهياً للنفس عن الهوى ؛ سالِكا الطريقة
المثلى ، قال الله سبحانه : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ . وهذه الخدمة من أمراء قبائل
العرب ، وهى المنبَع وسواها الغرب ، وما فيها من يُدْعَى إلى خدمة إلا طَبَق المِفْصَل^(١)
وأتى على الأرب ؛ نَحَدُّها بالمرسوم لما تُثَدِّب له من المِهْمَّات السانحة والعوارض ؛
والخُفُوف إليها بالأسلحة الرِّوائع والخيول النَّواهِض ؛ وألْزَم رجالها أن تحفَظ من
الطُّرُقَات ما يُصَاقِبُها ، وأن تُسَوِّقَ كُلَّ نفسٍ بِمِجْنَاتِها إلى من يعفُو عنها أو يُعَاقِبُها ؛
وقدَّم العَرَض الذى يُسْتَدَلُّ به على مَنْ كان بالوفاء ساقِطاً ، وعن أعمالِ المملكةِ
ساخِطاً ؛ لِيَسْتَرْجِعَ الدِّيوَانُ ما كان بيده ، ويفتَضَحَ من كانت الحِياَنَةُ سريرةً
مَقْصَدَهُ ؛ فاعلَمْ هذا وأعملْ به .

(١) الغرب بالتحريك من معانيه الماء يقطر من الدلوين الحوض والبر أنظر القاموس .



ومن ذلك نسخة سجل بولاية نغرة، وهي :

إِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ رَقَاهُ إِنْعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَحَلِّ الْيَفَاعِ، وَشَفَعَتْ فِيهِ وَسَائِلُ
فَضَائِلِهِ فَعَنِي عَنِ الْإِسْتِشْفَاعِ، وَعَظُمَ لَهُ النِّفْعُ لِمَا بِهِ مِنْ عَظِيمِ الْإِنْتِفَاعِ، وَجَرَّدَتْهُ
يَدُ الْإِخْتِيَارِ سَيْفًا مِنْ سُيُوفِ الذَّبِّ عَنِ الْمَلَّةِ وَالذَّفَاعِ، وَاسْتَقَرَّ فِي الرُّتَبِ الَّتِي لَا تُثْقَلُ
إِلَّا إِلَى الزِّيَادَةِ وَلَا تُغَيَّرُ إِلَّا إِلَى الْإِرْتِفَاعِ، وَجُلِّيَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُ النِّعَاءِ وَاضِحَةٌ اللَّثَامِ
وَاضِعَةٌ الْفَلَّاحِ، وَنَيْطَتْ مِنْهُ وَصَايَا الْحَزْمِ بِحَافِظِ لَهَا وَاعٍ، وَتَوَفَّرَتْ عَلَيْهِ بَوَاعِثُ
الصَّنَائِعِ وَدَعَتْ إِلَيْهِ دَوَاعٍ - مَنْ تَرَشَّعَ بِالْإِسْتِحْقَاقِ لِلرُّتَبِ السَّنِيَّةِ وَتَأَهَّلَ، وَسَبَقَ
الْمَجَارِينَ فِي حَلَبَةِ الْإِحْلَاصِ عَلَى أَنْهُمْ جَهَدُوا وَتَمَهَّلَ، وَاسْتَوْجِبَ آمْتِطَاءَ كَاهِلِ
الرِّيَاسَةِ بِالْفَتَكِ الَّذِي شَبَّ وَالرَّأْيِ الَّذِي تَكَهَّلَ، وَثَبَتَ جَأْشُهُ فِي الْمَقَامَاتِ الَّتِي يُرَاعُ
لَهَا كُلُّ رُوعٍ وَيَذْهَلُ، وَمَنْعَتْ مَهَابَتُهُ الْعَدُوَّ أَنْ يَجْهَلَ عَلَيْهِ وَأَبَتْ لَهُ حَصَافَتُهُ أَنْ
يَجْهَلَ، وَغَرِيثَ هِمَّتِهِ بِالْمَطْلَبِ الْأَصْعَبِ مِنَ الْعَلَاءِ وَأَنْفَتَ مِنَ الْمَطْلَبِ الْأَسْهَلِ؛
وَوَلَّى الْوَلَايَاتِ الْجَلِيلَةَ فَظَلَّتِ الرِّعَايَا تَعْلُ مِنْ مَوَارِدِ عَدْلِهِ وَتَنْهَلُ، وَنَشَأَتْ لَهُمْ
سُحُبُ الرِّكَابِ الَّتِي بَرَّقَهَا يَتَهَلَّلُ وَعَارَضَهَا يَنْهَلُ .

وَلَمَّا كُنْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ النَّاهِضَ بِحَقُوقِ هَذِهِ السَّمَاتِ، الْبَعِيدَ الْقَدْرَ مِنَ الْمُسَاوَاةِ
وَالْمُسَامَاتِ، الْمُنْتَقِلَ فِي دَرَجَاتِ التَّقْدِيمَةِ وَالْكَرَامَاتِ، الْمُنْفَرِجَةَ عَنْ أَنْوَارِ فَتَكَاتِهِ
ظُلُمَاتِ الْمَقَامَاتِ، الْمُعَدَّةَ النِّجْدَةَ لِمَوَاقِفِ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالرَّادِّ عَلَى أَعْقَابِهَا الْأَبْطَالَ
الْمُعْلَمَةَ بِالْفَتَكَاتِ الْمُعْلَمَاتِ، الدَّائِمَ الْغَرَامَ بِمَقَامَاتِ الرِّيَاسَةِ وَإِنْ كَانَتْ عَظِيمَةً الْمُؤْنِ
جَسِيمَةً الْغَرَامَاتِ، الْقَائِمَ بِمَا تُوجِبُهُ عَلَيْهِ صَنَائِعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَقُوقِ الْمُدَافَعَةِ
عَنِ الْحَوَظَةِ وَفُرُوضِ الْمُرَامَاتِ، الْمُنْتَظَاهِرَةَ فِيهِ شَوَاهِدُ الْفَضَائِلِ بِأَصْدَقِ الْأَعْذَارِ

وأوضح العلامات ؛ المشهور المقامات ، إذا جرت من مُتون الصّباح جداول وأهترت
من غُصون الرّماح قامات ؛ الآخذ بالأرصاد على العدا بسُيوف ترقب الرّقاب وتهم
في الهامات ؛ الكافي الذي تنقل في الخدم فكان من الشكر مُثري الأثر ، وأنّ تدب
في المهمات فكان مثاب التّواء مُسفر السّفر ؛ المعروف في تصرّفاته بانتهاز النّجح
وقصر البجح ، والمعول على أن تصفه أفعاله بشرح لصدر الاختيار به شرح ، المعداد
يوم الرّوع من كفاة الخطب وحماة السّرح ، الماضي الحدّ إذا كان السيّف لعدم
الضارب مشتيه الحدّ بالصّفح ؛ وقدم فعل الاستقلال ، وأخر سؤال الاستغلال ،
وأسكنه من المخالصة إلى دار ببلوغ الآمال محال ، وأرتفعت كاهل المجد بسعى
محظورها به استغلال ؛ وسهلت إلى الطاعة كلّ مُعتاص من المطالب ، وغدا
الاستحقاق بمردك نعم الكفيل وبأملك نعم الطالب ، وأشهرت بخلال آقتضت
الرغبة فيما آقتضته إليك من الرغائب ، وعظم النفع بك حتى لا نفع مع غيبتك بحاضر
ولا ضرر مع حضورك بغائب . ومثل بحضرة أمير المؤمنين فتاه ووليّه وأمينه السيّد
الأجل ، الذي سارت أوصافه مسير الشمس وأنارت إنارتها ، وسقت مكارمه سقى
الغيوث وأمارت إمارتها ؛ وسرت خيوله مسرى طيف الخيال وإن كره الأعداء
زيارتها ، وقامت مهابتها مقامها في البلاد وأغارّت على القلوب إغارتها ، ونازع الأقمار
بعلو القدر دارها وما حسبوا الدّست له دارتها ، وأشارت له السعادة العلوية
وأمضى التلطف إشارتها وأحسن به شارتها ؛ وطالع بما أنت عليه من طاعة تبدل
فيها الطّاقة ، وكفاية إذا تعاطاها الوصف المتسع ضيق عنها النطق نطاقة ؛ وعدك
في سرعان الأولياء إذا رتب سواك في الساقه ، وأحتسب بمالك من حسنات نظمها
نظم السّياقه . وبما قرره لك من الخدّمة إلى ولاية كذا - خرج أمر أمير المؤمنين بأن
يوعز إلى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل لك بالخدمة المذكورة ، سكونا إلى

مُناصحتِكَ التي سكنتَ ضميرَكَ، وركبنا إلى مواليتِكَ التي حققتَ أملكَ وتقديرَكَ،
وإيرادًا لك إلى المَوارد التي تُوجبُ تقديمَكَ وتصدِيرَكَ .

فقلِّدْ ما قُلِّدْتَهُ منها بادئًا بتقوى الله التي إن جعلتها جُنتَكَ كانتَ جَنَّتَكَ ، وإن
استشعرتها عُمدَتَكَ أنجزتَ في الدارين من السعادتَيْنِ عِدَّتَكَ ؛ قال الله تعالى في كتابه
المكنون : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ . وقال تعالى :
﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِغْفَارَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . وأبدأ في هذا
الثغر الجليل قدره ، المصايب لما به محلُّ السعد ومقره ، الميسر به لكلِّ عاملٍ
ثوابه وأجره ، المحضوض على رباطه لمن توفَّرَ حظُّه من ذخائرِ الآخرة فأحسن
ذُخْرَهم بعدلِ القضايا ، وصَوْنِ الرعايا ؛ وبثِّ السرايا ، وترويع العدو من جميعِ المطالعِ
والثنايا ، وإهداءِ المنايا إليه في الغدوات والعشايا ، والتطلُّع على ما يُجنُّه من المكايِدِ
والخفَايا ، وكفاية أوساط الصِّفاحِ مصالحةً أطراف الرِّماحِ تحايا ، ولا تخلِّيه أن يُجَهَّزَ
في كلِّ يومٍ إليه رايةٌ أو تُتَفَقَّذَ فيه رايا ، وأن تسترزق الله أمواله مغانِمَ وحريمه
سبايا ، وتُطلَّعَ عليهم في عُقر دارِهِم طوَالِجِ المنايا وقَوَارِعِ الرزايا ؛ حتى لا تلوحَ
فُرْجَةٌ إلا آقَتْحَمَتْها ، ولا تَعِنَ فُرْصَةٌ إلا آغْتَنَمَتْها ؛ وأمددْ على من بهذا الثغر جناحَ
الرعاية والذِّبِّ ، ومهدِّ لهم جانبَ العدلِ ليتبوءوا فيه آمِنِي السَّرِّ والسَّرْبِ ؛ وضنِّهم
صيانةً ترفعَ عنهم عَوَادِي المضارِّ ، وتوطدَ لهم أكثافَ السكونِ والاستقرارِ ؛
واعتَمِدْ من الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر ما يطلقُ فيكَ ألسنةَ المادحين ،
وينظِّمُكَ في سِلَكِ من تحاه الله بقوله : ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وأَقِمِ الحدَّ على مَنْ وجب عليه إقامةٌ لانتعدي فيها الواجب ، ولا تُفارق بها مَنْهج الحقِّ اللَّاحِبِ ، وتَوَخَّ متولَّى الحكم بإعزاز ينقذُ حُكمه ، وإِكرام يُشَدُّ في الحقِّ عَزمه ، ويردُّعُ الظالمَ ويمنعُ ظُلمه ؛ وكذلك المُستخدِمُ في الدعوة الهاديَّة عامله بما يُشَدُّ إزره ، ويشرحُ في دعاء المستجيبين صدره ؛ وبالِغْ في عَضْدِ المُستخدِمين مبالغَةً تُدبِّرُ بها الأموال ، وتُوجدُ بها السبيلَ إلى توفير عطِيَّاتِ الرجال ، وتُوسِّعْ عليهم فيها المجال ؛ وأَمْنَعْ من يتعرَّضُ لكُتُوبِ الضرائب ، والإِخلالِ بإلزام الواجب ؛ وشُرورِ الاقلاب ، وقَصْدِ سرح المال بالتَّبَابِ ؛ وأَقِمِ للسُّور شطراً من آهتَمِك تَعْمُرُ أبراجه وأبدانه ، وتُستخدِمُ حُرَّاسه وأَعوانه ، وترتَّبْ عليه الوَقُودُ في الليالي المُظلمة ، وتُعِجِزْ [عن] مناله المطامعَ الميسورةَ والأيدى المتسَنِّمة ؛ ووَاصِلُ من عمائره مايتلافى الخلل قبل أنفِراجِه ، ويُعيدُ مَبْدَأَ الغارة على أدراجِه ؛ فالقليلُ بالغفلةِ يستدعي كثرةَ الإِهتِامِ ، وربَّما لم تُصب فيه المرمى ولم يَنجَحِ المَرَامُ .

ومرأِكِبُ الأسطول المنصورة فوَهَّأ مَنْ ترتضى نُهوَضَه ، ومن يقومُ بشرائط الجهادِ المفروضة ؛ وإذا آنسَ فرصة لم يعترِضْها التفويت ، وإذا نزل به القِرْنُ ناداه بعَزمِ المُستَمِيت ، وإذا عَمَّرَا المَجمعَ عَرَّضَ جَمْعَه للتشتيت ؛ وأَحْطَ على حواصل هذه المراكِبِ فيها قُوَّةُ الإسلام على عُدُوِّه ، ومددُ استِظْهَارِه وعلُوُّه ؛ وأَقِمِ من الرؤساء من له حِيلَةٌ في الأسفار ، وخِبْرَةٌ بمكايد الغارات والحِصَارِ ، ومُشارَبةٍ يقتدر بها على فتح أبواب المنافع وسدِّ أبواب المضار ؛ ولكَ من البصيرة الجامعة ، والألمعية اللامعة ، ماأنتَ به جَدِيرٌ أن تكونَ لك الذِّكرى نافعَه ؛ فاعلمْ هذا وأَعْمَلْ به ؛ إن شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(مما كان يكتب في الدولة الفاطمية بالديار المصرية

ما كان يكتب عن الوزير)

وقد علمت في الكلام على "المسالك والممالك" أَنَّ الوزير إذ ذاك كان في منزلة
 (١) السلطان الآن، وكان الشأن فيما يكتب فيه أن يفتَح بما يفتح به المذهب الثالث
 مما كان يكتب عن الخليفة . وهو أن يفتَح ما يكتب بلفظ : « إِنَّ أُولَى »
 أو « إِنَّ أَحَقَّ » أو « إِنَّ أَجْدَرَ » أو « إِنَّ أَقْمَنَ » أو « من حُسْنَتْ طَرِيقَتُهُ »
 أو « مَنْ كَانَ مَتَّصِفًا بِكَذَا كَانَ خَلِيقًا بِكَذَا » و « بَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ » أو « لَمَّا كُنْتُ »
 على نحو ما تقدّم .

ثم ما يكتب عن الوزير : تارة يكتب بأمر الخليفة ، وتارة يصدر عن الوزير
 استِقلالًا ، فيبينه الكاتب في كتابته . وهي : إما لصاحب سيف ، أو قلم .
 فمن المكتتب عن الوزير في الدولة الفاطمية لأصحاب السُّيُوف نسخة سجل
 بولاية الاسكندرية من إنشاء القاضي الفاضل رحمه الله ، وهي :

مَنْ عُدَّ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْأَمَائِلِ ، وَوُجِدَ عِنْدَ الْإِتْقَادِ قَلِيلَ الْأَمَائِلِ ؛ وَتَوَسَّلَ بِالْحَسَنَاتِ
 الَّتِي يُقْبَلُ عِنْدَهُ مِنْهَا تَشْفِيعُ الْوَسَائِلِ ، وَتُقْبَلُ السَّفَارَةُ لَهُ الشَّامِلَةُ الْإِسْتِحْقَاقِ الَّذِي
 يُغْنِي عَنِ الْمَسَائِلِ ؛ وَلَطُفَ فِكْرُهُ لِإِقْتِنَاءِ الشِّيمِ الْمَوْجِبَةِ لِرُقْيَاءِ الدَّرَجَاتِ الْخَلَائِلِ ،
 وَأَلْقَتْ الرُّتَبُ قِنَاعَهَا لَهُ عِنْدَ الْكُفِّ الَّذِي يُقَدِّمُ لَهَا أَفْضَلَ مُهُوَرِ الْخَلَائِلِ ،
 وَأَسْفَرَتْ مُوَافِقُ الْغَنَاءِ مِنْهُ عَنِ الْهَزَبِ الشَّهْمِ وَاللُّوْذِيِّ الْخَلَّاحِ ، وَأَفْرَجَ لَهُ الْكُفَّاءُ

عن صدور المنازل الرفيعة فلم يكن بينه وبينها حائل ، وأستقلَّ عظيم ما يقوِّض إليه فلم تحل الأقدام ما هو حامل ، وأتسع مجال كفايته في كلِّ أمرٍ يضيق بالمباشر ضيق كفة الحابل ، وتتبع آثار الخلل بعزماته تتبع الغيث آثار الديار الموائل - كانت الولايات الجليات له من المعدِّ المدخر ، وقربت عليه منازل الآثار التي يتجمل بها ويفتخر .

ولما كان الأمير جامعاً لما أفيض فيه من هذه الصفه ، وموصوفاً بها من كلِّ لسانٍ صادقٍ ونيةٍ منصِّفه ، جاريةً على غيره مجرى النكرة ومستندةً إليه استناد المعرفة ، مشتملاً على خلال كغرائب المكارم مستوفيةً مثالبه ، كليفاً بالشيم الحميدة إذا أفصححت بها الشيم المتكلفة ، فمننا أن يوقَّ فيقرض سعيه إذا أقرضت المساعي المتسلِّفه ، نهاضاً بالمصاعب عند ما تختلف في إعطائها العزائم المتخلِّفه ، آوياً من رجاوته إلى المعقل الحريز والحصن الحصين ، حاوياً لفضائل حسنة منها الفتك الجري والرائي الرصين ، مقدماً على الأحوال إذا تغلَّقت وجوهاً غبرا ، مُصرّاً على الخطرات حتى يظنه الغمر غمراً ، مصاحفاً للرماح ، إذا بدت أنامل الأسنة ، مباشراً للصفاح ، إذا دُعرت لها النفس المطمئنه ، جديراً أن يرُدَّ الخيل المغيرة تدمي نحورها ، وتمدحك وتدمها الجراح التي أشتملت عليها ظهورها ، وسمّاً للأعداء سيوفك فعندك غمودها وفيهم صدورُها - رأينا بما آتاه الله من رأى لا يستأنحُر أن يستخير ، ونظيرٍ يستمر أن يمتاح من موارد الرِّشاد ويستنير ، ما خرج به أمرنا من ولايتك لثغر الإسكندرية بعد أن طالعنا مولانا صلوات الله عليه بما رأينا ، وأسترشدنا بيمانٍ إمضائه مأمضينا ، وفروضناه فيما فوضناه إليك وأفضينا ، وقضينا حق الخدمة فيما استمطرنا من صوب وأقتضينا ، إذ كان الله قد خصَّ خلاله بمواتاة الأقدار ، ووقف الميامن على ما يُمضيه ويوقفه من أعنة الإيراد والإصدار ، وجعل الحيرة فيما

يختار، والحق دأراً حيث دار، وأخلص للأولياء المستشعرين بولائه بخالصة ذكرى الدار، وجعل رأيه قطباً في سماء الخلافة عليه في مصالح خلق الله المدار، فصَحَّح ماعرضناه على مقام خلافته وصوبه، وناجته بديهة الإلهام بما أعتته عمّا صعد فيه المستشير وصوبه، وخرج الينا بأن يمضى لك هذا الأمر، ويُفَوَّض إليك هذا الثغر.

فلتقابل هذه النعمة بشكرٍ يوجب استيفاء باقيها، وأعدادٍ يمهّد درجاتٍ مراقبها، متنجّزا وعد الله لمستوفيه بإيلاء المزيد، الجدير بحالته من حالة التقليد إلى حالة التخليد، جاعلاً تقوى الله حجتَه فيما يقطعُه ويصلُه، وعمدته فيما يمنعه ويبدله. قال الله سبحانه في كتابه الذى فضله على كل كتاب: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾. ولا تجعل في حُكْمك بين الخُصماء فرقا وإن عدل أحدهما، وليكن على الحق الذى لا مفاضلة فيه مقعدهما عندك وموردُهما، وأنتصف للظلم من الظالم، وأعمل في ذلك عمل من لا تأخذه في الله لومةُ لائم، وأقيم الحدود متحرّياً، وأمضها إمضاء من لا يزال بعين طاعة الله متَحلياً، ونفّذها غير مكثّر ولا مقلّ، فإن المكثّر متعدّ والمقلّ محلّ.

وقد علمت ما للقاضى من التّقدمة الشهيرة، والرّتبة الأثيرة، والمساعى التى هى بالسنة الحمد مأثور، والأقوال التى هى فى صحائف حُسن الذكر مسطوره، والحُرّمات التى شهدت بها الأيام والليالى، والموات التى أنتظمت فى سلوك التصرفات أنظام الآلى، والصّصفات التى زهت بها أجياد المحامد الحوالى، وله الخبرة بقوانين هذا الثغر وأحكامه، والعادة التى لا خلاف أنها لمصالح ما يأسره وإحكامه، وأنت مقدّم أرباب السيوف فى الثغر وهو مقدّم أرباب أقلامه، فأعريف له منزله

فِي الْحَدَمِ الْمَنُوطَةِ بِكَفَّالَتِهِ ، وَالْأُمُورِ الْمَحُوطَةِ بِإِيَالَتِهِ ؛ وَوَقَّهَ مِنْ أَثَرِ الْإِكْبَارِ حَقَّهُ ،
وَيَسَّرَ فِيمَا آسَدَتْ عَلَيْهِ مِنْ مَّعُونَتِكَ طُرُقَهُ ؛ وَأَعِنِ الدَّاعِيَ عَلَى مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنَ الْإِرْشَادِ ،
وَقُمْ فِي إِعْلَاءِ مَنَارِهِ قِيَامَ الْمُغْرَمِ الشَّادِ .

وَالْأَمْوَالُ أَوْلَى مَا صَرَفْتَ إِلَيْهَا هَمَّكَ ، وَوَقَّعْتَ عَلَيْهَا عَزَمَكَ ؛ فَاسْتَنْهْضِ
الْمُسْتَخْدِمِينَ فِيمَا يُسْتَادَى ، وَلَا تَمَكَّنْهُمْ أَنْ يُحْدِثُوا رُشْمًا وَلَا يُسْقِطُوا مُعْتَادًا ؛ وَلَا بَدْ
مِنَ الْمَقَامِ بِظَاهِرِ الْبَحْرِ مَدَّةَ أَنْفِتَاحِهِ ، وَتَفْقُدَ الْأَسْطُولَ الْمَقِيمَ بِالْمِينَاءِ تَفْقُدًا يَسْتَوْعِبُ
أَسْبَابَ إِصْلَاحِهِ ؛ وَأُذْكَ الْعُيُونِ عَلَى سَوَاحِلِهِ فَلَمْ يَحُلْ أَمْرُ الْعَدُوِّ مِنْ طَارِقٍ لَيْلٍ
وَخَاطِفٍ نَهَارٍ ، وَذُدَّهُمْ عَنْ بَغَاتٍ هُجُومِهِمْ بِمَا يَبْلُغُهُمْ عَنْكَ مِنْ دَوَامِ التَّقِيطِ
وَالْإِسْتِظْهَارِ ؛ وَاسْتَنْهْضِ الرِّجَالَ فِي نَوَائِبِ الْحَدَمِ وَحَوَادِثِهَا ، وَصَرِّفْهُمْ عَلَى مَوْجِبَاتِ
الْمُتَجَدِّدَاتِ وَبَوَاعِثِهَا .

وَهَذَا الشُّعْرُ فِيهِ مِنْ أَرْبَابِ الزُّوَايَا الْعَاكِفِينَ عَلَى الْعِبَادَاتِ ، وَالْعُلَمَاءِ الدَّاعِينَ
النَّاسَ إِلَى الْإِفَادَاتِ ، مِنْ لَا يُدْنَحَرُ الْإِكْرَامُ إِلَّا لِأَنْ يُوْدَى إِلَى اسْتِحْقَاقِهِمْ ، وَلَا يُصَانُ
الْمَالُ إِلَّا لِأَنْ يُبْدَلَ لِاسْتِحْقَاقِهِمْ ؛ فَأَوْصِلْ إِلَيْهِمْ مَا هُوَ مَقَرَّرٌ لَهُمْ لِإِصْلَاحِ هِنِيَاءِ ،
وَأَعْفِهِمْ مِنْ مَثُونَةِ الْهَزِّ وَسَاقِطِ عَلَيْهِمْ رُطْبًا جَنِيًّا ؛ وَاسْتَنْهْضِ لَنَا دَعَوَاتِهِمْ فَإِنَّهَا أَسْهُمُ
الْأَسْبَحَارِ ، وَاسْتَخْلَصْ لَنَا نِيَّاتِهِمْ فَهُمْ لَنَا جُنْدُ اللَّيْلِ وَغَيْرُهُمْ لَنَا جُنْدُ النَّهَارِ ؛ وَالسَّلَامُ .



وَمِنْ ذَلِكَ نَسْخَةُ سَجَلٍ بِحِمَايَةِ الرَّبَّاعِ ، وَهِيَ :

مَنْ كَانَ فِيمَا يَتَوَلَّاهُ مَشْكُورَ السَّعْيِ مَحْمُودَ الْأَثَرِ ؛ مُسْتَعْمِلًا مِنَ النَّصِيحِ وَبَدِّلَ الْجُهْدِ
مَا يَزِيدُ الْخُبْرَ فِيهِ عَلَى طَيْبِ الْخَبَرِ ؛ مُعْتَمِدًا مَا يَدُلُّ عَلَى دَرَايَةِ وَخُبْرَةٍ وَدُرْبَةٍ ، مُتَوَخِّيًا

(١) لعله لاستيحايمهم .

ما يجعل الحدم إذا ما ردت إليه لم تحل في دار غربه - استحق أن يورى زنده،
ويُرهف حده، وتقوى منته، وتُشحد قريحته .

ولما كنت أيها الأمير من عرف نفاذه وأُنعدت خلاله، وشكرت طرائقه
وآرئيت أفعاله؛ وظهر فيما يباشره غناؤه وأستقلاله؛ وجمع إلى الكفاية نزاهه،
وإلى الأمانة نباهه؛ وإلى اليقظة عفافا وسدادا، وإلى النهضة حرّامة لا يجد الطالب
عليها مسترادا - تقدم قى مولانا وسيدنا باستخدامك في حاية الرباع السلطانية بالمعزية
القاهرة المحروسة : سكونا إلى جدك وتشميرك، وتعوّلا على تأتيك وتذيرك؛
فاستخير الله وباشر ما ردت إليك من هذه الحماية بعزم لا يمازجه فتور، وحرّم لا يصاحبه
قصور؛ وأكشف أحوال هذه الرباع كشفا يُعرف به حالها، ويُعلم منه استقامتها
وأختلاها؛ وأنصب لاستخراج ما لها من الشكّان، وأستعمل في أسيديته غاية
الاستطاعة والإمكان .

وملاك الأمر فيها أن نتعهدا بالطواف فيها، وأن تحافظ على حراسة غيرها،
وتناول أجريها؛ ورمّ مالعه يستتر منها ويتشعث، والعكوف على ذلك بحيث لا يتوقف
فيه أمر ولا يترتب؛ وحل مال ارتفاعها إلى بيت المال المعمور بعد ما يُصرف
في مصالحها، ويُطلق فيما يثبت به عليها؛ ولك من الأمير من يُعينك ويُجيدك،
ويُلبّي دعوتك ويعضدك؛ ويظايرك على انتظام شئونك ومقصدك : من الاشتمال
بما يزيد على تأمليك؛ فأجعل عليه اعتمادك، وبه في الحل والعقد استرشادك؛ فاعلم
هذا وأعمل به؛ إن شاء الله تعالى .



ومن الوظائف المكتتة عن الوزير لأرباب الوظائف الدينية نسخة سجل بالحكم بقوص ومشاركة أعمال الصعيد، وهي :

من تقدمت لأسلافه خدام ومناجات، وكانوا مشهورين بأن طرائقهم في السداد مستقيمت واضحات، وعرف جميعهم بالصيانة والديانة، والثقة والأمانة، والمحافظه على ما يحفظهم عند ولي نعمتهم، والعمل بما يقضى بطيب ذكركم وحسن سمعتهم، كان ذلك ذريعة له ووسيله، وماتة ينال بها المواهب الجزيله .

ولما كنت أيها القاضي على القضية المرضية من ولاء الدولة وطاعتها، والحرص على الإخلاص لها ومشايعتها، والتحلى بالعلم والتميز في أربابه، والتعلق بفعل الخير والتمسك بأسبابه، والعمل بما ينفعك في عاجلتك وآجلتك، والاجتهاد فيما يبعث على وفور حظك من الإنعام وزياتك، وكانت لك دربة فيما تُعانيه ودرايه، وصولة في حُسن التأتى إلى أمد بعيد وغايه، وقد تقدمت لأخيك القاضي الرشيد - رحمه الله - خدمة أبانت عن حرصه ومناجاته، وأعربت عن وفور نصيبه من النهى ورجاحته، فأدئ ذلك إلى بلوغه من رتب أمثاله أقصاها، وإلى أن استقرت خدمه عليه وألقت عنده عصاها، وهذه نصيبك إذا أقتفيتا فقد عرفت مفضاها، وإذا عكفت عليها نالك من الإحسان على حسنها ومقتضاها - تقدم قى مولانا وسيدنا باستخدامك في النيابة في الحكم بمدينة قوص والمشاركة بأعمال الصعيد الأعلى : تنويعا بك وتكريما لك، وتمهيدا لمكان الإصطناع الذى رتبك فيه وأحللك، فأعرف قدر هذه النعمه، وقابلها ببذل الطاقة فى النصيح فى الخدمة، وبالغ فى الشكر الذى يثبتها عندك ويديمها لك، وأحرص على القيام بحققها حرصا تبدبه

نظراءك وأمثالك ؛ وأعمل في ذلك بما تضمنه التقليد المكتتب لك من مجلس
القاضي الأعز الماجد أدام الله تمكينه ، وما أودعه من وصايا مُرشده ، وهدايات
إلى الصواب مُقرّبة وعن الخطأ مُباعدة ؛ وأفعل في أمر المشارفة ما آثمت
عليه التذكرة المعمولة من الديوان فإنه يُوضّح لك منهج الصّلاح ، ويأتيك منه
بما يزيد على البغية والاقتراح ؛ وانتصب للعمارة والاستثمار من الزراعة بالمعدلة
على المعاملين ، والاستخراج لحقوق بيت المال على أحسن القوانين ؛ وواصل
من الجُمول ، ما يكون محققاً للظنون فيك والمأمول ؛ فأعلم هذا وأعمل به ،
إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة سجل بالنيابة في الحكم والأجاس والحوالى بتغرديمياط ، وهي :
أحق من كانت المواهب عنده مُحلّده ، والمنائح إليه متواصلة متجدّده ؛
والعوارف تفد عليه فتخيم في مَنّاه وتقيم ، والفواضل تأتي نحوه فتستقر في مثواه
ولا تريم ؛ والنعم الشتى لا تشكو في مواطنه آستيحاشا ولا أغترابا ، والمِنَّ إذا حُبِ
بها كان نيلُه لها استحقاقاً منه لها وآستيجابا - من كُرمَت أعرافُه ومَحَاتِدُه ، وشُهرت
أوصافُه ومحامدُه ؛ وصفت في المُخالصة مصادِرُه ومواردُه ، وكثرت في تقرّيطه
غرائبُ النّاء وشواردُه ؛ وشيّد منار أسلافه بالتخلّق بخلائقهم ، وأبقى الحديث عنهم
باتهاج سُبُلهم وطرائقهم ؛ وأحسن رَّهم ، في الاقتفاء لأثرهم والاقتداء بهديهم ،
وإحياء ذكرهم ، بالعمل بما كانوا عليه في عودهم وبديهم .

ولما كنت أيها القاضي لهذه الخلال جامعا ، وإلى المرآشد مُصغيا سامعا ،
ولُبُّوغ ماناله أسلافك بالمناصحات راجيا طامعا ؛ ولك فيما يُسند إليك نظرٌ يدل

على صواب آرائك ؛ وفيما يُردُّ إلى توليك كفاية تميزك على نظرائك ؛ ولما نُدبت
للأحكام الشرعية ، أبنت عن الديانة والألمعية ؛ وحين باشرت الأعمال الديوانية ،
نصحت وأجتهدت وأخلصت النية ؛ والذي بيدك يتمسك بك ، ويتعلق بسبك ؛
لأنك لما استكفيت نهضت وأحسنيت ، فلذلك يأبى أن يكلفه غيرك وأن
لا يتكلفه إلا أنت - تقدم فتى مولانا وسيدنا بكتب هذا المنشور بتجديد نظرك فيما
هو بيدك من النيابة في الحكم العزيز بشغردمياط - حماء الله تعالى - والمشاركة على
الأعباس به ، وعلى مستخرج الجوالى فيه ، تقوية لعزمك ، وإمضاء لحكمك ،
وشدًا لأزرك ، وتأكيذاً لأمرك ، وإنفاذاً لقولك ، وبسطة ليدك ، وإيضاحاً
لميزتك ، وإظهاراً لتكريمك ، وإبانة عن حسن النية وإعراباً عن جميل الرأي فيك ؛
فاجر على رسمك وعادتك ، وأستغني بما أودعته تقاليدك من الوصايا ، وأستمر على
نهجك الذى أفضى بك إلى أحمد الأفعال وأجل القضايا ؛ وأرتبط النعمة عندك
بتأديك على عادتك ، وتوسل بمشكور السعى إلى نمو حظك وفور زيادتك ؛ فاعلم
هذا وأعمل به ، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة سجل بالحكم بالأعمال الغربية ، وهى :

من كان بالعلوم الدينية قُوماً ، وفى الأمور الشرعية ممن يشار إليه ويؤمى ، وظلَّ
من يُجارى به من طبقته قليلاً إذا لم يكن معدوماً ؛ وعلم نفاذه الذى سَلِمَ من المناقضة
فيه والاختلاف ، وعُرف آعماده الواجب من غير ميل عنه ولا انحراف ؛ وكان
لشمل الديانة والأمانة مؤلفاً جامعاً ، وغداً الوصفُ بجميل الحلال وحميد الأفعال
عنه مسموعاً ذائعاً ؛ وآثاره فى كل ما يتولاه مُدأحه وحُطباؤه ، وسفراؤه فى الرتب

الجليلة نزاهته وظلّف نفسه وإباؤه - صارت الأحكام بنظره مزهّوة، وأضحت الحِدم الخطيرة تتوّقع بإسنادها إليه استظهاراً وقوّه ؛ فهي تشوّف إلى أن يُوليها حظّاً من محاسنه يُكسبها نَصرة وبهاء ، وتتصدى من نظره فيها لما يضمن لها إدراكاً للإرادة وبلوغاً إليها وأنهاء .

ولما كنت أيّها القاضى حائزاً لهذه الصّفات ، محيطاً بما أشتملت عليه من الأدوات ؛ سالكاً أعدل طريق في الأمور إذا أشكلت ، عاملاً بقضايا الواجب إذا اعتمدت الإقبال عليك وأتكلت ؛ ولك الخدمة السنية ، التي لا تطمح إليها كل أمّنيّة ، والرتب الرفيعة التي لا ينالها إلّا مَنْ كان عمله موافقاً لصديق النية ؛ وكلّ ما تباشره يغتبط بك ويأبى على فراقك ، وكلّ ما حُظر على غيرك مباح لك لا يستجيبك له وأستحقاقك ؛ فمن العدل أن تكون كفايتك على الأعمال مقسّمة ، وأن تكون آثارك في كل ما تُعانيه من أمور المملكة علامة لك عليها وسمّه ؛ وكانت الخدمة في الحكم بالغبية من التصرفات الوافية المقدار ، السامية الأخطار ؛ التي لا يسمو كلّ أمل إليها ، ولا يحدث كلّ أحد نفسه بتوليّها ؛ وقد أشتهرت خبرتك بالأحكام ، وحفظك فيها للنظام ؛ وبثّك للقصص المشكّكة ، ورفعك للنوب المعضلة - فرأينا استخدامك نائباً عن القاضى الأعزّ الماجد في الصّلاة والخطابة والقضاء بالأعمال الغريبة المقدم ذكرها : إذ كنت تعدل في أحكامك ، ولا تخرج عن قضايا الصواب في نقضك وإبرامك ؛ ولا تُحايي في الحقّ ذا منزله ، ولا تنفك معتمداً ما يقضى لك بالميزّة المتأكّدة والرتبة المتأثّله ؛ وأمرنا بكتب هذا المسطور شداً لأزرك ، وتشييداً لأمرك ؛ وإبراءً لزندك وتقويةً لعزمك ؛ وضمننا ما تقدّم ذكره من وصفك وشكرك ، وتقريظك وإجمال ذكرك ؛ والثناء على علمك ، والإبانة عن قضيتك في قضائك وحُكّك .

فاعمل بما اشتمل عليه التقليد المكتتب لك من مجلس الحكم العزيز وأنته إلى ما أودع من فصوله ، وكن عاملاً بمضمونه متبعا لدليله ، والله يوفقك ويرشدك ، ويعينك ويسدّدك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة سجل بالحكم والمشارفة بغير عسقلان من سواحل الشام ، وهى :

الذى منحنا الله من المفاز الدالة على محلنا عنده ، والمآثر التى أوصلنا بها من الشرف إلى أمد لا غاية بعده ، والقضايا العادلة التى أبانت عما أجراه الله لنا من اللطائف ، والسياسة الفاضلة التى تشهد لنا ببياض الصحائف ، قد ضاعف حظنا من التأييد فيما نراه ونمضيه ، وضمن لنا الهداية فى حق الله تعالى إلى ما يرضيه ؛ وأجزل قسطنا من التوفيق فى اجتناء من نجتيه ، وجبب لنا إسناء المواهب لمن كان قليل النظير والشبيه ؛ ووقف آهتما منا على التنبيه (؟) على كل مشكور المساعى ، وصرف اعتزامنا إلى التفقّد للقاصد التى هى على الإصطفاء من أقوى الدواعى ؛ ووفر ألتفاتنا إلى تأمل الإخلاص الذى صفت موارده ، وصحّت سرائره ، وأحكمت معاقده ، وأحصدت مرائره ؛ وتوكل لصاحبه فى بلوغ المطالب البعيدة المطارح ، وتبتّل لمن وفق له فى سُبُوغ العوارف المُنخَصبة المسارح ؛ وجعلنا لا نفعل عمن بذل فى الطاعة مُهجته ، وأظهر بدوّه وانتصابه دليله على الولاء المحض ومُجته ؛ وأبان عن تقواه وحسن إيمانه ، وتقرب باستقراغ وسعه إلى الله تعالى وإلى سلطانه ؛ وعمل فيما أوثمن عليه ما استوجب به جزيل الأجر ، وكان له من رأيه فى أعداء المِلّة ما يقوم مقام العسكر الجَرّ ؛ وعلم أنّ تجارتَه فى الخالصة نافقة مُريجه ، وأن مراميه فى المناصحة صائبة مُنجحه ؛ وتيقن أنابحمد الله لأُحْيِب أملا ، ولأنُضِيع أجر من أحسن عملا .

ولما كنت أيها القاضي المكين المرتضى نقّة الإمام جلال الملك وعماده
 ذو المعالي صفى أمير المؤمنين، مستولياً على هذه الخلال، التي تكفلت لك بإعلاء
 القدر، ومحتوياً على هذه الخصال، التي رتبتك على نظرائك في الصدر؛ ولك من
 الحرمات سواي لا يطمع فيها بلحافك، ومن الموات شوافع تجعل جسام النعم وقفا
 لاستحقاقك؛ وقد عرفت بالحد والتشهير، واشتهرت بصادق العزم وصائب
 التدبير؛ وجعلت مؤهلاً لكل أمر خطير ومهم كبير، واستقرّ أنك إذا استكفيت
 جسيماً فقد وكلّ منك إلى الأمين الخبير : لأنّ لك الرياسة التي لا تُجارى فيها
 ولا تُبارى، والكفاية التي لا يُختلف فيها ولا يُتمارى، والفضائل التي تشهد بها
 أعداؤك وحسادك اضطراباً، وما زالت أفعالك في كل ماثولاه من الخدم الحليّة
 دالة على كرم طباعك، وآثارك معربة عن سعة ذرّك في الخير وامتداد باعك،
 وأخبارك ناطقة بإثباتك عن الباطل واقتفائك للحقّ وآتباعك؛ ولما نظرت في القضاء
 تهلّل بنظرك وجه الشرع، وأبنت عن اضطلاعك من علمه بالأصل والفرع؛
 وعدلت في أحكامك، ولم تعدل عن الواجب في نقضك وإبرامك؛ وفعلت ما أقر
 عين الله، وأربيت على من تقدّمك من القضاة الحلة، واعتمدت من الإنصاف
 ما بردت به الغلة وأزحت به كلّ علة؛ ووقيت هذه الخدمة جميع شروطها،
 وفسّخت في توليك أمانى المظلومين بعد ضيقها وقنوطها؛ وقت في ذلك المقام الذى
 يقضى بنبوت النعمة عندك وخلودها، وبالغت في ارتباطها بالشكر لعلمك أن شرودها
 بكونودها . فاما الإشراف فإنك أتيت فيه مادّل على حسن المعرفه، واستقبلت
 في وجهه كل صفه؛ وأوضح أنّ كلّ من باشره لم يبلغ مدّك، ولا جرى مجراك؛
 ولا وصل إلى غايك، بل ما طمع بمدانك ولا مقاربتك؛ وكلّ ماعدق بكفايتك فقد
 أتيت بحمد الله فيه على الأغراض، لاجرم أنه مستدعج لزيادتك ومطالب ومتقاض؛

فحينَ اجتمعتْ لك هذه الأسبابُ استوجبتَ من إنعامنا ما يتزّه كرمنا عن تعويقه ،
ومن جزيل إحساننا ما يكون تعجيله حقاً من حقوقه ؛ فشرّفناك بتجديد ما هو بيدك
من الحكم العزيز والمشارفة بنغر عسقلان حماه الله تعالى ، وجعلنا النيابة في الحكم عنا
تنوياً بك ورفعاً لشانك ، وتبييناً لموضعك عندنا ومكين مَكَانِكَ .

فأعمل بتقوى الله التي أمر بها في كتابه الذي به يهتدى المؤمنون فقال عزّ من
قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . وأجر على عادتك فيما حسن أثرك ، وأطاب خبرك ؛ معتمداً
على ماتصمّمته عهدك ، وأشتملت عليه تقاليدك : من المساواة بين القوى والضعيف
في الحق ، وإجراء الشريف والمشروف في المحاكمة مجرى واحداً من غير فرق ؛
والنظر فيمن قبلك من الشهود ، وحملهم على القانون المألوف المعهود : من إقرار
من ترتضيه ، والمطالبة بحال من تأباه لما توجبه طريقته وتقضيه ؛ والمحافظة
على أن لا يتعلّق بشيء من أمور الحكم إلا من أحمده فعله ، وحصل له من التركية
ما يزكّي به مثله ؛ إلى غير ذلك مما أودع فيها ، وأحاطت بها الوصايا التي لم يزل
يستوعبها ويستوفيها .

وأستقيم على سبيلك في ضبط المال وحفظه وصونه ، وأستعين على بلوغ المراد
في ذلك بتأييد الله وتوفيقه وعونه ؛ وتماد على سنتك في النظر في أحوال الثغر
المحروس والانتصاب لمصالحه ، والتوفّر على منافع ، والاجتهاد في الجهاد بآرائك ،
والاستمرار في ذلك على سيد أئمتك ، والله وليّ عونك وإرشادك ، والمأثّن بتبليغك
فيما أنت فيه أقصى مرادك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة سجل بتدريس ، وهى :

أمير المؤمنين لما مَنَحَهُ الله من الخِصَائِصِ التى جعلتهُ لدينه حَافِظًا ، ولمصالح أمور المسلمين مُلَاحِظًا ؛ وَلَمَّا عَادَ بِسُؤَالِ المنافع لهم مَوَاتِرًا ، وبما أَحْظَاهُمْ عنده تبارك وتعالى مُعِينًا وعليه مُتَابِرًا ؛ لا يَزَالُ يُؤَلِّمُهُم إِحْسَانًا وَفَضْلًا وَمَنًّا ، وَيُسَبِّحُ عَلَيْهِم إِنْعَامًا لم يَزَلْ تَسْمَعُ (؟) هَمَمُهُم إِلَى أَنْ نُنْتَهَى ؛ وقد يَسِّرَ اللهُ تَعَالَى خِلَافَتَهُ وَدَوْلَتَهُ ، وَوَهَبَ لِإِمَامَتِهِ وَمَمْلَكَتِهِ ؛ من السيد الأجل الأفاضل ، أَكْرَمَ وَلِيٍّ ضَاعَفَ تَقْوَاهُ وَإِيمَانَهُ ، وَأَكْمَلَ صِفَى وَقَفَ أَهْتَامُهُ وَاعْتَرَاهُ عَلَى مَا يُرِضِيهِ سَبْحَانَهُ ؛ وَأَعَدَّ وَزِيرَ لم يَرْضَ فى تَدْيِيرِ الكَافَّةِ بِدُونِ الرِّبَّةِ الْعُلْيَا ، وَأَفْضَلَ ظَهِيرِ آتَبَغِي فِيمَا آتَاهُ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَمْ يَنْسَ نَصِيْبَهُ مِنَ الدُّنْيَا ؛ فَهُوَ يُظَافِرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا عَمَّ صَلَاحُهُ عُمُومَ الْهَوَاءِ ، وَيَفَاوِضُ حَضْرَتَهُ فِيمَا يَسْتَخْلَصُ الضَّائِرَ بِمَا يَرْفَعُ فِيهِ مِنْ صَالِحِ الدَّعَاءِ .

وَلَمَّا آتَتْهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِيزَةُ نَعْرِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ - حَمَاهُ اللهُ تَعَالَى - عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الثُّغُورِ ، فَإِنَّهُ خَلِيقٌ بَعْنَايَةٍ تَامَةٍ لَا تَزَالُ تُنْجِدُ عَنْده وَتُغَوِّرُ : لِأَنَّهُ مِنْ أَوْفَى الْحُصُونِ وَالْمَعَاوِلِ ، وَالْحَدِيثُ عَنْ فَضْلِهِ وَخَطِيرِ مَحَلِّهِ لَا تَهْمَةُ فِيهِ لِلرَّأْيِ وَالنَّاقِلِ ؛ وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْفَقْهَاءِ ، وَالْمُرَابِطِينَ وَالصُّلَحَاءِ ؛ وَأَنْ طَالَبِى الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ وَمَنْ الْوَارِدِينَ إِلَيْهِ ، وَالطَّارِئِينَ عَلَيْهِ ، مَتَشَتَّتُوا الشَّمْلَ ، مَتَفَرَّقُوا الْجَمْعَ - أَبَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا حَائِرِينَ مَتَلَدِّينَ ، وَلَمْ يَرْضَ لَهُمْ أَنْ يَتَّقُوا مَذْبَذِينَ مَتَبَدِّدِينَ ؛ وَخَرَجَتْ أَمْرُهُ بِإِنْشَاءِ الْمَدْرَسَةِ الْحَافِظِيَّةِ بِهَذَا الثَّغْرِ الْمَحْرُوسِ بِشَارِعِ الْحَجَّةِ مَنَّا عَلَيْهِمْ وَإِنْعَامًا ؛ وَمَسْتَقَرًّا لَهُمْ وَمُقَامًا ؛ وَمَتَوًى لَجَمِيعِهِمْ وَوَطَنًا ، وَمَحَلًّا لِكَافَتِهِمْ وَسَكَنًا ؛ فَجَدَّدَ السَّيِّدُ الْأَجَلَ الْأَفْضَلَ أَدَامَ اللهُ قُدْرَتَهُ الرَّغْبَةَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِى أَنْ يَكُونَ مَا يَنْصَرِفُ إِلَى مُثُونَةِ

كل منهم والقيام بأوده، وإعانتِه على ما هو بسبيله وبصدده: من عينٍ وغلة، مطلقاً من ديوانه، وأستفدَ أمير المؤمنين المثوبةَ في ذلك فأجابه جرياً على عادة إحسانه؛ وأستقرتْ التقدمةُ في هذه المدرسة لك أيها الفقيه الرشيد جمال الفقهاء أبوالطاهر: لنفذك وأطلاعك، وقوتك في الفقه وأستضلاعك؛ ولأنك الصدرُ في علوم الشريعة، والحالُ منها في المنزلة الرفيعة؛ والمشتغلُ الذي أجمع له الأصول والقُرُوع، ومن إذا أختلِف في المسائل والنوازل كان إليه فيها الرجوع؛ هذا مع ما أنت عليه من الورع والتقوى، وأن مجاريك لا يكون إلا ناكصاً على عقبه مُحققاً؛ وأمر أمير المؤمنين أن تدرس علوم الشريعة للراغبين، وتعلم ما علمك الله إياه لمن يريد ذلك من المؤثرين والطالبين؛ ونرج أمره بكتب هذا المنشور بذلك شداً لأزرك، وتقويةً لأمرك ورفعاً لذكرك.

فأخلص في طاعة الله سراً وجهراً، فإنه تعالى يقول في كتابه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ . وأعتمد توزيع المطلق عليهم، وتقسيمه فيهم على حسب ما يؤدى اجتهدك إليه، ويوفِّقك نظرك عليه؛ وقرب من آرْتضيتَ طريقته، وأبعد من أنكرتَ قضيته؛ فقد وكل ذلك إليك، وعُدق بك من غير اعتراض فيه عليك؛ فمن قرأه أو قرئ عليه من الأمير المظفر والقاضى المكين - أدام الله تأييدهما - وكافة الحماة والمتصرفين، والعمال والمستخدمين؛ فليعتمد رعاية المدرسة المذكورة ومن آحتوت عليه من الطلبة وإعزازهم، والاشتمال عليهم، والاهتمام بمصالحهم، والتوخي على منافعهم؛ وليتل هذا المنشور على الكافة بالمسجد الجامع، وليُخلد بهذه المدرسة حجة بما تضمنته، إن شاء الله عز وجل.



ومن ذلك سجل بولاية الحسبة من إنشاء القاضي الفاضل ، وهى :

من شكرت خلائقه ، وتهذبت طرائقه ، وأمنت فيما يتولاه بوائقه ؛ ونيطت
بعرى الصواب علائقه ، وفرجت بسداده مسالك الإشكال ومضايقه ؛ وأستحوى
من الأمانة قريباً فى التصرفات يرأفقه ولا يفارقه ، ونهض إلى الاستحقاق ولم تَعُقه
دونه عوائقه ، وأثنى عليه لسان الاختبار وهو صحيح القول صادقُه - استوجب أن
يُخصَّ من كل قول بأجمله ، وأن يُعانَ على نيل رجائه وبلوغ أمله ؛ وأن يُقَدَّح
زند نيتِه ليرى نور عمله ، ويُيسَّر إلى النجاح متوَعِّرات طُرُقه ومشكلات سُبُلِه ؛
وأن يقابل جريانه فى الولاية قبَلَه فيظهر عليه أثر الإحسان فيكون الشكر من قبل
الإحسان لامن قبَلَه ؛ ويُورَد من موارد النجاح ما يتكفَّل له بالرى من غُلله ، ويُوسَم
من مياسيم الأصطناع ما يكون حلية أوصاله ويُشفِّع سداد خِلاله فى سدَّ خَلَلِه .

ولما كنت أيها الشيخ المشتمل على ما تقدم ذكره ، المستكمل من الوصف
ما يحبُّ شكرُه ؛ الآوى إلى حرز من الصيانة حريز ، المستغنى بغنائه عن الاستظهار
بعزوة العزيز^(١) ؛ المستوجب إلى أن يُعدَّ من أهل التمييز لأنه من أهل التمييز ، المستوعب
من الخلال الجميلة ما لا يقتضيه القول الوجيز ؛ المخرج من قضايا الدنايا فما يستبيح
محرمها ولا يستحيز ، المدح فى خديم كلها أخلصته خلاص الذهب الإبريز ؛ وكانت له
مضاراً تشهد له أفعاله [فيها] بالسبق والتبريز ، المتوسل بأمانة عزبها جنابه عن
الشبهة ووجدانها فى الناس عزيز - تقدم فتى مولانا السيد الأجل باستخدامك على

(١) العزوة بالكسر الاعتزاء . أى انه غنى بنفعه عن الاستظهار بالاعتزاء الى أحد . وفى الأصل بعزوة

الحسبة بمدينة كذا : فباشر أمرها مباشرة من يئذل في التقوى جهداً ، فلا يرى غيرها على ظملي ورداء ؛ ولا يراه الله حيث نهاه ، ولا يأمره أبداً وينهاه إلا نهاه ، ولا يرى ما كشفته إلا وهو عالم أن الله يراه ؛ وأنته فيها إلى ما ينتهي إليه من بدل غاية وسعه ، ومن لا يرتد عن جرركه من عموم نفعه ؛ ومن يئذل بتهديب طباع الناس على طهارة طبعه ، ومن يستجزل حسن صنيع الله لديه بحسن صنعه ، ومن يستدعي منه بذل فضله بحظر مأمر بحظره ومنعه . وأسلك فيما تستعمله من أمرها المذهب القصد والمنهج الأقوم ، واجتهد فيها اجتهد معتصم بحبل التقوى المتين وسببها الملبم . وأمنع أن يخلو رجل بامرأة ليست بذات محرم . وأستوضح أحوال المطاعم والمشارب ، وقوم كل من يخرج في شيء منها عن السنن الواجب . وعير المكاييل والموازين فهي آلات معاملات الناس ، واجتهد في سلامتك من الآثام بسلامتها من الإلباس والأدناس ؛ وحذر أن تحمل دابة ما لا تطيق حمله ، وأدب من يحجى إلى ذلك يتوخى فعله ؛ وأوعز بتنظيف الجوامع والمساجد لتتبر بالنظافة مسالكها ، كما تتبر بالإضاءة حواليكها ؛ ففي ذلك إظهار لهجتها وجمالها ، وإيثار لصياتها عن إخلال نضرتها وأبتذالها ؛ ولا تمكن أحداً أن يحضرها إلا لصلاة أو ذكر ، قاطعا لسان الخصام وموقفا لعين الفكر ؛ فأما من يجعلها سوقاً للتجارة ، فقد حصل بهذه الجسارة على الخسارة ؛ فهي ميادين الضمر ، وموازين الرشح في الظاهر من أعمالهم والمضمر ؛ وما أحق لياليتها أن تقوم بها الهجد لا السمر ، وهل إذن الله أن ترفع لغير اسمه أو تُعمر ؛ وأحظر أن يحضر الطرقات ما يمنع السلوك أو يوعره ، وأفعل في هذا الأمر ما يردع العايب ويزجره . وخذ النصارى واليهود والمخالفين بلئس الغيار وشد الزنار ، ففي ذلك إظهار لما في الإسلام من العزة وفي المخالفة من الصغار ؛ وإبانة بالشدة للتأهب للسير إلى النار ، وتفريق بين المؤمنين والكفار ؛ وأدب من يكمل

مطققاً، أَوْ يَزِنُ متحيفاً ، أدباً يكون لمعاملته مزيّفاً ، وله من معاودة على فعله زاجراً
ومخوفاً ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



ومن المكتتب عن الوزير لأرباب الوظائف الديوانية سجلٌ بمشارفة الجوالى
بالصعيد الأدنى والأشْمُونين ، وهى :

مَنْ حُسِنَتْ آثارُهُ فيما يتولاه ، وآسْتَعْمَلَ من الإِجْتِهَاد ما يُدِلُّ على معرفته بقدر
ماتولاه ؛ كان آعْتِمَادُهُ بما يُؤَكِّد سَبَبَهُ ويُنَجِّح قَصْدَهُ وَيَسْطُر يَدَهُ ؛ وَيُرْهِفُ حَدَّهُ
فِيما يَضْمَنُ مصالح خِدْمَتِهِ ، وَيُنِظِّمُ أَمْرَهَا فِي سِلْكِ إِيْثَارِهِ وَبُغْيَتِهِ .

ولما كُنْتَ ^(١) لَمَّا نُدِبْتَ إِلَى مشارفة الجوالى بالصعيد الأدنى
والأشْمُونين قد أَبْنَتْ عن الحُبْرَةِ والدَّرَايَةِ ، والأَمَانَةِ والكِفَايَةِ ، والإِنتِصَابِ
لِلإِسْتِخْرَاجِ والحَيَايَةِ ؛ وَالإِجْتِهَادِ فِي الوَفَاءِ بما كُتِبَ به خَطُّكَ ، والحَرِصِ على
ما يُجْزِلُ نصيبِكَ من جَمِيلِ الرَأْيِ وقِسْطِكَ - تَقَدَّمَ فَنِيْ مولانا وسيدنا بكتب هذا
المنشورِ مضمَّنًا شُكْرَكَ وإِحْادَكَ ، ومُودَعًا ما يُلْغُفُكَ فِي الخِدْمَةِ بُغْيَتِكَ ومِرَادَكَ ؛
وتَجْدِيدَ نَظَرِكَ وتقْوِيَةَ يَدِكَ ، وإِعْزَازَ جَانِبِكَ ؛ وتَوْخِيكَ بما يَشْرَحُ صَدْرَكَ ،
ويُسَدِّدُ أَزْرَكَ ، ويرْفَعُ مَوْضِعَكَ وَيُزِيحُ عِلْلَكَ ؛ وَيُقِيمُ هَيْبَتَكَ وَيُفْسِحُ مَجَالَكَ ،
ويُلْغِكَ آمَالَكَ .

فاجر على رَسْمِكَ فِي هَذِهِ المِشَارَفَةِ وَاسْتَمَرَّ على عَادَةِ دُعُوبِكَ ، وَاجْعَلِ التَّقَرُّبَ
بِالنَّصِيحَةِ غَايَةَ مَطْلُوبِكَ ؛ وَوَاوِلِ الإِنتِصَابَ لِإِسْتِخْرَاجِ مَالِ هَذِهِ الجوالى

(١) بياض بالأصل . ومراده "أيها الأمير" أو نحوه .

وَاسْتِنْضَاضُهُ وَاسْتِيفَائُهُ وَاسْتِنْظَافُهُ ، وَتِمَادٌ فِي ذَلِكَ عَلَى سُنَّتِكَ الْحَمِيدَةِ ، وَطَرِيقَتِكَ
السَّيِّدَةِ ، وَثَقِيَ بِأَنَّ ذَلِكَ يُسْفِرُكَ عَنْ بُلُوغِ أَرَاغِيكَ ، وَيَضَاعِفُ سَهْمَكَ مِنْ حَسَنِ
الرَّأْيِ فِيكَ ؛ فَلْيَعْتَمِدِ الْأَمِيرَانُ مَعَاضِدَ الْمَذْكُورِ وَمُؤَازَرَتَهُ ، وَإِعَانَتَهُ وَمُظَافَرَتَهُ ،
وَإِجَابَةَ نِدَائِهِ ، وَتَلْيِيَةَ دَعَائِهِ ؛ وَالشَّدَّ مِنْهُ فِي اسْتِخْرَاجِ الْبَوَاقِي مَعَ الْمَالِ الْحَاضِرِ :
لِيَجِدَ السَّبِيلَ إِلَى الْوَفَاءِ بِمَا شَرَطَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَكُتِبَ خَطُّهُ بِهِ ؛ وَالْمُبَالَغَةُ فِي ذَلِكَ
مُبَالَغَةٌ يَعُودُ نَفْعُهَا عَلَى الدِّيْوَانِ ، وَيَشْهَدُ لَهَا بِبَذْلِ الطَّاقَةِ وَالْإِمْكَانِ ؛ فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ
وَلْيَعْمَلْ بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .



وَمِنْ ذَلِكَ سَجَلٌ بِاسْتِيفَاءِ الْأَعْمَالِ الْقَبِيلَةِ ، وَهُوَ :

مِنْ كَرَمِ أَصْلِهِ وَمَحَنَدِهِ ، وَحُسْنِ فِي الْوَلَاءِ ظَاهِرُهُ وَمَعْتَقَدُهُ ؛ وَلَقِّنَ الْخَالِصَةَ
عَنِ الْمَاضِينَ مِنْ أَسْلَافِهِ ، وَلَزِمَ فِي الْمُنَاصَحَةِ مَنَهِجًا لَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ إِلَى خِلَافِهِ ، وَتَقَلَّلَ
فِي جَلَائِلِ الْخِدْمِ بِكَثْرَةِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالتَّعْدِيدِ لَأَوْصَافِهِ ؛ وَكَانَ فِي كُلِّ مَا يَبْأُشِرُهُ عَلَى
قَضِيَّةٍ تَشْهَدُ بِفَضْلِهِ ، وَتَدُلُّ مِنْ مَحَاسِنِ الْخِلَالِ عَلَى مَا لَا يَجْتَمِعُ إِلَّا فِي مِثْلِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ
قَلِيلُ النَّظَرِ وَالْأَكْفَاءُ ، كَلَّفَ بِالْاِقْتِدَاءِ بِمَكَارِمِ الْأَفْعَالِ وَالْإِتِّبَاعِ لَهَا وَالْاِقْتِفَاءَ -
أَسْتَوْجِبُ أَنْ يُرْفَعَ مَكَانُهُ وَمَحَلُّهُ ، وَأَسْتَحِقُّ أَنْ يَجْمَلَ مِنْ أَعْبَاءِ الْمَهْمَاتِ مَا لَا يَنْهَضُ بِهِ
[إِلَّا] مِثْلُهُ ؛ وَصَلَحَ أَنْ يَجْعَلَ لِمَا يَرَاغِي أَمْرَهُ سَهْمًا مِنْ نَظَرِهِ فِيهِ ، وَأَنْ يَبْرَزَ مِنْ
تَوَلِيَّتِهِ لِيَأْهَ فِي مَلَبَسِ جَمَالٍ يُسَيِّغُهُ حَسَنُ التَّنْدِيرِ عَلَيْهِ وَيُضْفِيهِ .

وَلَمَّا كُنْتُ أَيُّهَا الشَّرِيفُ ، تَأَجَّجْتُ الْخِلَافَةَ ، عَضُدُ الْمَلِكِ ، صَنِيعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
مِنْ جِلَّةِ آلِ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْمَوْفُورِ الْحَظِّ مِنَ الْمَآثِرِ وَالْمَنَاقِبِ ؛ وَلَكِ مَعَ تَسَنُّبِ
الشَّرِيفِ مِيزَةُ بَيْتِكَ فِي الدَّوْلَةِ الْعُلُويَّةِ - خَلَدَ اللَّهُ مَلِكَهَا - وَتَقَدَّمَهُ ، وَأَسْتَثْقِرُ أَرْكَ

بِحُجَّةٍ مِنَ السَّاءِ لَا يَضَائِقُهُ أَحَدٌ مِنْ طَبَقَتِكَ فِيهَا وَلَا يَزِجُهُ ؛ وَقَدْ تَوَلَّيْتَ أُمُورًا جَلِيلَةً
فَكُنْتَ عَلَيْهَا الْقَوَى الْأَمِينَ ، وَأَهْلْتَ لِمَنَازِلَ سَنِيَّةٍ فَأَوْصَحْتَ لَكَ الْإِثْرَ الْحَسَنَ وَأَظْهَرْتَ
مِنْكَ الْجَوْهَرَ الثَّمِينَ ؛ وَلَمْ تَنْتَقِلْ قَطُّ مِنْ شَيْءٍ تَتَوَلَّاهُ ، إِلَى غَيْرِهِ مِمَّا تُسْتَحْفَظُهُ
وَتُسْتَكْفَاهُ ، إِلَّا كَانَ الْأَوَّلُ عَلَيْكَ يَتَلَهَّفُ ، وَالثَّانِي إِلَيْكَ يَتَطَلَّعُ وَنَحْوَكَ يَتَشَوَّفُ ؛
وَمَا بَرِحْتَ مَلْتَمَسًا مِنَ الرُّتَبِ الْخَطِيرَةِ مَخْطُوبًا : لِأَنَّ الْأَسْبَابَ الَّتِي غَدَتْ فِي غَيْرِكَ
مُتَشَتِّتَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، قَدْ أُلْفِيَتْ عِنْدَكَ مَجْتَمِعَةٌ مُتَأَلِّفَةٌ مُتَّسِقَةٌ ؛ فَلَكَ النَّزَاهَةُ السَّابِقَةُ بِكَ
كُلٌّ مِنْ يَجَارِيكَ ، وَالْوَجَاهَةُ الرَّافِعَةُ قَدَرَكَ عَلَى مِنْ يُنَاوِيكَ ؛ وَالْأَمَانَةُ الَّتِي يَشْهَدُ لَكَ
بِهَا مِنْ لَا يُجَاهِيكَ ، وَالِدِيَانَةُ الَّتِي حُرَّتْهَا عَنِ الشَّرِيفِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَبِيكَ - تَقْدَمُ قَتَى
مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا بِالتَّعْوِيلِ عَلَيْكَ فِي تَوَلَّى دِيَوَانَ الْأَسْتِيفَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْقَبْلِيَّةِ وَمَا جُمِعَ
إِلَيْهِ ، الَّذِي هُوَ مِنْ أَجْلِ الدَّوَاوِينَ قَدْرًا ، وَأَنْبَهَاهَا ذِكْرًا ، وَأَرْفَعِهَا شَانًا ، وَأَشْمِخَهَا
مَكَانًا ؛ وَخَرَجَ أَمْرُهُ بِكُتُبِ هَذَا التَّقْلِيدِ لَكَ ؛ فَبَاشِرُ ذَلِكَ مُتَقِيًّا لِلَّهِ تَعَالَى فِيهِ ،
جَارِيًا عَلَى مَرَاقِبِهِ عَادَتِكَ الَّتِي تُرْتَلَفُ فَاعْلَهَا وَتُحْطِظُ بِهِ ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ إِرْشَادًا لِعِبَادِهِ
وَتَفْهِيمًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ ﴾ .

وَتَبَتَّلَ إِلَى عِمَارَةِ الْأَعْمَالِ ، وَتَرَجَّحَ الْارْتِفَاعَ وَاسْتَخْرَاجَ الْأَمْوَالِ ؛ وَأَعْتَمَدَ
مُواصَلَةَ الْحَدِّ وَالتَّشْمِيرَ ، وَأَعْكُفَ عَلَى الْأَجْتِهَادِ الَّذِي يَشْهَدُ لَكَ بِقَلَّةِ الشَّبِيهِ وَعَدَمِ
النَّظِيرِ ؛ وَاسْتَنْظَفَ الْبَوَاقِي مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ وَالْأَمَاكِنِ ، وَكُنْ عَلَى ضَبْطِ مَا اسْتَخْرَجَ
وَصُونَهُ أَحْقَظَ لَهُ مِنَ الْخَزَائِنِ ؛ وَأَنْظُرْ فِي أَمْرِ الْكُتَّابِ نَظْرًا مِنْ يَكْشِفُ عَنْ جَمِيعِ
أَسْبَابِهِمْ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ الْمَخَاطَبُ عَلَى خَطِيئَتِهِمْ وَصَوَابِهِمْ ؛ وَخُذْهُمْ بِمُلَازِمَةِ الْأَشْغَالِ ،
وَالْمُواظَبَةِ عَلَى التَّنْفِيزِ وَعَلَى اسْتِيفَاءِ الْأَعْمَالِ ؛ وَلَا تُسَوِّغْ لِمُضَامِنٍ وَلَا عَامِلٍ أَنْ
يُضْجَعَ فِي الْعِمَارَةِ ، وَلَا أَنْ يَمَاطِلَ بِهَا مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَإِنْ فَاتَتْ ذَلِكَ لَا يُلْحَقُ ،

وفارطه لا يدرك ؛ وقد أزيحت علّتك بسط يدك وإنفاذ قولك وإمضاء حكك ؛
فتماد على سنّتك واستمرّ على رسمك ؛ وأعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما تحتاج إلى
المطالعة بمثله ؛ إن شاء الله تعالى .



سجل بمباشرة الأغنام والمطابخ .

لما كانت الأمانة كافلةً بالنويه لأربابها ، والكفاية سافرةً في التمييز لمن يتعلق
بأسبابها ، والخبرة خلةً لا يليق التصرف ولا يحسن إلا بها ؛ وكنت أيها القاضي
مشهور النفاذ والمعرفة ، خليقاً إذا ذكر المرشّعون للهمات بأجل صفه ؛ وقد علمت
نباهتك ، واستقرت نزاهتك ؛ وحسن فيما نتولاه أترك ، وطاب فيما تبأشره خبرك .
وحين عُدقت بك الخدم فيما يستدعى ويُبتاع من الأغنام برسم المطابخ السعيدة
وما يُنفق ويُطلق منها ، متصرفاً في ذلك بين يدي المخلص السديد صفى الملك
مأمون الدولة أبي الحسن : فرج الحافظي أدام الله تأييده ؛ فشكر سعيك ، وأحمد
قصدك ، ورضى آجتهادك ، واستوفى اعتمادك - تقدّم فتى مولانا وسيدنا فلان
بكتب هذا المنشور لك ، مضمناً ما يقضى بشدّ أزرّك ، وشرح صدرّك ، وتقوية
مُتّك ، وإرهاق عَزَمِك في خدمتك ؛ واعتمادك بما يؤدّي إلى استقامة الأمر
فيما عُديك بك ، ومساعدتك ومعاضدتك ومعونتك في أسبابك ؛ وتبليغك أقصى
طَلابك ، والأميران يعتمدان رعايتك ، والشدّد منك وإعانتك ، والمحافظة على مصالح
أمرك والتلبية لدعوتك ، وتوفير حظك من الملاحظة لشؤونك . فلتعلم هذا
ولتعمل به ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة منشور بمشارفة المواريث الحشرية ، والفروض الحُكْمِيَّة ،
وهي :

منشورٌ تقدّم بكتبه قتيّ مولانا وسيدنا السيّد الأجل الأفضّل لك أيها القاضي
الرّشيد ، سيّد الدولة ، أبو الفُتُوح محمد بن القاضي السعيد عين الدولة أبي محمد
عبد الله بن أبي عقيل - أدام الله عزك - لما أشتهرت كفايتك أشتهار الشمس ،
وأمنت أمانتكَ دخولَ الشبهة واللبس ، وسلكتَ مذهبَ أسلافك في العَفاف
والنزاهة وظَلَفَ النفس ؛ وظلّت آثارُك فيما تتولاه شاهدة بديانتك ، وأفعالك فيما
تُستكفاه معربةٌ عن نباهتِكَ ؛ وسيرتُك فيما تتكلفه منتهيةٌ بك إلى أقصى أمد
الاحتياط مُفضّية ، وقد أضحي سبيل تقديمك مُعبداً مذكّلاً ، وغدوت لما يُناسب
كريم بيتك مرشّحاً مؤهّلاً ؛ وإنما إبقاؤك على ما بيدك لتُكمل إصلاحه وتهذيبه ،
ونُعم تثقيفه وترتيبه ؛ ولذلك كتب هذا المنشورُ مقصوداً على إقرارك على ما أنت
متولّيه من الخدمة في مشارفة المواريث الحشرية ، وتقرير الفروض الحُكْمِيَّة .

فاجر على رَسْمِكَ وعادتك ، وأستمرّ على منْهَجِكَ في بَدَلِ استِطاعتِكَ ؛ وألزم المعهودَ
منك فإنه مُغْنِي عن الاستِرادِه ، وتمادَ على ما أتيت فيه على البُغْيَةِ والإِرادِه ؛ وآكِتِف
بما تضمّنْتَه التذكرة الديوانية المعمولة لهذه الخدمة ، وحافظ من الاجتهاد على
ما يحدّد لك كلّ وقت ملبّس نعمه ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، وليُنسخ هذا المنشور
بحيث يُنسخ مثله ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة منشور بعمالة، وهى :

عند ما وصفت به من آجتهادٍ ومناصحه ، وأمانةٍ ليس فيها مساهلةٌ ولا مسامحة ؛
ومخالصةٍ آستمرت فيها القضية المستقيمة الواضحة ، وكفايةٍ تمسكت منها بالسبب
الوثيق وحصلت على الصفة الراجحة ؛ ومعاملةٍ تحررت فيها نهج من حُبب إليه
الأعمال الصالحة ، وكفايةٍ إذا باشرت الدهمة الكالحة أبدلتها بالقرّة الواضحة ، وسُمتةٍ
ما برحت الألسن لذخائر ثنائها مبيحةً ولسرائر أسبابها بأئحة ؛ وإنك إذا أهلت لخدمة
جعلتها لشُكرك لسانا ، وليكتاب كفايتك عُنوانا ؛ ومن كان بها ملما (؟) إذا رأته
دواءه كان مستعارا بك أحيانا .

فأعتمد في هذه الخدمة ما يحقق بك ظنا ، ويقيم لك وزنا ، ويُسدّ بك رُكنا
ويضايفُ لَدَيْكَ مَنّا ، ويُنبئك من الإحسان مائتتى ، ويُسنى لك من الزيادة
والحسنى ، ويتوكل في اقتضاء الحظ الجزيل الأسنى ؛ وآسترفع (؟) الحُسابات التى
ما يلزم رَفْعُها ، ويُحفظ به شرط الكفاية ووضعها ؛ وأكشِفُ ولا تُبقِ ممكنا حتى
تكشِفَه ثم آستنطقه ، وحاصل به أصله ثم تجله ؛ وحافق الجهاد على ما نرجت به
البرآت ، ورُفعت به الخلمات ؛ ولا تُخلِ وُصولا ، من أن تكون بخطك موصولا ؛
وآستخرج حقوق الديوان على ما مضت به مواضى سُنَنه ، وخذ من كل شيء
في خدمتك بأحسنه ، وأزل نفسك من شعور السنة بأمنع ظل وأحصنه ؛
وأحمل التُّجَّار والسُّفَّار على عوائد العدل وشرائطه ، وقضايا الصوب وحوائطه ؛
وشواهد الديوان وضرائبهِ ، ولا تتعدّ فيهم مألوف مطالبه ؛ وأنظر في الأملاك

السلطانية نظراً يُصلح معتلّها، ويصحّح محتلّها؛ ويوفّر أجرها، ويُرّجى غيرها؛ وكذلك الأجبّاس والأحكار والمواريث : حافظ على حفظ استغلاها، وكفّف كفّ من يرى باستباحة أمر الحرمة واستحلالها؛ وقد وردت لك من الديوان تذكرة فاهتد بمنظومها، وأقصد بمرسومها؛ ولك من الآراء ما يشدّ عزمك، وينقّذ حكمك؛ ويُسّنى موردك، ويعلى يدك؛ ويمثّل الرعاية فيك، ويقيم على أن تكفى الديوان بما يكفيك؛ والسلام .

تم الجزء العاشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الحادى عشر

وأوله الفصل الثالث

(من الباب الرابع من المقالة الخامسة)

والحمد لله ربّ العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

فهرس

الجزء العاشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- الوجه الخامس — فيما يكتب في ألقاب الملوك عن الخلفاء ،
وهو نمطان ٥
- النمط الأول — ما كان يكتب في قديم الزمن ٥
- » الثاني — ما يكتب به للملوك الزمان ٦
- الوجه السادس — فيما يكتب في متن العهود ، وفيه ثلاثة (خمسة)
مذاهب ٨
- المذهب الأول — أن يفتح العهد بلفظ « هذا » ، وللكتاب فيه طريقتان
الطريقة الأولى — أن لا يأتي بتحميد في أثناء العهد في خطبة ولا غيرها أنح ٨
- » الثانية — أن يأتي في أثناء العهد بخطبة أو تحميد ٤٦
- المذهب الثاني — أن يفتح العهد بلفظ « من فلان » باسم الخليفة
وكنيته ولقب الخلافة « إلى فلان » بأسم السلطان
وكنيته ولقب السلطنة ٧٥
- » الثالث — أن يفتح العهد بخطبة ٩٨
- » الرابع — « » « بقوله « أما بعد فالحمد لله » أو
« أما بعد فإن أمير المؤمنين » أو « أما بعد فإن كذا » ١٣٥
- » الخامس — أن يفتح العهد بـ « إن أولى ما كان كذا » ونحوه ... ١٤٥
- الوجه السابع — فيما يكتب في مستند عهد السلطان عن الخليفة ،
وما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، وما يكتب
في نسخة العهد من الشهادة أو ما يقوم مقامها ... ١٥٢
- » الثامن — في قطع الورق الذي تكتب فيه عهود الملوك عن
الخلفاء ، والقلم الذي يكتب به ، وكيفية كتابتها ،
وصورة وضعها في الورق ١٥٣

صفحة

النوع الثالث - من العهود - عهود الملوك لولاية العهد بالملك ، وفيه

سبعة أوجه ١٥٨

الوجه الأول - في بيان صحة ذلك ١٥٨

» الثاني - فيما يكتب في الطرة ١٥٩

» الثالث - في الألقاب التي تكتب في أثناء العهد ١٥٩

» الرابع - ما يكتب في المستند ١٦٠

» الخامس - ما يكتب في متن العهد ١٦٠

» السادس - فيما يكتب في مستند عهد ولي العهد بالسلطنة ،

وما يكتبه السلطان في بيت العلامة ، وما يكتب

في ذيل العهد ١٧٧

» السابع - في قطع ورق هذا العهد ، وقلمه الذي يكتب به ،

وكيفية كتابته ، وصورة وضعه في الورق ، ١٧٨

النوع الرابع - من العهود - عهود الملوك بالسلطنة للملوك المنفردين

بصغار البلدان ؛ وفيه أربعة أوجه ١٨١

الوجه الأول - في بيان أصل ذلك وأول حدوثه في هذه المملكة

إلى حين زواله عنها ١٨١

» الثاني - في بيان ما يكتب في العهد ، وهو على ضربين ... ١٨٣

الضرب الأول - ما يكتب في الطرة ، وهو تلخيص ما يشتمل عليه

العهد (ولم يذكر الضرب الثاني) ١٨٣

الوجه الثالث - فيما يكتب في المستند عن السلطان في هذا العهد ،

وما يكتبه السلطان في بيت العلامة ١٨٨

صفحة

- الوجه الرابع - في قطع ورق هذا العهد، وقلمه الذى يكتب به،
وكيفية الكتابة، وصورة وضعها فى الورق ... ١٨٨
- الباب الرابع - من المقالة الخامسة فى الولايات الصادرة عن الخلفاء
لأرباب المناصب من أصحاب السيوف والأقلام،
وفيه ثلاثة فصول... ١٩٢
- الفصل الأول - فيما كان يكتب من ذلك عن الخلفاء، وفيه خمسة
أطراف ... ١٩٢
- الطرف الأول - فيما كان يكتب عن الخلفاء الراشدين ... ١٩٢
- » الثانى - » » عن خلفاء بنى أمية ... ١٩٥
- » الثالث - » » » بنى العباس ببغداد إلى
حين أنقراض الخلافة العباسية من بغداد،
وهو على أربعة أنواع... ٢٣٣
- النوع الأول - ما كان يكتب لوزراء الخلافة... ٢٣٣
- » الثانى - مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان
الخلافة ببغداد - ما كان يكتب لأرباب الوظائف
من أصحاب السيوف، وهو على ضربين ... ٢٤٢
- الضرب الأول - اليهود ... ٢٤٢
- » الثانى - مما يكتب من ديوان الخلافة لأرباب
السيوف - التقاليد... ٢٦٢
- النوع الثالث - مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان
الخلافة ببغداد - ما كان يكتب لأرباب الوظائف
ببغداد من أصحاب الأقلام، وهى على ضربين ... ٢٦٣

صفحة

الضرب الأول - العهد ٢٦٤

» الثاني - مما كان يكتب بديوان الخلافة ببغداد لأرباب

الوظائف من أصحاب الأقلام - التواريخ ... ٢٩٢

النوع الرابع - مما كان يكتب من ديوان الخلافة ببغداد -

ما كان يكتب لزعماء أهل الذمة ٢٩٤

الطرف الرابع - فيما كان يكتب عن مدعى الخلافة ببلاد المغرب

والأندلس، ولذلك حالتان ٢٩٩

الحالة الأولى - ما كان الأمر عليه في الزمن القديم (ولم يذكر

الحالة الثانية) ٢٩٩

الطرف الخامس - فيما كان عليه الأمر في الدولة الفاطمية بالديار

المصرية، وهو على نوعين ٣٠٨

النوع الأول - ما كان يكتب به عن الخليفة نفسه، ولهم فيها

أربعة مذاهب ٣٠٨

المذهب الأول - أن يفتح ما يكتب في الولاية بالتصدير، وهو على

ثلاث مراتب ٣٠٩

المرتبة الأولى - أن يقال بعد التصدير المقدم « أما بعد فالحمد لله »

وهي على ضربين ٣٠٩

الضرب الأول - سجلات أرباب السيوف (ولم يترجم للضرب

الثاني) ٣١٠

المرتبة الثانية - أن يفتح السجل بالتصدير إلى آخر التصليية ثم يؤتى

بالتحميد مرة واحدة ٣٣٨

صفحة

- المرتبة الثالثة — أن يفتح بالتصدير أيضا إلى آخر التصلية ثم يؤتى
 بالبعدية من غير تحميد ٣٦٠
- المذهب الثاني — أن يفتح ما يكتب في الولاية بلفظ «هذا ما عهد
 عبد الله ووليه الخ» ٣٨٤
- « الثالث — أن يفتح ما يكتب في الولايات بخطبة مبتدأة
 بـ«الحمد لله» ٣٨٩
- « الرابع — مرتبة الأصاغر من أرباب السيوف والأفلام ... ٤٣٩
- النوع الثاني — ما كان يكتب عن الوزير ٤٤٦

(تم فهرس الجزء العاشر من كتاب صبح الأعشى)